

القسم الثاني من المعسول

ويشتمل على الالفين الذين ليسوا من المراتبين السعديين
وفيه خمسة فصول :

الفصل الاول في الاغوديديين والتيفشيتيين

الفصل الثاني في القاطنين ولو مؤقتا في قرية (دوكادير) من الغرباء

الفصل الثالث في الوقاويين

الفصل الرابع في الايفشانيين

الفصل الخامس في الامانوزيين

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

الفصل الاول

في الاغوديديين والتيفغشيتيين

والذين يذكرون فيه :

الشيخ محمد بن أحمد الحريلي جد الاغوديديين

الفقيه سيدي الحسين بن أبي بكر الاغوديدي

الفقيه سيدي البشير اخوه

الفقيه سيدي علي التيفغشيتي



الشيخ الصالح

سيدي محمد بن أحمد الحريلي

قبل : ٩٦٠ هـ = ١٠٢٠-٤ هـ

شيخ كبير القدر ، له شهرة في عصره ، وقد أعقب اسرة مباركة ظهرت
اخيرا بالعلوم والادب .

(قال فيه الحضيكي) :

«محمد بن أحمد الحريلي ، ثم التاهالي دفين ايسى ، كان رضى الله
عنه رجلا صالحا خيرا دينيا ، ذا عزم وحزم ، وتشمير في الدين ، محبا للمساكين
والفقراء ، ومكرما لهم ، مربيا مرشدا ، ناصحا للاسلام ، صاحب الاكابر من
الاولياء ، وخدمهم بنصح ونية صادقة ، وهو المشار اليه في ترجمة ابن داود
النارسواطي»

وقال فيه الرسموكي :

«شيخ الطوائف ومريهم ، سيدي محمد بن أحمد النازل بتاهالا ،
المدفون بايسى ، عند سيدي بلقاسم الفيلاي ، توفي رحمه الله ربيع الثاني عام
عشرين وalf»

هذا ما ذكره عنه هذان المؤرخان ، ومحل سكنى المترجم في قرية (أكرض
اوسول) من (تاجكالت) وقد كانت القرية قديما تعد من تاهالا ، ثم تحسب
اليوم من ايفشان ، ولا تزال داره التي كان يقطنها تقام فيها اليوم حفلة سنوية:
(المعروف)

وابن داود الذي ذكره الحضيكي ، هو الشيخ سيدي محمد بن داود العم
الاعلى للحضيكي توفي بعد ٩٩٠ هـ وقد ترجمه في الطبقات ، وذكر ان الشيخ
سيدي داود الدادسي رمى صاحب الترجمة بدعوة ، فعارضها دونه ، فسقطت

بموضع يسمى : (ايودرى) فيبس طويلا ، وذلك بعد ان بدا انكار من صاحب الترجمة على الشيخ سيدى احمد بن محمد السكرادى المشهور ، وهو من اصحاب الدادسى ، فغار عليه ، وقد بسط الحضيكي ذلك واختصرته .

واما سيدى بلقاسم الفيلالى ، فانه بلقاسم بن سعيد ، اخذ - فيما شاع عند الناس - عن الشيخ سيدى خالد الكرسيلى الشهير المتوفى آخر القرن التاسع ، وتوفى سيدى بلقاسم فى العشرة الاولى من القرن العاشرة ، واما سيدى احمد بن محمد السكرادى ، فسيذكر مع احفاده الذين بعضهم على شرطنا ان شاء الله ، (فى القسم الرابع) .

(كنت فشتت عن مشجر المترجم عند اولاده ، واوصيت بعض الناس ان يلبسوا بهن له معرفة بانساب اولاد الشيخ ، ولكن تراخى من اوصيته ، ولم يلبسنى ذلك الموصى عليه حتى فارقت الخ) .



سيدى

الحسين بن ابى بكر الاغوديدى

قبل : ١٢٨٥ هـ = ١٢٣٦ هـ

نسبه :

الحسين بن ابى بكر ، ويتصل نسبه بمحمد بن احمد المتقدم قبله . كان الرجل الصالح سيدى الحاج عبلا ، تزوج بامرأة اغوديدية ، وهم اخوال اولاده العلماء ، فكان ذلك مما حفز تلك الاسرة ان تراح رائحة العلم ، فكان صاحب الترجمة ، واخوه الفقيه سيدى البشير الاتى بعده ، هما الاولان ثم الاخيران من علماء الاغوديديين .

اتصل سيدى الحسين هذا بالاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الالفى فاخذ عنه اخذا وسطا ، وحصل عنه بعض تحصيل ، وكان فى عواشر ياتخذ عن سيدى سعيد بن الطيب الاكمارى ، فى مدرسة (تاكاترت) ، ويحكى لي انه ضعيف فى العربية ، وان ميزته بفقهيات وما اليها ، ولذلك ماكاد اخوه البشير النجيب يظهر حتى برز فى الميدان ، وغبر فى وجهه ، فكان ذلك احد الاسباب لثناان قام بينهما ، قرب موت سيدى الحسين ، حدثت انهما تنازعا فيما بينهما على شىء فتراضيا شيخنا سيدى عبد الله بن محمد ففصل بينهما .

كان سيدى الحسين ربما جال فى التوازل جولة المتوسط الذى لايسف ولايخلق ، وهو على كل حال ، ادنى من اخيه الصغير فى معلوماته ، هذا ما اعرفه عنه الآن .

ثم وقعت له على رسالة ، لعلمها الى بعض الادباء الالفين ، نصها : «أيد الله الفقيه النزيه ، سيد أقرانه عن جدارة بلا تمويه ، أديب الادباء ، وفقه الفقهاء ، وكريم الكرماء ، ونبيه النبهاء ، سيدى البشير ، سلاما اعطر من الروض المبلول ، ومن وصل حبيب فاجأ من غير وعد ولا رسول .»
اما بعد فلا زائد عما تعهده من الشوق اليك ، وحلول القلب لديك ، فقد اتصلت بكلامك العذب ، قطاب به القلب ، والغرض ساقضيه لك ان شاء الله خير قضاء ، حتى ترضى عني أى رضا ، فاعذر أخاك فى هذه المالكة (١) التى تكلفها ، فانها ليست بشىء ، لولا ان اسمك شرفها ، فلست من ارباب فن الادب ، ولا ممن به ترقى وتهذب ، فادع لآخيك بكل خير والسلام»

(١) المالكة بضم اللام : الرسالة

البشير بن ابي بكر الاغوديدى

نحو ١٣٠١ هـ = ضحى : ١٤-١١-١٣٣٧ هـ

نسبه :

البشير بن بوبكر

أخذ القرآن في مسجد قريته وفي مدرسة (ايرازان) ببغيلة عند الاستاذ : المحفوظ الرسموكي ، وقد أتقن حرف المكي ، ثم اتصل بالمدرسة الالغية في نحو : ١٣٢٠ هـ فأكب واجتهد ، وتدرج على العادة ، وهو متافن الاستاذ سيدى بلقاسم التاجارمونتى ، حتى استتم الادوار التى يترقى فيها الالغيون وكان يفرغ جهوده في المشاركة التامة ، ولكن تميزه انما هو في العلوم الفقهية النحوية واللغوية والفرضية ، ولم تظهر له في الادب مكانة تلقى بالقبول ، مع حرصه الشديد على ان يكون فيه ايضا دائما من الرعييل الاول ، فكان في كل مناسبة يقول مع اقرانه مقطعات ، ولكنه يكدو غالبا دون دأهم ، وقد كان للاستاذ الالغيين دائما اغضاء معن لا يزالون يؤاخذونهم به تنشيطا لهم الى الامام ، ولذلك كانوا يقابلونه بذلك ، غير ان اقرانه فضحوه مرة من اجل قطعة سنذكرها ، فاثاروا حوله ضجة عنيفة ، حتى سرى ذلك الى خدور لغواني ، فتحدثن به في منتديات النساء ، وقد حدثت ان سيدة من مرابطينا ايرت امرأة اغوديدية من احدى زوجات آل صالح ، فما ملكت هذه المرابطية ان قالت لصاحبيتها : فيما قالت : هل فيكن قط ايها الاغوديديات الا النقص لسائنا دائما ؟ فهذا ابنك البشير بن ابي بكر ، جاء بشعر افترض به بين العلماء ، وصار به ضحكة بين الاقران ، ولكن هذه في الحقيقة انما هي كبوة ، الجواد قد يكدو ، ولعله بعد ذلك تقدم في هذا الفن ايضا ، لاننى رايت له يصلح بين اقرانه ، بل لا أخالهم يفوقونه في بعض ما رايت له

في سنة : ١٣٢٩ هـ انتقل من (الالغية) الى (البومروانية) عند الاستاذ سيدى لطاهر فلازمه نحو سنة وبعض اخرى

لده هي المدارس التي اعلم انه اخذ منها ، ثم شارط في المدرسة (الامراتية) ربح فيها على التدريس ، فظهرت هناك قدرته ، فانتفع به أناس في مقدمتهم من اخته سيدى الحسين بن ابراهيم الالغى المتقدم الذكر ، وقد كان يدرسه في المدرسة (الالغية) و (البومروانية) ومنهم ايضا فقيه امسرا اليوم : سيدى

على بن سعيد ، وغيرهما ، وكان ايضا يجول في النوازل ، ويفتى ، فبرقت منه بارقة ، اظهرته للناس في سماء ذوى العلوم الراسخة ، فجمع هناك ما لا كان لبدنه كالهالة ، فصارت الالسنه تتحدث به ، وصار أشياخه يهتبلون به ويكاتبون به ، ثم بعد أربع سنوات - على ما أظن - فارق تلك المدرسة الى مسجد تاجارمونت ، حيث أمضى سنة

أذكر أننى وقربنى سيدى محمد بن احمد بن الحاج ابراهيم الايفشانى - الاثنى ذكره - جئنا يوما من المدرسة (التانكرية) الى الخ ، ونحن مترادفان على بغلة ، وكان الجو يسيل قرا ، واليوم يوم دجن (١) فمررنا في وسط النهار بأصحاب لاسرتنا بايت موسى لعلنا نستريح عندهم ، فلم نلقهم ، فذهبنا قدما ، ثم لحقنا صاحب الترجمة قرب قريته ، فاقترح علينا ان نمر به ، فذهبنا ونحن في ذلك من الراغبين ، فدخلنا عنده بعد العصر ، فجلسنا في بيت داخل ، فكان رجل ايفشانى في رفقتنا يدخل ويخرج ويقول : هاهو ذا المطر سينهمر ، وانا وصاحبى ننكمش ، ونتمنى ان لو اقترح علينا رب المثلوى البيات ، فصار يقول للرجل كلما قال لنا ذلك ، لاتخوف التلميذين ، ولاتزعج الصبيين ، فانهما لمشتاقان الى أمهاتهما ، كما ان أمهاتهما الآن في انتظار ان يروحا عليهن يقول ذلك ونحن ناكل خبزا وسمنا لذيين ، وهو يقيم لنا الاثنى بعجلة ، لان الوقت وقت الاصيل ، فملت بعينى ، فرأيت كتابا ففتحته ، فاذا به جزء مطبوع من الاغانى ، فاستعرت منه ، وكان ذلك اول ما رايت ، ثم خرجنا من عنده والمطر كافواه القرب حتى لانستطيع ان نترادف على البغلة ، فصرنا نختبط في المياه وفي الظلمة وقد التحقنا بالدياجير بعد المغرب ، وما أدراك ما دياجير فصل الشتاء ، والليل ممطر ، والشقة بعيدة ، ثم لم نصل الى دارنا بالغ ، الا بعد أن مرت العشاء ، ونام بعض الناس ، وقد كنا اذذاك ونحن صبية ربما نحمل ذلك الذى عاملنا به الاستاذ على محمل غير محمود ، ولكننى الآن - وقد اقلت على الكهولة دروسها - أقدر ان أحمل ذلك كله على ظاهره ، وان لائهم الاستاذ رحمه الله ببخل في ذلك .

هذه هي المرة التى رايت فيها الاستاذ ، ثم لم انشب ان التحقت بأحوال الحمراء فما وراءها ، فتوفى الاستاذ ، ولم أره بعد رحمه الله .

كان رجل جد في تعليمه ، ورجل المعاملات في دنياه ، ولو طال به العمر لكان ياقوتة السادة الاغوديديين الافاضل ، ولكن شعوب لم تبق منه من كاد يجول في ميادين قد يعجز عنها كثير من اترابه .

(١) الدجن يفتح فسكون : الغيم المظلم المطبق ، ويطلق ايضا على المطر الكثير

البشير بن ابي بكر الاغوديدى

نحو ١٣٠١ هـ = ضحى : ١٤-١١-١٣٣٧ هـ

نسبه :

البشير بن بوبكر

أخذ القرآن في مسجد قريته وفي مدرسة (ايرازان) ببغيلة عند الاستاذ : المحفوظ الرسمى ، وقد أتقن حرف المكى ، ثم اتصل بالمدرسة الالغية في نحو : ١٣٢٠ هـ فاكب واجتهد ، وتدرج على العادة ، وهو متافن للاستاذ سيدى بلقاسم التاجارمونتى ، حتى استتم الادوار التى يترقى فيها الالغيون وكان يفرغ جهوده في المشاركة التامة ، ولكن تبرزه انها هو فى العلوم الفقهية النحوية واللفوية والفرضية ، ولم تظهر له فى الادب مكانة تتلقى بالقبول ، مع حرصه الشديد على ان يكون فيه ايضا دائما من الرعييل الاول ، فكان فى كل مناسبة يقول مع أقرانه مقطعات ، ولكنه يكتو غالبا دون مداهم ، وقد كان للاستاذ الالغيين دائما اغضاء ماعن لا يزالون يؤاخذونهم به تنشيطا لهم الى الامام ، ولذلك كانوا يقابلونه بذلك ، غير ان أقرانه فضحوه مرة من أجل قطعة سنذكرها ، فثاروا حوله ضجة عنيفة ، حتى سرى ذلك الى خدور الغوانى ، فتحدثن به فى مندييات النساء ، وقد حدثت ان سيدة من مرابطينا عايرت امرأة اغوديدية من احدى زوجات آل صالح ، فما ملكت هذه المرابطية ان قالت لصاحبيتها : فيما قالت : هل فيكن قط ايتها الاغوديديات الا النقص الشائن دائما ؟ فهذا ابنكن البشير بن ابي بكر ، جاء بشعر افتضح به بين العلماء ، وصار به ضحكة بين الاقران ، ولكن هذه فى الحقيقة انها هى كبوة ، والجواد قد يكتو ، ولعله بعد ذلك تقدم فى هذا الفن ايضا ، لاننى رايت له ما يصلح بين أقرانه ، بل لا أخالهم يفوقونه فى بعض مآرائته له

فى سنة : ١٣٢٩ هـ انتقل من (الالغية) الى (البومروانية) عند الاستاذ سيدى الطاهر فلازمه نحو سنة وبعض اخرى

هذه هى المدارس التى اعلم انه اخذ منها ، ثم شارط فى المدرسة (الامسرائية) فربض فيها على التدريس ، فظهرت هناك قدرته ، فانتفع به أناس فى مقدمتهم ابن أخته سيدى الحسين بن ابراهيم الالغى المتقدم الذكر ، وقد كان يدرسه من المدرسة (الالغية) و (البومروانية) ومنهم أيضا فقيه أمسرا اليوم : سيدى

على بن سعيد ، وغيرهما ، وكان أيضا يجول فى النوازل ، ويفتى ، فبرقت منه بارقة ، أظهرته للناس فى سماء ذوى العلوم الراسخة ، فجمع هناك ما لا كان لبدنه كالهالة ، فصارت الالسة تتحدث به ، وصار أشياخه يهتبلون به ويكاتبونه ، ثم بعد أربع سنوات - على ما أظن - فارق تلك المدرسة الى مسجد تاجارمونت ، حيث أمضى سنة

أذكر أننى وقرينى سيدى محمد بن احمد بن الحاج ابراهيم الايفشانى - الاتى ذكره - جئنا يوما من المدرسة (التانكرية) الى الغ ، ونحن مترادفان على بغلة ، وكان الجو يسيل قرا ، واليوم يوم دجن (١) فمررنا فى وسط النهار بأصحاب لاسرتنا بايت موسى لعلنا نستريح عندهم ، فلم نلقهم ، فذهبنا قدما ، ثم لحقنا صاحب الترجمة قرب قريته ، فاقترح علينا أن نمر به ، فذهبنا ونحن فى ذلك من الراغبين ، فدخلنا عنده بعد العصر ، فجلسنا فى بيت داخل ، فكان رجل ايفشانى فى رفقتنا يدخل ويخرج ويقول : هاهو ذا المطر سينهمر ، وأنا وصاحبى ننكمش ، ونتمنى ان لو اقترح علينا رب المثلوى البيات ، فصار يقول للرجل كلما قال لنا ذلك ، لاتخوف التلميذين ، ولا ترعج الصبيين ، فانهما لمشتاقان الى أمهاتهما ، كما أن أمهاتهما الآن فى انتظار أن يروحا عليهن يقول ذلك ونحن ناكل خبزا وسمنا لذيذين ، وهو يقيم لنا الاتاى بعجلة ، لان الوقت وقت الاصيل ، فملت بعينى ، فرأيت كتابا ففتحته ، فاذا به جزء مطبوع من الاغانى ، فاستعرت منه ، وكان ذلك أول ما رايت ، ثم خرجنا من عنده والمطر كافوا القرب حتى لانستطيع ان نترادف على البغلة ، فصرنا نختبئ فى المياء وفى الظلمة وقد التحقنا بالدجاجير بعد المغرب ، وما أدراك ما دجاجير فصل الشتاء ، والليل ممطر ، والشقة بعيدة ، ثم لم نصل الى دارنا بالغ ، الا بعد أن مرت العشاء ، ونام بعض الناس ، وقد كنا اذذاك ونحن صبية ربما نحمل ذلك الذى عاملنا به الاستاذ على محمل غير محمود ، ولكننى الآن - وقد ألفت على الكهولة دروسها - أقدر أن أحمل ذلك كله على ظاهره ، وأن لا اتهم الاستاذ رحمه الله ببخل فى ذلك .

هذه هى المرة التى رايت فيها الاستاذ ، ثم لم انشب ان التحقت بأحوال الحمراء فما وراءها ، فتوفى الاستاذ ، ولم أره بعد رحمه الله .

كان رجل جد فى تعليمه ، ورجل المعاملات فى دنياه ، ولو طال به العمر لكان ياقوتة السادة الاغوديديين الافاضل ، ولكن شعوب لم تبق منه من كاد يجول فى ميادين قد يعجز عنها كثير من اترابه .

(١) الدجن بفتح فسكون : الغيم المظلم المطبق ، ويطلق أيضا على المطر الكثير

من قريضه رحمه الله ما أرسل به في ربيع الثاني سنة : ١٣٣٥ هـ السى
تلميذه سيدى الحسين بن ابراهيم المتقدم :

نفجت نفحة فهزت فؤادى بنسيم حكى شمولا بصدرى
تركته يرنو بعين لركب صوب جمل صبا بجدة امرى
دعوة فاستطار قلبي اليكم طالما رمته فيعكس دهرى
حبذا سادتى ودوحة افنا نى وتعليق فرضى عيني ونذرى
ثم لازال صيت عليا علاكم مقبلا مدبرا مقيما بشكرى

وقد كتب على آخر البيت الثانى : ركب فلان جدة الامر بضم الجيم وشدة
الدال : اذا رأى فيه رأيا . ثم اجابه تلميذه :

حبذا أرج الاحبة ينفسى من همومى ويختفى بسرارى (١)
جاء يحدو له الهوى بالتهانى واعتترتنى كاس الصفا والمزاد
ريح صوب اللوى الست تهيب من بريبا شقائق الازهار ؟
اطلبى لى متى مررت بسلمى منة لى منها بشم العرادر
انشقى ردها وسومى رضاها عن شج مسه الجوى بضرادر
بل انيل منى السلام لشيوخ قدوة القوم ذى ندى مدرادر
قرة العين نور قلبي الذى قد كان منه زنة المعارف وارى
سيدى من به استنارت مرايا نا فكانت كالبدر فى الابدادر
ادن واسمح بدعوة الفضل واليه نلذ الصب ذى الهيام الشعار (٢)

وقال يخاطب بعضهم فى رسالة - ولعلهما له -

لوجاز ان أرسل من كبدي بقلدة فى وسط المالكة
رايت فى وسطها فلسدة لكننى منعت من ذلك

وقال أيضا يخاطب من اسمه عبد الرحمن :

سلام على حبي وخذنى ابنى زيد ومن كانلى كالقلب والعين والايدي
سلام له عطر ذكى كأنما يمسس نسيم الوهن من زهر الورد
سلام أخ قد كان يعهد منكم التودد من بدء التحايا وبالرد
فمالي اراك اليوم اعرضت عن أخ يكاد يطير باشتياق ومن ود
فان كنت ذا ذنب فاني تائب او ان كنت ذا سهو فسامح ابازيد
اجبنى بشعر منك اشتاق أن أرى له لستنا كالريق فى الثغر او شهد

(١) من ساره سرارا من السرور

(٢) اى الجنة

وكتب الى بعضهم يستدعيه فى المدرسة :

ان الطجين مدرك النضج فلتعجلن الى لاترج
والماء يغلى وسط مقراجه مثل الملبين ذوى العرج
وهذه نماذج مما يقول ، وهى كما ترى لاتنقص عما يقول اقرانه ، ولكنه
على كل حال مقل جدا .

وأما القطعة التى يتندر بها ، وقامت حوله بسببها تلك الزوبعة الهائلة ،
فهى هذه ، وقد قالها فى يوم قدم فيه اقرانه مقطعاتهم للترحيب بالسوفد
الافرانى :

انح يا حبيبى مركبى لزيارة الـ من زيجين اعلام الضلال عن السورى
مزيجين اعلام الضلال عن السورى ومبدين صعب مشكلات الفوائد
فما شئت من فهم لديهم وحكمة وما قد تشا من علم فقه ومنطق
لقد حصرت نفسى لعد مناقب فمن رام حصر القول فى مدح سادتى
بطرفك اشخص للنجوم الطوالع بطرفك اشخص للنجوم الطوالع
اتعجب ممن هام وجدا وصبوة فهذا عبيد مستغيث بجمعكم
لقد رام الحاقا بظعن سوابق على المصطفى المختار اذكى تحية
وعترته أهل الهداية والعلا

ثم اجابه الاستاذ شيخنا الافرانى وقد لوح الى ما فى القصيدة :

ويا طريقة يرتادها الرائج القادى ويا نزهة الحادى ويا زينة النادى
بنات الحجا بكرا سنا حسنها بادية ويا ابن أبى بكر بشير جلوت من
تكن وانيا فالعلم افضل مرتاد فلازم وسدد سهم عزمك وارم ، لا
هو العروة الوثقى هو المرشد الهادى هو السبب الاقوى هو الرى للصادى
تقنت على الاغصان قمرية الوادى عليك سلام ما صبا عاشق وما

وكتب شيخنا الافرانى الى صاحب الترجمة هذه الرسالة الصغيرة فى
قصيدة :

(١) ابو جاد : الباطل

(٢) اساد اسادا : سار ليلته كلها

(٣) الجادى : الزعفران

«أدام الله سعادة الأخ الأبر ، الفقيه المدرس ، سيدي البشير بن أبي بكر ، وسلام عليه وعلى من به واليه ، هذا وموجبه اعلامكم بأن حامله ولد خالنا سيدي سعيد بن عبد الله ، حكم عليه سيدي محمد بن عبد الله السوقي حكما مخالفا للحق كل المخالفة ، فرفع الى لافتي عليه ، ولم يتيسر لي نقضه ، فاحببت أن تعلمني هل تستطيع أن تنقذه صدعا بالحق ، وتأخذ أجرتك ، فإن تكفلت بذلك ، رفعنا النازلة اليك ان شاء الله ، والجواب يأتي ، والسلام . أخوكم الضعيف الطاهر بن محمد آمنه الله وتولاه .»

وكتب اليه أيضا في قضية أخرى :

«وفق الله لمرضاته ، وعامل باللطاف سعاداته ، مقام الأخ الفقيه الأبر النفاة ، سيدي البشير بن أبي بكر ، وسلام عليه ورحمة الله وبركاته . هذا وحامله الفقيه سيدي ابراهيم العيني كانت له دعوى على بعض أهل ذلك البلد ، فتجب اذا دعاه اليك ان تشد عضده ، وتعينه في نيل حقه ان شاء الله ، ولاتنسنا من صالح الدعاء والسلام ، أخوكم الضعيف : الطاهر بن محمد آمنه الله ، مسلما على سائر الاخوان ، اصلح الله الجميع»

والفقيه سيدي ابراهيم العيني هذا ، علمت ان هناك من عين الطلبة بتازروارت ابراهيم بن علي أخا للفقيه سيدي محمد بن علي الساكن بالبيضاء اليوم ، قيل لي : ان اخاه ابراهيم الم بالعلم ، فالغالب انه المقصود ، وتوفي في آسفي بعد : ١٣٤٠ هـ وسياتي ذكر أسرته في ترجمة اخيه الفقيه محمد بن علي في (القسم الخامس) ان شاء الله .

وكتب اليه أيضا جوابا عما تراه أمامك .

«سيدنا الذي أصبح فكره محكا لبحاث الافهام ، يروج الخالص وينفي زائف الاوهام ، هذا وقد لاحت بشتك تبختر اتضاحا ، وتلوح في سواد النفس صباحا ، فزادك الله حرصا ، واحضر لكل حجة لك نصا ، غير ان الظاهر ان ذلك النصب ، لايتأتى في كل مثال ، بل الحق ان الجزم واجب ان قصد الجزاء ، بان لم يكن عيبا من وصف ، أو حال ، أو استئناف وان امكن وقصد ، فالرفع ، وأما النصب فلم نره في (الصبان) ولا ظهر وجهه وان قال به شارح الاجرومية المذكور ، والحاصل ان الحكم على الجزم بالجواز على الخيار ، لا يظهر من (الصبان) بعد ما طالعت ، لعدم تأتى قصد غير الجزم ، في مثل قول عمر للنبي صلى الله عليه وسلم : دعني اضرب عنقه فكيف يقصد ما لم يمكن وأما النقل عن الرهوني في (العمليات) فقد اتيت به على وجهه ، أبقاك الله لامثالها ، وأزال بك عن المسائل نقاب اشكالها ، ولاعدم العلم انظارك السديدة ، وابحاثك المفيدة ، فله درك من فارس مجال ، ورامي نضال ، والسلام . أخوكم الطاهر .»

وكتب اليه أيضا قريته شيخنا سيدي محمد بن الطاهر :

«عليك سلام الله يا ابن أبي بكر سلام اشتياق من محب توقدت سلام امري ما حال عما عهدته يسائل عن اخباركم نسمة الصبا ويستلمح البرق اليماني عله رعى الله عهدا قد مضى ما نسيته

سلاما ذكيا طيبا عطر النشر به لاعبات للتشوق والذكر وقد يعترى ود امري غير الدهر اذا ما سرت وهنا على روضة الزهر بحمل تحايا من نواحيكم يسرى على انه ينسى عهد الهوى غيرى

حرس الله مجادة الأخ الصالح ، الذي غير صيته في وجنات الطروس الطيب الفائح ، البحر الذي ينتاب بابه كل غاد للمكارم ورائح ، والملجأ الذي يامن اللاند به من الطوائح ، العلامة الذي لايزال في بحار المعارف سابح ، والمنفق بضاعة عمره الغالية في شراء العلم الذي متجره رابح ، فبشرت به أسواق العلوم بعد الكساد بنفاقها ، ونال منه بجد غاية ماطمحت عين احد قط الى لحاقها ، الفقيه المتفنن العلامة ، الذي لم تمسه في اقتناء الفاخر السائمة ، أخونا وحبنا وعصرينا سيدي أبو السراء : البشير بن أبي بكر ، باكر حضرته منا افوح التحايا ، تحكي أنفاسها طيب الشمائل منه والسجايا ، تحية ملائكة الفؤاد تشوقا ، أسأل النوى قلبه ودمعه فتدفقا ، من محب شديد الهيام الى تلقائك ، مشتعل الشوق الى لقاءك :

استهى ان ترى فؤادي فتدري كيف وجدى بكم وكيف احتراقى ؟ مجتمع الاحزان بالنوى ، مفترق الصبر باجتماع الهوى .

كانت لقلبي اهواء مفرقة فاستجمعت اذ رأيتك اليوم اهواء فاین للقلب طاقة بما تحمله من الاهواء ، التي تميت صاحبها وان كان يمشي مع الاحياء ؟

فيالك من قلب تبذل في الهوى وابدل غي الهزل من رشد الجسد ثم بعد هذا كله ، نستمد من يد الله تبارك وتعالى عونها ، بقرب تلك الساحة التي باعد المقدور بيننا وبينها ، وان قربت مسافة وساحة ، لعل ان نسال للال رفارف العز والقبول ، ونبلغ غاية كل سؤل ومأمول

هذا وأنا نحمد الله الذي لايجب الحمد على الحقيقة الاله ، وهو المسؤول ان يبلغ كلا منا ومنكم من الخيرات سؤل وأمله ، على تعهدكم لهذا العبد الضعيف المسىء الحقير بالسؤال ، عن كنه حاله في الحلول والترحال ، فلمعمرى لقد بالغت في الاكرام ، وانعمت بما اثقلت به الكواهل من الانعام ، هكذا تحفظ العهود من الاخوان ، والصدق والوفاء بالذمام ، فالولى سبحانه وتعالى يتولى عنا جزاك ، ويزيد رفعتك وسناك ، وهو المسؤول ان يديم لنا ولكم السلامة

والعافية ، وان يسبل علينا وعليكم من وقايته ستورا ضافية ، وان يسقينا من صرف معارفه كؤوسا ضافية ، بمنه وكرمه .

اما بعد : فاحوال المدرسة كما علمت ، مازالت في ازدياد ، ولله الحمد والمنة ، وما سمعنا عن نوادي الشيوخ بالغ الا ما سر البال ، لله الحمد ، والشيخ الوالد رضي الله عنه وأرضاه ، وأدى عنا حقوقه ، وبارك لنا في بقائه ، وسقانا من فيوض معارفه آمين ، توجه مع الاخ خالنا وحبنا سيدي القرشي ابن الشيخ سيدي المدني الناصري الى تلك الحضرة السنية ، زاد الله من أنوارها ، وأدام على رغم الحسدة سنا أقمارها ، رزقهما الله سبحانه احسن اياب ، بالنبي وآله وماله من الاصحاب

ولتعلم ان سحائب افكار الادب هطل ودقها ، وجاد برقها ، فرثي الشيخ الوالد ، رضي الله عنه ، وأدامه ، الفقيه المرحوم بكرم الله تعالى سيدي العربي ابن محمد رحمه الله ورضي عنه ، وقُدس في بحاج الجنان روحه ، بقصيدة نحوا من (٣٢) بيتا ، ورثاه الكاتب أيضا محمد باخري نحوا من (٤٢) بيتا ، ورثاه الاديب سيدي محمد التمل باخري نحوا من (٣٠) بيتا ، ورثاه اخونا سيدي أحمد بن محمد اليزيدي باخري نحوا من (٤٣) بيتا ثم اجابه الشيخ بخمسة ابيات ، ثم هنا كل اديب بالمدرسة : الشيخ الوالد رضي الله عنه وأرضاه بما في طوقه ، فاجاب كلا بما يفى بالمناسبة وازيد عن كل ما ذكرناه من غرر القصائد وبدائعها ، الى غير هذا مما لايسعنا الساعة ذكره ، ولايطاق شرحه وحصره ، فالحمد لله أولا وآخرا ، والسلام في العشر الاول من ربيع الاول عام : ١٣٣٠ هـ كتب اخوكم الضعيف : محمد بن الطاهر بن محمد لطف الله به انتهت الرسالة المكتوبة من المدرسة (البومروانية) وسترى ان شاء الله مرأى سيدي العربي في ترجمته في (القسم الرابع)

وكتب أيضا الاديب سيدي البشير بن المدني الناصري الى صاحب الترجمة في غرض :

محبتنا في الله تعالى الفقيه البركة ، الاجل المرابط ، الخير سيدي البشير ، كان الله لنا وله الول والنصير ، وسلام عليه ورحمته وبركاته ، وبعد :

فقد اتصل بنا خطابك ، ولقي بالقبول والاقبال كتابك ، وعليه فتها لهما يحتاج اليه من الخدمة ، تها لها غاية ، فقد علمت حالة الناس اليوم لاسيما من هناك ، وفرق الزرع لمن يظن فيه الخير ، ولا تقصر ، فالانسان عبد الاحسان وطالما استعبد الانسان احسان ، فيوم الاربعاء المقبل أقدم ان شاء الله ، فقد نزلت اغيار وأكدار ، نسأل الله ان يكفر بها الاوزار ، وسنوعب لك ذلك ، فلو لا ذلك لقدمت في الاربعاء الذي ذكرت ، ولا يكون الا خير ان شاء الله ، والسلام ، اخوكم البشير الناصري .

هذه مخاطبات الهنا بها ، وربما يفهم منها القاري ، اللبيب ما لا يفهمه مما ترجمنا به صاحبنا ، ونود لو وجدنا مثل هذا من كل ما يتعلق بمن ترجمهم فان لا يخل بايراد كل ما نرى فيه فائدة ، ولكن كيف يتيسر لنا من امثال هذه المخاطبات ما نتوقف عليه ؟ وهي عنداهل هذه الجهة من سقط المتاع ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، فكم رسائل مثل هذه المذكورة ، اوقد بها طالب في المدرسة فكم مجمره ، لاغلا المقراج او لظهو طعامه الذي يظوه بنفسه ، فضاع ماضاع والى الله المشتكى .

هذا هو سيدي البشير بن ابي بكر ، وهذه منزلته في عصره ، وهي منزلة لو دام لها ، لكان اليوم من الاقذاذ ، ولكن سرعان ما انتفى كما ينتفى الاخيار ، فرحمه الله رحمة واسعة .

ولنختم الترجمة بمجاجة بين المترجم وشيخه سيدي الطاهر ، وقد كتب على القطعة الاولى التي للمترجم سيدي محمد بن الطاهر مانصه :
القطعة (البالغة) (١) من خطاب الفقيه السيد البشير بن بوبكر المجاطي الاغوديدي الى شيخنا وسيدنا الوالد رضي الله عنه وعنا به ، وهذه هي القطعة كما هي ، يستدعيه بها ليشرف منزله :

اهدت الى هوادي الليل تبشيرا	وعن سنا أسفرت لطفًا وتيسيرا
اذ انجم قد بدت والسن نطقت	وانعم ذكرت للقلب تذكيرا
فكم اباد ليل قد تبدى (٢) به	بدر به السير تقديما وتأخيرا
واشرقت أرضنا واستبشرت وزهت	ان يسر الله منك العود تيسيرا
لا نرو ان قد زهت اذ عادها سندی	في اليوم مولاي شيخي الطهر تطهيرا
لا اعدم الله لي امثاله ابدا	محيى موتى تحسيرا وتنشيرا
فاعطف فداك ابي عنى وعن خلدی	بزورة نورت قلبي تنويرا
صلى الاله على نور الهدى وتقى	والصحب والآل ما حرر تحريرا
الجواب :	

لياك لييك يا من كنت مسرورا	بقرب منزله المعمور تنويرا
وهو ننى فاستطار القلب من فرح	اليك اذ كنت بالافصال مشهورا
لكن عدانى شغل قد علمت به	فاعذر اخاك تكن ما دمت مشكورا
ثم السلام على عليك ما صدحت	ورق فهاجت جوى في القلب مستورا

* * *

هؤلاء الثلاثة من تيسروا من الاغوديديين ، وهم من وجدنا فيهم شرطنا الذي نسبناه ، ثم انقضى منهم العلم ، فلا علم منهم عالما او متعلما في المدارس اليوم . ولتبعهم بمن كانوا على شرطنا من التيفشيتيين .

(١) هذه الكلمة من سيدي محمد بن الطاهر مقصودة حين وضعها موضع (البليغة)
(٢) كذا في الاصل .

سيدي علي التيفغشيتي

نحو ١٢٩٨ هـ = نحو ١٣٤٧ هـ

نسبه :

علي بن الحاج أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله ابن محمد بن عبد الكبير ، وينتهي النسب الى الحاج بلقاسم بن محمد بن محمد - فتحا - بن عيسى بن عمر ، بن أبي بكر بن سعيد بن محمد بن عبد الله ابن يوسف بن صالح ، بن طلحة ، بن أبي جمعة بن علي بن عيسى بن الفضيل ، ابن عبد الله بن كندور بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد ابن حسان ، بن اسماعيل بن جعفر بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

هذا النسب الشريف ، وقفنا عليه في مشجر نسب عند أهل هذه الأسرة المباركة ، ولم تقع عليه عند غيرها الى الآن .

كان من بين مساكن اولاد سيدي الحاج بلقاسم (أنكيضا) وفي قرية هناك تسمى (أمي نيكار) انتقل اليها جدود لهؤلاء التيفغشيتيين ، بل هناك من يحمل أيضا اسم التيفغشيتيين ، وأول من انتقل : محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الكبير ، من الاصل الاصيل في (أمان أوسدرم) الى (أنكيضا) ، فكان له هناك من الاولاد اربعة : علي ، وأحمد ، وعبد الله ، ومحمد وهذا الاخير هو الذي انتقل الى مساكن أيت (تيفغشيت) الآن ، وكان هذا المكان عزبا لهم ، فانحاش اليه هذا قاطنا ومجموع التيفغشيتيين يسمون (أيت بوشاطر) وهم اليوم على ثلاث فرق : أيت أحمد ، وأيت حمو ، وأيت موح ، ومن أيت أحمد صاحب الترجمة ، وهذه السلسلة التي ذكرناها لم تصل الى الجد الاعلى سيدي الحاج بلقاسم ، لان من أملاها على لم يعرف ما بين عبد الكبير ، وبين الشيخ سيدي الحاج بلقاسم ، والحاج أحمد والد صاحب الترجمة ، من افذاذ اتباع الشيخ الالفي القدام ، وممن تلقن منه من أول يوم ، ثم حج معه سنة ١٣٠٥ هـ ثم لازم الزاوية ، وقلما ينفصل عنها الا لقضاء ضروريات أسرته ، وهو أيضا جد الاستاذ سيدي بلقاسم بن محمد السليمانى من جهة أمه ، ووفاة الحاج أحمد في سنة ١٣١٢ هـ وبسببه اعتنق كثيرون من أهله الطريقة الالفية ، وقد خلف أربعة اولاد : الفقير سعيد بن أحمد المتوفى سنة ١٣٥٣ هـ وكان أيضا صوفيا كبير المقام متجردا في صورة متسبب ، ذا أحوال ، وقد ترجم في كتاب (منية المتطلعين الى من في الزاوية الالفية من المنقطعين) والفقير محمد بن أحمد المتوفى

في (البيضة) سنة ١٣٢٨ هـ وكان أيضا حسن التصوف ، وقد تزوج بنت عمه لنا تسمى : ماماس بنت بلقاسم ، فولد معها اولادا موجودين اليوم ، اكبرهم عبد الله ، رئيس اخوانه رسميا ، وهو الذي افادنى عن أهله كل ما رايت ، وإبراهيم بن الحاج أحمد ، مات عزبا ، وصاحب الترجمة ، ومنهم سيدي علي التيفغشيتي الفقير الكبير المتجرد ، ماشاء الله ، وكان من الافذاذ في التصوف وماماس هذه تعيش كثيرا في (الخ) وهي سيدة فاضلة هرمت الآن ١٣٨٠ هـ وكثيرا ما تخدم على وجه الله لحسن نيتها .

التحق المترجم سيدي علي بالمدرسة الالفية ، بعد أن جود القرعان ، فإلم بما يروى فيها بين يديه نحوا وفقها وما اليهما ، وكان وسط التحصيل ، فليس بذلك المتفوق ، ولا بذلك البليد الخاوى الوفاض ، بل ترقى حتى وجد من العلم ما رأى له بركة ، ولكنه بعد أن فارق المدرسة ، لم يتعهد كل ما أخذه ، فإلزم المقياس عما كان عليه ، وإن كان لا يزال حسنا ، ويجول في النوازل ، وربما كان مع سيدي أحمد ابى الفدام المتقدم بين الالفين ، يتعاونان تعاون سعيين ، وإن كان المترجم أصفى منه جوهرًا ، وأعلى منه فهما - فيما سمعت - وقد كان يشارط في (امتضى) سنوات ، وفي (ادبودقل) وفي (اغوديد) وفي (أيت حمو) بنجارمونت ، وفي قرية (تيفغشيت) ثم طاف به أمل التكسب بالجارة ، فاقبل وادبر ، ورافق القوافل ، وكان ناصحوه يردونه الى المشاركة التي يليق به ، ولكنه يلج ، فيأبى الا الدوام على ذلك الحال ، حتى خانته الدهر . فوالت عليه الخسارات ، ثم لما دهمت سنة ١٣٤٦ هـ جلا باهله الى قبيلة (السيمة) في قرية أيت واكماز ، ثم سقط مريضا حتى أتى على غالب ما عنده ، فلما أبل ذهب مع ولد له يافع ، فالتهمته الحواضر وما وراءها ، فلم يظهر له بعد الر ، الا أن ذلك الصبي ، تحدث من صادفه راعيا في تلك الجهات ، فأخبره بأن والده مات أثر سفره .

هكذا قضى الحياة ، وذهب من غير أثر ، الا بين النوازل التي فضها ، وإن هو العالم الاول من التيفغشيتيين والآخر ، وأنا لم أعرفه ، وإنما حكى لي عن مكانته الاستاذ سيدي بلقاسم السليمانى ، رحم الله الجميع

الفصل الثاني

في القاطنين ولو مؤقتاً في قرية (دوكادير) من الغرباء

وفيه من المترجمين :

الصالح سيدي احمد الفقير الساموكني الاصل

الموثق سيدي محمد بن ابراهيم السلامي

سيدي محمد الاختصاصي الطويلب

الاستاذ سيديا الصخراوي

الاديب محمد بابو الصخراوي

الشاعر محمد سالم الصخراوي

الطالبة رقية بنت محمد بن العربي الادوذية

السيدة مريم الصخراوية



الرجل الصالح

سيدي احمد الفقير ابو الاخبار

الساموكني ثم الدوكاديري

نحو : ٩٥٠ هـ = نحو : ١٠٥٥ هـ

في صغري كنت اري رجلا اشيب ، يقزل (١) باحدى رجليه ، ويتكى على عصا لا تفارق يده ، وهو جلس زاوية الشيخ الوالد ، والواقف على شؤون الحرث والحصاد ، والقيم على اصلاح الدلاء والوطاب ، وما الى ذلك دائما ، ولما لم الصلوات الخمس في الصف الاول وراء الشيخ ، ولا يمكن ان يتخلف عن الصبح في صياحة الشتاء ، والايحال الى الركب ، وهذه التلعة بين زاوية الزاوية تتدفق ماء ولا يمنعه كبره ولا قزله عن ذلك ، وعن الدوران مع الخراف والحصادين على حقول الزاوية التي لا يعرفها اذذاك غيره ، ويقول فيه الشيخ : انه رسوم الزاوية .

كان سيدي احمد بن باها الفقير - وهو اسم هذا السيد - لم يرزق هو ولا زوجته اولادا ، الا بنتا واحدة ، تزوجها العم بلقاسم ، فبقيا منفردين . ثم اصلا معا بالشيخ . فكانا كفرسي رهان في العبادة ، وفي اقامة شعائر الدين وفي خدمة الزاوية ، وكانت قرينته هذه تسمى - لقباً - تبلا او غليت - وكانت في المحافظة على صلاة الجماعة ، وفي الزهد وفي الاخلاق ، وكانت عاقلة تعرف ما تقول وهي التي تنقل عن الشيخ كلاما كثيرا ، وتذكر ان الشيخ دخل بها مرة وهي مع نسوة يذكرن مؤذنا صوابيا ، مات وشيكا في الزاوية ، وكان من اهدى الفقراء واصبرهم ، فصرن يقلن هنيئا له الجنة بما عمل ، قالت : نعم انما الشيخ وقال : لا تتجران فتدخلن بين الله وبين عبيده ، فانه لا يطلع من بين الله وبين عبيده سواء ، ولكن ادعون له واطلبن من الله ان يغفر له

قالت : ذكرتني هذه القصة : قضية ام عطية فيما قالت في ابن مظعون وما اجاب به النبي صلى الله عليه وسلم . وهذا هو مشرب الشيخ المشهور عنه في امثال هذه المواقف

(١) يقزل : يمشي مشية الاعرج ، والقزل محركا : اقبح العرج

كنت اعرف ذلك السيد وأنا صغير ، ثم اتصلت بالمدارس ، فكنت اجدته على حالته متى رجعت ، حتى توفي سنة ١٣٣٥هـ فكان دائما هو وقرينته التي التحقت به وفاة نصب عيني ، وما كنت اعرف من هو ، وربما كنت احسبه من مرابطينا ، ولكنني بعد ان انفتحت عيناى ، وارهفت اذناى ، علمت انه من أسرة أخرى تسمى (آل الفقير) تتسبب لسيدي احمد الفقير جدها الاعلى وانه مدفون فى المقبرة الدوكاديرية القديمة ، وعليه بيت ، وازاءه حفيده المذكور ، وانه كان رجلا صالحا ، سكن فى (الخ) قبل ان ينتشر فيه مرابطونا .

اذن ، كان هنا سيد آخر صالح يسمى احمد مثل اسم جدنا سيدي احمد ابن عبد الله ، فلنفتش اذن عن ترجمته ، لتدرك ما يمكن ان يدرك عن امثاله البعيدين القدماء ، فان لم تدرك الحقيقة كما هي ، فاننا نقاربها على كل حال .

جعلت أسأل من هنا وهناك ، ثم اخبرت ان احمد بن محمد بن حمو بن عبد الله ، الملقب بابن المؤذن ، من اولاده أيضا ، وانه ابن عم الفقير احمد بن باها المتقدم ، وكنت أيضا اعرفه ، لانه يتصل أيضا بالزاوية فى صغرنا ، يصلح المحارث لانه نجار . فكان هذا والفقير بلقاسم السوقي الاغرابوي الوفقاوي المتوفى نحو : ١٣٤٥هـ - يقومان دائما بهذه الحرفة للزاوية ، والثاني من اخلص اصحاب الوالد ، فان عرض له عذر ، جاء احمد بن محمد المذكور فاتصلت به أسأله ، فافضى الى بما ياتى عن جده ، ثم اتانى بسلة رسوم قديمة لهم ، فاستطعت ان استخرج بين كلامه وبين الرسوم ما تذكره .

هو احمد بن محمد ، ويكنى بابي الاخبار - كما تذكره الرسوم - وله ولد واحد يسمى يحيى ، ثم خلف يحيى ثلاثة : عبد الله وبلقاسم وابراهيم ، ثم اعقب بلقاسم ولدا واحدا ، يسمى محمدا ، - فتحا - واعقب ابراهيم بن يحيى ابن احمد بن محمد ثلاثة : سعيدا ومحمدا ومحمدا - فتحا - وهؤلاء الاحفاد عاشوا كلهم فى اواخر القرن الثانى عشر ، وربما عاشوا الى اول الماضى ، كما فى استمرار من رسم رأيت هناك ، ثم اخبرنى ابن المؤذن المذكور ان جده حمو مات سنة : ١٢٩٥هـ فى (تامانارت) واعقب اربعة هلكوا كلهم فى الخ بعد دفنهم والدهم هناك ، بوباء سنة : ١٢٩٦هـ وان اخا جده المسمى باها (ابراهيم) وهو والد الفقير احمد المتقدم الذكر مات سنة : ١٣٠٩هـ وذكر ايضا ان والد جده عبد الله ، هو ابن بنت سيدي محمد بن سليمان ، وانه سبط الفقيه سيدي سليمان ، هذا ما افضى به الى ، ثم قال لم يبق اليوم من ابناء جدنا الاعلى الاانا وحدى فعرفت ، ان اولئك الذين ذكرناهم فى اوائل القرن الماضى ربما هلكوا جميعا فى وباء : ١٢١٤هـ كما هلك احفادهم بالوباء كما ترى سنة ١٢٩٦هـ

شاع عند الناس وايده الواقع ان ابناء سيدي احمد الفقير صاحب الترجمة كلما وصلوا ستة (كوايين) ينفرسون الى ان يتراجعوا الى كانون واحد

والكانون : العائلة - هذه عبارتهم فى ذلك ، وهامهم اولاء اليوم بعدما تفرعوا رجعوا الى عائلة واحدة ولم يبق منهم اليوم الا ابن المؤذن المذكور مع حفيد له . الحق اليوم بالعمل فى فرنسا ، وابن المؤذن اليوم شيخ هرم ، مبتلى اولابكسر فى الواقعة الجزائرية سنة : ١٣٣٥هـ ثم بأمراض ، وهامو ذا اليوم يزجى هره (ثم لم ينسب ان مات نحو : ١٣٥٨هـ)

ثم ان اصل هذا السيد من وادى (ساموكن) حدثنى حفيده المذكور وقد سألته عما اخذه عن ابيه عن جدهم : ان سبب انتقال جدهم من (ساموكن) انه شاع فى ذلك الوادى وباء ، فالتجأ أهله الى الشيخ سيدي محمد بن ابراهيم السامانارنى ، المتوفى فى ذى الحجة ، سنة : ٩٧١هـ فأتوا به الى بلدهم ، ثم عدلوه ان صاحب الترجمة منعزل فى غار للتحنن ، فأرسل اليه ، فأبى أن ياتيه ناديا ، حتى ألج عليه ، وأنه لابد ان يات ، فجاءه . فامرته أن يطلب الله أن يرسل ما فى ذلك الوادى ، فذهب فنادى فوق سطح المسجد على سكان الجن أن يرحلوا بأولادهم ، فزعم الرواة أنهم رأوا زعازع واعاصير تدور وتخرج من الوادى ، ثم سمع الناس مناداة من الجن ، ينادون أيضا بدورهم على سيدي احمد الفقير ان يرحل أيضا عن ذلك الوادى ، والا فلا يلومن الا نفسه . وكان الله سببا لانتقاله ، فوصل (تاكازا) فتلقيه بالترحيب ، فانزلوه بين ظهرانيهم فاشاء الله ، ولكن بعد حين رأى من بعض سفهائهم ما لا يعجبه ، وصار يتردد الى قرية (دوكادير) عند الحرييليين ، حتى انتقل الى قريتهم ، وقد بنوا له دارا لاتزال موجودة الى الآن ، وذكر لى انها مسقفة بعود (ايقى) الذى يذكر انه من اكرم الاشجار اذذاك فى (الخ) فنقل أهله وأمواله الى داره الجديدة ، فزعم الرواة انه وقعت بسببه منازعة أفضت الى محاربة بين الحرييليين الدوكاديريين والساكانزيين

ثم ان السيد تائل املاك فى مسكنه الجديد ، وفى (تاكازا) وفى (تاجارمونت) وذكر ان داره بتاجارمونت ، لاتزال الى الآن ، والاملاك هناك من هولة ، ثم ذكر الحكاية التى تقدمت لنا فى ترجمة سيدي احمد بن عبد الله ابن سعيد ، حين صادف موته ، وقد بشر بنزوله بعده فى القرية ، ثم قال ان اولاده التقلوا بعده الى (تاكازا) ولم يرجعوا الى قرية (دوكادير) الا فى القرن الماضى ، قلت قد وقفت بين تلك الرسوم على مصداق ما قال من انهم (راجعوا) (تاكازا) فهناك رسوم حقول هناك ، وما يتعلق بذلك فى قرية (سليمت) وقد وقفت بين تلك الرسوم على هذه الرسالة التى كتبها رئيس (ساموكن) فى ذلك العصر الى سيدي على بن احمد المتقدم فى شان ولد صاحب الترجمة :

(عل المجد الرفيع والبركة المرفوعة على المسلمين ، شيخنا وبركتنا سيدي على ابن سيدي احمد ابن سيدي عبد الله بن سعيد ، اسعد الله بنا وبكم ببركتكم سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركته .

الموثق سيدى محمد السلامى

بعد : ١١٨٠ هـ = بعد : ١٢٦٨ هـ

نسبه :

محمد بن ابراهيم بن مبارك

فى ترجمة سيدى ابراهيم بن سليمان بن مرابطينا ، تقرا انه كان دائما بصاحب سيدى محمدا السلامى هذا ، واصله من قرية (تلات ييسى) وهناك والده واجداده ، ومنها تربى وتعلم ، ولم نقف على كيفية تعلمه ولا على مشيخته وله حظ من العلوم ، قال العم ابراهيم : ربما كان الفضل من حظ صاحبه ابراهيم بن سليمان ، وله فى الفقهيات والنوازل يد جواله ، ومهارته فى التوثيق اعل من ذلك ، هذا ما حدثنى به العم ، واهل مكة ادرى بشعابها .

كان سكن أولا فى قريته ، ثم انتقل بعد : ١٢٣٠ هـ - كما يظن - الى (الخ) فتزوج امرأة اخرى ، فسكن فى دار بقرية (دوكادير) لاتزال معروفة الى الآن بدار السلامى ، ولها برج عادى ، وكان ربما شارط فى مسجد (تاكازرا) وفى مسجد القرية السليمانية احيانا ، والرسوم التى يكتبها سيدى ابراهيم ابن سليمان يعطف عليه فيها او يعطف عليه سيدى صالح بن عبد الله المتقدم الترجمة ، وتوجد رسوم كثيرة كتبها بيده ، وثلاثهم هم الموثقون فى (الخ) اذذاك ، وكتبه الرسوم وما اليها من اول القرن الماضى الى ما وراء الستين منه ، ولما يكتب غيرهم الا بعض اساتذة المساجد ، فانهم يكتبون ايضا معهم ، وخطه مائل الى الجودة فى الجملة ، قال العم وتاريخ الرسوم التى حررت بيده ، تمتد من سنة ١٢٣٠ هـ الى ما بعد : ١٢٦٠ هـ أقول قد رايت له رسما مؤرخا بسنة ١٢٦٨ هـ ، ولذلك جعلت وفاته بعد هذه السنة ، ويظن العم انه توفى نحو ١٢٧٠ هـ وقال ايضا : انه شاخ جدا حين مات ، ولذلك جعلنا ولادته نحو سنة ١١٨٠ هـ فيكون ابن اكثر من (٩٠) سنة وهذا ما يقدره له العم ، وربما قال : انه ناهز المائة ، والله اعلم ، وقد ادركه اجله فى داره هنا ، فدفن فى مدافن القرية ، رحمه الله ، ولم يترك مع هذه الزوجة عقبيا يذكر ، بخلاف التى هناك فى (ايسى) فان له معها عقبيا - كما احسب ان العم ذكره لى - فهذا ما يمكن لنا عنه ، فرحمه الله رحمة واسعة

وبعد : تعلم علم الخير منا بان الفقير ، يحيى بن احمد الساموكنى ، نحن رضىنا به فيما حصل فى غرضكم ورغبكم ، سمحنا له على وجه الله - وحققم علينا اعظم - فيما نابه من المطالب المخزنية ، مما لزمه فيه بين اخوانه - ال (ساموكن) فانى سمحت لك فيه سمحة خالصة فى حق الله وحق نبيه والسلام فانى طلبت منك سيدى الدعاء لله فى وقت الاستجابة ، ليسترنا الله ويسلمنا من فتن الدنيا والاخرى ، ويجعلنا فى حرمة العالمين ، والسلام ، الشيخ عبد الرحمن بن عمر الساموكنى ، (وفى طرة الرسالة) وكاتبه عبد ربه الراجى بركتكم : اخوكم فى الله : احمد بن محمد بن عبد الله بن ناصر الساموكنى وفقه الله للخير (امين) .

من هذه الرسالة ترى انه ليس لسيدى يحيى ابن صاحب الترجمة ، ولا لوالده ما كان للمرابطين السعديين اذذاك ، حتى ان يحيى استظل كما ترى بظل جاره ، وحرمة حقيقة لم تتجاوز (تاكازرا) وقد رايت بين تلك الرسوم صدقات عليه وعلى احفاده من التاكازريين ، وهذا هو الحامل لهم حتى راجعوا (تاكازرا) حيث يجدون ما لا يجدون عند الدوكاديريين .

وتلك الحكاية التى يذكرها الرواة فى سبب النقلة لصاحب الترجمة ممكنة من جهة التاريخ ، لان محمد بن ابراهيم التامانارتى يمكن ان يعاصره سيدى احمد الفقير فى اول امره ، ثم يطول عمره الى ما بعد : ١٠٥٠ هـ ان كان معمرا ، ومثل ذلك يقع ، ولكن ما تخلل الحكاية من الاعاصير المعينة نهارا ومناداة العجن والناس كلهم يسمعون ، فمما نتوقف زاه ، لاستبعادا لوقوع مثل ذلك فى قدرة الله ، ولكننا اعتدنا فى كتابنا هذا : ان لا نقبل ما يخرج عن سنن الكون حتى يثبت بما ثبت به المعلومات ، ولو ظنا - وانظن فى بعض الامور يقضى - لان الله اعطانا عقلا نزن به ، ولا نقبل ما يخرج عن طوره الا بكونه ثابتا ، فنقول اذن : ائمنا بان قدرة الله تاتى بمثل هذا واكثر ، ثم نقول فيما نشك فيه ، كهذه الواقعة التى لها بعض التواتر (الله اعلم)

هذا ما توصلنا به من ترجمة هذا السيد الذى له مزاراة الى يومنا هذا مشهورة ، والفضل كل الفضل لتلك الرسوم التى استطعنا بها ان نراى بعض ماله ، ولو كان كل الذين نتوقف على ذكرهم يمدنا احفادهم بمثل ما امدنا به هذا الحفيد ، لامكن لنا ان ندرك بعض شىء ، كما ادركنا اليوم حول مترجمنا هذا بعض شىء ، ولكن كثيرا من الناس يجهلون ما نريد ، او يستنكفون ان ياتى اجنبى فيدرك عن آباؤهم ما هم يجهلونه وان انس لا انس ما قال لى يوما بعض من يحمل اسم الطلب ، بل له حظ غير قليل من العلم : ان هذا كله فى متناول يدى ، ولكن ما هى فائدته لو عرفناه ، فهل يعيشنا ذلك او يغدينا ، فلم يسعنى الا ان الوى راسى تحت طى جناحى ، فاطرقت وقلت ، ارايت ايها المختار ما فعل بك الدهر حتى القاك بين من لا يهتمه الا بطئه ؟ وما تبجر به حقييته ، ويزاد به دائق الى ما فى جيبه ، فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون ايها الجاهلون

سيدى محمد الاخصاصى

نحو: ١٢٨٥ هـ = ١٠-١٢-١٣٤٨ هـ

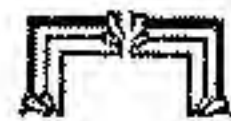
نسبه:

محمد بن ابراهيم

أصله من قبيلة الاخصاص ، اتصل بالاستاذ سيدى محمد بن عبد الله ، فلازمه فى دراسته ، وفى خدمته حتى مات ولازم المدرسة دائما بعده ، وكان ممن له تحصيل لا بأس به ، خصوصا فى المحفوظات الادبية ، وكان يستحضر كثيرا من المقامات الحريرية ، ويستشهد بها فى كل مناسبة ، وبادبيات اخرى أوكا عليها ذاكرته ، وقد كنت احسبه ناقصا جدا حتى ذكره لى العم ابراهيم ، ثم الاستاذ سيدى الطاهر بن على ، فقالا انه متوسط ، كفلان ، وفلان . بل هو من جهة العربية احسن من فلان الذى اشتهر عند الناس بالنجابة ، قالا وانما همته هى التى أسفت به ، فلا مطمع له لافى علم ، ولا فى كسب دنيا ، واخبرت انه كان مع الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله فى سفرته الاخيرة الى مراکش ، وانه ممن أرمسوه ، وقد كان الرجل الصالح سيدى الحاج عبلا بن صالح دعا له مرة دعوة ، كان يرجو أن تخرج له فى ان لا يعدم الشراب والطعام اللذيين ، حتى يلتحق بربه ، فكان عمره طاعما كاسيا كذلك الى ان مات ، وكان مع ملازمته للمدرسة فى بيت له معلوم دائما له الى الآن ، يلزم دار الكريم سيدى احمد ابن الحاج عبلا بن صالح ، ويقوم له على صينيته ، ثم يروح الى المدرسة ، وكان يتعاطى بيع السكر ، وما عقلته انا الا على تلك الحالة ، ولم يفارق قط الكاس (كاس الاناي) ولا الطاجن المزعر الذى يفوح بالتوابل الطيبة حتى انقضى أجله ، وكان فيه شبه عزلة عن الناس ، حتى فى حين الموت لم يحضره أحد ، بل مات فى بيته مع عدم الشعور بذلك ، حتى تفقد بعد حين ، فوجد كذلك ، وربما حكى لى حاك أن الداخلين وجدوا الطاجن منصوبا ، ولا أدري اذلك صحيح ، ام انما ذلك تفكهة ، ولم يتزوج قط ، ولا سما له نظر الى اتزار بمجد ، أو الى ارتداء بشفوف ، وكل من ذاق تلك المعيشة الحلوة الطيبة اللذيذة فى المدرسة ، وهو مستقل كل الاستقلال ، فانه يزفر عليها ، ويغبط مثل هذا السيد الذى لازمها طول حياته ، نظير سيدى عبد القادر الوادونى فى بونعمان ، وبعض الالفين فى ذلك :

سقى الله ذالا الطور سحبا هواميا
لروح ونقدو والزمان كأنما
لأمل ما يقصو فيمثل بيننا
بقرب ما تشهى الينا ونقتدى
فان نئس لا نئس المدارس انها
عليها سلام من بئس اذا جرت ،
وما انا من ان يجمع الله شملنا
(وقد يجمع الله الشيتين بعدما

فياطالما أضفت علينا الامانيا
نجيل على فوديه عضبا يمانيا
كعبد فيدنى من يدينا القواصيا
ملوكا على كل الانام اعاليا
وازمناها كالفانيات حواليا
احاديثها أجرى الدموع طواميا
بها وباهليها بمنى رجائيا
يظنان كل الفن ان لا تلاقيا



الشيخ سيديا الصحراوي

نحو: ١٢٩٥ هـ = نحو ١٣٧٣ هـ

نسبه :

الشيخ سيديا ابن الشيخ احمدو ، بن سليمان ، من بني ديمان الذين ينسبون الى السلالة البكرية التيمية ، وجميع العرب الداخلين الى الصحراء يحافظون على انسابهم محافظة تامة حتى لا يخفى دخیل في نسب من الانساب وبني ديمان ، من القبائل الصحراوية التي انتشر فيها العلم ، وتسلسل فيهم احفاداً عن اجداد ، ولذلك كان اجداد المترجم واباؤه كلهم وكل حواشيهم علماء ولم يتيسر لنا الآن ما نذكرهم به

منشأه و متعلبه

أخذ في الصحراء ، حيث نشأ بين أهله عن أخيه الشيخ محمد ، وهو عمدته كما أخذ أيضا عن الشيخ يحظيه ، ثم وفد على الشيخ ماء العينين ، في الصحارة هو وأهله ، فارين من جيوش الاحتلال ، التي هاجمتهم سنة ١٣٢٥ هـ في عقر ديارهم - وديارهم في المحل الذي يسمى (القبلة) وهكذا تسمى هاجروا الى الشيخ ماء العينين المعروف بمناوآته للاحتلال ، ثم أخذ أيضا عنه علوما منها علم الاصول ، ثم هاجر معه الى (تيزيت) فلم يزل يأخذ عنه الى ان توفي الشيخ في تيزيت .

أحواله

رايت المترجم فائض الايمان ، ناهض العزيمة ، عيوبا لا يستخذي لمذلة ولا يرضى بالهون ، فقد هاجر هو وأهله كلهم في سبيل الله ، فصاحبوا ماء العينين ، ثم لما بويح الهبة صاحبه الى (الحمراء) ثم الى (ردانة) ثم في تنقلاته الى ان استقر في (كردوس) ثم اوى الى الشيخ النعمة في (ايت رخا) ثم الى الغ عند الاستاذ ابي الحسن سنوات قليلة ، ثم الى (تالعينت) عند القائد عبياد الجراي ، وربما صاد يتنقل هنا وهناك ، فقد استحضرت أنه زار يوما مدرسة (نانكوت) وحضر درس شيخنا سيدي محمد بن الطاهر في الاستعارات ، فكان ربما يتجاذب هو وشيخنا بعض بحوث تتعلق ببعض ما اعتاص من مسائل الدرس ، ثم لم يزل يتقلب في سوس ، الى أن تم احتلاله مختتم : ١٣٥٢ هـ فورد

عليه أهله يتطلعون منه الرجوع ، فيعتدرون لهم بديون عليه ، فاتوا بما يؤديها به فالحمد فتصدق به فلم يمكن له الا اسعافهم ، فرجع فبقي هناك تصل أخباره ، الى ان قيل انه توفي ، والرجل من رجالات العلوم ، فانه علامة جليل محصل ، اديب مشارك في المعقول والمنقول ، وله ادبيات وقصائد قالها في بعض الملوك العلويين ، وفي الشيخ ماء العينين .

بينه وبين الالغين

كان يوما جالسا في حضرة استاذ الغ ، فجرى بحث في كلمة لغوية - لم يستحضرها الحاكي - فقال أبو الحسن بن عبد الله أيفتي ومالك بالمدينة ايمكن لاحد أن يقول : وهنا الشيخ سيديا الذي اليه الاعنة ؟ فكل الصيد في جوف الغرا ، فقال سيديا منشدا بيت البردة :

استغفر الله من قول بلا عمل لقد نسبت به نسلا لذي عقم
الصح ناء الخطاب ، يقصد بالخطاب الاستاذ أبا الحسن ، وجرى يوما آخر بحث في لفظة (الغ) هل تصرف او تمنع من الصرف ، فأتى سيديا بسبيت السوي في الفريدة :

وان البلاد والقبيل والكلم على الذي تقصده كما رسم
ومقصوده ان لك صرفه وعدم صرفه ، وهكذا يكون علمه معه رحمه الله من شعره يخاطب الشيخ النعمة من قصيدة :

بنفس بياضا نمقته باحرف يد صاغها الرحمن للبذل واللثم
فما البحر يحكيها وان عم نفعه ولا السيف يحكيها لدى الحرب والسلم
ومنه يخاطب بعض الالغين - ولعله الاستاذ أبو الحسن ابن عبد الله -

للك المجد في هذه البسيطة ثابتا ثبوت الرواسي حول الغ الشوامخ
فقد فقت كل النشء وقت شبيبة كما فقت في الاسنان كل المشايخ
وقال يهنئ العلامة سيدي علي بن عبد الله يوم تزوج بنته العلامة سيدي محمد بن الطاهر الافرائي :

شمس النساء دركت بدرالرجال وقد نالا بما اجتمعا عزا ومفتخرا
وليس هداينا في قول خالقنا (والشمس لا ينبغي ان تترك القمر)
والشمس بنت فقيه العصر سيدنا (على) من بالمعالى كلها اشتهرا
سليل عبد الاله القرع وارثه في كل فخر ومن للدين قد نصرا
ولا يناظره في مجده احد ولوعلا النيرين الشمس والقمر (١)

(١) تكرر القمر مرتين

محمد بابا الصحر اوي

نحو: ١٢٩٠ هـ = ١٣٤٢ هـ

هذا هو الاديب الكبير المشهور في الغ، حيث استقر سنين عديدة حتى صار كاحدهم، ومن كان في مثل اخلاقه، فسرعان ما يالف ويولف

نشأته وأحواله

كتب الى الشيخ محمد الامام، وقد سألته عنه مايلي: (قبيلة محمد باب، سمي (اجاكوجا) من قبائل الزوايا الشنكية، واهلها مشهورون بجودة الخط، فكان له الخط الاوفر من ذلك، فاتخذ الشيخ ماء العينين ناسخا له، وهو من المهرة في القرآن العظيم، حفظا ورسمًا وحسن اداء، ولذلك اسند اليه الوالد تعليمنا في القرآن، اول ماورد عليه نحو: ١٣٢٣ هـ فكان استاذ طبقتنا، وهو فوق ذلك شاعر مفلح، حسن الاخلاق، رقيق العاطفة، اليد المفاكهة، عزوف عن سفاسف الامور، مهذب الطباع، يتوقد في كرس حياته على علم يفيد أو يستفيد، مع انقباض عن سوى ذلك، ويغلب عليه حال التصوف بمعناه الحقيقي علما وعملا، وفي اخريات حياته لا يطلب له المقام في كثير من الاوقات الا في (الغ) لما رأى في اهله من الدين والفضل، ولهم به حفاوة واعجاب كبير)

هكذا ترجمه تلميذه محمد الامام، ونزيد نحن انه كان له شرح حسن على اعمدة العرب، رأيت به خطه الانيق كماله مؤلف آخر في الاصول - سمعت به - انه لوادر منها انه رأى انسانا أراد أن يفتح بيتا في دار الاستاذ سيدي علي ابن عبد الله، نام فيه الفقيه (اكيك) الصعب الاخلاق، فقال له بملاطفة ورقة صوت، ويشير بسبابته الى البيت (الفتنة نائمة لعن الله موقظها) فكانت احدى النوادر الغريبة منه، وقد كان أحمد بن الحاج ابراهيم الايفشاني محب العلماء يحرص على ان لا يزول عنه المترجم، فيلازمه اخيرا اكثر من دار الاستاذ ابن عبد الله، وله هناك محل اغلق عليه، وحين توفي في (كردوس) جاء اهله، وقد ظنوا ان هناك مكتوزا، فاذا به صفر وزوجته هي أخت محمد سالم الشاعر المذكور قريبا، لانه تزوج بنت ابن عبد العزيز، كما كنت كتبت في حديث اخذته عن العم ابراهيم، وقد كان يصحب الشيخ ماء العينين، ويأخذ عنه بعدما اخذ من اهل بلده، وهو الذي يقرأ الحزب الراتب بين يديه، ثم صاحب

والبدر نجل اديب العصر شاعره السيد الطاهر البكري قدوتنا ومن اذا قيلت العوداء او نظرت فبالرفاء رب والابنا وصل على من فاق في العلم والاداب من حضرا مجي رفات العلامن صيته انتشرا يغض جارحتيه السمع والبصرا خير البرايا عديم الشكل والنظرا

كان المترجم عاتب الاديب سيدي الطاهر الافراني في تركه للتشبيب في قصائده، فاجابه بقوله:

ان النسيب تركته متخلصا لكن ارى المدح الاهم وانما ايلام صب شفه فرط النوى ذا مذهب ولاخرين خلافه هذا اعتذار للاديب السيد المـ للمدح لا عيا ولا تقصيرا كان النسيب الى المديح سفيرا فنفى الرسول واعمل التسييرا ولكلها حجج فصل بي خيرا بكري وارجو ان يكون عذيرا



الهيئة بعد ما بويج في كل لثقلاته الى (كردوس) وقد كان القى عنه اخلاق
الصعراوين كلها وزيهم ، وتلبس باخلاق من يعاشرهم ويزيهم ، فحبيه ذلك
الى القلوب ، والمناسبة شرط الصحة .

آثاره

كان للمترجم ذكاء نافذ ، وقريحة أدبية علمية ، فكان يشارك في كل ما
يعن في المجالس الالغية من البحوث ، فكان مما يشارك فيه ارسال القوافي ،
فهذا الاديب سيدى محمد بن الطاهر وقد على الاستاذ قطب رحي الخ ، على بن
عبد الله بقصيدة طويلة مطلعها :

سرى مطية واقطعى البيداء فعسى يبلغك المسير رجاء
فيحييه الاستاذ باخرى مطلعها
هذى بروق في الحمى تتراى ام ثغر (مهذب) (١) فى البراقع ضاء
فقال المترجم ، وقد هزته الاريحية الادبية :

عهد الصبا ذكرت يا هبة الصبا فلا خرج ان حن ذو الشوق اوصبا
ويانسبات القرب هل من وسيلة الى معهد الاحباب فى زمن الصبا ؟
ويانسمة الاسحار هل لك لمة بقلب مشوق بالغرام تلهبا ؟
ويا سلسبيل الوصل هل لحاشتي شفاء من اشفاء الى القبر قربا ؟
ويا بارق البرق اللوح معارضا شتيت لى المى المؤثر اشنبا
كفاك فقد حركت ما كان ساكنا وحاكيت لكن كان أضوا واعذبا
رعى الله ايام الصبا وصفاءها من اكدار واش او رقيب ترقبا
تقلبت الاحوال من طول عهدها ولا عجب فالدهر ما انفك قلبا
لحى الله دهرا راعنى بفراق من اود وأبلى بالوشاة وعدبا
وصير قلبى لا يفارق محتنى رقيب تبلى او حبيب تقيبا
فيادهر مهلا قد تنسنت نفحة بوفد لها لا بد ان اتاهبا
بوفد حبان ما حبا بقدمه الا مرحبا أهلا وسهلا ومرحبا
صحبت بمعسول الشمال من فتى به خير مصحوب اود ان اصحبا
ترحب به ما شئت ما ان راي امرؤ سنا بدرها الوضاح الا ترجبا
ولا ارتاح مرتاح براح الذ من قوافى فيها قد اجاد واطنبا
فناهيك من شعر بليغ مهذب بديع حوى ما قد حوى والنهى سبى
بسحر ولكن من طلاوة لفظه وخمر ولكن من يعانيه غيبا
مباريه فضلا لا يلاقى سوى الذى على كريم الوجه لقاء مرحبا
ولا لغرو ان البدر من معشر ابست سجاياهم الا الزعامة والابا

(١) مهذب : من أسماء النساء عند العرب .

لهلك يا بدر السيادة ملغى
وقد شرور الحاسدين ودمت فى
بجاء رسول الله افضل خلقه
وبينه وبين الالفين مخاطبات نثرا وشعرا ، منها هذه الرسالة التى
كتبها الى علامة الخ على بن عبد الله :

(حضرة البليغ السميع ، من علا ذوابة المجد واقترع ، امام الادباء
وهادى العلماء ، ورئيس الرؤساء ، سيدى على بن عبد الله الالفى ، سلاما احلى
من تلك الشمال ، واغزر من ذلك النائل ، وتحية تملأ جوكم عطرا ، وتهنى على
جنتكم قطرا

وبعد : فقد حدث حادث ، وهجمت احدى الكوارث ، فتأخرت عن الموعد ،
الى ان يهرع المولد ، ثم افى بقدمى عاجلا ، راكبا وان لم ياتنى منكم مركوب
يايكم راجلا ، وسيدنا الامام يسلم عليكم ، وهو يشفق اليكم ، وطالما افاض
قلوبكم ابها الالفين من دعواته ، لتبقوا دائما مفخرا من مفاخر ندواته ، وقد
الشدنى يوما وقد اعتذرت له عن تخلفى عنه بلزومكم وهو يقصد احوالكم ،
والى يكون الصيف عندكم :

الى الاله الملهب شاتيا غريبا عن الاوطان فى زمن المحل
فما زال بى احسانهم واقتقادهم وبرهم حتى حسبتهم اهلى
والسلام .

وهناك رسائل أخرى اخترت من بينها هذه لتكون نموذجا لترسله ،
والله اعلم السى ينظر بها هو واهله الكردوسيون الى الالفين اذذاك .
ومما كتب به المترجم الى الاستاذ اول رسالة :

الى سلام الى العلامة الحسن سيرا بسيرته المثلى ابي الحسن
وبعد فادع بظهر الغيب نلت رضاالا له لى بالرضا والختم بالحسن
وقد خاطب ايضا الاستاذ ابن عبد الله وقد وقد عليه وقد الايفشائيين :
يا حسن لازلت بدرا سيادته مطالع سعد تستدام سعادته
وتتبع بانواع النعيم ممتعا تحفك فى نادى المفاخر سادته
وتتبع مفيدا مستفيدا مهيدا فوائدا يا من لاتمل افادته
وتتبع فريدا فى الارادات كلها رضا الله فيما حتمته ارادته
وتتبع الرحمن من كل نعمة عوائده الحسنى كما هى عادته
عليك سلام الله ما مسى وافدا بدا الوفاء وفدا ، فى رضاك وفادته
وقال ايضا فى احد اولاد الاستاذ جاءه عن شوق :

هبت صبا والد صبا بها ولده الى اللقا وانتشى من راحها خلده

فاهتز وابتز أبواب الكرى وجرى
ثم امتطى مسرعا مطيه طربا
مسترشدا رشدا من نور حضرة
ادامه الله للانام طود علا
ودام من فيض مولاه فيض جدى
لولا تصاريق اقدار بمقترب

من التشوق ما لم يحتمل جلده
الى زيارة من يرتاح من يجده
اذ لم يزل نورها مسترشدا رشده
وللبلاء كما به اعتلى بلده
ودام يمتد من امداده مدده
عن أهله ما تخطى والده

وورد العلامة سيدى الطاهر الافرانى وسيدى البشير الناصرى الى (كردوس)
فى جمادى الثانية ١٣٤٢ هـ فخطبهما بقوله

اقول وقد قالوا اتى الجلة الفر
أما اعوز ابن الجد جد تلات
وانى لصب بالتلاقى وانما
(أذوب حياء من زيارة صاحب
فاجابه سيدى الطاهر :

وان غاب اذ غبت البشاشة والبشر
اساريرها فيها لنا ظرها سر
لديكم ، فقيرى باعتذاركم غروا
بقاية ما يرجو من الجدة الزور
تزل فى اقتضاهما ابتغى البيض والسمر

عليك سلام الله يا ايها البدر
فلا وجد الا دون طلعتك التى
فمل جفون لاجفان (١) هى النى
فحضرة مولانا الامام كفيلة
فلا زال نصر الله يقدمه ولا

وحين انقطع المترجم الى الرئيس احمد الايفشانى . قال يرحب بالاستاذ
ابن عبد الله . ثم بسيدى سعيد التانى . وقد وفدا الى هذا الرئيس . واليوم
يوم عيد المولد النبوى .

وعلى الصدور سروره ممدود
وبمثلها هذا الزمان وجود
قد طالما اضناه منه صدود
عند الاله صدوره وورود
نعما وعلمنا بحره المورد
بالمشتهى وله الودود ودود
شيخ التانى السعيد سعيد
فيه النبى المصطفى مولود

زار الفقيه وزوره محمود
زار الفقيه زيارة انى بها
قضى بزورته السعيدة مدنا
لازال محمود الوفادة مرتضى
لازال يروى الزائرین معما
لازال ممدود الحياة ممتعا
هذا ولما زار زار باثره الشـ
لاغرو أن اليوم يوم مسرة

(١) تلميح الى ما كتب به صاحب ابن عباد الى العسكرى وقد رحل اليه
ولما أبيتم أن تزوروا وقلتم
أتيناكم من بعد أرض تزوركم
نسالكم هل من قرى لنزيلكم

صل عليه وآله وصحبه والتابعين الهنا المعبود
ما عردت ورقا وما هبت صبا
وللمترجم فى هذا الرئيس أبيات تذكر فى ترجمة الرئيس ان شاء الله
قريبا مطلعها :

(جازى المهيمن مد من الاحسان)

تلك بعض اثار المترجم الالفية ، واحسبه تائر بيستهم ، حتى صار ما
يقوله ، لا يشبه ما يقوله المفوهون من شديق ال كردوس ، كمحمد الامام وابن
العتيق ، وقد سمعت ان عنده اقوالا اخرى ، لكن لم يحضرنى الا ما ذكرته

وفاته وآثاره

ساقته تربته الى مسكن اشياخه بكردوس ، فهناك توفى واقبر سنة :
١٣٤٢ هـ فكتب الاستاذ الالفى هذه القصيدة رائيا ومعزيا فيه للامير مرييه ربه :

عظم الرزء والمصاب بموت الـ
ذهب الحلم والعفاف وحسن الـ
من لجمع شتات علم ومن للـ
من يجيد تجويد اى من القرـ
من يروض شوامسا من علوم
من لتقييد ما يتد من الفـ
من يفيد لنا فوائد قد او
من يحزر ما يؤلف مولا
من يبت على الحقيقة فضل الشـ
عالم لم يزده الا كمالا
لازم سدة الامام فيرضى اللـ
عجبا كيف يستر القبر بحرا
ويوارى بدرا يعلم سناه الـ
لتجد كل مقلة بدموع
اه مما أصبت ان كان يجدى الـ
هكذا كل سيد يسرع المو
كان علقا وكل علق نفيس
فارق الوطن المحبب فى اللـ
علم الله منه حب لقاء
فدعاه الى الجنان فلما

فرد فى بابه محمد بابه
خلق والخلق مذ ارانا ذهابه
رس من بعده يوفى نصابه
ان يحيى بها ليلال الغيابة
للرياضات من يفك حجابيه
سلم ويابد فى وثاق الكتابة
دعها صدره واخلي كتابيه
تا الامام ومن يعى مستطابه
شيخ (ما العين) من يصيد خطابه
غير الدهر والصف والمهابة
به ارضاء من ينوب منابه
واخرا لم يزل يفيض عبابه ؟
شرق والغرب سهله وهضابه
تبك خط ابنها وفقد اصابعه
ياسف القلب او يزيل الكتابيه
ت اليه ويستحيى اقتضابه
يقتنى فادخرت منه مصابيه
به وفارق أهله وصحابه
فاحب لقاء ومتابه
ه وارضى بما يحب جنابه

محمد سالم الصحراوي

نحو : ١٣٢٢ هـ = نحو : ١٣٦٤ هـ

نسبه :

محمد سالم بن عبد الفتاح

من قبيلة ادا وعلى من (تاكانت) ورد ابوه عبد الفتاح نحو سنة ١٣٢٢ هـ الى (الساقية الحمراء) فنزل على الشيخ (ماء العينين) فهناك ولد المترجم ، واهله هدية بنت عبد الله بن حمادو ، ثم اخذ القراءان عن الاستاذ محمد بابيه ، المتقدم قبله ، الذي كان معلما لجميع طبقة من اهل الشيخ ماء العينين ، وكان للشيخ النعمة يد طول في تحفيظهم للقراءان ، لانه يواخذهم على تكرار سورهم لم يمارت هذه الطبقة تاخذ العلوم عن محمد محمود ابن البيضاوي خال استنكيطي الباشا الشهير في (ردانة) وعن الاستاذ الحضرمي ابن الشيخ احمد محمد الشيخ محمد فاضل بن مامين - وهو والد الاديب : المحفوظ المشهور في وهران - وعن الشيخ محمد بن عبد العزيز ، وعن الشاعر ماء العينين بن العسك ، والشيخ سيديا بن حمادو بن سليمان ، وعن الاديب (ابا) بن عبد الله من قبيلة (ال بوحبيتي) ، وهذا هو الذي انتفع به المترجم كثيرا في اللغة ، فقد اخذ عنه المختصر كما اخذ اللغة والادب حتى تمكن عن الشيخ النعمة ، فهؤلاء مشيخته ، هكذا حكى لي قريته محمد فاضل ، وقد قال محمد الامام ان اللغة الكثير انما هو بمحمد بابيه وابن البيضاوي ، وهو ادري من غيره .

أحواله وتقلباته

مات والده في الصمارة ، قبل انتقال الشيخ الى (تيزنيت) ثم انتقل المترجم مع ماء العينين ، فظل مع الهبة في تقلباته ، وهو يدرس عن المتقدمين لم لم يتزوج الا في حدود : ١٣٣٨ هـ لما لازم الشيخ النعمة فصار فيما على اشغاله الخاصة ، ثم بعد وفاة النعمة سافر المترجم الى الصحراء ، فلم تعجبه الإقامة بها ، فراجع (ايت رخا) ثم تجول كثيرا ، فكان يتردد بقوافيه ، واذذاك كان يبعد علينا بمراكش ، فقدم الى الاكلاوي قصيدة قافية لم بعد : ١٣٥٠ هـ سكن في (الخ) عند الاستاذ سيدي المدني في داره ، ويقاسمه ما تيسر ، مع شيخ ذات اليد ، وبعد نحو ثلاث سنوات اتصل بالشيخ سيدي ابراهيم بن البصر ، فطلب منه ان ينتقل اليه ، فاني باهله من الخ الى بني عياط ، الى ان توفيت زوجته - وسترى ترجمتها - ثم رجع بعد وفاتها نحو : ١٣٥٨ هـ الى الصحراء حيث بقي حتى توفي هناك في نواحي (طنطان)

لا تسئل عن قري محب لمحبو
واعزى العلوم فيه ودين الله
والامام الرضا ، المظفر من ار
من اهاب بالحظ فاستمع الح
دام بالله عزه ولسان ال
حي كردوس اذ يضم عظاما
تربة لم تزل تضم كراما
لو يفدى الكرام بالنفس والم
غير انا نفوض الامر لل
وعليك من الاله سلام

كما رثاه الاديب ابو محمد الافرائي بقوله :

وصرف زمان صير الدمع عندما
وكان به شمل الهنا منظما
ومجدا وحبا راسخا وتكرما
وعهد لذي فضل سما فتقدما
تهجد فذا اذا الليل هوما
يرتل اى الذكر غضا منمنما
ولطفا والاهمة وتسنما
وصارم ذهن كلما سل صمما
زخارف من دنيا وانسة الدما
تنعم زهر الروض بالغيث انهمى
كما امتزجت راح معتقة بما
بنفح الحمى وهنا مشوق تتيما
أويقات انس كلها سحر الحمى
نقدية لو يقنى بما صين من دما
وهيهات ان تجدى لعل وليتما
اليك ولكن ما استطعت ابكها دما
وحزنا حشا قلبي لهيا تضرما
وتسليم امر الله ذبت تندما
تتبه العلا فضلا على انجم السما
تمر الليالي ابوسا ثم انما

اعينا على خطب السم فالما
وفقد خليل كان لي خير عدة
حيا وائناسا وعلمنا وعفة
لحي الله دهرنا ما رعى ال ذمة
اما بان من محمد باب ذي التقى
يبيت كما بات السليم مسهدا
يبادى السهى في ظلمة الليل رقة
له قدم في معرك البحث راسخ
الى ورع لا تستخف ثباته
رعى الله دهرنا قد نعمنا به كما
لطافة اخلاق وصدق مودة
سلونا به عن كل هم كما سلا
الى ان افاق الدهر فاغناظ من صفا
فوق سهما للردى نحو صاحب
فياليت ذاك العهد يوما بعائدا
(فليست عشيائ الحمى برواجع
فلهفى على فقد الاحبة حسرة
ولولا رجاء الوعد بالصبر والتقى
فيا ايها المولى الامام ومن به
فصبرا على ريب المتون فهكذا

هذه القطعة رأيت فيها لسانا مختلفا ، فاخترت فيها ما يشبهه .
وحين كان ما قاله المترجم في الالفين لا يمت الى الشاعرية التي يعرف
بها محمد سالم ، أردت ان أسوق ما اختاره له مما قاله في بعض الرؤساء
السوسيين :

قال في الرئيس الاخير في (تالعينت) - واللهم تفتح الله -

من ذكر ناعمة في طرفها حور
عجزا مهفهفة بيض ترائبها
نفس عن درر كالمسك ثاوية
وكلما ابتسمت في الدهر ناطقة
وما كتمت هوى الا ونم به
كم ذا كلفت بها والقلب مندمل
النس عناني عنها اليوم منعظا
سمع جواد ونعم الدين ديدنه
لا عن الذام والاسواء جانبه
الى مادبه ما انفك ادبه
يدعو بدعوته الحسناء له الجفل
بالفوج ياتيه بعد الفوج مجتمعا
العلم والحلم والاداب قاطبة
ما للخليفة شبه في محاسنه
النس عليه مدى دهرى وامدحه
ابنى بامداحه مجدى واثبته
هذا ولا زال في عز وفي شرف
مؤيدا من صميم العز في كلا (٢)
بغاثم الرسل من فازت بمولده
وامت عليه صلاة لا انتهاء لها
مادام ذو وله بالشوق في شغف

وقال فيه ايضا :

مدح الخليفة ما لم ياتني اجلى
قد عاجلتني عطايا منه مسرعة
على اوجه في السهل والجبل
قد عودت منه للعافي لدى النزل

(١) الجفل : محركا ، وبالف مقصورة : دعوة الناس الى الطعام دعوة عامة ،
والسفرى عكسه ، أى دعوتهم دعوة خاصة ، وفيه اشارة الى قول الشاعر :
نحن في المشقة ندعو الجفل لا ترى الآدب منا ينتقى
٢ كانه حرك كلاً كلفس من كلاً : اذا حرسه .

هذا شاعر فطرى مفوه عبقرى ، يعرف كيف يسبك وكيف يصوغ ،
ولم يلفت نظرى مما يقوله الصخراويون النازلون بسوس بعد الفحلين الفذين :
محمد الامام وابن العتيك ، الا اقوال المترجم ، وسنعرض على القارىء ، مما
عندنا من الغياته وغيرها ، وان كان في الالفيات يسف كثيرا كما سترى

قال يخاطب الاخ احمد ويستمنحه هذه القولة المهلهلة :

منى اليك مع المدايح احمد
هذا وموجه لجانبك العلى
انت الكريم ابن الكريم من الوردى
فاطال عمرك فى السرور الهنا
انمى سلام لا يزال يجدد
اتحاف قدرك بامتداح يخلد
والسيد البر الجواد الامجد
قرنا ودمت بجاء احمد تحمد

فاجابه الاديب سيدى الطاهر بن على ، متجاهلا المقصود ، وذلك على سبيل
الزاح :

يا من يطيب به الزمان الانكد
انس الحزين ونجعة للمعتقى
منا على صوغ غدوت بدره
هذا وان لشعركم فى قلينا
ما فيه من عيب وحقك غرما
لم ندر ما قصد الاديب بشعره
ان كان ذلك مثل ذاك فلا يكن
او كان مدحا خالصا فجوابه
او قلت ذا لدوى الصنيع جزيتهم
منا عليك مع الصباح تحية

وذا الاخوان محمد واحمد الاستاذ سيدى المدنى فرحب بهما محمد سالم
على لسانه :

لكما الترحب والسلام الامجد
يامرجا بكما وسهلا انتما
اطفائكم بقدمكم عنا لطفى
يوم لعمري ذا النهار مبارك
فعليكما ازكى سلام دائم
يا احمد ثم الرئيس محمد
سوى ورى بالتواصل احمد
قد طالما هي فى الحشا تتوقد
اذ كان بالغر الامجد يسعد
منا وخير تحية تتجدد

(١) اوله : بمخضيب رخص كان بانه
(٢) احتوا التراب فى وجوه المداحين . (حديث)

رقية بنت محمد بن العربي الادوزية

نحو: ١٣٠١ هـ = ٢-٣-١٣٤٢ هـ

هـ :

رقية بنت محمد بن العربي بن ابراهيم بن عبد الله بن علي بن عبد الله
ابن يعقوب .

هذه والدتي ، اذكرها لوصف تعليم القرءان ، فقد كانت اول معلمة من
النساء في الغ ، ومهذبة البنات في دار والدي ، فيها انتشر ما انتشر من ذلك
فهن ، فيجعل بنا ان نخطاها لانها امرأة ، ومتى عهد منا احتقار المرأة الى
هذا الحد ، ام يجعل بي ان اتكذب ذكرها لئلا اسمع ما كان سمعه بعض اجلاء
المؤلفين المعاصرين ، وقد ذكر والدته في اثناء مؤلف له ، من انه انما يريد
ان يكون نتيجة صادقة لمقدمات صادقة ، وان له نسباً كما ان له حسبا ، فترك
ما يستحقه التاريخ - خصوصا تاريخ الاسر - لامثال هذه الاوهام مما لا ينبغي
ان يلتفت اليه عاقل ، فليست تلك الطريقة بطريق الانصاف ، مادام الانسان
لا يفرح ولا يتزهد ولا يتشبع بما لم يكن ، فان من يترك الحقائق خوف هذا ،
ومن يزيدها حتى يفسدها سيان في نظر المنصفين ، على ان للانسان الذي
يقف موقف المدافع الذي يقابل حملة بحملة ، ان يذكر امثال هؤلاء الذين
يسرعون بالانكار على من يخلدون اعمال والديهم قضية الربيع وزير المنصور
العباسي ، اذ انكر على انسان رآه اكثر من الترحم على والديه بين يدي المنصور ،
فقال له الاخر : انك معذور ، لانك لم تدق حلوة الوالدين ، وكان الربيع يزن
بانه لغية ، وهل ينكر ذكر الوالدين بخير الا اخوان الربيع هذا ؟

اول ما اعلنه عن والدتي هذه : انها هي التي سمعت منها بادي ذي بدء
مجدد العلم وأهله ، واكبار تلك الوجهة ، فكان كل منها ان تراني يوما ما
من تطلعوا من تلك الثنية ، ومن يداعبون الاقلام ، وبناعون الدفاتر ، فبذلك
كانت تناغيني ، وذلك هو محور دعواتها حولي ، افاكفر لها هذه النعمة اليوم
ومن يونسني الا كلمات من العلوم ازاولها تمطقا استحل لو كها بدوقي

كانت درجت بين يدي والدها : علامة جزولة في عصره ، فكان يهم ان
يدفع بها الى الدراسة الواسعة في ميدان العلوم بعد ان اتقنت حفظ كتاب الله
ولكن جاءت خطبة الوالد المسرعة ، فحالت دون امنية والدها ، بل وامنيته هي
ايضا التي عرفت من ابيها وبعض احوالها واعمامها وبنسب اعمامها واجدادها
كيف التشرف بالعلوم ، فكانت تمنياتها تدور على ذلك ، ولكن ذلك لم يسبق

نال الخلافة في الامصار والحل
له السيادة بين الخلق في الازل
سح الغمام بصوب المسبل الهطل
من قبل مسئلة ياتيكَ عن عجل
حصن حصين مدى الايام للوجل
في العز عليا لم تدرك ولم تزل
بما لديه دوام الدهر من خول
تفشي مدائح الركبان في السبل
سمح الخلافة ما مونا من الزلل
ما لم ينل ابدا في سائر الملل
امامه الدهر من خوف ومن خجل
بين الوري بالتقى والعلم والعمل
بين البرية لم يفعل ولم يقبل
وحسن اخلاقه من سائر العلل
دهرا بجاه النبي افضل الرسل
مدح الخليفة ما لم ياتني اجلى

على ان هذه القوافي كلها لم تظهر فيها براعة الرجل ، وانما ظهرت في
مثل قصيدة ميمية نبوية كبيرة ، طبعت في كراسة في (سلا) سنة ١٣٥٨ هـ
تحت نظر الاديب الكبير عبد الرحمن حجي وقد علق على الفاظها اللغوية ومطلعها:
وقفت ابكى ودمع العين ينسجم ونار شوقي في الاحشاء تضطرم
وهي اكثر من ١٢٠ بيتا منعنا الاختصار من ايرادها .



به القضاء ، وما كل ما يتمنى المرء يدركه ، وقد جاءت بلوحتها بين يديها يوم زفت من دارها الى دار زوجها

في سحر يوم عاشوراء نحو ١٣٢٣ هـ ايقظتني فناولتني كاسا مملوءة ماء ، فقالت : ان هذا الماء ماء زمزم الذي هو لما شرب له ، وهذا سحر يوم عظيم ، وهو مظنة الاستجابة ، فاجرع منه وانو في قلبك ان يرزقك الله العلم السدي اتمناه لك دائما ، فافرغت الماء في حلقى بنيتها هي التي تدرى ما تطلب وما تنوي اذذاك ، ثم استلقيت ثانيا في مضجعي ، وانا حينذاك - ولا اكذب القاري - لانية لي ولا أقصد بشربي لما قدمته لي بسرعة الا ان ارجع الى الاستمتاع بنومتي لاغير .

اخبرني استاذها سيدي أحمد بن عبد الله الايجلاني المجاطي ، قال استدعاني الاستاذ سيدي محمد بن العربي ، سنة : ١٣١٠ هـ من المدرسة الادوزية ، فامرني ان الازم داره ، وان اعتكف فيها على تعليم بناته واولاده ، فخرجت الى والدتك في دراعة سوداء ، وفي راس لوحتها - يوم يفر المرء الآية - وكانت تتعلم قبل ان اتصل بها عند غيري ، ثم دأبت عندي حتى ختمت سبع ختمات ، وجودت غاية التجويد ، فعول والدها ان يدخل بها في طور العلوم ، فاذا بتزوجها جاء بغتة ، وذلك عند مراهقتها ، قال : فحين ارادت ان تتركب على البغلة جاءت حتى قبلت راسي ، فركبت ولوحتها معها ، كرمز لكونها لا تزال تتعلم ، وقد كان والدها ذكر ذلك لزوجها ، ولكن ايمكن ذلك له مع ما طوق بهمن ارشاد العباد ليل نهار .

كان للوالد رحمه الله زوجتان قبل ، فدرجت منهما بنتان قد ادركتا ابان التعلم ، قالت لي احدهما وهي السيدة فاطمة ، فانتدينا يوما مع نساء الاسرة ، فدار الحديث حول البنيتين ، فقال الشيخ : لابد من تعليم البنيتين ، فقالت والدة السيدة المذكورة : آليس سيدي موسى بن الطيب بلانق لذلك ، فقال الشيخ اننا نريد من يعلم ويربى ويهذب ، لامن يعلم فقط ، ولا يليق للنساء الا النساء ، فان المرأة لا تنقاد الا لمثلها ، فقالت تلك الوالدة - وهي عجوز الدار القيمة على شؤونها - انني كنت عند اخوالي بني اعجل ببعيلة ، فطرق اذني هناك ان للاستاذ ابن العربي بنات يتعلمن ، وانجهن فتاة تسمى رقية ، وقد استظهرت كل القرآن دون اخواتها ، فقال الشيخ يفعل الله الخير .

هذا ما حكيت لي تلك السيدة - ولا تزال حية الى الآن ١٣٥٨ هـ - فكان عجباً ان يتداول مثل ذلك عند الضرات اولا ، وكان الاعجب ان تشير ام احدها بذلك ولو لم تخبرني المذكورة بذلك فاما الى اذني ، لما كنت صدقت بذلك ، ولكن ذلك هو الواقع ، فلا سبيل الى التشكك فيه ، ثم كانت هناك بشارة روحانية للوالد بتزوج بنت الفقيه ، فيسر الله ذلك له في حكاية ذكرتها في كتاب

(المرئى المداوى) (١)

فاتح الوالد تلميذه الفقيه سيدي ابراهيم بن صالح التازروالتى التسي كان سلفه ، فامرته ان تفتح قرينته السيدة خديجة امها زينب بنت صالح ، زوجة الاستاذ سيدي محمد بن العربي ففرح سيدي ابراهيم بن صالح بذلك غاية الفرح ، كما حدث به من رءاه اذذاك والشيخ يكلمه بينهما في الموضوع ، وهو يقبل رأس الشيخ فينة بعد فينة ، فلما انقفل من بين يديه القى اليه ذلك الخبر باستبشار زائد ، فسارت المخابرة اولا مع أمها ، ثم قبل أبوها الاستاذ بعد ان اقنعته زوجته زينب بذلك ، فتم الامر على ايدي النساء حتى اصبح الرجال امام الامر الواقع .

سمع الناس بذلك فكان رابعة العجائب ، لانهم يعلمون تلك الحملات التي يلهب بها الاستاذ الادوزي الناصري الطريقة ، هذه الطريقة الدرقاوية المدلة بسوس ، حيث يزن اصحابها بالبدع ، ويامر بالمناداة في الاسواق ، ليكون الناس كلهم على علم من رايه في الدرقاويين ، ولذلك ما كادوا يسمعون بهذا الاتصال الجديد ، حتى كانوا بين مكذب وهو الكثير ، وبين مصدق ، والدهس ياخذ بتلابيبه .

فى ١٠ - ٤ - ١٣١٧ هـ كان الشيخ الوالد ، وشيخه الاستاذ الادوزي ابن العربي ، والاستاذ سيدي محمد بن عمرو ، والسيد البركة الحاج محمد بن ابراهيم اباراغ البعمراني ، ومعلم السيدة صاحبة الترجمة : احمد بن الحاج عبد الله الايجلاني في آخرين ، في دار الاستاذ الادوزي يعقدون النكاح (٢) فصره الاستاذ ابن عمر ، ويعطف عليه ابن ابراهيم اباراغ ، فهكذا تمت العجزة ، ورأى من يكذب بإمكان هذا الاتصال انه مما وقع فلا ارتياب ، ومن العرب المصادفات ان حضر الفقير المعدى الملقب : اجاكور ، وهو الذي كان يسول بنفسه المناداة في الاسواق والمواسم بما ذكرناه ، عن اذن الاستاذ الادوزي فقال لسيدي بلعيد الصوابي وسيدي الحاج محمد بن عدى السواعظ : الآن انحطت المياه ، وتعاقت القلوب ، وهتك السجف الذي كان يحول بين الطرفين ، فقال له احدهما - واخاله الاول - لم يزل الامر دائما كذلك ، واهل الله كلهم ذات واحدة ، ولكنك وامثالك ، تكثرون التمويه ، وتهرفون بما لا تعرفون ، او كما قال (وقد توفي اجاكور هذا ازاء الحمراء مع الهيبة في اواسط رمضان : ١٣٣٠ هـ كما بلغني)

تمت العقدة عشية ، فكتب الاستاذ الى صهره الشيخ الوالد بعد انقضاء

(١) مطبوع في جزء

(٢) هي الجزء السادس من كتاب (من افواه الرجال) رسم عقد النكاح مع ما يتعلق بطالب هذا الزواج - وهذا الكتاب في عشرة اجزاء لا يزال مخطوطا -

تلك الجلسة بما نصه :

بعثت اليك بعض كلى فان راغب
غرس بك طال وردا فحين حا
ولابد من شوك ولطف اقتطافه
فان كان بضعة النبي تربيته
فعلمك اغنى عن اذاعة سر ما
فاسس حديث ام زرع لانس من
لزوجك حقا بعد ان النبي قا
ويدرى بان المصطفى حبيب النساء
فسر بكلامه الاله وحفظه
وتم بناء من شكرت جميله
وعلم - كما وعدت - علما مقربا
وخاطب بقدره فهن كما رووا
فان الزجاج بعد صدع لمن ارا
فلولاك ما اسلمتها لضرائر
فوالله ما علمت من عيبها سوى
فان كنت حققت المناط علمت ا
فهني وديعة الاله بكف من
بقيتها (١) في الف ورغد معيشة

سته كنت كلى راغيا يا اخي حكما
ن ازهاؤه اوليتك القلما والشما
يريك من الزراع ما جنة حلمما
على حلمه فغيره دونه جزما
هنالك اغناء السمندل شربما (١)
يداعبه من كان خير الوري رحصى
ل هذا لمن يقل النساء ليعلمما (١)
اليه واعطى فيهن (١) القوة العظمى
بآداب تحفة العروس معلما (١)
له بحضور الحزب رافضة نوما
بمقدار ذاك العقل في سنه علما
قوارير والرجال كالصخرة الصما
د اصلاحه يابى تشعته الضما
وبعد وقوم لم نصاهرهم قدما
وحق ابيك انها تكثر النوما (٢)
ن نوم الشباب لم يكن معه وصما
راينا له تقوى اذا استسلمت سلمى
ورعى حقوق الله ما ذكرت نعى

هذا ما قاله الاستاذ انقله من خطه كما هو بفصه ونصه

فاجابه الشيخ الوالد في الحين ، قبل ان يغدو الى الخ ، ليتيها لمقابلة
السيدة واهلها الذين ركبوا يقتفون آثاره :

جزاك اله العرش خير جزائه
زفت لنا بنتين بنتا لفكركم
جمعت لنا الاختين في عقد واحد (٣)

ثم لما وصلت السيدة ومن معها الى الخ ، وصلت على ايديهم ابيات ،
يودع بها الاستاذ بنته ، نصها :

فراق بنتى صعب على فؤادى جدا

(١) كذا من خط الاستاذ في الجميع .

(٢) يشير الى الحديث في عائشة ، من أن النوم يغلب عليها وهي تعجن

(٣) من اضافة الموصوف الى الصفة وهو قليل ، كالكعبة اليمانية ، في حديث
البخارى وقد اصلحه الاستاذ الرفاكي بقول : والعقد واحد ، وهو اصلاح حسن

لم ارض للدهر فعلا
لكن مولاي ربي
افنى الفراق قلوبا
لم ار عيبا وشيئا
لذلك لم ارض صبرا
ودعتك الله ربي
من اين كنت فقلبي
ولم اطق له ردا
لفضاؤه لئن يردا
لما رأت لك بعدا
أعده لك عدا
عنك (رقية) بدا ،
يحفظ لي منك عهدا
عننى هنالك صدا

الفت والوالدة عصاها في دارها الجديدة ، قالت ضربتها السيدة فاطمة
المسلمة ، فقال لها الشيخ : ان شغلك الوحيد الذى جئت اليه : هو تعليم
هاتين البنيتين خديجة وعائشة ، فلازمت ذلك ، فكانت هي معلمة الدار ،
والمرشدة والواعظة للوافدات الى الشيخ ، حتى شدت تلميذاتها ، فكسرن ربما
بعض بذلك الارشاد الذى تعلمنه منها ومن ابيهن ، وكان تعليمها للبنات مقصورا
على ما تيسر من القرآن وتعليم الكتابة والتهجى ، والتمرين حتى تقرأ التلميزة
من عند نفسها الكتب السلحية الموجودة بكثرة المشتملة على السير والاحاديث
والقصص ، وكنا ايضا ونحن في الطور الابتدائى نأخذ عنها ، قال الاخ احمد
انها هي التى علمته الطور الابتدائى حتى توسط حزب (سبح) ، وكذلك أنا
ربما بلغت من عندها اكثر من ذلك .

تلك سيرتها ، وذلك هو شغلها في الدار ، وكانت كلما ذكرت الوالد وعده
لايها ان يعلمها العلم ، يقول لها : اننا الى الآن لم نجد فراغا ، فقد رايت ما
لحق به من ملايسات الناس والسياحات على عباد الله لنعلمهم دينهم والاشتغال
بالواردين الكثيرين ، ولكن ان فاتك انت هذا الموعود به ، ففعل ذلك يكون
لاولادك ، هذا ما حكته لي رحمة الله عليها ، ومقصودها ان تستنهض همى
للعلم حتى انال به شفوقا ، لعل اكون انا هو الموعود به

نفست بهذا العبد الكاتب ، في صفر من السنة الثامنة عشرة وثلاثمائة
والف (١٣١٨هـ) فجاء الاشتغال بالاولاد شغلا آخر على ما تقدم ، وقد حضرت
الاداء والدتها السيدة زينب بنت صالح - كما حدثتني به السيدة فاطمة
المسلمة - والجد ابن العربى هو الذى اقترح ان اسمى محمدا ، فذكر له
الوالد ان عنده محمدا آخر ، فزيد وصف : المختار للفرق ، فهذا هو سبب
تسميتي بمحمد المختار ، على خلاف عادات اهاليها في الاسماء ، وكانت لها
رحمة الله عليها مع تعليمها هذا : يد صناع في الاطعمة الحضرية التى تعلمتها
في دارهم الراقية ، فاذا حضر من الاضياف من يستحقون العناية التامة ، فانها
هي التى تقوم على تهيئة الطعام الخاص ، كما ينبغي ، وفيما سوى ذلك فانها
مستغلة بالتعليم وتربية اولادها الذين تتابعوا

وكان الشيخ الوالد يراعيها حق المراعاة - كما حكى لي - وجعلها امينة

على الطرف والداخل التي تكون في الصناديق ، وربما غارت من ذلك - على العادة - الضرتان الاخرتان ، ولكن حسن سياسة الوالد ، يقدر أن يسوى بها كل ما يعنى في القلوب ، بمراعاته المساواة الواجبة بين الضرائر ، وقد كان الوالد - مراعاة لوالدها الاستاذ - بنى اذذاك الكايزة - البيت الجميل (١) - ليراها والدها متى ورد ، ليعلم ان بنته في الرفاهية التي الفتها عند والدها لا في تقشف الدرقاويين ، هكذا اخبرني سيدي مولود ، وكذلك صار يفتح منها الباب لشرب الاتاي فينة بعد فينة متى طرقة سراة الناس ، وان كان الشيخ لم يتنازل قيد شعرة عن المعهود منه ، وانما مقصوده جبر خاطر استاذه والد السيدة ، وما عبد الله باحب اليه من جبر الخواطر .

هذه حقائق وامور عائلية ، ما كنا لتعرض لها لو لم يلجئنا اليها ماكتبه الاستاذ الرفاكي حول هذا الموضوع في ترجمة الشيخ الوالد ، وفي ترجمة الاستاذ الجدي ابن العربي في كتاب (روضة الافئدة في وفيات الاعيان)

واصل القضية ان الجدي رحمه الله طلب من الوالد بعد مضي زمان ان يزيره بنته ، فاجابه الوالد بان ذلك لا يتيسر وليس من المعتاد عندنا اليوم ، وهناك ضرات لها اخريات قد يتطلبن مثل ذلك ، فتقع في ذهاب ومجيء في الطرقات ، وذلك يناق ما اسنا عليه الاسرة ، وما رضيت به الفرات قبل اليوم ، فبلغ الجواب هذا الى الاستاذ ، فقام وقعد ، واغتاض . فعاوده الوالد بانه يجب هو ان يتشرف في الغ باهل دار ادوز كلهم ذكورا واناثا ، فجاء الجميع فصدروا بكل ما يقر اعينهم ، ثم صادف الحال ان بلغ احد الوشاة ولم ادر من هو - الى الاستاذ ان بنته ممتحنة ، وانها تطحن ، وانها تكلف ما لا تطيق وانها بين الفرات في سعي يتلظى ، فقال تلك الكلمة التي نقلها عنه الاستاذ الرفاكي : (غدرني فلان ، فلولا المروءة لكان لي وله كيت وكيت) او كما قال ، وفي هذا الحين كتب هذه القصيدة الى الوالد ، كما قال الاستاذ الرفاكي في ترجمة ابن العربي :

في حب آل البيت للانسان
اذ حبه اجرت لتبليغ النبي
الاجر واجب علينا نقرمه
فمن يكن منع اجرة الاجير
اخرى اذا كان الاجير هو فاح
والود لم يكن بسهل يدعى

(١) وقد ذكرنا ما قيل في هذه القبة الانيقة من القوافي في ترجمة الشيخ في (الجزء الاول) من هذا الكتاب

(٢) كذا

فكيف من يقول ما لا يفعل
الود ايشاد القبيح المنظر
بالنفس والمال على احتياجه
يقى الشريف باعز ولده
يجعل ماله وعرضه له
ان ناله من جهة الشريف
يهبها موهبة اتته
وان يكن يستمع المقالا
يجب من يحبه لحيه
وان تكن عقيلة غيدا
وكان في خاطره زواجها
وان يكن في راسه تاج الملوك
وكل ما ملكه من خير
يكلاه كلاء الكلاب
زن بالذي سمعته حبك يا
واعترفن بالقصور والتمس

يوما فيكشف لدى امتحان
السيء الطبع السيء الشانى
لوجه من اتانا بالفرقان (١)
قتلا اذا ما ثار ذو عدوان
وقاية من غير ما امتحان
اذاية في العرض والابدان
من الشريف ناشر الشكران
مثل عبيد سيد منان
ويبغض البغض العدو الشانى
في ملكه صغيرة الولدان
صرم ما عقده البنان (١)
ازاله وصار من عبدان
يحسبه من دون حق السانى
لدار ربها بكل آن
من يدعى تراه ذا بهتان
تحقيقه من خالق الاكوان

هذه الرجزية التي هي كما يراها القارىء ، ما كنت اعرفها حتى وقفت عليها في كلام (الروضة) ، وعندى حول هذا النظم كلام كثير يجول في هاجسى ولكن الاولى طيه لوجه الله ، لان للجميع نية حسنة ، وفي قضية فاطمة لما اراد ان يتزوج عليها ما فيه قدوة .

وفي هذا الحين ، كتب الاستاذ ايضا الى صهره الاستاذ الرفاكي المؤرخ المذكور ، يجيبه عن قطعة كتبها مع قرينته ، وقد ازارها والدها الاستاذ ابن العربي .

جاءني من مقدم الاصهار
وبه قبل نسمة الاسحار
ذكر العهد قل متى كان عهدى
كنت احسنت لم يجيء منك الا
انت حرز الامان للبنت والكا
نحن نفديك بالدرقاوى وايسن
ماله معها من اللطف والامت
لا تصاهر بسوس درقاويا فال
واذا ما جهلت تبغى اختبارا

ما به عطر روضة الازهار
آنست بنوافج الاخبار
منسيا ، فيرد بالتذكار (١)
مونس مطرب من المختار
في بنظم القوافي يوم الفخار (٢)
رحمة الله من عذاب النار (١)
بمنزل مزعج جبار
قرب منه بعد من الفقار (١)
فلتقف ساحلا من التيار

(١) كذا

لم يروا لسواهم فضل علم
لا تسلم اذا دخلنا عليهم
وقل (الله) ثم ذرهم يمدو
هذا ١ نصحي والنصح ليس اغتيايا
أبقي (١) ربي عليك ستراجميلا
وسلاما تراه في كل أين
ورشاد والفضل للانصار
تركهم رده على الاختيار
ن شباك الحطام في الامصار
لا ولا حسدا من الاخيار (١)
وطبيعة احمد المختار
يا حبيبا به هناك افتخاري

هذا ما يقول الاستاذ رحمه الله تأثرا بما ابلغه ذلك السواشي النمام ،
وكان ينبغي له أن يتذكر قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ
فتبينوا الآية ، فان الحقيقة التي تقدمت تكفي في سل غضب الاستاذ لو تأنى ،
ولكن سبق السيف العدل ، ورضى الله عن الجميع

أما الوالد الذي لا يعرف للغضب معنى في أمثال هذه المواقف بعد ان هذبته
التربية ، وشذبه التصوف ، فانه مازال بصهره وشيخه حتى زاده مرارا في
الغ ، فلاقاه باحتفالات ، سلت غضبه ، لان غضبه كان عن حق . لو كان ما
سمعه حقا ، كما أزاره مرة أخرى كل بناته وزوجته ، فساد الرضا ، وعم البشر
والنم الجرح الذي هو عادي بين بعض الاسر ، وقد عاود الاستاذ الزيارة الى الغ
مرات آخرها في نحو شوال سنة ١٣٢٣ هـ فخرج الفقراء المتجردون من
الزواوية ، وهم اذذاك اكثر من مائة ، فلاقوه بالصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم ، على عادة التيمكيدشتيين ، ثم أمر الوالد ان لا ينزل شيخه عن بغلته
الى أن يصل الفراش ، وكنت استحضر ذلك الحين ، وأنا كما ابتدأت اخط
واتهجي ، وقد عقلت انني ذهبت اليه برق فيه كلمات خططتها بخمرشتي ،
فقلت له : يا جدي : ان هذا خطي ، وهو احسن من خطك ، فجعلني في حجره ،
فصار يتأغيني ويربت على ظهري ، ثم انفلتت من عنده ، فذهبت لاغسل ما
خططته في الرق ، قياسا على اللوحة ، لاكتب فيه ثانيا ، ولكنه ذاب بالماء
فتعجبت تعجب صغير رأى ما رأى أول مرة ما كان لا يعرفه قبل ، وفي ذلك
الحين - كما أظن - خاطبه الشيخ الوالد بهذه القطعة (او هي جواب للنونية
المتقدمة) :

هذا الذي فخرت به ازماني
شيخ المشايخ قدوة الاقران
شمس الهوى نور الهداية والنهى
من قال هذا مثله او فوقه
نصبت له بين الاكابر راية
فرد له مجد تسلسل في أصو
تيها على الماضي من الازمان
علم الهدى التاج الذي اقراني
قطب المفاخر ماله من ثمان
في الدين دعه يفوه بالبهتان
بغاية المولى على الاعلان
له سيدا عن سيد الاعيان

(١) كذا

بالله ردوا قلب مضنى قد لسوى
وقال الاستاذ سيدى على بن عبد الله يرحب به :

يا سيدا عمت الدنيا مائسره
وبدر تم ولكن لا أقول لكه
وشائدا ما بنت قدما عشائسره
وشيخ عصرى وصدر فى العلوم به
اهلا بمقدمك المنسى مضاضة ما
قد مر من مر هجر عات قاهره
كان الاستاذ لوح هنا الى تلك القضية ، ان كان ممن سمعها ، ولاظن

(الله)

ومرحبا بك يا من لايمائله
يا نور بك ارضى مذ طلعت بها
شرفت بك ارض كنت واردها
وهت نفوسا لمحكم الرياضة لم
لازلت للخلق بابا للوصول الى
صل وسلم رب الخلق اجمعهم
فى الكون سام وان جمت مفاخره
يا بدر علم ومن للمجد ناشره
واخضر منها هدى نصحك ما طره
تزل بروض جنان ماد زاهره
حضرة خير الورى المشكور ناصره
عليه ما عمت الدنيا مائسره

هكذا انجبر الكسر ، والتأم الفتق ، وقر الاستاذ عينا ، وربما ادرك ما كان
يخطئ عنه . ثم لم ينشب بعد رجوعه ان التحق بربه ، رضى الله عنه ورحمه
واسعة

وأما الاستاذ الرفاكي ذكره الله بالخيرات ، فقد ذكر من هذا بعضا
في كتابه المذكور ، بما نصه فى ترجمة الوالد ، فقال بعد ان
السلالة ابيات التي اجاب بها الوالد شيخه :

(جزاك اله الخلق خير جزائه)

الاولى : والعقد واحد (يعنى فى الشطر الاول من البيت الثالث)

(جمعت لنا البنيتين فى عقد واحد)

البارى ، فهذا شعر الفقراء ، ولم يكن من الادب ان يذكر الظهر (يعنى
فى البيت الثانى)

البارى لنا البنيتين بتنا لفكركم
وبنتا لصلبكم فدى نعمة عظمى
لم قال : فياليتنه قال فى الجواب ، لياتى بالصواب ، ويترك لفظ
الظهر الذى فيه الارتياح : - انقلها من خطه مباشرة -

فسمعا ابا الدلفاء فالوعد مبهرم
واعطيت قوسا باريا لا تخلف عما
والى لجمع شمل الفى عارف
اساة القلوب يانفون التدمما
ابو زرعكم لا تياسوا منه النى
كليل بخلق كان منه تهدما

زفقت لنا البنتين والعقد واحد
بقيت لنبهة المعاني منمقا
كفاك الاله والسلام يزف من
فكرية صلبية عادما ذما
وللفلذات رائبا متنعما
تديم لمجد عن منكم تسنما
ثم قال بعد ذلك :

ثم ان الصهر لم يف بالعهود ، ولادى الوعود ، بل اهان المهرة ، وعصى
للشيخ امره ، فجعلها من جملة العيال ، تطحن ودمعها سيال ، ومنعها من
الزيارة ، وزاد في القحة بالنفس الامارة ، فتملأ الشيخ لذا ، وتمنى ان
يقديها لو أمكن الفدا ، فلما اعوزه الحال ، ولم تراع الحزمة الرجال ، قال
رحمه الله :

لا تصاهر في سوس درقاويا فال
واذا ما جهلت تبغى اختبارا
سقط منه بعد من الغفار
فلتقف ساحلا من التيار

ولنصرف عن الكر العنان ، طالبا من الله المنان ، ان يمدنا برضا الاشياخ
والغفران ، ويقلل عشرات اللسان ، ومازبره في ذلك البنان ، وحواء الجنان
ويرزقنا معهم المجاورة في الجنان الخ ..

وقال أيضا في ترجمة الاستاذ الادوزى ، بعد ان ذكر الرجزية النونية :

في حب ال البيت للانسان
جميع ما يرجو من الاحسان
هذه الايات يخاطب بها سيدى الحاج على الدرقاوى ، صهره على بنته
رقية ، جعلها من جملة من يخدم في التوبة حتى في الطحن ، ولم يعرف حق
الشرف ، وكان الشيخ يعاتبه على ذلك ، ويقول غدولى الحاج على ، لولا المروءة
لفعلت معه ما يستحق ، ولكن نلتقى بين يلى الله فتتحاكم ، اخبرنى بذلك
ثقة من خدامه ، انتهى

هذا ما قاله الاستاذ الرفاكي ، ولاعلق عليه شيئا ، لافيما يقوله عن
الاشعار ، فالقارى بلا شك ناقد بصير ، ولافيما يتعلق بغيرها ، لان ما اعرفه
قد تقدم ، الا اننى اقول ان في الزاوية طاحونة كبرى تدار باليهائم قد كفت
العيال مؤونة الطحن ، والعشرات من الفقراء الملازمين كذلك ، ذابهم : الطحن
والاشتغال ، ولكن الاستاذ الرفاكي معذور ، لانه غائب عن الواقع ، وانما هو
مؤرخ ، - كما يقوله متكررا في كتابه - يكتب ما يسمع ، ومن زوى ما يسمعه
كما سمعه ، فليس عليه من شئ في مذهب بعض المؤرخين ، من جعلهم الاستاذ
الرفاكي (حفظه الله) وازيد ايضا ان هذه القضية ما افارها بالقلم الا قول هذا
المؤرخ الجليل ، والا فلا دوران لها ، منذ رجعت المياه الى مجاريها ، ورضى
الاستاذ ابن العربى ، وقد رايت ان آخر زورة كانت قبل وفاته

اشهرين ، ولم اعهد قط من والدنى الها لفتت هل والدى قلامة ظفر ، الا ما
لا بد منه من جراء الضرائر ، وذلك امر مدخول عليه من اول يوم ، على ان كلام
هذا المؤرخ الجليل ، يعوم حول غير ذلك الذى يتعلق بما بين الضرائر كما تراه
لعم حدثنى ان الشيخ حثها يوما على ان تسافر لزيارة اهلها قالت ،
فانيت انا لان عادة ضرائرى لا اريد ان اتخطاها قيد انملة ، هكذا ذكرت لى
رحمه الله عليها

ام لاياس هنا ان اروي حكاية حدثنى بها الوالدة رحمة الله عليها قال :
استدعاني الشيخ الى بيت في الدار عينته لى ، قبل ان يذهب الى سياحته
الاخرة التى توفى بعد رجوعه منها ، فقال لى : يا فلانة ان لك علينا حقولا جملة
لانك سريفة ، ولانك حافظة لكتاب الله ، ولانك بنت شيخنا ، ولانك لاتزالين
فى مجلس عمرك ، اريد منك الان ان تصرحى لى بما فى ضميرك بعدى فاننى ان
شاء الله ان رجعت من هذه السفرة ساذهب الى الحج او الى ما يريد الله ،
فان كان خاطرك يتعلق بالزواج بعدى ، فاذكرى لى ذلك الآن ، فان فلانة
والله امرتها الاخرين ، اعلم ان الزواج لاغرض بعد لهما فيه ، لكونهما
مجاورين لك ، ولكنك انت لست مثلهما ، ولذلك اذكرى لى ما يظهر لك ،
فان قاتلت عيناى بالعبرات ، وعلوت شهيقا ، وهو يكرر على ان تكلمى ،
فاننى ، حتى الح على كثيرا ، فقلت له ليهذا بالك ياسيدى فانه لآخر فسى
الرجال بعدك ، فليست بهذه التى تكلمك ان قبلت ما ذكرته لى قالت ، فقال
ل لاياس بذلك ، وانما اريد ان اختار لك انا بنفسى ، فان اختياري اول من
اخبرك انت ، ان كنت ترغبين فى ذلك ، قالت فقلت له كلا ثم كلا ، بل ابغى
من الاولادى حتى التحق بك ، قالت فكنت من ذلك اليوم اعلم ان الشيخ ميت
والله ، فطويت نفسى على شجن الله اعلم به ، ثم لما رجع وسط مريضا ،
الواقع ، وتعجلت وحدى المضض ، والناس كلهم لا يعرفون ما اعرف
هذا ما حكته لى رحمة الله عليها والله شهيد ، وكفى بالله شهيدا ، ثم
قالت لى ان هذا لاينبغى ان تقوله لاحد - تعنى فى ذلك الحين - فاننى لم اذكر
هذا لغيرك ، ثم بعد ذلك ذكرت الاخت عائشة قرينة سيدى سعيد التالى
ها ايضا من تلقاه عنها .

هل يفضل الاستاذ الرفاكي (حفظه الله) ، ليسمع كل هذا ، ليعرف ما
على الله ، فان له الفضل كل الفضل فى اثاره هذا الموضوع حتى ظهرت
الاحاديث ، وبرزت مطويات الصدور ، فكثير مما مر فى هذا الموضوع ما كنت
لاخرج عليه ، لانه من احاديث الاسرة ، ولاينبغى ان يتحدث بمثل ذلك فى
كتاب عام كهذا ، ولكن بعد ان دفعنا اليه الاستاذ حفظه الله ، فاننا خضناه
لغيره

والذكر التى زرت ابا الاسعاد الكتانى فى عرصة (الجبل الاخضر)

في (الرميلة) في (الخمراء) في اواسط سنة : ١٣٥٤ هـ فكان ما فاتحني به وقد جرى ذكر كتاب الاستاذ الرفاعي الذي انتسخه وطالعه في تلك الايام ، هذا الموضوع فظلمت ابيّن له ما اعرف ، حتى ادرك الحقيقة ، واظنه قال : ان هذا هو المظنون بأولئك الناس ، او مثل هذا الكلام ، وهكذا القلم ماجرى في شيء الادعاء اليه افكار المطالعين الجفلى ، حتى يستكشفوا ما هناك من خبايا .

ثم ان الوالدة بعد ان توفي الوالد : ٢٨ - ١٢ - ١٣٢٨ هـ وقت بوعدها ، فلم تصغ الى من يعرضون لها بان لاتتد شبابها ، وكل ما فعلت ان اقترحت ان تخصص لها شقة من الدار لتنفرد فيها بصبيتها الخمسة ، اكبرهم هذا العبد الكاتب ابن عشر سنين ، واصغرهم الاستاذ ابراهيم ابن خمسة اشهر ، فلبست للحداد لباسه ، ثم ولت للتبتل وجهتها صابرة راضية ، فاذا زهرة شبابها تذوي بسرعة ، وصعدتها تنحني الى الامام من آثار ما لا بد ان تلاقيه وهي ايم لها صبية صفار ، ربما لاتجد كل ما يحتاجون اليه في كل وقت في (الخ) ، ولذلك ربما حفزها حافز ، فطلبت النقلة الى زاوية المعدر ، لتمضي فيها ما بقى من عمرها ، فقد وقفت على مراسلة للاستاذ سيدى محمد بن مسعود المعدر في ذلك ولكنها هدأت نفسها بعد . واقلعت عن تلك التنية ، فلزمت السكون ، حتى دب اليها ما يدب الى كل حي .

مراسلات الاستاذ ابن مسعود

كان العلامة محمد بن مسعود ابن خالة هذه السيدة المترجمة ، ولذلك فاتحته في هذا الذي كان خليج في ذهنها ، وهاك ما يتعلق بذلك .

الرسالة الاولى

الشيخ الاعز الاصيل ، ذو الفخر الجليل ، والمجد الاثيل ، مولانا ابو عبد الله سيدى محمد ابن الشيخ الاكبر العارف الاشهر ، القطب الربانى الغوث الذاتى الحقانى ، مولانا ابي الحسن سيدى الحاج علي بن احمد الاثنى رضى الله عنهما وعنا بهما ، وسلام على السيادة العلية ، ومن تعلق بها اهلا وصحابا ، ولازائد بحمد الله الا الخير .

هذا وقد وصلنى هنا كتابة للسيدة زوجة الشيخ بنت الفقيه الادوزى ، حاصلها : انها اشارت الى استشارتنا في النزول الى سكنى زاوية الشيخ بالمعدر وذكرت ان الشيخ رضى الله عنه ، كان اشار عليها في حياته بذلك ، فاجبتها باننا لانكره ذلك ، بل احببناه وفرحنا به ، واشرت عليها بالتثبت وعدم العجلة وادامة الاستخارة ، ولم ازد لها على ذلك ، غير انى قلت لها : متى عزمتم على النزول ، فارسلوا الينا لنهيه الفراش والاعوية .

هذا حاصل ما كتبت به الى ، وحاصل ما اجبتها به ، وسيدنا ينظر في ذلك ، فنحن لا يظن بنا اننا نستقل احدا من اهل بيت الشيخ رضى الله عنه ولكن نحب ان لا نبخل عليه بما ظهر من النصح ، فان تيسر اعمال مقتضاها ، فذاك ، والا فالخير فيما فعل الله ان شاء الله ، فالذى حضرنى الان ان الاولى ان يتنازل سيدنا بما أمكنه الى الغاية لجميع من فى الدار ، فانهم عيال سيدنا النسخ الاكبر ، والبرور بهم برور بالشيخ ، والرفق بهم والاحسان اليهم والمواضع لهم ، والرحمة لهم ؛ والشفقة عليهم ، وتحمل اذاهم ومعالجة تباين امالهم ، واشارهم على النفس ؛ والتحليل بكل ممكن فى ستر احوالهم وجمع شملهم ، حتى يبلغ الذكور ، ويقوموا على انفسهم ، كل ذلك من طاعة الشيخ والدكم رضى الله عنه ؛ وما علمت ان يسره لو كان حيا ، كان يتأكد عليك السعى فيه بجهدك وجهدك ، وما علمت انه يسوء لو كان حيا فى حقهم ، وحق غيرهم ، يجب عليك اجتنابه بالكلية ، والتوصل عما وقع منه ، وارضاء من اسخطه ؛ ممن كان من جانبك ، حتى يزول ما فى خاطره ، ولو بالتطارح عليهم وتبديل رؤوسهم واقدامهم ، والتباكى بين ايديهم ، حتى يرقوا وتزول حزازة صدورهم .

فهذا وامثاله هو الدال على كمال عقل سيدنا ايده الله ، وصلاحيته للخلافة المعنوية ، والقيام بأمر طريقة الشيخ ، رضى الله عنه ، وهو الذى يسر الصديق ويكبت العدو ؛ والعكس بالعكس ، فليحذر سيدى ان يسمع عنه سادتنا الاخوان ، وجميع من له أدنى انتساب الى الطريقة ، انه اخل بشيء مما يجمع قلوب اهل الدار عليه .

وقد كنت وصلنى على يد بعض الثقاة اهل الصدق من الاخوان ، خبر بانسكا السيدة المذكورة بشيء من غليظ الكلام ، صدر اليها من سيدتنا جدتك عن قبل الام ، اعنى الغشائية ، وقد قالت لها فى جملة ذلك : ان كان لك دار ، فالهفى بها ، او ما يقرب من هذا ، هذا بلغنى ممن اجزم بصدقه ، من خاصة الفقراء بحيث انه عندى محقق كالشمس ، فمثل هذا لا ينبغى اهماله ولا الساهل فيه ، بل يليق ويتأكد كالتحتم ، ان تلقى بالك ، وتصرف حظا وافرا من تيقظك وتنبهك الى جميع امور الدار ، وتباشر تفاصيلها بنفسك ، وتسند من الدرائع ما يخشى انفتاح الشر باهماله ، واتساع الخرق فى شأنه ، وذاكر النساء فى شأن التواضع لبعضهن لبعض ، والصبر والحلم والفتوة ، والصفح عن العثرات ، وامثال ذلك ، واعمل وجوه النظر والفكر ، لينصلح به امر عيالك ورعيته ؛ وفى الحديث : كلكم راع ، وكل راع مسؤول عن رعيته ، وابتهل الى الله تعالى فى اصلاحهم ، وتأليف قلوبهم ، واحتل لهم بالرفق واللطاف فى الحضور الى مجالس الذكر والوعظ ، واقم المجلس بحاله المعهود فالنار لا يطفئها الا الماء ، اترى ان سيدنا الشيخ الاكبر رضى الله عنه ، كان

انقاد الاخ سيدي محمد الى ما اوصاه عليه استاذاه ابن مسعود ، فعزل لها اولادها دويبة خاصة ، فكانت تشكره دائما على ذلك ، وتقول : ان محمدا ربح مني حين حال بيني وبين مخالطة النساء ، ثم انصحتها انهدت في سنين قليلة بسرعة ، فانتشبت فيها ادواء ، فحفرها مجموع ذلك الى ان تخلص وجهها لله ، وقد اخبرتنني الشقيقة فاطمة التي تلازمها دائما انها تعودت ختم القراء في كل اسبوع ، وتتحنن بالختم يوم الجمعة ، قالت : فتجمعنا حواليها اذذاك فسممنا بالدعاء ، هذا وانى منذ : ١٣٢٩ هـ قد التحقت بالمدارس ، وما كنت اسحضر من احوالها كثيرا ، ولذلك تراني انقل عن غيري ، وما كنت ألم بها الا في العواشر ، فكانت كلما راتني تناولت كتابا للمطالعة - هبه الف ليلة واما الذي هو اول كتاب طالعت في ابتدائي - تجلس الى ، وكلها سرور حين تطلع الى امانيتها في ، وقد استحضرت انني سهرت ليلة في تلاوة قصة عيسى وغريب المشهورة في ذلك الكتاب ، فقالت : الحمد لله الذي احياني حتى رايته ولدي يسهر على كتب العلوم مطالعة ، وسمعتني مرة اسرد من كتاب هدوت لبعض الفقهاء في رمضان ، تشبها بالشيخ الوالد ، واسر لهم ما فيه فحين دخلت اليها ، لاقتني ؛ وهي ترفرف فرحا ، غير انها التفتت الي : التي اسرع في كلامي ، حتى لا يكاد السامع يفهم خطابي ، كما التفتت علي مرة اخرى انني اسرع عند تلاوة الدعاء ، فقالت : ان الثاني هو حلاوة الكلام ، فلما تكلمت هكذا تنفدتني ، على حين انها تستبشر بما يخيل لها انني فيه كما يحب .

كنت طالعت من كتاب ترجمة الجيلاني البغدادي كثيرا من اخباره ثم سافر لي سفر الى حوز (الحمراء) اواخر سنة ١٣٣٦ هـ فقلت لها : يا امي ، اطلب منك ان تهينني لله ، كما وهبت ام مولاى عبد القادر ولدها لله ، فقالت اني اهب منك كل ما املكه لله ، فليكن الله في معونتك يا ولدي ، غير انني اطلب منك ان لا تنقطع عني ما دمت حية ، وكنت اذذاك اظن انني بتمثيل هذا الدور اصبح كالجيلاني ، وتلك بعض خطرات الصبا التي لا تؤسس الا على الاماني والمحاكاة ، ثم وفيت لها بطلبها ما استطعت ، فكنت اقطع ما بين الحمراء الى الخ ذهابا وايابا في اكثر من شهر على البهائم ، ولكن اصحاب والدي في الطريق يجعلون هذه السفرة الطويلة الشاقة كأنها نزهة من النزه حين يمر بهم ولد شيخهم فيفرحون به ، ويكرمونه بكل ما في وسعهم ، ثم يرشدونه الى ما يعرفونه من طرق الخير

في سنة ١٣٤١ هـ زرتها فرأيتها تمشي مقوسة نحيلة ، ووراها حفيدان لها : بنت للحبيب الاخ ، واخرى لفاطمة الاخ ، فقالت يا ولدي : انه قد

يفعل ذلك كله عبثا ، كلا ، فما الصق زاوية النساء بمحل ذكر الفقهاء الا لذلك ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله اكبر ، وكل ما لا يحبه الله تعالى ، ومنه سوء الشحنة بين العيال ، والتباغض والتحاسد والتدابير ، فهو من المنكر ؛ ولا بد من اعتناء سيدنا ايده الله بهذا الامر وتشميره عن ساعد الجعد فيه ، بما ذكرنا من صرف الهممة الى مجلس الذكر ، واقامة الواعظ ، وتوجهه بصفو لبه الى حضرة ربه ، والسعى بغاية جهده ، في اصلاح ذات البين لكل من في دار والده رضى الله عنه ، فهذا كله من طاعته المفروضة عليه فان سكن ما تشوش منهم فذاك والحمد لله ، وان عزمتم السيدة ابنة الفقيه الادوزي على ما ذكرت ، وصممت عليه ، فلا تمنعها قهرا ولو بالتهديد ، وكل امرها الى الله تعالى ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، واما اولادها الذين يقرأون فهم في نظرك ، فانظر ما يصلح بهم ، ليس لها ان تذهب بهم الا برضاك ، الا ان لها ان يزوروها في نحو العواشر ، هذا هو حكم الشرع بعد تعذر الارضاء والله تعالى من فضله ياخذ بأيدي الجميع ، ويتولانا واياهم امين ، وذاكر في هذا كله في هذا كله الاخ سيدي سعيدا الثاني ، فان ظهر له حيلة او وجه ، فاستعن به ، والله المعين ، ولا بأس ان نرى كلامك بعد ذلك ، والسلام .

في اواخر ربيع الثاني سنة : ١٣٢٩ هـ عبيدكم : محمد بن مسعود

الرسالة الثانية

وقال من رسالة اخرى في مثل هذا التوجيه ، تقدم بعضها في ترجمة سيدي محمد الخليفة في (الجزء الثاني)

(واما امر السيدة الادوزية ، زوجة الشيخ الاكبر ، رضى الله عنه ، فانظر ؛ وذاكرها انت بنفسك ، واعزل لها دارا ترضاها واجبر خاطرها جدا وان طلبت حضور احد اخوتها لذلك ، فارسل اليه ، وان لم تطلبه فانت كاف والسلام .

وقد طال الكلام ، ولكن في بسطه شفاء للنفوس كما قيل :

ما ناصحتك خبايا الود من رجل ما لم ينلك بمكروه من العدل وليعذرنا الشيخ ، وليدع معنا ، فاننا والله نحب له كل خير والسلام) نعم اعزل للسيدة الادوزية كل ما ترضاه من متاعها ، وحظوظ اولادها من الفلة ، وافعل معها ما تحب كله ، مما يقطع العلة بينها وبين بقية النسوة وقل لها : انا خديمكم داخلا وخارجا في الحطب والبهائم وغيرها ، والشيخ كان كم يمت ، فهذا هو الذي يرضاه الله ، والشيخ منك سيدي ، والسلام

* * *

حان الوقت ، وقرب الاجل ، فقد كان عهدى بام ابيك - تاكدا - فارقت الحياة حين كنتم يا احفادها تتبعون خطواتها ، كما يتتبع هذان خطواتى ، ثم تطلبت منى ان ارسل اليها بعض ما تحتاج اليه فى نقلتها من هذه الدار الى تلك الدار على عادة كثيرين من أهل بلادنا الذين ينتظرون اليوم الاخير ، من تهيتهم للكفن والحنوط ، ثم رجعت انا الى الحمراء ، ولم الق لكلامها هذا بالا والشباب مطية الجهل ، وكل من كان فى مثل سن العشرين يغمى عليه ، فلا يدرك الحقائق حتى تنطحه بقرونها .

تلتحق بالرفيق الاعلى

فى يوم من ربيع الاول سنة : ١٣٤٢ هـ وأنا جالس فى بيت احد اصدقائى فى المدرسة اليوسفية بالحمراء ، حمل الى البريد رسالة ، ما كدت أفصحها حتى سقطت من هول ما قرأته فيها .

كتب الى استاذى سيدى سعيد التناى رحمه الله تلك الرسالة يعزىنى فى الوالدة ، ولكن ليت شعرى هل عبارات المعزين هى التى تسلى القلوب المرزاة بالكوارث الجلى ؟ او تطاول الازمنة ، هو الذى يقسمد الجراح ، ويمسح ما فى قلوب المحزونين .

لا يزال ذلك النهار ماثلا بين عيني الى الآن كما لا يزال مثله ماثلا بين عين كثير من القراء الكرام ، وكان الوقت وقت العصر ، فسفحت العين ماسفحت ، واجرت الانفاس الزافرة ما اجرت ، فخرجت مع صاحب لى هناك الى (الباب الجديد) حيث نتبذ عن جلبة المدينة ، وضوضاء ازقتها ، فصرنا بعد ماسكتنا طويلا نتحدث حول هذا المصاب العظيم على ، فلم البث ان ملت الى اليراع ، وأنا على شفير جدول هناك ، فاملت على لسانه مفتتح هذه القطعة فى ورقة صغيرة فكنت كلما ازددت شطرا ، أحس باننى استرد من حياتى التى كنت اضللتها منذ حين شطرا ، فأنتمتها ، فكان من العجب ان بقيت فى مبيضتها بين اوراق حتى وقعت عليها ، وأنا فى هذا النقى الذى لا يقل رزه عن ذلك الرز ، وهكذا ترد الصدور الاعجاز حتى فى الماسى - ولله الامر من قبل ومن بعد -

وهالك ما قلت اذذاك على ما فيه ، فاقرا وارق فى درج الجناس ، حتى تتم مراقى الابيات امامك ، لتعرف كيف ينظم المختار سنة : ١٣٤٢ هـ :

عجبا لنفسى لا تدوب صفاتها
طلعت رسالة نعيمهم فتناثرت
ما فى عبارات الرسالة غير ما
ما كدت اقرا ما بها حتى همى
فرقت زفرة ما يؤجج من غضا
والام قد وردت على نعاتها
من آدمى الحمراء منظوماتها
تمرى به من اعينى عبراتها
دمعى فكادت تمنحى جمالاتها
فتهيج ما بين اللظى زفاراتها

لو لم ارحزها امامى سرعة
فكانها ينحو الاسى بسطورها
فكسبه نوناتها ، وسيوفه
كلم الفؤاد بلفظها فكانما
باليتنى ما كنت اسمع قبل ذا
او ليتنى ما كنت ابصر على
رز عظيم ما اصببت بمثله
ومصيبة جلى وكارثة لها

* * *

امى وما امى ، فقدت بفقدها
امى وما امى ، فقدت بموتها
باليت انى من يموت فداءها
من ذا يقابلنى برحمى مثلها
من ذا يشجع للمعالى همى
من ذا يحثنى الى قطف العلو
اه على امى الشفوق فليتنى
عظما تجلبنى به شفقاتها
من كان لى كل النعيم حياتها
كيلا يجرعنى السموم مماتها
وهى التى تنهل لى رحماتها ؟
وان اعتلت وتناولت هاماتها ؟
م وان خير المجتنى ثمراتها ؟
جاءت نعاتى حين جاء نعاتها

هذا ما شيعت به تلك الوالدة ، حين جرعتنى ما جرعتنى بشكلها رحمه الله

بعض فوائدها

قد كنت استفدت منها بعض فوائد ، نذكرها لا لعظم فائدتها ، بل لبقاء آثار تعليمها رحمه الله وجعلها فى الفردوس بفضلها
منها : انها انشدتنى هذين البيتين ، وكررتهم على حتى حفظتهما من
املائها ، وهما مشهوران :

ان النعاس والكسل احلى مذاقا من غسل
ان لم تصدقنى فسل من كان قبل قد كسل

انشدتهما لى فى معرض استنهاض همى ، وترك النوم والكسل جانبا ، ان اردت ان تكون حقيقة رجلا عاملا .

ومنها : ان من اراد ان يستفيق فى أى وقت شاء من الليل ، فليقرأ بعد ان يأخذ مضجعه ، ويجعله آخر كلامه : آيات : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس ٠٠٠٠) الى تمام سورة (الكهف) علمتنى بالله لا نسى الا فى من العلم ما الا فى ان لم استغف سحرا ، وهذه الفائدة ذكرها بعض المصريين ومنها ان التوكل تقرأ عليه آية : (لم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم

الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا) تقول ذلك وانت تدبر به اصبعك ،
وتكرر لفظة (موتوا) ثلاث مرات .

ولها رحمة الله عليها تمكن في الذي يحتاج اليه من فقه العبادات بلسان
السلعة ، ويد لا تعرف الا ان تناول بيدها كل ما في متناولها كرما ، وقد
سمعت سيدى ابا بكر بن عمر يقول كنا نحن المتجردين ، لانجروا ان نتطلب
ما نتوقف عليها الا منها ، لعلنا بسماحها بكل ما تملك . وختاما : هذه حياة
والدتي اكتبها متحريا ان لا أقول الا ما اعلم ، ولازكيها ، فالعلم الحقيقي عند
الله ، الا اننى احسن الظن بها .

(ووصينا الانسان بوالديه حسنا ، حملته امه كرها ووضعته كرها ،
وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ، حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة ، قال رب
اوزعنى ان اشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى وان اعمل صالحا ترضاه
واصلح لى فى ذرىتى ، انى ثبت اليك وانى من المسلمين ، اولئك الذين يتقبل
عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم فى اصحاب الجنة ، وعد الصدق
الذى كانوا يوعدون)

مريم الصحراوية

نحو : ١٣١٦ هـ = نحو : ١٣٥٧ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مريم بنت محمد سالم بن عبد الله بن احمدادو ، من قبيلة آل سالم
السهورين بالعلم من اجيال الى الآن ، وفى اسرتهم علماء كبار يدرسون ويؤلفون
وقد توفي من يسمى منها غارى ، ولايزال منهم علماء احياء الآن : ١٣٧٨ هـ
مريم هذه قرينة محمد سالم بن عبد الفتاح الشاعر العلوى الشنكيطي
المقيم الذى سكن باهله فى الغ ، بعد : ١٣٥٠ هـ ماشاء الله ، فكانت هذه
السيدة العالة ، حين نزلت مع زوجها فى (الغ) تعلم بنات آل الحاج صالح فى
دار الاستاذ سيدى المدنى بن على ، فذكر لى عنه ان لها وراء اتقان حفظ القرآن
بدا حسنة فى العلوم ، وكان لها فى تلاوة كتاب الله العجب العجائب بغنتها
الصحراوية الخلوة

شهدت نساء دار الاستاذ انها تبقى كذلك طوال الليل ، وفى الاسحار ،
يقان : نذرها كذلك عند نومنا ، وان تاخرنا عن المنام كثيرا ، ثم نجدتها كثيرا
عند الماقتنا عند السحر ، ولاندرى متى تنام ، وقد اعتنت باولادها وبناتها
فى التعليم .

احوالها

كانت السيدة (ماحا) والدة الشيخ النعمة ، وزوجة الشيخ ماء العينين
والله كبرية محصلة ، مشاركة مشهورة بالتفنن ، فاتصلت بمريم هذه ، فربتها
وعلمتها . واخذت عنها حسن السميت والاخلاق الطيبة ، فكل ما ذكرناها به
من التلاوة والتهجد انما حصلته من السيدة التى ربته وعلمتها ، ثم زوجها
الزوج المذکور ، حين لازم ولدها الشيخ (النعمة) ووالدة محمد سالم خالة
الشيخ النعمة ، ولذلك زوجته بهذه التى ربته .

ومما يتعلق بالسيدة انها ضيفت يوما انسانا ، فقال زوجها بسبب ذلك
قطعة ليس عندنا الا مطلعها :

ماذا تحاول ويحها لك مريم ولضيفها فى الناس ضيف مكرم
هذا ما سمعته عنها ، وقد انتقلت مع زوجها عن (الغ) اواسط سنة ١٣٥٥ هـ
الى (نادلة) فى زاوية الشيخ سيدى ابراهيم ابن البصير ، لتعليم بناته ، وهو
ساكن فى قبيلة ايت عياط ، ثم انها توفيت هناك فيما بلغنا اما فى سنة
١٣٥٦ هـ واما فى التى بعدها .



الفصل الثالث

في الوقاويين

وفيه من الرجال

العلامة الحاج مسعود الوقاوي الشهير

النوازي سيدي محمد بن مبارك

الفقيه سيدي الحاج احمد نيت اوبريك

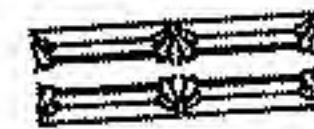
النقيب سيدي احمد بن مبارك

القاضي سيدي احمد بن ابراهيم الوقاوي

الفقيه سيدي عبد الله بن احمد نيت اوبريك

النقيب سيدي مبارك بن احمد العكيدى

الرئيس الشيخ ابراهيم الوقاوي



سيدي الحاج مسعود الوقاوي

٣ - ١٢٩٥ هـ = ليلة ١١ - ١ - ١٣٦٦ هـ

نسبه :

مسعود بن احمد بن ابراهيم

واله يسمون (آل تاعدويت) ، ويقطنون قرية (دوتمثروت) وهي مسقط رأس هذا الامام الكبير ، العلامة الشهير ، احد مفاخر (الغ) الخالدة ، والفد المبرز في التدريس والتخريج في عهد اقرر فيه من التدريس ساحله ، وعريت افراسه ورواحله ، يقبل كل علماء سوس الباقون على خويصتهم ، وقد لووا الرؤوس تحت الاجنحة ، فيقبل هو على محافل التعليم العربى وفنونه المتعددة بهم مرفرة الاجنحة ، فسبحان من قسم الحظوظ ، وصير كلا الى ما خلق له .

معلم للقرآن

أخذ القرآن في مدرسة (تازموت) عن الفقيه المعلم لكتاب الله ولقنون المعارف : سيدي محمد المافاماني العلامة الشهير ، بين علماء اسرته الماجدة ، وكذلك أخذه ايضا عن الاستاذ سيدي محمد المعروف باسم (كدرار) الجبيل من تلك الاسرة ايضا ، وأخذه ايضا في مدرسة (المولود) الرسموكية ، عن الاستاذ الفقيه المعلم لكتاب الله ، والمدرس في فنون شتى : سيدي مسعود ابن مسعود التيروكتى الرسموكى ، فعن هؤلاء جود القرآن واثقن حفظهم ورسمه

اساد تذا في الفنون ورحلته العلمية

افتتح الجرومية سنة : ١٣١١ هـ على يد العلامة الملحق للاحفاد بالاجداد ابي العباس الجشتيمي ، مفخرة جزولة ، فكتب له بيده المباركة : (الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع) ثم التحق بالاستاذ سيدي علي الاسكارى في مدرسة (تاهاالا) فاخذ عنه المبادئ النحوية والفقهية ، واتم عليه الجرومية واخذ عنه بعض رسالة القيرواني ، ثم التحق بالمدرسة (الايفشانية) وفيها الاستاذ الاديب الكبير سيدي العربي الساموكتى ، فصادف هناك لدته سيدي عبد الله ابن محمد الصالحى الالفى ، فكانا معا في طبقة واحدة ، في متون الابتداء ، فاخذ هناك (المرشد المعين) ومن (باب الاضافة) من الفية ابن مالك الى آخرها وبعض (الرسالة) ثم انتقل ١٣١٢ هـ الى المدرسة (الالفية) فربض فيها ازيد من اربع سنوات ، عند استاذيها ابي الحسن الالفى ، والتاجارموتى ، ثم انتقل

الى مدرسة (تاتكرت) الافرائية ، وفيها الاستاذ سيدى محمد بن على اكيك - الرعد - فتاير عنده عامين ، وفي سنة : ١٣٢٢ هـ غادر سوس ، فنزل فى مدرسة (اخليج) فى قبيلة وريكة ، عند استاذها العلامة سيدى الحاج على الوريكى ، فلزمه اربع سنوات تامة ، وزيادة ثلاثة اشهر وفى سنة : ١٣٢٥ هـ نزل فى الحرمين لاداء فريضته ، وللاخذ ، فجاور هناك سنة ، كان ياخذ فيها عن العلامة شيخنا شعيب الدكالى : الشمال والفية ابن مالك ، ثم رجع بحجتين ، وفى سنة : ١٣٢٦ هـ كان نحو خمسة اشهر فى (مدرسة سيدى حسن او حسين) الكيلولية ياخذ عن استاذها العلامة سيدى محمد بن القائد الكيلولى فيها بعد ما حج معه ذهابا وايابا ، وقد كان قليلا عند أبى العباس البوزوكى الكيسيمى قبل ان يغادر سوس الى خارجه

فهؤلاء مشيخة المترجم ، وهكذا كانت رحلته العلمية التى رجع فيها ريان بالمعارف ، متوجا بالتفوق ، مشارا اليه بالشغوف على الاقران ، أخذتها عنه من فيه

مشارطاته

كان اولي مشارطاته على يد الشيخ الالفى ، فقد قدمه الى القائد عبد المالك المتوكى اثر مارجع من تينك الحجتين المتقدمين ، فشارط فى قرية (بووابوض) دار القائد سنة ، وقد حكى لى ان الشيخ الاحسن البعقيل هذا الذى له اليوم شهرة كبرى فى الطريقة الاحمدية ، كان معه اذذاك ياخذ عنه ، قال وقد كان معنا فى (اخليج) فى مبادى اخذه .

ثم شارط بعد فى مسجد (تازانتوت) باد اوتنان مرتين ، وقد كان هناك : ١٣٣٠ هـ ثم فى مدرسة (ايت باها) بهشتوكة ، ثم فى مدرسة : (ايغيلالان) الى ان اسود ما بينه وبين الطاغية القائد محمد ابن الحاج الحسن الاينزكانى الكيسيمى فهرب الى هشتوكة ، فشارط فى مدرسة (ايكونكا) ، سنة ١٣٤٠ هـ وفى هذا الوقت جرت المكاتبة بينه وبين شيخه ابى الحسن الالفى فكتب اليه استاذة تلك الرسالة التى ذكرناها فى ترجمته ، وفيها القصيدة الطاهرية التى مطلعها : يا عجباً كيف يخشى النحاس مسعود وفوقه ظل لطف الله ممدود

ثم بعد افول نجم الطاغية راجع مدرسة (ايغيلالان) حيث تحيط به السعادة ، وتهمى منه سحائب المعارف الى الآن سنة ١٣٦١ هـ

اجازاته من اشياخه

اخبرنى انه مجاز من الشيخ شعيب الدكالى ، ومن الاستاذ ابى الحسن الالفى ، ومن العلامة سيدى محمد بن على اكيك ، ونص اجازة الاستاذ الالفى

وفيها الاجازة فى الطريقة ايضا :

حمدا لمن ادام بدوام المجددين ، روتق هذا الدين ، وذبح عنه بصوارم الامم العلماء المهتدين ، شبه الفرق الضالة ومختلفات المعتدين ، وجعل اتباع السنة النبوية لامراض القلوب شفا ، وانهل وعمل من وفق لخدمتها من بحور الفضل والمئة بما رق وصفا ، والصلاة والسلام بلا نهاية على من يسن سنة الاسناد ، وتلقاها الائمة براحة القبول دون جحد وعناد ، فقال صلى الله عليه وسلم : نضر الله امرا سمع مقالتي فوعاها ، وادها كما سمع فرب مبلغ اوعى من سامع ، وقال فى حديث اخر : ليبلغ الشاهد منكم الغائب وعلى اله وصحابة الاكرمين .

وبعد : فان الاجازة فى طرق العلم واسناده ، والانتظام بالرواية فى سلك من ارشدهم الله لاصداره وايراده ، قوم ايدهم الله لى مناقضة الملحد بنصرته ، وشوقهم لاملاء ادلة الدين والتحلى بنصرتهم ، مما سنه الاقدمون واكدوا عليه ، ويزكو به علم الرجل وما من الاستنباطات لديه ، وذلك وبسببه استجازنى علامة عصره ، ونبراس مصره ، مجبنا واخونا وولدنا وسيدنا الفقيه التقي ، والندب النقى ، زائر الحرمين ، ومحمود الطرفين سيدى الحاج مسعود بن احمد بن ابراهيم الوقفاوى ، صانئى الله واياه من المساوى فلما منه انى اهل لسلوك تلك المهامه الفيج ، وان الباع فى العلم والعمل به هديد فسيح

وعين الرضا عن كل عيب كلية كما ان عين السخط تبتدى المساوى والله يعلم انى لست من رجال ذلك الميدان ، ولأمن راضى نفسه الا هارة بالعلم والعمل او دان ، والامر كما قيل :

لعمرك ابيك ما نسب المعلى الى كرم وفى الدنيا كريم
ولكن البلاد اذا اقشعرت وصوح نبتها رعى الهشيم
لكن وجب لحسن ظنه اسعافه ، فاقول وبالله التوفيق ، وهو الهادى لسواء الطريق :

اجزنا اخانا المذكور بما اخذته عن اشياخى الذين فضلهم اشهر من ان يذكر ، وقدرهم يعرف ولا ينكر ، من جميع مقرواتي ومسموعاتي ، قراءة او املاء او اخذا او اذنا ، اجازة مطلقة عامة ، غير مقيدة ، فى جميع فنون العلم وكذلك اجزناه فى الطريقة الاحمدية الكتبية ، اجازة عامة فى جميع ما تضمنه كتب الشيخ رضى الله عنه ، وما استنبطه اتباعه الجهابذة من الاوراد اللازمة وغير اللازمة ، كما كان الاذن بذلك عن اشياخنا رحمهم الله ، ورضى عنهم وارضاهم عنا ، وذلك على الشرط المحرر ، والامر المقرر ، من كلمة لا ادرى فيما

الايامه المسؤول ، فانها للعالم جنة ، متى اخطاها اصابتها جنة ، وعلى ما قرر في كتب الشيخ من الشروط الواجبة والندوبة ، والتحل بالاخلاق المرغوبة ، والتخل عن الرعونات المذمومة ، والسير على النهج الذي سلكه المقدمون الاخيار الذين آتسهم الله بقربه واوحشهم من الاغيار ، رضى الله عنهم وعنا بهم ءامين ومنها آيات اجزت بها بعض الاخوان في الله كانت احق بهذه الاجازة المباركة واهلها ونصها :

هذا وان العبد ليس لما به حطت له اقداره اقداره كسرت به بظالة انى له لكن لحسن الظن منك رايته وطلبت كتب اجازة اطلاقها تروى بها عن جلة من شيخوخة وذكر ان لذك سرا بينا فاجزتكم المقرو والمروى عن واجزتكم سند الطريقة من ابى واليه من ركن الطريقة سيدى الـ وعليك تقوى الله فهى ملاك ما ودع الملاهى والمناهى واعتزل حتى ترى ريان من بحر الندى الـ صلى عليه الله ما هبت صبا وعلى صحابته الكرام وكل من

حليت اهلا من شغوف المقعد وزرت به اوزاره وسط الندى رفع بفعل فى التقى لم يوجد بابا وسلم نيل ذاك المقصد تغدو حقيقتها مجاز المسند غر ويروى عذبا القلب الصدى ما كان يخفى عن بصيرة مهتدى اشياخنا الاعلام للمسترشد عثمان للشيخ التجانى احمد (١) حاج الحسين سليل قوم مجد تبغى من الخيرات طول المسند (٢) متسمر متشوقا مجد الغد فياض من خير الخلائق احمد قصبت الى نجد قلوب المجد يقفو طريقهم ليوم الموعد

واوصى المجاز ونفسى بتقوى الله ومراقبته فى السر والعلانية ، والرضا بمقاديره الجلالية والجمالية ، فذلك ملاك الاخلاق الكمالية ، وعنوان سعادة الحقيقة الانسانية ، واوصيه ايضا بما فى آخر العهود المحمدية للشعرانى رضى الله عنه ونصه :

اخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم : الا نفعل عن محاسبة انفسنا فى جميع احوالنا ، لاسيما العلم والمال والعمر والجسم ، فمن حاسب نفسه هنا خف حسابه هناك ، وكان يسيرا ، ومن أهمل نفسه هنا طال حسابه هناك ، وكان عسيرا ، (الى ان قال آخر العهد) واعلم ان اكثر

(١) اخذت اولاً عن الشريف مولاى عثمان البلغيشى المراكشى ، ثم عن المقدم الاشهر الشيخ الافرانى رضى الله عنهم ءامين . انتهى من حاشية الاجازة .
(٢) الدهر

الناس اليوم عدموا مناقشة نفوسهم فى العمل بعلمهم ، ومناقشتها فى المال الذى دخل فى يدهم ، ومناقشتها فى انفاقه او امساكه ، هل يرضاه الله تعالى ام لا ، وكذلك عدموا مناقشة نفوسهم فى ذهاب عمرهم فى اللهو والغفلة والمعاصى ، فان كل وقت مضى ، يختم عليه بما فيه ، وكذلك عدموا المناقشة فى جسمهم ، هل بلى فى طاعة الله عز وجل او معصيته ، او نوم او غفلة او لعب ، فياطول وقوفنا والله فى تلك المواطن ، الا ان يتغمدنا الله برحمته .

واعلم ياأخى انه كلما كثر علم العبد ، كثر حسابه ، وكذلك القول فى المال والعمر ، فيسال العالم عن كل مسألة علمها ، هل عمل بها ام لا ؟ وعن كل درهم اكتسبه ، هل فتش عليه من حيث الحل ام لا ؟ وهكذا ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . انتهى كلام الشعرانى رضى الله عنه .

واسال من أخوة المجاز الا ينسانى من ادعيته المرضية ، لاسيما فى الاوقات المرعية ، فالله يجعلنا من عباد المتقين المخلصين ، ومن قبضة اليمين الذين قال فيهم : هؤلاء للجنة ولا ابالى ، ءامين ءامين يارب العالمين ، بجاه النبى وآله ، والتجاني وانجاليه ، وكتبه من اقر بتفريطه وافراطه ، فى الطاعات والمعاصى ، وشهد باجرامه الدانى والقاسى ، ذو القلب القاسى ، وسط ربيع النبوى عام : ١٣٤٥ هـ العبد الجهول : على بن عبد الله بن صالح

فاجابه المترجم بقوله من قصيدة لم يحضر عندنا الا هذا منها ، وهى نحو (٢٠) بيتا :

ايا شيخنا تقضى شمائلك العلا	على كل نفس ان تكون على ورد
لبست ثياب العز قدما وبعدها	خلعت بكتب الشيخ اكسية الكمد
وتاه النهى بوصله وتالقت	لوامع برق السعد فى ظلم الوجد
فلا تقنطى يانفس فالتشؤم بعدما	يحكم فى الانسان يعقب بالسعد
فبعد ظلام الليل فجر وبعد ان	يصيح غراب البين وصل على بعد
على اننى الرحمن احمد انه	تفضل بالنعماء عن سنن القصد
واخطرني فى بال شيخى من ارى	كتابته الترياق للالم الفرد

أحواله و اخلاقه واجتهاده فى التعليم

العلامة سيدى الحاج مسعود ، نادرة جزولة فى سعة الاخلاق ، فقد كان موطاً الاكتاف ، دمث الشمال ، ممتع المجالسة ، مقبولا من كل من يعرفه بالف ويولف . لاتجد لامن طلبته ولا من معارفه من الخاصة ولا من العامة من يمكن ان يزنه بقلته من فلتات المعاشرة ، فهذا الخال اسس لنفسه مجدا شامخا وشرفا مؤثلا ، وسيادة اوت العالم كيف يسود الانسان بنفسه ؟ وكيف يكون المعاصى بين الناس ؟ فان اهله لا يمتون الى السيادة العلمية ، ولا الى السيادة

القومية بشي ، فجاء بينهم كما يحيى البدر المنير ، بين دياجي الليل البهيم .
 قل للمشير الى ابيه وجده اعلمت للقمرين من اسلاف
 شرف العصامين صنع نفوسهم من ذا يقيس بهم بنى الاشراف
 استقبال حياته في قلة من متاع الحياة الدنيا ، وتقلب في المدارس على
 هذه الحالة ، وهو يصابر مفضى الحاجة ، ويجاذب الدهر حباله ، فان اراه
 الزمان كيف مجال الاضرار ، يريه هو كيف يكون صبر الرجال الاحرار ،
 فكذلك امضى فجر حياته في ميدان الصبر ، حتى نال اخيرا بركة الصبر ،
 جزاء موفورا (انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) .

كان يجعل بين عينه منذ ملك أزمة الفنون ، أن يمضى عمره في تعليمها
 فلم يزل يفي للعلم بوعده وعهده ، وهو يشارك الطلبة في كل ما تصل اليه
 يده ، حتى طارت له شهرة سارت مسير الرياح الاربعة ، وهبت اخبارها العطرة
 هبوب النسيم من حيث ما يطلع الفجر ، فتكون اخباره على السامعين سردا
 وسلاما فيفقدون عليه فيلاقون من جنبه وكرمه دفاعة تطيب لهم مقاما ، فهاهو
 ذا اليوم بعد أن انتصب الى التدريس ما ينيف على ثلاثين سنة ، يصدر عشرات
 ف عشرات من العلماء الاعلام ، الذين تقرر بهم عيون الاسلام .

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار
 ولا يزال على ذلك الى الان ، والطلبة عنده يصلون ما بين سبعين وثمانين
 في الوقت الذي نرى فيه كل مدارس سوس شاغرة من تلك الكثرة ، ونرى
 المدرسين يسرون الهوينى في ميادين التدريس ، فلم اعرف الان من يجتهد
 اجتهاد المترجم ، الا الاستاذ ابا العباس اليزيدي ، الا أنه مع اجتهاده ، واغراغ
 جهوده في بث جميع الفنون المتداولة بعزم ونشاط ، لم يواته الدهر كما
 واتى المترجم (وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) (ولا يقال لفضل الله ذا بكم)
 وملاك فوزه بهذه المثبة : اخلاقه الدمة التي تصيره محبوبا حبا جما عند
 تلاميذه ، وكرمه الجهم الذي لا يعرف فيه حدا محدودا ولا اقتصادا ، فلا يفتا
 يريش من التلاميذ كل من حص الدهر ريشه ، ويزيد على ذلك اقامة حفلات
 عامة لهم جميعا كل يوم خميس ، فيعطيههم ذبيحة او ذبيحتين ، وقد اعانه على
 كرمه اوقاف على ذلك المكان : (ايغيلان) الذي فيه المدرسة ، فان للمدرسة
 احباسا من عهد بعيد ، وله هو كذلك حظوة في الذي يزاوله من اسباب الثروة
 فيعود بكل ذلك على من معه ، هذا كله مع احترامه من كل من له سلطة على
 تلك الناحية ، فقد كان للبasha السيد الحسن بن ابراهيم التامري ، يد كبرى
 في احاطته بهالة متسعة من الاحترام والاجلال ، وقد أخذ عن الاستاذ كل اولاد
 البasha ، وكل اولاد اعيان من يجاورون تلك الناحية من حاحة وهوارة وهشتوكة
 وما اليها :

وقد كاد يلاقي عنتا بعد هذا البasha حين تعين في مكانه البasha ابراهيم
 الداحي فقد كنت اذذاك في (اكادير) فذكر لي هذا أن هنا فقيها يبيع احباس
 المدرسة ويبني بها الديار في (اينزكان) وسماه لي ، فقلت له : على رسلك
 فبنت له حال الرجل ، وانما سمعه انما هو دسياسة من حيلته ، فكان ذلك
 هو السبب حتى عرف قدره ، فاجله واحترمه ، ثم اهلك الله الرئيس الماسكيني
 الدساس وشيكا ، ولا ريب ان حسن طوية الاستاذ واخلاقه هي التي دافعت عنه
 مع مخالفته وكرمه .

فهذه هي الاسباب الطبيعية التي رفعت الى المنزلة التي نال فيها مانال
 من الشفوف ، واذا اراد الله بانسان مرتبة سنية ، هيا له اسبابها ، ومهدله
 طريقها .

وقد كان مثابرا على التعليم في جميع الفصول ، لا يعرف بطالة ، ولا يشغله
 شغل عن الدرس ، فانه يبكر الى المدرسة من داره بكور الغراب ، فلا يزال
 في موالاة الدروس الى ان تدهم العشية بظلماتها ، ففي ذلك امضى شبيبته
 وكهولته ، كما يمضى فيها اليوم شيخوخته ، ويتعهد الطلبة احيانا بالعتاب المر
 والتعنيف المبكى ، فيجلو ذلك عن النفوس ما عسى ان يصدى متصلها ، ويقل
 ارادها ويجعل فيها الى التكاسل متسربا ، والى عدم تتبع البحوث منفدا .

ما ناصحتك خبايا الود من رجل ما لم ينلك بمكروه من العذل
 محبتي فيك تاني ان تسامحني بان اراك على شيء من الزلل
 وله همة عليا ، وعزوف عن الدنيا ، واستنكاف عن زيارة ارباب الدنيا
 والاختلاف اليهم ، الا لضرورة تحوجه الى ذلك ، فقد حكى لي انه ما كان يصل
 السيد الحسن بن ابراهيم باشا (اكادير) الا في النادر القليل جدا ، مع أنه
 ممن يكبرونه ويشيدون بالثناء المستطاب عنه .

ان وجود مثل هذه الهمة السعودية العليا ، وانصرافها الى بث العلم
 في هذا الوقت الذي انصرفت فيه همم كثيرين من اتداده من العلماء عن بثه ،
 افضل عظيم على هذا الصقع السوسي ، فلو كان معه اناس يسرون بسيره ،
 ويظهرون بعزيمته ، لما وصلت العلوم بسوس الى هذه الحالة المخجلة ، فقد
 اثمرت المدارس ، وغيضت العلوم ، واصبحت قبائل كانت قبل ميادين العلماء
 اقهر من جوف الحمار ، فلا مفتي ولا مرشد ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، كان لم
 يكن بسوس قط اجتهاد شرق ذكره وغرب :

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر

أما ما وقع له مع القائد محمد ابن الحاج الحسن ، فقد سألته عن جليته فذكر ان عونين وصلاه من عنده يوما ، فاتيا به ، فكلفه بان يذهب الى الاستاذ ابي الحسن الالفى فى قضية رسوم املاك تشاجر فيها مع ورثة محمد - فتحا - ابن عبد الرحمن الماسكينى وكان هذا رئيسا فى (ماسكينة) ثم خاف من القائد فهرب الى حيدة ، فخاس فيه حيدة العهد ، فاسره ومكن منه القائد ابن الحاج الحسن ، فقتله فى (انزكان) ثم فتك ايضا باخيه محمد فهرب اولادهما الى هواره فى ايلة حيدة ، فاستلقى القائد على املاكهم ، وادعى انه اشتراها من الذين فتك بهم قبل ان يقتلهم ، فتخاصموا فى المحكمة الشرعية عند قاضى (أكادير) سيدى عبد الله المراكشى ، - وكان عاميا جاهلا كما ذكره عارفوه - فادلى اولئك الورثة بفتاوى علماء مراكشيين ، فاراد القائد من يصحح ما كتبه له عدوله من كسيسة - ولم يكتبوا الا ما املاه عليهم - ولذلك بعث المترجم الى الاستاذ الالفى ، قال : فامرنى ان اذهب ليلا ، وبعث معى : ٤٠ قالبا من السكر ، وقلت له اننى لم اتها للذهاب ، وليس معى درهم واحد ، فسلف لي عشر ريال فقط ، فذهبت مرغما من غير ان يعرف احد اين ذهبت ، وقد خرجت ليلا ، ثم بعد رجوعى وقد مكثت فى (الغ) اربعين يوما ، حاول فيها الاستاذ تصحيح الرسوم ، فاخذ بطواهرها وصححها بنشره ثم نظم ذلك الشاعر سيدى الطاهر الافرانى - كما يوجد كل ذلك فى المجموعة (الفقهية) التى جمعتها قبل - فودعنى الاستاذ وبعث الى القائد حمل حمل من تمر جيد ، وملا لي انا حمل بقلتي ، فحين وصلت هشتوكه لاقيت انسانا لا يعرفنى ، فسألته عن اخبار كسيسة ، فقال : ان الناس يقولون ان القائد فتك بالحاج مسعود الفقيه ، وذهب بامة له صغيرة جميلة ، ثم لما وصلت كسيسة وجدت الامة اتى بها القائد من دارى فاعطانى ثمنها : ١٥٠ ريال ثم بعد استقرارى فى المدرسة بقليل قيل لي ان القائد وشى اليه باننى اعزم على ان اشتكى به على يد الوزير الشيخ شعيب الدكالى ، ثم بعث الى سيدى ابراهيم الركرامى ، ان لاجوم بعد بساحته ، فهربت مع الطلبة الى السويرة ، فنزلنا عند الحاج عبد الرحمن الحاحي ، المحتسب - المعروف بحاديهمان - وبعد ١٦ يوما خرجنا من هناك الى دار الباشا الحسن بن ابراهيم التامرى ، فلاقينا هناك سيدى سعيدا التنانى رحمه الله ، فمكثنا هناك ثلاثة ايام ، ثم الى اداوتنان ثم الى مشهد سيدى ابراهيم بن على ثم الى (الكنوات) ازاء تارودانت ، حيث ال ابن المصلوت، فوصل خبرنا اهل مدرسة (ايكونكا) فاتوا فذهبوا بنا اليهم فذلك هو سبب المشاركة هناك سنتين ، وقد ارسل الى القائد الكسيمي : (١٥٠) ريالا اخرى ، ولكننى لم ادخل فى يده ، ثم لم ينشب ان عزل فنفى عن بلده ، فاستقر فى مكانه

الباشا الحسن بن ابراهيم التامرى ، فهو الذى ردنا الى مكاننا هذا فى (ايغيلان) حيث لانزال الى الان ، قال وقد كنت فى مدرسة (اداو محمد) تسعة اشهر ، بعد (ايكونكا)

اقول : هذا ما كتبه عن الاستاذ فاه لاذنى ، وازيد انا ان جواب الالفين لم يرجع به الاستاذ فى الحين ، بل ارسل اليه بعد ذلك من اتى به ، فاراد الرسول ان يزداد توثيقا للفتوى الالفية ، بفتوى سيدى المحفوظ الادوزى ، فنزل عليه فى (ادوز) فادخل هذا الاستاذ الفتوى الى محله ليلا فصار ينقضها عروة عروة ، لانها لم تعجبه ، ثم مكن الرسول من الجميع ، فبات الرسول فى قرية فيها فقيه فقرا له ما حمله - وهو امى - فاذا فيها نقض للفتوى ، فاضطر الرسول الى الرجوع الى (الغ) لازالة النقض ، فحررت نسخة اخرى من الفتوى ايدها ، آخرون منهم مولاى عبد الرحمن البوزكارنى الذى كتب عليها (ليس فى الامكان ابداع مما كان) هكذا حكى لي جهيئة الاخبار سيدى الحسن ابن مبارك البعقيل الحكاية بتفاصيلها ، وقد عرفنا نحن ما كان بين هذا العلامة الادوزى وبين الاستاذ الالفى من مناقضات شتى فى قضايا متعددة ، وما هذه الا احداها ، فرحم الله الجميع .

ومن اخبار المترجم ما حدثنى به ان الشيخ الالفى هو الباعث الاكبر له على تمادى فى التعليم ، فقد كان والده من اصحاب الشيخ واتباعه ، وكان كرا ، فكان يبعث اليه الشيخ فى المدرسة (الالفية) ما يكفيه من الدقيق والادام والتمر ، قال : فان انس لانس مجىء الشيخ يوما الى المدرسة فى وسط نهار وقت حصاد ، فوجدنى وحدى مضطجعا فى الساحة ، وقد ذهب الطلبة لحصاد زرع الاستاذ ، فسألنى لم تخلفت ، فاريت دملا فى رجلى ، فاخذ رجلى فوضعا فى حجره ، فصار يفجر قيحها بيده ، وانا اكاد اذوب خجلا وانا اتعجب من بواضع الشيخ ودماثة اخلاقه ، قال وقد ركبت يوما على بغل فى رفقة الشيخ من (تاماعيت) الى (سيدى ابي السحاب) فركب الشيخ على بغلته ، وقد اردف وراءه احد الفقراء ، فاذا ببغلته عاثرة ، فصاح الفقير : يا الشيخ سيدى الحاج ، فالتفت اليه الشيخ ناهرا له ، يقول : ادلك على الله ، وتجعلنى انسا الاها تنادى باسمى ؟ افتعش البغلة بشيخك نفسه ثم تريد ان يفيتك انت ؟ وقد حكى لي تلاميذ الاستاذ انه كثيرا ما يحدثهم بهذه الحكاية ، وبان من اعاجيب احوال الشيخ انه ما دخل بلدة ثم خرج منها الا تأثرت به حتى الجمادات قال تلاميذه ، ولم نسمعه يكثر فى مجالسه ذكر انسان ، كما يكشر ذكر الشيخ ، وقد كان هو تيجانيا فى الطريقة ، ولكنه يتحامل عليهم ويرمى بهم بالفلو ، وكثيرا ما يرسل اليه السادة الاحمديون فى احدى اجتماعاتهم ، فيقول لهم : اننى لست منكم ، وهكذا بقى على فكرة الفقهاء متباعدة عن فكرة

الفقراء ، وكان كثير الانبساط في مجالسه ، وقاما يخلو مجلس من مجالسه من النوادر ، وقد حكى كمحدث بنعم الله عليه انه لما فارق الغ ليس له الا قميص كتان خلق ، وانه لما كان مشارطا في (تازانتوت) اشترط على اصحاب المسجد ان يكسوه ، قال : ثم داروا على التجار في النعال في سوقهم ليجدوا لي نعلا توافي رجلي هذه فلم يجدوها ، ثم يظهر رجله ، ويقول : انها اكبر من كل الارجل ، وقد كان حسن العهد ، لا ينسى اصحابه ، ولا ذكر اشياخه وقد سمعته يوما يحكى عن شيخه سيدي محمد بن علي اكيك ، انه بات ليلة عند فقيه بليد شارط في مدرسة فسأله البليد عن شروط قيام الساعة ، فقال له : ان منها كونك فقيه مدرسة لان في الحديث ، اذا وسد الامر الى غير اهله فانتظر الساعة .

كان أصيب بضيق في صدره في أيامه الأخيرة ، فلا يقدر ان يركب على السيارة ، بل حتى البغلة قد يؤذيه ركوبها ، وكثيرا ما ينزل مرارا بين (ايغيلان) و (اينزكان) ان تسوق السوق ، وتذكر انني كنت تواعدت معه ان نزور (تيدسي) لرؤية خزانها ، واشترط على ان لا يركب الا على بغلته ، فاذا به ارسل الى ان السيد عبدالسلام القيم على الخزانة رفض الزيارة ، محتجا بان فلانا الدرقاوي لا يدخل مقامنا نحن اصحاب مولاي احمد ، فقال لي الاستاذ : ارايت الان ما اقول لك عن هؤلاء القوم ، وقد كنت اردته عن ذمهم ، فيابسى الا الاسترسال فحين وجد هذا السبب الخاص اطلق لسانه كما يشاء وانا لاجد ما اردته به .

ومن عاداته ان يشفق على الطلبة ، وان ينفق عليهم من كل ما في امكانه ، ولا سيما على المجتهدين منهم ، وكثيرا ما يسرب سرا الى من يعرف فيه الهمة طعاما خاصا ، او سكرا او بيضا او لحما او شعيرا او دراهم ، ومتى كان الطلبة يحصدون زرعه على عادتهم فانه يدر عليهم الخيرات ، فما شئت من لحم وادام صباحا ومساء ، حكى لي بعضهم انه كان بكثرة الرافة عليهم ، لا يقدر ان يراهم يوم الحرارة في الغدادين ، فقد غشيتهم موجة حرارة بقتة ، بعد انقشاع سحاب فسعى حتى داناهم ، فصار يلوح اليهم بذيله ، فقال لهم ، لم تخلقوا لهذه المشقة ، ولكنه اذا اصبح احدهم نائما عن الصلاة وعن الصبح ، فانه يسمع الاحجار في بيته ، وخصوصا من النوافذ ، وكثيرا ما يملأ ذيل ثوبه بالاحجار فيتتبع النائمين بذلك يرمى ابواب بيوتهم بها ، والطلبة اذا كان يحترمون الاساتذة من قلوبهم ويحسنون فيهم الظنون ، ويصبرون لكل ما عسى ان يمسهم من جهتهم .

بيني وبينهم

كنت دائما اتعالى الى التعرف به ، منذ عرفت لامثاله اقدارهم ، وادركت لنظرائه قدر مساعيهم ، وذلك منذ نزلت بالجمراء للاخذ ، ولكن تتابعست

السنون وتوالت على عوائق ، حتى استقررت في البلد منفيا ، فلما سرحت وملكتم امر نفسي ، سافرت في ربيع الثاني : ١٣٦١ هـ فلاقيت المترجم في سوق الثلاثاء في المدينة (اينزكان) وقد ذكر لي انه ما تسوق ذلك النهار ، الا لاجل هذا المني ، فكان هذا التشریف منه لهذا العبد من المنن الكبرى ، فمضت لناسعة سابعة ، ملئت بالاستفادة من الاستاذ عن تقلباته في رحلته العلمية . وتتخلل ذلك انشادات مستملحة طيبة ، كانت تأتي باذني مناسبة ، واذا كان شاهدت من الاخلاق الاستاذ البارزة ميلة للمفاكهة والنوادر والمستملحات ، على عادة الادباء الاريحيين ، فمما قيدته عنه في تلك الجلسة المستمرة من نحو عشرة النهار الى ما بعد العصر ، البستان المشهوران :

زماننا كاهله واهله كما ترى
فسيرهم كسيره وسيره السى ورا

فذكر ان بعض من انشد البيتين ، كسر (زماننا) في حضرة بعض الامراء فاعل له في ذلك ، فقال والله لا كسرته كما كسرني ، ولا خفضته كما خفضني وانشد ايضا لابي زيد الجشتيمي ، وذكر ان الشيخ شعيبا الدكالي كثيرا ما كان ينشده بعدما سمعه :

كم من فقيه سفيه في تدبره فلا تلازم بين العلم والرشد
وانشد لمحمد شكرى ابن الشيخ ياسين حين ذكرت له القصيدة الغالية التي كانت لي في العصيدة :

ان رمت مني عصيدا ماله مثل له شروط بها قد يحسن العمل
الماء مني ومنى النار اضرها منك الدقيق ومنك السمن والعمل
الغرف منك ومنى الاكل اجمعه والشكر مني لما اوليت يا رجل

وانشد ايضا من الشقرونية في وصف العصيدة ايضا :

وهي اذا كانت من الدقيق افضل ما يوكل بالتحقيق
لكنه لا بد من تسمين كما آتى عن ماهر مكين

وانشد في الكسكسو :

افضل ما فى غربنا يلتمس من افضل القوت العجيب الكسكسو

وانشد ايضا :

خير المجالس خمسة او ستة او سبعة ومن الكثير ثمانية

وانشد للميرنى صاحب (الصفوة) في هذا المعنى :

واحسن اعداد الندامى ثلاثة الى الخمس وانف الزيد عنه اذا ظهر

وانشد وهو يذكر كبير السن ، وثقل السمع ، البيت الشهير :
ان الثمانين وبلغتها قد احوجت سمعي الى ترجمان
وانشد ايضا :

حاكي ابيه فلا غرو ولا عجب قوئه الشبل تحكى وثبة الاسد
قلن ترى والدا طابت مفارسة الا وبهجة تبدو على الوليد

وانشد ايضا بيتي ديوان الحماسة المشهورين :

اماني من ايل حسان كانما سقتنا بها ليل على ظما بردا
منى ان تكن صدقا تكن احسن المتى والا فقد عشنا بها زمنا رغدا
وانشد ايضا :

لك الثناء وان يذكر سواك به يوما فكا لرابح المعهود في البذل
وافضل منه قول ابي نواس :

فان نحن اثينا عليك بصالح فانت كما نشئ فوق الذي نشئ
وان جرت الالفاظ يوما بمدحنا لغيرك انسانا فانت الذي نعني

وانشد ايضا للشيخ فالح المدني من علماء الحرمين حين كان المترجم
هناك :

اعلموا انني مقيم وقلبي راحل بين ركبكم في الجمال

ومما كتبه اليه متوخيا السجع الذي يالغه ذوقه بعد مفارقتها ١٣٦١ هـ
«الدرس الذي هو من مفاخر الخ الخالدة ، والذي انتظمت في لبتة به
ماثر لن تزال طوال الدهر ما كان منها الطارفة والتالدة ، صاحب الشمائل
التي تفواح العنبر الشحري ، ورب الكرم المتدفق الذي لو شاهدته امواج
البحر لاتجرى ، سيدي الحاج مسعود الوقاوي ، ثم الايفيلائي :

على ذلك القدر السنني سلام كما ارجت تحت النسيم كمام
مقام به فخر العلوم بسوس اذ تدار به منها بسوس مدام
فلولا دروس منه اقرر ربها وضمت ذماء للعلوم رجام (١)
اديم لهذا الدين ينشر بنده وتنفذ منه في يديه سهام
وايدى السعود تستجيب دعاه ومقعد في المكرمات سنام

أبيات جاء عفا ، ولذلك تراها رهوا . اما بعد : فكيف مولاي ومجالسه
التي يستمتع بها مجالسه ، الايزال جلاسه يستمتعون منه بما كنت استمتعت

(١) الذماء بالفتح : بقية الروح . والرجام : القبورج رجم محركا

به منه تلك الساعة الممتعة ؟ التي قضيتها معه ، فانها زينة عمري ، وقلادة
عمري ، وميسم سعادتي ، واتمنى ان لاتنقضي معه جلستي ، لو ملكت ارادتي .

هذا فقد بلغت البلد فرجعت الى عشي ، وانكشيت في فرشي ، وفي
روابي كتب مختلفة ، وبين يدي مسرات مؤلفة ، فانا اغتبط في الخ بنعم
امر وان كنت اتعمد الانعزال عن قومي ، فاني اصبح امانا في سربي معافي
في بدني عندي قوت يومي ، نعم شاملة صافية ، وعيشة هادئة صافية ، اتول
الفوائد التي اقتبستها من مثل مولاي ، واجعل اتمام تاليفها يوما ما
منا ، وقد حررت في الاسبوع شبه رحلة (١) عن هذه السفرة في
اراريس ، تضم اخبار ما راته عيناي فيها من البلدان والمدن ومن عالم ورئيس
وربما تصل يد سيدي عند تخريجها من المسودة ، فينتقدتها فكره الباحث الناقد
البصير بما عنده .

يوم الخميس : ٤ - ٦ - ١٣٦١ هـ

ثم اجابني الاستاذ ، وقد تعرض لتمر اهديته اليه ، وقد باسطته في
الرسالة بان مقصودي ان يتذكر عهده في الصغر حين كان في اهله الوقاويين :
«من عبد ضعيف ، مقر بذنوبه لخالقه اللطيف ، مسعود بن احمد الوقاوي
الراجي من ربه غفران المساوي ، الى حبه جبر الاحبار ، وجهينة الاخبار ،
المعهود في مقدمة العلماء الاخيار ، من ذوى المكانة والاعتبار ، سيدنا ومولانا
والحينا الفقيه الارضي الوجيه العلامة ، الذي من دابه الاصابة فلا يقابل دائما
بعل ، م : سيدي محمد المختار ، المعتمد عليه في رواية الآثار ، وتصحيح اسانيد
الاخبار ، صاحب الفصاحة التي تزدى بسحبان عند انشاء الاشعار ، زيادة
من حلاوة وظلاوة ، يلين بهما قلب ذي قساوة

سعي معشر كي يلحقوه فبرزت به غرر مشهورة وعلائم
جعل الله مفناكم سيدي مغني الاحباب والاخوان ، سالما من طائف كل ذي
بهي وعدوان ، وسلام عليكم سيدي ورحمة الله وبركاته ، وعلى اولادكم الابرار
المعالين ان شاء الله من كل عثار .

هذا والحمد لله ثم الحمد لله على معرفتكم ومحبتكم الدائميتين ، المقتضية
ابدا الدعاء من الجانبين ، ثم ان ما بعث به سيدي النجيب ، من التمر الجنيب
قد اتصل بنا وحصل ، وفي حواصلنا حصل ، وقد رجع الى به الشباب ، وبلغت
به سماء صباى بلا اسباب ، فقد تذكرت والدكم الذي هو والدي ، وهو وانا
في المدرسة هناك اكبر موارد :

عطست بانف شامخ فتناولت يداي الثريا قاعدا غير قائم

(١) هي الرحلة الاولى من : (خلال جزولة)

وكيف لا افرح بتلك الكارم ، وقد قام بمنحها خازم وابن خازم (١)
 ساشكر عمرا ما تراخت منيتي ايدى لم تمن وان هي جلست
 وما احلى كل ما ذكر الشباب ، وبذكره يحصل له الاياب ، نعم اننى لم
 اكن الفت التمر كثيرا حين كنت بين اهلى من بنى وفقاوة ، اذ هم اهل قساوة
 فلا يتجاوزون منه مل المزاد ، وانما ديدنهم فى سعيهم : (ازل اود) (٢)
 فجزاكم الله يا اهل الاحسان ، جزاء موفورا ، وادام عليكم سرورا دائما وجبورا
 والسلام التام على اهلكم الكرماء ، واولادكم النجباء .
 تخيرتها للنسل وهى غريبة

وقد انجبت والمنجبات الغرائب
 ونب عنى سيدى فى تبليغ السلام الى اولاد المرحوم المقدس سيدى على
 ابن عبد الله ، وطالما انتظرت رسالة من سيدى الطاهر بن على تتضمن السلام
 والسؤال لمودة سابقة ، فلم ار اثرا لمودة سابقة ولا لاحقة ، ولعل العلة ما
 احدثك به ، وهو قول القائل المبين للهجر وسببه :
 اذا ما صديق قد تولى ولا يسه
 فكن قانعا منه بمعشار وده ولا تظمن فى الوداد الذى مضى
 وهذا من الكاتب مزاح ، فان احتمله فلا جناح ، والا فاطو ذلك بالسراج
 فلا تبده له يا صاح

ثم كتبت اليه بعد شهر ، احتة على ان يرسل الى ما توقفت عليه فى
 ترجمته ، وقد بعثت اليه بالرحلة المتقدمة وبرسالة : (وشى المطارف ، فى ثبوت
 الهلال بالخبر الرسمى من الهاتف) :

(عليك ابا العرفان ياخير مسعود
 سلام مشوق نحو حضرتك التى
 وعود امانى زيارتها فهل
 فانى من تدريه لا يطيبه عن
 السلام كنفع الزهر او عرفة العود
 متى ارها اصبح بها جسد مسعود
 اعيش الى ان اجتلى خير موعود
 هواه شراب الراح او رنة العود
 المدرس انذى شمس تدريسه فى سماء الجد والنووب ، لا يعرف فى سيرها
 خسوف او غروب ، والعلامة التى تتدافع امواج معارفه مطردة فى تموجاتها
 فى كل انحاء جزولة ، حتى غمرت والحمد لله سوسا كله حزونه وسهولة .
 بقية السلف الذى يعرف كيف يقضى عمره فى هتك سجوف الجهالات ، وعمدة
 الخلف متى طاف عوص او المت اشكالات ، سيدنا ومولانا وشيخ عصرنا سيدى

(١) قال اسحاق الموصلى :
 اذا مضى احمرء كانت ارومتى
 عطست بانف شامخ وتناولت
 (٢) اسع وهات .

وقام بنصرى خازم وابن خازم
 يداى الشريا قاعدا غير قائم

الحاج مسعود الوفقاوى ، الذى علت به وفقاوة ما لا يعلو اليه السعدان ، كما
 قلت برسول الله صلى الله عليه وسلم عدنان (١) وليس بذى شرف من لم يكن
 من شرفه لذويه طرف .

وبعد : فقد برح الشوق ، حتى ضاق بى الطوق ، وتناول الفراق ، فمتى
 يوم التلاق ؟ فقد كدت ازور تلك الجهة فى الشهر الماضى ، لولا ان فاجا المغرب
 ارهاد المدافع وابراق المواضى (٢) فرجعت من (ماسة) معرجا باقران حيث
 الفساحة والبيان ، والبلاغة تتلاعب بها اليدان ، فتويت فى دار شيخنا علامة
 العصر ، وبتيمة الدهر ، فرايت كيف يحافظ من العلم والادب والكرم الفياض
 على ما كنا نخاله قد غاض ، فنخوض كرما جما ، وادبا وعلما ، فدارت هناك
 اداسات كانها مغازلات ، وقواف ، كأنما يجول الحبيب على ماء صاف ، ثم ابت الى الدار
 فالتفت عصا التسيار ، مكتفيا من الاغتراب ، وقانعا من الغنيمة بالاياب ، فان
 لم يجد الحركة فالسكون ، وملازمة الوكون ، فان لم يكن ماتريد فارد ما يكون
 اما البلد وما اليه ، فلا زائد على ما يسر القلب ، ويهدد الجذب ، وعلى ما يمسلا
 بالاشراح كل سرب (٣) من طلائع الخصب ، فقد تواتر امطار هذه السنة
 مرارا ، فلم ير الجذب الذى كان يالف هذه الجهة حتى صيرهم بلاقع وقفارا
 الا ان يزعم الرحيل حين لا يرى لنفسه قرارا ، فقد اخضرت الارض وازينت ،
 وسملت الخ وتزينت ، فكانى بها بعد امد قليل ، وقد جرت ايام الربيع اذبالها
 والخرجت الارض اثقالها ، تنهادى كفاية رداح ، لعبت بها الراح وتجاذبها
 العساق بالراح :

ان هذا الربيع شىء عجيب
 تضحك الارض من بكاء السماء
 ذهب حيثما ذهبنا ودر
 حيث درنا وقضة فى قضاء
 وبعد : فقد تلقت اليدان : الرسالة التى ارسلها مولاي فى رمضان ،
 رسالة وما أدراك ما الرسالة ، اقراها فكانما تغازلنى متها غزالة ، بيان ارق
 من السحر الحلال ، وادمت من روض اريض ورفت فيه الظلال ، وبلاغة تستوقف
 الابصار من ادباء الامصار ، وتغلب الافكار ، بالمعاني الابكار ، ينبعث الميث من
 جزالتها ، ويحار الفصحاء من فصاحتها ، ويسجد عبد الحميد لبراعتها :
 شرك النفوس ونزهة ما مثلها
 للمطمئن وعقلة المستوفز

(١) قال ابن الرومى :
 هاوا ابو الصقر من شيبان قلت لهم
 كلا لعمري ولكن منه شيبان
 كم من اب قد علا بابن له شرفا
 كما علا برسول الله عدنان
 (٢) هجوم أمريكا على المغرب ، وذلك مذكور فى الرحلة الثانية من (خلال
 جزولة)
 (٣) السرب بالفتح فالسكون : الصدر

فلله در ذلك البراع السيال ، وعقد ذلك البيان المتلال ، فقد عرف كيف
ينفث ساحره في العقد ، بل درى كيف يزاد اسده على النقد (١) وقد اريت
الرسالة للاديب العلامة القاضي سيدى الطاهر بن علي ، فطار بهافرحا ، كأنما
تحسى بها قدحا ، وقد خامر ذلك المزاج قلبه بسرور فائض ، والممازجة بين
الادباء اكبر رائق ، فهذا جوابه في يد الحامل مثنى لافرادى ، وكاد يثلث
لو وجد فراغا وقرطاسا ومدادا ، كما في يده (الرحلة) التي جمعتها على وجهها
يوم الرجوع من عنديكم ، فان وقعت دون المدي فمن عندي ، او وافقت فمن
عنديكم والفضل للدر الناصع اللون ، لالسالكه في الاسلاك ، ولولا انواركم
لما هتكت يراعتى سجفا من سجوف الاحلاك .

لقد وجدت مكان القول ذا سعة فان وجدت لسانا قاتلا فقل
قليقراها مولاي وليعدها مع الحامل ، منبها على ما عسى ان يكون فيها من
زلل الانامل ، وكذلك الورقات التي معها في حكم ثبوت الهلال بالهاتف ، فقد
أبدت فيها ما عسى ان يرجع به المخالف ، فتأمل وانتقد بفكرك المتقدم ، فان
لكم ايها السوسيون جنائ وخياره فيه ، اذ كل جان يده الى فيه (٢) وحولكم
كل ما لفتت وجمعت ، ان اريد الا الاصلاح ما استطعت ، وعليكم جميعا التنبيه
على زلاتي ، فذلك عندي اعظم فائدة من المشيخة امثالكم فضلا عن لدائى ،
فالمرأتان تريان مما اختفى ، ما لاتريه مرأة واحدة في القفا ، واما ما لايزال
التسويق به ماطلا ، وكان مكان ترجمتكم في (المسول) به عاطلا ، فاحب من
سيدى المبادرة به مع الرسول ، فالتوصل به غاية السؤل ، مستوفيا كل ما
حولكم من آثار منكم واليكم ، ومن ذكر الدين اخذوا عنكم ، فاخوكم الان في
فراغ لسوس ، ولاعطر بعد عروس ، فللتعجيل بركات ، وللتاخير آفات .
وليرحم الله القاضي الروداني الذي كنت منه على وعد ، لاستوفى منه كل ما
اريد بعد ، فاذا بالحمام استاصل من ذلك كل مرام ، فرمست به آثار، وطويت
به اخبار ، فعل من يعتب وما على الدهر من معتب ، وهذه احدى آفات التأخير
فيرتد الطرف جد حسير ، فريما كان الثاني آفة من آفات العمل ، وكان
الحزم كل الحزم في العجل ، سدد الله الخطا ، وعصم من الخطا .

٣٠ - ١١ - ١٣٦١ هـ

(١) النقد محركا : صفار من الغنم

(٢) مثل قاله عمرو حين جمع الكماء فأتى بها أهله ، على حين ان رفقتهم
أكلت ما جمعت منها ، وذلك في حكاية (الزباء)

١١

الله فلا تد له يده الخير فما شاء فعل
سبل الخير اهتدى ناعم البال وما شاء افضل
السلام والرحمة على اخينا وصفينا الاتقى ، وحبيبنا الطاهر الانقى
الذي هو جلالته ، وصحة روايته ، المحقق البليغ بلا ريب ولا مرأ ، والمفلق الذي
مال المساجلة لدلوه دلاء الشعراء ، والمدقق الذي اطبقت على تقديمه في
العلوم سائر العلماء :

ففيه غيث وليث مسبل مشبيل
الذي المسبل المشبيل هو سيدنا ومولانا محمد المختار ، وارث هدى رسول الله
صلى الله عليه وآله ، المصون بفضل الله من الغاء كل من يلغى

فالباعث الاعلام بدوام المودة ، وبان ماوقع في شان رمضان من
الذي الناس في دخوله وفي انقضائه دام عندنا كذلك مدة ، فقد اضطرب
الذي هنا كبيرا وصغيرا ، حقيرا وخطيرا ، فمن قائل هذا اليوم عيب
الذي فيه بالخبز او بالفطير ، ومن قائل كيف نفطر ونحن لم نفع في
الذي على خير ، فاستوى العالم والجاهل ، والمتيقظ والغافل ، والمصيب
والضال ، والصناع والخرفاء ، والعلماء والزرقاء ، كل طائفة تخالف الاخرى
الذي يخبطون خبط عشوا ، فيتضاربون بالفتوى ، حتى ادهم الحال
الذي اوشاش الخرابيش (١) المكدين بالخنانيش (٢) وهكذا كثر
الذي صحة الحكم المنقول بالهواتف والبرق ، فلا يفرق المستفتى ما في
الذي من الفرق ، فتبارى الناس وتجاوزوا ، وتشاجروا وتناحروا
الا طعان الا فرسان عادية الا تجشؤكم حول التناير

* * *

اطرافه في مهمه اعمى الصوى بالجاهلين العمه

* * *

ثلاثة الاث فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها

ولم يذكر جرير الشاعر الثلث الثالث لطي جناحه اذ :

(من البغي سعى اثنين في قتل واحد)

(١) هي الكتانيش عند الشلحيين

(٢) يقصد بذلك جمع خنشة والخنائيش : الاكياس

فلله در ذلك اليراع السبيل ، وعقد ذلك البيان المتلال ، فقد عرف كيف
ينفث ساحره في العقد ، بل درى كيف يزأر اسده على النقد (١) وقد أريت
الرسالة للأديب العلامة القاضي سيدى الطاهر بن على ، فطار بهافرحا ، كأنها
تحسى بها قدحا ، وقد خامر ذلك المزاح قلبه بسرور فائض ، والممازحة بين
الأدباء أكبر رائض ، فهذا جوابه فى يد الحامل مثنى لأفرادى ، وكاد يثلث
لو وجد فراغا وقرطاسا ومدادا ، كما فى يده (الرحلة) التى جمعتها على وجهها
يوم الرجوع من عندكم ، فان وقعت دون المدى فمن عندى ، او وافقت فمن
عندكم والفضل للدر الناصع اللون ، لالسالكه فى الاسلاك ، ولولا انواركم
لما هتكت يراعتى سجفا من سجوف الاحلاك .

لقد وجدت مكان القول ذا سعة فان وجدت لسانا قاتلا فقل
فليقرأها مولاي وليعدها مع الحامل ، منها على ما عسى ان يكون فيها من
زل الانامل ، وكذلك الورقات التى معها فى حكم ثبوت الهلال بالهاتف ، فقد
أبدت فيها ما عسى ان يرجع به المخالف ، فتأمل وانتقد بفكرك المتقد ، فان
لكم ايها السوسيون جنائ وخياره فيه ، اذ كل جان يده الى فيه (٢) وحولكم
كل ما لفقت وجمعت ، ان أريد الا الاصلاح ما استطعت ، وعليكم جميعا التنبيه
على زلاتى ، فذلك عندى اعظم فائدة من المشيخة امثالكم فضلا عن لدائى ،
فالمرأتان تريان مما اختفى ، ما لاتريه مرأة واحدة فى القفا ، واما ملايزال
التسويق به مازلا ، وكان مكان ترجمتكم فى (المسول) به عاطلا ، فاحب من
سيدى المبادرة به مع الرسول ، فالتوصل به غاية السؤل ، مستوفيا كل ما
حولكم من آثار منكم واليكم ، ومن ذكر الدين اخذوا عنكم ، فاخوكم الان فى
فراغ لسوس ، ولاعطر بعد عروس ، فلتعجيل بركات ، وللتاخير آفات .
وليرحم الله القاضي الرودانى الذى كنت منه على وعد ، لاستوفى منه كل ما
أريد بعد ، فاذا بالحمام استاصل من ذلك كل مرام ، فرمست به آثار ، وطويت
به اخبار ، فعلى من يعتب وما على الدهر من معتب ، وهذه احدى آفات التاخير
فيرتد الطرف جد حسير ، فريما كان الثانى آفة من آفات العمل ، وكان
الحزم كل الحزم فى العجل ، سدد الله الخطا ، وعصم من الخطا .

٣٠ - ١١ - ١٣٦١ هـ

(١) النقد محركا : صغار من الغنم

(٢) مثل قاله عمرو حين جمع الكماة فاتى بها أهله ، على حين ان رفقت
أكلت ما جمعتها منها ، وذلك فى حكاية (الزباء)

هو ابى

أحمد الله فلا ند له يده الخير فما شاء فعل
من هداه سبيل الخير اهتدى ناعم البال وما شاء أضل
السلام والرحمة على اخينا وصفينا الاتقى ، وحبينا الطاهر الانقى
الملق على جلالتة ، وصحة روايته ، المحقق البليغ بلا ريب ولا مرأ ، والمفلق الذى
سلطت حال المساجلة لدلوه دلاء الشعراء ، والمدقق الذى اطبقت على تقديمه فى
شؤون العلوم سائر العلماء :

لا تحسبوا ان فى سر باله رجلا فيه غيث وليث مسبل مشبل
ذلك المسبل المشبل هو سيدنا ومولانا محمد المختار ، وارث هدى رسول الله
المطفى المختار ، الالفى ، المصون بفضل الله من الغاء كل من يلغى

وبعد : فالباعث الاعلام بدوام المودة ، وبان ماوقع فى شان رمضان من
اضطراب الناس فى دخوله وفى انقضائه دام عندنا كذلك مدة ، فقد اضطرب
الناس كثيرا هنا كبيرا وصغيرا ، حقيرا وخطيرا ، فمن قائل هذا اليوم عيد
فطرنا نفطر فيه بالخبز او بالفطير ، ومن قائل كيف نفطر ونحن لم نقع فى
لبوت العيد على خير ، فاستوى العالم والجاهل ، والمتيقظ والغافل ، والمصيب
والغائل ، والصناع والخرفاء ، والعمياء والزرقاء ، كل طائفة تخالف الاخرى
سرا وجهرا ، يخبطون خبط عشوا ، فيتضاربون بالفتوى ، حتى اداهم الحال
الى ان استفتوا اوباش الخرايش (١) المكدين بالخنايش (٢) وهكذا كثر
المخالف فى صحة الحكم المنقول بالهواتف والبرق ، فلا يفرق المستفتى مافى
حكم النقل بذلك من الفرق ، فتبارى الناس وتجاوزوا ، وتشاجروا وتناحروا
الا طعان الا فرسان عادية الا تجشؤكم حول التناير

* * *

ومهمه اطرافه فى مهمه اعمى الصوى بالجاهلين العمه

* * *

بنو حنيفة اثلاث فثلثهم من العبيد وثلث من موالىها
ولم يذكر جرير الشاعر الثلث الثالث لطفى جناحه اذ :
(من البغى سعى اثنين فى قتل واحد)

(١) هي الكتائب عند السليحيين

(٢) يقصد بذلك جمع خنشة والخنايش : الاكياس

فلو سكت الجاهل لارتفع الخلاف ، ولوجد في الناس الانصاف ، فمن الناس عندنا من لم يعيد الا يوم الثلاثاء ، اقتداء بانتمهم الاغبياء ، الذين اتخذوهم من دون الله علماء واربابا اولياء ، فينما ذلك المنكر من القول الزور (وشى المطارف ، اذ جاءهم منكم الاسد الكرار ، والغيث المدرار ، في مؤلفكم هذا المؤلف ، كما قال المبرد في الكامل : (ليس لقدم العهد يفضل الفائل ، ولا لحد ثانه يهتضم المصيب ، ولكن يعطى كل ما استحق) وكما قال عيسى عليه السلام : (قد جئكم بالحكمة ولا بين لكم بعض الذي تختلفون فيه) فصار ذلك المؤلف ينادى بقول القائل :

ايه ابا الشداد ان وراءنا احاديث تروى بعدنا في المعاش
كيف لا وصاحب هذا المؤلف الموشى ومزركشه ، لاتجده رضى الله عنه الا رادا (١) يعيش في الاوراق ، ساهر الآفاق ، حتى صار في الآفاق ، ممنوع اللحاق (سريهم اياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) ولهذا عزز ما في المؤلف بطرق القبول ، من معقول ومنقول ، المسلم لهم بالقبول ، فسارت حكم الفتوى بما فيه على ايدي الركبان مسير الدبور والقبول . فشرق حتى لم يجد ذكر مشرق وغرب حتى لم يجد ذكر مغرب * * *

ورائنا اياته فاهتدينا واذا الحق جاء زال المرء
وما منا الا من له مقام في الشغف به معلوم ، والحق معلن لا مكتوم : ترى المحابر والاقلام قد نضدت الى المساطير للتقييد والرقم
وما اجدر هذا الموشى ان يقال فيه : مثل ما قاله سيدنا ابو عبد الله ابن عبد الله الالفى ، في كتاب رآه عند بعضهم مطررا :
رخيص ذا الكتاب وما حوته مساطره ببذل صاع تبر وفيه اذا تصفحه حزين بكسر الجهل جبر اي جبر

وما نقله سيدنا وغيره عن الشيخ عيش من ثبوت الحكم بالآلات نقل الاصوات مسلم الثبوت من علماء السنة ، ولا عبرة بتأليف بل بتوليف شحنه مؤلفه باقاول كالتماثيل محاولا ان يرد على الشيخ عيش ومتابعيه بتلك الاباطيل ، والمؤلف تونسى ، وقد نسبت اسمه ، وقد نقض ما ذهب اليه صاحب هذا التوليف ، العلامة سيدى احمد البرزنجى المدنى ، فكان قوله مقبولا عند العلماء ، وكان كالسهم في نحور البلداء اللؤماء ، وقد تركته في الحرميين

(١) الراد : أصله : الرائد : الطواف ، والراة : الطوافة في بيوت الجيران

مطبوع ، ولذا ما اثبت به ، ولا بموضوع ذلك المنكر الموضوع ، لوقوع النهى عن اكتسابه والنظر فيه من المحاكم التركية ، ومن لم يفت بفتوى الشيخ عيش في فتاويه ، ولا بما في وشى المطارف الموشى بالاقوال المقبولة ، فهو (اعلوش) : - الثور - :

هل نحت العلوم من معادنها وما على اذا لم تفهم البقر
او هو (انكور) : التيس :

ساكنم علمى عن ذوى الجهل غايتى ولا انشر الدر النفيس على القنم
ولاتنس ياسيدى ومولاي جواب الفقيه ، سيدى محمد بن على اكيك عن سؤال من سألته عن اشراط الساعة ، والحمد لله ثم الحمد لله بلا نهاية ، على اسبابه نعمه علينا بوجودكم ، وبث علومكم في صدور الرجال والاوراق ، في هذا الزمان الذى احسن ما يوصف به قول القائل :

هذا الزمان الذى كنا نحذره فى قول كعب وفى قول ابن مسعود
ان دام هذا ولم تحدث له غير كم ييك ميت ولم يفرح بمولود * * *

والوقت كالمورود والناس القذى هل ساغ مشروب على اقدائه

وعلى كل حال ، لانخاف من الضلال ، حين تجددون الدين ، ولا تجديد الا بعلم متين ، وانتم من العلم بمكانة لاتنكر ، فلا تهملوا شكر فضل الله عليكم المظهر ، وقد سمعنا ان شمس سوسنا تعزم على الطلوع الى الحاضرة ، وعلى مراجعة ما كانت فيه قبل من الافلاك السائرة ، فان كان ذلك صحيحا ، الشمس تجرى لمستقرها ، واينما كانت فان كل وجه يكون مقابلها :

كالشمس فى كبد السماء فنسورها يغشى البلاد مشارقا ومغاربها
وان لم تحدث هذا العزم بعد يا علامة ، فبالله لاتقم علينا القيامة :

كل اليك مع الانفاس محتاج لو كان فى مفرقى الاكليل والتاج
وقال آخر :

وهل بين من يعطيك علما بلفظه ومن بكتابه يفيدك من فرق
والبيت كما انشدنيهم بعضهم :
وقال آخر :

فاخر فما من سماء للعلا ارتفعت الا وافعالك الحسنى لها عمد
واعدر حسودك فيما قد خصصت به ان العلا حسن فى مثلها الحسد

اما (الرحلة) فهي مع اخيها (وشى المطارف) نعمة سابعة ، وفى الكل حجة

بالغة ، فانا منهما بين الشمس والقمر ، وبين الثمار والدرر ، فان كانت
البغية في تحرير الفقه ، فوشى المطارف ، الذي لا يخشى متبعه المتألف فتحتل
المسامع والافواه بحليه وحلوائه :

راق لفظا ورق معنى فجاءت في حلاها وحليها الخساء
وان كانت المنية في مناقب الناس ، لامثال النسب ، فعلينا بالرحلة
التي تريك الغائب كالحاضر ، حتى كانك تشاهده وتحاضر ، فله مولاي وما
يكتب

«بقيت سليما لا تقابل بالردى»

فقد عصمت الرحلة من الرذيلة ، وسوء الكيلة ، فخلت من كل المثالب ، الا
ما اقتضته النصيحة العامة للمسلمين ، ورفع اعلام الهداية للمستهددين ، فلا
يوصف السنن بأوصاف المبتدع ، ولا يجعل في قرن واحد المتهور والورع ، وما
راء كمن سمع ، فذكر مساوى ذلك الهماز ، المشاء بنميم ، المتاع للخير المعتدى
الاثيم ، العتل الذي هو بعد ذلك عين الزنيم ، من فضيحة الحاضر للغابر ، ومن
اسر سريرة سيئة فضحته المساطر ، فماله في التاريخ من سائر ، فان اخطات
فيه النعمة ، فقد اصابته فيه النقمة ، (ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض
ونلعب ، قل استهزئوا ، ان الله مخرج ما كنتم تعملون)

عليه من اللوم سرولة فليس يرق لمستعطف

* * *

لعن الاله تلة ابن مسافر لعنا يشن عليه من قدام
فليدق المعتدى من وبال امره الان ، وليزدد امره اقتضاها يراه كل من له
عينان :

فلا تحسد الكلب اكل العظام فعند الخراة ما ترحمه
تراه وشيكا شكا استه كلوما جناها عليه فمه
اذا ما اهان امروه نفسه فلا اكرم الله من يكرمه
فلعله يجاب ، اذا كان يدور متكففا على الابواب :

فلم يبق فيه سوى عظمه وذاك لعمرى طعام الكلاب
فلا شك انه ان تاب وعمل صالحا ان الله يقبل التوبة من عباده فيعفو
ويصفح ربنا لا تكلنا الى انفسنا طرفة عين

٣ - ٤ - ١٣٦٢ هـ

ومقصوده بهذا الكلام هو البياض المذكور في تلك الرحلة (سامحنا الله واياه
ولعل ما وقع له بعد يكون له كفارة)

= ٧٨ =

وقد كتبت اليه بديهة هذه القصيدة ، جوابا لرسالة اخرى لم اجدها عندي

الان

مولاي يا علم الاسلام والدين
عن كان يقرى بعلم وافر وبجو
الي نلتيت من يدك مالكة
فهلها الف الف استلذ بما
يا طالما كان ظني ان افوز بها
احبت فوادى بما أدته عن ندس
ما وصل خود كعاب كاد عاشقها
الد في رشفاتي من قراءتها
اطل ارتشف السحر الحلال بها
خط يوافق حسنا من بلاغته
كذا كذا ، فليخط الكتب كاتبها
مقوم السطر لا امت ولا عوج
ليس البيان سوى ما كان يرقمه
الله در يد سوت برقتها
عليك خير سلام من اخيك ما

وحاوى الحصل في كل الميادين (١)
د دائم من يرى من المساكين
مثل الحديقة رقت بالرياحين
قد كان ينشرني حينا ويطويني
فاليوم صار يقينا ، كل مظنون
متى تخيلته بالوهم يشفيني
يردى بسيف من التهام مسنون
آيات سحر على القرطاس مكنون
مثل ارتشاف رضاب الخرد العين
مفتنا بين هاتيك الافانين
لا المتلوى كامثال المصارين
موضح الفصل بين السين والنون
مثلك يارب افصح وتبيين
تلك السطور بتجوير وتزيين
في الود قمت بمفروض ومسنون

١ - ١٠ - ١٣٦٢ هـ

الاخذون عندي

(١) سيدى الرشيد الروداني القاضي

(٢) سيدى احمد الروداني اخوه القاضي ، ذكرنا معا في (القسم الخامس)

(٣) سيدى مبارك البوزوكى الكسىمى المتوفى نحو ١٣٤٧ هـ ذكر مع االه في
(القسم الثالث)

(٤) سيدى الحسن الازاريفى الثانى ، يذكر الازاريفيون في (القسم الثالث)

(٥) سيدى الحاج الاحسن البعقلى ، الشيخ المشهور يذكر في (القسم الرابع)

(٦) سيدى الحسن بن على الالفى ، استاذ في المعهد الردانى (تقدم ذكره)

(٧) سيدى احمد بن ابراهيم الوفقاوى القاضى سيائى قريبا

(٨) سيدى احمد الهوارى العدوى الاستاذ في المعهد الردانى ذكر مع اهله
(في القسم الرابع)

(٩) سيدى عبد الرحمن التثانى الواعزوني التازانتوني • لايزال حيا يشارط

في المساجد كسيدى ابي موسى • واولاد ابي الرايس

(١) الفصل بالفتح فسكون : ما يفوز به السابق في الميدان كالسبق محركا

= ٧٩ =

(١٠) سيدى محمد بن عبد الله التانيى التاني

(١١) سيدى محمد بن محمد بن ابراهيم التاني

(١٢) سيدى عبد الله الوفقاوى الكاتب فى محكمة تافراوت سياتى قريبا

(١٣) سيدى محمد بن مبارك الوفقاوى تاتى ترجمته قريبا

(١٤) سيدى احمد بن مبارك الوفقاوى سيدى قريبا

(١٥) سيدى احمد بن محمد المافامانى السمالى المذكور مع اهله فى (القسم الثالث)

(١٦) مبارك بن احمد الوفقاوى تاتى ترجمته قريبا

(١٧) مولاي سعيد ، استاذ مدرسة سيدى ابى السحاب بماسكيئة

(١٨) ابراهيم البعمرانى (الاستاذ فى (ايفيلاين) الان بعد المترجم)

(١٩) محمد بن اسمعيل ، الحاكم المسدد فى محكمة اكلميم ثم فى (تارودانت) ذكر مع اهله فى (القسم الرابع)

(٢٠) محمد بن الفقيه التامرى

(٢١) محمد بن كريبض الحاحى ثم الاكاديرى ، توفى منذ نحو ١٠ سنين

(٢٢) عبد الله الاكديرى ، الفقيه فى اكادير الشهيد فى الزلزال

(٢٣) ابراهيم الاذنيرى الاعرج (العدل فى محكمة امينتانوت بعد الاستقلال)

(٢٤) مولاي سعيد بن مبارك التواينانى عدل فى محكمة (تارودانت) وخطيب فى مسجد (مفرق الاحباب)

(٢٥) مولاي احمد اخوه ، عدل واستاذ فى (تازمورت)

(٢٦) محمد بن هرماس الرودانى ، الفقيه الجليل ، عضو المجلس الاستشارى كعالم سوس

(٢٧) الطاهر بن محمد بن الحبيب الجرادى ، نائب قاضى (ايكودار) يذكر مع اهله فى (القسم الرابع)

(٢٨) مولاي احمد اخرباش ، نائب الحاكم المسدد فى تارودانت ، ويذكر مع اهله فى (القسم الرابع)

(٢٩) احمد الخليفة الاينزكانى ، توفى منذ سنين وعنده بنت للاستاذ المترجم (٣٠) عمر الهوارى من (عين البيضاء) استاذ فى محل بهوارة وهو رجل فاضل وهو صهر الاستاذ ايضا على بنته

(٣١) عمر البعازيرى ، تزوج الاستاذ اخته ، عدل فى محكمة هوارة

(٣٢) الحسن بن محمد بن احمد الاكلوبى ، عدل فى محكمة تيزنيت ، وله ذكر فى الرحلة الثانية من (خلال جزولة)

(٣٣) محمد - فتحا - بن محمد بيشوارين الساحلى يذكر فى (القسم الرابع)

(٣٤) احمد الرخاوى

(٣٥) احمد الوجانى ، نزيل تونس ، العلامة الجليل (وقد رجع من تونس

فصار استاذ فى المعهد الرودانى)

(٣٦) عبد الله بن منصور التازمورتى ، رئيس فى بلده

(٣٧) عبد الله الكونكى

(٣٨) الحسن البونعمانى الاديب الكبير ، ذكر مع اهله فى (القسم الرابع)

(٣٩) محمد بن عبد الرحمن الاسفاركيسى ، يذكر مع اهله فى (القسم الرابع)

(٤٠) عبد الله بن الطاهر الافرانى ، يذكر مع اهله فى (القسم الثالث)

(٤١) الحسن بن مولود البعمرانى العلامة الجليل (وهو الان ١٣٨٠هـ) حى

(٤٢) على بن سليمان البوكرفاوى البعمرانى نزيل فضالة ، نجيب رفع راية الفكر هناك

(٤٣) عبد الحميد بن عيسى التدرارنى البعمرانى ، وقد ذكر مع اهله فى (القسم الرابع)

(٤٤) محمد الجند المتاكى ، استاذ فى احدى المدارس

(٤٥) احمد الغالب السرعينى الرودانى احد اساتذة المعهد الرودانى

(٤٦) احمد بن زكريا البعمرانى ذكر فى (القسم الرابع) مع اهله

(٤٧) محمد بن الحسن الباز القائم بفرع المعهد بتزنيت ، وهو علامة جليل محصل

(٤٨) محمد بن العربى البرهومى الهوارى ، عدل فى محكمة هوارة ، فقيه حسن

(٤٩) عمر بن الباشا الحسن التامرى ، المعتبط شابا

(٥٠) الطيب بن احمد بن الدويوش البعمرانى ، استاذ فى المعهد ، وقد حصل على العالمية رسميا

(٥١) محمد بن عبد الله العلالى الهشتوكى عدل فى هشتوكة

(٥٢) عبد الله الحمزاوى من القراء الاينزكانى الحاحى الاصل

(٥٣) محمد الشركى ، استاذ مذكور

(٥٤) العربى الهشتوكى ، استاذ فى عين (المداور) بهوارة

(٥٥) عبد الله الايرازانى ، استاذ فى (ايرازان)

(٥٦) مبارك بن على التاكاتى الاخصاصى

(٥٧) عبد الرحمن بن محمد بن على امزيل الاينزكانى ، واخذ ايضا عن

مبارك البوزوكى ، لا يزال حيا وهو خطيب فى مسجد (اينزكان) الان ١٣٧٩هـ

وابوه عالم جيد ، اخذ عن سيدى عبد الله بن ابراهيم اليوفتاركاوى توفى بعد ١٣٢٠هـ وقد ذكر فى الرحلة الاولى من (خلال جزولة)

(٥٨) محمد بن الطيب الدحوى الهوارى استاذ فى (اولون) ثم فى (دودران)

كان قبل فى (ادوز) بهوارة استاذ فى مدرسة ابتدائية وهو محمد بن الطيب

ابن الحبيب بن الحسن بن العربى واصلهم قرية (المرس) من قبيلة آيت بوبكر

واصلهم الاصيل من (تاويرت) برسموكة ، والفقيه الحسن بن العربى الذى

ذكر في النسب كان قاضي تلك الجهة . توفي قبل ١٢٨٠ هـ . وولده الفقيه
أحمد بن الحسن الأخذ عن محمد بن محمد بن أحمد الم رابط الادوذي توفي
نحو ١٣٢٥ هـ وقد عرفت محمد بن الطيب ذا شيبية وشارة ، وقد مثل يوما
إمام الملك مع وفد من علماء سوس

مرض الاستاذ ووفاته

كانت صحة الاستاذ منهارة من ازمان ، وكانت الامراض تعتريه كثيرا .
وقد ذكرنا فيما تقدم انه كثيرا ماقلب عليه الصفراء ، حتى يغمى عليه ساعة
أو ساعتين ، وهكذا كان منذ احقاب ، وفي آخر أيامه افتتح دروسا منها .
المقنع ، في عواشر الاضحى ، ولم يتمكن في استتمامه ، وانما كان يدرس وفي
جانبه مساند . حتى اذا غلب انقطع في الدار . وقد كان الطلبة تفرقوا
في العواشر ، وهم يتخوفون من وفاته وشيكا ، ثم امر بان يرسل اليهم كلهم
فاجتمعوا وهم زهاء سبعين ، فذهبوا اليه في الدار ، فوجدوه منبطحا على بطنه
لا يقدر ان يرفع راسه ، فصار يوصيهم ، فكان مما قاله الوصية الالية التي
جمعها بعض الطلبة مما استوعبه من كلامه ، كما هو ، وبعد الوصية صار
يقول : الموت - الموت - الموت - ثم خرج الطلبة من عنده . فبقي بعد ذلك اليوم
اسبوعا . وهو عاقل مستحضر . حتى رجي برؤه ، وقد كان اعرض عن
التكلم مع أهله ، وانما يكلم طلبته ، وفي ليلة بلغ نعيه الطلبة ، فهي في
الدار . وكفن فووري في مستقره الاخير ، بعد ما اجتمع الناس المتجاورون ،
فصلى عليه ودفن بعد الضحى .

وهذه وصية المترجم انقلها من خط تلميذه الاستاذ سيدي أحمد العدوي
سمعا من فيه ، وسجلها في حينها وقد كان القاها على تلاميذه الحاضرين .

(أيها الاخوان اعلموا انكم اولادي وانا ابوكم فان اباكم وصل اخر منازل
وانه ذاهب الى ربه فمن سمع مني خيرا فهو خيره ومن سمع مني شرا فهو خيره
له ، ومن سمع مني كلمة فسينتفع بها دنيا واخرى ان شاء الله فاللهم اجعلها
له نورا وهدي وتقى ، وانا راض عنكم ، لا اعزل منكم احدا ، فلا اذن لاحد
ان يذهب الا بعد المواعدة والمسامحة ، فلا احد احب الى من الله ورسوله والشيخ
التجاني ، واشهدوا واعلموا اني لست من المتبعين ، وما كتبت زورا ولا عقدا
يدل على الدنيا ، فاشهدوا اشهدوا لي بذلك ، فان فعلت فاني اوخذ به بين يدي
الله ، فكونوا ما استطعتم كذلك ، ولا اذن لاحد ان يذهب حتى يصل على .
مستغفر لي في مقري كما هو سنة النبي صلى الله عليه وسلم . والله مالي
قدرة على الكلام (واسألوا هؤلاء الحاضرين) الا الان من شدة الشوق اليكم
فلا يذهب احد حتى يودع اخاه . فهذا هو الموت ، ولا تقبروني الا بين اخواني

الله ما بين . واياكم وبيت سيدي سعيد . وبيت سيدي يحيى ، مخافة رقص
الاسماء على . واياكم ان تفعلوا بشي . فمن فعل فالمواخذه لابد منها بين
يدي الله . واياكم وان يغلبكم العوام ، فيفعلون شيئا من ذلك والسلام عليكم

مراته

سمعت ان هناك مرآتي للمترجم ، ولكن لم اتوصل الا بهذه التي قالها
هنا سيدي عبد الله بن محمد الالفي :

قامت قيامة اهل الفقه اذ نودي
الرفيعي ابن احمد امام تقى
قد حل موته من رزء المصاب به
ول عظيم غدا في الدين ثلمه لا
قد اظهر الدهر انجازا لموعده
يا ايها السيد الارضي الامام ومن
هللت بعدك وجدا لايريم ولا
التمت عمرك رسم الدين مجتهدا
لم يوذ فقدك يامولاي غير ندى
قالعلم في الغرب قد مال لغربته
يا مفردا علما بالرفع مشتهرا
انفتحت علمك في الاقراء منتدبا
التمت في الغرب علم اشرع فانبعث
والتجموع فقالوا منك كل منسى
مسعود يبيك اهل الفقر والشرفا
علما بان ليس من بعدك مقريتهم
قد سعدت (اغلال) منك وابتهجت
فاشغرت باحتلاك ومجدها
شبابي العلم صبرا يابنيه فقد
تمت مصيبتنا لكن يحق لنا
تلك المنون سبيل الكل لا احد

الى آخرها ، وقد اختصرنا منها اخيرا .

اولاده

الاستاذ من الاولاد الذكور اربعة :

(١) محمد ، اخذ قليلا عن ابيه ، وفي مراكش ، فقد لازمنا هناك زمنا . ثم

تقلبت به الاحوال ، فكان رئيسا على اهله زمنا غير قليل

(٢) احمد ، اخذ ايضا عن والده قليلا ، ثم عن الاستاذ احمد بن ابراهيم الوفاوى القاضى فى (تمانار) ، ثم لازمنا فى مراكش ، حتى حصل تحصيلنا ، وهو اليوم استاذ فى احدى المدارس الحكومية فى (اينزكان) وهو ممتاز فى اخلاقه وحسن مواخاته ، وفى طيب سيرته

(٣) عبد الله ، اخذ اولاً عن الاستاذ سيدى ابراهيم البعمرانى الذى قام بمدرسة (ايغيلان) بعد سيدى الحاج مسعود ، ثم التحق بمراكش حيث يستتم الآن .

(٤) مسعود ، هو اصغرهم ، يتابع دراسته فى احدى المدارس الحديثة تحت حضانة أخيه احمد .

واما البنات فهن ثلاث ، تزوجهن من ذكرناهم بين الاخذين عن الاستاذ

قولنا ابن الحبيب فيما

ومنهم الفقيه الامجد ، العلامة الاسعد ، سيدى الحاج مسعود بن احمد الوفاوى ، اتفقت الخاصة والعامة على كمالاته ، وقامت الدعوى مصدرة بصدق جلالته ، لا يدرك شأوه فى العلم والتدريس والحفظ والجود ، من عرفه عرف ان الناس فى رجل ، والدهر فى ساعة ، والارض فى دار :

(فتى كملت اخلاقه وما ربه)

لا تلجل به الباساء ولا الملائم ، ولا تاخذه فى الله لومة لائم ، اخذ عن جلسة الكرام ، ممن لهم فى العلم قدم والمقام ، واجازوه فى العلوم على أنواعها ، تفسيراً وحديثاً ، وفقها ونحوها وأدباً وتاريخاً ، الا أنه يحب الخمول ، ويكره ان يخاطب بالعالم ، ولما طلب الاجازة من شيخه سيدى على بن عبدالله الالفى ، اجازته وكتب له أبياتاً ، نصها :

هذا وان العبد ليس لما بسبه
حليت اهلاً من شفوف المقعد
(الى آخرها ، وقد تقدمت اثناء الترجمة وكذلك بعض جوابها من المترجم)
ثم قال : وقد كتب الى مرة ما صورته :

«.....وانه من الضعيف ، الطالب من ربه اللطيف ، غفران المساوى ، مسعود بن احمد الوفاوى ، الى سيدنا وخليتنا الذى لا اجد له بديلاً من خليل سيدى الفقيه العلامة ، الذى لا يقابل بفضل الله بعلى مه ، سيدى على بن الحبيب احبكم الله واعانكم ، واغناكم ، ووفقنا جميعاً لما يرضاه ، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وعلى اهل بيوتكم .»

(وبعد : فلا بأس يستندى الشكوى لغير ، والباعث عليه الاعلام بالموودة النفسانية الدعاء من الجانبين للجانبين ، ومن لوازم الموودة الالهية ان يقبل الحبيب حبيبته على اى حال كان عليه ، مع علمى بانكم اكثر منا محبة الياء ، فلما علم حامله ولدكم وولدنا محبة بذلك ، استشفع بى اليكم ، فى امر عرته العرواء عند ذكره اليكم ، وذلك مساعدتكم فى كذا الخ ، وسلم منا على جميع الاخوة والاخوان والسلام)

اذا ضاق صدر الدهر ، فهو رحيب النادى ، واسع الصدر للحاضر والبادى
فاضل تزينت المجالس بمنظومه ومنشوره ، وحدائق العلوم مبتسمة بشغوره ،
سموح السجية ، بسام العشية ، يعزى بحر الفضائل من بره ، ويعذب الورد
للصدى بما يهدر من صدره ، ويفيض احسانه لراجيه وآمله ، وتبتدر الانام
لتلقى عطايا انامله ، وتتراحم على سيب علومه ، تراحم رقاب اعدائه على سيفه
وخصومه .

وله مخاطبة لبعض تلامذته ، وقد نزل عليه سقف بيته بالمطر :

همام حليف الصبر لا تستفزه	من السقف امطار وبل الدفاتر
على ان سقف البيت يرمى بنبع	وانت بالفاظ كنظم الجواهر
على ان سقف البيت لا شك ينقضى	من الضر ما ابدى ، ادر المفاخر
شربت بكاس العلم عذب معينه	وحليت حل النحو زين الاكابر

سيدي محمد بن مبارك الوقاوي

١٣٠٥ هـ = نحو ١٣٧٠ هـ

نسبه :

محمد بن مبارك بن ابراهيم ، وهو ابن عم الاستاذ الحاج مسعود المتقدم وهو من فقهاء آيت وافقا النوازيين

متعلما

أخذ المترجم القرآن ببلده ، وفي (تأوييت) عن شيخ الجماعة سيدي سعيد بن عبد المومن ، ثم افتتح الدراسة العلمية عند استاذ المدرسة الوقاوية سيدي عبد الله الكرسيقي ، اخذ عنه الاجرومية مرات ، ثم انتقل الى (تازانتوت) عند الحاج مسعود ثم كان عنده في (سيدي ميمون) بكسيمة ، ثم لما نجب ، طلب اعبو من الاستاذ ان يرسله اليه ، ليسرد عنده الحديث في رمضان ، ولم يبق هناك الا قليلا ، ثم انتقل الى المدرسة (الافقية) فبقى فيها ثمانى سنوات ، فهناك حصل ما حصل من الفنون ، وتحصيله وسط ، ولكنه بما لزمته الاستاذ ابن عبد الله بعد ذلك تخرج في النوازل بكثرة العمل ، فان الاستاذ يتخذ كعماون وكرسول في كل القضايا الوقاوية ، ولا تخلو منها حضرة الاستاذ يوما واحدا ، بل تكون عنده عشرات ، ولذلك قال بعض الوقاويين الاستاذ وهو ببساطة : اريد ان نرتب لك كل سنة قالبا من السكر على كل دار ، فتزاول قضايانا مجانا ، فقال له ببساطة مثلها : اننى قد اتوصل في قضية واحدة بمثل ذلك كله ، وفي كل هذه القضايا يقف فيها مع الاستاذ صاحب الترجمة ، فيقوم مقامه على الحقول ، ويعاين الحدود ، وما أشبه ذلك فهذا تخرج في النوازل العملية ، والتوثيق حتى كانت له ملكة في ذلك ، ثم لما توفي الاستاذ سنة : ١٣٤٧ هـ بقي يتردد في بعض قضايا ربما يحكم فيها أو يستعين به فيها من يحكمون فيها ، لانه اكثر الناس اطلاعا على مختلف القضايا وتطوراتها هناك ، وبعد الاحتلال لزم داره الى سنة ١٣٥٦ هـ فعينته الحكومة ازاء الاستاذ سيدي الطاهر بن علي ، فهاهماذان الآن يتمشيان في ذلك .

وقد شارط في المدرسة الوقاوية سنة واحدة ، ثم في مساجد اخرى من بلاد ، هذا ما حدثني به عنه الناس ، واما انا فلم اعرفه الى الآن : ١٣٥٨ هـ حتى احدث عنه بالعيان والمجالسة ، وقد حدثني الاستاذ سيدي عبد الله بن ابراهيم ان عندنا ثلاثة ، هم بانفسهم توارىخ تمشى في مختلف النواحي المتعلقة بهذه البلاد ، فذكر والده ، والفقيه سيدي احمد أو الشلح الايسى ، وصاحب الترجمة .

اقول هذه شهادة كبيرة ، وانا اتأسف جدا حيث لم يصل الى الآن هؤلاء كما اتصلت بالعم ، لاقيد عنهما ما نحن مدخروه لاحفادنا غدا ، مما يتعلق ببلدنا هذه ، ونطلب من الله ان ييسر ذلك في المستقبل ، وهو على كل شيء قدير

ثم اننى بعدما كتبت ماتقدم ، اتصلت بالمترجم يوما في مجلس فرايته سمعت كلامه ، وقد حضر في محاضرة حول كروية الارض ، فرأيت منه ما هو مفلون من أمثاله ، وقد تسلط عليه بعض من لا يتقون الله ، فشدخ راسه ، فعمل مغمورا . فبقى شهرا ، ثم لحق بربه ، والسبب هو المخاصمة على ما واسم الضارب : ابراهيم بن المحفوظ ، وقد سجن لذلك سنتين ، ولا يزال حيا الآن . وتحرير وقت موته بالضبط ليس عندي الآن ، فاما قبل ١٣٧٠ هـ بقليل او بعده بقليل رحمه الله

أحمد نيت أوبريك الوقفاوى

شعبان : ١٢٨٨ هـ = ليلة : ١٢ - ٨ - ١٣٦٤ هـ

.....

نسبه :

أحمد بن إبراهيم بن محمد - فتحا - بن مبارك بن إبراهيم بن سعيد
ابن محمد بن سعيد بن موسى .

هذا فقيه آخر من هذه القبيلة ، نشأ من أسرة أبناء الحاج ، وأصل
الأسرة من (تويسن) من وادى الجبل ببغيلة .

مناقبه :

أخذ القرآن عن والده في مسجد (ازروالن) بمجاط ، ثم أخذ عن الأستاذ
أكيك في (تازكرت) وعن سيدى الطاهر بن محمد هناك أيضا ، وعن سيدى
محمد الفقيه المافامانى في (بومروان) فعن هؤلاء أخذ أخذ ليس بمتسع

مناقبه :

لزم «طرفة الأستاذ على بن عبد الله سنين كثيرة ، وهو شيخه فى
الطريقة وفى النوازل ، فكان العضد الايمن للأستاذ فى القضايا التى يحكم
فيها ، وفى القيام على حدود الاراضى ، وفى قسم التركات ، وكان يلزم مع
ذلك لعلمه القرآن فى مسجد (تافكاغت) حيث شارط ، ثم بعد وفاة الأستاذ
صار يتردد على خلفه سيدى المدنى فى ذلك ، حتى دهم الاحتلال ، فانكمش كما
الكنش كل الفقهاء أمثاله ، وقد كان أدى فريضة حجة فى شببته ، وهو هادئ
ساكن ، كما حكى لى عنه لانى لاعرفه .

تأينيه :

صار شيخا مسنا ، فطاول الحياة الى ان توفي فى سنة ١٣٦٤ هـ فتيسر
لنى ان قلت فيه مما ارسلته الى ولده سيدى عبد الله .

أحقا مضى ذاك الفقيه المسدد
مضى طاهر الاذبال لا تستفزه
ولكن لنا من نجله خلف ومن
فلما أنت عبد الله أفضل قائم
فدم للمعالي والمعارف مشرقا
فما مات من ابقى نظيرك عالما

ومن كان فى سوق النوازل يحمد
براطيل من للجور فى الحكم يقصد
له خلف من بعده قمخلد
لنا ان مضى نحو الفراديس احمد
كما كنت قبل اليوم والناس شهد
له بصر بين الفنون محدد

ورثاه الاديب سيدى محمد بن على الالفى بالابيات الاتية بعد ما كتب مايل
اما توفى السيد الصوفى اويسى زمانه ، واياسى اوانه ، الكاتب اللبيب والاخ
الحبيب ، صديق أسلافنا وصديقنا ، وعيبة اسرارهم وبطانتهم ، الاربىب
المسموبى المشارك ، سيدى الحاج احمد بن ابراهيم البعقيل أصلا ، الوقفاوى
مستنا ووطنا ، بموضع (ايكيليز) بأيت او الشريف رحمه الله وعظم الاجر
فى مصابه ، وفسح عليه فى بحبوحة جنانه . قال الكاتب فى مرثيته ، وتعزية
النه الارضى الفقيه المفوه ، سيدى عبد الله ابن الحاج أحمد ، الهمة الله الصبر
ونبت له الاجر ، ما نصه :

سيدنا الحاج احمد الرضا العلم
مات الوفاء وصادق الود واتقنت
يا عجباً لقواد شفه لهب
عهدى به ما به كفر ولا دخل
الموت سيف له حد يجرده
فما نجى منه سوقة ولا ملك
صبرا وان كان مرا فادحا جللا
فيك الكفاية انت المفرد العلم
قاله رب رؤوف بالعباد فما
قاله يرحمه وكيف لا وله

مات فمات الحيا والدين والكرم
نار تشب بها فى اضلعي ضرم
محلل فيه مذ بانوا ومذ صرموا
ولا نفاق لمن ودهم حرم
على الخلائق لم يشبع له قرم
وان حوى حازما ما قد حوى ارم
عبد الاله فان الصبر معتصم
والسيد الشهم لانكس ولا برم
يرجو سواه عبيد ان هم جرموا
بزورة المصطفى وبيته الحرم

ثم رثاه الفقيه المفوه المدره النجيب المدرس سيدى المدنى بن على بمانه:
هذا مصاب كوى اكباد من طرقا
اصم اذان هذا الكون مذ نفقت
وزء جليل اتيج للورى عمم
والدهر ديدنه قد ما ينقص ما

اسمائه لها يشوى الحشا حرقا
أسواقه فلهيب الحزن قد نفقا
قد هد اركان هذا الدين قد طرقا
صفا ويقلدى عيونا كيفما اتفقا

هذا ما وجد فى القصيدة وهى اكثر من هذا .

احمد بن مبارك الوفقاوي

نحو : ١٣٠٢ هـ = ربيع الاول ١٣٥٩ هـ

نسبه :

احمد بن مبارك من آل الشريف - قرية من قرى الوفقاويين
وامه بنت احمد ارجدال

أخذ القرآن في بلده حتى حفظه ، ثم مر باستاذ جهة المدر ، ثم التحق بالعلامة سيدي الحاج مسعود ، منذ كان في (أيت باها) قبل ان يشارط في (ايكونكا) ، لازمه سنين كثيرة ، وهو من اوائل اصحابه ، وقد ذكر عارفوه انه نجيب محصل ، درس الفنون كلها مرات ، وحين تخرج شارط في مدرسة (سيدي مزال) في (أيت ايلوكان) ، ثلاثة أعوام ، ثم في مسجد (تاكادير نعبادو) في قبيلة ما سكيئة سنتين ، وفي هذا المحل اتصل به الاستاذ القاضي سيدي احمد بن ابراهيم الاتي ، وذلك في نحو صفر ١٣٥٣ هـ فتعلم من عنده القرآن لانه شغله في هذا المسجد ، بعدما درس العلوم حين كان في تلك المدرسة ، ثم افتتح متجرا في سوق (اينزكان) (١٣٥٥ هـ) حيث بقي حتى توفي ، وقد ساقه اجله الى قرية (تاكادير) لقضاء بعض شؤونه عند اصهاره هناك ، لانه اقترن ببناتهم حين شارط عندهم ، فدفن هناك

قال عارفه : كان رجلا دينا متدينا حيا ، وقد ورث من والده الفقير مبارك الذي هو من اصحاب الشيخ الالفي ، حتى انه لا يسمى الا بالدفقاوي ، وكان في مسلاخ المتجردين ، وان كان يعد من المنتسبين ، وقد مات هذا الاب قبل الابن بنحو عشر سنين

اسم هذه القرية بلفظ الشلحة (أيت او الشريف) ، وهناك مدفون سيدي يسمى سيدي محمد - فتحا - ويضاف الى (توفاسور) وهو اسم الساحة التي دفن فيها ، ولعله هو الشريف ، فنسبت اليه القرية

سيدي احمد الوفقاوي القاضي

نحو : ١٣٤٠ هـ = حـ

نسبه :

احمد بن ابراهيم بن علي بن حمو بن احمد (ارجدال)

ورد الجد الاعلى احمد ارجدال هذا من (أسا) من القبيلة العربية الهلالية الماطنة هناك ، وتعلم الان بأيت اوسا ، وهي قبيلة عظيمة لها رؤساء مشهورون هناك من اوائل هذا القرن القائد الرباني بن حمدي ابن : جعا ويسى ، الذي كانت الزاوية المنسوبة هناك الى الشيخ سيدي يعزى وهدي المتوفى : ٧٢٦ هـ مسافة الى ايبالته ، وهو من فخذ تسمى (ادحمو اوعل) ويذكر هذا القائد بطريق ودين بن جبرانه ، وقد توفي في رمضان : ١٣٦٠ هـ وقد كان رئيسا قبلها قبل الاحلال ، لتلك الجهة الواقع : ١٣٥٢ وقد خلفه الان القائد بوزيد بن الرباني وقد اشتهر كاييه باكرام كل طارق حتى انه ليقال انه كاييه ، لا يزال الان يحافظون على عادة كرماء العرب من ايقاد النار على اليفاع ليلا ، لهدى السارين الزهم ، ولاهل الرباني ثروة عظيمة من الابل ، تنيف على الالف فيملاكر لنا ، وقد ركوا في هذا العام بخمسين جملا ، والرياسة قبل هذين في الشيخ علي الهادي المسري جدهما ، وهناك ازاء (الرباني) قائد آخر : محمد بن الخرشني ، علي (داوفايل) لا يزال حيا ، ورث الرياسة ايضا عن ابيه ، كنظيره المتقدم ، وفي هاتين الاسرتين رياسة (أيت اوسا) الان ، وقد سمعنا بان هناك علما فيهما هامة اهل (الخ) وبهذا يعرف اتصال آل الخ بتلك الناحية قبل اليوم ، ولعل ذلك الاتصال هو الحادي لجد المترجم ، حتى انتقل من تلك الصحراء الى الخ ، فلقب بن قبيلة الوفقاويين ، فأدرك بينهم سمعة لاتزال تدوى الى الان ، وقد اشتهر بانه اهل كثيرا في قرية (أماوأسرك) ، وهو من اهل اواسط القرن الماضي ، وقد توفي والده وهو حيته عادية ، وكذلك على حفيده ، الا انه ترك ولدين لهما مكانة ، فالحاج مبارك ، ممن عمل قدمه حتى حج ، في عصر لا يحج فيه الا المقدمون من اصحاب الزهم ، ثم انقطع في تونس الى ان وافاه هناك اجله ، وقد مر بالقرآن مرورا ، وأما ابراهيم والد مترجمنا ، فانه من حفظة كتاب الله المتقنين اطلعه في مسجد المدر عند احد بلدييه ، ثم صار يشارط في مساجد قبيلته فاشتهر بحال حسنة محترما مبعلا ، يلقده الناس لتحرير رسومهم لتبته وعادته بينهم ، ولد اسما منه ظاهرة سنية حين سمى اولاده باحمد وابي

بكر ، وعمر وعثمان وعلى ، هذه السلسلة المباركة ، وهي ظاهرة تدل على انه مشغوف بالسنة . واكبار رجالات الدين الاولين ، فقد اتم الله امنيته فسي اولاده ، فنشأوا شبيبة يتطلعون الى المعالي ، على قدر بيئتهم ، ويقودهم اكبرهم احمد المترجم ، فيسير الآخرون اليوم وراء احمد بن ابراهيم مترجما هذا ، كما كان الخلفاء الاربعة أمس وراء احمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وقد توفي ابراهيم اخيرا : ١٣٦٥ هـ

منشأ وأخذ للقرآن

رايت الآن ماهي أسرة الاستاذ القاضي سيدي احمد الوقفاوي ، وهي أسرة لها ما لها ، فلنر الآن كيف هذا الفرع الطيب ؟ وهل تكون الفروع الا طبق الاصول .

أخذ القرآن أولا عن والده ، وعليه اتقن حفظه ، وجود عليه تسع ختمات في مساجد القبيلة الوقفاوية التي كان يشارط فيها أو في دارهم ان كان شاغرا من المشارطة ، ثم انتقل الى قرية (ناكاديرت) من قبيلة : ما سكيئة ، فلزم الاستاذ سيدي احمد بن مبارك الوقفاوي - المذكور قبله - المشارط هناك فأخذ عنه ختمتين أخريين .

هذان هما استاذنا المترجم في القرآن ، ولم يعد هما الى غيرهما

في مناغاة العلوم العربية

القي المترجم جرائه امام العلامة سيدي الحاج مسعود ، في مدرسة (ايغيلان) من ١٣٥٥ هـ فتدرج في اخذ الفنون ، ولزم غاية الملازمة ، لان الاستاذ كان يلزمه ويضغط عليه ، ويريد له التفوق لما بينهما من الرحم ، فان المترجم من اخوال الاستاذ ، وقد كفله كفالة تامة ، فيكسوه ويمونه ويربيه ، زيادة على تعليمه ، فلم تهض سنوات حتى تفوق على يده ، وكرع من خياض النحو وكل العلوم العربية ، والفقه والحديث ، فقد مر على المتون مرورا متعددا ، حتى انه مر بالالفية اربع عشرة مرة ، وعلى ذلك فليقس ، ولاريب ان من تافن البحر الزاخر ، كسيدي الحاج مسعود ، ولازمه ملازمة تامة ، وكان في مثل حدة ذهن سيدي احمد الوقفاوي ، سيكون قطعلا عظيما ، وفحلا لا يشق غباره ، وكذلك كان ، فتكشف عن جهذ محصل ، وعلامة متمكن ، علمه معه اينما سار وهوذا لا يزال حيا ، فعينه قراره :

ومن يقل قوله او زوره قلت له الامام تحت الشجرة (١)

(١) يحكون ان ذيبا رأى ديكا فوق عال ، فناداه انزل أيها المؤذن لنصلي ، فقال أيقظ الامام من تحت تلك الشجرة ، فوجد سلوقيا ، فقفز هاربا منه فنظم بعض الصحراويين مغزى المثل في البيت .

بشارط في مسجد آيت ماعلا

كان الغلاء المفرط الشديد سنة : ١٣٦٤ هـ حين بلغت (العبرة) من الشعر الذي هو جل معيشة اهل سوس ، نحو الف فرنك ، فآثر ذلك في المدارس ان وقعت الفاقة في ضعفة من فقراء الطلبة في مدرسة (ايغيلان) فتفرق بعضهم ، وغادروا مجلس استاذهم الى حيث يتمصصون ما يسدون به ارجالهم ومن بين المغادرين : المترجم الذي تسلل وان لم يودعه الاستاذ بخاطره ، لانه ان العمد الكبرى في تعليم المبتدئين من الطلبة ، فهل ينتظر من رب المدرسة ان يسلم في العمد الكبرى في ذلك التعليم ؟ ولكن الواقع انه انطلق فشارط في مسجد آيت (ماعلا) من قبيلة (آيت سمك) وهو مسجد كبير مشهور ، لاسشارط فيه الا الاساتذة الكبار ، فقام الاستاذ بتعليم القرآن ، ثم آبت همته العليا الا ان يضم الى ذلك دراسة الفتون لثلة من الطلبة ، لازموه عامين ، فنجبوا على يديه غاية النجابة ، ولو كان الاستاذ ممن يقتعون بتحصيل الفنون التي يهتبل بها السيوسيون لقبح في محله ، ولكن الاستاذ العزوف الانوف الطلعة ، لا يرتضي الا ان يضم علوما أخرى من الخواضر الى ما كان الله في سوس

هنا في الحمراء

كنت عرفت الاستاذ من الخ حيث زارني ومد الى قصيدة مطلعها :

انا سيدي اطلق عناني اطالع لعل ان ارى لاج المطالع
نكتفي منها بهذا المطالع ، والرسالة تقرا من عنوانها :

ثم اتصل التعارف حتى انتقل اليها في الحمراء (١٣٦٦ هـ) بعدما قضى سنتين في المشارطة ، فتأثر بهمة القمصاء ، فأخذ البيان والاصول ، والمثل والحديث والادب ، ولو كان ممن يكبون على المطالعة لكان قذا عظيما ، ولكنه يفتن بما يآخذ ، ومع ذلك ، تكشف عن علامة مشارك ، مضطلع بما استفاد وزعم انه تأثر ببيتنا حتى في فنونه التي كان أخذها من سوس ، كالنحو واللغة ، وحقيقة صارت مرآته تزداد صفاء ، فعاد مفكرا يدرك العصر الحاضر ومتطلباته ، ويكاد ينكر ما مضى له قبل ان يتصل ببيتنا ، لازمنا ثلاث سنوات ، ثم دقت ساعته ، فولى وجهه شطر التعليم ، وهل يليق للتعليم الا مثل الاستاذ سيدي احمد الوقفاوي العلامة المحصل ؟

في مدرسة (تمانار) بحاجة

في سنة : ١٣٦٩ هـ وصلت اسلاكة بتلك المدرسة التي افاض فيها من معارف ما افاض ، فقام بهمة عظيمة ، وبغزيرة نادرة النظر ، في تعليم الطبقات

التي انتظمت امامه ، فادرك الطلبة عنده حوالي ٤٠ طالبا ، فلم ينشب ان تجلت للعيون ، اثار تعليمه في نجباء اصحابه ، وتهذيبه لمن يحلقون حوله ، ولو كان الدهر يساعف امثاله من ذوى الهمم ، وممن لهم مكانة عليا في التمكن من المعارف ، لكان الاولى ان لايزيل صفته هذه ، ولكن ، ولكن ، ولكن .

تاجر في البيضاء

انقلب المغرب رأسا على عقب ، بعدما طاف بعرش الملك المحبوب سيدي محمد بن يوسف ما طاف ، فكان لابد لامثال الاستاذ ان يختار لنفسه احد الطريقين ، اما الصراط المستقيم الذي فيه سلامة العرض والدين والجسم ، بشرط ان يصبر على لاواء الدهر ، وعلى تقلبات الاحوال المعاشية ، واما الترهة (١) التي فيها ما فيها من مماشاة الوقت ، والولوج من كل باب ، ولباس لكل لبوس فيتطور مع الدهر كيفما تطور ، ويقول بلسانه ما يخالف مافي ضميره .

اترى الاستاذ سيدي احمد الوقاوي اللبيب الجسور يختار كمادة امثاله الطبى النفوس المفكرين العارفين بزمانهم ، غير الصراط المستقيم الذى لاعوج فيه ولا أمت ، وكذلك فعل ، فلم يلبث ان طلق تلك المدرسة ، وطلق خطبة الجمعة فيها ، لئلا يذكر بلسانه فيها ابن عرفة ، فالتحق بالبيضاء ، بالبضاعة التي فضلت من اجرة مشارطته ، فها هو ذا الان ييضاوى له دكان ، وقد تزوج اوائل ١٣٧٤ هـ فحمد ما فعل ، وان كان انما ركب هذا المركب الوعر مرغما :

اذا لم يكن الا الاسنة مركب فلا رأى للمضطر الا ركوبها
في القيادة

جاء الاستقلال ، فاستطاع كل من كان ناكصا على عقبيه في حين الازمة ان يظهر ، فحاول المترجم الذي كان يمت الى ذلك باعراضه عن الخطبة بابن عرفة ان يتعالى هو ايضا الى رتبة ، فاتصل به اهل (تمانار) الحاحيون الذين كانوا مشاهدين منه ذلك الموقف الذي تجل في ابائه ، فتطلبوا منه ان يكون قائدا عليهم ، فتيسر ذلك حيث بقي شهورا ، لاقى فيها ما لاقى بين الانياب والظفار ، ومشاكل الرياسة غير مشاكل الاستاذية ، فاخذ ايضا درسا اخر في الحياة لم يكن لياخذه لولا ما كان .

(١) الترهة : الطريقة التي لا تكاد تبين ازاء المحجة ، وهي بضم التاء وفتح الراء المشددة .

في القضاء

ثم انتقل من وزارة الداخلية - حيث القيادة - الى وزارة العدل ، فتعين قاضيا في (السياظمة) حيث بقي نحو عام ، ثم في (سكتانة) بتالوين حيث هـ . ثم نقل الى (ايغرم) حيث هو الان ١٣٨٠ هـ

واليس في الادبيات

كان اكثر لداته السعوديين استحضارا للادبيات انشادا ، وربما تعاطى بعضها انشاء ، فها هو حفر الان من ذلك ما خاطبني به وانا لا ازال في الخ نحو ١٣٦٠ هـ :

لك الله من فـد يفوز برضوان
الغد زخرت منك العلوم بأسرها
ولا غرو ان الفرع قد طاب أصله
فمركم موطد بعلومكم
امالككم فضل بكل فضيلة
فها منكم الا عزيز مجد
ايا سيدي المختار كيف ابين عن
فاجبته بقولي بديهة :

حنانيك لاتصكك صماخي ببهتان
فما الله عن كان يقزل (٢) خلف من
فما كان الابن الوجار (٣) لمن دروا
فهي علوم نال غير مصوح
نعم كان مهتما ولكن تقاصرت
فماذا يفيد الاصل قد طاب ان يكن
دعوني دعوني اننى قد عرفتني
فما هو اولى ان اكن ذا بصيرة
الاجل نفسى ثم احسب عاقلا
سوى ان اخواني يقيسوننى على
هل اننى ارجو وفاق ظنونهم
واعل مقام ارتجى ان اعيش في

متى كان للمختار يا قوم من شأن؟
يجلى ويحجى محرزا خصل ميدان
ويحسبه من ليس يدري ابن خفان
هشيم الجنى ما ان يهش له جان
خطاه فلم تدرك له القصد رجلا
له الفرع غصنا قد ذوى بين اغصان
فاذنان منى تسمعان وعينان
اليقان نفسى ام ظنون لاخوان؟
فماذا ترى من ذين رجحان ميزان؟
محاسنهم والود يغرى باحسان
مقاما بفضل الله ربى ورضوان
رعيد وان القى الاهى بفقران

(١) يفتح الخاء وتشديد الفاء ، من محلات الاسود في بلاد العرب .

(٢) القزل محركا : اقبح العرج

(٣) وجار الشعلاب بالكسر : مسكنه

وقد كان انقطع عنى اوائل رمضان : ١٣٧٤ هـ فكتبت اليه ارتجالا - اداعبه -

مذيلة لاتنقضى امد الدهر
ف فوق الذي من حقه غصبة الشهر
لقائك بالاغضاء بالرجل الحر
اثور بها غضبان في قطعة الشعر
عليك يراها الناس مادمت في العمر
فكن وحدك المشوى في ذلك الجهر

فراقا وبيننا مستداما وغصبة
فما اقترفت كفاك من طول غيبة
فلست اذا ما كنت اقبل بعدها
فها انذا خلدت فعلتك التي
لتبقى على الايام بندا مرفقا
فانت الذي اوقدت جمرة غضبتي

ثم اتبعت ذلك قولي :

تأثرت الا اننى تهت في الشعر
تغلغل حتى كنت هاجسة الفكر
يشحد سيفي ان يفلل من الغير
يجللها الاجلال منى بالشكر

الى الى لست غضبان لا ولا
فما انت الا ذلك الولد الذي
وكيف ارى غضبان عنك وانت من
فتق بفؤاد فيه صورتك التي

سيدي

عبد الله بن احمد الوفقاوى

١٣٣٢ هـ = حى

نسبه :

عبد الله بن بن ابراهيم بن محمد ، فتحا ، بن مبارك بن ابراهيم بن سعيد
ابن محمد بن سعيد بن موسى

هذا من النشء الالفى الذى نشأ اخيرا فى هذا السهل ، فظهر بعلمه
وفهمه ، فكان له مقام محمود فى جيله ، فلم ينسب ان يرز الى الميدان ، فكان
له ما كان .

منه

أخذ القراءة عن والده الحاج نيت اوبريك - المتقدم قريبا - فى مسجد
(الكائنات) حتى ختم عليه أربع ختمات ، ثم عن الاستاذ احمد بن محمد
الموهانارى ، فى مدرسة (بومروان) كان يعلم القراءة تحت نظر الفقيه سيدي
عبد الله بن محمد الانامري اولى السملالى - الذى كان استاذ المدرسة -
والعادة ان يكون استاذ العلوم ، وأستاذ القراءة فيها تحت نظره - واحمد هذا
من المدررين الذين يملأون اوقاتهم دائما فى المساجد بتعليم القراءة كآلاف
امثاله فى ذلك الجيل فى كل مسجد فى أية قرية بسوس ، ثم انتقل الى الحوز
وامامه حيا الان : شوال ١٣٧٨ هـ وقد ختم عليه ختمتين

وفى سنة ١٣٤٧ هـ افتتح عند الاستاذ الحاج مسعود فى (ايفيلان) ثم
لازمه من هذه السنة الى : ١٣٥٩ هـ ، فمر على جميع المتون ، وحصل غالبيتها
فيها من الفنون ، نحوا ولغة وفقها وفرائض وحسابا ، وحديثا وتفسيرا وادبا
ولقد حفظ من المتون ما يعهد حفظه ، كالالفية والتخفة ، والرسموكية فى
الفرائض ، والسملالية فى الحساب ، وقصائد أدبية ، فضلا عن المتون الصغيرة

بعد التخرج

اتصل بمحكمة القاضي السيد العبيد الثقالي ، السويدي فى (ابنزكان)

كاتباً فبقى هناك سنتين ، ثم رجع الى مسقط رأسه ، فشاور في المدرسة (الوقاوية) سنة : ١٣٦١ هـ فبقى فيها الى سنة : ١٣٧٢ هـ ولكنه لا يزال التعليم فيها الا قليلا ، لان من أعماله المخطوطة به : مزاولة شؤون قبيلته الوقاوية الكتابية الرسمية ، في قسم الاملاك والفرائض بين الورثة ، ويحضر يوم حكومة اهل قبيلته الرسمي ، فكان يستخلف في المدرسة الاستاذ مبارك الاتي ذكره ، فهذا امتلات العشر السنوات التي قضها هناك ، وكان يرافق العلامة سيدى الطاهر بن علي في هذا العمل طوال تلك السنين ، وقد فارق المدرسة : ١٣٧٢ هـ فاستقل بهذا العمل وحده ، الى ان جاء الاستقلال ، فاستقبل عهدا آخر اختلط فيه ماشاء الله ، حتى تعين القاضي الشرعى في (تافراوت) فكان احد عمد محكمته الى الآن : ١٣٧٨ هـ

كانت لي به معرفة ايام كنت في منفاى الى الخ ، فكان يرد على ، كما كنت وردت عليه يوما في مدرسته ، فتصفح كتيبا وجدتها عنده ، وقد وجدته في مذكراتي عن ذلك النهار ولا ادرى هل انشدها لي او نقلتها من تلك الكتب

رغيف ابي على حل خولا من الاضياف من فوق السما
اذا كسروا رغيف ابي على بكى يبكى بكاء فهو بال
آخر :

غضب الكريم وان تاجج نارها كدخان عود ليس فيه سواد
آخر :

لقد ضيعت حظك من وصالى وبعت بابخس الاثمان كنزا
فكيف رضيت يا هذا بدونى وقربك من جنابى كان عزا
ستعرفنى اذا جربت غيرى وتعلم اننى لك كنت حرزا
آخر :

واذا رايت العبد يهرب ثم لم يطلب فمولى العبد كان الهاربا

من منشداتى

جاذبته يوما في اختلاف الوجهات بين الناس ، فانشد هذا الشطر :

«وللناس فيما يعشقون مذاهب»

«وحكمة ربى في اختلاف المشارب»

وقد اهرقت كاس بيننا ... البيت المشهور

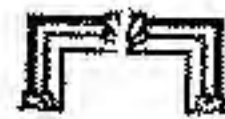
شربنا واهرقنا على الارض فضلة وللارض من كاس الكرام نصيب

كما انشد ايضا البيت الشهير :

لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادى
وبعده :

فلو في النار تنفخ لاستنارت ولكن انت تنفخ في الرماد
وكان هذا المعنى سببا حتى انشد قول المتنبي :

اعلها نظرات منك صادقة ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
وما انتفاع اخى الدنيا بناظره اذا استوت عنده الانوار والظلم



مبارك بن أحمد الوفاوى

١٣٣٨ هـ = حى

نسبه :

مبارك بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن فتحا - بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن حمو بن أحمد

ويقال لاهله (بنو العكيد) كما يقال لهم أيضا أيت همو بن أحمد ، من قرية (أعلى مستلات) واصل الأسرة من (أسا) وقد سكن أجدادهم أولا في قرية (أغرابو) فقيه من فقهاء جيله في تلك القبيلة التي لا تبض بالعلماء الا بمقدار

متعلمي

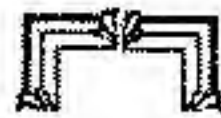
أخذ القرآن عن الأستاذ عبد الله بن أحمد الدفلاوى السملالى - من آل يعزى المخرج لكثيرين - في مسجدهم بهسقط رأسه . ثم الأستاذ محمد بن أحمد الإخصاصى ، ثم الأستاذ محمد بن أحمد من بنى المؤذن ، ثم الأستاذ محمد بن أحمد الزيمامى السملالى ، فحفظ القرآن بسبع ختمات ، وبهم جمع القرآن كله في ختمات ثم افتتح المبادئ عند الأستاذ اليزيدى أحمد ابن الحاج محمد فلامه نحو سنتين ثم لما فارق الأستاذ اليزيدى المدرسة المولودية التحق هو بالمدرسة (الافقية) ١٣٥٣ هـ ، عند الأستاذ سيدى المدنى بن على . فربض عنده ثلاث سنين ، ثم اتصل أيضا بالأستاذ أبى العباس اليزيدى المتقدم فى المدرسة (الوفاوية) ثم بالأستاذ أحمد التاجارمونتى فيها ، ثم التحق بالمدرسة (الايغشانية) عند سيدى الطاهر بن على ، وكان ينوب عنه فى التدريس الأستاذ على بن صالح الأوقيرى ، وقد ألم حينها بالمدرسة (البومروانية) عند استاذها الرجل الصالح سيدى عبد الله بن محمد الايكدمانى ، ثم لازم المدرسة (الجشتيمية) عند الأستاذ اليزيدى المتقدم أربع سنين ، الى ان توفى فهذه متعلماته ، وهؤلاء اساتذته

مشارطات

رايت فى ترجمة سيدى عبد الله بن أحمد انه كان استخلفه ككاتب عنه لمرأول التعليم فى المدرسة (الوفاوية) سنة ١٣٦٧ هـ ثم بعد ان كان هو الوارث للمدرسة من ١٣٥٥ هـ الى ١٣٧٢ هـ فكان يدرس دائما فى هذه السنين لثلة من الطلبة ، ثم استقل بالمدرسة حينما ، وقد كان يالف التعليم فى الجشتيمية باذن اساذه اليزيدى .

توظيف

ثم بعد الاستقلال كان عضوا مستشارا فى محكمة قاضى السداد الى ان عين كاتب الضبط فى المحكمة الشرعية هناك ، وهو على ذلك الان ١٣٧٩ هـ



الرئيس ابراهيم بن داود

٦ - ١٣٠٧ هـ = حـ

نسبه :

ابراهيم بن محمد بن داود بن الحسين بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن وشعا .

القبيلة الوفقاوية مشهورة في هذا البسيط بهذا الاسم منذ ٤٠٠ سنة وقد ورد ذكرها في القبائل التي مانت مولاي احمد المنصور الذهبي وجيشه في الغ ، كما ذكرت فيه ايضا القبيلة الايفشانية بهذا الاسم وبوصف الحربية ولهذه القبيلة الوفقاوية قناة قلما تلين لغامز ، وكثيرا ما تجرى بينها وبين جيرانها حروب منها ما وقع بينها وبين الحربيين ، حين انتهب اولئك حصنهم ذلك العالي المبني في القنة الوسطى من الجبل المشرف على الغ غريبا ، وعن جنوب المدرسة الوفقاوية ، وقد اشتهر ذلك الانتهاب ، وهناك انسان يسمى انكور ، كان اندفع منه وهو متلو بصوف ، فحفظ من الانكسار ، ثم كالوا لآل (تاكازا) صاعا بصاع ، فانتهبوا ايضا حصنهم ، وذلك كله لايزال متداولاً وان كان مغلتا من قيود التاريخ

ومن الوقائع المشهورة بينهم في اول هذا القرن :

ان الوفقاويين احتالوا فارادوا ان ينهبوا (تاكازا) بخديعة ، فذهبوا مع عروس مزفوفة من عندهم بجماعة كثيرة ، بينها (٢٥) من السملاليين ، فسبق الخبر الى التاكازيين بوساطة بعض آل (انكيسا) كان استقى الخبر من أم العروس ، وهي تتأفف على ما تسج حول عرس ابنتها ، فاعز بالخبر الى الحاج ابراهيم فاغاث آل (تاكازا) باهله وبأصحابه الامانوزيين ، فيهم (١٢) فارسا ، فحين وصل الوفقاويون بالعروس لم يخرج اليهم التاكازيون ولا اقوامهم بالترحاب على العادة ، وانما ارسلوا اليهم الطعام ، فعلم الآخرون بافتصاح الدسييسة ، فرجعوا في الحافرة ، وقد خاب مسعاهم .

وقد جرت ايضا حرب بسبب هذه القبيلة بين بعض المجاطيين ورئيسهم : الحسين ابن الحاج جد علي الايشلجيني ، وبين الشريف التازاروا التي سيدي الحسين ، وذلك حوالي ٨٠ في القرن الماضي ، لان سيدي الحسين غرم آل (تاغلولو) خمس ريات للدار ، فاحب ان يمثل ذلك الدور ايضا في هذه القبيلة

= ١٠٢ =

فعام هذا المقوار دونها ، وكانت هذه القبيلة ثورا الحرب بينها وبين سملالة احيانا وكانت مجاط دائما من شيعة الوفقاويين ، وقد كانت حرب نحو : ١٢٨٧ هـ على بعض القرى بينهم ثم حرب الاربع سنوات المشهورة بالحرب الايفشانية السملالية ، وقد الممنا بها في ترجمة الرئيس الايفشاني ، وهي التي استمرت اربعة أعوام متوالية ، تحمل فيها الوفقاويون ما تحملوا ، خصوصا يوم فتحوا السخوم بينهم وبين جيرانهم ، وكذلك دارت تلك الحرب الوفقاوية الايفشانية ١٣١١ هـ = ١٣١٥ هـ وقد ذكرناها في ترجمة الحاج ابراهيم الاتية ، وفي : ١٣٢٨ هـ انقض السملاليون في سوق الجمعة على محمد الملقب بوفوس الكشوضي من قرية (ايت اوالشريف) فاعتقلوه ثم اطلقوه ، فجاء هذا الى الشيخ الالفي بكى عليه ، قال العم ، فسمعت الوفقاوي يقول له : والله لنقيم نحن ايضا سوقا أخرى ، وبعد نحو اربع سنوات ، اقيمت سوق الخميس الوفقاوية نحو : ١٣٣٥ هـ فقامت العداوة بين ايت وافقا وسملالة ، فانكف كل فريق عن سوق الآخر ، وفي نحو ١٣٥٠ هـ قامت بينهم حرب عنيفة ، جاء مربيه ربه فهدنها ولم يلبث الاحتلال ان جاء ، فاستوى الماء والخشبة

واخبرني العم ان من العجيب ان ذوى التحدث بالغيب كثيرا ما يقولون : ان سوقا ستقام هناك ولا بد ، قال واعرف انسانا يسمى : الطاهر بن ابراهيم سكن بالربوة المظلة على مشهد لالاتري ، يقول ذلك . وهو رجل صالح ، كان غريب الاحوال ، وهو خال الفقيه سيدي سعيد بن علي الاعضياوي ، ومات نحو ١٣٣٠ هـ

وقد كانت سوق قديمة تقام في قرية (اغرابو) في محل لايزال يسمى (السوق) الى الآن يوم الجمعة ، وسبب انهدامها ان رجلا من التاكازيين واعداه وفقاوي ان يتسوق ، فاذا باخريين القوا عليه القبض بسبب ما بينهم وبين آل (تاكازا) ، فقامت الحرب بين الوفقاويين حتى سقط كثيرون ، فانقطعت السوق بذلك ، وهذا نحو ١٢٨٠ هـ او بعدها بقليل

ويقال ان المكيال الذي يضاف لسوق الجمعة وفيه اربع اصع ، اصله من هذه السوق الوفقاوية ، قبل سوق الجمعة السملالية التي ما اقيمت الا سنة ١٢٩٩ هـ

ذلك ما تحدث به العم قائلا : انه يعقل ذلك المكيال قبل : ١٢٩٩ هـ ويزعم المترجم ان مكيال تلك السوق اصغر من ذلك .

هذه نظرة على هذه القبيلة في امورها الخارجية ، وهي في الحقيقة قد اندمجت اخيرا في الكتلة المجاطية ، يجري عليها قانون المجاطيين ، الا انها قدرت ان تخلص مما اصاب مجاط في الايام الاولى للحاجيين ، اذ انضمت ايام

واما امورها الداخلية ، فانها كانت تنقسم الى قسمين كبيرين : ايت اسماعيل وايت عزو ، وكانت الحرب قديما كثيرا ما تنور بين الفريقين بسبب الرياسة ، وكان امغار احمد ارجدال ، من رؤسائها المشهورين ، ويظن العم انه مات في اول القرن الماضي ، او في اخر القرن قبله ، وقد حج بيت الله الحرام

اخبرني سيدي الطاهر بن علي انه رأى بين رسوم احفاده حين قسم املاكهم سنة : ١٣٥٥ هـ مكتوبا له كانه وصية وصى بها حين ازمع الى الحج ، ويظهر ان له ديانة هي التي حفزته الى اداء فريضته ، ولكن الاستاذ لم ينقل بذاكرته وقت تاريخه ، وكان هذا الرئيس من فريق ايت اسماعيل وهو الذي تقدم ذكره في ترجمة القاضي الوقاوي ، وقد زالت منهم الرياسة بعد ذلك ، فتمشت امور القبيلة بالنفائيس - أي الرؤساء - وكان مجتمعهم في موضع يسمى (زلاقة) وهناك كانت المدرسة قبل ان تبنى هذه ، وفي (زلاقة) مزارات كثيرة سمي لي صاحب الترجمة بعض رجالها ، ولكن لاتاريخ لهم ، ولذلك لم نهبل بهم ولا بكثير امثالهم هناك

ومن اشتهر من نفاليسهم في آخر القرن الماضي الفقير محمد اوسار ، وهو الذي ينوب عن قبيلته في مجامع تازروالت بايليخ ، عند يعسوب القبائل اذذاك : سيدي الحسين بن هاشم ، وكان اركن رؤساء قبيلته ، يؤثر عنه في ذلك بعض حكم بدائيه ، قيل له في سنة : ١٣٠٠ هـ ماذا ظهر لك من (ترنيت) حين يسورها السلطان : قال انها بمنزلة البردعة التي يسويها الانسان ليهيمته فانها متى تمت والقيت عليها ، فلا مناص لها من ان تذهب وتجيء في نقل الاثقال - او كما قال - واخبرت ايضا انه جاء مع رؤساء قبيلته ليصلوا الشيخ الالف سنة : ١٣٠٦ هـ بعد رجوعه من الحج ، فظل الشيخ يعظهم ، ويعلمهم التوحيد وما وراء القبر ، فقال له الفقير محمد اوسار : اصحيح ياسيدي كل ما يقال هناك ، أم انما ذلك يقال لزعج الناس وتخويفهم من الاسترسال فيما لا ينبغي ؟ فاطرق الشيخ مليا ثم التفت الى مرابط من آل (اكادير ايزري) كان جاء مع الوقاويين ، ويعتقدون فيه الخير ويخدمونه ، فقال له : بالله عليك ماذا تعلم لاصحابك هؤلاء ، فانهم لايزالون ينكرون الحشر .

اقول : ربما كانت هذه المقالة من اوسار انما جرت لمجرد الكلام فقط والا فرجال هذه الجهة وان بلغ بهم الجهل ما بلغ ، لا أخال انهم ينكرون ذلك او كان هو كذلك وحده ، والله اعلم ، وقد هلك اوسار هذا نحو ١٣١٠ هـ وهو من احفاد الطالب ابراهيم ، المشهورة به تلك القرية الوقاوية الى الان ، وابناؤه يرفعون - فيما يقولون - نسبهم الى ابي بكر ، وقد فشتت على مشجر نسبهم

فقبل ان عهدهم به يوم ذهبوا به الى سيدي الحاج احمد الجشتيمي ليعلم انهم من أبناء عدوته ، ثم لم يظهر بعد ، هذا ما قيل لي ، وهم اليوم قدطلقوا الرابطة ، فدخلوا في غمار العوام ، وذلك منذ اواسط القرن الماضي ، وذكر امغار ابراهيم المترجم له ، انهم من اقرب الناس ان يصاب كل من مسهم باذى قال وقد اشتهروا بذلك كل الاشتهار ، ويذكر انهم اخواله

نشا الشيخ ابراهيم صاحب الترجمة نشأة شبان اهل بلده ، غيرمتوسع في المال ، فصار يخبط يمينا وشمالا ، وكانت تظهر منه نزعة الى الرياسة منذ بعد ، فكان باها بن باها الرجل المشهور في رفقة الاستاذ علي بن عبد الله لاساديه الا بامغار باها ، لما يرى ذلك من شمائله ، وكان من الذين زحفوا مع الهبة الى مراکش ، ويحكى انه لما انهزم مع ناس سلكوا طريق : (هروكة) تعرض لهم اناس هناك ، فكادوا يبطشون بهم ، قال : فسللت سيفي ، فجلت برمكتي . فقدر الله ان انجو

وقد كانت له اخيرا في مجمع قبيلته جولات ، ثم لما جاء الاختلال انتخب الرياسة على قبيلته ، فسار سيرة مثلي ، وقد كنا مرة في مركز (تافراوت) في السنة الماضية : ١٣٥٦ هـ فمررنا بداره ، فشاهدت منه مايدل على انه ممن يؤسس للرياسة باسس متينة ، وكثيرا ما اسمع سيدي الطاهر بن علي يشي على جوده ، ويقول انه لايرى الا ان الكرم زينة الرجل

واخبرني الاخ احمد رحمه الله انه لما طرق هذه النواحي رئيس الزاوية الناصرية بتامكروت ، سيدي عبد السلام ، سنة : ١٣٥٥ هـ ارسل الى رؤساء الخ ، فقال صاحب الترجمة : الاول ان نذهب اليه ، وان تقدم له ضيافته هناك وانا ساعطي مائة ريال حسنية ، فمن هنا تعلم نفسية الرجل ، ورايته مرة أخرى يريد ان يفرح صبية لنا ، فمال بيده الى كيسه ، فصار يفرق لكل واحد ما صادف ريالا اوريالتين ، أو فرنكا ، فادركت من الرجل ما ادركت ، وسبحان الله : ان الناس معادن ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا ، او كما قال صلى الله عليه وسلم

واشكره شكرا كثيرا ، لان كل ما سمعته عن قبيلته هو الذي افادنيه كما افادني ترجمته ، ولم يرزق الى الان اولادا ، يسر الله له في عقب صالح ويسر له كسب مال صالح . لان ماجمع من مهاوش ، فالي نهاير يصير

ومن اعظم مزاياه : انه عمر (المدرسة) في وقت خلت فيه المدارس . وكفاه ذلك مزية ، يعرفها عنه التاريخ

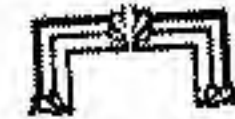
الفصل الرابع في الايغشانيين

ذكر فيه من الرجال :

القاضي سيدي عبد المومن الدياني
الفقيه سيدي سعيد بن صالح الدياني
الفقيه سيدي محمد بن عبد المومن الدياني
الرئيس سيدي احمد بن محمد بن عبد المومن الدياني
الرئيس محمد الاشكر الدياني
الرئيس الحاج ابراهيم الايغشاني المشهور
الرئيس احمد بن الحاج ابراهيم الايغشاني
سيدي المحفوظ الايغشاني
سيدي محمد بن احمد بن الحاج ابراهيم
الرئيس علي بن احمد بن الحاج ابراهيم
الفقيه الاستاذ الحاج احمد بن الحسن البناءي
الاستاذ سيدي الحاج محمد بن الحسن البناءي
امغار باها الايكليني
امغار يوسف بن باها
الفقيه احمد بن ابراهيم التاوييتي
الفقيه يحيى بن محمد التاوييتي
القاري سعيد بن عبد المومن التاوييتي
سيدي احمد بن بوهوش التاوييتي
النقيب محمد بن مبارك التاوييتي
الحسن بن مبارك أخوه
الفقيه محمد بن عبد الله الايكدماي
القاري علي بن همو الايكدماي
امغار بركا الايكدماي
العلامة سيدي عبد الله بن محمد الاخفش الايكدماي
العلامة سيدي علي بن يونس الانامري

وبعد : فقد كنت كتبت ما تقدم سنة : ١٣٥٧ هـ او في السنة التي بعدها
ثم توالى السنون ، وشان المترجم يعلو الى ان جاءت الحوادث حول العرش
فكان ينجر مع جيرانه من الرؤساء ، فلما جاء الاستقلال ، ذهب كثير من ماله
وكاد يذهب هو ايضا لولا ان هرب الى البيضاء مع حفظ الله ، ثم استقر بعد
في داره حيث هو الان فردا من الناس ، يعيش في رد هجومات الوفاويين
عليه ، دفاعا عما بقي من املاكه ، ولعله لم يجد الا بركة بعض المحاسن التي
كانت فيه ، ثم اتجه بعد ان استقرت الحالة لكسب الحلال ، ففتح دكانا في
سوقهم ، حيث هو الان ، قاله يوفقه أمين . وفي (الافيات) قطعة كنت قلتها
يوما بعدما خرجت من داره ولم ارهاله ، مطلعها :

اندي الكرام الشيخ ابراهيم
فلديه يروي المعتفون الهيم



سيدى عبد المومن الديانى

نحو: ١٠٢٨ هـ = بعد: ١١٢١ هـ

نسبه:

عبد المومن بن محمد بن على بن محمد بن عبد المومن

هناك في تلك الزاوية في الشمال الشرقى بالغ اسرة مجيدة لها منذ اربعمائة سنة ذكر خالد في ميدان العلوم أولا ، ثم في ميدان الرياسة والسياسة ثانيا وتسمى الان (الطالب) وتسمى تلك الشعبة التي يشوون فيها من ذلك العهد (اكفى اديان) - شعب المتدينين - وذلك مما يدل على ان وصفهم بالتدين حتى اضيف اليه شعبهم الذي يسكنونه قديم ، قبل صاحب الترجمة الذي ينتسب هذه النسبة الديانية العاصمية في توقيعاته ، ومن امعن النظر ، واعمل فكره في اخلاق هذه الاسرة الالمة ، يدرك باستشعار عقله انها ليست من جلد الذين يسكنون هذا البسيط منذ ذلك العهد من المرابطين وغيرهم الذين عبر عن حالهم الذي يعرفهم احسن تعبير : الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الالفى حين قال : ان هذه الاية : (كلوا واربعوا انعامكم) لاتصدق الا على الالفين الذين لا يعرفون الا الاكل ورعى الانعام ، يريد بقولته ان يستفز ذوى الشعور الحى منهم الى تطلب المعال ، وال عدم الاقتصار على الشهوات الظاهرة ، التي يعرفها كل احد ، وال رفع الهامات والتطلع الى اعلى المقامات .

من صغرى كنت ارى هؤلاء الديانين ، فاراهم من جهة شجعانا مغاوير لا ينامون عن وتر ما استطاعوا الى اخذ الثار ممن وتروهم باى سبيل ، مع بطلع دائم الى الشفوف من كل ناحية من النواحي التي يتطلع منها امثالهم من العوام الى الشفوف ، ومن جهة اخرى اراهم متعاشين الى التدين والكرم والاخلاق ، الا خلقا من بعضهم فتخلقا ، كما كنا نعرف الحاج ابراهيم وابنه الرئيس احمد رحمهما الله ، فقد كانا يترايان لنا انهما بجمعهما لهذه الاخلاق جميعا ممزوجا ، كانا جميعا بين طرفى تقيفين ، على ماهو معروف في وسطنا هذا ، ثم بعد ان دخلت في السنة الماضية الى ميدان البحث حول الالفين كافة

الصالح سيدى يعقوب الايكدمانى

الرئيس سيدى على بن يعقوب

الفقيه سيدى محمد بن على بن يعقوب

سيدى يونس الايفشانى

الشجاع على اليبوركى الانامرى

سيدى مبارك مومادين الانامرى

الفقيه سيدى احمد بن ابراهيم الانامرى

النقيب سيدى الحاج الحسين بن صالح التاكانزى

القارئ محمد بن احمد الاوكافى الانامرى

القارئ مسعود افلوس التاكانزى

الصالح احمد الفقير التاكانزى

الصالح سعيد جد آل بلخير

الفقيه احمد بن محمد الاوبلخيرى

الصالح محمد بن احمد المدونة

الفقيه محمد - فتحا - بن احمد الاوبلخيرى

الصالح سيدى ابراهيم بن على الايفشانى



تبين لي بعد البحث الممكن ، والتساؤل مع من يظن ان عنده اشارة من علم
ان جنودهم ليسوا من الايفشانيين اصالة ، وانما حلوا بين ظهرائهم من عهد
لم نهتد اليه بعد ، ولكن يظهر ان ذلك كان على اقل تقدير قبل القرن العاشر
وقد حدثني كثيرون ان الحاج ابراهيم كان يقول ان اصلهم من (ركراكة) وان
جدهم الاعلى انتقل من جبل الحديد ، المشهور في الشياظمة حيث حدود
الركراكيين ، وان اسمه عبد الصمد ، وزعم بعضهم ان عند الحاج ابراهيم
مخطوطا في ذلك بين رسومه ، ولكن اهله اليوم لا يعرفون لهذا الرسم وجودا
في سلات رسومهم ، وما كان ليخفي عنهم لو كان باقيا الى الان فيها ، وقد
اتصلت بمشجرين من انساب الركراكيين ، فلم اقع فيهما على ما يلقي ضوءا
على ما اتطلبه ، مع انه ذكر فيهما معا هؤلاء الركراكيون في وادي الكبير ومعناه
بلغتنا : (اسيف مقورن) ، وقد كنت احسب ان المقصود به هذا الذي يسمى
بهذا الاسم في قبيلة ايفشان ، وقد ذكر لي الفقيه سيدي مبارك بن مومادين
الايفشاني ، ان هناك في ذلك المحل ركراكيين ، ثم زاد ان الديانيين اخوتهم
فهكذا كنت اظن انني وجدت الخيط متصلا ، ولكنني بعد ان راجعت ايضا
المشجر الاخر ، وجدته كانه نسب الوادي الكبير لهشتوكة على ما يتراعى منه
فضعف حسابني المتقدم ، رغم ان المشجر الاول يكاد ينسب الوادي الكبير الى
ايفشان ، ولكنه مشجر لا يقدر عاقل ان يعول عليه ، فيما لم يخالف فيه ،
فكيف بما خولف فيه ، كنسبة الوادي الكبير ، وقد سقنا ملخص هذا المشجر
وكل ما يحتوي عليه ، حول ركراكة ، في (الفصل الاول) من (القسم الثالث)
في ترجمة يحيى بن عبدالله الركراكي ، الدويمالتي ، كما ذكرنا ايضا بعض
ما يتعلق بالركراكيين ايضا في (الفصل الثاني) من ذلك القسم حين تعرضنا
لاهل (تاويرت وانو)

ذلك ما يدل على ان النتيجة في بحثنا كادت تخرج صفرا ، ولكن عدم
وجدان الشيء ، لا يدل على عدم وجوده ، لان الاهمال خصوصا في هذه الناحية
مما تمالا عليه المغاربة ، ما لم يكن وراءه دائق يحتج او منصب يرتقى فائق
ثبت ما ذكره الفقيه سيدي مبارك الموماديني - وهو على كل حال ممن لا يعرف
بما لا يعرف على حسب ظننا به ، ولا سيما في مثل هذا المقام - فان ذلك مما
يصحح ويؤيد ما يقوله الحاج ابراهيم ، على انه كان ينبغي لنا ان نقف عند
كلامه ، وان نكتفي به ، فالتاس مصدقون في انسابهم ، كما يقول الامام مالك
ابن انس ، فهذا ما وصل اليه بحث انسان غريب منفي الان لايجرؤ على ابداء
طلبته لكل من يلقاه ، وخصوصا في مثل هذا العلم الذي يصير به الانسان عند
الافقيين اضحوكة اذا راوه مهتما به ، فيالغربة البحاثين المنكودين في المغرب
المنكود بالجهل

هذا وقد وقلت على مخطوطات عديدة متراكمة ، مغلفة بالجلود القديمة
وهي على ما يظهر من تحريرات ملوكية لاسلاف هذه الاسرة واحداها مؤرخ
بـ : ١٠٢٠ هـ وبعضها ربما كان قبل هذا العهد ، كما ان هناك رسالة ومخطوطات
اخرى تتعلق بموضوعات اخرى لكنها خرجت من ايديهم لان الشيخ اعطاها
لاحد المراقبين في (تافراوت) فلم يرجعها اليه .

ثم ان اول من أسس مجد هذه الاسرة او (جده) فيما نعرف هو صاحب
الترجمة الذي هو الجد الاعلى لهذه الاسرة التي اعانت في تأسيس مجد السلج
اخيرا ، ولكن بكل اسف لم اتصل عنه الا باخبار ضئيلة ، تمدنا بها بعض
نقشات اقلام منه ومن غيره

كنت يوما اطالع (طبقات) الحضيكي ، فاذا بي ارى من بين من اخلوا
عن الاستاذ سيدي عبد الله بن يعقوب ، عبد المومن الايفشاني ، فهذه الكلمة
وحدها هي التي افلتت من قلم الحضيكي ، فنفعني اليوم ، وكذلك كنت اطالع
في مجموعة من الفتاوى ، فوجدت فيها فتوى موقعة باسمه ، وكذلك رايت اسمه
مكررا في المجموعة التي نشرناها في (الفصل الاول) من (القسم الاول) في
ترجمة جدنا سيدي عبد الله بن سعيد ، وأولاده ، فقد ذكره في الوليمة الكبرى
التي وقعها ثمانية عشر من العلماء ، وكان احدهم ، كما شهد ايضا في (الترجمة)
نشرناها في ترجمة سيدي عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن سعيد .

في هذه المخطوطات رايت اسمه مذكورا ، وربما رايت في غير ذلك كما
الآن ، ولو كان مشهورا بين الصوفية لتبرع الحضيكي بترجمته ، بل عاينه في
ان لا يترجم الا من كانوا على هذا الوصف ، ولا يقرنك انك ترى من علماء القرن
العاشر والحادي عشر مترجمين فيه وهم خالون من هذا الوصف ، فانه لما
اقتبس ذلك من (وفيات) الرسموكي بعزو ، وكثيرا ما يشي هذا العزو ، مع
انه ياتي بعبارة نفسه احيانا ، ولما انصرم الحادي عشر ، وقد انقضى في يده
ما كتبه الرسموكي الى سنة : ١٠٩٨ هـ صار لا يعتنى الا بمن ذكرنا وحدهم
مالم يكونوا غير السوسيين ، والا فيذكرهم مطلقا ، متى اتصفوا بالعلم ، وهذا
ليس يقدح في الحضيكي ، ولكنه شيء واقع ، نحب ان يتنبه له المطالع ، لئلا
يتمعجب ان رأى عالما كبيرا له شهرة ، وصلت الحضيكي بلا شك ، ثم يتكلم
ذكره مع انه يعمد الى محمد بن يزيد من ثمانية فيذكره (١) ولا يحمله على الاعتناء

(١) تلميح الى قول الشاعر :

اسائل عن ثمالة كل حي

فقلت : محمد بن يزيد منهم

وكلهم يقول : وما ثمالة ؟

فقالوا : الان زدت بهم جهالة

به الا ذلك الوصف ، ولكنه مشكور على كل حال ، فلولا له فقدنا ايضا كثيرين من اهل القرن الثاني عشر من السوسيين

ثم ان سيدى المحفوظ بن الهاشم فقيه الاسرة اليوم من احفاد المترجم النابيين ذكر لي ان عنده رسالة كتبها بعض العلماء التمليين الى صاحب الترجمة فحلوه فيها بالقاضى فعرفنا بذلك انه كان قاضيا من القضاة الاسماعيليين في هذه الجهة ، ويؤيد هذا : اننى رايت له توقيعات بين الذى رايتته مما مر بين يدي كتوقيعات القضاة فى العادة ، كما رايت فى فتوى لسيدى محمد بن محمد ابن أحمد الدويماللى التمل وصفه بالقاضى العدل ، واخبرنى ايضا امغار على ابن أحمد رئيس اسرته اليوم بل رئيس كل الايفشانيين - وسترى ترجمته فيما ياتى ان شاء الله - ان هناك بعض رسائل اسماعيل الى اهاليهم فى ذلك العصر ، ولعلها الى صاحب الترجمة ، وكما اخبرنى ايضا سيدى المحفوظ بن الهاشم المذكور انه رأى رسالة حول ثلاثة من اهاليهم فى ذلك الحين ، يدرسون بمراكش ، ولعلمهم من اولاد صاحب الترجمة ، ولو كنا اتصلنا بكل هذه الوثائق لفهمنا منها امورا ، ولكن لم يتيسر ان نراها .

وأما مقدار عمره ، فاننا رأينا أنه تخرج بالاستاذ عبد الله بن يعقوب المتوفى (١٠٥٢هـ) فكان لابد فى هذه السنة ان يكون على الاقل ابن نحو : ٢٥ سنة ، لان المعتاد ان لا يتصل بالمدارس حتى يحفظ القرآن ، والمعروف ان يحفظ غالبا فى هذه الجهات عند المراهقة ، ثم يقبل على العلوم ، فيتخرج باستاذه تخرجاً يمكن ان يصح انتسابه به اليه ، وذلك على الاقل يحتاج الى نحو عقد تام ، ولهذا قدرنا ولادته فى نحو : ١٠٢٨هـ وأما زمن وفاته فقد جعلناها فيما بعد : (١١٢١هـ) لاننا رأينا فى مخطوط الشهادة المنشور فى ترجمة سيدى عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن سعيد ، تاريخه سنة ١١٠٢هـ ثم اخبرنى ابن الهاشم انه كان يوقع الى : ١١٢١هـ فهو على هذا التقدير يكون يوم وفاته ابن اكثر من ثمانين سنة ، وهذا على كل حال مقارب للحقيقة والله اعلم

ثم اننى رايت بخط يده فى كتاب ارسله الى امغار على بن أحمد ، ان له ولدا يسمى محمدا ولد فى : ١٠ - ١ - ١٠٨٢هـ ولم ندر ، اله اولاد اخرون ام لا ، وقد تقدم ان ثلاثة من اهاليهم اذذاك يقرأون فى الحمراء ، فلم نعرف اهم اولاده مباشرة ام لا .

وقد وقفت على ايفشاني يسمى يوسف بن عبد المومن يكاتبه سنة : ١١٤٢هـ الفقيه سيدى محمد بن على اليعقوبى الاتى ان شاء الله ، فلم ادر اهو ولد من اولاد صاحب الترجمة ام لا .

ومما يتعلق بالمترجم اننى رايت ما يدل على انه تقابل مع احد اخوته ،

فجرحه اخوه ، ثم سعى بينهما بالصلح ، فابى المترجم الا القصاص ، فلم يرخص سوى جرح اخوه فى راسه قدر جرحه ، ثم تصالحا اذذاك وقد ارخ ما حدث فيه ذلك ، بصفر : ١٠٧٣هـ

ثم ان محمد بن عبد المومن له ولد يسمى احمد بن محمد ، ثم ولد لاحمد ابن محمد هذا ولد يسمى : عبد المومن بن أحمد بن محمد ، وعبد المومن هذا ممن له مخطوطات مجودة بين الرسوم ، ويظهر ان له الاما بتراث اهله العلمى حتى كان يشكل اسمه مع اسم جده القاضى عبد المومن على كثيرين ، حتى عرفنا الحقيقة فى ذلك الكتاب الذى عرفنا به ان هناك جدا وحفيدا ، كلاهما يسمى عبد المومن ، وقد استوقف بصرى فى ذلك الكتاب : عبارة وجدتها بخط بعض هؤلاء الديانيين ، فقد قال فى كلام : قال شيخنا سيدى ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن يعقوب ، فلم أعرف من قال منهم هذا ، وليس امامنا من اهل القرن الثانى عشر ، ممن نعرفهم الآن ، الا : محمد بن عبد المومن الاول ، واحمد ابن محمد بن عبد المومن ، وعبد المومن بن أحمد بن محمد بن عبد المومن الاول والفقيه سيدى سعيد بن صالح ، الذى عاش آخر هذا القرن الثانى عشر ، وتوفى فى العقد الثانى من الثالث عشر ، كما سيأتى ، فامعنت النظر فوجدت انه لا يمكن ان يكون محمد بن عبد المومن ، لانه ولد كما ترى سنة : (١٠٨٢هـ) والفقيه سيدى ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن يعقوب ، ولد سنة (١٠٧٦هـ) فهما يكادان يكونان من الاقران ، فبعد ان ياخذ عنه عادة ، واما ولده احمد ابن محمد ، وحفيده : عبد المومن ، وسعيد بن صالح ، فهؤلاء الثلاثة يمكن ان ياخذوا عنه ، وقد توفى سيدى ابراهيم المذكور سنة : (١١٦٠هـ) على ان الاخير يغلب على ظنى انه ممن اخذ عن الحضيكي ، وقد اخبرنى الاديب سيدى احمد ابن الحسن البنائى : انه رأى رسائل له كثيرة ، بينه وبين اولاد الحضيكي وربما كان ذلك ، لانه تلميذ والدهم المتوفى سنة : (١١٨٩هـ) وعلى ان الثانى ايضا ، وهو احمد بن محمد ، لا ذكر له فيما عرفنا ، ولذلك يغلب على ظنى : ان سيدى ابراهيم استاذ عبد المومن الثانى ، الذى ذكرنا ان له مخطوطات ، ولو وقفنا له على ما يستحق الذكر من المخطوطات ، او لو سمعنا عنه بما يستطاب او ما يروج على الاقل ، لافردناه بالترجمة ، ولكن يكفيه ان يستظل بظل ترجمة جده القاضى عبد المومن الاول ، والدنيا حظوظ وقسم

وقد سألت عن قبر صاحب الترجمة ، هل هو معروف هناك اليوم ، فذكر لي ما يدل على ان الاحفاد ، اصاعوا حتى قبور الاجداد ، والله الامر من قبل ومن بعد

وقد اوردت من (المجموعة الفقهية) فتوى ، وقفت عليها لصاحب الترجمة ولكنها صغيرة وقليلة الكلام ، وان كان قليلا لا يقال له قليل

الفقيه سيدى سعيد بن صالح

ابن محمد الدياني

قبل ١١٦٥ هـ = ١٢١٤ هـ

أول ما سمعت بهذا الفقيه من العم ابراهيم حفظه الله ، فذكر عنه انه فقيه جيد ، موجودة احكامه التي فصل بها النوازل ، ومحرراته في ذلك كثيرة من رسوم هذه الجهات ، واخبر ايضا انه مات كلاله في وباء (١٤) من القرن الماضي ، ويحكى عن الرئيس الحاج ابراهيم الايفشاني انه أدرك زوجته حوكا بنت عبد الله بن عبد المؤمن حية بعد : ١٢٦٥ هـ وهي عجوز درديس ، وذكر عنه ان هذه الدار التي يسكنها اليوم على ابنه - وهو على بن ابراهيم الكبير الدياني زوج اختنا - كانت داره ، وقد صارت اليه - اى الى الحاج ابراهيم الذي يحكى - فهدمها ووجد بناءها ، وقد وجد فيها صرة من الدراهم الحمدية - نسبة الى السلطان سيدى محمد بن عبد الله - حين كان يهدمها ، هذا ما حدثنى به العم ، ثم سألت الاديب سيدى احمد بن الحسن البنائي ، فقال : انه من بنى عمومتنا نحن ووال أوبها قال : قد اطلعت له على مكاتبات عديدة في خزانة الحضيكيين ، يكتب بها اولاد الشيخ سيدى محمد بن احمد الحضيكي ، وقد كان وعدنى ان يفرغ جهده لعله يتصل ببعض هذه الرسائل لتعرض على القراء ، ولكن ذلك لم يتيسر الى الآن ، وفي أثناء بعض مراجعاتى لرسوم فى سلة ، وقعت على هذه الرسالة اليه ، كتبها اليه بعض ال تكانزا من أبناء سيدى احمد الفقير الالفى وقد قرأت ترجمته فى (الفصل الثانى) انفا ، ونص الرسالة :

«الى الفقيه النبيه الورع : سيدى سعيد بن صالح من (هوت اديان) الغشاني ، السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وازكى التحية والاكرام ، يعم جميع أحوالك المرضية .

وبعد : فلا بأس عندنا ، ونعلمك بما بيننا وبين أبناء يونس ، فما لنا قسم فى زمن المرض - لعله يقصد مرض الوباء الواقع ، سنة ١١٦٣ هـ وهو مشهور - وكل عمر ماله ، ولم تكن المبادلة بيننا ، وهذا الرسم الذى خرج وفيه المبادلة ، لم نعلم به ولم يره «باؤنا ، فقال لنا سيدى بلقاسم العباسي

(ثم انسى بعد ما كتبت كل ما تقدم بثلاث سنوات اخبرنى مخبر انه رأى عند أمغار على الدياني - حفيد المترجم ، والذي سترجم فيما بعد - رسوما قديمة بينها تحرير بعض الامراء لعبد الله اخى عبد المؤمن هذا ، وان عبد الله الديانيين العاصمين ، بانهم يلاحظون سيدى عبد الله بعين الاحترام ، وبينها ايضا رسم ، فيه ان عبد الله هذا عدا على اخيه عبد المؤمن ، فشججه ، فجرى الناس بينهما بالصالحه ، وراودوا عبد المؤمن على العفو ، فبابى الا القصاص فعمد عامد الى عبد الله فشج رأسه ، كما فعل هو باخيه ، فوقع الفصل على ذلك ، وذلك الرسم مكتوب على الفصل التام حول ما وقع بينهما (وهذا يفصل مجمل ما تقدم حول هذه القضية) ، كما ذكر ايضا ذلك المخبر : انه رأى ذلك التحرير موقعا باسم احمد بن العافية ، ولاندرى احمد هذا ، ولانستحضر من هو السلطان الذى كان احمد هذا من عماله ، وكما ذكر ايضا انه رأى من بين تلك الرسوم ما يدل على ان آخر اسمه ايضا عبد المؤمن كان من اجداد المترجم فوق الرجال الذين ذكروا «انفا عند ذكر نسب المترجم ، وسألته الم يربى تلك الرسوم «انفا اسماعيلية ، فقال ان أمغار على ذكر انه كان دفعها لبعض المراقبين المدنيين فى مكتب (نافراوت) ثم لم يسترجعها منه ، فذهبت ضائعة ويظهر من كلام هذا المخبر ان من بين تلك الرسوم ما هو سعدى ، ولم يستوعب المخبر تاريخ تلك الرسوم ، لانه نساء ، ولانه يتوقف كثيرا عند الاخبار عن شىء ، فلا يدل الا بالمحقق عنده ، لايرجم بالظنون)

وهناك ايضا رسم فيه ذكر لكتب خزانة المترجم واحصائها ، ثم ما وقع لها بعد ، اخبرنى بذلك سيدى المحفوظ .

ان هذه المبادلة لم تصح ، واما سيدى صالح بن بلقاسم (البوضياشى) فقد كتب على الحكم ، ولم أرض بحكمه ، ولم نكتب تراضيه ، فقد برحنا عليه فى سوق يوم الاحد . وايضا منعنا ان نقرأ رسوم ابناء يونس ، فهل هذا هو الشرع فى هذه المسألة او ما فيها .

هذا مضمون الرسالة ، وقد اختصرت من بعض جملها ، اما سيدى بلقاسم العباسى المذكور ، فستراه ان شاء الله مع االه العباسيين فى فرصة اخرى ان شاء الله .

واما سيدى صالح بن بلقاسم البوضياشى ، فلم اسمع به قط ، ولا رايت له ذكرا مع انه فقيه كما ترى ، يفض النوازل - و (بوالضياش) محل فى (تيفرميت) ببغيلة -

وهذا ما عرفته عن صاحب الترجمة ، وقد رايت خطه - وهو وسط - فى بعض المخطوطات ، ولكننا مع كل هذا لم نقف على درجته العلمية ، ولا على مشارطاته او ما كان يملأ به حياته ، وكذلك شيخه لم نعرفه تحقيقا ، وقد مر فى الترجمة المتقدمة انه يتراعى الى انه ممن اخذ عن الحفصيين ، والله اعلم ، واما زمن ولادته فقد حزرنا انها قبل : ١١٦٥ هـ باعتبارنا زمن اخذه للقرآن والعلوم ، ثم عصرا بعد ذلك ، ينال فيه هذه الشهرة التى له ، واما نسبه فلم اعرف عنه غير ما تقدم لا غير ، وانه من الاسرة الديانية .

الفقيه سيدى

محمد بن عبد المومن الديانى

قبل : ١١٩٠ هـ = نحو : ١٢٥٠ هـ

نسبه

محمد بن عبد المومن بن احمد بن محمد ابن القاضى عبد المومن بن محمد ابن على بن محمد بن عبد المومن .

هذا وتد من اوتاد الخ فى النصف الاول من القرن الماضى ، واحد العلماء الاجلاء فى عصره ، الذين لهم يد طولى فى النوازل وفى فصل الخصومات .

قال العم ابراهيم وآخرون : انه والفقيه سيدى سعيد بن الحسن بن على العدانى المجاطى : عالما هذه الجهة الكبيران اذذاك ، وكان هذا الديانى اكبر من صاحبه علما وشهرة ، ولم يرتفع شأن الاخر جدا الا بعد وفاة الديانى هذا ، لان وفاة العدانى تاخرت الى نحو : ١٢٧٠ هـ .

اما الفقيه سيدى محمد بن عبد المومن ، فقد ابتدأت شهرته فى حياة ابن عمه الفقيه سيدى سعيد بن صالح ، فعند العم ابراهيم : محرره ، فصل به نازلة سنة : ١٢١٦ هـ وقال العم : انه هو القيم على النوازل الكثيرة التى نشأت عن الطاعون الجارف الماضى اذذاك سنة ١٢١٤ هـ قال : وما اكثر مخطوطات تفصيلاته وقسماته للشركات ، وفصله للخصومات ، بين المخطوطات التى مرت تحت يده ، قلت : وقد رايت انا بعضها ، كما رايتها ايضا بين المفتين ، ومن بين ما رايت له جولة معهم : الفقيه سيدى محمد بن احمد بن محمد الادوزى ، الذى سنترجم له ان شاء الله فى مكانه بين الادوزيين فى (القسم الثالث) بحول الله ، والفقيه سيدى عبد الله بن محمد الكرسيقى ، استاذ المدرسة الوفقاوية اذذاك (وستراه ايضا بين الكرسيقيين) فى (الفصل الثانى) من (القسم الرابع) وهذه الفتوى المذكور فيها مع هذين فى : (المجموعة الفقهية) وهى صغيرة

ثم اننى الى الان لم اقف على شيوخه ، وان كان يتراعى الى - والله اعلم - ان احفاد القاضى عبد المومن ، لا يزالون يتعهدون مدارس احفاد الشيخ عبد الله ابن يعقوب ، فقد رايت فيما تقدم احدهم اخذ عن الاستاذ ابراهيم بن محمد

ابن عبد الله بن يعقوب ، ورايت صاحب الترجمة يجرى مع عصره : الاستاذ سيدى محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن يعقوب ، شارح المرشد المتوفى سنة ١٢٢١ هـ افلا يدل هذا على انه ايضا يقلب ان يكون اخذه عن الاستاذ محمد بن أحمد بن ابراهيم المتوفى : ١٢٠٦ هـ او عن عمه الفقيه سيدى على بن ابراهيم المتوفى سنة : ١٢٠٧ هـ وهما اللذان قاما قياما غريبا فى التدريس فى العصر الذى يمكن ان يات فيه ، هذا ما يتراءى لى ، ويكاد يكون عندى ظنا بكثرة ما يحيط بهما من المقويات المذكورة ، بل ما المانع ان يدخل فى هذا الامكان ، حتى سيدى محمد بن احمد المربط المذكور ، لانه درس فى ادوزجينا من الدهر

ومن عادة الفقهاء السوسيين من قديم : انهم لا يعتنون غالبا بالتاريخ فى مخطوطاتهم كلها ، ولكن سيدى محمد بن عبد المؤمن ، كثيرا ما يترسها ايضا حتى فى الرسوم ، فتوقف الناس فيها على رأس القرن الماضى ، فافتى سيدى محمد بن عبد الله الالفى ، بانه على اكل حال ثقة ، لا يلحق رسمه المحرر بيده بسبب ذلك وحده ، ما لم يعارضه معارض أقوى ، وقد حدثنى الاستاذ سيدى الطاهر بن على انه رأى خط الاستاذ بذلك عند بعض الوقاوين

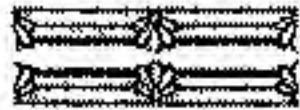
ثم اننى سمعت من سيدى المحفوظ الايفشانى ان وفاته جزما ، كانت سنة : ١٢٥٠ هـ ولكننى سمعته مرة اخرى تردد فى ذلك اليقين ، ورجع به الى الظن ، ولذلك وقفنا عند الظن ، وذكرنا لفظة : (نحو) التى تذكرها دائما فى أمثال هذه المقامات ، وذكر ايضا ان اخوال احمد ابن صاحب الترجمة من «ال (تيفشيت) لان هؤلاء الشرفاء التيفشيتيين كانوا تزوجوا قبل هذا الجيل امرأة ايفشانية ، فسموا بذلك آل تيفشيت - اى آل الايفشانية - ولهذا الاتصال ، اصهروا بنورهم الى سيدى محمد بن عبد المؤمن هذا الفقيه .

وسمعت العم ابراهيم يقول : ان صاحب الترجمة استحوذ على كثير من متاع اخواله المجتاحين فى وباء سنة : ١٢١٤ هـ ثم قال سيدى المحفوظ ان التيفشيتيين قد استحوذوا بعده على غالب متاع الفقيه سيدى محمد بن عبد المؤمن ورسومه وكتبه ، فكان ذلك هو سبب تشتت متخلفه ، قلت : وفى هذا يقولون لابد للمودائع ان ترد دنيا او اخرى .

هذا ما أمكن لى علمه عن سيدى محمد بن عبد المؤمن ، وقد ضاعت احواله واخباره وكل ما يعوم حوله ، مع انه كان من اعيان عصره ، ومن يتزين بهم الغ فى النصف الاول من القرن الماضى ، ولم اعرف عنه من الاولاد الا ولده سيدى احمد خاصة .

وقد كان أبوه سيدى عبد المؤمن بن احمد بن محمد تزوج عائشة

الحربيلية ، من (ايتاييفش) من سكان (دوكادير) فولدت صاحب الترجمة وعبد الملك ، وعبد الله ، ثم اقترن باخرى من ايت الخراز من العاصميين فمات عنها وهى حامل ، فولد ولد بعده سمي : عبد المؤمن ، على العادة المستمرة من ان من ولد بعد موت أبيه يسمى باسمه . هذا ما قصه على سيدى المحفوظ جزاه الله خيرا على ما يفيدنى به عن أهله وحده ، وقد ذكر ان ذلك فى عدة ورثة سيدى عبد المؤمن ، فبهذا تعلم ان المصاهرة بين الدوكاديريين والديانيين قديمة منذ اواخر القرن الثانى عشر ، ثم جاء القرن الرابع عشر فتجدد ذلك ، لكنه فى هذه المرة مع المربطين الدوكاديريين العلماء ، لا مع الحربيليين العوام ، (وتلك الايام تداولها بين الناس) ، واما الفقيه سعيد العدانى ، فانه يذكر مع أهله فى (القسم الخامس) حين نترجم لعل المجاطى الفقيه ان شاء الله



احمد بن سيدى محمد

ابن عبد المومن

قبل : ١٢٣٠ هـ = نحو : ١٢٨٤ هـ

نسبه :

احمد بن محمد بن عبد المومن بن احمد بن محمد بن القاضى عبد المومن
ابن محمد بن على بن محمد بن عبد المومن

معروف فى عصره بسيدى احمد نطالب - اى الطالبى - اضافة الى والده
ومن عادات اهل هذه البلدان قديما ان يطلقوا على كل فقيه ، وصف الطالب
فيكتفون به ، كما يطلقونه دائما على حفظة القرآن ، ولهذا سميت اسرة ال
محمد عبد المومن الى الان : ايت الطالب ، وهو اطلاق على ال الفقيه .

حفظ سيدى احمد بن محمد كتاب الله ، والم ببعض معلومات ضئيلة
من العلوم ، لا يؤبه بها فى ميدان القضاء والافتاء اللذين اشتهر بهما من اشتهر
من جدوده الماضين ، فكان لا يقصد الا لتحرير الرسوم فقط ، ولا يقصد بالنوازل
وما اليها ، وسيرته محمودة ، ويؤثر عنه من العدالة والتثبت والنزاهة وعدم
الخروج عن الصراط السوى فيما يزاول : ما يستحق به الذكر ، ومن الكرم
ما يدعم به هذه الصبابة التى يجول فيها براعه ، وهذا ما نسمعه عنه من
هذه الناحية ، واما ما نسمعه عنه من ناحية اخرى ، فانه صار من بين افراد
اسرته الماضين اول من مال الى مشاركة العامة فى امورها ، ويتشعب فى مشاكل
القبيلة ، ويؤيده فى ذلك ماله من الاوصاف المتقدمة ، وما ورثه عن ال من
سيادة وقرت مع طول الزمن فى الصدور ، فوجد من يتشيعون لما يقوله من
بين افراد القبيلة الايفشمانية ، فكان بذلك قلى فى عين ال باها الايكليين
رؤساء ايفشان اذذاك ، واهل (تافراوت) من اداوعاصم ، فخذ من افخاذ قبيلة
ايفشان .

ثم ثارت منازعة بينه وبين ابنا عمه الديانيين المسمين ال باها ، وهم
جيرانه دارا لدار ، فى قرية واحدة ، فكان هؤلاء الايكليون - وكلاهما يسمى
ال باها - اتفاق نسبة ، لا انهم من اصل واحد - بدا واحدة عليه وعلى من
معه ، قادت هذه المنازعات الى ان فتك بصاحب الترجمة غيلة ليلة صيف فوق
شفير سطح لداره ، ولا يزال المحل معلوما الى الآن عند أحفاده ، وكان الذى

بول اغتياله احمد بن باها الايكليين ، وهو من حفظة القرآن ، ولكنه لا يتجاوز
حجراته ، اذ رايته يرتكب مثل هذا ومعه احمد بن باها الديانى ، جد ال احمد
ابن باها الديانيين الموجودين اليوم ، فقد نصب الاخير منكبته حتى طلع عليه
الاول الذى باشر الاغتيال بيده ، فهكذا سقط هذا الفاضل بهذه الفتنة الفاشمة
التي ما حملهم عليها الا انهم شرقوا بسيدى احمد ، الظاهر بشرفه وبمجدته
وبفضله وباخلاقه فى الميدان ، فخافوا ان يكشف نفوذهم ، وهذه الفتنة كانت
حوالى سنة : ١٢٨٤ هـ وقد حكى لى سيدى المحفوظ ان مخطوطاته التى شاهدها
من الرسوم ، قد قارب انقطاع اوقات تحريرها هذه السنة ، وقد امنت فى
السؤال حتى ثبت عندى ان موته كان حقا حول هذا التاريخ

ذهب سيدى احمد ضحية غدر الايكليين ، وقد ارداه احدهم كما اردى
جساس كليبا ، وسنرى من ولديه الصقريين محمد الاشكر والحاج ابراهيم
من ياخذان بالثار اخذا عنيفا ، ويضحيان برئيس اسرة ال باها الايكليين ،
ثم لا يبوء بشسع نعل سيدى احمد نطالب ، فشتان ما بين طالب مهذب ،
وبين عامى جلف .

وقد اعقب من الذكور محمدا الاشكر ، والحاج ابراهيم الاتيين امام
القارى ، والحاج محمد - فتحا - الذى فتك به أخوه على المعتوه ، وله عقب
الى الآن ، وعلى المعتوه ولد سنة : ١٢٥٧ هـ كما وجدته بخط والده وقد اخبرنى
ابراهيم بن موح الايبوركى : ان اهله مكثوا يوما ، اذا بعلى جاءهم يلهث ،
فقال : اننى قتلت أخى الحاج محمد ، لانه خاصمنى ، قال واذا عرفنا عنها ،
ارسلنا الى أخيه محمد الاشكر ، فذهب به ، فلقاه فى قيد حتى مات وهو مغفل
ومقتوله الحاج محمد ممن اخذ عن الاستاذ محمد بن ابراهيم اعجل الشهر
- وسنذكره ان شاء الله فى (الفصل الثانى) من (القسم الثالث) - ثم روجه
بنته ، وقد خلفه عليها أخوه الاشكر ، فولدت له الهاشم الشهر - الاى -
واما بنات سيدى احمد نطالب ، فخمسة (١) مماس ، اقترنت باحمد بن الحسين
التاويستى الايفشاني (٢) رقية اقترنت بها الفقير عمر من امكرار ، من اسيف
اودرار ، وكثيرا ما تزور الوالد بالغ (٣) تعزى : اقترنت بالشجاع على الايبوركى
- وسنرى ترجمته قريبا - ثم خلفه عليها أخوه بوهوش ، وقد عرفت ان يوم
كنت مجاورا فى المدرسة الايفشانية فكنت اختلف اليها وانا صغير ، واذكر
انها كوت ساقى مرة من ورم بها من اثر المضاربة بالكرة الرجولية (٤) مريم
اقترنت بمحمد الايبوركى اخى على المذكور ، وهى ام ابراهيم بن موح الذى
افادنى كثيرا عن عائلته ، وعن أخواله الديانيين هؤلاء وام يبورك ، من رؤساء
ايفشان اليوم (٥) حوكا ، اقترنت بمحمد بن عبد الله بن على بن احمد بن
بلغاسم بن على بن عبد الله بن سعيد ، من قرية تسيون بالغ ، ثم خلفه عليها

الرئيس محمد الاشكر الدباني

قبل : ١٢٥٠ هـ = ١٣٠١ هـ

سبب

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد المؤمن بن أحمد بن محمد ابن القاضي
عبد المؤمن بن محمد بن علي بن محمد بن عبد المؤمن

رأيت أخبار سيدي أحمد نطالب ، ورأيت أنه لا يزال يلتفت إلى القلم
ويحمر به ويقصده الناس لذلك ، وهو مع ذلك يتمتع برياسة نسيية اصطدم
بها رؤساء (ايكلى) الذين غصوا به ، ونفسوا عليه مكانته ، ثم رأيت كيف
اختتمت حياته ، وكيف فتك به أولئك الجبناء الذين لا يقدر أن يواجهوه في
الميدان فمالوا إلى الطعنة وراء الظهر غدرا وختلا ، وهل هذه إلا أفعال الجبناء
الرعاعيد ؟

نفى ابنه محمد الاشكر يده من تراب قبر والده ، فمد يده إلى البندقية
وعاهدها على أن لا ترجع إلى مستقرها حتى يوخد بشار ذلك المظلوم ، فوفى
بالعهد ، وقليل من أمثاله من يقون بمثل هذه العهود ويفسلون العار بأدراك
النار ، وهو ينشد بلسان حاله :

سأغسل عني العار بالسيف جالبا على قضاء الله ما كان جالبا

انتدب الاشكر ويسانده صنوه الحاج ابراهيم الذي رجع اذذاك من المدارس
القرآنية ، وألقى اليراع ، وامتشق الحسام ، وأقبل اقبال من جعل نصب عينيه
ما جعل . فكان هذا آخر عهد تلك الدار بالاقلام والمحابر ومزاولة العلوم
والدفاتر ، فجاء عهد البارود والرياسة ، وأقبلت الرجولة تحلق في سماوات
(اكنى اديان) بجناحيها المتراصتين بالغوافي والقوادم ، فكانما عهد سيدي أحمد
نطالب برزخ ، انتقل بسببه ذلك الشعب من شعب الطلبة المطرقين المساكين
إلى شعب الرؤساء الشامخين بأنوق الفاوير ، فذهب عصر المداد الاسود ، وجاء
عصر الدم الاحمر ، وانطوى زمن الدواة والقرطاس ، وانشق زمن البارود
والقرطاس (١) فهكذا تتبدل الأسر ، وتنقلب من حال إلى حال ، وذلك كله

(١) يقصد الناس في المغرب بالقرطاس : حشو البنادق الرومية

صنوه بلقاسم بن عبد الله إلى آخر هذا النسب ، وهي والدة فاطمة بنت بلقاسم
زوجة الشيخ الوالد الأولى ، تزوج بها : ١٠ - ١٢ - ١٣٠٢ هـ فهي أم أخينا
الاكبر سيدي محمد الذي مرت ترجمته في (القسم الاول) وأم صنوه عبد
الحميد ، ولا تزال فاطمة حية إلى الآن ١٣٥٨ هـ وهي من الضعف بمكانة ، وولادتها نحو
١٢٨٤ هـ ، وقد ماتت حوكا أول سنة ١٣٤١ هـ وهي من مريباتنا في الدار ،
لأنها انقطعت إلى دار الوالد منذ : ١٣٠٥ هـ إلى أن مات ، فقامت بإدارة شؤون
المنزل ، وكانت زوارة للقبور ، محبة للخير ، وقد حبست مصحفا مجزءا على
ضريح سيدي أحمد بن عبد الله بالزاوية الدوكاديرية . وفي مرضها الذي ماتت
فيه صارت تقترح أن تحضر إليها والدتي لتسامح معها . ووالدتي قد انزلت
في دار على حدة بأولادها الصغار . ولا ممر بين هذه الدار وما فيه السيدة حوكا
إلا في السطح ، وحين كانت نساء آل الشيخ لا يطلعن إلى السطح ولو ليلا
أرسلت الوالدة إلى بنتها فاطمة ، فتجشمت معها ليلة الطلوع على السطح فادت
حق المسامحة مع السيدة حوكا التي لم تنشب أن لفظت نفسها الأخير اثر
خروج الوالدة . وإنما أتيت بكل هذا ليعرف كيف تحافظ نساء الناس من
الجارات على أن لا يخرجن من الدنيا بتبعة بينهن ، فرحم الله الجميع

فهؤلاء صاحب الترجمة وبناته ، آتينا بهم ، لاننا رأينا منجبا في الذكور
وفي الاناث ، ، وامهم زوجة صاحب الترجمة ، من (أسيف اودرار) أخت
زوجة سيدي محمد بن ابراهيم اعجلى . هذا ما عرفناه عن سيدي أحمد
نطالب رحمه الله .

بحكم الضرورة ، فقد رأينا الديانيين سائرين في طريقهم ، ولكن محاكمة الايكليين هي التي وجهت سيدى احمد نطالب الى ما وجهته اليه ، ثم بعد ان فعلوا به ما فعلوا ، استشاروا من اشبال الاسد ، من تراموا بخنق حتى هتكوا سجف العار ، بادراك النار ، ثم صفا بذلك لهم الجو ، فاستبدوا به . ومن خلقه الله لشيء هيا له اسباب ذلك

في وسط نهار في اليوم التاسع من ذى الحجة ، في سنة ١٢٨٦ هـ صاح محمد الاشكر من قمة التنية التي فوق (توكال) بصوته الجهورى : يا آل توكال : احترسوا ، فان أمغار باها ، قد قتلناه الان في هذه الشعبة ، فانجفل التوكاليون ، وقد عرفوا صوت الاشكر الجهورى ، فبذلك ضحى بأمغار باها فأذيق آله في ذلك اليوم ، ما أذاقوه لآبناء سيدى احمد نطالب حين سقط من فوق سطح داره ، والمرء مدين بما دان به وكيفية قتله ستراها في ترجمته قريبا .

هذه أمغار باها قد سقط ، وهؤلاء أقوياء اشداء من آله ، وعلى رياستهم أمغار يوسف ، يتربصون هم أيضا بدورهم كيف يضربون خصومهم ضربة قاضية تجعلهم يأسفون على مغادرتهم ما بين الكتب ، الى مجاذبة الرياسة اربابها ولكنهم لا قوا من صاحب الترجمة فحلا هائجا ذا شفاشق ، لا يرتد بالخوف ، ولا يعلم للفرق وخوف الرجال معنى ، وقد انحاز اليه من القبيلة الايفشانية رجال يستعين بهم على مطلوبه ، ومن بينهم اصهاره من (آل ايبورك) تحت رياسة الباسل على الايبوركى الاتى ذكره ، وآل (أسيف مقورن) فهوؤلاء استعان حتى فتك غيلة باثنين من آل (ايكلى)

ثم حدث في سنة : ١٢٨٨ هـ ما أرغم الديانيين والايكليين على ان يواجهوا جميعا متساندين حربا دهمتهم من السملاليين ، كانت تقدمت منها شرارات بايت وفقا ، وبين يدى (توكال) ثم لما احتفل الشر ، وامتدحت العداوة ، وقد انفس السملاليون على قرى كثيرة من ايفشان أرادوا ان يستلحقوها ، فاجمعت كلمة الايفشانيين على مدافعتهم ، ففي آخر ١٢٨٨ هـ اندلعت نار الحرب ، فبليت الى سنة : ١٢٩١ هـ فكان على الرئاسة العليا صاحب الترجمة وعلى الايبوركى ، وأمغار يوسف الايكلى وقد انجر عليهم ذيل قول الحماسي : (عند الشدائد تذهب الاحقاد) فصارت القبائل تنقسم على المتحاربين ، فكان البعقيليون والمجاطيون والامانوزيون من انصار الايفشانيين ، والتمليسون والصواييون من انصار السملاليين ، فدارت حرب ضروس شديدة ، تتخللها فترات آتهدا فيها الحرب ، مع ابقاء التخوم مملوءة بالحرس ريثما يصل رجال القبائل اهلهم ثم يرجعون ، فهكذا دواليك ، وقد اخبرنى مجاطى ان اخا له كبيرا ذكر له : انهم فى حين ينزلون فى قرية (زلافة) من آيت وفقا ، وتصلهم

فصاح الايفشانيين هناك ، وتكون قصعة الديانيين كبيرة مختارة ، كجفنة ابن جدمان التي سقط فيها صبي ففرق فى حوض ادامها ، او كجفنة المخلق التي تطلع مثل جابية الشيخ العراقى الفاهقة او كجفنة المقنع التي لا يعلق الباب دونها مكللة لحما ، مدفقة ثردا ، قال الراوى فكانت هذه الجفنة الغراء يستدعى لها رؤساء آيت على المجاطيين ، لما بينهم وبين الديانيين من قديم ، من صعبة ومودة ، ففي وسط هذه الحرب سقط الباسل : على الايبوركى ، ثم لما مضى منها مضى ، ائتمر البعقيليون وغيرهم فى ان يديروا الحرب حول قبيلة سملالة ، وان يفتحوا جميع المنافل اليها ، ففتحت (تارغنا) و (تيفرمت) و (أناهر اوليل) وما يوازى ايفشان اقتشابت اذذاك القوات ، وانتطحت الكباش ، فما اكتر القتل من الجانبين ، خصوصا فى يوم يذكر حول دار (بومزونج) اذ تداول هذه الدار الفريقان بجزر ومد ، وقد استمات المتناحران ، ورخصت فيها الارواح وتناثرت الاشلاء .

اشتدت هذه الحرب الزبون فاكلت نارها الرطب واليابس ، وقد استشرى داؤها الويل ، فجاء صالح ذلك العصر سيدى المدنى الناصرى فصار يسعى بالصلح بين الفريقين ، حتى ائمه الله على يده ، على ان من أراد سملالة يلتحق بها من الايفشانيين ، ومن أراد ان يبقى وسط اخوانه يبقى معهم ، ثم نادى بانه حمى وادى ايفشان ، ودعا على من مد فيه يده بعد اليوم ، وهذه الهدنة اما فى اواخر : ١٢٩١ هـ واما فى اوائل التي بعدها فطويت هذه الحرب وماكادت

ثم ان الحاج ابراهيم تزوج من آل باها بنت مسعود ، ولا ندرى هل المقصود بهذه المصاهرة ان ينسب بها ماتقدم او المقصود من الديانيين ان يستميلوا اليهم بعض آل باها ، ليفلوا الحديد بالحديد وايا كان فهو زواج سياسى ، وهذا الزوج كان فى اول العقد العاشر من القرن الماضى ، لان احمد ابن ابراهيم ولد هذه المرأة الايكلىة ، ولد سنة : ١٢٩٥ هـ ولكن الظاهر بن باها سقط غيلة فى ثنية (تيزى اوزرو) ، قاتهم به الديانيون ، فنفلت الجروح من جديد ، وصار كل فريق يتربص بصاحبه فرصة ، فاراد الايكليون ان ينصبوا حباله متينة لخصومهم ليقتضوا عليهم قضاء نهائيا ، ولكن سقطوا فيها ، ومن حفريرا لآخيه وقع فيها

اخبرنى ابراهيم بن موح الايبوركى انه ذهب هو وصاحب الترجمة لزيارة الرجل الصالح سيدى احمد بن عبلا الكرسيقى (المتوفى ١٣٠٢ هـ) فشكا عليه الاشكر ما يناوئهم به الايكليون ، وانهم على كل حال لابد ملاقو كيدهم بكيد آخر ، فقال له سيدى احمد ان الله سيجعل لك خيرا ، وما دام لك الايبوركيون ، فقد دامت لك القبيلة ، فلا تأس مما كانوا يعملون .

وفى اوائل سنة : ١٢٩٩ هـ سرى محمد الاشكر من (اكنى اديان) تحت

جنت الليل ، الى دار الايكليين ، كما سرى هؤلاء ايضا الى دار الديانيسين فاستولى الاشكر على دارهم بمن معه ، وقتل من فيها ، ثم انتظر حتى رجس اخرون ، قتمت المجزرة ، وقضى الامر ، فهدم دارهم . وتقل سقوفها وابوابها الى دارة . وافضل على المدرسة الالغية بمصرعين هما اللذان ركبا على بابها الشمالى ، وسترى فى ذكرنا لآل باها ، كيف تم له ذلك النصر

فى ذلك اليوم اصبح الاشكر رئيس ايقشان وحده ، يخلق وحده ويفرى (١) ويؤسس ويشيد بمعاونة صنوه الحاج ابراهيم الذى كان من الجراة فى مكانة غريبة ، طالما نهاه عنها صاحب الترجمة ، ولكنه لا ينتهى ، فصار العاصميون كلهم والايقشانيون من فوق (تيزى) فى يد الديانيسين ، وأما الاخرون فلا يزالون ينسحبون مع السملاليين

فى سنة : ١٢٩٩ هـ ثارت الحرب الامانوزية المشهورة ، وسببها ان آل قرية (آيت الحسن اوغلى) كان الامانوزيون يعركونهم ويفرضون عليهم مقامم فاحتسوا بالديانيسين حين راوا منهم هذا الانتصار الباهر على اكفائهم الايكليين فقام الامانوزيون وقعدوا ، فاغاروا على غنم الايقشانيسين ، فاغار هؤلاء ايضا على غنم لآل (ايزربى) وقد كان للامانوزيين اذذاك قوة وبطش حتى ان الطريق المارة الى (تامانارت) كادوا يقفرونها من السابلة ، بما يوالونه من النهب وكذلك جيرانهم الالغيون المرابطون وغيرهم ، راوا منهم وجها كالجا ، ويبدأ محتوشة هؤلاء الان يصطدمون والديانيسين وقد ردوا على غارتهم بالمثل ، وسيرون منهم اباة ضميم ، وذادة اشداء دون حياضهم ، وسيتلقون منهم درسا بليغ الاثر ، لن ينسى الى الابد .

انف الامانوزيون ان يجدوا من جيرانهم هؤلاء الحديثى العهد بصولجان الرئاسة من يقومون امامهم وجها لوجه ، فالتقوا يوما بينهم فكان يوما مستطير الشر ، سقط فيه تحت السنايك (٢) وامام البنادق (آيت اوغناس) المشهورون وسيدى يوسف طالب من الديانيسين ، ثم تكررت الملاقاة بينهم اياما ، والاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الالغى يجرى بينهم بالصلح مرارا ، فلا يكاد يفادهم على هدنة ، حتى يحدث ما يستدعى احد الطرفين الى هتكها فتعود الحرب قريبا هذا والديانيسيون يمدون فى اعدائهم الدسائس ، حتى تفرقوا فيما بينهم ، فاذا بالحرب الخارجية تعود بينهم داخلية ، فكفى الديانيسيون امر اعدائهم ، لان فرقة

(١) خلق الجلد يخلقه كنصره ينصره ، اذا قدره قبل ان يقطعه ، وفرى بمعنى قطع وفى المثل : ما كل من خلق يفرى : أى ما كل من قدر شيئا يستطيع انجازه

(٢) جمع سنبكة بضم تين : طرف حافر الفرس

الاعداء باب يفتح للانتصار عليهم بادنى سبب ، فالتحقت القرية التى قامت حولها الحرب بالايقشانيسين ، والامانوزيون خزايبا ينظرون ، ثم ما كساد الديانيسيون يخرجون من الحرب الامانوزية ، بعدما وضعت اوزارها ، حتى جاءت اخرى ، فى (اكنى ايكدمان) بسبب ان السملاليين نزلوا فى هذه القرية من جديد بجيشهم ، فتهبوا ديار من يهبون بريح الديانيسين ، وحاصروا ديارا اخرى ، والذين مدوا اليهم اليد من القرية هم (آيت بكو) و (آيت على نبهمو) وسيدى محمد بن على الملقب بالاخفش ، وبلا بن على المقتول فى تلك الحرب فسرى اذذاك الحاج ابراهيم أخو المترجم حتى دخل بعض الديار المحاصرة ، مع (١٢) عشر رجلا ، ولكن اشتد عليهم الحصار جدا ، فجاء الاستاذ سيدى محمد ابن عبد الله الالغى ، قال ابراهيم بن موح ، فبات عندى ، فتطلب منى ان لا اصنع له الاعصيدة ، ولكننى ذبحت وقمت بكل شئ وفى الصباح سعى بالصلح حتى قبل السملاليون الهدنة ، على ان يتقدم المحاصرون بالذبيحة الى المجمع فقبلوا ذلك ، فخرج المحاصرون بعدما فقدوا حتى الماء ، وقد استطاع الفقيه سيدى محمد بن عبد الله ان يدخل على المحاصرين قبل استسلامهم فصار يعاتب الحاج ابراهيم على ما ورط فيه نفسه من هذه المغامرة ، فقال له الحاج ابراهيم لئن انجيتنى من هذه ، لالتحقن بايت بعمران ، فاشتغل بتعليم كتاب الله فى مسجد اشارط فيه ، ولكنه لما نجا نسي وعده .

قال ابراهيم : فانتصر علينا السملاليون ، ولم يبق فى تلك الجهة ممن يرفع رأسه بهوالة الديانيسين ، غير آلتا البيوركيين ، فارسلت الى نحو (٣٠) رجلا من آل (أسيف مقورن) فخبأهم عندى شهرا ، استعدادا للطوارئ ، لان (اكنى ايكدمان) و (انام) الا ما كان منا ، قد صار الكل من السملاليين وقد نادى السملاليون على دار الايبوركيين ان من هدمها فله ٤٠٠ مثقال حتى جاءنى مرة ليلا محمد الاشكر ، فطلب منى ان اماشى الزمن ، وان ادارى السملاليين حتى يفرج الله ، فقلت له : لا والله ، مانحن بخارجين عما نحن عليه ، فقال اننا الان ضعفاء ، لانقدر ان نعيشكم بشئ ، قال فقلت له : عليكم بما وراء (تيزى) وأما ما هنا فنحن ادرى بما نصنع فيه ، ثم ان المخابرة جرت بين الايبوركيين مع بعض العروسيين من سملالة فمكتوهم من ١٣٠ ريبالا ، فاحتالوا على الايكدمانيسين ، فقالوا لهم الان انضمتم الينا ، فلا بد من رهائن نصبحون بها اقوالكم ، وتبرهنون بها عن حسن نياتكم نحونا ، فقدموا لهم كل ما يملكونه من الحلى ، وتبرهنون بها عن حسن نياتكم نحونا ، فقدموا لهم ايديهم ، قالوا للايبوركيين : شاتكم وما تريدون ، فقام هؤلاء والديانيسيون فصبخوا (اكنى ايكدمان) فاستولوا عليها وغرموا كل من فيها ممن يوالون سملالة : ٤٢ ريبالا لكل دار ، قال ابراهيم : فوضعها كلها محمد الاشكر فى جيبه وحده ، ومن يقدر ان يقول له اين حفظنا منها :

فاذا تكون كريمة ادعى لها وثا بحاس الحيس يدعى جندب

الرئيس الحاج ابراهيم الشهير

١٥ - ١٠ - ١٢٦٠ هـ = ٢١ - ١٠ - ١٣٣٣ هـ

أسبوع :

ابراهيم بن أحمد بن محمد بن عبد المومن بن أحمد بن محمد ابن القاضي
عبد المومن ابن محمد بن علي بن محمد بن عبد المومن

هذا هو صقر (الخ) الذي يحلق بعد صنوه المتقدم ثلث قرن في سماواته
الفيحاء ، وليته الزوار ، الذي يحمي حماه ببرئته المستون وبوثباته التي لها
فتكات آية فتكات ربما تنسى فتكات البراض وجساس

هذا الرجل هو الذي كان العضد اليمنى لصنوه المتقدم ، حتى اخذا بشار
والدهما ، فكان دائما في الصفوف الاولى في المعارك التي دارت اذذاك - وقد
ذكرنا أهمها - فكان لجراته ولطفراته دوى ، كان يذر قلب أخيه يخفق دائما
عليه ، شفقة وخوفا من أن يتردى في إحدى مهاو تعرض له اذذاك كثيرا ،
ولكن الحاج ابراهيم محدود ، يمزق كل الحبال التي تنصب له ، ثم يبرز
وراءها وهو مكلل بالنجاح .

كان ممن حظي بحفظ القرآن ، تلقاء اولاء عن بعض اساتذة القرية
وبعد أن قدر على أن يتغرب ، كان في مدرسة (تيزى الاثني عشر) عند الاستاذ
الكبير المشهور الركاكي : سيدى الحاج محمد احد القراء في ذلك العصر
المذكورين بالقراءات السبع ، وسندكره ان شاء الله في (الفصل الثاني) من
(القسم الثالث) ثم كان أيضا في (مدرسة الجمعة) في قبيلة آيت عبلا البعمرانية
وهناك ثاور احد الطلبة ، ففادته بطعنة نجلاء ساقطا فقص ينتهب الارض
الى الخ ، وربما كان مطعونه برى بعد ذلك .

ثم اننى كنت اسمع ان له اتصالا بسيدى محمد بن ابراهيم اعجل المتوفى
(١٢٧١ هـ) وانه كان افضى اليه بأنه سيعيش في حياة عالمين بالغ وصاه عليهما
فمن هنا التمس الناس مستندا لهذا الاعتناء الذي يلقاه الاستاذ سيدى محمد
ابن عبد الله ، والشيخ الالغى منه ، وهذا عندى مستبعد ، لان سن صاحب
الترجمة حين وفاة اعجل في السنة المذكورة ، لا يمكن عادة ان يفضى الى صاحبها
بمثل هذا ، ولعله كان هناك يقرأ مع أخيه الحاج محمد ثم كان هذا الافضاء
من اعجل الى أخيه الاشكر الرجل الكبير حينئذ ، او الى الحاج محمد ، فلفق

فصلت بذلك القبيلة كلها للديانيين ، وايس السملاليون من ان يحوموا حولها
بعد لاسيما حين مثلوا ذلك الدور الشائن من اختلاس الحل من اهله بعيلة
وكل من غدوته وخست عهده فقد انقطعت الجبال بينك وبينه
وهنا اقول للقارى : ان غالب رؤساء القبائل من ذلك العهد الى زمن
الاحتلال ، لا يخرج عن مثل هذه العهود ، وعن امثال هذه الميادين التي لا يحوم
حولها الشرف ، ونحن الان نتحقق هذا ونعرفه ، وربما ياتى عصر بجيل آخر
يكون عنده هذا من قلم المؤرخ اما كذبا من كاتبه او تحاملا منه او سحب جزئية
واحدة على كليات اخرى غيرها ، وكأني بالنصف من احفادنا يقف هنا متعجبا
ويقول : أهكذا كان اجدادنا ، وعهود رؤساء قبائلهم ، ثم ينفض راسه (١)

وقعت هاتان الحربان : الامانوزية والايكيدمانية سنة : ١٢٩٩ هـ فانجلت
عن مكانة لصاحب الترجمة ثابتة ، وقد ابتدا في تأثيل الاموال ، وكانت
اخلاقه اخلاقا لاتسف ، فقد حكى لى عنه : انه يسخو بما عنده قبل ان يتطلب
من القبيلة اخراج ما عندها ، كما حدثت انه لا يتجاوز صاحبه ، ولا يخفى
فيه عهده . ولم يكن ينال هذه الانتصارات وتمضى عليه سنة وبعض اخرى
حتى سقط مريضا ، ثم هلك حتف انفه .

وكان يقول دائما لآخيه الحاج ابراهيم : اننى لا أموت الا على فراشى
وانما اخاف عليك انت ان تؤدبك جراءتك هذه الى ان يفتك بك بعض الفتاك
في مفازة ، فتسقط مجنولا تسقى عليك الريح والمور (٢)

وقد أعقب من زوجته التيفغيتية ولده الطاهر ، ومن بنت الاستاذ سيدى
محمد بن ابراهيم اعجل الهاشم الذي نعرفه كوزير للرئيس احمد بن الحاج
ابراهيم في كل ايامه ، وولادته نحو : ١٢٩٤ هـ ووفاته في ١٣ رمضان ١٣٥٥ هـ
بعد لاحتلال لهذه الجبال بثلاث سنوات ، وكان مذكورا مع الرئيس احمد
في قصائد كثيرة ، ستأتى في ترجمة المذكور ، وقد استشفع مرة بطلبة
(اداي) الحرييلية عند الاستاذ سيدى الطاهر ، في قضية ، فكتب اليهم الاستاذ
لابلا للشفاعة :

ياسادتى انى قبلت توسلا
لله يكلاه ويهدى قلبه
ويجز جانبه ويسعده باقى
وكذلك نحن وانتم طرا ومن
بكم لهاشم الحب الوامق
وينيله من كل خير رائق
سبال المنى ومنال كل موافق
أصفى الوداد لنا بقلب صادق

وانما آليت بهذه القطعة الدعائية لتعلقها به ، والهاشم هذا هو والد سيدى
المحفوظ الذي تكرر ذكره فيما تقدم ، وسترد ترجمته ان شاء الله

(١) انفض راسه : حركه كالمتعجب او المستهزى

(٢) المور : الغبار : قال شاعر في قتيل بقلابة :

تسقى عليه الريح والمور

= ١٢٨ =

الناس هذا على ما ارادوه ، هذا ان كان هذا الافضاء صحيح السند ، واما انما فانما اسمعه بغير تواتر من عند هيان ابن بيان ، والله اعلم بحقيقة الامر كان عمره يوم قتل ابوه (٢٤) سنة فمن ذلك الوقت طلق المدرسة وطوى الكتاب ، وعلق اللوحة ، بعدما اتقن حفظ القرآن اتقانا ، وحصل حرف المكي فلأزم صنوه ، وقد رايته دائما معه ، يوم احتلال دار الايكليين ، وفي (اكني ايكدمان) حين حوصر ، حتى فك عليه حلقة الحصار الاستاذ الالفي الذي لدعه حينئذ بتانيب مر ، يقول له : افي كل يوم تلقى نفسك في التهلكة ؟ فقال له هذا : لمن نجوت من هذه لالتحقن بقبيلة بني عمران فاشارط فيها فاعلم كتاب الله ، ولكنه ماكاد ينجو حتى كان وعده المخيس كحلقة (١) ابن الرومي المشهورة ومن خلق لشيء ، وركبت فيه غرائزه ، فهيئات ان يتملص منه ، وان حاول ماحاول . لان التخلق ياتي دونه الخلق - وقد تقدمت الحكاية -

ولامامات صنوه تصدر في مقامه ، وقد تمهدت السبل ، ووطئت العقبات واجتمعت كلمة القبيلة ، وليس عليه بعد ذلك الا أن يحافظ على ذلك بمهارة فالحفاظة على الانتصار حتى تجنى ثمرته ، أصعب عند الحربين الدهاقين الانتصار ، فكم انتصرت المانيا في اول حرب - ولكنها لاتعرف كيف تحافظ على الانتصار الى الاخير -

سلك طريقا وفق اليها غالبا غاية التوفيق ، حذاه اليها سعده فكان عوض ان يضع الحصون في تخوم قبيلته ، وأن يشيد المعقل على قنن الجبال ، منه سماطا لايفلق الباب دونه ، وليس من ورائه حجاب ، فاغناه ذلك في مدافعة الاعداء ، وفي فتح القلوب ، وتنمية الاصدقاء ما لايفنيه كثير من سابغات الدروع . ولامنيعات الصياصي ، على أنه حاول بناء حصن قديم تهدم فوق داره في عهد الحاحيين ، ولكن حصنه الحصين حقيقة انما هو في مائدته الطافحة كان رئيسا من الرؤساء ، يقدم المصلحة التي تراءت له على سواها فكان لايد له أن يفرط منه ما لايدوم له ما هوفيه - على رأى أمثاله - الا بارتكابه ، ثم لايبالي ان يوافق انظار غيره اولا يوافقها ، ولكن كرمه ومحبة العلم وذوييه غطيا كل ذلك ، وقد كان هذا مما لوحظ منه من سنواته الاولى ، فاسمع مايقوله فيه الشيخ الالفي في رحلته الحجازية ، حين ذهب معه حتى شيعه بماسة :

ومعنا محب اهل الخير
ووصفه اوصاف اهل الله
له عديدة من المناقب
من لم يفارقهم بكل سير
وقلبه لاه عن الملاهي
تخط ماله من المثالب

(١) يقول

واني لذو حلف حاضر
وهل من جناح على مرهق
اذا ما اضطرت وفي الحال ضيق
يدافع بالله ما لا يطيق ؟

= ١٣٠ =

اخلاقه طابت سليم الصدر
شجرة السخا حمت له الحمى
ووجد الفضل لذلك السخا
حي ابو سالم الغساني

هذا ما يقوله فيه الشيخ في شعبان : ١٣٠٥ هـ وهو يحاول - كما نحاول - ان يذكر له الحسنات فقط ذكرا جميلا ، فشهد له بالسماحة التي هي بمثابة ستر كتياف ثخين ضاف ، يغطي اكل ما لايسلم منه امثاله من المثالب ، والحسنات بالذهبن السيئات ، وبهمة عالية لاتميل الى الملاهي ، وب تلاوة القرآن ، والاصناف اوصاف اهل الخير ممن يتحاشى اليهم ، وبسلامة الصدر ، وباخلاق طيبة يحوط هذه الخلال بسيلاجها ، وهذا حقيقة وصف الرجل من هذه الناحية وكان القارىء يراه .

وكان طول حياته بين هذه الاخلاق ، وبين اخلاق الرؤساء الاخرى يتلون فاذا كان مع العلماء واهل الخير ، فانه خادهم والمتعصب لهم ، واذا كان مع اعدائه ، او من يتوجس منهم امورا تضربه فانه يكون كالاسد وسط النمل (١) فويل لمن اصطدم واياه

ومما يتعلق باخلاقه وصراحته فيما يريد من غير مجمل : ما حكاه بعضهم ، قال : جئت الى دار الحاج ابراهيم ، فوجدت فاضلا من اهل قرية (اكني ايكدمان) في بيت مسجون ، فناداني ، فقال لي : انظر هذا الرجل باي ذنب سجنني ، فلما ذكرت له ذلك ، قال : لا ذنب له عندي الا انه اصرح بعرض عنى وعن مجيئه بالاحسان الى دارى ، بعد ما الفت منه ذلك ، فذكرت ذلك للرجل ، فقال : ان كان هذا هو ذنبى الوحيد ، فان الامر سهل ، فارجع بالرجوع الى مايريد ، فاطلقه فاستمر على ما يريد منه .

حكى لى العم ابراهيم ان الاشكر وصاحب الترجمة دخلا على والى ابراهيم بن احمد بن باها سنة : ١٢٩٩ هـ فطلب منه رغما أن يدفع اليهما النسي عشرة غرارة من الشعير ، ليحرثاها في تلك السنة ، وكان ابراهيم المذكور ذا حبوب كثيرة ، فالتجأ هذا الى الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله ، فما زال يسفر بينهم حتى ردت الى عشر ، وقد انقض عليه صاحب الترجمة مرة اخرى بعد ذلك ، فاراد ان يمتص كل أمواله ، فالتجأ أيضا الى الاستاذ سيدى على بن عبد الله ، والشيخ الالفي ، فما زال الاول يسفر بينهما حتى قنع منه بمائة ريال هذا كله في مقابلة مسامحته من القتل ، مواخذة له بمافعله والده حين اعان في الفتك بسيدى احمد نطالب ، ومن اعان بادننى شيء على قتل انسان ، فهو حلال

(١) النقد مذكر كما : جنس من الغنم صغير الارجل ، الواحد نقدة المذكور والانشى ويجمع بنقاد ونقاد : كجمال وجمالة .

الدم ، فضلائع المال في نظر الموتورين . وقد سقط أحمد بن باها اخو ابراهيم هذا يوما ازاء (تسنخرت) في (دوكادير) بطلقات مجاطيين ، ف قيل ان ذلك من تنمة الاخذ بنار سيدي احمد نطالب ، وقد تتبع ال باها الايكليين الذين هربوا سنة ١٢٩٩ هـ بعد تخريب دارهم فلم يبق منهم الا من طال عمره ، وكذلك الامانوزيون الذين كانوا قاسي منهم ما قاسي في تلك الحرب مع اخيه لم يزل يتبعهم حتى انخنسوا امامه ، فمنهم (ايت تلحق) الذين كائنوا بعكسونه ويتبعونه كما يتبعهم ، فانه سبقهم الى الضربة ، فسقطوا يوما ثلاثهم امام بسيط (ايكل) وقد رجعوا من مجاط في حاجة لهم ، وذلك هو ما كان سيقع له ، لو سبقوا اليه .

بهذا القمع ، رد ايدي العداء عن حماه ، بل عن الخ كله ، فانكف عنه الانكضائيون . والابراهيميون والامانوزيون وغيرهم ممن يعشون فيه بضعفة المراطيين ، وغيرهم ، فعادت لالخ حرمة زائدة به وباصحابه العلويين من مجاط ، ولو احد تراعيه افضل من كثيرين متشاكسين فعظمت حرمت الزاوتين الالغيتين ، فياويح من حدثته نفسه ان يمد الى احدهما او الى حمى مما حولهما يدا ، لانه لا يعرف الا نصر اصحابه ظالمين او مظلومين ، فكم فانك يطل الى الظهور من سكان بسيط الخ من الحرييليين ، ثم لم يظهر له بعد قبر ، او وجد بطن شريان يعوى حوله الديق (١) وقد ابصرت مرة انسانا اعنى يقاد مسهول العينين ، فاخبرت انه سرق ، فوصل الى يد صاحب الترجمة فسمعل عينيه بحديدة محجمة

ومن بارز اخلاقه انه صريح الى الغاية ، يقول لك في وجهك ما يريدك شئت او ابئت ، كما انه اذا اراد حاجة او مالا من عند انسان لا يعتذر له ، ولا يركب متن التمويه ، بل يقول له والعين تنظر في العين : اتنى بكذاء وهذه لعمري سياسة ، لا يسلكها الا المعتدرون الذين يعرفون من انفسهم مقدرة تامة ، واما المخائلة والموارية ، واظهار ان عمرا هو المراد مع ان المراد هو خارجة ، فلا يركبها الا الرعايد الذين كلما راوا خيالا تظير نفوسهم شعاعا ضعفوا فختلوا ، ولو قووا لقتلوا

اراد الله به خيرا ، فادى فريضته في سنة : ١٣٠٧ هـ واذا كان مغرما بمصاحبة اهل الخير ، والاتصال بالعلماء ، ذهب في جماعة منهم الاستاذ الكبير الحاج محمد الزيدى ، والفقير سيدي الحاج احمد الزيدى ، والفقير الحاج

(١) قال الشاعر :

ابلق هذيل او ابلغ من يبلقها
عنى حديثا وبعض القول تكذيب
بان ذا الكلب عمرا اخيرهم حسبا
بطن شريان يعوى حوله الديق

احمد او الشليح الايسى ، في الناس فضلاء اخرين ، وقد صاحبهم الاستاذ سيدي علي بن عبد الله الى ان ودعهم في السويرة ، واما الشيخ الالفي ، فانه ودعهم بابيات مطلعها :

وهد خير الخلق ان جئتم السى روضة الحب الشريف المصطفى
توجد في (مجموعة) من منظوماته ، تلحق بكتاب (من افواه الرجال)

الحرب الوقاوية

من أشهر الوقائع التي انتشب فيها صاحب الترجمة ، فظهرت فيها عزيمته الصارمة وثباته وانفته : الحرب الشهيرة التي طارت بينه وبين الوقاويين ، وسببها : امر بسيط غريب ، حتى كانه رواية من الروايات التي يالف ذوو الفراغ ان ينسجوها باخيلتهم ، وهم على كراسيهم جالسون وعلى مناصدهم ينحنون ، ولكن هذه حقيقية لا خيالية ،

اتصل فتى ايفشاني بالنسة من الوقاويات اتصالا ابتدا من النظرة التي ذكرها الشاعر المصري في قوله :

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء
ثم ذيل ذلك بقول الشاعر الالفي الذي حاول ان يذيل هذا البيت بذيول القضية ، حتى بلغت ما بلغت ، وان كانت شاعرية الالفي وقعت دون هذا شاعرية المصري المفعول :

فوصال فصحة فوداد	فهيام به الحياء هبة
فهروب الى الجيب نهارة	فعل الامل والجميع العفة
ملك الحب ارسن القلب حتى ا	فقاد نحو الجيب كيف يشاء
فليقولن من يؤنب ما شا	فاذان ذي الهوى صماء
كان ما كان فلتسوخ هذه القب	فراء او تسقطن تلك السماء

جرت هذه الحكاية الغرامية التي انتهت بكل ماتنتهى به دائما الغراميات من الافتصاح وحين كان جو الخ اذذاك طاهرا كانت فيه هذه القضية احدى الغرائب ، الا انها لم تقف عند الغرام بل دخلتها السياسة ، فقام الوقاويون وقعدوا لذهاب اختهم مع عاشقها ، وقالو ان هذه الا اهانة عظيمة ، وخزى يبقى امد الدهر ، واحدثة تتناقلها عنا السنة الركبان - وكانهم نسوا السنة الاقلام - فارسلوا بالتهديدات المبرقة المرعدة الى صاحب الترجمة ، وتوعدهو ان لم يرجع الانسة الى ابويها ليملان عليه أرضه خيلا ورجلا ، فقاد الحاج ابراهيم - الذي لاتطيه امثال هذه الوقائع الغرامية المسفة ، ولا يبر لا حاديتها سمعا ، ولا يابه باهلها ، ولا يمد ذلك الامن السفاست التي ما كانت لتجرى على

باله ، ففلاعن أن تجرى بين يديه ، أو يقر على أمثالها من يريدون العيب
بالفضيلة ، أو أن يمدوا أيديهم إلى هتك العفة والشرف - يجيبهم إلى ما يتطلبونه
من رد الأنسة ، لولا أنه رأى من هذه التهديدات التي شفّعوا بها طلبهم الملح
ما يمل على أبائه وانفته ، أن لا يقف إزاءها الإبهامة مرفوعة ، وانف اشتم شامخ
العرنين ، فرد عليهم بتهديدات مثلها ، فصارت العقدة بهذه التهديدات المتبادلة
عويصة الحل ، بعدما حاول الاستاذ سيدى على بن عبدالله ، والشيخ الألفى
أن تسوى المسألة على الوسط ، فتزوج الأنسة بالرجل الذي اختارته ، فبطوى
ذكر هذا الأمر المخجل ، ولكن الوقفاويين صموا عن ذلك ، وصمموا على
استرداد اختهم بلا قيد ولا شرط ، فلجوا في ذلك والحوا الحاحا ، ثم أنهم
تمكنوا من اعتقال ايفشانييتين من عرض النساء في بسيت (باردا) فزادت
الحالة توترا ، وصار الجو يشم منه رائحة البارود ، فجاء امغار محمد المجاطى
فتردد سفيرا بين الفريقين ، حتى تمكن من اطلاق هاتين الايفشانييتين ، وضمن
أن تطلق الاخرى إلى أبويها ، ولكن مضت أيام ولم ترجع ، فصار حينئذ كل من
الفريقين يستتبع القبائل ، ويستجيش كل من يجدهم وكان ابتداء هذه
المشكلة في اواخر : ١٣١٤ هـ فما كاد الكيلوى ينزل في تيزيت في اوائل
١٣١٥ هـ حتى اتصل به الحاج ابراهيم بالمخابرة ، على يد القائد سعيد المجاطى
فوعز الكيلوى إلى الاخصاصيين ومن وراءهم أن يؤيدوا الايفشاني ، فجاءوا اليه
بجيشهم وأرسل ال القائد سعيد المجاطى نحو : ٤٠ فارسا من شيعتهم اليه
وأما المجاطيون قاطبة فانهم من شيعة الوقفاويين مضادة للقائد سعيد ، فكان
السملاليون والامانوزيون ومن ذكرناهم شيعة صاحب الترجمة ، وكان عنده
أيضا فرسان حاحيون ، انجازوا اذذاك عند القائد سعيد المجاطى ، ففي ليلة
زحف المجاطيون بقبائلهم إلى بسيت (باردا) تحت (توكال) حيث جيش
الاخرين نازل ، قال مجاطى ممن حضروا ، فجئنا نحن الاربعين فارسا المجاطيين
حتى التقينا مع اخواننا في وسط (باردا) فصرنا نتعاطب ساعة ، فاطلق واحد
منهم في واحدنا ، فاجفنا مغذين إلى أصحابنا ، والاخرون يطاردوننا ، فحسب
أصحابنا أننا اتفقنا بيننا ، فزحفنا اليهم جميعا ، فماجوا مولين الادبار ، فلم
يقفوا حتى ادركناهم ، فعرفوا أننا باقون على العهد .

ثم ان هؤلاء المجاطيين المناصرين للوقفاويين بلغهم ما فعله القائد سعيد
المجاطى خفية وما يحاوله في بلدهم من التمهيد للكلوى وغارمه ، فرجعوا كلهم
يحاصرونه وأهله في قرية (ادعلى اوباه) فقل من عند الوقفاويين ، فزحف اليهم
خصومهم ، فقامت الحرب ساعة ، ثم انهزم اولئك المهددون المبرقون المرعدون
فنهبت قرى حول المدرسة ، وقدم ما سواها الطاعة ، ويذكر ان قرية (أمالو
اوسرك) نهب منها متاع كثير ادهش بعض الحاحيين الحاضرين ، فقال : ان هذه
الا السويرة الثانية ، كانه يشير إلى المتاع الكثير الذى انتهبه الحاحيون من

السويرة سنة : ١٣٦٠ هـ هكذا التفت هذه الحرب ، وخرج منها الحاج
ابراهيم منصورا مظفرا ، وسمعت الرئيس على بن احمد رئيس ايفشان اليوم
يحكى عن جدته الحاج ابراهيم : ان الشيخ الألفى ، قال اذذاك : ان منتهى
الحروب فى الخ هي هذه فى هذا الجيل - او كما قال -

ثم ان مجاط التى ذهبت فحاصرت قرية (ادعلى اوباه) ما كادت تخربها
حتى علمت ان أصحابهم الوقفاويين قد وقع بهم ما وقع ، فزحفوا جميعا إلى
(تاكزرا) وكانت منحاشة إلى صاحب الترجمة تعد من قبيلة (ايفشان) ، وقالوا
لا نجد ما نجازيه به الا أن نحمل (اكادير تكتزرا) وننتهبه كما انتهب قرى أصحابنا
ولكنهم وجدوا فى اكادير من مانعوا دونه ، حتى أغاثهم احمد ابن صاحب
الترجمة بمائة رجل ، طلعوا من وجه الخ ، فاحتلوا اكادير ، فرجع المجاطيون
بخفى حنين ، وبيناهم مستديرون فى مجمع ذلك النهار فى (الكوت) اذ ابتدئ
يسعى ، فقال لهم : ان الحاج احمد الكيلوى صمد إلى (تامكرت ايفشان) فاجفوا
كلهم ، فتبع ذلك ما تبعه ، فذهب الوقفاويون تحت غبار مشاكل اخرى استهم
قضيتهم ، وان كانوا هم لا ينسون ما وقع بهم ذلك النهار ، إلى هذا النهار

في كتلة الجليلين ضد الحاحيين

رأيت ان القائد سعيد الكيلوى ، ممن اعان الحاج ابراهيم فى تلك
الحرب ولذلك لم يكذ خليفة الحاج احمد يقرب المجاطيين ، حتى كان هذه مع
الاستاذ ابن عبدالله ومع الشيخ الألفى الذى كان يعرفه هؤلاء الحاحيون قبل
اليوم ويحترمونه ، ثم تردد الحاج ابراهيم اليه مرات ، ولكنه لما جد حيله
ولتيته كلها ضده وتلفوا من أتباعه بالدهم ، اضطر إلى مسايرتهم ، لانه منهم
على كل حال ، فكان السور الصغير الذى احاطته هذه القبائل كلها ببلادها ، قد
امتد حتى مر أمام شعبه الذى يسكنه ، ثم مر إلى (تيزى) الايزرية ودام أيضا
على ذلك أيام انفلوس ، حتى انقشع جيش هذا عن سوس سنة : ١٣٢١ هـ

الحرب السملالية

رأيت فيما تقدم ان قرى توجد بين قبيلتي ايفشان وسملالة ، كانت
دائما موضع نزاع بينهما ، ولكن عاد حسن التفاهم بينهما منذ : ١٢٩٩ ولامر
ما انقضى أيضا السملاليون سنة : ١٣٢٩ هـ على قرى يريدون استلحاقها حتى
نزأوا فى (اوبلخير) فقامت حرب بينهما ماشاء الله حتى ذهب علماء منهم
الاستاذان الالفان : سيدى على بن عبد الله ، وشيخنا سيدى عبد الله بن محمد
فوقعت هدنة به صالحة ، عاد بها حسن التفاهم .

فهذه شهرات الحروب التى اصطل بناها ، وهى كما ترى كان موقفه

دائما فيها - فيما أعلم - موقف المدافع ، ولذلك يخرج منصورا ، او محفوظ الكرامة على الأقل .

تقلبات اخرى في آخر حياته

جاءت سنة : ١٣٣٠ هـ بما جاءت به من حركة الجهاد تحت راية الهبة وسمعت انه كان اولاهم لا يرتضى ذلك ، ويتراعى له ان ذلك لايجر الا فتنا سوداء وان كنت وقعت له على رسالة كتبها الى الاستاذ سيدى على بن احمد الاسكارى يذكر له فيها ما يدل على ابتهاجه باجتماع الكلمة ، ولعل من نقل عنه انه لم يرض بذلك - وهو الاستاذ الرفاكي في كتابه (الروضة) - تسرب اليه ما كان ربما تراهى له اولاً ، ثم بعد ان انس الاجماع ، دخل في غمار الناس ، وقد ابتهج كما ابتهجوا اذذاك ، وقد كان من الذين حضروا في تيزنيت حينئذ ، ثم رجع ، ولم يسافر الى (مراكش) ثم زار (تارودانت) في اول ١٣٣١ هـ مع الاستاذ على بن عبدالله ، وقد رايت في ترجمة هذا ما كان قاله حين وقع للاستاذ ما وقع في تيزنيت ، وقد كان اذذاك نيف على سبعين ، فضعف جسمه وتوالت عليه امراض ، ودب اليه ما كان طوى صحيفته اخيرا

أعماله مع المرابطين الالفيين

المرابطون الالفيون في نظر الحاج ابراهيم : عظام كبار المقامات ، افضل من كل المرابطين سواهم ، فاذا كان يحب اهل الخير طرا ، ويحترم ذوى العلم اجمعين ، فان له لمرابطيه هؤلاء محبة خاصة ، ولعلمائهم احتراماً فلذا ، فقد وقف نفسه ازاءهم موقف ذلك الاخصاصى الذى يلقب الى الان : (مران) (أى عفرينا جلدا لايقاوم)

يحكون انه جاء هذا الاخصاصى الى الشيخ سيدى احمد بن موسى في زمنه فقال له انتى اريد ان اكون مريدك ، فقال له : ان عندي لمريدين كثيرين ، فقال او مؤذنك ، فقال عندي مؤذنى ، فقال او خادمك ، فقال عندي خادمى . نصار كلما اقترح على الشيخ عملا يتصف به عنده ، قال : ان ذلك عندي ، حتى قال له : انتى اكون (مرانك) أى عفريتك القوى الذى لايقاومه احد فقال ما تقصد بذلك ؟ فقال له اكون دائما ضد من يحاول ان يمسك بحق او بغير حق فقال له الشيخ : نعم ان هذا ليس عندي ، فليل له (مران) من ذلك الحسين ولايزال اولاده يحملون هذه النسبة في الاخصاص ، فيقال لهم ابنا (مران) فهذا الدور هو الذى يمثله الحاج ابراهيم مع مرابطيه الدوكاديريين العلماء فقد امتنع مرة سملاى ان يؤدى ديناً للاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الالفى فركب الى سوق الجمعة ففاوض اصحابه السملاليين ، فخرج معهم حتى القوا

عليه القبض في وسط السوق ، حتى ادى ما عليه ، وكذلك رايت اعاناته للمدرسة الالفية حين تبني سنة : ١٢٩٧ هـ وهكذا يقف معهم في كل مايتوقفون عليه من العملة ، حصادا او درسا او حرثا ، واخبرني بعض الفقراء القدماء انه كان يحضر بادى ذى بدء في الزاوية بين الفقراء ، فانفق مرة ان صادف مجيء الشيخ سيدى الحاج الحسن التاموديزتى ، فقال الشيخ الوالد له : ان هذا هو الحاج ابراهيم الذى يكون وقاية دون المرابطين ، فادع له ، فقال التاموديزتى : سندعو له الله ان يجعل فيه قوة لا تغلت مجرما ، وهذا معنى عبارته التى هي هذه بلسان الشلحية : (اداس ندعوايك وداكرفن اضمن زكفنن) وترجمتها الحرفية : سندعو له ان يكون دائما ممن يربطون الكلاب الكلبة وقد ظهر للعيان استجابة دعاء هذا الشيخ الصالح فكم كلب كلب ربط فانكف شره ، وكم مجرم قمع فاستراح منه الالفيون

واخبرت ايضا انه كان في اول امر الوالد ، كثيرا ما يعرض عليه اداء اشغال كثيرة للزاوية ، فكان الشيخ يعتذر له بان الفقراء موجودون وهم اولى ان يقوموا بزاويتهم ، ثم لايسمح له ان يفعل الا بالقدر الذى يجبر به خاطره فكان ربما حرث بازواج بعض قبيلته او حصد ، والشيخ يراعى منه ما يعرفه من حسن نيته ، ولذلك يستعين احيانا بيهائم قبيلته في الدرس ، وقد كان الزرع سنة مخصبا بالغ ، وقد حرث الشيخ في بسيط (ايمى ايكلى) فافرح عليه الحاج ابراهيم ان يحصده له بالناس من قبيلته ، ولكن أصبحت طالفة من فقراء مجاط بنحو سبعين مع المتجردين الذين يناهزون ايضا المالة ، فحصدوه فذهب اليه ، فقال له : لك نيتك ، فقد اتى الله بمن حصدوا الزرع ونية المؤمن خير من عمله ، وهكذا كان الشيخ يعامل ايضا القائد سعيدا المجاطى في حرثه في (أيت على) وهو يراعيه مراعاة لا بد منها .

وكان من عادته رحمه الله انه لايجب ان يزاول أعمال الزاوية الا الفقراء وحدهم ، ويقول : ان هذا للفقراء ، فهم أولى من يقوم به ، واخبرني بعضهم ان صاحب الترجمة قال له بعد وفاة الشيخ ، وقد لاقاه في (باردا) اظن عند ازواج الحرث ذهب الشيخ سيدى الحاج على ، وهيئات ان تلد امرأة اخرى مثله ، وبمثل هذا يعامل ايضا الاستاذ سيدى على بن عبد الله ، فيعيينه من نواح شتى ، فجازاه الله خيرا عن أعماله هذه

ومن أغرب أحواله : انه يجعل دائما نفسه كالمنفذ لأقوالهم ، فقد وفد مرة فقيه صحراوي ، وكان يقبض بيديه في الصلاة ، فانكر عليه الفقهاء من الالفين لانهم خلييون أقحاح ، فما سمع صاحب الترجمة ذلك حتى انتدب اليه وهو قفيف عنده مع اولئك العلماء كانه يريد ان يمنعه بالقوة ان يقبض في الصلاة مادام عنده

وكان أيضا شيخنا سيدى عبدالله بن محمد فى مبادله ، قد قال مرة ان قولنا عند تكرار الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم : اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وسلم ، اللهم صلى على سيدنا محمد الخ ان سكون ميم لفظة (وسلم) وسكون (اللام) فى اللهم حين نصل بينهما يتعين بالنقاء الساكنين ان نكسر الميم ، لا ان نفتحها على ما يجرى فى الالسنه ، فصار يصنع ذلك عند التصليّة قبل الصلاة - كما هي عادة اهل هذه الجهة - امام من هم اكبر منه اذذاك من الالغيين الآخرين ، فكانهم باحتوه حول ذلك فى دار صاحب الترجمة ، فانتدب له يحاجه بالقوة ، وهو خال من العلم ، ولكنه يكفى ان يكون الشىء فى نظره حقا . ان يتفوه به الفقهاء الالغيون الكبار الذين يؤمن بانهم كالعصوميين ايماننا قويا ، فهكذا كان دائما يحبهم محبة زائدة ، ولا يخفى عنه نقص بشرى لا يمكن ان يخطئهم ، ولكنه فارضى الخلة اذ قال : (فكونوا كما شئتم انا ذلك الخل)

هذا هو الحاج ابراهيم الايفشانى الشهير ، ولا يحسن القارىء اننا طنبنا فى ترجمته ، فان كل من عرفه يدرك حقا أننا موجزون ، قصدنا منه الى النواحي التى تهم التاريخ ، فاعتنينا بها ، الى ماله من المناقب التى غطت ماله من المثالب - كما يقول الشيخ الالفى فيما تقدم - فابرزناها ، وهو بالاجمال : افضل رجال عصره من رؤساء هذه الجهة واشهرهم ثروة وتاثير املاك ، بحسب وسطه ، مع محافظته على تلاوة القرآن وأوراد ناصرية واداء الصلوات فى اوقاتها فيما نسمع .

وقد متعه الله بأولاده فشبوا بين يديه ، ونبغ من بينهم كبيرهم احمد ابن تلك المرأة التى تزوجها من مال (ايكلى) وولده الآخر محمد ثم على ثم عبد المؤمن وقد استقلوا كلهم عنه حياته وتزوجوا ما عدا الاخير فكان لكل واحد منهم دار خاصة ، ثم قسم لهم ، وبين لكل واحد ماله ، وهو لا يزال صحيحا . وقد اشتهر ولده احمد بين يديه اشتهارا عظيما ، وتجل بين الناس بمظاهر ربما انس والده منها انها بدأت تكسفه ، فكان يغضى حتى انه وقعت مرة نادرة ادبية تستحق التخليد ، وذلك ان ولده احمد هذا كثيرا ما يفوز من السنة الشعراء بامداد ، ولا يذكره هو احد ، وفى يوم اجتمع عنده من العلماء من شتى اسماءهم ، فتساجلوا هذه القصيدة الاتية بينهم ، قالوا فيها ايضا بذكر ولده احمد ، الا ما كان من الاستاذ سيدى الطاهر ، فانه ذكر صاحب الترجمة ، فانتفض هذا فرحا وبهجة ، فقبل رأسه ، وقال له جزاك الله خيرا اذ ذكرتني حين كان غيرك ينسانى دائما ، فتحدث الناس بذلك متعجبين ، وما كانوا يشعرون انه ممن يتناولون الى ان يروج اسمه فى ذلك ، ولا يابى الكرامة الا لثيم ، وهذه هي المساجلة :

قال الشيخ الالفى والكؤوس تدار :
شئنا مسامعنا بذكر حبيبنا
فقال سيدى عبد الله الاتراضى البعيل :

وازل ضروب الهم عن اكبادنا
فقال الاستاذ سيدى الطاهر الافرانى :
فالذكر قد يغنى اذا عز اللقا
وينفس الاحزان حال بعدنا
قال الاستاذ سيدى على بن عبد الله :
هيات يغنى الذكر صبا طالما
يرعى النجوم لى حب فؤادنا
فقال ايضا الاستاذ الافرانى :

واذر سلافة ذكر من نهواه يا
فقال الشيخ الالفى :
بسلاف ذكر للاحبة سمردا
وشرابها حقا دليل رشادنا
لاسيما فى دار احمد من زهت
فقال الاديب سيدى البشير بن المدنى الناصرى :

وتعطرت بشده ارض بلادنا
فقال الاستاذ سيدى بلقاسم التاجارمونتى :
فرد الزمان وفخره وكريمه
أسدى من الاحسان والاكرام ما
يا انس من قد زاره فى بيته
فقال ايضا الاستاذ الافرانى :

دار تكامل حسنها وتزينت
بجلى تنسيك الغزال الشادنا
فقال الشيخ الالفى ايضا :
لله در مزخرف لسقوفها
ورتاجها حسنا لوى بمقادنا
فقال الاديب سيدى البشير ايضا :
ما شئت من فرش ومن نغم ومن
فقال الشيخ الالفى :

نوع الشراب ، ومن شذى انشادنا
قد زانها واتم وصف جمالها
روض يذكرنا نعيم معادنا
فقال الاديب سيدى البشير الناصرى ايضا :
ابقاه رب الناس خير احبة
واراه كل الخير فوق مرادنا

فقال الاستاذ الافرائي ايضا :

فهو الحبيب ابن الحبيب اجل من
فهم بدور سماء مجد قد اضا
داموا ودام السعد يخدمهم كما
شأوا ولازال الزمان مهادنا
نختصه ابدا بمحض وادنا
سناهم بجلالنا ووهادنا

هذه هي المساجلة التي قيلت في ثوى احمد بن ابراهيم الجديد ، اذذاك
كما بنى ، وهو المجد في داره للاضياف ، كما لا يزال كذلك اليوم في يد ولده
سيدي محمد بن احمد حفظه الله ، وقد رايت القصيدة كلها في وصفها وفي
وصف ولد صاحب الترجمة احمد ، ثم كان له نفسه حفظه على يد الاستاذ
الافرائي ، الذي نال قبلة حارة فوق رأسه ، اظهرا للتأثر بسرور كثير مما
صنع ، فهذا ايضا مجلس من مجالس الخ ، اذ الناس ناس والزمان زمان

وكانت صحة الحاج ابراهيم اخيرا ضعيفة ، فاستطب ماشاء الله ، وقد
اولع باكل الفلفل الحار حتى انه ليطحن له مع الدقيق ، فتاتي الخبزة منه كانها
فلقة من شفق ، وعهدى بطواجين -اله اذذاك بالفلفل ، لايمس منها من لم يالف
اكل الفلفل ، وكان ذلك سري اليهم من والدهم رحمه الله ، واكل الفلفل الحار
عادة جارية في كل بلاد سوس ، الا ان الناس متفاوتون في الاكثار منه والاقلال
خصوصا في البلاد التي يوكل فيها التمر ، ولكل بنى بلد عاداتهم ، ثم ان
الحاج ابراهيم في آخر عمره قد الح عليه ماكان يعتاده حتى الحقه بربه .

سألت يوما بعض ادبائنا الالغيين ، هل هناك مريية له ، فاذا بالالغيين
لم يسعدهم الدهر ان يرتوه ، وهكذا ذهب وحرم اقوال الادباء بعد مماته
كما حرّمها في حياته ، ولادري كيف لم يقل فيه شيخنا الافرائي ، ولعل له
اذاذاك عذرا كبيرا زواه عن اداء حقّه ، والا فلاحسبه ممن يغفل عن امثال هذه
الواجبات ، وما هو اوجب من تذكر هذا الرجل العظيم الكريم الفوار

قول الرفاكي فيه

حاج بيت الله الحرام ، وزائر الصفا والمروة والمقام ، ابو سالم الطالب
الابر ، والكريم الاغر ، سيدي ابراهيم الغساني ، حب اهل الله الربانسي
فهو فرش العلماء ، ومائدة الشرفاء ، يتلقاهم بالترحاب ، وينزلهم في دار
التعظيم كالمحراب ، لاتخلو داره من الضيوف ، ولا تجده بهم عسوف ، بل
يخفض لهم جناح الذل من الرحمة ، ويقرهم ما لايقدر عليه اصحاب الكلمة
مائدتة فيها ما تشتهي النفس وتلد الاعين ، وبابوراته تتلالا وان خبئت تحت
الاحضن (١) الى مواعين مصقولة ، تنسى للعاشقين العقيلة ، اضافنا في ذي

(١) يقصد جمع حضن ، والمعروف عنه انه يجمع باحضان ... وهو مادون
الابط الى الخاصرة .

الحجة عام : ١٣٢٣ هـ في زيارتنا لشمسكيدشت ، وارفقنا بخير شجاع خير ،
فوصاه ان يهرنا عليه في الصدور ، وفهمنا اننا رسخنا منه في الصدور ، فأتينا
على وفق الغرض ، وأزلنا ثم ما بنا من وعث المرض ، فلما حللنا داره وتوسطنا
وجاره ، شرع يسألنا ، ويهضم من حق اشياخنا وقال : ان اولئك الان يدعون
الشرف ، لما يجدون من الترف ، واسلافهم كسيدي احمد ممن سلف ، لا يدعي
مدعى هذا الخلف ، فسقط في أعيننا وندمنا على ما فعلنا ، فجعل يتبجح باال
(تحت الحصن) فكدر علينا البيات ، وزرينا ما أعجبنا من البيات ، وسقط
الذباب في الشراب ، ولات حين مناص عن تراب ، فندمنا ندامة الكسعي حين
استبان النهار ، والفرزدق لما ابان النوار (١) فلم نر الا ان نكايه بكيله ،
وان نغمر فيما تبجح به بخيله ورجله ، فقلت له : في أي شعب ال (تحت
الحصن) قال من الشرفاء ، فقلت له : انهم ساموكتيون ، على مانص عليه
الحضيكي في (المناقب) (٢) فقال انه موجود ، ارنه كالنجم الثاقب ، فقلت له :
استسعيت يعبوبا ، واستهطرت اسكوبا ، فلما سردته عليه اجاب بانهم لم
يقبلوا ذلك ، وانهم بمراحل عن هنالك ، فقلت له ان الحضيكي علامة هذه
الافاق ، بالوفاق ، فقد ذكر ايضا المسعودي ان ساموكن وحربيل اخوان من
ولد جالوت ، فسكت عن غيظ . وبات وفي قلبه حر القيظ ، فافترق المجلس
عن كدر ، وليس الوقت وقت السفر ، فلما أصبح الحال ازمعنا الترحال ،
ونصصنا البغال (٣) واجرينا الرجال ، حتى خرجنا من ارضه ، وسلمنا من
قرضه ، وادينا لله ما علينا من نغله وفرضه .

فتوبوا اجر وبغلا نخست الى ان امنت فقلت عدس

* * *

مشيئتها خطا كتبت علينا ومن كتبت عليه خطا مشاها
وارزاق لنا متفرقات فمن لم تاته منا اتاها

ثم اقول :

فتى خصه الله بالمكرما ت فناقض منه الحيا بالكرم
فلو ترك الغمر كان الفتى ولا بد للنضج من ذي القدم

* * *

(١) قال :

ندمت ندامة الكسعي لما غدت مني مطلقة نوار
وكانت جنتي فخرجت منها كآدم حين أخرجه الضرار

(٢) يعني الطبقات المطبوعة

(٣) نص الناقة : استنحشها شديدا

وفي الصمت ستر للغي وانما
الحريري :

جازيت من اعلق بى وده جزء من يبنى على اسه
وكلت للخل كما كمال لي على وفاة الكيل او بخسه
توفي في (٢١) محرم الحرام عام : ١٢٣٣ هـ . انتهى ما قاله في ترجمته
ثم قال ايضا في آخر ترجمة الشيخ سيدى الحسن بن احمد التيمكيشي
وقد ذكر رحلته لشهده ، نعم نزلنا عند الحاج ابراهيم (اغشى) حين ذهبنا
فارققا احد الامانوزيين ، فقال له : لا تفارقهم حتى توصلهم الى ، ففعل الرجل
فاما بننا عنده في الرجوع هتس وبتس ، وفرح غاية ، فابدا واعاد في الماكل
والمسارب ، الا انه نقص ما فعل ، بكلام نقص به قدر آل تيمكيشيت ، كما
تقدم في ترجمته ، فبمجرد كلامه سقط في أعيننا ، ولو علمنا منه ذلك ما قاربنا
داره ، فهو يحط قدر اشياخنا ، ويرفع قدر اولاد سيدى عبدالله بن سعيد
فياله من خبط خبط عشواء ، يحط قدر آل النبى المحقق ، ويرفع قدر المظنون
والخفيكى رحمه الله ، نسبهم لساموكن ، فهو اعرف بشعاب (١) القبائل
ثم ، قاله يغفر له ، وسبب ذلك انه رأى فيهم في الوقت اماجد علماء ربانيين
فنظر للحالة الراهنة ، فاعذرله ، (الى ان قال) : نقل العلامة سيدى احمد بن
ابراهيم السملالى عن مروج الذهب : ان من اولاد جالوت : ساموكن وحرييل
فهو في عهده ، واخذت ذلك عن العلامة سيدى المحفوظ بن عبد الرحمن
الادوزى قائلا : قرأته في حكم لسيدى احمد بن ابراهيم المنازعة بينه وبين
سيدى الحسن بن الطيفور الساموكنى القاطن في تيزنيت ، والله اعلم
ثم كتب المؤلف على هذا المكان في نسخته ما نصه ، ويؤيده ما ذكره
سارح القاموس من ان البرابر من بقية قوم جالوت ، ومسكنهم فلسطين
فلما قتل جالوت تفرقوا الى المغرب ، انظره .

هذا ما قاله الاستاذ الرفاكي حفظه الله ، وقد وصفه بعين الاوصاف
التي فيه ، من الكرم وحب الشرفاء ، وغير ذلك ، واما هذا الذى استثار من
الاستاذ هذا الغضب ، فقد تكلمنا عليه في ترجمة الجد عبد الله بن سعيد بما
وصل علمنا اليه ، واما الجالوتية وغير الجالوتية ، فنمر على ذلك من الكرام
لا سيما حين اطلعنا على اصل البربر الحقيقي ، والاستغفال بذلك هنا عبث .
فقد تحقق ان البربر من اصل منه العرب والعبرانيون ، فذلك قول المنصفين
من البحاين المسلمين والجرمانيين ، على اننا وجدنا في ترجمة الرفاكي هذه
ما عرفناه وذكرناه عن صاحب الترجمة من نظراته الى الالفين ، وذلك هو
القصد ، رحم الله الجميع رحمة واسعة ، وحفظ آل المترجم بمهنة وفضله .

(١) يعنى شعوب القبائل

الرئيس

احمد بن الحاج ابراهيم الايغشاني

١٢٩٥ هـ = ١٣٥٣ هـ

نسب ما :

احمد بن ابراهيم بن احمد ابن الفقيه سيدى محمد بن عبد المومن بن
احمد بن محمد ابن القاضي سيدى عبد المومن ، بن محمد بن على بن محمد بن
عبد المومن

جاء احمد والرياسة في دارهم قد امتدت اطنابها ، وكلمة اهله النافذة
في قبيلتهم طار لها صدى يطن ما بين قبائل الجنوب سهوله ونجوده وبرزالي
الميدان ، فوجد للاسرة مات من الاصدقاء ، بين رؤساء مرهوبى الجنب ، وبين
علماء يشيدون بالسنتهم واقلامهم ، ومحبرات رسائلهم ومهذبات قصائدهم
ما لا يشاد مثله الا باسالات السن ذوى المعارف ، وباطراف اليراع ، من الذين
يعرفون كيف يخلدون الكرام ، بينات الاقلام ، فان كان هناك واحد او اثنان
يعدون اشياء من عشرات الاسرة ومثالبها - وكفى المرء نبلا ان تعد معائبه -
فان هناك عشرات ينظرون اليها بعين الرضا التي تكل دائما عن كل عيب

جاء احمد والدار الديانية حافلة بالخيرات ، وطئت اليها الجداول من كل
ساقية ، ومهدت اليها السبل من كل فج عميق ، والهدايا والتحف والجبايا
تتري اليها ، فصار الضرع حافلا ، والروض انفا ، والاملاك الموثلة تدر من
الحبوب والفواكه بكل ماتحتاج اليه كل اسرة جعلت معاقلا المنفعة في سماطها
الممدود امام كل صادر ووارد ، وقد تعددت الديار ، وتنوعت الاواني ، وتفننت
اشكال الزرابى . فما شئت من كل جديدة كما نقصت منها الصناعات اليد ، وما
اقتاحت من انواع الاطعمة التي تتناول بيد او بيدين ، صنوانا وغير صنوان

حكى الهاشم رحمه الله انه جلس مرة في ثوى الاستاذ سيدى على بن
عبد الله ، فدخل عليهم الشيخ الالفي ، وقد رجع الساعة من دار الديانيسين
هؤلاء فسألوه عن الحاج ابراهيم كيف هو ؟ فقال الشيخ : انا لله وانا اليه
راجعون ، ان الرجل لا يزال سادرا في غلوائه ، مادا ايدي البطش في مخلوقات
الله بلا شفقة ولا رحمة ، كما هو ديدنه دائما ، فقد كنا عنده انفا ، فاقبل على
ازهاق الارواح ، واقتياد الاسرى ترسفا في قيودها ، وتعثر في فضل اسارها

فقال الأستاذ الأفراني أيضا :

فهو الحبيب ابن الحبيب اجل من
فهم بنور سماء مجد قد اضا
داموا ودام السعد يخدمهم كما
شاءوا ولازال الزمان مهادنا
نختصه ابدا بمحض وادانا
سناهم بجبالنا ووهادنا

هذه هي المساجلة التي قيلت في ثوى احمد بن ابراهيم الجديد ، اذذاك
كما بنى ، وهو المجد في داره للاضياف ، كما لا يزال كذلك اليوم في يد ولده
سيدي محمد بن احمد حفظه الله ، وقد رايت القصيدة كلها في وصفها وفي
وصف ولد صاحب الترجمة احمد ، ثم كان له نفسه حظه على يد الأستاذ
الأفراني ، الذي نال قبلة حارة فوق رأسه ، اظهارا للتأثر بسرور كثير مما
صنعه ، فهذا أيضا مجلس من مجالس الفخ ، اذ الناس ناس والزمان زمان
وكانت صحة الحاج ابراهيم اخيرا ضعيفة ، فاستطب ماشاء الله ، وقد

أولع باكل الفلفل الحار حتى انه ليطن له مع الدقيق ، فتأتى الخبزة منه كانها
فلقة من شفق ، وعهدى بطواجين له اذذاك بالفلفل ، لايمس منها من لم يالف
أكل الفلفل ، وكان ذلك سرى اليهم من والدهم رحمه الله ، وأكل الفلفل الحار
عادة جارية في كل بلاد سوس ، الا أن الناس متفاوتون في الاكثار منه والاقلال
خصوصا في البلاد التي يوكل فيها التمر ، ولكل بنى بلد عاداتهم ، ثم ان
الحاج ابراهيم في آخر عمره قد الح عليه ما كان يعتاده حتى الحقه بربه .

سألت يوما بعض أدبائنا الالبيين ، هل هناك مريثة له ، فاذا بالالبيين
لم يسعدهم الدهر ان يرثوه ، وهكذا ذهب وحرم اقوال الادباء بعد مماته
كما حرمها في حياته ، ولادرى كيف لم يقل فيه شيئا الأفراني ، ولعل له
اذاذاك عذرا كبيرا زواه عن اداء حقه ، والا فلاحسبه ممن يغفل عن امثال هذه
الواجبات ، وما هو اوجب من تذكر هذا الرجل العظيم الكريم المغوار

قول الرفاكي فيه

حاج بيت الله الحرام ، وزائر الصفا والمروة والمقام ، ابو سالم الطالب
الابر ، والكريم الاغر ، سيدي ابراهيم الفشاني ، حب أهل الله الرباني
فهو فرش العلماء ، ومائدة الشرفاء ، يتلقاهم بالترحاب ، وينزلهم في دار
التعظيم كالمحراب ، لاتخلو داره من الضيوف ، ولا تجده بهم عسوف ، بل
يخفض لهم جناح الذل من الرحمة ، ويقريهم ما لا يقدر عليه اصحاب الكلمة
مائدتة فيها ما تشتهي النفس وتلد الاعين ، وبابوراته تتلألأ وان خبت تحت
الاحضن (١) الى مواعين مصقولة ، تنسى للعاشقين العقيلة ، اضافنا في ذي

(١) يقصد جمع حضن ، والمعروف عنه أنه يجمع باحضان ... وهو مادون
الابط الى الخاصرة .

الحجة عام : ١٣٢٣ هـ في زيارتنا لتيمكيدشت ، وارفقتنا بخير شجاع خير ،
فوصاه ان يمرنا عليه في الصدور ، وفهمنا اننا رسخنا منه في الصدور ، فالتينا
على وفق الغرض ، وازلنا ثم ما بنا من وعث المرض ، فلما حللنا داره وتوسطنا
وجاره ، شرع يسألنا ، ويهضم من حق اشياخنا وقال : ان اولئك الان يدعون
الشرف ، لما يجدون من الترف ، واسلافهم كسيدي احمد ممن سلف ، لا يدعي
مدعى هذا الخلف ، فسقط في أعيننا وندمنا على ما فعلنا ، فجعل يتبجح بال
(تحت الحصن) فكدر علينا البيات ، وزرينا ما أعجبنا من النبات ، وسقط
الذباب في الشراب ، ولات حين مناص عن تراب ، فندمنا ندامة الكسعي حين
استبان النهار ، والفرزدق لما أبان النوار (١) فلم نر الا أن تكايله بكيله ،
وان نغز فيما تبجح به بخيله ورجله ، فقلت له : في أي شعب ال (تحت
الحصن) قال من الشرفاء ، فقلت له : انهم ساموكتيون ، على مانص عليه
الحفيكي في (المناقب) (٢) فقال انه موجود ، ارنه كالنجم الثاقب ، فقلت له :
استسعت يعبوا ، واستمطرت اسكوبا ، فلما سردته عليه اجاب بانهم لم
يقبلوا ذلك ، وانهم بمراحل عن هنالك ، فقلت له ان الحفيكي علامة هذه
الافاق ، بالوفاق ، فقد ذكر ايضا السعودي ان ساموكن وحربيل اخوان من
ولد جالوت ، فسكت عن غيظ . وبات وفي قلبه حر القبط ، فالتقى المجلس
عن كدر ، وليس الوقت وقت السفر ، فلما أصبح الحال ازمعنا الترحال ،
وانصصنا البغال (٣) واجبرينا الرجال ، حتى خرجنا من ارضه ، وسلمنا من
قرضه ، وادينا لله ما علينا من نفعه وفرضه .

فتوبا اجر وبغلا نخست الى ان امنت فقلت عسى

* * *

مشيناها خطا كتبت علينا ومن كتبت عليه خطا مشاها
وارزاق لنا مشفرقات فمن لم تاته منا آها

ثم أقول :

فتى خصه الله بالمكرما ت فناقض منه الحيا بالكرم
فلو ترك الغمر كان الفتى ولا بد للنضج من ذي القدم

* * *

(١) قال :

ندمت ندامة الكسعي لما غدت منى مطلقة نوار
وكانت جنتي فخرجت منها كآدم حين أخرجه الضرار
(٢) يعنى الطبقات المطبوعة
(٣) نص الناقة : استحثها شديدا

وفي الصمت ستر للقبى وانما
صحيحة لب المرء ان يتكلمها
الحريري :

جازيت من اعلق بى وده جزاء من يبني على اسه
وكلت للخل كما كال لي على وفاء الكيل او بخسه
توفي في (٢١) محرم الحرام عام : ١٢٣٣ هـ . انتهى ما قاله في ترجمته
ثم قال ايضا في آخر ترجمة الشيخ سيدى الحسن بن احمد التيمكدينى
وقد ذكر رحلته لشهده ، نعم نزلنا عند الحاج ابراهيم (اغشى) حين ذهبنا
فارقنا احد الامانوزيين ، فقال له : لا تفارقهم حتى توصلهم الى ، ففعل الرجل
فلما بتنا عنده في الرجوع هش وبش ، وفرح غاية ، فابدا واعاد في الماكمل
والمشارب ، الا انه نقص ما فعل ، بكلام نقص به قدر ال تيمكديست ، كما
تقدم في ترجمته ، فبمجرد كلامه سقط في أعيننا ، ولو علمنا منه ذلك ما فارقنا
داره ، فهو يحط قدر اشياخنا ، ويرفع قدر اولاد سيدى عبدالله بن سعيد
فياله من خبط خبط عشواء ، يحط قدر ال النبى المحقق ، ويرفع قدر المظنون
والخفيكى رحمه الله ، نسبهم لساموكن ، فهو اعرف بشعاب (١) القبائل
ثم ، فوالله يغفر له ، وسبب ذلك انه رأى فيهم في الوقت اماجد علماء ربانيين
فنظر للحالة الراهنة ، فالعذر له ، (الى ان قال) : نقل العلامة سيدى احمد بن
ابراهيم السهلالى عن مروج الذهب : ان من اولاد جالوت : ساموكن وحربيل
فهو في عهده ، واخذت ذلك عن العلامة سيدى المحفوظ بن عبد الرحمن
الادوزى قائلا : قرأته في حكم لسيدى احمد بن ابراهيم المنازعة بينه وبين
سيدى الحسن بن الطيفور الساموكنى القاطن في تيزنيت ، والله اعلم
ثم كتب المؤلف على هذا المكان في نسخته ما نصه ، ويؤيده ما ذكره
سارح القاموس من ان البرابر من بقية قوم جالوت ، ومسكنهم فلسطين
فلما قتل جالوت تفرقوا الى المغرب ، انظره .

هذا ما قاله الاستاذ الرفاكي حفظه الله ، وقد وصفه بعين الاوصاف
التي فيه ، من الكرم وحب الشرفاء ، وغير ذلك ، واما هذا الذى استشار من
الاستاذ هذا القضب ، فقد تكلمنا عليه في ترجمة الجد عبد الله بن سعيد بما
وصل علمنا اليه ، واما الجالوتية وغير الجالوتية ، فنمر على ذلك من الكرام
لاسيما حين اطلعنا على اصل البربر الحقيقي ، والاشتغال بذلك هنا عبث .
فقد تحقق ان البربر من اصل منه العرب والعبرانيون ، فذلك قول المنصفين
من البحاين المسلمين والجرمانيين ، على اننا وجدنا في ترجمة الرفاكي هذه
ما عرفناه وذكرناه عن صاحب الترجمة من نظراته الى الالفين ، وذلك هو
القصد ، رحم الله الجميع رحمة واسعة ، وحفظ ال المترجم بمنه وفضله .

(١) يعنى شعوب القبائل

الرئيس

احمد بن الحاج ابراهيم الايغشاني

١٢٩٥ هـ = ١٣٥٣ هـ

نسبه :

احمد بن ابراهيم بن احمد ابن الفقيه سيدى محمد بن عبد المومن بن
احمد بن محمد ابن القاضى سيدى عبد المومن ، بن محمد بن على بن محمد بن
عبد المومن

جاء احمد والرياسة في دارهم قد امتدت اطنابها ، وكلمة اهله النافذة
في قبيلتهم طار لها صدى يطن ما بين قبائل الجنوب سهوله ونجوده وبرزالي
الميدان ، فوجد للأسرة مات من الاصدقاء ، بين رؤساء مرهوبى الجنب ، وبين
علماء يشيدون بالسنتهم واقلامهم ، ومحبرات رسائلهم ومهذبات قصائدهم
ما لا يشاد مثله الا بأسلات السن ذوى المعارف . وباطراف البراع ، من الذين
يعرفون كيف يخلدون الكرام ، بينات الاقلام ، فان كان هناك واحد او اثنان
يعدون أشياء من عشرات الاسرة ومثالبها - وكفى المرء نبلا ان تعد معائبه -
فان هناك عشرات ينظرون اليها بعين الرضا التي تكل دائما عن كل عيب

جاء احمد والدار الديانية حافلة بالخيرات ، وطئت اليها الجداول من كل
ساقية ، ومهدت اليها السبل من كل فج عميق ، والهدايا والتحف والجبايا
تتري اليها ، فصار الضرع حافلا ، والروض أنفا ، والاملاك الموثلة تدر من
الجنوب والفواكه بكل ماتحتاج اليه كل اسرة جعلت معاقلا المنفعة في سماتها
الممدود امام كل صادر ووارد ، وقد تعددت الديار ، وتنوعت الاواني ، وتفننت
اشكال الزرابى . فما شئت من كل جديدة كما نفضت منها الصناعات اليد ، وما
اقرحت من انواع الاطعمة التي تتناول بيد او بيدين ، صنوانا وغير صنوان

حكى الهاشم رحمه الله انه جلس مرة في ثوى الاستاذ سيدى على بن
عبد الله ، فدخل عليهم الشيخ الالغى ، وقد رجع الساعة من دار الديانيين
هؤلاء فسألوه عن الحاج ابراهيم كيف هو ؟ فقال الشيخ : انا لله وانا اليه
راجعون ، ان الرجل لا يزال سادرا في غلوائه ، مادا أيدي البطش في مخلوقات
الله بلا شفقة ولا رحمة ، كما هو ديدنه دائما ، فقد كنا عنده انفا ، فاقبل على
ازهاق الارواح ، واقتياد الاسرى ترسفا في قيودها ، وتعثر في فضل اسارها

ولولا أن هياتنا الله فافتكنا كل من اتصلت به أيدينا ، لعالت المسألة ، ولكان (أكنى أديان) بعد ، لا يزال يعج بالأسرى ، قال الهاشم فقلت بيني وبين نفسي والشيخ يحكي ، ويستعظم ما يذكره ، ويتظاهر بوجه المتعاض من هول ما رأى ليت شعري أية مصيبة جديدة حدثت بعدى ، فكنت أتمزع هلعا من طول وصف الشيخ ، فما سكنت حتى أقبلنا عليه نمطره بأسئلة متتابعة ، كيف ، وما السبب ومن هم هؤلاء الذين فتك بهم ، فلم ننسب أن رأينا وجه الشيخ عاد يتهلل ، كأنه فلقه قمر ، وقد زال عنه أثر ما تظاهر به ، فقال : لن تراعوا لن تراعوا فما هناك إلا الفتك بالكباش والدجاج على عادته ، ثم سوقها في الموائد كما هي مشوية ، وفي الطواجين المكتظة بالدجاج المحشو الوسط باللوز والزبيب ، وهي صفوف صفوف ، مشى وثلاث ورباع ، فكنا والحمد لله ممن هياتهم الإقدار ففكنا قيودها ، وحللنا أسرها ، ولولانا لبقى ما هنالك يعج بهذه الأسرى التي تترنج تحت قدمها (١) قال الهاشم فكان مآراينا من الشيخ من تمثيله لهذا الدور ، وهو الذي لا تعرفه إلا بالوقار والهيبة ، عجباً ، لم نزل نذكره فنزداد عجباً على عجب ، قال الهاشم : وإن كنت أوقن أن الذي يقوله الشيخ من عرامة الحاج إبراهيم وتسلطه على الناس ، حقيقة لا تنكر ، ولكنه لا يتعدى إلا على من يستحقون ذلك ، ولم تكن نعهد من الشيخ إلا قول الحق دائما .

أقول : هذه الحكاية بهذا الأسلوب من هذا الشيخ الذي نعلم منه أنه لا يقول إلا حقا ولو كان في صورة مزاح ، لتدل كل دلالة على ما نريد أن نبين كنهه للقارىء من كرم هذه الأسرة في ذلك الحين .

فكما أن الشيخ الألفى رحمه الله خلد مقدار ذلك الكرم بحكايته المحبوبة على هذا النسج الدعابى ، مؤيدا به ما كان قاله في رحلته - وقد تقدم ذلك - كذلك خلد كرمهم أيضا شيخنا سيدى الطاهر الأفرانى في قطعة نونية يداعب بها صاحبه الأستاذ سيدى العربى الساموكنى ، وهما هناك في ربيع الأول ١٣٢٩ هـ ونصها :

ان الموائد انت من شجعانها
لله درك فارسا يفري بسيي—
ويبك في قعر الطواجن ظفـره
واذا كررت على (الطبال) كرة
وتزج في بحر (المكايل) غائضا
وتعوم في جمع من السادات في

و (الزرد) حرب انت من فرسانها
ف السن لحم الشاء عن (أخسانها)
أسرى الدجاج تقاد في إرسانها
أهزقت رشا من دما كيسانها
فلك السفنج فتشنى بحسانها
تعم همت كالسحب في نيسانها

(١) القيد بالكسر : السير يقدر من الجلد ، وقد يربط به المعتقل عند العرب

جاءت بواكبها يدا بحر السدى
غير الاحبة احمد وابوه من
فرد مكارم مجده اعيت على
لازال في شاو البلاغة جاريا

قد الملا طرا سنا اسنانها
شاد المكارم في ذرى غسانها
اعشى البلاغة او على حسانها
طلق العنان الى مدى احسانها (١)

* * *

(أخسانها) عظامها • (المكايل) : السكرجات • (الطبال) : الصينيات (الزرد)
الزردة معربة : وهي الحفلة من الطعام •

هكذا تخلد تلك المكارم بالحكايات الممتعة بأوصافها ، وبالقوافي الرائقة
التي تبرز فيها العجمية بالعربية ، لقلية الأريحية على وصفها

والناس أكياس من أن يمدحوا رجلا حتى يروا عنده آثار احسان

قال بعض الوزراء البخلاء لبعض اصحابه وقد رأى من في المجلس يكثرون ذكر
البرامكة : ان الناس يكذبون على البرامكة فيما يصفونهم به من الكرم ، فقال له :
واماذا لا يكذبون على سيدنا الوزير ، وماذا يمنعونهم من ذلك فالفقه حجرا
لا يصفه ولا يستسيقه ، فليسمع البخلاء كلهم هذا الجواب

كان الحاج ابراهيم اعتنى بولده هذا اعتناء يرشحه به الى تمثيل الدور
الذي تنتظره منه الأسرة المؤسس شرفها على الجمالات ، وغير الجفئات ، قبل
أن تؤسس على المواضي المشرفيات ، والعوالى السمهريات ، فنشأ أيضا احمد
ذا جفنة مكللة لحما ، مدفقة ثردا تطفح بالطعام ، لا يوصد دونه كل من ألم بالقرية
من الوفود ، وذا سياسة مرنة ، لم يزل يترقى فيها حتى بدت للناس بما عالجها
من مخاتقات زائدة ، ومراعاة لكل واحد في وجهه ، أفضل من سياسة أبيه
الصريحة السنونة الحدة ، فكان هذا الأدب الذي يقابل به كل الطبقات ، ولا يمكن
أن يجبه معاهى انسان في وجهه - والعين تنظر في العين - كما كان يفعل
والده - وهذا الكرم الذي يقابل به كل وارد ، ويتلقى به كل ضيف ، على حين
انه يومى الى الكوماء :

(نحررتنى الاعداء ان لم تنحري) (٢)

ما جعل له حالة تستدير به بين المجامع التي يغشاها نيابة عن أبيه ، اذ كان

(١) اعيت القصيدة هنا للاحتياج اليها ، والا فقد تقدمت في اوائل الكتاب

(٢) قال اعرابى في كريم :

يلقى الرماح بصدرة وبوجهه
ويقول للطرف اصطبـر لشباالقنا
واذا تأمل شخص ضيف مقبل
او ما الى الكوماء هذا طارق

ويقيم هامته مقام المغفر
عقرتنى الاعداء ان لم تعفر
متسربل الواب عيش الحبر
نحررتنى الاعداء ان لم تنحري

لا يزال في الحياة ، ثم ازداد في ذلك بعده ، وقد رأيت في ترجمة الاخ احمد
 انه احد الذين اختيروا بين كبار الناس ، ليعقدوا ما يعقدون مع الحاج التهامي
 ورجال الحكومة في الزحف الكبير سنة : ١٣٣٥ هـ وكثيرا ما يعالج المشاكل
 بهذه الطريقة ، ويجعل المصادمة آخر الدواء ، ولذلك قلت مصادماته مع جيرانه
 ولم يدرك والده في ذلك ، وقد قامت مشادة لم يطل أمرها بينه وبين السملالين
 على الحدود ، وذلك في نحو سنة : ١٣٤٩ هـ ولكن أمر ذلك كله قريب ، وكثيرا
 ما يواخذ اصدقاءه من ورائهم وهم لا يشعرون ، على حين أنه يتبسم في وجوههم
 فكان لذلك خير خلف لابه في المدافعة عن حوزة قبيلته ، وعن الالفين اجمعين
 وكانت للمجايطيين والقبائل في عصره : الجولات المشهورة في الكفاح ضد
 الاحتلال ، فكان دائما معهم في كل تلك المصادمات مع الحكومة ، او في الحروب
 بين القبائل ، وهو ممن يشار اليه في المجامع ، وهو الذي وصل الاسلاك بين
 حمو الكنسوس وبين القائد المدني في القضية التي حكيها في ترجمة الاخ
 احمد رحمه الله كما سنفصلها في ترجمة حمو في (القسم الخامس) ، وكان
 حاله مع مرابطينا حال والده معهم ، وزاد عليه بأنه صاهرهم ، لان زوجته
 بنت الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله الالفى ، كما اصهر أيضا بينتيه الى اخينا
 الاكبر سيدي محمد ، واحدة بعد الاخرى المتوفاة ، وكان الشيخ الالفى يجعله
 كولد ، ويكرمه دائما زائد الاكرام ، وله أدب معه على عادته مع من هم اكبر
 منه ، ويحضر مع أقرانه في مواسم الشيخ ، فيرجعون بخيرات حسان ، قال :
 كنا مرة عنده يوم الاربعاء الذي يختتم فيه الموسم ، وقد انفض الناس فوجدنا
 في بيت زيوفا كثيرة ، فيها كسي مختلفة : جبابا وسلاهم واردية وغيرها ، مما
 ياتي به الواردون الى الشيخ ، فتناولنا الشيخ زيفا لكل واحد منا من غير ان
 يحله ، فعند وصولنا للطريق ، وقفنا ننظر ما هو التيسر لكل واحد منا ،
 فاذا بالهاشم جاء في حظه شقة تامة من الكتان الرقيق الذي تصنع منه العمام
 قال فضحكنا عليه .

قلت هكذا عمل الشيخ بغالب ما يرد عليه من الوافدين ، فانه يبرهم
 ويعطيهم مما وجدوا امامهم ، فقد اخبرني فقير ، قال اتينا مرة من عند تاجر
 (فقير) من السويرة ، بمراكش وتحف نفيسة ، كنا اخترناها للشيخ فوضعناها
 امامه ، فلم يفتحها ولا أعارها نظرا ، فاذا بالاستاذ سيدي علي بن عبد الله دخل
 فمكنه ذلك من غير أن يعرف ما فيه ، وحكى لي حاك ان صاحب الترجمة مكث
 يوما في داره بعد وفاة الشيخ الالفى ، فصاروا يذكرون الاولياء الكمال ، وفي
 المجلس سيدي الحاج احمد اليزيدي - وكان لسان صدق عند المترجم - فقال
 هذا : اين انتم ممن تعرفونه وتتحققونه ، فقالوا : من هو ؟ فقال انه الشيخ
 سيدي الحاج علي ، فقال له احمد : او هو من الكمال ؟ قال بل هو ممن يشاهدون
 النبي صلى الله عليه وسلم دائما ، ومن كان على قدم فلان وفلان فعند لهم

كبارا من مشهورى الاولياء عند الناس ، فقال له صاحب الترجمة : غرتنا
 ياسيدي الحاج احمد ، اما كنت ترائنا دائما نفع فيه وفي اصحابه الدرقاويين
 امامك ، وانت ساكت ، فقال ما ذا اقول لكم ، فهل انتم عمى . اتفنون ان
 الالف الذين يتقاطرون عليه من البلاد النائية كلهم مغفلون ، أغرار جهال ؟
 فمن ذلك اليوم طوى احمد بن ابراهيم لسانه عن الشيخ . وحكى لي آخر : انه
 قال له : وا أسفا فاتنا الشيخ سيدي الحاج علي ، فقد كنا في حياته شبانا
 أغرارا ، وما كنا نذهب اليه الا لما يمنحنا اياه ، وما كنا عرفنا له المنزلة التي له

اقول : اننى احكى هذه الحكايات بلسان اصحابها ، لان ذلك أدل على
 المراد ، ولنعرف كيف ينظر بعضهم الى بعض ، فقد صار الجميع اليوم الى
 رحمة الله ، فאלله يلحقنا بهم مسلمين غير مفتونين

من أخلاق صاحب الترجمة اذا كان مع اخدانه ، وخلص اصدقائه ، ان
 يتجاروا في المرح ، وان يسترسلوا الى كل وجهة ، وان يطلقوا لهجاتهم
 اريحية ، ولكنه اذا جلس الى غيرهم كان كالطود وقارا كانه لا يتحرك ، وقد
 رأيت ما وصفه به الاخ احمد في ترجمته .

وقد كانت له يد طولى في الدفاع عن دارنا ، وعن الاخ سيدي محمد زوج
 بنته ، في قضية اتهمه بقتل احمد ابن الفقيه سيدي علي بن عبد الله ، فقد وقف
 حتى انحلت العقدة بين الجانبين على يد الرئيس احمد الامازرى ، ثم على يد
 مولاي احمد الهيبه ، وقد فصلت أخبار هذه القضية في محل آخر ، ومما يتعلق
 به انه كان يعرف كيف يتحدث الى كل واحد بما يوافقه ، فقد استحضرت انه
 كان يحادثني بأمور في دارنا ، وهو يسأني عن والدتي ، اما ينقصها شيء
 اظهارا لاهتمامه الخاص بنا ونحن صغار ، وقد افضى الى بعدما شببت بمساع له
 خاصة في الدفاع عن دارنا في تلك القضية ، بما سمعه باذنه من بعض كبار
 الالفين ، تعبر عما ينوى في كذا وفي كذا ، وانا لا اريد ان اتحمل كتابة ذلك
 للتاريخ ، لان اقبار مثل ذلك اولى من احيائه ، ونطلب الله ان يسامح الجميع
 وان يلطف بالجميع .

وقد كان مرة في موسم تازوالت ، فاخرج جرابا مملوا بالريالات من
 حمل بغلته ، في محضر رؤساء رسموكيين ، فقال لهم : اننا نستعين بما نأخذ
 من شجر اللوز على الزمان بثمانه ، فقال لهم رسموكي : بل انما تستعين بما تأخذ
 من ظهور المساكين من قبيلتك التي تعركها عركا (جواب مزاح) ولكنه يقصد
 به الحق ، وكم كلمة مزاح قيل فيها الحق الصراح

وقد تلقى الطريقة الاحمدية عن شيخها في هذه الجهة ، شيخنا سيدي
 الطاهر ، فتأثر عليها وعلى الصلاة في الصف في ثوى الاضياف ، ولا يفارقه

علما، دائما مدة حياته ، كسيدى الحاج احمد الزيدى ، وسيدى محمد بابا وغيرهما ، وقد كان لسيدى الطاهر لذلك فى قلبه منزلة كبيرة جدا جدا وكان يتحفه ويسرب اليه الهدايا والطرف فى كل حين ، بيد سخية ، ورجاء متين ولا يغيب زيارته فى كل فرصة ، ويحترث له بعض السنين فى حقل ازاء قرية (ايكل) ، ينسب الى الشيخ سيدى محمد بن ابراهيم التامانارتى : جد سيدى الطاهر ، وناهيك انه حين احس فى مرض موته ان اجله قد قرب ، والى اليه الرسل يستقدمه ليغمض عينيه ، وهو اذذاك فى عزبته فى (افانتيقى) يحترث - كما اظن - فكان كلما استفاق من غشيته ، يسأل هل جاء سيدى الطاهر ؟ وكذلك شيخنا يخلص له المحبة ، ويبادله هذا الوداد ، ويحنو عليه ، وله فى جانبه قصائد ، تسوق ما وقفنا عليه منها ، ثم نتبعها بقطع وقفنا عليها ، جرت من السنة الادباء اليه ، ونحن نأسف لاننا لم نتوصل بذلك وهو كثير تحتيد غير يدنا .

ورد سيدى الطاهر الافرانى فى وفد يوما الى دار المترجم ، فقال يرحب بهم عنده :

يا مرحبا بجموع سادات سما
فى دار احمد قطب افلاك الندى
وقال سيدى البشير بن المدنى الناصرى الافرانى :

يا احمد الجود ابقاك الاله لنا
واصلح الولد والدنيا ومتعكم
وبارك الله فيكم والبنين ومن
فى يوم الخميس (٨) ربيع الاول سنة : ١٣٢٩ هـ وفد صاحب الترجمة

على شيخنا سيدى الطاهر بتانكرت بافران ، فرحب به بهذه القصيدة التى ذيلها ولده :

قد زارنا الحب المبارك احمد
وافى وسر السعد فى اسراره
اهلا به به اهلا به فوروده
فلقد اتى متفضلا والفضل والا
ابن كريم محسن جم الندى
ندب همام ما جد متباعد
متواضع لالى المعالى والتقى
يتفائل القمر المنير لوجهه
ذو همة لا ترضى الا العلا
خلق لطيف كالنسيم اذا سرى

(١) الصدى بتشديد للوزن . وان كان فيه ما فيه

وصفا ، ود كالزال لو اله
قل للذى باراه جهلا اين من
اعيت مناقبه البليغ وهل يرى
سبحان من اولاه كل فضيلة
اما الندى فيمينه وشماله
يلقى العفاة ببشره ويرى اذا
يامن بمقدمه المبارك شرفت
اهلا بطلعتك السعيدة ما بها
قاله يجزيك الرضا ويقيك ما
ورضا ابى اسحاق والدك الذى
وبريك فى الاولاد والاخوان ما
والعلم والدين المتين وطاعة
ويديم حفظك امانا من كل ما
ويفيض وابل فضله ثجا على
بالمصطفى المختار احمد من له
فعليه من رب الورى صلواته

لا يعثر به ترقى وتجمد
حل السما ممن حوته الاوهد
لنجوم افلاك السماء تعدد
ونشور صيت فى الورى لا يجحد
غيث يسح ندى وبحر يزيد
قبلوا العطايا انهم قد ارفدوا
ارجاؤنا فسرورها يتجدد
يطفا ضرام للشوق موقد
كاد العداة الماكرون وحسد
اس المكارم فاغتديت تشيد
يرضيك من خير يلوح ويشهد
ترضى الاله فما سواه المقصد
تخشى ، فيكبت حاسد بل يطرد
عليك ما لاح السها والفرقد
عند الاله مقام صدق يشهد
وعلى الصحاب وكل عبد يشهد

وقول الشاعر : (اذ كان فى جنح الليالى يسجد) هو خلق من الاخلاق التى سمعتها من كثيرين عنه ، وقد اخبرني من اتق به انه بات عنده فى داره ليلة فى رمضان ، قال فكان فى غرفة فوقى ، فاسمعه يتنفل غالب الليل، واذا سجديتهز السقف ، لانه رحمه الله فى شبابه وكهولته بادن

نبهت على ذلك لثلا يظن القارىء ان ذلك من الاوصاف التى يالف الشعراء وصفها فى مقام المدح

وزار مع صاحبه الهاشم الذى لا يفارقه دائما الشيخ الافرانى هذا قبل هذا الحين اواخر صفر سنة : ١٣٢٧ هـ ، ولم يذهب معهم الاستاذ سيدى العربى الساموكنى المشارط اذذاك فى المدرسة الايفشانية ، فكتب معهما الاستاذ اليه :

مذا يعد المجد من اعذاره
ان كان ذاك لعة او قلة
او زلة من ذى المروءة فلتة
فلنا خذل بك احمدا او هاشما
فلنعم بدرا سودد كل جرى
قاله ينجح سعى كل منهما
وينيله فوق الرضا ويديم ما
ويجمله بسعادة الدارين مو

فى ترك صحبتهم لبلدة داره
قالبدر قد يغفى بيوم سراره
فالطرف ربتما كبا بعشاره
فالمرء ماخوذ بزلة جواره
ملء الاعنة فى مدى مضماره
بالريح مقرونا بنجح مزاره
اولاه مرقوعا على مقداره
صول الهنا ويفيض من اسراره

ويريه في نفس واولاد له
وكذلك اجاب لنا طرا ومن
باجل خلق الله من لا يستم
خير الوري سر الوجود اجل من
صلى عليه الله ما هبت حبا
وللادباء الصحراويين الذين يقدون عليه قطع وقصائد فيه ، وليس بايدينا
منها الا قطعة لسيدى محمد بابہ الشهر . قال فيها :

جازى المهيم مدمن الاحسان عنا اخانا احمد الفساني
وانا له مولاه مما يشتهى ما لم ينله سواه من انسان
واسى مواساة المحقق نيله من ربه الاحسان بالاحسان

ويهم داره مرة وقد من الادباء ، فحين وصلوا (باردا) - وهو بسيط في
شمالى الغ - جرت بينهم هذه المساجلة ، وذلك في سنة : ١٣٤٢ هـ :

قال شيخنا سيدى محمد بن الطاهر الافرانى

يهمت ياركب دار الفضل والجلود من حل فيها يغز بغير مقصود
فقال شيخنا مولاي عبد الرحمن البوزاكادنى - نزيل الرباط الان ١٣٨٠ هـ -
ربع وسا الفضل والعلية فيه كما رست سفينة نوح من علا الجودى
ثم قال الاديب سيدى محمد بابہ الصحراوى :

حمدا لاحمد لازالت محامده مصونة بالتقى والعدل والجلود
ثم قال ايضا ابن الطاهر :

فطب بها واسترح وادع لمالكها
ثم قال الاديب بابہ ايضا :

غدا بقل من الجنات ممدود
ثم قال شيخنا سيدى عبد الله بن محمد :
لازال تكلا مجده عناية لطـ
ثم قال الاستاذ سيدى احمد بن محمد الزيدى :
ودام بالعز محفوف الجوانب ما قام برب السماء كل موجود
ثم عرضوها على شيخ الجماعة سيدى على بن عبد الله فقال :
لاغرو ان نبغت لهى الوفود بما يعجز ، ان الله مقواد مجهود (١)

(١) اللهى بالفتح جمع لهاة : العلق : يقصد : اقوال الوفود ، والمها بالضم
جمع لهية : العطية وذلك مثل ، وكان البيت يشير الى قول ابن وهبون الاندلسى
لشن جاد شعر ابن الحسين فانما تجيد العطايا ، (واللهاتفتح اللهى)

طال العمر بصاحب الترجمة الى زمن الاحتلال ، فادى ايضا لهذا الطور ما
عليه فيمثل بين يدى الحكومة ، فى مركز (تافراوت) بين يدى المراقبيين
المدنيين من الفرنسيين ، فسار ماشاء الله احسن سير محمود فى النظام ، ثم
سعف عن الخدمة او استنكف منها فطلب من الحكومة ان تقبل ولده عليا فى
رياسة القبيلة ، ثم لم يلبث مرض عضال كان ألم به منذ سنوات ان الع عليه
الان ، فالحقه برمسه ، بعد ان ترك ثلاثة اولاده ، اكبرهم : سيدى محمد
والرئيس على - وستقرا عنهما - وابراهيم ، وقد عين لكل واحد حظه من المال
ودارا فيها كل شىء ، وانغمض عينييه مرتاحا من هذه الناحية ، فكان آخر تلك
الطبقة ، فرحمه الله رحمة واسعة ، واوسع عليه فى اخراه ، فما كان الا حسن
الرجاء فى الله فيما نعلم

وقد لاقى عنتا فى ايامه الاخيرة باطنا ، لانه لايعرف كيف المعاملة مع
الفرنسيين ، ولاكيف يستدرك اصلاح ماكان افسده ، لانه كان يالف ان يرأب
الشقوق ، ويشعب الهدوع على كيفية خاصة ، وحين اتصل بهؤلاء ، والطباع
مختلفة . والاضاع انقلب راسا على عقب ، وقع فى حيرة عظيمة ، فقد اخبرت
انه يريد يوما ان يتقرب الى المراقب فملا بقلته تمرا فوقها امام مركز (تافراوت)
فقدمها الى من فيه ، فامر امرا جازما ان يرد ذلك الى داره ، فان الحكومة قائمة
بنفسها ، فلم يستطع ان يبتلع ما احس به من الاهانة حين لم يقبل منه ذلك
- على ما يالف - ولهذا وامثاله استعجل الاستعفاء فاعفى ثم لم ينشب ان لحق بربه
هذا جزاء امره اقرانه درجوا من قبله فتمنى فسحة الاجل

بينى وبينى

كان رحمه الله يختل معى احيانا - على صغرى - فيسألنى ويلحف فى
السؤال عن والدتى فكنت اجيبه بعزوف اننا بكل خير ، لانتوقف على أى شىء
ولعل - وقد انكف عن ذلك - ادرك اننى ازرف عليه ، فلم يعد الى ذلك ، ثم
لما التحقت بالمدن صرت ازوره كل ما زرت البلد ، فيلاقينى بمثل ما يلاقى به
العلماء ، ويحكى للناس انه سمع من والدتى بشارة علمية عنى ، وقد باسطنى
يوما فقال لى : انكم ساموكنيون فدافعت عن ذلك - كما يفعله كل مرابطى منا
متى لى بذلك - فقام فاتانى بطبقات الحضيكي فسكت ، ثم كان ذلك اول ما
ابتدت بحثى فى الموضوع حتى بلغت فيه الى مايجده القارئ فى ترجمة الجد
الاعلى سيدى عبدالله بن سعيد فى (الفصل الاول) من (القسم الاول)

وقد كنت عنده يوما حين كان استاذنا مولاي عبد الرحمن البوزاكادنى
ناويا عنده ، وقد كان ثوى عنده حقبة من الدهر ، واخال ذلك حوالى ١٣٤١ هـ
فاذا به استدعانا فوجدنا عنده رجلا من قبيلته ، فعده امامنا ٢٢ مائة ريال

حسنى ، مقابلة املاكه ، فاستشهدنا على ان اعطاء ذلك ، وكان حازما في كل
اموره ، فلا يتعامل الا بشهاد او بكتابة - عادة اهل تلك البلاد كلهم - وهكذا
رحمه الله كان ينظر الى امثال من الطلبة احترامنا واجلالا واكراما ، فطالبنا
اكرامنا اكراما خاصا ، ولذلك قلت فيه بعد وفاته رحمه الله بديهة :

ما كنت بل ماتت مائت في الندي ما مد في امثالها كعصب يدا
ما كنت الا بغير اكرام طما او سيف (امر) لا يزال مجردا
صنت القديم مع الحديث مكارما تنسى الشعاب طريقها والمثلدا

الى اخرها ، وهي اكرم من هذا الا ان مثل هذا النوع من النظم لا ينبغي ان
يسود به قرطاس الا لعائدة خاصة - كما فعله كثيرا في امثاله للعوائد التي
لاتخفى عن اليب - .



سيدي

المحفوظ بن الهاشم الايغشاني

نحو : ١٣١٤ هـ = حـ

نسبه :

المحفوظ بن الهاشم بن محمد الاشكر بن احمد بن محمد بن عبدالمومن
ابن احمد ابن القاضي عبد المومن بن محمد بن علي بن محمد بن عبد المومن

احد الظاهرين الان في هذه الاسرة الماجدة ، وان كان ظهوره في ميدان
المعارف قليلا ، اخذ القرءان عن سيدي ابراهيم ابن الحاج بلقاسم الكرسي
حتى ختم عليه ختمة ، ثم عن شيخ الديانيين اجمعين : سيدي علي بن هـمو
الايكدماني ، في هذا تخرج ، وفي رمضان : ١٣٢٨ هـ التحق بالمدرسة (الالغية)
فذهب بلوخته عند الاستاذ سيدي علي بن عبد الله بداره ، ليفتح له - وكانت
العادة ان لايفتح لاحد سواء بيده تبركا ، وان كان سيدي بلقاسم التاجارموني
قيم المدرسة - فوجد هناك الشيخ الالغي ، فامر به الاستاذ ان يبدأ له بيده ، ثم
قال له الشيخ : الحقني في الدار ، لاناولك كتبنا ابتدائية ، ثم لازم المدرسة
وقد نجب ، ودخل في اصحاب الدور الثالث على العادة ، فلم تات سنة : ١٣٣٥ هـ
حتى صار يجول في المتون الكبرى اعادة ، بعدما ختمها اولا ، ثم التحق بعد هذه
السنة بالاستاذ التاجارموني ، حين انتقل الى المدرسة الايغشانية فحكي
الاستاذ سيدي بلقاسم السليماني انه كان اذذاك ممن يعيد الدروس لطبقته ،
ويتواخذهم بتحصيلها - ولايتصدر لمثل هذا عندنا الا من جود وحصل - ثم
انه بعد ١٣٤٠ هـ اقبل على بعض التجارة اقبالا ما في اوقات جنى اللوز ، فعرف
بذلك ، والرجل من يصلح لكل مقام ، ثم لازم داره ، ولم يقدر له ان يشارط
في المدارس ، ولا ان يشتغل بترويج معلوماته ، ولو كان قدر له ذلك ، لكان كبير
المقام . لانني رايت في مجالس في السنة الماضية ١٣٥٦ هـ ذا قريعة وذكاء
واستحضار لجل ما كان اخذه ، يشارك في المباحثة ، ولم يات ما هو فيه من
اهمال مزاوله معلوماته على كل ما حصله ، ثم اقترن بينت الرئيس احمد ابن
الحاج ابراهيم ، فله معها ما يمتد به نسبه ان شاء الله من الاولاد

كنت جالسته مرات ، فاستفدت منه عن اسرته استفادات كثيرة ، ولو
تيسر له ان يوصل الى كل ما تحت يده ، لتمت هذه الفوائد ، وقد كنت حشته

على أن يوصل الى بعض آثار له ، رأيته أو سمعت بها قبل ، فكانت في مستوى
آثار أقرانه ، ولو كانت عندنا اليوم لعرف القارئ مقدرة في ذلك
انشدني يوما وقد جالسته امام الزاوية :

هموم رجال في أمور كثيرة وهمى من الدنيا صديق مساعد
ولو كنت تنبئت الى جمع نبذة من انشاداته لعرفنا منها كيف اختياره ،
وقد وقفت على قطعة ميمية كتبها اليه الاستاذ سيدى احمد بن محمد اليزيدى
ولعل ذلك حين كان مشارطا في المدرسة (الايشانية) بعدما غادرها سيدى
بلقاسم التاجارمونتى - يلومه على انه لايلزم تلاوة كتب الادب يوم الخميس على
ماهو العادة المتبعة عند الالفين حين يمضون العطل اما في التلاوة للكتب الادبية
واما في النسخة -

أخي الصفا المحفوظ مالك لم تنزل
وانت سليل الامجد ابن محمد
فان الخميس للكتابة او لسر
من الخبر المأثور والادب الذى
عليك سلام مثل روض يجوده
عن القى والاعمار اضيق من سم
نهجت طريقا لم تلق بذوى العلم
د كتب تزيل الهم عن قلب ذى هم
ينيلان في العليا اوفر ما سهم
فيضحكه الولي ويعقبه الوسمي

ثم وقفت له أيضا على هذه الرسالة ، وهي عادية ، ولكنها على كل حال
نوع من ترسله - وما في الرسالة مفصل في مواضع متعددة في هذا الكتاب -

«أخانا الاديب ، اللوذعى الحسيب ، والصديق الاود ، ومن منه المستمد
أبا الحسن . صاحب الخلق الحسن . امن الله روعك . ووقاك ممن يريد
صدك . وسلام عليكم وعلى من بكم من الاحبة والاعوان ، والاوداء والاخوان
وسلام الله وتحياته ، ورحمته وبركاته . هذا ولازائد سوى ما يسر المسلمين
ويقر أعين المؤمنين ، من اعلاء كلمة الله العليا . والحمد لله الذى انعش
الامل واحيا . وقد ورد رسول من عند التيبوتى ، وتركه في حزن عظيم .
وكرب جسيم . وقد ملا اداوزكرى ، وايدوسكا ، واما جيش المسلمين ، فانه
في قبيلة ايتعبلا . ولاتسل عن كثرة الناس ، فاملن (٤٠٠) وايت ايسى ٣٠٠
واداكنضيف (٥٠٠) وال امانوز بنصف رماهم ، وخيل المسلمين تزيد على
(١٠٠٠) فرس ، وقد جاء ايت بمران ، وبنو رخاوة وسيبيتون هذه الليلة
في تيزلمى ، والفقيه سيدى على بن عبد الله ، قد نادى بالنفير العام ، ولاعذر
لمن تخلف . وبنو رسموكة سيذهبون أيضا في الاربعاء الاتى ، وقد حلف
الناس ان لايرجعوا الا بهدم دار الزكرى ، وهذا ماصح عندنا ، والسلام، كتبه
عن عجل : المحفوظ الديانى»

والغريب انه نسي هذه الرسالة مع اننى نقلتها من خطه ، وقد وقع لي
بنفسى مرارا مثل هذا ، نسيت ما كتبه بقلمى حتى فى القوافى ، وسبحان من
لاينسى ، وهذا ما يصدق ما يقوله المحدثون حين يقولون : حدثني فلان عن نفسى
ثم ان سيدى المحفوظ بدا له حيننا أن يغادر سوس قشارط في محل
ماشاء الله ثم غادره فرجع الى أهله ، ثم لايزال يختلف الى الجواضر بعد
الاستقلال ، وقد توفيت زوجته الاولى ، وتزوج اخرى ، وهى بنت سيدى عمر
ابن الحاج عبد الله الصالحى ، وقد رزق منها ولدا آخر ، ولا ازال اتأسف
عليه لان أمثاله يعمرن المدارس ، ولكن الدنيا احاط وقسم

الحق هذا فى جمادى الثانية سنة ١٣٨٠ هـ



سيدي

محمد بن أحمد بن إبراهيم

١٣١٦ هـ = ١٩٠٠ م

نسبه :

محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن عبد المؤمن بن محمد بن علي بن محمد بن عبد المؤمن .

ان انس لا انس تلك الايام الاولى ، التي بسمت لي فيها الحياة البسمة الاولى في المدرسة الايفشانية ، حين كنت مع اترابلي هناك ، نجرى وراء المنى فنصطادها ، ونبتين من بعيد الرياض الاريضة من الامال الحلوة فترتادها وانا كما تملصت اذذاك من قبضة معلم القران - وما ادراك ما قبضات معلمي القران اذذاك - فاجتلي وجه الحياة مستبشرا ، بعدما كان لعيني قبل ذلك مستبسرا .

في صباح يوم من سنة ١٣٢٩ هـ نزلت بتلك المدرسة انا واخي احمد ، فمثلت بين جماعة من الولدان كما جاءوا ايضا الى المدرسة ، منهم الاديب سيدي احمد البنائي الايفشاني ، وصاحب الترجمة في نحو عشرة ، كما افتتح الجميع الاجرومية ، فكان شيخنا سيدي عبد الله بن محمد بنا معتنيا ، فكثيرا ما نحفظ ما في الواحنا من المتون امام ذلك الهري الموجود اعلى الدرج الصاعدة من باب المصل ، ونحن نرتجف من صوت الاستاذ ، فضلا عن سوطه ، جزاه الله خيرا فطرق الجد غير طرق المزاح ، ثم اذا تملصنا من هناك فما شئت من قفزات وجهزات ، كالغزلة القمرية ، فنتجاري الى (بئر النجمة) حيث نستقي ما نريده من الماء في القلل على كواهلنا او الى (حوض الخميس) حيث نقسل ثيابنا اوالى ملعب الكرة ازاء المدرسة ، اوالى (مسبح بئر بو الرمان) حيث نستدير في وسط الماء حلقة متصلة ، فنسبح سبعة القعود ، ونحن ندور متواجهين فويل لمن اعيأ

هذه من ذكريات الصبا التي لا زال اتمثلها الآن سنة ١٣٥٨ هـ وبينى وبينها ربع قرن فكانها وقعت أمس ، فيا لسرعة دورة الدهر ، ويسرعان ما نفخت عنا الكهولة رشاقة الصبا ، ونضرت وخفته وطيشه ، فلولوا الطيش ما احلولى التصابي .

بين هذه القفزات والجولات ، استطاع استاذنا بصفطاته ان يسرب الى

ذاكرتنا شيئا من المعلومات ، فلقطنا الدور الاول الى الثاني وكان لصاحب الترجمة بما يواخذه به خاله استاذنا من لترات وغطات ، ولكلمات متواليات - لانه دائما في يمينه ، وهو رئيس فرقتنا - شغوف علينا ، ولازال اذكر ان الطلبة كلهم اجتمعوا يوما على شرب الاتاي في ليلة - على عادتهم فينة بعد فينة - والاستاذ غائب ، فجلسنا في ذلك البيت المتسع الجديد الذي بنى على مربط بغلة الاستاذ ، فجعل الاستاذ عبد الله بن ابراهيم ابن العم ، يمتحن طبقتنا في ارجوزة (الزواوي) ونحن كما اتمناها ، فكان المترجم سيدي محمد بن احمد هو الفائز بيننا بالفضل ، فمال الاستاذ ابن العم على بالتنايب حتى بت كل تلك الليلة في بقاء حار ، لاننى لاحب ان اناخر ، ولكننى مع ذلك كسول

في نحو مختتم : ١٣٣١ هـ افترقنا ، فزرت بونعمان سنة : ١٣٣٢ هـ وفي اخرها ثويت بالمدرسة التانكرية ، ثم التحق بى صاحبي هذا ، فرجعنا ديدنا في كل ما ذكرناه ، فقام الملعب الذي في شمالي تلك المدرسة مقام ملعب المدرسة (الايفشانية) ، ومسبح (بوزكيرن) المتدفق مياها ثجاجة ، مقام مسبح بئر (بو الرمان) ، فكان لنا من سيدي على الاعضياوى رحمه الله ، ومن الاديب سيدي الحسن الكوسالى ، ومن الاخ سيدي احمد ابن سيدي الحاج الحسين الاقراني خير اعوان مونسين ، وقد وجدنا من سهولة استاذنا سيدي محمد بن الطاهر حفظه الله ، ما يشغطنا على مسلكنا هذا ، ولذلك نتساهل في الدروس جميعا ، الاما كان من الكوسالى ، فانه يمثل بين ما يشتغل به معنا وبين دروسه قول الملك الاديب :

وللملك منى جانب لا اضيعه وللهو منى والخلاعة جانب
واما نحن انا وصاحب الترجمة ، فما كنا نشغل بعد خروجنا من الدروس عند الاستاذ الا بما ذكر ، او بمزاولة كتب ادبيات كنت اتلو منها على الاديب البوزاكارنى حفظه الله فكنا معا تقرض الابيات ، ويخاطب بعضنا بعضا ، وقد وجدت في أوراق اتانى بها الاخ الكوسالى ، بعض ابيات لي خاطبت بها صاحبي هذا اذذاك ، فلنسقها كنموذج لما ازوج فيه سنوات : ١٣٣٦ هـ :

ادر بدا من نحر خود خرائد	ام الجوهر المنضود ضمن العقائد
بل نظم خل حاز كل العلا بل	وكل العلوم بل وكل المحامد
خليل اريب عالم متادب	له في فنون العلم خير القصائد
وقد شهدت عنه العلوم بانسه	على رتبة والعلم افضل شاهد
قريض حوى من الفصاحة كل ما	يسليك عن سحبان او كل قاصد
فله فكر حاك ذا النظم انه	لحسنه قد ازرى بنظم القلائد
مدحت بنظمك البديع سليل من	يقضى مدى الازمان حاجة قاصد

(١) اي قائل القصيدة

عنيت ابا العباس احمد من حوى
وقد نلتما كل المعالى وكنتما
وبعد الا ادعوا لعبدكما دعا
وازكى السلام من ضعيف اليكما
مجادة اجداد وعرفان والد
بدور سماء العلم رغما لحاسد
يرجى به النجاة يوم الشدائد
واطيه يا ابني كرام اماجد

هذه هي القطعة ، تركناها بـ (عقائدها) وكل ما قدر لها ان تصاغ به من
مختار ذلك العصر ، عليه من مختار هذا العصر - عصر النفي والمواخنة - الف
سلام وسلام

وهذه ايضا قطعة كتبها اليه استاذنا في الادب : البوزاكاني جوابا عن
قريض قرضه اذذاك ، لم اتوصل به اليوم :

قريضك هذا ام بدت انجم الافق
اتاني وقلبي قد تسلى عن الهوى
وذكرني ما مر من زمن الصبا
فيالك شعرا قد حوى رقة بها
الا كل شعر بعد شعرك زائف
كذاك يكون الشعر اولا فليس يـ
محمد نجل الاكرمين الا الى بدوا
يحاول مني الجواب وانه
يكلفني ما لا اطيق وان ذا
كيف اجيب والفعول تضافروا
على اننى استفرغت وسعى جاهدا
فعدرا على ما قصرت فكرتى على

وخاطبه ايضا اذذاك شيخنا سيدى محمد بن الطاهر بهذه القطعة يوصيه
بالاجتهاد :

محمد كن فيما يهملك ساعيا
قشمر ذراع الحزم للمجد والاعلا
وما الفخر الا بالمعارف والتقى
فكن ذا اهتمام حافظا متيقظا
ولا زلت تسعى للسيادة والاعلا
ولا تتكاسل في اكتساب المحامد
تفر بقذى عين العدو وحاسد
وليس بشيء عاجل الفوت نافد
سئولا عقولا طالبا للفوائد
الى ان ترى فوق السها والفرائد

مكتنا هناك فى ارغد عيش ، وفى دراسة تمشى الهوينى وذلك منا لا من
استاذنا سيدى محمد بن الطاهر ، وفى تعاطى اداب عند امثال الاديب
البوزاكاني ، ولكننا انما نتمشى بمقدار فتر (١) انا وصاحبى هذا وقد كان

(١) الفتر بالفتح : ما بين الابهام والسبابة اذا فتحها

فى امكاننا ان نخطو خطوات واسعة ، لولا ما فرقنا فيه - وباضيعه ذلك الوقت -
ولم يقبل على الدراسة الجدية الا الكوسالى ، وسيدى احمد بن عبدالله الاساكي
فكان شيخنا يحثنا احيانا كما رايت في الابيات المتقدمة ، ولكن النفوس لا تكبح
بمثل هذه الوصاة اللينة ، ثم لم نزل سادرين حتى جرى بين صاحب الترجمة
وعلى الاعضياوى ما كان كنتيجة لهذه الحالة

كان بعض الطلبة يلقب هذا السيد الاعضياوى بلقب ينزه به - وقد
اخترنا ان لا نذكره - فسمع الاعضياوى مرة صاحب الترجمة يذكره بذلك
اللقب وكان بينهما في تلك الايام شتان - فبعد صلاة العشاء توجهنا لتعشى
فى القصعة التى تصنع باسم الاستاذ من مطبخ المدرسة ، ونحن جماعة خاصة
ناكل منها ، واما غيرنا فياكل من القصعة التى تاتي بها القبيلة بالناوبة فجلستا
ازاء تلك الثقب المفتوحة الى المطبخ ، ونحن على شفا السطح المطل على موقع الباب
الخارجى للمطبخ ، وكان هذان مستعدين فقد تقلدا معا بخنجريهما ، غير ان
الاعضياوى اظهر سلاحه ، وتقلده على قميص صوف متهينا للملازمة ، وللأخذ
بالتلابيب ، ولذلك ازال قميص كتان كان عليه ، واما الآخر ، فقد تقلد خنجره
تحت قميص كتان وقد اخفاه ، فلما جلسنا ، قال السيد الاعضياوى لصاحب
الترجمة ، لماذا يا ابن كذا وكذا (سبا وشتما) تقع فى بلسانك ، فقال له الاخر
اننى فعلت ذلك عمدا على عينك وسافعله على رغم انفك يا كذا (فلقبه بذلك
اللقب المشؤوم) فتأارا معا ، فتماسكا باليدين ، وكان من لطف الله بنا لعين
الذين هناك : انهما ترديان امام باب المطبخ ، بمجرد ما تلازما بينهما ، فجهرا
لندور من احد بابى المدرسة ، اذا بنا لقينا صاحب الترجمة وقد دخل من الباب
الاسفل للمدرسة ، وهو مجروح بطعنة قريبة تحت احد اضلاعه ، واذا بالآخر
جثة هامدة لاجراك بها ، هذا كله فى دقيقتين او اقل ، فاخبر هذا ان صاحبه
الاعضياوى هو الذى باداه بتلك الطعنة ، فسل اذذاك الخنجر من عنده ، فهما
له مطعن الآخر من ظهره ، وقد انحنى امامه لشئ فادغم خنجره بين كتفيه
فسقط فى الحين

طلع شيخنا سيدى محمد بن الطاهر الى المدرسة ، فرأى ما رأى ، فما عدا ان امر
بالميت فسجى فى الهرى الاعلى الذى يوالى سطح المصل ، وبابه مفتوح الى السطح
وبالجريح فنقل الى الدار عنده محمولا فى رداء ، وقد صادف ان كانت جدته
مريم زوجة الاستاذ سيدى على بن عبد الله اذذاك فى بيت استاذنا عند بنتها
زوجة سيدى محمد بن الطاهر ، فكانت هذه المصيبة على الجميع ، مصيبة لها
وقع سيى - ومن تلك الليلة نفرت من ذلك الوسط ، فلم تمض الا ايام حتى
جمعت متاعى الى الخ وقد ودعنى الاستاذ سيدى بلقاسم التاجار موتتى بالمدرسة
الايشانية على نية ان انقطع اليه ، ولكن سافتنى الاقدار فالتحقت بالساعات
بالحوز ، وذلك نحو شعبان : ١٣٣٦ هـ

حمل صاحب الترجمة الجريح ليلا على ايدي اصحاب ابيه الذين ارسلهم بسرعة فسلخوا به طريق (اداي) الى الخ ، خوف ان يكمن لهم السملاليون في الطريق وقد كان بين الاعضاوين والايفسانيين صجة اكيدة ، فجاءت هذه الفعلة فقطعتها ، وقد تكررت امثال هذه المناطحات بين طلبة المدارس اذذاك فقد قتل واحد في ادوز وشيكا .

بهذا انقطع سيدي محمد بن احمد عن اتمام دراسته ، فحاول ابوه بعدان يرى ان يستدرك له على يد الاستاذ سيدي علي بن صالح الاوققري ما فات في مسارطه له في داره ، ولكن اليد الواحدة لا تصفق فيما يقول الناس ، فرداه والده الى معاونته في اشغاله ، ثم استبد بمزاولة كل اشغاله بعد ان سوى القضية مع الاعضاوين ، فوجد منه والده اميناهينا لينا وقد كان لسعة اخلاقه مثالا مضروبا بيننا في المدرسة ، فلايكاد يقضب من اى غامر ، ويحكى الى انه لايزال كذلك الى الان

في جمادى الاولى في السنة الفارطة : ١٣٥٦ هـ وقد رزنا باخي احمد رحمه الله ، جاء مع اخويه : الرئيس علي و ابراهيم ، فعزونا فيه ، فرايت صاحبى الذى فرقت بيننا الايام منذ عشرين سنة . فقال لي - وقد قلت له الى متى تلزم دارك ؟ وقد اخبرت انه لا يخرج الا لغرض - هذا زمان السكوت ولزوم البيوت والرضا بالقوت ، الى ان تموت ، فاعجبتني منه هذه الحكمة البالغة التى ايدها بالفعل ، وله الان اولاد مع بنت شيخنا سيدي عبدالله بن محمد ، ومما اسف له : اننى اخبرت عنه انه لا يطالع فى كل هذه السنوات ، فلاشك ان ما كان حصله من (المختصر) والالفية ، والدراسة العليا ، سيتخلص ظله وان كانت فائدته باقية ، فهو لايزال مستحضرا لادبيات ولحكم وامثالها مما درسه ، شاهدت منه ذلك فى تلك الجلسة ، وهو دين خير ملازم للسكينة - جلس بينه ما لم يضطر الى ادارة اشغاله ، وقد تغل عن الرئاسة لاخته الصغير على باذن من ابيهما لان اخلاقه الوديعه قلما تتشى مع الامور التى تحتاج الى صلابه غير قليلة ، والى مراوغة ومداجاة لا يحسنها ، ولا هو من اهلها .

وقد زار الاديب الكوسالى سيدي الحسن مرة : (اكنى اديان) اثر مساعته من دم الاعضاوى ، فكتب اليه من الباب :

من مبلغ نجل الكريم الاديب	اللوعى الالمعى الاريب
بحر الندى بدر الهدى خير من	حلت وفود فى فناء الرحيب
بان عبدكم اتى واقفا	ببابك العالى وقوف الغريب
قد قادنى الشوق المبرح بسى	اليكم والشوق شىء عجيب
غبتم فلا كتب ولا خبر	يل بعض ما التظى من لهيب
ان غبتم عنا بحكم النوى	فودكم فى القلب ليس يغيب
او جف غصن الوصل ما بيننا	حاشا فى الاحشاء غصن رطيب

فليهننا العليا معافاكم وليهننا التسريح عما قريب
عليكم منى سلام رضا ما حن مشتاق للقىا الحبيب
مقصوده بالمعافاة معافاته من ذلك الجرح ، وبالتسريح : كون الاعضاوين سرحوه من المطالبة ، وقد قبلوا الدية

وهناك ايضا مقطعات ذكر لى ان الاديبين البوزاكارنى وسيدي على الاوققري خاطباه بها ، ولكننا لم نتصل بها

فحياء الله وبياك يا صاحب صباى ، فلئن فرقت بيننا الكهولة ، فقد جمعتنا تلك الاحلام التى كنا فيها زمن صبانا ، ثم تمثلها وعليها اغصان الشباب تميد - كما يقول الاديب الشاعر - فما انذا لم انساك ، وليت شعبرى كيف انت اليوم نحوى ، وقد تزوج بنت خاله (نفسه) بنت سيدي عبدالله بن محمد وله معها من الذكور عدة

(ولايزال حيا الان فى رمضان ١٣٨٠ هـ وقد ماتت هذه السيدة ، ثم تزوج اختها ، ثم فارقتها ، فتزوج اخرى . وقد كبر اولاده ، فصار شبه غريب بينهم وقد شاب الان وان كان لايزال ذا قوة ، وهو محافظ على دينه وعلى اذكاره كعاد ينسى معلوماته كانه ليس بذلك النجيب ، وهذه عاقبة من اعرض عن التعهد :

اذا هجر العلم يوما هجر وزال فلم يبق منه السر
كما تفرق فوق الصفا اذا انقطع الماء جف الحجر

وقد انقطع اليوم فى مسجد القرية اماما فيه ، فقه يظل ويبيت ، وقد طابت له الوحدة ، واشتغل بربه .

فاز من خلى الشواغل ولمولاه توجه

الرئيس على بن احمد الايغشاني

١٣٢١ هـ = ١٣٧٧ هـ

نسبه :

على بن احمد بن ابراهيم بن احمد بن محمد بن عبد المومن بن احمد بن محمد ابن القاضي عبد المومن بن محمد بن على بن محمد بن عبد المومن
هذا صنو المتقدم الذكر ، اخترنا ان نجعلهما متصلين في التاريخ كما كانا متصلين في نسبهما ، وقدمنا هذا على من ياتون ، مع انهم اكبر منه ، لهذا الذي ذكرنا .

ذكرنا ان والده كان اعتنى باولاده ، ونصب كل واحد في داره على حدة وكان يرشح عليا من صغره من بينهم ليخلفه في منصبه منذ رشح سيدي محمدا المتقدم ليكون عالما فقيها ، وعهدى به حين كنا في المدرسة (التانكرية) يجول على صهوة طرف ابلق ، كانه قلقة من الفجر الساطع ، وفي يده (رباعية) صغيرة ، يصمى برصاصاتها كل مانع له في الطرق من القنص ، وقد ارخى له والده العنان ، وتركه ليخالط ويتربى كما يريد ، لا كما يراد منه ، وتلك طريقة مثل تجدي احيانا في تربية الاولاد ، فيقف الوالد مشرا من بعيد ، لا مسيطرا من قريب ، وفي آخر عمره صار ينسبه عنه في المهمات ، فعرف بذلك كيف توكل الكتف ، فتأتى له بذلك ان يرث بعض خصال والده المتقدمة فتراه عند المجالسة يشبه ان يكون ابا ، وكذلك حكى لي ان معاملاته كلها كادت تقتبس من معاملات والده رحمه الله ، فبذلك استطاع اليوم ان يتمشى في عهد الاحتلال ، وأن يتربى فيه تربية جديدة ، تليق به وهاهوذا في ذلك على سيرة خاصة في أموره كلها وفق ما يقتضيه العصر ، الا انه بعدما امتدزمن رياسته ، اغتر ببعض المراقبين الفرنسيين ، فصاروا يجرون له الرسن . فلم ينسب ان ظهر منه ما ظهر مما يراه كل احد مما لا يوافق مجد اسرته ومروءتها وجبها لمعالى الامور - وذلك شئ مقدر عليه من الازل - وقد اجمع على ماشرنا اليه كل عارفيه من التمليين والامانوزيين والالقيين قاطبة ، ولذلك حار يقدم على جميع رؤساء مركز (تافراوت) وقد نفس على من هم اكبر منه مركزهم السامى فلم يزل يتزلف الى المراقبين ، حتى بما انزه قلمي عن ذكره حتى استطاع ان يزلزل بعضهم عن داره الى بعيد . والمعاصرة تمنع المناصرة . ثم لما صفا من منافسيه الجو ، تعين قائدا وان لم يسم به رسميا ، ثم ابتدأت الازمة التي كانت في

عهد (جوان) فاعلن انه فرنسى على اعين الناس ، ولم يعلن ذلك سواء في هذه الجهات فنال شغوبا بذلك ، فحضر وحده في بيعة ابن عرفة بعد نفى الملك ثم لما انقلب الملك وجاء الاستقلال دب اليه ماذب الى امثاله من المواخلة . فاستلقت منه اولا اموال ، ثم ذهب بسيارته . ثم ذهب به ، فجمع مع امثاله رؤساء الجنوب ، وبعد شهور ابعثوا او اهلكوا في الصحراء في صبيحة يوم ، اظنه في مفتتح : ١٣٧٧ هـ ، هذه قصته ، سلك الله بنا سبل النجاة ، وحفظنا من كل ما يمس ديننا وعرضنا وكل ما الينا بفضل وكرمه . وجعل ما وقع له سبب مغفرة ذنوبه فاننا كلنا مذنبون . ونطلب الله ان لا يواخذنا

وقد كان افادنى في جلسات له مع الاخ احمد تقمده الله برحمته ببعض ما يتعلق بآله ، وارسل لي بعض الكتب تتعلق بذلك ، استفدت منها ، فكان بذلك مشكور السعي ، محمود الوصلة

وقد كان اقترن ببنت عمه الهاشم ، كما تزوج اخرى من (ايكل) ، وله معهما اولاد احياء ، ذكورا واناثا ، واخوه الثالث : هو ابراهيم ، تزوج من الاعضياويين بنت سيدي احمد بن الحسين الذي تزوج بنت الاستاذ على بن عبد الله ، فهي اذن بنت خالته ، وام هؤلاء : فاطمة بنت الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله من فضليات النساء ، وكان الشيخ معنيا باكرامها في وفاداتها اليه وهو خالها ، وذلك في صغرنا (ولا تزال الى الان : ١٣٨٠ هـ حية) وقد دبالها الهرم ، وقد بر بها ولدها ابراهيم المذكور غاية البر وقد تجرعت عظام ولدها على ، حياة ومماتا ، ختم الله علينا وعليها بالايمان والاسلام . وابراهيم هذا من الافاضل

وصاحب الترجمة هو احد الرؤساء الرسميين المتعاصرين بالغ ، وقد رايت الاخ سيدي محمدا منهم ، والرئيس ابراهيم الوقفاوى وهذا هو الثالث وسترى الرابع بلقاسم الازديبي بعد ان شاء الله ، وقد كان المترجم من الثريا الغ ، ومن ذوى الاملاك الموروثة ، ومما زاده بنفسه ، وذكر لي الاخ احمدان املاكه في (ايشمت) وحدها لها اثمان كبيرة جدا ، وقد قدر ذلك ، وهذه الثروة في بلادنا قليل اربابها في سنة : ١٣٥٦ هـ

ومن اخباره انه وجد له - بعد هلاكه - كناس كتب فيه بخط يده ديونا له على الناس كثيرة ، فاتصل به بعض من لهم الامر ، فصار ياخذها من اربابها فحلف كثيرون ان ذلك لا اصل له ، وبعضهم اداها له ، فصار هؤلاء يدعون عليه ثانيا بعدما استشار بعض رقة من بعض القلوب حين لاقى تلك الفعلة وهكذا قدر للمترجم ان يعيش وان يموت . وقد كان في لائحة الخونة وهو الوحيد في دائرة مركز (تافراوت) فحكمت عليه لجنة البحث بنصف ماله مصادرة ، كما حكم على امثاله المهلكين في المغرب جميعه . احسن الله عاقبتنا في الامور كلها . واجارنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة

أقول : اننا في هذا الكتاب مؤرخون ، ولابد من ذكر مثل ما ذكرنا من اجل التاريخ للعبارة ، وكم تعلق بي وراسلني بعد الاستقلال ، ولكن اجيبه وهو لا يزال في داره في أوائل الاستقلال ، بان يحسن التوبة الى ربه ، لان ذلك هو الباب الباقي ، وليكن عبده مستسلما مفوضا . رحمه الله وغفر لنا وله . وقد كان يذكر الورد الاحمدى عن شيخنا سيدى الطاهر الافرانى ، وفي جانب الله لا يستقل شيء (وولده الطاهر شب الان فصار ينفع أسرته)

هذا وقد جرى ذكر المترجم بين ما في رسالة (نجوى الصديقين) المطبوعة مع الرحلة الاولى من كتاب (خلال جزولة) وترى هناك كيف كان يحترم شيخه سيدى الطاهر . وباليته يحترم اذذاك علماء قريته من اخوانه وابناء عمومته ، ومن اهل قبيلته . فانهم جميعا عنده من المحتقرين ، فلم يستطيعوا ان يتنفسوا الا بعد زوال رياسته . سامحه الله بفضله . واننا لاتعجب ممن يتدخل بين الله وبين عباد . فانما للناس ان يحكموا بالظواهر والله وحده هو الذى يتولى السرائر . فاللهم اغفر لجميع المذنبين . لعنا يغفر لنا بينهم آمين .



سيدى

احمد بن الحسن الايغشانى

١٠ - ١٣١٧ هـ = حى

نسبه :

احمد بن الحسن بن سعيد بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن احمد ابن يحيى .

أخبرنى الرجل الصالح والد صاحب الترجمة : انه سمع من الحاج ابراهيم ان عبد الصمد الذى كان الجدة الاعلى لكل الديانيين ، له ثلاثة اولاد احدهم جد آل عبد المؤمن ، وايت على بن الحسن ، الذين لم يبق منهم اليوم الا رجل واحد يسمى يوسف ، والثاني جد ايت هو بن على ، والثالث جد ايت اوعمى . والبنائين هؤلاء ، وحكى عنه انه رأى ذلك من مخطوط قديم ، وسيدى الحسن هذا من اصحاب الشيخ الالفى ، ومن اقبلوا على شأنهم ، وقد وضع الله البركة فى يده فاشتهر بالرقى والتمائم ، وسترى من حالة أسرته ما يدل على تأثره بصحبة الشيخ ، حتى كانت له مكانة صوفية . وهو من عباد الله الصالحين ، كان الرئيس احمد ابن الحاج ابراهيم يتبرك به فى آخر حياته خصوصا فى مرضه الاخير

سيدى احمد البنائى أحد ادباء الف الممازين اليوم ، واحد علمائه الذين اذا حضروا فى مجلس احسنوا الاستماع ، واحسنوا الجواب ، واذا باحثوا أروك كيف الذكاء والفهم ، واذا بوحثوا ، ثروا بافتان من كل علم علم جالسته فى السنة الماضية ١٣٥٦ هـ فاعجبت به ، فحمدت الله على ان صار صاحبى فى صباى ، أفضل من اتحدى بمعرفته فى كهولتى ، وقليل أمثاله من أقراننا ، ولا ينبئك مثل خير

مشاخذ

أخذ القرءان عن شيخ الديانيين سيدى على بن هو الايكدمانى ، ثم التقينا معافى الميدان الابتدائى فى المدرسة (الايغشانية) ، فكان بينى وبينه اذذاك صحبة اكيدة ، وذكر اننا كنا معا نحفظ (بالت سعاد) فى الموضع الذى يكون فيه حطب المدرسة اذذاك فى جنوبها ، فكانا ننافس ايتا يسبق الى

اتمامها ، ثم لما افترقنا آخر سنة : ١٢٣١ هـ انتقل الى المدرسة (الأكفائية) عند الاستاذين سيدى عمر ، وابن أخيه عبد الله ، فافتتح هناك الالفية حيث كنا وقفنا فى ايفشان (خير ابح قسم باو وابهم) فاخذ هناك من النحو والفقه والفرائض والحساب . وكان لديك الاستاذين يد فى اتقان هذين العلمين الآخرين ، يرحل اليهما من أجل ذلك ، ثم فى سنة ١٢٣٤ هـ انتقل الى المدرسة (السعيدية) بالاخصاص عند شيخنا سيدى عبدالله بن محمد ، قال فصادفت هنا الاديب سيدى البشير بن المدنى الناصرى ، فافتتح لى بيده المختصر ، ولم اكن ابتدأته بعد ، ثم فى أول سنة ١٢٣٥ هـ انتقل الى المدرسة (الالفية) والتاجارمونتى لايزال فيها ، فافتتح باب الاستحقاق ، مع انه لايزال فى مبادئ المختصر ، وذلك باذن هذا الاستاذ الذى لم ينسب ان فارق المدرسة . فبقى فيها صاحبنا يأخذ الدروس عن الاستاذ على بن عبدالله ، وعن الاستاذ سيدى أحمد اليزيدى الذى شارطه اذذاك ، ثم التحق بالتاجارمونتى فى (الايقشانية) ، وبعد حين انتقل الى مدرسة (ناهالا) عند الاستاذ سيدى الحاج أحمد الصوابى أقاريض ، ثم راجع المدرسة (الالفية) ثم التحق سنة ١٢٤٠ هـ بالمدرسة (التانكرتية) حيث تعقت خمره عند الاستاذين سيدى الطاهر ، وسيدى محمد ولده ، فهناك ترقى فى الادب ترقيا كبيرا ، وفى سنة ١٢٤٥ هـ ودعه استاذاه وداعا مجيدا ، وقد حصل وشارك وتثقف ، وزاحم اقرانه فى استحضار كل ماأخذه ، وقد وفقه الله الى الاكباب على المطالعة ، والمباحثة متى لاقى من يباحث ، ومجازبة الادباء ، فاستطاع بذلك ان يحافظ على ما حصل بل ازداد كثيرا ، وقد استعار منى السنة الماضية : طبقات السبكي ، وناهيك بها ، فكانت هى وامثالها مما يقبل على مطالعته بشغف ، وقد يمر على بعض الكتب الست الحديثة وأخاله أخذ البخارى مرات كثيرة ، لانه منه على بال ، وكذلك طالع بنفسه صحيح مسلم ، والم بغيرهما ، ولسانه ويراعه متفوقان بالعربية ، وسترى من آثاره ما يدل على ذلك ان شاء الله . وقد كون لنفسه خزانه واسعة ، على قدر طاقته .

مشارطاته

لسان حال هذا العالم الاديب ينشد بملء فيه :

تقلدتنى الليالى وهى مدبرة كالسيف منصلتا فى كف مهزوم
فان أمثاله من المحصلين يستحقون ان يتصدروا فى المدارس وينتصبوا للتدريس ، لأماله من التحصيل فيما أخذه ، ولكن ذلك لما يتيسر له ، الى الان ١٢٥٨ هـ فلم يتجاوز غالبا الا المساجد ، فكان فى مسجد (واكشيري) ثلاث سنوات ، اثر خروجه من المدرسة وفى مفتتح : ١٢٤٩ هـ وقف له شيخنا سيدى الطاهر حتى شارط فى مسجد (اداي) الذى أبى ان يستحيل به مدرسة

يومها الطلبة ، كما كان فى أيام شيخنا سيدى عبدالله بن محمد ، ثم بعد الاحتلال ، شارط سنة : ١٢٥٣ هـ فى مسجد (نارصواط) قرية الاستاذ الحفيكى التى مات فيها العلم وأهله اليوم فلا عريب ولا ديار ، الا من اناس قليلين مثل سيدى الحاج المحفوظ وفى السنة الماضية ١٢٥٦ هـ فشارط فى مسجد (تيليو) بمجاط ، حيث لايزال الى اليوم ١٢٥٧ هـ

آثاره

ربما كان صاحب الترجمة هو الوحيد الذى اعانى بكثير جدا من ادبيات هذه البلاد ، وبما صدر عنه هو ، حتى كانت مجموعة كل ما قال فى زمن الدراسة عندى من يده ، فأودعت كل ذلك فى كتابنا : (جوف الفرا) وقد كان معتنيا بنسخ كل ما تصل اليه يده ، وذلك مما يدل على همته المشكورة ، فلنخترهما نراه الان مكدسا بين أيدينا ما حلا فى الذوق ، وحلى فى العين ، قال يعاتب بعض اخوانه من قصيدة :

عجبا لمن نادمته بصفاء ويسر حسو الارتقاء ازانسى
اسقيه من كأس ترحزح مابه فأراه يجزىنى ببعض السدا
لو اننى عاملته بفعاله لقطعت ايديه بصنع جزا

وقال يخاطب شيخنا الافرانى ، وأظنه فى بعض وفاداته الى بلداهم :

بارق ال (١) شطر (غشمان) فاشد بدت يمرآه لوعتى وغرامسى
قابان الجوى واوقد نار الشد سوق فالقلب بالجوى فى احتدام
لم أمل سادرا لظبية قصر اولشمس الضحى وشدهو الحمام
لا ولكن خضرة الصدر هادى الذ ساس من علمه اصبح قوام
استنارت ببرقه الطرق فى البدا سدان من سوسنا لاقصى الشام
دابه البث والسماحة فى العدا سم وفى ماله ممر الدوام
من اذا ما آناه يوما بليد عاد غضب اللسان كالصمصام
شيخنا منبع الهداية بحر مزبد يرتقى بدر الكلام
ملجا للجهول منجى لمن خا ف وشمس ضات بدون غمام
شيخنا الطاهر الخلائق والاء راق عذب لكل صديان ظامى

الى آخرها :

وقال يجيب الاديب سيدى الحسن الكوسالى عن قصيدة خاطبه بها وصاحبها له :

تبدت فرما وصلها فتمنعت فلا عدة منها الى ولا وصل

(١) ال البحرى : أرمض ، والبارق : الصحاب فيه برق

وتلحظنا شزرا بسيف مهند
جلاها المجلى في الميادين كلها
هو العالم الارضى الكسالى تحتها
سليل الاصول الطيبات يشدما
ففيهم رسا المجد الصميم وفلكه
فقل للذي يغى الفصاحة يمين
وقصوى ثناه لا يرام وذا به
امد عليه الله ضافى حفظه
ولا طرقت مدى الدهور كماله

سليمة فكر ذالها الحسن والذل
اديب اذا ما قال فهو الرضا العدل
حليف العلا من دابة البر والبدل
بنوا من امور الدين ناه به الاصل
فيافعهم افق المجادة والكهل
فناء الكسالى تظفرن ولك الفضل
اقر جهارا وهو لى قولى الفصل
ولافاته من ربه السبب والنيل
مصائب منه لا الخطوب ولا الهول

* * *

ايا سيدى هل ذا قريضك ام سنا
فمن حسن صدق الظن منك زففتها
جزاك اله العرش مولاي جنة
الى اخرها .

وقال يخاطب شيخنا سيدى الطاهر الافرائى ، وقد رجع من سفر الى وطنه:

اهلا بمقدم شيخنا الامام ومن
قرت بك البلدة الغرا وساكنها
فادع لنا بنجاح القصد انت لنا
على مقامك يا مولاي نفح سلا

وكتب الى قرينه بالمدرسة الاديب الكوسالى المذكور :

ايا بدر تم حل برج الفاخر
ليهتك فاستبشر بوفد العواشر

فاجابه هذا الاديب :

ايامن غدا انسان عين الفاخر
شاوت بميدان العلا كل سابق
تاخرت ميلادا تقدمت سوددا
تفعلت والافضال منك سجية

وقال ايضا يخاطب بعض طلبة المدرسة (التانكرتية) وقد وجدهم يسهون
فى مسيح (بويركيرن) يوما فيه قر ، يؤنبهم على فعلهم :

اتسبحون كما الصبيان تفعله
والناس بينكم واليوم مقرر

فاجابه الاديب الكوسالى :

انا ذو والستر عند السبح مثلكم
طاب الزمان وطاب النهر فاعتدلا
وقال يصف ليلة طاب فيها الانس ، وابتهجت فيها النفس :

لله ليلتنا كأنها اقتطعت
جمع كما اتسق الدر المنظم فى
ناد كما افتر زهر جاد ساحته
لا غرو فاقطب شمس الدين حل به

الى اخرها :

وكتب الى اخيه سيدى محمد - فتحا - بن الحسن الاتى ذكره ، يستعنه
بالرجوع من البلد بما يؤدى به دينا :

اخى طر بجناح الشوق واثت بما
قد هد ركنى مالاقيته من اليه
يفكنى من وثاق الدين والفيق
م الدين حتى دنا عرشى لدمر

وقال للطلبة وقد اظلت العواشر :

الا يسابدور التم منى اليكم
وبعد فقد تافت ضمائرنا الى الـ
سلام كما من النسيم على الزهر
مواشر اعيتنا الدفاتر والسهر

وكان الاديب سيدى محمد ابن الحاج احمد اليزيدى انتقل الى المدرسة
(الادوزية) من (الالقية) ثم رجع اليها ، فقال قصيدة سينية يعتذر بها للاستاذ
على بن عبد الله ، فاجابه هذا بمثلها ، فقال صاحب الترجمة ، يقرظها اجاب
به الاستاذ :

اذى قلائد عقيان ام الدرر
بلذى عقائل قد اوفى بها عجلا
امذى الدرارى اضاءت قمة الحسن
نور الهداية شيخنا ابو الحسن
عليه من ربنا المامول نائله

سحب الرضا ما الورى اشتاقوا الى الحسن

فاجابه الاستاذ ارتجالا :

احسنت يامن له كل المحاسن فى
اتيت فيه بمعنى حسن بسن
تجنيسك الحسن المرفوع كالحسن
زريت صنع ابن هانى به الحسن

(١) اسم جبل

لاشك انك انت اليوم اشهر من
وولد للاستاذ سيدى محمد بن الطاهر ولد فهناه بقوله :

الحمد لله سعد الدين قد ولدا
بدر بدافيدا رشد الورى وعلت
مجد تولد والعليا ترضعه
وافت ولادته وفق ولادة من
ياخير من ام باب السعد منفتح
يهنيك ياسيدى الابن المقرب
قاله يكلاه بمنه من اذى
وقال يجيب الكوسالى حين خاطبه بالقطعة التى مطلعها :
انعم بليك يا ابا العباس
يقول :

يحوى العلا من بين ما اجناس
بحر المكارم من اذا يحبو تخط
ممس باقى المجد حبنى سيدى الخ
نال العلا والمجد عفوا دون ما
ياخير اخوان الصفا يا مفردا
اطريت عبدا لم يكن اهلا للذال
هناكى بالشرب من ناد حوى
هنت ايضا سيدى من همه

وخاطبه صاحبه مبارك التوما نارى
لئن سفرت عن البدر الخراد
فاجابه بقصيدة منها :

رب ليل مبارك جاد فيه
هكذا يوم الاربعاء فاركضوا فى
يقول فيها :

كنت اهديت لى عروسا جلاها
شرفت قدرذى خمول غزير الذ
لم اكن كفؤها ولكن رفعت الـ
سيدى قل بالله شعرك ذام
الى اخرها

وقال يخاطب قطعة خاطبه بها بعضهم

ارسلت منك فكرة لحادة
هذب الطبع سبكها يالها من
سحرت كل ذى حصة بماضه
سيدى ما الذى اراه بطى الط
انت من سادة ابي الله الا

فتلك نماذج من اقواله الكثيرة وهى غالبا قطع صغار يخاطب بها اصحابه
اذذاك . وبعضها أبيات مفردة . واما القصائد فقليلة فيما تحت يدى مما
يقوله فى ذلك الطور ، وقد ترقى شعره بعد ذلك بكثير ، ولا يزال يقول بكثرة
الى الان ، وقد حشرنا ما توصلنا اليه فى (جوف الفرا) والبعض فى (الافيات)
لمن اراد التوسع لغرض من اغراضه ، على أنه تغلب عليه العلوم والخوض فيها
حفظه الله

زوجه والده واخاه الاثني بعده ، فعكف الوالد على تعليم زوجيهما فى
الدار ، وقد حججهما ، فيقضى هو بيده ضروريات الخارج ، حتى ان املاكه
اعطاها لمن يحترثها مشاركة حين لم يالف هو أن يعمل فيها بنفسه ، ولا ان
يتترك اولاده وبناته لذلك ، وقد دفع بولديه الفقيهين الى المشاركة ، فهكذا
تلك الاسرة اليوم ، وقد حفظت الزوجتان القرآن كله او بعضه تحت يده ،
وهذهما وعلمهما الديانة ، فصار بذلك غريب الاحوال عند الناس ، خصوصا
بين (الديانيين) ، واما هو فلا يبالي باحد ، لانه ادى ما عليه ، ولقد ما املاه
عليه ضميره ودينه . وجعل القناعة سياجا وراء ذلك ، وقد نشأ ولدا وزوجهما
تحت صيانتة ، فرسخت فى الجميع الاخلاق المتوجة بالعلم والدين ، فلتحنى
القناعة ، وليحنى العلم وليحنى الدين والاخلاق والمروءة ولتحنى امثال هذه الاسر
وببركة كل هذا بقيت دار هذه الاسرة هى المصونة علما ودينا ودنيا فى تلك
القرية الان ، بعدما كان وكان . ولصاحب الترجمة الان نسل اقر الله به عينه

أخبار عنه اخرى

كانت هذه الترجمة المتقدمة مكتوبة سنة : ١٣٥٦ هـ او ما بعدها بقليل
ثم هانحن اولاء الان فى سنة : ١٣٨٠ هـ فقد تطور الحال بالترجم وعلا شأنه
وتصدر فى المدارس ، فقد كان فى مدرسة (افيلال) بايسى ، ثم فى (ايصور)
حيث هو الان ، وقد ادى فريضته بالحج منذ سنتين ، وقد تكونت حوله حالة
علمية وتلاميذ ، باكتابته على التدريس اكتاب المجدين ، وقد توفي والده نحو
١٣٦٠ هـ فقام بنفسه ، وبعد أن كان هو وأهله من الذين لا يؤبه بهم فى قريتهم
ازاء اولئك الرؤساء الكبار اذا بالزمان انقلب ، فصاروا هم المقبوضين : كفاية
وعزا وحرمة ببركة العلم الذى اشتغلوا به ، فداره ودار اخيه ، هما المصونتان
المكفيتان الان فى القرية ، بما يتوصلان به من اعمالهما ، ولا يرى الا أن ببركة
والدهما الرجل الصالح ، هى التى عادت عليهما ، ومن كان لله كان له .

سيدى محمد بن الحسن البنائى

نحو : ١٣١٨ هـ = حى

نسبه

محمد - فتحا - بن الحسن بن سعيد بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن احمد بن يحيى .

هذا أخو الأديب المتقدم ، وتلوه فى المعلومات ، وإن كان دونه بمراحل بل لا تكاد معلوماته تذكر إزاء معلوماته

أخذ القرآن عن سيدى على بن همام الأيكدمانى ، ثم عن والده سيدى الحسن فى بعض مشارطاته ، ثم افتتح عند الأستاذ سيدى بلقاسم التاجارموتى فى المدرسة (الإغشمانية) ثم انتقل إلى المدرسة (الآلفية) فأخذ فيها عن سيدى أحمد بن محمد اليزيدى ، ثم بعد حقية اتصل بصنوه فى المدرسة (التانكرية) فحرص صنوه على تهذيبه ، فترقى بذلك ترقيا حسنا ، وبين أشعار أخيه مخاطبات كثيرة يخاطبه بها ، وقد بقى هناك بعد أخيه سنوات أخرى إلى سنة ١٣٥٢ هـ فذهب إلى هشتوكه ، فشارك فى آيت عميرة فى مسجد إحدى قرأها ثم رجع إلى بلده ، فشارك أيضا فى مسجد (ايكل) بالغ ، ثم فى جمادى الأولى من سنة ١٣٥٦ هـ شارك فى (القصبة) بتامانارت ، بإشارة شيخنا سيدى الطاهر الأفرانى

وقدره من المعلومات لا بأس به ، وإن لم يتسع ، فقد أهله ما عنده أن يشارك أحيانا فى الميادين ، وقد أتى على كل الفنون ، وإنما خاتمه كما أظن ذاكرته ، وهو على كل حال من المتوسطين فى التحصيل ، وله أدبيات جال فيها مع أخيه ومع غيره

صاحب مرة الأديب سيدى الطاهر بن على الآلفى فى سفر ، فقال له سيدى الطاهر :

محمد الخلق يامن وده فرضا جد المسير فان الليل قد عرضا
فاجابه صاحب الترجمة :

ياسيدى انت لي بدر فلست أرى مادمت لي ظلمة كلا ولا غرضا
وقال له أخوه مرة يمرته :

اجز ولا بد ياصنوى الشقيق ويا من مجده لاينى زينا واشراقا

فاجابه :

اعذر فقد عاقنى ياسيدى حصر يمنعنى القول ان اكثرت اطرافا

وقال يخاطب صنوه وقد غاب عنه كثيرا :

سيدى مونسى شقيقى عمادى هذه غربة تطول على العبد
غبت عنى فغاب نومي وعقلي غبت عنى فغاب نومي وعقلي
أبشرع الإخاء يحسن هذا أبشرع الإخاء يحسن هذا
أقبلن لي ليقبل السعد والصفا أقبلن لي ليقبل السعد والصفا
إن يك العبد قد جنى ما جناه إن يك العبد قد جنى ما جناه

وقال يخاطب الأديب الأستاذ سيدى داود الرسموكى الشهير ، وذلك

فى : ١٠ - ١٢ - ١٣٥٢ هـ حين كان مشارطا فى (آيت عميرة) كما تقدم

أبرق تجاه الرقمتين بدا لنا أم الوجه من ليل أنار ضياؤه
خليل لاشوق لهيفاء بضعة نعم كان لي شوق إلى عالم الهدى
فريد الوردى علما وفخرا وسوددا هو السيد الندب الكريم المجلال
فهذا الذى شوقى إليه كأنه سمى نبي الله داود من له
عليه سلام الله منى ورحمة

فاجابه الأستاذ :

أتى فاتى فورا سرور مجدد قريض بديع صاغة فكر سيد
قريض تعالى عن قريض حبيبهم أتى يوم عيد وهو عيد بنفسه
أياسيدا أهدى محاسن شعره لك الله من ندب تواتر فضله
ولا زلت يارب البلاغة مفردا ولد الهوى لذى الهوى والتودد
له عادة الإحسان عفوا وسودد وحل له الحبا الكميته واحمد
وبينهما سرورنا يتردد فهاجت من الاشواق نارا توقد
وطبق آفاقا ثناء المخلد ووافاك دائما سرور مجدد

ولو كان سيدى محمد بن الحسن مقتديا بأخيه ، فى الأكباب اليوم - ومستقبله لا يزال بيده - لنجب ، لأن له الفكرة الديانية التى نعلمها من أخيه ومن بنى عمومته

التحق ككاتب عند الرئيس علي بن أحمد ماشاء الله ، فتحمل منه ما تحمل سنين ، وقد صادفناه هناك يوما مع شيخنا سيدي الطاهر الافرائي فشارك في قواف في الترحيب بشيخنا علي العادة الالقية ، فسمعت من أهله الذين لا يحترمون طلبتهم لانهم عوام تهانفا (١) يغمزونه بأنه ليس هناك فغرت على الرجل ، وان كنت لم أقل لهم شيئا :

ومنزلة السفيه من الفقيه كمنزلة الفقيه من السفيه وقد كان هذا الامتحان نفسه يصل أخاه العلامة الجليل من تلك البيئة ، فكان لا يكاد يلم بالقرية الا خلاسا ، ثم لم يستطع المترجم ان يتمادي على هذا الامتحان فطلق البلد ، فمربي في مراکش ، وقد رجعت اليه نحو : (١٣٦٨هـ) ولا زال استحضر انه دخل على ، فلم استحضر بعد مجيئه . فسألته من هو ؟ فاستحييت حين أخبرني من هو - وكثيرا ما انسى ملامح الوجوه حتى يقع لي مثل ذلك وطالما اصابني خجل عظيم مما يقع لي ، حتى ليظن بعض من لا يعرفون مني هذا ان ذلك تكبر مني - ومن هو المختار حتى يتكبر ؟ وهل التكبر سهل ؟

ثم انه سافر برا الى مصر ، ثم حج ، فمربي ثانيا ، ففاز بها حجة مبرورة ثم تعين استاذ في مدرسة القرية يعلم العربية ، ولا يزال على استاذيته الى الان ١٣٧٨هـ وفقه الله وحفظه .

وهناك تم الذين يستحقون الذكر من الديانيين الايفشانيين ، وقد مناهم على غيرهم لشرفهم امس واليوم بالعلم ، ثم بالرياسة ، ولندكر الان من يستحقون الذكر من الايكليين (الباها) الذين كانوا رؤساء قبيلة ايفشان قبل الديانيين ، والله يسدد خطانا ، ويعصمنا من خطأ الفكر ، وخطأ القول بمنه آمين .

(١) التهائف : ضحك في فتور كضحك المستهزي ، وهو خاص بالنساء قال :
فتهائفن وقد قلن لها حسن في كل عين من تود

امغار باها الايكليبي الايفشاني

قبل ١٢٣٠ هـ = نحو ١٢٨٦ هـ

ليس عندي عن هذه الاسرة اخبار تظهرها في المكانة التي كانت لها طوال القرن الثالث عشر ، وربما كانت لها ايضا في اواخر القرن الذي قبله ولم يخبرني كل من اسألهم عنها الا بتنف ضئيلة ، لاتسمن ولا تفتي من جوع ، حتى ان سلسلة نسبها لم اتوصل الان بها ، ولكن تلقى ماعندنا عنها فهو سداد من عوز .

سمعت انها من الحرييليين ، وانها تقطن (ايكلي) منذ ثلاثة قرون ، هذا مازعمه من ذكره انه رأى رسومهم ، ثم انهم تولوا الرياسة بعدما فتك بامغار اوبركا الايكلماني - وستسمع فيما ياتي ان شاء الله ماعندنا عنه وعن عصره - ثم تتابع فيهم الرؤساء ، الى ان وصلت النبوة الى هذا المترجم ، فظهر منه ومن اولاد له عفاريت جبروت على القبيلة ، حتى ليحكي ان لهم وظيفة تؤدي صباح كل يوم قبل الشروق ، وذلك انهم يكلفون سكان وراء (تيزي اودرو) ان يبكروا بالخضر والفواكه في اوقاتها الى دارهم بايكل ، وكل من تاخر في يومه حتى تطلع الشمس على ما يحمله على بهيمته ، فانه يبطش به ، وكان سيدي احمد بن محمد بن عبد المؤمن اذذاك ، قد ظهر في الميدان ، ولا ندري كيف كانت صلة ال (ايكلي) مع آبائه ، حتى يمكن لنا ان نجد منه ماله هو الحاضر لهذا السيد ، حتى برز الى ميدان ماعرف لآبائه قبل ، ولكن اذا اردنا ان نأخذ بالاشباه والنظائر ، فاننا لانكاد نشك ان العلاقات بين الديانيين والايكليين كانت فسدت قبل سيدي احمد ، ولعل ذلك في أيام والده ، وربما كان الحسد الذي يحمله الرؤساء العوام لاهل العلم دائما اذا راوهم في جاه عظيم ، لم يدركوا بسياستهم عشره ، هو الذي صدر من (الباها) لهذا الفقيه ، ثم انه يتفاضى في حياته ، ولكنه لما جاء ولده احمد ابى الا ان يجاذب الحبال ، وان يوفي الكيل صاع بصاع

فتك احمد ابن صاحب الترجمة ، واحمد بن باها الدياني ، بسيدي احمد ابن محمد ، كما ذكرناه ، فقام محمد الاشكر والحاج ابراهيم يتربصان وينتظران الفرص ، ليضجوا بابي هذه الاسرة الايكلية ، كما ضجت هي برئيس الاسرة الديانية ، وكان لامغار باها دار اخرى في (تافراوت) من اداوعاصم كبيرة ، فيها زوجة له اخرى ، وقد بنى فيها طاحونة كبيرة ، من النوع الذي يدار بالبهايم . وذلك يدل على عظم مقامه ، لانه لا يصنع ذلك في هذه البلاد الا

امغار يوسف بن باها الايكليبي

الايشاني

قبل : ١٢٥٠ هـ = ١٢٩٦ هـ

كان لامغار باها من الاولاد المذكورين في هذه المجاذبات ستة : (١) محمد (٢) احمد (٣) مسعود (٤) عدى (٥) حمو (٦) يوسف وهو صاحب الترجمة وكانه اكبرهم ، لانه هو الذي اسمه يذكر بامغار من بين هؤلاء بعد ابيهم فاما الثاني فهو الذي باشر قتل سيدى احمد نطالب ، وقد مات قبل سنة : ١٢٩٩ هـ ولادى احتف انفه ام قتلا ، وكذلك مسعود مات قبلها ، وفي بالى اننى اخبرت ان بنته هى التى تزوج بها الحاج ابراهيم وهى ام الرئيس احمد الشهير ، واما الاول محمد ، فان اخوته قتلوه قبل ان يقع بهم ما وقع سنة ١٢٩٩ هـ بحجة انه يميل للديانيين ، وكذلك ولده حمو بن محمد ، قتلوه ايضا بهذه الحجة ، فهرب الى الديانيين اخوه ابراهيم بن محمد ، محتبيا بهم ، لئلا يقع به ما وقع بابيه واخيه حمو

واما يوسف ، فانه كان مال الى مسألة الاشكر فى كل ايامه ، وكان رغو العزيمة ، وربما كان الاقلال الذى طاف به اخر عمره مما اذله ، فقد حكى لى مجاطى انه رآه سنة : ١٢٩٥ هـ جاء الى مجاط يتكف اصحابا له هناك ، فصار الناس ينظرون اليه ، ويتعجبون مما مال اليه امره ، ولم ينشب ان مات ، وخلف ولديه احمد وعبد الله ، وكانا مغوارين ، فهما وبعض اعمامهما من وقعت عليهم الواقعة حين تطلبوا الفتك بالديانيين ، وذلك انه بعد ان مات امغار يوسف ، مال هؤلاء الى اجتثاث الديانيين ، فبدأوا بمن مال اليهم من اخوتهم ، ففكوا بمحمد اخيه . ثم بولده حمو بن محمد ، فهرب ابراهيم ابن محمد اخو حمو ، فالتحقت العداوة بهذا . فصار كل فريق ينتظر الفرصة فصار هؤلاء يفاوضون انسانا ديانيا يسمى سيدى مسعودا ، حتى اتفق معهم على ان يريحهم الى داره ليلا ، فبمجرد ما يخرج غرماؤهم عند الفجر ، ينقضون عليهم فى حقول يشتغلون بها تلك الايام فى امنية ديارهم فجاء هذا الجاسوس نفسه ، فبلغ سيدى مسعود نفسه جيرانه الديانيين فامرهم الاشكر ان يتمشى فى ذلك حتى يريحهم عنده فى ليلة معينة ، ثم انهم سيقضون عليهم عنده ، ووعدوه على ذلك بما وعدوه ، وفى الليلة المعينة ، بينما الايكليون ينسلون الى دار ذلك الجاسوس اذا بهؤلاء الديانيين الاشكر والحاج ابراهيم فى رجال من المغاوير ينسلون ايضا فيسلكون طريقهم الى دار الايكليين ، فوجدوها بلا حارس ، وهى منتبذة عن القرية ، فحاول احدهم القفل حتى فتحه بلطافة ، فتوسطوا خلفة الدار فتحرك

الكبار العظام ، وفى يوم تاسع ذى الحجة ، من سنة ١٢٨٦ هـ والناس يتهاون لعيد الاضحى ، كان فى داره هذه ، وفى وسط النهار خرج وحده يقصد داره فى (ايكل) وبينهما ثنية وبسيط لابس به ، وفى يده رزق مملوء اذما ، ذهب به من هذه الدار الى تلك ، فمشى وحده ، وهو آمن ما يكون ولا سلاح فى يده . فجلس له بين صخرتين معلومتين هناك فى الثنية التى تسمى (تيزكى) شرقى قرية (توكال) محمد الاشكر ورفيقه محمد بن عدى ، فلما سامتهما اطلقا فيه فجنده ، فهلك فى الحين ، فصاح محمد الاشكر فوق الثنية فاسمع من فى اسفل (توكال) يقول لهم : انكفوا واحرسوا انفسكم من الايكليين ، فانتا قتلنا امغار باها ، فهكذا ذهب فداء لسيدى احمد بن الطالب ثم لم يبق بشسع نعله ، سامح الله الجميع .

هذا ما عندى عنه ، وهو اذذاك شيخ كبير ، ولذلك رمزنا لولادته بمقابل ١٢٣٠ هـ واما سنة قتله ، فالغالب الذى ظهر لى فى حكايات اناس انها ١٢٨٦ هـ والله اعلم

ثم بعد ما حررت ما حررت مما تقدم ، وقعت على هذه البطاقة :
«فى يوم الخميس : ٢٣ - ٢ - ١١٢٤ هـ نزل القائد عبد الكريم ، قائد مولانا اسماعيل نصره الله بايكل ، ببني غاصم : بلاد الخ بغسانة ، بعشرين الفا من الخيل والرماة ، وقبض الشيخ محمد بن عبد الله الحاج ، وتسعة رجال من اعمامه ، ومع رجلين من الاحرار ؟ (١) وربطهم فى الحديد دون الشيخ لم يربطه ، وأدوا لخيواته لايكل ، وفساد زرعه فى الغدادين ، وما فى ديارهم من التروكات والزرع . وقبضهم بخمسمائة مثقال ، واحصنتهم وبغلاتهم انتهى كما وجد ، بلا ولا ، وبه يحيى بن محمد بن على التاوييتى القسانسى وفقه الله»

والغالب ان هذا الرئيس الذى القى عليه القبض ، من اسلاف امغار باها وان الرئاسة قديمة فى لاسرة

الفقيه احمد بن ابراهيم التاويمتي

قبل : ١٠٥٥ هـ = بعد : ١٠٩١ هـ

= * =

نسبه :

احمد بن ابراهيم بن علي بن محمد (كما وجد في رسم)
قد كنت رأيت في الوثيقة الكبرى المارة تحت رقم (٥) في ترجمة جدنا
الاعلى ، سيدى عبدالله بن سعيد في مفتتح (الفصل الاول) من (القسم الاول)
ان الذى تولى تحرير اصلها هو هذا الفقيه ، ثم رأيت في ترجمة الفقيه سيدى
سليمان بن محمد : اول فقيه من فقهاء مرابطينا . ان جده للام هو الحسن
ابن علي ، وهو من اهل هذا الفقيه ، وهناك الى الآن بيت على قبر يزار ينسب الى ابن
اعلى . والحسن بن علي قد وصف في عقد نكاح حفيده المذكور سيدى سليمان
بالتألب الحسن ، والغالب انه ليس بفقيه ، وان كان يذكر بصلاح كثير ، وعبادة
وخير الى الآن ، وقد سالت بعض طلبة الايفشانيين عما يعرفه من علمائهم
القديما ، فذكر لي من بينهم فقيها سماه ابراهيم بن علي ، يسكن في قرية
(اكنى ايكدمان) وقال انه من اهل القرن الحادى عشر ، ويشبه ان يكون اخذ
من (تامكروت) قال : اننى رأيت رسائل كثيرة للتامكروتيين اليه ، هذا ما قال
هذا الفاضل ، وربما كان من بنى اعمام صاحب الترجمة ، لقرب ما بين
القريتين ، ويبعد ان يكون هو جده لان هذا الجد ممن يكون اقدم من الشيخ
سيدى محمد بن ناصر المتوفى في سنة : ١٠٨٥ هـ ولان هذا الحاكم ، قال ايضا :
ان ابراهيم بن علي هذا هو الذى كان فقيه تلك الجهة ، ثم ورثه اليعقوبيون
الاتون بعد ، واليعقوبيون انما عاشوا في اوائل القرن الثانى عشر وفي اواسطه
كما سيأتى بعد ان شاء الله ، ولهذا يتراءى لي انه ربما يكون من ابناء اعمام هذا
الذى ترجمنا له ، وقد يختلج في ذهنى ان الذى قال لي ما قال ، ربما رأى تلك
الآثار لصاحب الترجمة بعينه ، ثم انقلب النسيان عليه ، وكل من لم يعتن
بناحية ، فكثيرا ما تنقلب عليه اسماء اصحابها . ولذلك اخترنا ان نذكر هذا
في ترجمة هذا الفقيه ، ولا بد ان تكون هناك آثار مخبوءة له ، ان لم يكن من
بينها ما ذكره هذا الفاضل ، ولكننى الى الان لم اتصل بها ، وكيف اتصل بها
واننى الان بهذه العزلة الجبرية في وسط صندوق ؟

نعم غادرت ذلك الصندوق فصرت حرا ، ولكن الحواضر التهمتني ، حيث
ابتعد الان : ١٣٧٨ هـ عن مجالات تلك الابحاث ، ولم اكن راجعت قط هذه
التراجم ، منذ كتبت فيها ما كتبت نحو سنة : ١٣٥٧ هـ الا الان ، ولذلك يجب
على المطالع ان يقنع بما تيسر .

الدجاج ، فخرجت زوجة احمد بن يوسف ، وكانت مع زوجها في الفراش
وقد حسبت ان بعض الضواري البرية انسل الى الدجاج من بعض اسراب الجدار
فخرجت لتطرده ، فاذا هي بالرجال ، فصاحت بزوجها ، فالتفتض الى بندقيته
وهي معه في البيت . ولكنه محاصر بهؤلاء ، وقد اوقدوا النار عليه امام البيت
حتى خنقه الدخان ، فخرج مرغما فأردوه في الحين ، كما اهلكوا فيما سمعت
كل من وجدوهم في الدار فتمكنوا ، وجلسوا ينتظرون رجوع غرماهم الاخرين
وكانت في الدار بقرة ، فذبحوها فنصبوها لتتفج ، وكان العام عام مسغبة

هذا ما يصنع هؤلاء ، واما من اختبأوا في دار ذلك الجاسوس فانهم
صاروا ينتظرون ليمتوا مرادهم في جيرانه ، كما صار رب الدار ينتظر ان
ياتوا حسب الاتفاق ، حتى كاد النهار يصبح ، فخاف الجاسوس على نفسه من
جيرانه ، ولم يدر ما الذى اخرهم . فاعز الى من عنده ان الفرصة لم تكن
الليلة ، فرجعوا قبل ان يفضحهم النهار ، فوصلوا امام دارهم في ايكلى في
الغلس ، فتركهم من في الدار حتى وقفوا امام الباب ، فمالوا اليهم ، فلم
يسركوا ممن حضر احدا . وممن سقط هناك عبلا بن يوسف ، فاصبح النهار
وقد عرف اهل القرية ما عرفوا من الهيعة التى سمعوها ، وقد ملكت الدار
وقتل اصحابها ، وقضى الامر . فهرب من (ال باها) من كان لا يزال حيا ،
كعدى بن باها ، وحمو بن باها ، ثم ان الديانيين خربوا الدار تخريبا ، حتى
لم يدعوا فيها حجرا على حجر ، ونقلوا سقوفها وكل ما فيها الى دارهم ، وتولوا
املاك ال باها الذين دخلوا منذ ذلك الوقت في خبر كان

هؤلاء ال باها الايكليون ، وهذا ما وصلنى عنهم ، وانا هنا في منزلى
الذى ارغمنى عليه الدهر (١) ، والحمد لله على كل حال

الآن وقد ذكرنا الايفشانيين الالفين ، نذكر تبعا من عرفناه مشهورا
بالعلم او بالرياسة ، او مذكورا في التاريخ - فيما علمنا - من الايفشانيين
الاخرين ، واذكر بعض الاحياء اليوم ، او من كانوا في عصر ما ودرجوا ،
ولا يمكن لنا الاستقصاء في كل الايفشانيين فيما وراء تيزى ، ولكن نذكر من
تيسر الآن والله الموفق وسنبدا بمن في (تاوييت) ، ثم بمن في (اكنى ايكدمان)
ثم بمن في (ايت اوبلخير) والله المستعان .

(١) لا ينسب القارىء ان هذا الكتاب كتب في هذا المنفى الذى منع فيه
جامعه من ان يتصل بأحد ، فكانت داره التى هي مسقط رأسه سجنه ،
وكانت قريته التى منها درج هي منغاه ، فكانت الخ مجمع عمومه ، افلا تكون
ايضا مجال يراعه ؟

يحيى بن محمد بن علي التاوييتي

قبل ١١٤٠ هـ = بعد ١١٩١ هـ

= * =

وقفنا على اسمه في البطاقة التي تقدمت في ترجمة امغار باها الايكليسي ويظهر ان له توسعا في المعارف ، ومن تلك البطاقة التي نقلها يظهر اعتناؤه وهل يعتنى بالتقاييد التي لادبرهم وراها الا ارباب الهمم العليا والغالب انه من اسرة الـ على احوال الفقيه سيدي سليمان الالفي ، وهي اسرة علمية نابهة وحدثت ان هناك محررات فقهية بيده .

ولاريب ان عرق هؤلاء العلماء ، هو الذي اندس في شرايين اول فقيه من الـ عبدالله بن سعيد ، سيدي سليمان المتوفي : ١١٩٩ هـ فنزعه العرق فكان ممن يحملون الراية العلمية ، فكان يجب علينا ان نطيل البسح عن رجالاتهم ، ولكن حال الجريض دون القريض ، فما لا يمكن كله ، لايتترك جله

(هذا وقد كتب الى سيدي المحفوظ بانه راي رسوما متعددة ارجع بعضها بسنة ١١٩١ هـ بخط يحيى بن محمد بن علي ، كما راي رسما آخر بخط محمد بن سعيد بن محمد بن علي مؤرخا بسنة ١١٠١ هـ وآخر بخط محمد بن علي بن محمد بن ابراهيم التاوييتي اخرازا مؤرخا ١١٥٩ هـ وآخر بخط محمد بن فتحا - بن محمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم اخرازا مؤرخا بسنة ١١٠٥ هـ وآخر بخط علي بن احمد بن محمد بن محمد مؤرخا بسنة ١١٦٦ هـ والحسن بن محمد بن عبد الله مؤرخا بسنة ١١٠٠ هـ وآخر بخط عبد الله بن محمد بن عبد الله التاوييتي وآخر بخط محمد - فتحا - بن محمد بن محمد - فتحا - بن عبد الله - وهذا ان غير مؤرخين . وقد وصف كل واحد من هؤلاء بانه فقيه تاوييتي وبذلك تعلم ماكان في تلك القرية من العلوم في القرن الحادي عشر والثاني عشر . وحين لم نقف لهؤلاء على مايبين ماهيتهم ولاوصفا من اوصافهم اعرضنا عن ذكرهم بعد ماعرضنا اسماءهم لن عسى ان يبحث عنهم)

سيدي

سعيد بن عبد المومن التاوييتي

قبل : ١٢٨٥ هـ = بعد : ١٣٢٠ هـ

= * =

شيخ الجماعة في تعليم كتاب الله ، فقد اخذ عنه اجلاء ، في مقدمتهم شيخنا سيدي عبد الله بن محمد ، واخوانه : احمد وعبد الرحمن ، والاديبان سيدي البشير الناصري واخوه الطاهر ، والاستاذ سيدي احمد اليزيدي ، هذا العلامة الذي يرفع راية التدريس اليوم في المدرسة (الوقفاية) ، وفي غيرها قبل اليوم ، وسيدي محمد بن مبارك النوازي الوقفاوي ، وكثيرون آخرون وكان ممن اخذ عن سيدي محمد بن عبد الله الالفي في مبادئه ، فحصل بعض معلومات لا بأس بها ، وكان ديننا خيرا ، لم استحضر الان من هو شيخه في القران ، لان الناس انما يعتنون باسئلة العلوم ، ويرمون الاعتناء باسئلة القران ظهريا ، وهذا لعمري غلط لحق عاملين عظماء ، تحملوا اعظم امالة فادوها كما تحملوها . وكان ينبغي ان يفسح لهم في الصدور ، وان يرسى لهم من المقام وفي الحديث : خيركم من تعلم القران ثم علمه

شارط في مسجد الزاوية ماشاء الله ، وفي مساجد اخرى حوال الخ وفي مسجد قريته (تاوييت) وفي ذلك امضى عمره ، وقد كان يحترم عند كافة الالفين ، فكان الشيخ الالفي والاستاذ علي بن عبد الله يحترمانه متى لقياه او زارهما ، وكثيرا ما يزورهما ، وكذلك الرؤساء الديانيون يجلوته ، ولايتركون احدا يمس به بسوء . وقد خلف ولدا يسمى محمدا ، كان احدا لدائنا ، وفردا من الذين افتتحنا معهم الاجرومية سنة : ١٣٢٩ هـ في المدرسة (الايفشانية) ثم لم يستتم دراسته ، ثم توفي من غير علم كثير .

* * *

احمد بن بوهوش التاوييتي

قبل : ١٣٠٥ هـ = حى
= * =

احمد بن بوهوش بن سعيد بن عبد المومن

أخذ القرآن عن جده المذكور ، ثم القى مراحيه في المدرسة (الالفية) فجال في العلوم ، ومختلف الفنون ، وقد أخذ عن التاجارموني وأبي الحسن كما أخذ في بدايته عن سيدي موسى بن الطيب الالفى ، وكذلك أخذ في المدرسة (الايغسانية) عن سيدي العربي الساموكتي ، وأخبرت أنه متوسط في معلوماته ولم يكن بذلك المتمكن ، ولكنه مال إلى اخلاق أضفت عليه بهاء ورونقا ونهضت بمعلوماته على ضوئيتها ، فأخرجته من عالم الخمول إلى عالم الظهور ، وهاهو ذا اليوم في القبيلة البعمرانية ، قد آتاه الشرف من وراء نقلته من بين أهله وكم انسان محقق بين أهله ، يشرف ان غادرهم :

لا يدرك المرء في اوطانه شرفا حتى يكيل تراب الارض بالقدم ولم أعرفه ، وانما تلقفت بعض اخباره ، وهو هناك اليوم مقدم للطريقة الاحمدية بروج بها ، وفقه الله ، ولم أقف على ما يستحق الذكر من آثاره ، مع أن له - فيما أظن - ما يستحق الذكر ، وقد كان معنا عمه سيدي محمد بن سعيد يأخذ في المدرسة (الايغسانية) كما تقدم ، وهو اذذاك اكبر منا ، وان كان من المنخرطين في طبقتنا ، وقد فارقناه اذذاك ، وله من اسس المبادئ المتينة ما كان يبني عليه لو سار قدما ، حتى يكون كابن اخيه هذا ، ولكنه لم يكد يفارقنا هناك حتى فارق تلك السبيل ، وول وجهته إلى اذنان البقر .

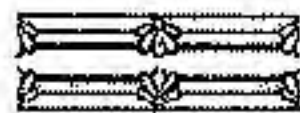
(ثم اننى سألت عن المترجم بعد ، فلم ازد عنه على ما تقدم شيئا ، وهذا الذي وقع له وقع لاثنتين آخرين من تلك القرية : سيدي بلقاسم ، وسيدي مسعود وقد انقلبا على عقبهما ، واندمجا في غير الطلبة ، ولا يزالان حيين إلى الان وهما طالبان خيران ، لا يزال سلامهما يصلني إلى الان ، وياليتهما صابرا ورابطا حتى يستتما ، وياليتهم في المغرب على اعراض شبيبته عن المعارف التي لاحياة الابهة وخصوصا في هذا العصر .

سيدي محمد بن مبارك التاوييتي

نحو : ١٣٠٨ هـ = نحو : ١٣٣٩ هـ
= * =

طالب نجيب تقى مائل بكليته إلى الخير ، بهذا وصفه الاستاذ سيدي عبد الله بن ابراهيم ، وذكر انه أخذ عن الاستاذ سيدي محمد ابن عيو بالمدرسة المحمدية الهشتوكية الشهيرة ، ثم التحق بالمدرسة (الالفية) فسلك (١) بها عشر سنين ، فحصل النحو والفقه وحفظ المتون ، وجل (الرسالة) و (المختصر) وتفوق بين اقرانه ، وصلح لسانه ، وجاد فهمه وجمعت مشاركته بين اطراف الفنون التي أخذها ، ثم فارق المدرسة بعد ١٣٣٠ هـ

ومما اشتهر انه عاكف على خدمة استاذ ابن عبد الله في كل ناحية لا يسبقه اليها أحد ، فعادت عليه بركة ذلك ، فبعد ان تخرج التحق بالزاوية الرسموكية باقا ، حيث بقى سنتين . ثم شارط في مدرسة (ناكرا) إلى ان مات وهو مشارط فيها ، هذا ما أملاه على ابن العم حفظه الله ، وأما ما لم أعرفه ولاوقفت له على اثر ادبي ، أو رسالة ، أو ما يستحق الذكر ، وهكذا كتب له مع هذه النجاة الكبيرة التي ذكره بها ابن العم ، ان لا يخلط فيها إلا هذه الترجمة التي تنقصها المدعات مما يطمئن به قلب المطالع ، وكم للنجاة الشباب الذين ماتوا في غصارة الشبيبة من مثيل



(١) سلك به كشرح : أنزه .

سيدي محمد بن عبد الله بن علي

الايكدماني

من أهل أواسط القرن الثاني عشر

= * =

وجدت بين أوراق قديمة مخاطبة بينه وبين شيخه الحضيكي ، يطلب منه هذا : ان يكتب اليه ما يعتمد عليه في طاعون وقع اذذاك ، ولعله طاعون : ١١٦٠ هـ او الذي وقع بعده ايضا بسنوات قليلة ، فلم اعرفه الا من هذه الرسالة لا غير ، وهذه الرسالة وجوابها مخطوطة بخط انسان لم نعرفه ، سمي نفسه : أحمد بن عبد القادر السملالي ، وقال انه نقلها من خط الفقيه سيدي بلقاسم العباسي الشهير ، الذي لوحنا اليه في ترجمة الفقيه سيدي سعيد بن صالح الدياني .

ونص رسالة صاحب الترجمة :

«الي شيخنا الفاضل ، سيدي محمد بن أحمد الحضيكي ، السلام عليك مع الرحمة والبركة ، تعم جميع احوالكم المرضية ، فان سألتم فنحن في صحة وأمان ، لله الحمد وله الشكر . والحمد لله الذي نشر علينا هذه الرحمة الواقعة في البلاد .

أما بعد ياسيدي ، فغاية ما يحتاج عندك : ان تكتب لنا شيئا من الاخبار الواردة في هذا الامر ، فهل نحن نمكث في ديارنا ؟ أردنا من الله ومن كمال فضلكم ان يختم علينا وعليكم بخاتمة السعادة ، مع كافة احبابنا ، وثانيها ياسيدي ، نريد أيضا من الله ثم منك ان تقيد لنا بعض الاخبار الواردة فيه لمن صبر في بلده ، هل يكون شهيدا ام لا ، أوحصلت له الشهادة ، ولو فر من هذا الامر لاحواز بلده ، احببنا ياسيدي جوابا بينا فنحن نتعلق بشيء من العامة ، أردنا من الله ثم منك ان تكتب لنا أيضا ما يحتاج فيه الى التنبيه ، وبه تلميذك ، مرتجي غفران مولاه : عبد ربه محمد بن عبد الله بن علي ، من (هوت ايكدمان) الغساني وفقه الله»

جواب الحضيكي

«وعليكم السلام والرحمة والبركة ، أما بعد : اكرمنا الله واياكم بما فيه رضا ، وكفانا واياكم شر نفوسنا ، وهم الدارين ، وختم لنا جميعا بما ختم به للشهداء . بجاه سيد الشهداء والانبياء صل الله عليه وسلم وعليهم اجمعين ، فهنيئا لمن اتبع اوامر ربه ، وخالف هواه ، وقد نهى الشارع صل

سيدي

الحسن بن مبارك التاوييتي

نحو : ١٣٢١ هـ = حـ

= * =

هذا هو صنو المتقدم واصغر منه بكثير ، وقد اتصل ايضا بالدرسة (الالغية) بعد : ١٣٤٢ هـ ، وهو من الرعيل الاخير الذي كان فيها آخر حياة استاذها علي بن عبدالله ، فاكب وحصل واجتهد ، وشارك في الفنون كلها مشاركة متوسطة ، لم يدرك فيها صنوه المتقدم ، بهذا وصفه لي عبدالله ابن العم ، والاستاذ سيدي الطاهر بن علي . ولكن ابن العم زاد علي هذا انه بعد ان فارق المدرسة التي مكث فيها نحو ست سنوات ، وهو كما تبجح في وسط الدور الثالث اعرض عن تنمية معلوماته ، وعن اتمام دراسته ، قال ما حصله الى الفضولة ، والاعراض آفة العلم ، وكل من لا ينق مما علمه فاندره بانه بعد حين سيكون منه افرغ من جوف الحمار ، كما يقولون

ولم اعرف أنا هذا السيد ، ولاوقفت له على اثر ، والمئة لابن العم الذي افادنا ترجمته ، وهو ما هو في نظراته الى الرجال ، لا يرفع احدا فوق مقامه وذكر انه اليوم في بلده ، وقلما يشارط ، وله ايضا اخ آخر ، اخذ من المدرسة (الالغية) لابس بما اخذه . ولكنه لم يتعال حتى يصل الدرجة التي تعتبر بها من مروا بتلك المدرسة

فهؤلاء من يستحقون الذكر من التاوييتيين ، ولندكر من الايكدمانيين امثالهم .

الله عليه وسلم عن الفرار من الوباء ، ولا يتقرب الى الله ورسوله بالتهنى عنه وكل من أمر بالفرار ، فقد أمر بمخالفة الشرع ، واعان الشيطان ، في ضلاله واضلاله . وليعلم العبد ان الجزع لا يفيد . بل يؤدي الى الهلاك ، باخلال صاحبه بالواجب عليه ، وتضييع العمر فيما لا يجدى من الاوهام التي هي كالهباء ، وانما عليه القيام بتكاليفه ، والسعى فيما يخلصه من ذنوبه ، قبل ان يوحذبه مستعدا للرحلة والقنوم على ربه ، وقد قدر الله الحركات والسكنات ، والاجل والارزاق والانفاس ، ولن تموت نفس حتى تستكمل اجلها ورزقها ، (ولن يوحى الله نفسا اذا جاء اجلها) ، ولا ملجأ ولا منجى الا الى الله ، ولا ينجو منه هارب ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، والرضا بقضاء الله واجب ، والايمان بالقدر واجب ، خيره وشره ، وهو الطاعة وبها امر الله به مثل الصبر عند نزول الوباء ، وقد دعا به صلى الله عليه وسلم لامته ، وهو أعلم بمصالحهم الدنيوية والاخرية : (النبي - اولي بالمؤمنين من أنفسهم) وهو ارحم بهم من أنفسهم ، وفي الحديث ، قال شرحبيل بن حسنة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الطاعون رحمة بكم ورحمة بنبئكم ، وموت الصالحين قبلكم ولا تتفرقوا عنه ، وأشار الى ما جاء في الحديث اللهم اجعل فناء امتي بالطعن والطاعون ، فرغب الشارع فيه ، وحض عليه فذلك فناء امته بالطعن والطاعون ، وانه موت الصالحين ، ودعا صحابة ان يموتوا به فماتوا به ، قال معاذ بن جبل . لما قاموا بالانكار على عمرو بن العاص اللهم اذكر معاذ فيمن ذكرت في هذه الرحمة ، وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم قال : انه شفاء ورحمة للمؤمنين ، ودعا به لهم ، ورغبهم في اغتنام الشهادة ، ونهاهم ان يفروا . وذلك ايضا تسلية لاهل موضع الوباء ، ولا شك ان الاجر على قدر الصبر ، والقيام بالوظائف الواجبة لا تنحصر ولا تعد ، ونهايك بالشهادة التي لا يعدلها شيء من الاجور ، وفضائلها كثيرة ، منها : انهم احياء عند ربهم يرزقون ياكلون ويشربون في الجنة . وانهم يغفر لهم كل ما اذنبوا الا ما هو حق ، وقد روى ان الله عز وجل يحمل عن الشهداء مظالم العباد ، ويجازيهم عنه ، وان يشفع في سبعين من اقاربه ، ويتزوج مثل ذلك من الخور وانه لا يفتن في قبره ، الى غير ذلك مما لا يحصى ، اللهم اختم لنا بما ختمت به للشهداء ، واجعلنا منهم يا ارحم الراحمين ، وحصولها بشروط مذكورة في الحديث ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : فليس من رجل يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرا محتسبا ، يعلم انه لا يصيبه الا ما كتب الله له ، الا كان له اجر شهيد ، بشرط ان لا يخرج من البلد ، وأن يكون قاصدا في اقامته ثواب الله تعالى ، راجيا صدق مواعده ، وان يعرف ان ما اصابه فهو بقدر الله ، وان صرف عنه فهو بقدر الله ، وان يعتمد على ربه في حالة محنته ومرضه ، غير متفجر به ، اي غير ساخط لقضاء الله ، فمن اتصف بهذه الاوصاف . فمات

فهو شهيد . وان لم يمت فله مثل اجر شهيد ، واما الفرار من الوباء على ما هو المفعول في هذه البلاد من التفرق في الشعاب ، وتضييع المأمورات في المرضي والموتى ، فحرام بالاجماع ، لا يحل ، ولا يقول احد من المسلمين باباحته . واما الاجر الموضوع فيه للصابر الماكث ، العارف ان ما يصيبه لا يخطئه ، وما يخطئه لا يصيبه ، معتمدا على الله تعالى في حالة الصحة والمرض ، فكثير لا يحصى ، منها : انه لا يسأل في القبر . ويامن من الفزع الاكبر ، وياكل ويشرب عاجلا في الجنة ويتزوج اثنتين وسبعين حورا ويشفع في مثل ذلك من اقاربه ، الى غير ذلك مما لا يعد ، والسلام ، والله الموفق للصواب ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . فحسبنا الله ونعم الوكيل

هذا هو الخطاب وجوابه ، ولولا هذه المخاطبة لما عرفنا تلميذ الحضبيكي هذا ، ويظهر ان له شهرة في بلده ، وقد رايت ان هناك اناسا يقتدون به ، ولاخاله الافقيها من الفقهاء الكثرين الذين اخذوا عن الحضبيكي ، ثم اعتنقوا طريقته ، وهو من قدماء تلاميذه ، ان صح ان هذا الوباء الذي سئل بسببه . هو ما وقع سنة : ١١٦٠ هـ اوفى سنة : ١١٦٤ هـ لانه وقع في هاتين السنتين معا ، ويظهر من عبارته انه وسط في ملكته العربية ، وهو على كل حال ، لم تبلغ شهرته - ان تجاوزت بلده - اذن الاستاذ عبد الرحمان الجشتي - الذي لم يذكره في الذين ذكرهم من اصحاب الحضبيكي ، ثم ان لم يكف من فائدة ذكره الاظهار هذه الاثر لكفى ، فانه مما يدل على بعض ما للحضبيكي من علامة ذلك العصر ، وصالحه والمتبوع فيه . من الورع والتضحية بنفسه في الباع السنة رحمه الله ورضي عنه

أوبركا الايكدماني الايغشاني

من أهل القرن الثاني عشر

= * =

كانت رئاسة القبيلة الايغشانية قبل ان تنتقل الى الجندود الاخيرين لبها
الايكليسي المتقدم ، في قرية (اكى ايكدمان) وكان المعروف منها صاحب الترجمة
الذي لانعرف عنه الا بعض نتف مما يتداول عند الناس في اسماءهم .

قالوا : ان أمنار أوبركا كان مغوارا مسعر حرب ، جمع قبضة كله على
هذه القبيلة بعد اليعقوبيين ، ثم ثارت بينه وبين القبيلة عداوة متمكنة ، أدت
الى أن مال عليه أناس منهم ، يوم عيد الاضحى أوفطر ، وقد اجتمع أهل القرية
في المصل ، فاختلف هؤلاء الناس الى ديارهم ، ثم بواسطتها تمكنوا من أمنار أوبركا
وثلاثة من اولاده وبنت من بناته ، فذهبوا الجميع ، فالتهموا دياره وديار اصحابه
اجمعين ، قالوا : فمن ذلك اليوم جرت العادة من الايكدمانيين انهم في كل يوم
أضحى وفطر ينقسمون فرقتين : فرقة الى المصل ، وفرقة في اثناء الديار تبقى
حارسه ، ثم دامت هذه العادة من ذلك القرن ، الى زمن الاحتلال اخر سنة :
١٣٥٢ هـ هذا ما سمعته من أناس ، وذلك كله مجمل كما ترى

ذكر لي بعضهم ان دار أمنار أوبركا لا تزال ، وان غلقا لبيت له مشهور
لا يزال محافظا عليه الى اليوم ، محافظة اصحاب المتاحف على ما فيها من الآثار
واخبرني ايضا بعض من يعتنى بالاخبار من طلبة تلك القبيلة انه يحزر انه
قتل في أوائل العقد السابع ، من القرن الثاني عشر ، والله اعلم

الاستاذ سيدى على بن همو الايكدماني

قبل : ١٢٩٠ هـ = بعد : ١٣٦٥ هـ

= * =

هذا هو استاذ سيدى المحفوظ ، وسيدى محمد بن أحمد والاديب سيدى
أحمد بن الحسن الديانيين ، وكذلك اخذ عنه الاستاذ سيدى بلقاسم بن محمد
السليمانى المتقدم ، كما اخذ عنه كثيرون غيرهم ، وهو استاذ مجد في تعليم
كتاب الله ، فكان بذلك خير الناس . وفي حديث : (خيركم من تعلم القرآن
وعلمه) ولا يزال حيا الى الان ١٣٥٨ هـ وانما ذكرناه من بين كثيرين من الاساتذة
القرائيين الايغشانيين ، لانه استاذ من اساتذة الالفين فكان بذلك على شرطنا
لأننا التزمنا ان نذكر كبارهم بقدر الامكان

ولما ولد أحمد نجل ولد للمترجم اسمه محمد في : ١٨ - ٥ - ١٣٦٠ هـ
خاطبه الاديب تلميذه أحمد البنائي بقوله :

هل الهلال قطاب القلب وانشرح
ذاك الوليد النجيب البر من زهرت
يا شيخ ياسيدى ليهنك الولد الـ
ذاك وليد نجيب نجل سيدنا
يدب في المجد والعلية تكفله
ممتعا منعما بالوالدين وبالـ
الى ان قال :

يا شيخ يا سيدى على يا ندسا
ربيت ادبت علمت فكم متن
الى ان قال :

الله يجزيك افضل الجزا وحبا
ثم السلام على عليك ما لمست
وما تبلج صبح من سناك وما
ك الخير من عنده يا حلة الفخر
ريح الصبا سحرا كمائم الزهر
تلالا النور من شمس ومن قمر

عبد الله بن محمد الايكدماني الايغشاني

نحو: ١٣١٠ هـ = حـ

= * =

نسبه :

عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن محمد - فتخافيهما - وينتهي النسب الى سيد يسمى الحبيب عليه مشهد يزار في القرية

هذا أحد العلماء الافذاذ تحصيلا وورعا وعبادة ومنشئا طبيا مصونا . يذكر منذ صغره بالتصون والعفاف الى الان . وهو يدب الى السبعين . وقد كنت جمعت له ترجمة بقلمى . ثم كتبت اليه ليوافيني بكل ما امكن عن اهله وعن نفسه فكان من فضل الله علي ان اعتنى برسالتى فاجاب غاية الجواب . ومما كتبه اليه في اول الرسالة :

سلاما كنفع الورد من خفل الروض
ارى لك ما بينى وبينك وحدة
فياليت شعري هل يحم لقينا
عسى رحمة من فضل ربك ينقضى
فاتانى الجواب هكذا :

سلام يجوب الكون طولا على عرض
على السيد المختار مختار عصره
صدود عزوف عن قدازيف تتقى (١)
تملك اشتات المعالي ورائة
فداه بنو الاداب مما يشينه
يقضى تحيات النوافل والغرض
بما اختار من شان الصيانة للعرض
يصد ويخشى دائما محن العرض
تملك مولى بالعصوبة والغرض
وفداهم جما غفيرا بنو الارض

سيدى ومسولاي ، وفخار دهرى وانس محياى ، امدك الله بامداد التوفيق وسلك بنا وبك مسلك اهل التحقيق . وتولى جنابك بحسن عنايته ورعايته . وكفالاته وحياطته ، ان كتابك الكريم . وخطابك الشهي السليم . وصلنى فجدد الافراح ، وازاح الاتراح ، واشتمل على مطالب . فلم يسعنى الامتثال امره والسارعة في اثره ، لكن منعنى من تلك العجلة ما اوجب بطئا في الجواب . من اعذار يعلمها الكريم الوهاب . منها صداع ملازم يمنعنى غالبا من جل اشتغالى

(١) القذروف كزنبور : العيب

فاما وفاة الوالد والجد بالفيض . فالوالد توفى في ثالث ربيع النبوى عام ١٣٤٣ هـ بعد صلاة ظهر ذلك اليوم . وكان يوم الجمعة قيده في ذلك العام بيدى واخبرنى اخى الثقة الفقير احمد : انه مرض قبل ذلك مرضا مخوفا فاوصاه بما فى نفسه . وقال له ارى ان وفاتى في هذا المرض . فان سنى اليوم على سن والدى . وكان والدى يعنى سيدى عليا عاش اربعا وثمانين عاما . وقد استكملتها اليوم . ثم تأخرت وفاة والدى عن هذا المرض والوصية عاما وافيا . فيكون عمره ٨٥ عاما فاقتضى هذا ان تكون ولادته فى السابع والخمسين بعد المائتين والالف . وكان رحمه الله محبا لتلاوة القرآن يقطع ما بين الظهر والاصفرار في تلاوة القرآن فى المصحف . ويقوم فى الثلث الاخير من الليل ، يصلى ويتلو القرآن . الى ان يصل الصبح . فان كان له شغل مهم قام اليه . وان لم يكن بقى فى محله الى الضحى . هذه حالته منذ عقلت . وكنت قرأت عليه الحروف والهجا والاربعة الاحزاب (سبح) وما بعده . ثم رددنى الى امام المسجد سيدى علي بن همام المخرج زهاء خمسين كلهم اتقنوا القرآن بقراءة نافع ، فلازمته حتى ختمت سبع ختمات والحمد لله . وكان الوالد رحمه الله سالم الحواس كلها حتى قبض . وكان يصوم مع الوالدة شهرى رجب وشوال حتى قبضا ، وكان باعه فى الفقه أطول منه فى غيره من الفنون ، يذكر لى انه حفظ مجموع الشيخ الاميرقى (قم اكستيم) وترك نسخة منه قررها بيده تقريراً يضاح ، لايبحث ولازيادة ولاعزو ، ولا تزال ، ولما كنت فى (تامصلوحت) بالشرط والسكنى ارسل الى مصحفه الذى يقرأ فيه مع ذلك الديوان . وسفرا آخر مع رسالة يقول فيها هذه هديتى اليك . وقد ربيت عنك رضى الله عنك حين اشتغلت بتعليم ما علمك الله . فاوصيك ان لا تشرك التعليم ما استطعت ، جعلك الله عينا يستقى بك الخاص والعام . مع وصايا اخرى . فادهشتنى تلك الوصايا وفزعت الى زيارته فكنيت عنده ٢٢ يوما . ففرح بذلك ، ولما خرجت من الدار للسفر الى (تامصلوحت) شيعنى الى خارج البلد وودعنى . وقال اعيتت اعيتت . وعند الاعياء يقبض الانسان . فلما وصلت (تامصلوحت) وصلنى نعيه ، فرجعت الى بلدى . وكان يقول لى عليك بالفقه ولو رفعت المجرور . فبالفقه يعبد الرحمن ، وبه يعرف الحلال والحرام . وكان يقول لى اوصانى والدى بقوله ان الفواحش ما بينها وبين الانسان الا درجة واحدة . متى رفع رجله اليه لم يبال بعدها بآى عظمة .

واما الجد سيدى علي بن محمد - فتخا - فقد أرخ الوالد موته . فقال توفى والدى السيد علي بن محمد وقت الظهر من يوم الجمعة الخامس عشر من ذى الحجة الحرام عام ١٣٠٢ هـ وكانت وفاة الجد وهو يخدم فى ارض له فجأة ، وكان تعناده ذات الجنب ، وهى السبب فى موته وموت الوالد رحمة

الله عليهما . وكان الوالد يقول هذا المرض هو السبب في موت ابي ، وفي موت اخي سيدي عبلا بن علي . وهو ايضا سببي . فكان الامر كما قال . غير ان والدي بدا فيه ذلك المفص والانحصار يوم الاربعاء فلم يبيل ولم يتنفس الى ان صلى الظهر بايمه . واجد سيدي على رايت له بيلدنا حكمين ابرمهما احدهما في ابطال صدقة بعدم حيازة التصديق عليه . والثاني في منع اخي الام من الميراث ، مستندلا فيهما بكلام ابن ابي زيد في الرسالة . ووثائقهما كثيرة جدا في البلد .

اما الجد سيدي محمد بن محمد - فتحا منهما - فكان الشيوخ الطاعنون في السن بيلدنا يذكرون انه كان يهرب من المكتب . ويوثقه والده حتى يرده الى الكتاب . فسمع يوما معلم الصبيان . يمل على بعضهم (اتريدون ان تهدوا من اصل الله) فاقف ولده وحل الوثاق من يديه . فقال له سر في حال سبيلك . لا اراك ابدا . وبعد حين جاءه ولده بفلوس . وقال له ما هذا ؟ فقال هذه ستون مثقالا . فقال له والده انك لا تقويتني بستين مثقالا . فلو اتيتني بستين حزبا لقبلتها . فذهب عنه فلم يعلم احد بخبره حتى رجع حافظا للقرآن .

ورابت بخط الجد سيدي محمد بن محمد تقييد موتى الوباءين الاول والثاني على هذه الكيفية في يوم الاحد مات فلان او فلانة او الفلاني ، ثم فلان ثم فلان ، وفي ليلة الاثنين فلان الفلاني ثم فلانة . الى اخر من ماتوا فارح ابتداء المرض وفتوره وانقطاعه يوما فيوما في كاغد كبير . هذا ما حضرني عنهما والناس يعرفون فخذنا باولاد سيدي همو من (اكني ايكدمان) . اما ابتداءي انا الى انتهاءي فاني تعلمت الهجاء في حجر والدي ، ثم بعد الاربعة الاحزاب الاولى دفعني الى ابن ولد عمي سيدي علي بن محمد - فتحا - بن احمد بن محمد - فتحا - التقى معه في محمد هذا ، وعلمني القراءة والخط ، واتقنت عليه القراءة بقراءة نافع . ثم دفعني الوالد الى سيدي العربي الساموكني . وذلك اول عام ١٣٢٤ هـ في مدرسة (غشانة) رحمهما الله . فوكلني الى سيدي محمد ابن علي الفقيه الالغي . فأقراني الاجرومية والجمال والزواوي ولامية الافعال والمرشد المعين . ثم افتتحت الرسالة في باب الصيام الى اخرها والالفية من اولها الى نون التوكيد عند السيد العربي الاستاذ نفسه . ثم انتقلت الى (اداي) عند العلامة سيدي عبد الله بن محمد الالغي ، فقرأت عليه المختصر من اوله الى الزكاة مع حفظ اوله الى فرائض الصلاة . ومقصورة ابن دريد تفهما وحفظا . والافية الجياني ، من النائب عن الفاعل الى التوكيد . والثلاث المقامات الاولى مع الخطبة ، وفارقته من غير وداع لامر اقتضى ذلك . ثم لقيني بعد عام في موسم سيدي احمد بن موسى فرحب بي ، ودعاني ، وسامحتني ونصحتني وودعني لله بعدما سألني عن حالي فاخبرته بانني عند سيدي عبلا بن احمد

السملالي في (مبرات) لم كنت في (مبرات) عند هذا السيد ، فقرأت ارجوزة الزواوي ومبنيات اباراغ والالفية ، والرسالة ، ولامية الافعال ، والمختصر الى الاثنته . وبعض الميراث ، وبعض الحساب ، وقراءات عليه برودة المديح مع الهمزية .

ثم انتقلت عنه الى سيدي مزال بن هارون في (ايت ايلوكان) عند سيدي علي بن عبد الله الكوسالي تلميذ سيدي محمد بن عيو ، فقرأت عليه جل المختصر من الجمعة الى السلم . والبردة والهمزية والالفية كلها ، وبعض السلم ، وبعض ارجوزة ابن عاصم . ثم انتقلت عنه بعد رجوع مولاي احمد الهيبه من مراکش الى (ناكوشة) وفيها العلامة أبو العباس الاقاريضي . فلما دخلت على استاذها الكبير . ومدرستها الشهير . وجدته اوحد زمانه حفظا وحلما وزهدا وعزما واطفا بالمتعلمين ، وصبرا على مكابدة التعليم وتجملا لجفاء الخلق . كان يجلس في مصلاة الغداة الى طلوع الشمس . فيدخل لمجلس التدريس . فيدور عليه ١١ او ١٢ درسا اولها التفسير واورها جمع الجوامع مع الاصفرار

ولما دخلت عليه نظر الى نظرة اختطفت لبي . واثرت الهيبه في قلبي فلا يزالني بعد ذلك جلاله . ولا يغيب عني جماله . فسألني عن مرادى . فذكرت القراءة . ثم سألني عن اسمي وبلدي فشرحت له ذلك . وعن سابق قراءتي فاعلمته . فقال لا يليق بك الا الثببات والرسوخ . ان اردت لنفسك النجاح . فكنث عنده ثلاث سنين . وختمت عنده الالفية مرتين . والمختصر الى الاجازة . والمقامات والمرشد المعين . ولامية الافعال ، وبانت سعاد والدالية لليوسي . ولامية ابن الوردي والميراث والحساب ، والحمدونية في المروفي والقوافي ، والسلم ، والتلخيص الى الحقيقة والمجاز . والتسهيل الى الموصول والبردة والهمزية ومقصورة ابن دريد وارجوزة ابن كيران في المجاز والاستعارات وفي العام الثالث فضلت له ساعة يفرغ فيها قبل الظهر في الايام الطوال فأمرني ان اتعلم عليه سرد الحديث لاتمرن عليه ، فسردت عليه ربع البخاري في نحو شهرين ، فدار الزمان متنكرا واصبح كل ما من معنا لشانه متفكرا واستولى الحل على البلاد ، ونقد النشب والتلاد . فراودت الشيخ على تزويدي بالدعاء ، فتشافل اياما حتى قلت له اني ساخرج بلا وداع ، فودعني فخرجنا من عنده ونحن اربعة نحمل زادنا على عواتقنا الى مراکش . ولانجد مانا كل من غير زادنا . وقد اخذنا رسالة الى سيدي محمد بن الحاج الافراني وهو اذذاك فقيه الشيعي التيسوتي فرحب بنا وادخلنا الى محله وسقانا الاتاي وحده وقال ان الشيخ لا يطعم الطعام . ولا يزيد على شرح تلك الازمة التي ازعجتنا ونحتنا عن ذلك الشيخ ، ونلقى الرفاق يكتالون من مراکش ، لا ينقطع الطريق من الصباح الى المساء ، وكنا نسألهم عن سوم الشعر . فيقولون مائة مثقال . فلما دخلنا مراکش وجدنا الشعر انتقل الى مائتي مثقال للخروبة المراكشية

واما دخلنا مراکش كنت في دكان التجارة اشهرًا • ثم بدال فدخلت المدرسة اليوسفية • فوجدت الطلبة اذ ذاك اقل من خمسين • والخبزة سبعون خبزة • فقرأت على سيدي أبي شعيب الشاوي الالفية من المفعول المطلق الى افعال التفضيل • والمختصر من الزكاة الى الجهاد • وعلى سيدي احمد بن المحجوب بعض الخلاصة • فعدا على افلاسي • وقلة المواسي • فخرجت الى دكالة في بلد بني يخلف • فشارطت على اولاد الفقيه ابن الصجراوي بـ ١٦ ريالة حسنية اقرى القراء لثلاثة اولاد لهم • فوجدت طلبة دكالة يحفظون المختصر • ويقرؤونه كما نقرأ سور القرآن • فتصاغرنا الى نفسي كيف لا احفظ مثل حفظ هؤلاء • فكنت آخذ النسخة المطبوعة الفاسية فأقرأ فيها وجهها • حتى احفظه في يوم او يومين • فلم يدر على الحول حتى حفظت نصف المختصر • واقرأه ليلا ونهارا • وحين خروجي للرياضة خارج المسجد • فلما اتممت العام • ودعت اولئك الناس • ورجعت لصلة رجلي في البلد • لانني اشتاق الى اهل • فلما وصلت ذلك الشيخ الصوابي • وكان في (تاهالا) في طريقى الى داري • دخلت عليه فرحب بي وفرح وقال (وحبيب آتى بلا ميعاد) وبنت عنده • فلما أصبحت ودعني الى داري • وقال لا تبق في الدار ازيد من اسبوع وحي لقرائك • فامتلئت ورجعت اليه • فوجدتهم في باب الاجارة من المختصر • وبقيت حتى ختمناه • ومع ذلك الخلاصة والمقامات والجواهر المكنون والحمدونية في العروض والقوافي • ولامية سيدي احمد بن سليمان الرسهوكي في العروض والحكم لابن عطاء الله والتفسير • ولما دخل رمضان ولم يكن عنده من يرضاه لسرد الحديث ترك تلك الانصبة كلها واقبل على بكليته يمرننى على الحديث فقرأت عليه البخارى ومسلما والموطا بالتمام • ولا يكلم احدا • ولا يجيب سائلا • ولا يذكر ورذا فيما اعلم • الا ان يكون وقت نومي واذا سألته عن معنى لفظة فسرهما بكلمة او كلمتين • وهكذا حتى فرغ رمضان • ونحن على تلك الحال • واهل (تاهالا) وغيرهم يهابونه • ولا يجروون على مراجعته اذا راوه مقبلا على ثم بعد سابع العيد عيد رمضان رجعت الى تلك (المدرسة) فتذلت للشيخ وشكوت اليه خصاصتى وقلة ذات يدي • ليسرحتني الى مراکش • فكان لا يجيبني بشيء • وفي كل يوم ادخل عليه فاسال منه الدعاء فيمده لي نسخة الشفاء وياخذ في يده شرحا للشفاء الفه بعض العلماء الجشتيميين • بخط متين صحيح • ويقول اقرا حتى اكملناها فدعالي • ولما قبلت يده مودعا • قال لي يا هذا انما ارسلتك للقراءة • فلا تحدث نفسك بغيرها ماحييت • فدخلت مراکش ووجدت الفقيه السيد المدني الاكلوي مضى على موته شهر او شهران • فبقيت في مراکش ادور نحو شهر • ثم دخلت المدرسة اليوسفية ثانيا • بنية الاستقرار ايضا للاخذ • فقرأت على المرحوم بالله سيدي الحاج العربي الرحمانى المختصر من الجهاد الى البيوع • وكنت اجلس وراء الصف لان الصف استدار وانغلق قبل التحاقى به (والعادة ان كل من

سبق الى محل من اول يوم فانه يستحقه والها) فالتجنى تحفيقه وايضا حبه • وقلت فيه ابيانا ذهبت عن حطلي • الا نحو ستاتي فمكنتها له • فلما أصبح في الغد ورجع الى مجلسه • وجدني في محل وراء الصف • وكان جل اهل الصف مراكشيين • فقال لهم وسعوا للفقيه السوسي وعظموه • فانه فقيه مشارك • وكان دائما يلحظني بعدها • ولم يكن في الصف من يكلمه الا انا وذات يوم ونحن في الانكحة سمعته يقول مرارا صدقات بفتح الدال وانا لاملك ولوا الصباح فضلا عن غيره • فقلت له نعم ياسيدي (واتوا النساء صدقاتهن نحلة) فضحك الى وقال الله يرضى عنك يا فقيه • قال في القاموس صدق كسما • وصدق ككتاب وصدق كغراب وصدق كفلس وصدق كسجدة • وصدق كقصبة فعلى هذا قل صدقات ولا عليك • وفي يوم آخر اكثر يكرر كسوة بالضم فقلت (وكسوتهم) بالكسر في القرآن فقال نص في القاموس على ان الكسوة بالضم والكسر ما يلبس فعلى هذا الضم هو الافصح (اقول : ان مثل الخطوة يجوز فيه تليث الفاء) وقرأت على الفقيه ابن الحسن الصغير الدباج من جوهرة اللقاني • في التوحيد وعلى سيدي الحاج احمد الزعراوى منظومة السلم في المنطق • وعلى مولاي احمد العلمي جمع الجوامع الى الكتاب الرابع منه غير أنه فاتنى شيء قليل من اوله • وقرأت التلخيص الى (الفصل والوصل) على الفقيه ابن الحسن الكبير وهو القاضي • امشى الى المسجد في (ازبزي) قرب داره فيخرج اليها ونحن خمسة • وعلى الموقت موقت فريح الشيخ سيدي ابي العباس الفقيه ابن شقرون منظومة المقنع مع جل (روضة الازهار) وقليل من رسالة المارديني في التوقيت • ولم استكمل العام في المدرسة • فخرجت الى بلد (مسيوة) فشارطت في مسجد يسمى مدشرة (اغريس) فاقمت فيه هاما ثم دخلت مراکش • فتزوجت فكنت اخيط الكتان • وبعد حين ورد على كتاب من الشيخ الصوابي يوصيني ان لا تزوج الا بعد مشاورة الوالدين • ليسعج الارب • ولم اكن ارسل اليه ولا الى الوالدين لاستيلاء الغفلة على • ثم بعده وصلني خبر الوالد • وقد اخبر خبري يزجرني على تركي للتعليم • ففي اليوم الذي قبضت فيه رسالة الوالد ذهبت الى القاضي مولاي احمد السوسي مخاطبا له شعرا لم يبق في خاطري منه شيء • وضمنت تلك الرقعة سؤاله ان يوجهني الى مدرسة (تامصلوحت) فلما قرأها ضحك حتى سالت دموعه وحمد الله وقال أتدرى مم ضحكى ؟ انما هو من شانك وشان اهل (تامصلوحت) • فهذه ستة اشهر وهم يطالبونني بطالب يعمر مدرسة مولاي عبلا بن حسين • فلم اجد من يوافقهم • فالان أنت توافقهم • لانهم سماويون وانت ارضي وكتيبل اليهم • فلما وصلت مدرستهم استعجلوني للقراءة ولم يمهلوني ولوليلة واحدة وارى ذلك تحب نية فيهم • فشرعت في القراءة تلك الليلة الاولى بعد قراءة حزب المقرب • وغالب الحاضرين اميون • فذكرت احكام البسملة بعضها وبعض فسالها • وما قيل من انها من الفاتحة ومن كل سورة الى اخر ما يقال

عادة في ذلك ثم لما ختمنا المجلس نادى اولئك الشيوخ الاميون : الله يرحم من اقرأك ، فاستبشر الشرفاء يقولون كذا من فقيه اقرأ في هذا المجلس ولم يكن فيهم من ذكر البسملة ، ولا بعض ما فيها . ثم لما وصلنا الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت بعض فضائل اهل البيت ، فامتلا اولئك الملا الشرفاء سرورا . وكادوا يطرون حبورا . فقرأنا عندهم ابن عاشر ولما دخل ربيع النبوي شرعنا نشرح الهمزية ، ولا يحضرني فيها الا ما طالعت في شرح بنيس فلما كنا في محفل التعيد في بعض الدور . تكلم طالب من وسط الناس وقال يحق عليك ان تكمل الهمزية على هذا الشرح ، فان حد سماعنا منها في كل عام (واذا سخر الاله اناسا) ففعلت واتمناها بفضل الله (اذا اراد ان يظهر فضله عليك خلق ونسب اليك) ثم اتممنا المرشد المعين ، وشرعنا في رسالة القيرواني نقرأ فيها ما تيسر ، ثم مع تمام السنة وصلني رجال من غسان برسالة من الوالد مع الديوان اليوسفي (١) . وسفر آخر ومصطفه الذي فيه القرآن وفي الرسالة التي ارسلها وصايا افزعنتي وازعجتني الى زيارته منها انه قال فيها اوصيك متى توفاني الله فلا تبع شيئا مما اورثك الله مني . ولا تهبه ولا تصدق به ، ولا تفوته بوجه من التفويت ، فتكون من العاقين . وقد ورد ان العاق لا يروح ربح الجنة . وان ربحها ليوحد من مسيرة خمسمائة عام . فانزعجت فاسترضيت امين المدرسة القائم بها ، ليوافق على صلة الرحم فرضى فذهبت فوجدت الوالد بخير . وكنت عنده ازيد من ٢٠ يوما ، فسألته ان يودعني فشيئني الى خارج البلد . وقال اعيتت اعيتت وعند الاعياء يقبض الانسان فلما وصلت (تامصلوحت) وصلني نعيه . فكررت راجعا . وسرحت تلك المرأة وكان لي معها ولد وبنت استاثر الله بهما . فاقمت في البلدة كاني فيها غريب لولان الوالدة رحمها الله تونسنى وتمثيني وقد اقامت فيها سنة . وبعدها ، وكنت في مسجد سنين اعلم الصبيان وفي تلك السنين لا اكتب لاحد وثيقة الرهن ، ولا بيع اوراق البنك بالنسيئة ، ففضي لي ان خرجت من ذلك المسجد ، ولازمت داري لاجد شرطا يوافقني ، لان الناس لا يقبلون طالبا يتمتع من كتب ما يريدون فبقيت في داري نحو عام . ثم ارسل الى الشيخ الصوابي فوصلته فراودني ان اقيم عنده ، حتى ياتي الله بما يرضى لنا من شرط بعض المساجد او المدارس . فاقمت عنده عاما اكل واشرب . واكرر للطلبة دروسهم فقرات عليه تحفة ابن عاصم والمنهج ، وتكميل المنهج ولما دار رمضان قطع الانصبة كما هو عادته ، فاقبل بي على سرد الحديث (البخاري) نهارا (الموطا) ليلا . حين نشرب الاتاي . ففرغنا منهما لعشرين ليلة . ثم شرعنا في (مسلم) ففرغنا منه واتبعناه بـ (الشفا) واتمناه في ليلة العيد .

(١) يعنى ديوان ابن الاحمر المطبوع اخيرا في تطوان فمن عند هذا الاستاذ اكتشف

واعطاني قميصه الذي يلبسه ، وقال هكذا فعل بي سيدي الحاج احمد الجشتي ولما خرج رمضان والعواشر آله كتاب من فقيه (مدرسة ابي مروان) سيدي محمد كودرار يطلب منه ان يوجهني اليه فاراني الكتاب وقال اري ان تصبر حتى تكون مدرسة تستقل فيها بنفسك ، ولا اري لك ان تكون تحت يد الغير فاجبته بان كونى تحت يد الغير احب الى من الاستبداد لاني لا اعرف مكاييد العوام . ولا اقوى على مداراتهم فضحك وقال نعم هذا السيد يكفيك كل عناء دنيوى . وانت اقبل على التعليم ، فلما دخلت المدرسة (المروانية) وجدتها لا يقيم فيها الصف . ولا يتلى فيها الحزب الا في المغرب . فكنت فيها ٢٤ عاما والحمد لله على ستره الجميل وفضله الشامل . ولما رجعنا من ملاقة مولانا الملك نصره الله بدا لي ان ابقي في داري . فلم يتفق لي . ولم يرد الله ذلك ، فشارطت في (مدرسة ايفشان) الان

هذا منتهى ترجمتى ، اما اجازات الاشياخ فلم اتحل منها بحلية . ولا كانت نفسي قط تنوق الى تلك المنية وما كنت ارفع راسا ان اكون عالما ولا فقيها ولا مدرسا ، ولشان نفسي اصغر عندي من ذلك . ولولا الالتجاء مادرت درسا واحدا . ولكن كان ذلك في الكتاب مسطورا . ومن أدرك وعرف اولئك العلماء لا يحدث نفسه ان يلتحق بنجوم السماء . ولما كنت في المدرسة المروانية كنت احمل الطلبة على سرد البخارى واكماله في رمضان ، فكل من سمع بنا يطعن فينا . ويقول لافائدة في هذا السرد . وينهى الى الطلبة مطالاة اولئك الطاعنين . فاتاح الله الى طالبا سماليا يجول . وفي يده رحلة ابن بطوطة ، ولم ارها قبل ذلك . فاخذت الكتاب وفتحته . فنظرت في وسطه لترجمة جامع دمشق وغيره من الجوامع ، يقول مؤلف الرحلة قرأت صحيح البخارى كله على شيخ ذلك الجامع في اربعة عشر مجلسا ، فحمدت الله وترجمت على ذلك الشيخ وعلى شيخى الصوابي ، وكلما دخلت على شيخى الصوابي للزيارة يسألني عن قراءتنا فاشرح قضيتها وكثيرا ما يقول لي

قليل منك يكفيبنى ولكن قليلك لا يقال له قليل

اما شعري فما كنت ابيض له ابدا . وما اراه الا ثقتات مصدور ، غير انه علق بقلبي منه أبيات في أول قصيدة قلتها في مراکش مدحا للسيد الحاج محمد النظيفي رحمه الله :

الاطف بكعبة المعالي وسلم	وركن الهدى جزما هنالك يعم
واحرم بميقات الفنا واخلع المرأ	فليس سوى الاخلاص يرضى لحرم
وقف بعد ذاك للسوداع وغلسن	ركاب المنى نحو لمار المعظم
امام له في المكرمات معالم	متى ما يسهمها الوهم يخسا ويسام
معالم لو تكسى النجوم سناها	لما اعتاد نهج النفس راي متجم
ولو نال من ذاك السنا ما اختفى السها	او البدر لم يمتح معافا ويضمم

فذلك مولانا النظيف من له
ومنها : براهين مجد الفحمت كل مخصم

سل الخافقين ان نبا عن كماله بنات الدجى فالحق ابلج مبهم
اذا نكبة جنت جلاها بهمة كما كشف الاصباح اذبال مظلم
ومما علق بخاطري مما قلت في السيد الحاج العربي الرحمانى :

روح المشوق برا ح الشوق سكران والقلب مهما صحا فالوجد ندمان
مازال يسقى رحيق الشوق وهو على مافيه من شغف ريان ظمآن
الى ان قلت :

ابو المواهب للرحمان نسبه في رمزها للعلا قد قام برهان
وبعد آيات :

يارب حورا عن الافكار تحجبها من الخفاء جلا بيت وتيجان
سما اليها وسامها ممنة كشف الحجاب واضى القوم هجران
خاتمتها :

تداد عن سوحك الاتراح دائرة عليك من قهوة الافراح كيزان
وهى تنيف على العشرين بيتا

ولما آتمنا عنده الربع الثانى من المختصر استدعى الطلبة لمحلته ليكرمهم
ونهاهم ان يتكلموا شيئا قلت ٨ آيات اولها :

اليك تناهى المجد وانتسب الفخر وفيك انطوت كل المآثر يابدر
وفيك معان لا يكاد لوصفها اذا لم ينل من سرها يهتدى الفكر
الى ان قلت :

كفاك من العلية اثواب سودد سما بك منها بعد طيتها النشر
وكننت خاطبت شيخى الصوابى باربعة آيات نسيته فاملى على خمسة تلقيتها
هذا مابقى فى حفظى منها .

طائر اليمن عن دوام السجال دمت فى نعمة بحسن المثال
نجم سعدك طالع فى بروج من كمال مشيدة بمعال
صانه الله من محاق ومحو لنمو الى بلوغ كمال

وزارنى فى المدرسة (الروانية) سيدى عبد الله بن مسعود التيبوتى الالفى
فخاطبني بهؤلاء الآيات :

على السيد الفقيه نجل محمد حبيب قلوب الناس اذكى سلام

وبعد فانى ذو اشتياق اليكم
ايا سيدا قد حار علما وسوددا
ادامكم الرحمان ياخير سيد
بجاه رسول الله افضل مرسل

وكتبت الى طلبة (تارسواط) الذين يقرءون بفاس ايقاظا لهمهم وتلويحا
لغمهم وذلك اثناء الحرب الكبرى الثانية :

سلام كريم كوصل الحبيب بعيد الصدود لمضنى كتيب
على سادة شاوهم فى العلا يقصر دونه هم الاريب
سما بهم المجد فوق السها وساموا الفخار برأى مصيب
أهانوا النفوس لحفظ الطرو س بين الدروس لمعنى عجيب
وعافوا الرقاد وعانوا السها د لغنم الرشاد ونعم النصيب
وطاروا اشتياقا قطابوا اعتناقا لحوار المعانى برغم الرقيب
أجابوا ارتياحا نداء الهدى على حين نادى فقل المجيب
هم السادة الغر فى قطرنا فحسبك من كل خرق حسيب
بنوا لشم من كل محتسب وكل عفيف عيوف نسيب
بدور الدجا وشموس الهدى خلوف بفاس حموا من مفيب

وكنا يومامع طلبة العلم من سمالة فى مجمع ، فاقترحوا ان يقول كل على
قدر وسعه فى ذلك ، ونحن فى دار الشيخ رشيد الغروسي . فنهيا لى ان قلت :

طوبى لهم خلق الكمال جماله عفوا عليهم والجمال كماله
خلعوا الخلاعة ما ارتضوها حلية وكساهم الدين التين جلاله
ضحك الزمان اليهم فترشفوا لاغاض من صفو الهناء زلاله
طوبى لهم مال الرشاد حباهم خلق الرشيد طباعه وخالله
ماشيت من بشر يروق ومن ندى ينسيك شهرة حاتم ونواله
وعفاف نفس للفضائل انشئت ووقار حلم لايزايل خاله
ومناقب أرغمن كل معاند اذ فاتهم من حرها ما ناله

وكتبت فى صدر رسالة لبعض طلبة أملن وهو الاديب محمد بن اسحق :

كتاب سلام الحب جاءت به الرسل فحيا واحيا ما اتتنا به الرسل
كتاب حوى معنى البلاغة والهوى على حال ذاتنا المودة والفضل
لئن كان سلوان فللهجر والنوى فبعد انصرام الهجر لاكان من يساو
ا اسلو ومن اهوى من الناس فضله صحيح فلا يعرفه قطع ولا عضل
همام على هام الكواكب رفعة على الطوع للعليا منازل تعلقو
لئن كان من اسحق وهو محمد فقدطاب من ذا الفضل ذبالك الاصل

وكتب الى بعض الاملاى آياتا لم تبق فى يدى ولا حفظى ، يستعير منى

(ريحانة الالباء) فجاد الخاطر الكليل بما هذا نصه :

وافقت تنافى نجيا بالتحديات
ناشئة انشئت من فكرة جمعت
اراحت الفكر من هم ومن كدر
وافقت تحاول في دل وفي خفر
حققت شفاعتها لآخاب ذو ادب

وانشأت لمن استعاد منى سفرا من الد سوقى

يا نخبه الاخوان والا
انت المجلى والمفـ
هاك الكتاب فوازن الا
نعم الكتاب لمن يغو
ابدا يريك محاسنا
بناء من ابنا الزمان
لدى بين فرسان الرهان
فكار فيه مع الجنان
ص على جواهره الحسان
حتى تشاهد بالعيان

ولما رجع مولانا الملك من غيبته قلت بالفرح قصيدة فى مدحه ، فلما رايت قصائد أدبائنا وأحببتنا استبردت قصيدتى فلم أرها لاحد ، حتى خطر سبدي عبلا الكرسي فى لزيارتى فى المدرسة (الروانية) فتذاكرنا قصائد مدح سيدنا ومولانا الملك فاريتته تلك القصيدة المخبوة المفضون بها . لعطلها من حل البيان فلما قرأتها عليه ، قال لى لم يمدح سيدنا بمثل هذه الا ما كان من قصيدة سيدى محمد الكثيرى . فهى اعلى . واخذها منى واخرجها للطلبة فنسخوها ، ولولا ذلك لاستولى عليها الضياع ، وهى :

ابى الله والاسلام الا محمدا
ابى الدهر اذعانا لاي كريمة
ابى الدين والدنيا امانة مفرد
امام له فى المكرمات معالم
امام على هام الزمان جلاله
امام ارى شمل الفضائل والهنا
امين به جور الزمان مقلص
امين على دين الهدى فحياتنا
امين على الدنيا فلا دردر من
شهوده يمن والمقيب نباهة
يرينا يقينا من شمائل جده
تبدد ديجور الخطوب برايه
وعلمنا يرينا الحق حقا وعزة
اولئك حزب الله لاريب انهم

اليبوا بما قالوا سنا وسعادة
وخلقا كما ماس النسيم لطافة
وعدلا به تهوى النفوس حيائها
الى غير هذا من خصائص لم تزل
امام هو الغيث العميم فان يكن
اذا ماجرى ذكر الملوك تضاءلت
وان ذكروا الاحساب للفخر بدهم
رايت ابن يوسف الكريم ثناؤه
كداب الالى سادوا وشادوا فاصبحوا
بنى يوسف الغيث المريع فيوسف
ومن قبلهم من كل اروع همه

شموس الهدى اهل الندى غصص العدا

وقالوا برضوان المهيم سرمدنا
وصفحا يتاغى المجرم المتصردنا
وجود ايريك البحر كله مزينا
تراغم انف من تمارى والحدنا
كفور يكن اعمى البصيرة ارمدا
لمقداره اقدارهم فتوحدا
باحساب انساب بها قد تفردنا
على صفحة الايام يتلى مخلصنا
على الجيد جيد الدهر عقدا منقدا
كريم ابو الابطال ذو الحلم والجدى
سمعى متى ما فوق السهم اقصدنا

سهام الردى ، فى نحر من جار واعتدا

واشبال مولانا الميامين بوركوا
وقاية ربى لاتزال دروعهم
يبارى جميل الذكر طيب ثنائهم
مباراة انفاس الرياض الى عدى

انتهى ما اسارته خلس النسيان ، واغفلته فرص الاحيان ، على الى لم الى
من الكثيرين فى هذا الشأن . ولو جمعت منه انفاسى ، لم تبلغ لالامالة
وكيف والدواعى اليه اغراض لاتقوم بنفسها . واشكاله العقيمة لافى بليلها
وما اصدق قول المعرى فى خطبته فى سقط الزند (رغبة عن متاع معظم جده
كذب وصادقه ردى) ومن رجوعى من مراکش الى بلدى بقيت ازيد من سبعة
اعوام لم ينتهيا لى ان اقول بيتا واحدا لغلبة الكدر على القلوب

محن الزمان كثيرة لاتنقضى وسروده ياتيك كالاعباد

وآخر ما قلت فى هذه الثلاث سنين

اهل الهدى دين الهدى مهجور
ايحل ام يحلو السكوت وديننا
لعبت به الغوغاء دون مدافع
شردوا على الدين القويم وشردوا
ماذا السكوت وذو الهدى ماجور
دين النبى محارب موتور
انى الدفاع وهم هم الجمهور
بقيا وعدوا خزيهم منشور

اما نسبى فهذا ما وجدته مفرقا فى نحو ١٥ لوحا امثال الاكف تكتب فيها
ولادات الذكور فقط . واما الاناث فكانوا لا يرفعون اسماهن . وانما يكتبون
يوم الولادة مؤرخا فحسب ، والصبيان الذكور يرفعونهم الى عبد المؤمن ابن
موسى فهو :

(عبدالله بن محمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن عبدالله بن محمد
ابن أحمد بن أيوب بن عبدالرحمن بن عبدالله بن مالك بن حبيب بن محمد
ابن اسحاق بن عمر بن عبدالمومن بن موسى الهوتي الفشاني)

ثم أن أيوب بن عبدالرحمن ترجم له التحصيكى وذكر أنه من فقراء سيدى
أحمد بن موسى ، وأنه تزوج بنت سيدى أحمد بن موسى . وأما حبيب بن
محمد فقبره عندنا في القرية مشهور ، يزار ويذبح فيه ذبيحة . ويعمل عليه
ذلك المعروف المشهور في بلدنا ، وهذا مبلغ علمي في هذا ، واعذرني يا أخى
في إبطاء بالجواب فاني انتظر من يوصل الأمانة كما ينبغي

تذييل

قرأت ما كتب الأستاذ عن نفسه وعن أهله . وأزيد أنا على ذلك أن والده
كان مشهورا بالبركة ويقصد بالتطبيب الروحاني . فيكتب التمام ويرقى .
فيأبى الله بالشفاء على يده ويلقب بالأخفش . لضعف من عينيه . وله من
الأملاك ما يتعيش به . وقد يلاقى من الناس مالا يوافق حالته . فقد حدث
بعضهم أنه وجده محصورا في بيت عند الرئيس الحاج إبراهيم الأيفشاني
فقال له . انظر هذا الرجل لماذا حصرني هنا . وأى جريمة اقترفت . فقال
له الرئيس لا ذنب إلا أنه انقطع احسانه الى . فقال سيدى محمد بن علي .
الامر اذا كسحل . فوعده بخير فاطلقه ، وقد شاركت الاسرة في الحرب التي
دارت في القرية يوم حاصر هناك الحاج إبراهيم . كما بينا ذلك في ترجمة هذا

ومما يتعلق بسيدى عبد الله أن الأستاذ سيدى علي بن همدو ضربه مرة
بمغرف الحديد الذي يغرف به ماء الوضوء من المسجد ، فجرحه جرحا بليغا .
فقامت أمه وقعدت . فقام أبوه الى الأستاذ ، فقال له وهو يلومه : انما تريد
الولد للحياة لا للقتل . والا فما فائدة معاناة حفظه للقرآن ، ومما يتعلق به
أنه لما ضاق به الفقر في مراکش ، نوى أن يسافر الى فرنسة كعامل ، فصادف
صالحا فرجع عن السفر ببركة كلام سمعه منه عن نيته . وكان يلزم الصلاة
في زاوية النظيفي دائما واتخذ له آلة للخياطة أمام الزاوية . فكانت أقداليه
هناك في بعض العشايا وكان شابا مصونا عفيفا ، لطيف المعاشرة تلاء لكتاب الله
صواما متهجدا خاشعا . وقد شارط في (تاوييت) السفلى . وفي (أسيف مقورن)
فأثر هناك كثيرا في بدنه . وكان دخوله في (بومروان) نحو ١٣٥٠ هـ فأصبح
هناك في تفريط حتى كان الجوع يؤثر فيه ، فهم بمفارقة المدرسة . ولكن
الرئيس الرشيد العروسي عرف ذلك ، فتحيل له باعانة سرية دائمة من
المدرسة على حدة . وقد قام بالتدريس نحو ١٥ سنة تحت يد (كدرار) وفي
نحو ١٣٦٥ هـ استقل بالمدرسة ، فاستعان حينئذ بالأستاذ الحسن الكوسالى

ثم بالأستاذ إبراهيم التمل من (بيت امزلي) من لجباء تلاميذه . وهو الذي خلفه
في المدرسة يوم غادرها ١٣٧٧ هـ
والأستاذ المترجم قائم بالمدرسة (الايفشانية) من ١٣٧٨ هـ الى
الآن ١٣٨٠ هـ

تلاميذه

(١) سيدى عبد الله بن عبد الرحمان الكرسي في المتخرج من فاس والأستاذ
في المعهد

(٢) سيدى إبراهيم بن محمد الامزلي التمل مدرس بومروان بعد استاذة

(٣) سيدى محمد بن محمد الرسمى لايزال حيا

(٤) سيدى أحمد بن علي بن همدو الايكدماني . وهو الآن في مسجد (ايهور)

(٥) سيدى محمد - فتحا - بن أحمد السملالي كاتب الضبط في (تالالت)

(٦) مبارك بن أحمد الوفاوى الموجود الآن في المحكمة الشرعية في أمسن

(٧) سيدى محمد بن صالح الزعنوني لايزال حيا الآن

(٨) سيدى محمد ابيضار المجاطى الموسوي . لايزال حيا

(٩) سيدى يحيى الرسمى المشارط الآن في المدرسة (المولودية) الرسمى

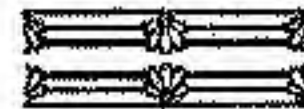
(١٠) سيدى بلقاسم التارسواطى المتوفى في فاس ١٣٦٦ هـ وهو مجاور لأمم

قراءته

(١١) سيدى أحمد بن الحاج المحفوظ الاهمدينى المتخرج من فاس ١٣٧٨ هـ

(١٢) سيدى إبراهيم بن الحسن الاخصاصى . المتحول الى التجارة

(١٣) سيدى محمد بن علي البعقيل الايغير موسى المتوفى ١٣٧٧ هـ



الشيخ

سيدى علي بن يونس الانامري

من اوائل القرن التاسع

= * =

نسبه :

علي بن يونس بن عبد الله بن مبارك بن محمد بن مبارك بن علي بن زيان بن عبد الله بن محمد الشيخ الشبكي ، بن علي الشبالي بن يعلى بن عمر بن بورش ، بن لويان بن يعزب ، بن ايلا ، بن عفير ، بن حسن بن عباس ، بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب .

هذا هو النسب الذي وجدته في يد بعض اولاده ، ووجدت معه في الورقة التي ارايتها : ان الحضيكي ، قال فيه : رجل صالح فاضل مفضل ومات رحمه الله في (اكتى ايكلمان) ، وترك اولاده في موضع (انامر) ، هذا ما نقلته عن ورقة ذلك الانسان ، وهي ورقة حديثة الكتابة ، مملوءة بالتصحيح والتحريف ، فنقلنا ما كان كما وجدناه .

هذا الاسم علي بن يونس ينطق به بعض الناس هكذا ، وبعضهم ذكر - وهو احد طلبة ايقشان من اولاده - انه علي ابو يونس ، ولا استعصر الان ما هو الاصح .

صاحب الترجمة ممن نسجت حوله حكاية طويلة ، اتخذها الشعراء الشليحيون مسرحا لملمحة معجبة ، وملخصها :

ان اصل علي بن يونس من (تامدولت) باقا ، وانه كان عابدا صالحا مسكينا ، له بستان ياوى اليه ، وليس له من الاولاد الا بنات ، كن يختلفن اليه بغدائه وعشائه وكان اهل (تامدولت) اذذاك قد عتوا وطفوا وتجبروا ومدوا ايديهم الى الضعفة . وكان علي بن يونس منهم ، فكان شبانهم المماريح المفاكية الذين يسدرون بعد في غلواء الشيبية ، يجلسون في باب المدينة الخارجى فكانت بنات هذا السيد كلما مررن بالباب ، يتطلبن منهن ان يقفن وان يحططن ما يحملن ، فيظللن في رقص امامهم ، حتى يتمتعوا كما يريدون ، ثم يذهبن وفي يوم ابين ذلك واستنكفن . فابوا كذلك ان يتركوهن ليذهبن بالطعام الى ابيهن ، فكلما اتت واحدة منهن بطعام اكلوه ، وفي مرة ملات احدهن قفتها بنخالة ، فخبأت بينها خبزة . فلما اطلوا في القفة ، ولم يروا الا النخالة تركوها فدخلت على ابيها في البستان ، فقال لها : مالكن يا بنات تركتن والدكن بطويه

= ٢٠٤ =

السغب وينشره ، ثم اطل على القفة ، فقال : اواه . اوانا يا بنيتي كلب حتى يوتى لي بنخالة ؟ فقصت عليه القصة ، وهي تستخرج له الخبزة فاجل من ذلك الهوان ، فقام في الحين ، فذهب الى قائد مشهور في ذلك العصر ، يسمى محمد بن حمو المنصاكي . وقريته التي يسكنها في (ادبران) بمجاظلا لزال معروفة الى الان ، ويقال انه من الحربليين الذين عمروا (تيزلي) قبل المجاطين هؤلاء ، قالوا فوصل داره ، فصادف عنده عقيقة . وهو يطعم الناس واخيرا نادى مناديه : هل هناك من بقى بلا اكل ؟ فخرجت خادم له ، فرأت رجلا ممتدا في منحدر امام الدار ، ورأسه الى صيب ، فاستنهضته الى الطعام فقال : لا حاجة لي في الطعام . حتى يقضى لي المرام ، فاخبرت سيدها بالرجل فخرج اليه فاستخبره ، فقال له : اننى بك مستجير ، ولن اذوق طعامك الا اذا كنت على قضاء حاجتى الذى جئت من اجلها من القائمين ، ثم اخبره بما وقع له ، فقال له محمد بن حمو : اطعم ، ثم اذهب الى بلدك وانتظرني على رأس العام ، ولكن ضع علامة على دارك لئلا يصيبها ما يصيب غيرها .

يرفرف علم ابيض على دار سيدى علي بن يونس صبيحة اليوم الذى كان رأس العام ، ولم يتوسط النهار حتى اجتاحت خيل المنصاكي (تامدولت) ثم جعلت عاليها سافلها ، وكان ذلك سبب خرابها الشهير ، فتفرق سكانها شذر مذر .

هذه هي القصة التي تهدمت بسببها (تامدولت) في الا ، وفي الجانب الجنوبي لالغ ، محل يسمى الى الان (سمون ايسان) اى مجمع الخيل ، يقال ان هناك مجمع الخيل المنصاكية ، التي فعلت هذه القصة ، بل يزعمون انه لا يزال هناك ملود فرسه معروفا الى الان

اول ما سمعت هذه الاقصوصة عن الاخ احمد رحمه الله ، وذكر لي ان فلانا يحفظ القصيدة التي قيلت فيها ، ثم استنشدت ذلك الانسان ، فامل على قصيدة شليحية رائعة خلاصة ، وقد اطنب فيها الشاعر ، وجعلها ملحمة صغيرة وكنت هممت ان اكتبها ، ولم يتيسر ذلك الى الان .

ومحمد بن حمو المذكور ، لاشك انه قائد كبير من قواد العصر المريني ، ولكن لاندري اكان في اول القرن التاسع ، ام في اخر القرن الثامن ، ولاخاله يتجاوز ذلك ، ولا يزال الحربليون يقولون انه منهم ، ويفتخرون بعظمته الى الان

واقعة (تامدولت) هذه مشهورة كل الشهرة ، ولا يزال كثيرون ينسبون اليها اجدادهم الراحلين منها ، وقد تقدم في ترجمة جدنا سيدى عبد الله بن سعيد ، ما هو الصحيح عند اهاليها ، من انه ممن جلا عنها . وكثير من الايلانيين يقولون ايضا لذلك (وقد تأسست هذه المدينة على يد عبدالله بن ادريس نعو ٢٢٠ هـ)

= ٢٠٥ =

سيدى يعقوب الايكدمانى

قبل : ٩٥٠ هـ = نحو : ١٠٢٥ هـ

= * =

نسبه :

يعقوب بن ابراهيم بن يوسف ، بن عبد الله بن علي بن يونس المتقدم قال فيه الرسموكى فى وفياته :

«سيدى يعقوب الغشمانى صهر سيدى احمد بن موسى على بنته ، وهو فى (ايكدمان) منع الصبا من زيارته ولقائه ، روى عنه بسند صحيح : انه سمع الصالح سيدى احمد بن موسى رضى الله عنه يقول : كل من رانا اوراي من رانا الى سبعة ، لا يخاف شيئا او كما قال»

ثم ساق الحضيكي هذا الكلام مختصرا ، ونسبه الى الرسموكى ، وذا فيما نقله عنه انه ايضا خادم الشيخ ، وليست هذه (اللفظة) فى نسخنا من (الوفيات) وبنت الشيخ التى تزوج بها هى المدفونة فى وسط المدرسة الاكاديمية وحدثنى بعضهم ان اسمها (مماس) كما حدثت ان لها اختين بنتى الشيخ ، احدهما تسمى فاطمة ، مدفونة فى مقبرة (تيدلى) تزوج بها رجل من ايت داود وذكر ان قبرها مشهور فى الشرق الجنوبي من تلك المقبرة ، والاخرى تسمى كلثوم ، ومقبرتها مشهورة اسفل قرية ايت عضييا ، هذا ماحدثني به ذلك الفاضل - وهو سيدى مبارك بن مومادين الانامرى الاتى الذكر - والمعدة عليه وقد تقدم فى ترجمة سيدى عبد الله الاخفش ان احدا جده كان ايضا متزوجا باحداهن .

ولصاحب الترجمة شهرة بالصلاح فى عصره ، شهرة وصلت الى تاغاتين العلماء - ان كان مؤلف الوفيات منهم - حتى تأسف ذلك المؤلف منهم على ان منعه الصبا من زيارته ولقائه ، وهو معمر كما يظهر ، لانه اذا كان بلغ مبلغ من يخدم فى حياة الشيخ ابن موسى المتوفى فى ذى الحجة سنة : ٩٧١ هـ ثم امتد عمره الى نحو سنة : ١٠٢٥ هـ المظنونة انها توافق صبا الرسموكى ، فذلك ما لا يقل عن نحو مائة ، وانما قدرنا ولادته بما قبل : ٩٥٠ هـ لمراعاة زمن الخدمة الذى يمكن به ان يبلغ بين اهله ، ثم يمضى له زمن يتاهل فيه ان يسمى خادم الشيخ ، اما قبر سيدى يعقوب ، فقد اخبرني بعضهم انه لا يزال مشهورا هناك فى قبة جده سيدى على بن يونس

ثم ان على بن يونس قالوا انه ايضا فارق مدينة (تامدولت) لما فرق عنها الناس ، فكان أولا فى (ايشت) ثم (اكادير تيسيت) ثم الى (ناويست) و (تزي اودرو) بايفشان ، ثم الى (ايمولا) ، ثم الى (ايفرنفلوس) وكلاهما من ايفشان ، ثم الى (انامر) حيث اقبر ، هذا ما حكى لي احد المسنين من اولاده غير طالب والقارى يدرك من كثرة هذه التنقلات امرا غير عادى ، لابد انه متخلل اما باكدوبات ، واما بغلطات ، او بتنقلات غير عادية

وترجمته على الحقيقة ، ووقته مجهول فى مجهول الاحزرا الا اننا نجبان نستانس بما يذكره ، ولا يخلو ذلك من فائدة ، وقد اخبرني بعض الطلبة من اولاده ان ترجمته الحقيقية فى كتاب تاريخ ، الفه الاستاذ الشهير سيدى احمد ابن عبد الرحمن التيزركينى المتوفى سنة : ٩٥٨ هـ ولكننى لم ارقط هذا الكتاب بل لم اسمع به الا مرة او مرتين

والعجيب : ان غالب الذين انتقلوا من (تامدولت) ينتسبون الى الجعفرين وقد رايت ذلك عن جدنا سيدى عبدالله بن سعيد - فيما يقال - وهما انتدا رايت ايضا على بن يونس هذا ، ولكن هذا على الاقل ، وجدنا له هذا النسب واما جدنا ، فلم نجد له اى نسب مرفوع . وفى اخاذ كثيرة من قبيلة ايلال انساب الى الجعفرية ، وعندهم بذلك ظواهر ، وهم يقولون ايضا : انهم انتقلوا من (تامدولت) فى اقا والله اعلم

وابن خلدون ينكر ان يدخل الجعفريون المغرب ، ولكن نرى كثيرين يحملون هذه النسبة ، كعلماء آل محمد بن مبارك الاقاويين ، وكعلماء (اساكنا) بافران الجعفريين فيما يقولون ، كما فى ماسة وغيرها وكذلك آل الوزير على المسفيوى الشهير مع مولاي الحسن ، وكذلك كثيرون ، والله اعلم بحقائق الامور ، وقد حاول المؤرخ ابن خالد الناصرى ان يثبت ان الجعفرية موجودة فى المغرب ، فى كتابه : (طلعة المشتري) وان ذلك صحيح للناصرين ، واسمع بعض اقتاله فى التاريخ يؤيدون ابن خلدون ، ونحن لا ندرك ان نتكلم حول ذلك الا بما بدالنا من ان بعض الجعفريين دخلوا من الصحراء حقيقة كئال محمد ابن مبارك الاقاويين

ثم ان على صاحب الترجمة قبة دفن معه فيها بعض اناس سندكرهم بعد

على بن يعقوب الايكدماني

قبل : ١٠١٠ هـ = نحو : ١٠٨٠ هـ

= * =

نسبه :

على بن يعقوب بن ابراهيم بن يوسف بن عبد الله بن على بن يونس

هذا ولد المتقدم ، ولم نعلم له سواه ، وهو سبط الشيخ ابن موسى ، وقد صادف زمانه رئاسة اخواله المشهورة ، فكانوا رؤساء القبيلة الايشانية ، وهناك اطلال في شرقي المدرسة (الايشانية) ازاء ذلك المكان المسمى (الخميس) ذكر لي انها اطلال ديار اليعقوبيين هؤلاء في عصر رياستهم ، وكانت سوق يوم الخميس تعمر هناك ، فبقى الاسم مسترسلا على المكان الى الان ، وذكر لي بعضهم : انه رأى مخاطبات لابناء يعقوب من اخوالهم ، هذا ما عرفته عن على الرئيس ، والعجيب منه ، انه اورث اولاده العلم ، فحفظهم بقله بعد ان زالت الرئاسة ، وقد رايت في رمزنا للولادة اننا اخذنا ذلك من معاصرتة لعلي ابي دميعة ، الذي استمر من سنوات : ١٠٢٢ هـ الى ان مات نحو سنة : ١٠٧٠ هـ ثم خلفه والده محمد بن على الى ان احتلت (ايلغ) بالجيش الرشيدى في ربيع الاول سنة : ١٠٨١ هـ ويمكن ان يعيش بعد ابي دميعة الى عصر ولده ، ويمكن ان يموت قبل ، ويقوم مقامه احد اولاده ، ولكن ذلك ليس عليه اشارة من علم عندنا ، والله وحده اعلم . وقد وصف عليا هذا بعض من حدثني : بانه ايضا عالم كا اولاده الذين سترى بعضهم بعد ان شاء الله .

(ثم كتب الى سيدى المحفوظ الديانى بانه رأى مخطوطا لاختيه سعيد بن يعقوب مؤرخا سنة ١١١٠ هـ ومخطوطا لآخر لاختيه احمد بن يعقوب مؤرخا سنة ١١٠٥ هـ فعرفنا ان لابناء يعقوب يدافى المعارف ، وليس عندنا عنهم الا هذا)

محمد بن على اليعقوبى الايشانى

قبل : ١٠٨٠ هـ = بعد : ١١٥٦ هـ

= * =

نسبه :

محمد بن على بن يعقوب بن ابراهيم بن يوسف بن عبد الله بن على

هذا ابرز فقهاء هذه الجهة في اول القرن الثانى عشر الى اواسطه وله شهرة كبيرة ومخطوطات يده لم تزل تطفح بها سلات الرسوم التى تختلط فيها احكام الفقهاء فى النوازل برسوم الاملاك ، وهى التى يملأونها بالنصوص الفقهية ، وتظهر فيها قدرتهم اكبر ظهور ، وقد رايت بعضها موقعا باسمه ومؤرخا بسنة ١١٤٤ هـ

وله اخ اسمه سعيد بن على ، فهو الذى نقل الرسم الذى كتبناه نعتراهم (٩) فى ترجمة الجد ، مع صاحب له ، ثم تلاهما صاحب الترجمة ، فوقع لهما يوقع القضاة فى هذه الجهة ، ولا عرف مرتبة اختيه سعيد هذا ، الا اننى سمعت منهم كانوا اربعة اخوة ، كلهم علماء . ولست فى ذلك على علم ولم اعرف من هؤلاء الاخوة ، الا صاحب الترجمة وسعيدا ، وفى عصر اليعقوبيين هؤلاء بيت المدرسة (الايشانية) على مشهد امهم بناها هؤلاء فدرسوا فيها العلوم فى عهدهم ، ولكنها صغيرة ، ولم يوسعها الا الحاج ابراهيم رحمه الله فى سنوات ١٣٢٩ هـ ولم أقف على من هم اساتذة صاحب الترجمة واخوته الذين كانوا علماء مثله ، فقد تقادم الزمان ، وذهب خبر هذه الاسرة المجيدة ، بل حدثني بعض الايشانيين الانامريين ان فخذ اليعقوبيين قد انقرض اليوم ، كما اخبرنى ايضا سيدى مبارك بن مومادين ان وفاة هذا المترجم ، كانت فى اخر العقد السادس من ذلك القرن ، وهو مظنة معرفة ذلك لحذقه ونباهته ، ولاعتنائه بهذا الشأن بعض اعتناء ، ولانه يمت اليهم بنسب

ثم وقفت على فتيا له فوق عقد نكاح سيدى سليمان الالفى المكتوب فى سنة : ١١٥٦ هـ فيتايد قول المذكور ، وربما هلك فى وباء : ١١٦٠ هـ

واما ولادته فقد رمزنا لها بما قبل : ١٠٨٠ هـ لما رايتة مما قلناه فى ترجمة والده ، والله اعلم بالحقائق

الصالح سيدى يونس الايغشاني

قبل : ١٠٣٠ هـ = ٢ - ١٠٧٣ هـ

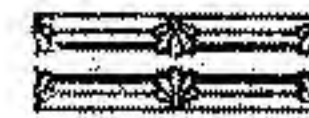
= * =

قال فيه الرسموكى فى وفياته :

سيدى يونس الايغشاني المربط الصالح ، الناسك الفاضل ، توفى رحمه الله ببلدته مريضا باوائل صفر ، عام : ١٠٧٣ هـ وهو من الفضلاء المتضلعين بالمسكنة والديانة ، والمواظبة على ما يعنيه

لم نقل الحضيكى معنى هذه الترجمة ، فسبكها سبكا آخر ، ولم يزد عليها شيئا ، بل نقص ان وفاته فى صفر ، ولم يات الا بالسنة

سيدى يونس هذان احفاد الشيخ سيدى على بن يونس المتقدم الذكر وابن عم سيدى يعقوب المتقدم قريبا ، وأولاده لا يزالون مشهورين الى اليوم فى (انامر) وفى (تاكازا) مع اولاد اعمامهم الذين يلتقون معهم جميعا فى الجدة الاعلى : على بن يونس ، وهم آيت يورك ، وآيت حمو ، وآيت محمد . وآيت يونس وهؤلاء كلهم يطلق عليهم آيت على اويوسف ، وبعض الاسر من آل على بن يونس تسكن اليوم فى قرية (تاكازا) ومنهم سيدى الحسين بن صالح الذى سترى ان شاء الله ترجمته فيما ياتى . ومنهم اليعقوبيون المتقدمون الذين ذكرنا انهم انقرضوا كما انقرض هناك أيضا فخذ تسمى آيت حسين ، وأخال أيضا أنهم من أخوتهم ، ولا استحضر كيف حدثنى عنهم من القى الى هذه التفاصيل وهذه الاسرة اليونسية من الاسر العلمية الا ان اخبار علمائها ضاعت فيما ضاع .



الشجاع على الايبوركى

الاغشاني الشهير

قبل : ١٢٤٠ هـ = نحو اوائل : ١٢٩١ هـ

ينتهي نسبه الذى لاستحضره الى آل يونس ، كما ذكرناه قريبا . فى اوائل القرن الماضى كان فى (انامر) من (ايغشان) رجل باسل عدا قوى النفس ، تضرب به الامثال ، كان يخوض المعارك ، وجرح فى بعضها وله جولة مشهورة فى معركة وقعت بين آيت على ، وآيت موسى فى (تلات نداوا) بمجاط

قال على ندبوهوش المجاطى : ان عليا الايبوركى ، والحسن البهرانى يعنى القائد الحسن الشهير ، كنا دائما نعدهما مع الخيالة ، وان كانا راجلين لعدوهما الذى يسابقان به الخيالة ، وكان تزوج بنتا لسيدى احمد بن الطالب الديانى ، فكان بذلك من شيعته فى تلك الهزاهز التى كان يجاذب فيها الايغشانيين ثم لما قتلوه غدرا ، قام أيضا مع ولديه محمد الاشكر والحاج ابراهيم ، وكان من شيعتهما وانصارهما حتى فتكا بامغار باها ، كما تقدم ثم لما امتدت ايدي بعض الايغشانيين الى السملالين سنة : ١٢٨٨ هـ كان هو ممن يقاوم السملالين مقاومة عنيفة ، ثم ثارت الحرب بين الفريقين ، ففى اثناها سقط يوما فى المعركة ، فقد حمل يوما على خندق من خنادق السملالين بجراته الشهيرة المعروفة ، فتركه من بالخندق حتى اكثبهم واطل عليهم فاطلقوا عليه فسقط وذلك اما فى اواخر : ١٢٩٠ هـ واما فى اوائل التى بعدها

حدثنى ابن اخ له انه اذذاك كما ابتدا فيه الشيب ، فكان سقوطه هكذا كمثل تلقيح للحرب ، فبقيت بعده عامين آخرين ، بعدما كانت بين يديه عامين سابقين ، لانها استمرت اربع سنين ، وقد ذكرناها فى ترجمة الاشكر كانت له شهرة واسعة ، كانما ضربت بها الطبول فى هذه الجهة لاخلقه ورسالته ، رحمه الله ، وقد خلفه فى داره ابن اخيه ابراهيم بن موح ، الى ان جاءت الحكومة . فتقدم اخوه يورك بن موح ، فكان هو الان رئيس الاسرة بل رئيس القرية كلها رسميا ، وبعض ابناء الايبوركيين ، تقدموا اليوم فى العلوم اتم الله عليهم . (توفى ابراهيم فى صفر ١٣٧٩ هـ ، فبقي اخوه يورك شيخاها الى الان ١٣٨٠ هـ)

سيدي

مبارك بن مومادين الانامري

الايفشاني

١٣٩٩ هـ = ١٣٧٩ هـ

مبارك بن مومادين (محمد) بن محمد بن علي بن احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم بن علي بن يوسف

وعلي بن يوسف هذا هو الجد الاعلى لتلك الافخاذ المذكورة انفا ، ولكننا لم نجد الان انسابها اليه ، كما وجدنا انساب ال مومادين اليوم .

أخذ القرءان بادى ذى بدء ، عن سيدى محمد الروانى الى سورة (عبس) ثم عن سيدى محمد بن بلقاسم الكوسالى ، فعليه ختم الختمة الاولى ، ثم الثانية الى (المص) وهذا كله فى مسجد (انامى) قريته ، ثم انتقل الى (اكنى اديان) فاخذ عن شيخ الديانيين سيدى علي بن هوم المتقدم الذكر ، فيه تخرج وجود ، ووافق ذلك سنة : ١٣١٦ هـ ثم افتتح فى المدرسة (الايفشانية) عند الاستاذ سيدى العربى الساموكنى ، ثم لما غادر الاستاذ المدرسة قرب ذلك الحين ، خلفه فيها الاستاذ سيدى محمد - فتحا - بن محمد بن محمد - فتحا - بن ابراهيم المافانى ، ولد الاستاذ الكبير الشهير ، فبقى فى تلك المدرسة الى : ١٣٢٠ هـ فشارط فيها شيخنا سيدى عبد الله بن محمد الالفى ، وفى سنة : ١٣٢١ هـ عاودها الساموكنى الى : ١٣٢٨ هـ فراجعها شيخنا الى سنة : ١٣٣١ هـ ذلك كله وصاحبنا هذا مرابط فى المدرسة ، فتقدم وحسن اخذه ، وان لم يكن كاخذ الالفين المتأزين ، فقد كنت اراه وأنا مجاور هناك أعوام : ١٣٢٩ هـ فى الرعيل الاول ، وهو مكب بعد الدروس على كتب قديمة مخطوطة ، ثم بعد ان عقلت ، عرفت انه مولع بعلم الهياة ، وتعاطى التطبيب فيستحضر اسما الاعشاب العربية والشلحية ، وله يدجواله فى التطبيب ، وعين مدركة لمواقع النجوم فى السماء ، وقد زارنى فى السنة الماضية : ١٣٥٦ هـ فى جمادى الاول بعدما رزنا باخيها احمد ، فرأيت منه ما اعجبني فى المذاكرة ، انشادا للآيات واستحضارا للآيات فى مواطن تلاوتها ، ولا حديث ، ملما بعلم الطب وعلم النجوم ، على النمط القديم . فاخبرنى ان للفيق سيدى سعيد بن سليمان الكرامى ، تاليفا فى هذا العلم يعرفه وله نباهة ادركها من وراء العلوم التى

زاولها ، وقد وجدت عنده من اخبار اهله والقبائل الاخوال بالايفشانيين مالم اجد عند غيره ، مع قوله فى بعض ما اسأله عنه لادرى ، وذلك ما يدل على تشبهه ، وله اخلاق وامتاع بالمجالسة ، وقد كنا نهرب ونحن صفار كلما رأينا احد الكبار اشرف علينا ونحن فى العائنا فى وسط المدرسة ، حين كنا هناك مجاورين ، ولكنه هو نجروا عليه للطافة اخلاقه ، كما نجروا على سيدى البشير ابن الطيب اذذاك رحمه الله .

ولصاحب الترجمة يد فى العلوم لا بأس بها ، أهله لمجالسة العلماء ان صادفهم ولكن شهرته انما هى بالتطبيب ، ويعلم يلم بسر الحرف ، كما يحكى عنه وبالرقى وكتب التمايم وما الى ذلك . وهو من أخص أودائنا ، داوم على ما بيننا ، ولم يفصمه بهذا التباعد ، كما قصمه كثيرون ، ووالده الى الان لا يزال حيا . وأخاله يناهز الثمانين من سنه أو أكثر ، ولصاحبنا اخ كذلك السم بمعلومات لا بأس بها ، يسمى سيدى محمدا ، أخذ عن سيدى سعيد بن الطيب الاكمارى ، وعن غيره كالتاجارمونتى . فيما أحسب

وقد شارط المترجم فى (تافراوت) من ايت كرمون سنة : ١٣٣٧ هـ الى ١٣٤٤ هـ ثم لازم داره الى سنة : ١٣٥٥ هـ فشارط فى (اساكاووزان) حيث لا يزال الى الان ، وهو رقيق البنية ، نحيف الى الغاية ، حفظه الله ووفقه لما يحبه ويرضاه . ثم انه اصيب بكمريمتيه ، ولا يزال حيا الى سنة : ١٣٧٨ هـ (ثم بلغتنا وفاته اخيرا فى سنة ١٣٧٩ هـ)



سيدى احمد بن ابراهيم الانامري

قبل : ١١٦٠ هـ = ١٢٠٧ هـ

ذكره لى سيدى مبارك الانامري المتقدم ، وقال انه ابو ام جده ، وكان
 ذاشهرة كبيرة فى عصره ، وهو الذى خلف بعلمه سيدى محمد بن على يعقوب
 المتقدم وآله بعد ان توفوا ، ومخطوطاته فى احكامه وفتاويه موجودة ، وهو من
 فخذ القرضت بوباء : ١٢١٤ هـ كما انقرضت معهم ، اخذ اخرى من الانامريين
 قال : ووفاته فى الوباء الاول الواقع فى سنة : ١٢٠٧ هـ هذا ما حكاه لى ، وهو
 من اهله ، وهو مظنة معرفة ذلك ، لانه يزاول رسوم تلك الجهة ، واما ان فلم
 اسمعه من غيره . ولكن فى الحقيقة لم الق احدا من تلك الجهة له اعتناء بسيدى
 مبارك بن مومادين حفظه الله ، وأطال عمره ، وهو أحد المقبورين فى قبـ
 سيدى على بن يونس ، وقد عين لى هذا السيد تلك القبور ، فقال : القبر الغربى
 لامرأة كرسيفية ، توفيت سنة ١٢٩٩ هـ وهى زوجة الفقيه سيدى محمد بن
 ال اعالم . قال وهو ابن عم سيدى عبد الله بن محمد بن عبد الله هذا الفقيه الحى
 الان ، الذى ابطا كثيرا فى المدرسة (الوقاوية) وكان سيدى محمد زوجها ذلك
 مشارطا حينئذ فى المدرسة (الاغشانية) فتوفيت هناك قرينته ، ثم قال : ان
 زوجها هذا ، توفى فى بلدته (اكرسيف) سنة : ١٣١٧ هـ والقبر الثانى ، قبر
 الشيخ سيدى على بن يونس ، والقبر الثالث ، لسيدى يعقوب . والرابع
 لمؤذن من ايت حسين ، وكان صالحا تؤثر عنه كرامات ، والخامس الذى لى
 الشرقى ، هو الفقيه سيدى احمد بن ابراهيم ، وهو الذى ذكرناه الان

الحسين بن صالح التاكانزى

نحو : ١٢٢٥ هـ = حى

نسبه :

الحسين بن صالح بن عبد الله ، بن ابراهيم بن محمد بن احمد ويشتقى
 نسبه الى على بن يونس

قرينا (تاكانزا) من عداد الاغشانيين ، وهناك اسرة يونسية ، وصاحب
 الترجمة من هذه الاسرة ، فان نسبه يتصل بذلك الشيخ ، وان كان مجهولا
 عند من يحدثنى الان بعض افراد من الاجداد بهم تتصل السلسلة بين المترجم
 وبين جده

أخذ المترجم القران عن الاستاذ سيدى عبد الله بن احمد بن عبد الله
 السملالى ، ولا يزال هذا الاستاذ حيا الى الان ، وهو مشارط فى مسجد
 (اشوكاك) باكادير ايزرى ، وكان حين يأخذ عنه مشارطا فى قرينه ، ثم عن
 الاستاذ الحاج الحسين الايزلىتنى المجاوى ، ثم عن سيدى عبد الله ابن الحاج
 الساموكنى ، وبهذا تخرج سنة : ١٣٤٥ هـ ثم التحق بالمدرسة (الالفية) ففهم
 له الاستاذ على بن عبد الله بيده ، وانا طه بسيدى احمد بن محمد التاهالى
 المتقدم الذكر ، ثم بسيدى محمد بيشوارين الساحلى ، ثم لازم دروس الاستاذ
 سيدى المدنى الى سنة : ١٣٥٠ هـ وقد كان اتصل بالاستاذ سيدى احمد بن محمد
 اليزيدى فى المدرسة (المولودية) الى سنة : ١٣٥٤ هـ ثم راجع ايضا المدرسة
 (الالفية) الى اواخر سنة : ١٣٥٥ هـ فالتحق بما وراء الحمراء ، فشارك فى
 (الشاوية) دون سنة ، وفى شعبان : ١٣٥٦ هـ رجع الى بلدته

ختم الالفية مرات ، واتى على غالب المختصر تحصيليا ، وعلى الرسالة
 والمقامات ، وعلى كل ما الى ذلك . وهو الان مشارك حسن الفهم ، ثاقب الذهن
 لا يزال متطلعا الى استتمام دراسته ، وقد استعد لهذا الطور اتم الاستعداد
 ولعله يوفق الى تمام امنيته ، فيكون لنا عالما كبيرا من (تاكانزا) وما ذلك على
 همته بعيد .

وسمته حسن ، لطيف المعاشرة ، دمث الاخلاق ، هين لين . فيما ظهر
 لى منه . وقد جالسته بالحمراء وفى (الخ) مجالس ، وهو الى الان عزب (ولا
 يزال حيا . ١٣٨٠ هـ وقد حج وزوج كما حدثت به)

محمد بن أحمد الأو كافي الانامري

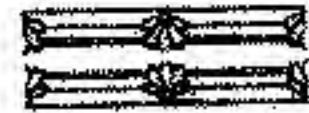
قبل : ١٢٤٠ هـ = بعد : ١٢٩٥ هـ

نسبه :

محمد بن أحمد بن بلقاسم الأو كافي الانامري

هذا ممن اشتهر في قرية (انامري) ، في آخر القرن الماضي ، في تعليم كتاب الله بالجد والاجتهاد ، وله يد في القراءات المختلفة ، كما له من دياناته وعادته ، وتقوى الله التي لازمها ، ما جعل السنة عارفيه وطبة بالثناء عليه الى الان

وكان ملما ببعض معلومات أهله لقسمة التركات وامثالها ، وقد صحح لي بعضهم انه توفي سنة : ١٣٠٠ هـ وهذا ما أعرفه عنه ، ذكرته لشهرته آخر القرن الماضي ، شهرة ينبغي للمؤرخ ان يقتبس منها ، مع الصلاح الذي دعمها وذكر لي بعض من رآه سنة : ١٢٩٥ هـ انه اذذاك ينيف على (٨٠) سنة ، رحمه الله وقد كانت صحبته بسيدي الحاج عبلا بن صالح وابنه الفقيه سيدي محمد بن عبد الله متصلة حتى توفي .



مسعود افولوس التاكانزي

قبل : ١٢٤٠ هـ = بعد : ١٢٨٦ هـ

قرأت معي في ترجمة الفقيه سيدي صالح الافقيري ، ان استاذ الذي اخذ عنه القراءان ، هو سيدي مسعود افولوس التاكانزي ، في بلاد بعمرانة في (ادواساكنم) وقد كان هاجر اليها ، فاجتهد هناك في تعليم كتاب الله اجتهادا كبيرا ، وليس عندي تفاصيل عن حياته ، الا ما سمعته عن الاستاذ سيدي علي بن صالح لاغير ، ولا يتجاوز هذه السطور . ولما كان شرطنا الذي نتمشى عليه ان نذكر اساتذة الالفيين والمرابطين من العلماء ، والمقرئين المسهورين ، كان سيدي مسعود هذا على شرطنا ، فذكرنا عنه هنا ما نعرفه ومن جاد بما عنده فما عليه من ملام ، وكان الوقت الذي ياخذ عنه سيدي صالح الافقيري اول العقد التاسع من القرن الماضي ، ولذلك رمزنا لوفاته بما بعد ذلك ، كما رمزنا لولادته بما قبل : ١٢٥٠ هـ لانه اذذاك لا يقل عن (٨٠) سنة وليس في امكاننا الا هذا ، والله اعلم

ثم حدثني محدث : ان له ولدا يسمى محمدا ، اتقن حرف البعري ~~في~~ سيدي محمد بن مولود ، في مدرسة (الجمعة) فعدا عليه عاد من الطلبة ~~في~~ في العقد الثاني من هذا القرن ، وان له اخا يسمى الحاج الطيفور كان لا يزال حيا اذذاك ، ولكنه التحق بحاجة ، بعد ما شارط كثيرا بمسجد (ادغيسي) من ايت عبلا ، فتخرج به كثيرون

ثم لابس هنا ان ننبه القاري ، لثلا يغتر بان هناك رجلا صالحا قديما يقال له ايضا سيدي مسعود افولوس شريف في اداكنيفيف ، لان هذا من الوكاكين ، وسندكره بينهم ان شاء الله ، كما ان هناك آخر يسمى ايضا مسعودا افولوس قريب العهد من احفاد المتقدم ، وسيدكر بين اهله ايضا في (القسم الرابع) ان شاء الله

سيدى احمد الفقير التاكانزى

ثم الاكرضى

قبل : ١٠٥٥ هـ = بعد ١١٠٥ هـ

نسبه :

احمد بن داود بن يوسف

الى هذا تنسب القرية المشهورة باكرض اوفقر ، واصله من فخذ يسمى اوشان من (تاكانزا) سكن اول امره هناك ، ثم عدا عليه عاد فسماه خيفاء فجلاعن (تاكانزا) الى القرية المذكورة ، فنسبت اليه ، بعد ان كانت تضاف الى (اغبول) - اى الحمار - فبعد ان كان الناس يقولون (اكرض اوغبول) صاروا يقولون (اكرض اوفقر) وفي الرسوم القديمة ، توجد بتلك الاضافة القديمة

كان رجلا صالحا مذكورا بالخير ، يؤثر عنه مايؤثر عن امثاله ، مما تنكب عنه ، لعدم ثبوته كما ينبغي ، وله ولد واحد يسمى : داود ، له خمس بنات باحدهن تزوج الرجل الصالح سيدى ابراهيم بن بلقاسم المتقدم الترجمة . بين المرابطين السعديين فى (الفصل الاول) من القسم (الاول) وقد ادركت بما حدثنى به الاستاذ سيدى على بن صالح المتقدم اده عاش فى النصف الاخير من القرن الحادى عشر ، وان وفاته بعد ان مضت سنوات من القرن الثانى عشر ، ومدفنه عند مسجد الخروب فى المقبرة القديمة ، فى (تافكاغت) من القرى الوفاوية بالغ ، وولده داود : رجل مذكور ايضا بخير ، مزور القبر الى اليوم ، فوق (ادراكمتو) كما يسمى من (اكرض اوفقر)

ولم نعرف عنه ما يستدعى ان نفرده بترجمة على حدة ، وقد انقطع نسل صاحب الترجمة من داود هذا ، ولم يعقب الا من بنات داود ، وكان احمد الفقير يسمى الشيخ ، والنظفيات المسماة : نظفيات الشيخ . فى (اكرض اوفقر) منسوبة له وتقام له حفلة سنوية ، كذكرى الى الان

الصالح

سيدى سعيد جد الاوبلاخيرى

فى اوائل القرن الحادى عشر

سيد مشهور بالصالح والخير فى عصره ، ويقال انه من البكرين المنتشرين فى نواحي سوس ، فهناك الجشتيميون ووال الشيخ التاماناريون ، ووال الطالب ابراهيم الوفاويون ، ووال الفقيه سيدى ناصر التونينى الالفى ، هؤلاء كلهم يقال ان لهم اتصالا بالنسبة البكرية ، كما يذكر ذلك ايضا عن ال (ايت يعزى وهدى) المنشين ايضا فى نواحي الجنوب ، ولكننى لم ار من انساب هؤلاء المتصلة الا نسب التاماناريين ، ونسب (ايت يعزى وهدى) ، واما الآخرون فلم يتيسر لى رويتها ، وقد رايت فى اخبار (تارودانت) فى حدود القرن الثامن ان فيها أسرة رئيسة ، تسمى ال يدر ، وهم كذلك بكريون ، وذلك كله ممكن وانما ينقصنا ان نرى الانساب المتصلة على الاقل ، كما رايناها لآخرين

هذا السيد لم اعرف فى أى زمان هو ، وقد ذكر لى بعض اولاده انه مذكور فى (طبقات الحضيكى) ولكننى راجعت تراجم المسلمين سعيدا ، فلم اجد فيمن هناك ذكرا يؤذن انه هو هذا ، وزعم ان مشجر نسبهم موجود تحت احدى سملايين ، وقد كنت وصيته ان يتوصل به ، ولكن الله لم يسر ذلك ، ولحق اذا تاملنا سلسلات انساب من سذكروهم من احفاده ، فانه على الغالب فى القرن الحادى عشر ، والله اعلم

هذا وقد سمعت من بعض طلبة القبيلة الايفشانية ما يدل على انكار هذه النسبة ، ولكنه انكار لا يؤسس على متين ، كما ان دعوى النسب كذلك - مادما لم تقف على النسب الثابت - لا تؤسس ايضا على متين على انه قد يكتفى بما يوجد عند الاحفاد عن الاجداد مما يتلقونه خلفا عن سلف . والله اعلم

احمد بن محمد الاوبولخيرى

نحو : ١٢٥٥ هـ = نحو ١٣٢٧ هـ

نسبه :

احمد بن محمد بن موسى بن علي بن احمد بن سعيد بن احمد بن سعيد
هكذا وجد هذا النسب بخط الاستاذ سيدي العربي الساموكنى رحمه
الله .

كان سيدي احمد ممن جود حفظ كتاب الله ، واتقن حرف الحكى ، ثم
الم بالعلوم اماما حسنا ، عن بعض اساتذة لا يستحضرهم من حكلى ، وكان
مداخلا لعلماء وقته ، صناع اليد فى كل الحرف ، كلبناء والصياغة والتجارة
والخرازة ، حتى الحجامة . وكان فى عنفوان شبابه ملازما للمشاركة فى قبيلة
ايت برايم فى ازغار ، حتى تجملده من شرطه مال له بال فراجع قريته ، فصار
يعلم القرآن مجانا فى مسجد القرية ، وكان عزوفا ربانيا ، ملازما للاذان
متى حضر ، وكان فى وقت آخر مشارطا فى مسجد (تاجكالت) اعواما ، وقد
مات عن سن تناهز الثمانين

هذا ما القاه الى ذلك الانسان ، وهو على كل حال يدل على انه ممن الم
بالعلوم ، وحصل تحصيل وسطا ، ثم لخموله ولغزوفه وقناعته ، انزوى على
تعليم كتاب الله . فلهذا لم تكن له شهرة فى ميادين اخرى

الفقيه سيدي محمد بن احمد الاوبولخيرى

المدونة

نحو : ١٢٧٥ هـ = ١٣٥١ هـ

نسبه :

محمد بن احمد بن محمد - فتحا - بن علي بن احمد بن سعيد بن احمد
بن سعيد (مكررا)

ذكرناه لامور ثلاثة : اولها : لانه من اساتذة بعض الالفين المشهورين
فى القرآن وثانيها : لانه من افضل اتباع الشيخ الالفى : حسن سميت وطحا
سريرة ، واستقامة سيرة ، وثالثها : لانه ممن اخذ عن الالفين علما ضئيلا
وهو فى الحقيقة لو لم يتصف الابن ، ولولم يدخل تحت شروط اخرى اشترطناها
لمن نذكرهم لما عرجنا عليه ، لانه ضعيف المعلومات ، وليس من الذين
نعتبرهم من هذه الجهة

اتصل بعدما حفظ القرآن سنة : ١٢٩٦ هـ بالشيخ الالفى فى المدرسة
(الفوكرضية) ثم انتقل معه الى (البومروانية) ثم لازم (الالفية) عند الاستاذ
سيدي محمد بن عبدالله ماشاء الله ، واذنك لقبه الطلبة بالمدونة ، لانه قال
مرة للاستاذ : هذه المدونة التى تذكرها دائما فى الدروس من اين هى فقال
له الاستاذ مباسطا ، انها ايفشمانية النسبة ، فصحك الطلبة من بله ، فلقبوا
بذلك اللقب من ذلك اليوم ، وكان من احسن الناس اعتقادا فى الشيخ الالفى
من بادى امره ، وقد ذهب اليه فى القبيلة الوقفاوية لما خرق فيها الماء
- كما ذكرنا ذلك فى ترجمته - سنة ١٢٩٨ هـ فطلب منه الدعاء ، فقال له
الشيخ وهو يتباليه : لا اربحك الله ، وكانت كلمة تستر بها :

ادعو عليه وقلبى يقول يارب لا لا

ثم بعد ان برز الشيخ للتربية ، كان من الملازمين لزاويته لا ينقطع عنها
فيئة بعد فينة ، حتى شرب كاس التصوف الى ثمالتها ، وكان عجيبا فى الاقبال
على شانه ، وكأنه من الذين قيل فيهم : - والله اعلم - رب اشعث اغبر لا يوبه
به ، لو اقسم على الله لا يبره ، وقد ساج مرارا مع الفقراء وتهذب

ثم تزوج واقبل على المشارطات ، فى (تارغنا) وفى (دوتمنروت) وفى (الغ)
وهناك اخذ عنه بعض المراتبين منا ، وفى مسجد قريته . وكان هو السبب
حتى اعتنق الاوبولخيريون الطريقة الالفية ، ثم انه تاخرت وفاته الى السنوات
الاخيرة ، بعدما اسن . وكان رحمه الله مشهورا بالرقية ذا بركة وصلاح .
فكل من مسسته يده يبرا باذن الله ، مع سقوط الدعوى والاقبال على ربه ، ولعله
من اهل الجنة البله

سيدى محمد بن احمد الاول بخيرى

نحو : ١٢٩٥ هـ = ١٣٥١ هـ

نسبه :

محمد - فتحا - بن احمد بن محمد - فتحا - بن على بن احمد بن سعيد ابن احمد بن سعيد (مكررا)

هذا اخو المتقدم وأصغر منه ، وان كان أكبر منه بعلمه ، اذا التفت عليهما المحافل ، اخذ القرءان عن عمه سعيد بن محمد ، وهو ممن يشارط في مساجد الخ حينا ، فهو استاذ الوعيد في القرءان ، ثم اتصل بالاستاذ سيدى محمد ابن عمو الهستوكى الشهير ، فلازمه ماشاء الله . ثم انتقل الى (مدرسة تيسوت) برأس الوادى ، عند الاستاذ سيدى احمد المشهور بـ (أزاركو) فاخذ عنه ثم الى مدرسة (ناهالا) عند الاستاذ سيدى على الاسكارى ، فربط هناك نحو عشرين ، فامتلا وطبه لبنا صافيا وادب بعلم جم ، وقد اتقن الفنون التى اخذها احسن اخذ . وان كانت يده فى الفقهيات اعل واطول ، ثم انه بعد ما رجع لم تلاحظه السعادة ، ولا تهيأ له ان يجول فى مجالات الافتاء او التحكيم فى النوازل اوفى التدريس ، وباحدى هذه يظهر علم العالم عندنا فى هذه البلاد ، وقد حدها الى ذلك خمول جبل عليه ، وانزواء لا يرتاح الاله ، والمعالي لا تزف الا لمن خطبها والجد ضنين بنفسه الا لمن سخافيه بنفسه ، فكل من قنع بالكسرة ، ورضى بالشملة ، وتبلغ باللقا (١) فاجدر به ان يبقى نكرة ، وان يعيش فى حجر صب خرب طوال حياته

اندمج فى المساجد ، فكان فى مسجد قريته وفى (واوزرت) وفى (ناوييت) هذا ما حكاه لى ابن العم الاستاذ سيدى بلقاسم السليماني الذى منه عرفته ، فندبته ليستقى لى تاريخه من عند اهله ، فرجع الى بما رسمناه للقارى . وذكر هو انه كان يعرفه اتم معرفة ، وكان يزور احيانا الاستاذ التاجارمونتى فى المدرسة (الايشانية) حين كان الخاكي يأخذ هناك فى أعوام ١٣٤٠ هـ قال وكان يمتحننا كثيرا كلما جاء ، ويلقانا بعويصات يستفهمنا عنها وربما حدثهم بغربات فى نظرهم فحكى لهم مرة انه لاقى يهوديا ، فسأله ما لفظة التوحيد فقلت له لا ادري ، لاننى لا اعرف اولا مقصوده . فقال هى مصدر وحيد الله

(١) اللقا بالفتح : الشىء النافذ القليل

لوحيد ، وكان ذلك عجبا ، اقول : لان اهلنا لم يعهدوا من الاسرائيليين الاعتناء بأمثال هذه العلوم العربية . بل على من لم المسلمين ايا كانوا .

اقول : قد وقع لى مثل ذلك مرتين ، وانا كما فارقت هذا الوسط السوسى الى الحواضر ، وذلك اننى جئت لاركب الى السويدية فى جامع الفناء بهراكش فى سنوات : ١٣٣٨ هـ فاهوى انسان بهياة اوروبية ، ليركب ازانى فى السيارة فافرجت لشمطاء اسرائيلية اهلية ، افضلها عليه ، ثم لما وقفت بنا السيارة فى (شيشاوة) قال لى ذلك الانسان ، وقد نزلنا نتمشى حول الطريق : لم ابيت ايها السيد ان اركب ازاك ، هكذا بلفظ عربى مبين ، فشدهت فقلت له : ارومى ويعرف اللغة العربية ، فقال لا والله . لست برومى ، وانا انا من ابناء يعرب . ثم استرسلنا فى الكلام ، فاذا به الشاعر الكبير رشيد مصوبع اللبناى الشهير ، وما كنت اسمع به قبل ذلك اليوم ، وقد عرفنى بنفسه ، وقد كنت اذذاك اجعل الناس بالعالم وتقليباته ، وما بلغته العربية انتشارا ، فضلا ان اعرف ان هناك من يسمى (رشيد مصوبع) ثم انه صار فى الحال ينشدنى من قصائده ، فمما انشدنى داليتة الفخرية التى مطلعها :

(هجمت ولم اخش الحسام المهندا)

وهى التى يقول فيها :

اذا شئت امرا كان بحرا ركوبه جعلت العدا جسرا فسرت على العدا
اذا شئت امرا لم اكن مترددا واقبح ما فى المرء ان يترددا

وهذا ما استحضر منها وقد انشدنيها كلها ، فسمعت من البلاغة والتمجيد ما بهرنى ، فكان هذا من اول الدروس التى اميظت بها جهالتى بالعالم .

ووقع لى ايضا اخرى مثلها فى ذلك الحين ، وذلك اننى اتصلت بجسرا من (التمن الاسلامى) لجرجى زيدان الشهير ، وقد كان لى قبل ذلك المام بالتاريخ ، فشدهت مما رايت من كلامه حول العباسيين من النقول ، فقلت فى نفسى : نصرانى ويعرف كل هذا ، واذا ذكر اننى منذ ذلك الحين كنت اخذته عند ذكره الخلاف المشهور حول خلق القرءان حين فسر (الخلق) بالاختلاق ، فيكون المعنى ان المسلمين اذذاك اختلفوا ، فمنهم من قال ان القرءان مخلوق الى مفسرى مكدوب ، ومنهم من قال لا ، وهذا افساد للتاريخ ، لان ذلك الاختلاف ليس على هذا المعنى الذى حور اليه الكلام . ولا اخاله ممن يخطئ عنه ذلك ، وما فعل ذلك الا عن قصد ، هذا ما كنت رايت ، ثم بعد ذلك وقفت على تاليف لعمان شبل الهندى . يبين ما فى كتابه المذكور . فاذا به ذكر ما قلناه منتقدا

اعتراى ذلك الدهش ، كما اعتري هؤلاء الطلبة لما سمعوا ان يهوديا

يعرف التصريف ، ولا يزال كثيرون من طلبه بلادنا وعلماؤها على هذا ، الى الان ١٣٥٨ هـ فيجب على من يتحدث اليهم ان يعذرهم ، وان لا يلقى اليهم من عجائب هذا العصر الامقدار . والحمد لله الذي ازال عنا هذه الغشاوة حتى عرفنا ما في العالم اليوم .

(كنت كتبت هذا سنة : ١٣٥٨ هـ وانا الان اراجعه سنة : ١٣٧٨ هـ فاقول ان علماء سوس تفتحت اعين غالبهم في هذه العشرين سنة ، فعرفوا ما يجري في العالم بعد ان انقشعت الغشاوة عن ابصارهم)

ورشيد مصوبع اشهر من نار على علم في الحواضر ، وكان شعره سجيبة ولائما له بالقواعد اصلا ، وكان دنى الهمة الى الغاية ، فكان ذلك سبب سقوطه ، فقدم كبارا من المغاربة كالحاج التهامي وابن عمه القائد عمر بن الدني ، ولكن ما يجيزونه به لا يلبث ان يذهب بين الكاس والطاس ، وكانت حياته دالما كانه (كرصون) السيارة وسنخا وما الى ذلك ، وقد مات في الدار الهضبة بعد : ١٣٤٠ هـ



الصالح

سيدى ابراهيم بن على الايغشاني

من أهل القرن التاسع

= * =

هو اليوم مشهور في قرية (ايغولا) - الظلال - قال فيه الرسمى : المربط سيدى ابراهيم بن على الايغشاني المدفون بظلال غشانة شيخ الول الصالح سيدى احمد بن موسى . وله معه قصة شهيرة ، كانت سبب رجوعه للطريقة يتحدث بها الناس ، ويكتبونها

وقال الحضيكي : ابراهيم بن على الغشاني دفين ظلال غشانة كان رضى الله عنه من اكابر مشايخ وقته ، وافاضلهم ، مشهور البركة والكرامات وهو اول شيوخ القطب سيدى احمد بن موسى ، وأول من دله على الطريقة والطير لاهتدى على يده ، وله معه قصة مشهورة ، يجرى ذكرها على الالسن والاقلام

هذا مقاله مؤرخا ، والقصة المشهورة التى لوحا اليها ، هي : ان سيدى احمد بن موسى ، كان شابا نشطا . عند مراهقته . جريئا لا يستحي ، قيل عادة بعض الشبان ، وقد اشتهر بذلك عند لداته . فاتفق يوما الهم يلعبون اما بالكرة واما بامثالها ، أسفل عقبة مشهورة هناك الى الان ، وفيها طريق يتسلق فيها صعدا ، فجاء يوما صاحب الترجمة ، وعلى رأسه قفة لبن ، وهو شيخ كبيرهم هرم ، فوصل أسفل العقبة ، وقد أعيا فوجد هناك اصحاب سيدى احمد بن موسى ، فقال لهم من منكم يطلع لي بهذه القفة في هذه العقبة يا اولادى جزاكم الله خيرا ، فتضحكوا على الشيخ ، فقالوا له : مهلا حتى يجي احمد بن موسى ، وقصدهم ان يميل بالقفة فيشتت ما فيها ليضحكوا ، وكانوا يعتادون منه مثل ذلك ، ثم لما جاء طلب منه سيدى ابراهيم بن على طلبته ، فتناول القفة ووضعها على رأسه ، واصحابه ينتظرون ان يصنع بالقفة ما يحسبون . يصنعه بها ، ولكنه سار بها ، والشيخ وراءه ، حتى انزلها له فوق صخرة . على رأس العقبة لا تزال معلومة الى الان ، فمال سيدى ابراهيم على صاحبه بدعوة حارة ، وافقت الاستجابة ، فكان ذلك سبب ان انقطع سيدى احمد بن موسى عما يعتاد منه فاقبل على شأنه ، ثم التحق بسيدى محمد الوجاني ثم بالتباع ، فاندمج فيما عرف به ، كما سيدكر ان شاء الله بين تراجم اهله في (القسم الرابع)

هكذا تحكي هذه القصة ، فكانت كرامة خالدة للشيخ سيدي ابراهيم
ابن علي رحمه الله

وبعضهم يرى انه وقع ذلك مع سيدي محمد الوجاني ، وقد ذكر القصة
في (الطبقات) في ترجمة ابن موسى

واما الوجاني هذا فقال فيه الحفيكي :

(سيدي محمد الوجاني دفن ذراع الكباش بمشمس وادي سمالة، كان
من اشياخ القطب سيدي احمد بن موسى ، وأول من فتح الله على يده ، بدعائه
لعلما رفع عنه قفة تين لداره - كما في رواية اخرى للحكاية - وقيل انما جرت
له هذه القضية مع سيدي ابراهيم بن علي المدفون ببلد غشانة

هؤلا، من تيسر الان ذكرهم من الايفشانيين ، ولا بد اننا جهلنا في تلك
الجهة بعض من يستحقون الذكر ، ولكننا لم نكن بصدد الاستقصاء الا في
الاهل ، وما ذكرنا هؤلا، الا تبعا .



الفصل الخامس في الامانوزيين

ذكر فيه من المترجمين :

- الصالح سيدي عيسى بن صالح الكرسيقي
- الرئيس الشيخ بلقاسم بن الحسين الايزديي
- الفقيه سيدي ناصر التونيني
- سيدي محمد بن الطيب التونيني
- الفقيه سيدي محمد بن بومليك الايزديي
- الفقيه سيدي علي بن احمد الايزديي
- الفقيه سيدي الحاج المحفوظ الهماديي التارسواطي
- العلامة الاديب سيدي محمد المانوزي الشهير

عيسى بن صالح الايزر بيبي

من القرن الثامن

= * =

نسبه :

عيسى بن صالح بن موسى بن يوسف ، بن عبدالعزيز بن عمرو .
قال فيه الحفيكي بعد ان ساق هذا النسب :
كان من اولياء الله الصالحين المشهورين بالخير والبركة ، من أهل
القرن الثامن . انتهى .

هذا كل ما قاله الحفيكي ، ونحن ايضا ليس عندنا ما نزيده عليه ، غير
ان عليه مشهدا يقام فيه موسم صغير في شهر غوشت ، بعد اسبوع من موسم
تازروالت يوم الخميس ، يحضره الاقارب ، ويحتفل بالازربى لضيافة
الواردين والطلبة يردون من المدارس القريبة ، فيبيتون على القراءة المساءة
في اصطلاحهم بـ : (تأخرات) على العادة الى الصباح ، وقد حدثني من كان فيه
السنة الفارطة ١٣٥٦ هـ باعجوبة ، وهي ان اللحم اذا طبخ يحمل بالقفاف ، هذه
هي العادة المستعملة ، فيكس على سطح المسجد ، اكدا على الجص من غير
صحون ، فياكل منه الناس . هذا ما حدثني به ، ولادري اصدق أم كان من
المفترين .

ثم المشهور : ان هذا السيد قيل لاعتقب له ، وينكر كثير من الناس على
بعض الايزر بيين الاحياء الذين ينتسبون اليه ، وهذا ما سمعته ، ولادري اهذا
صحيح أم لا لان ايزر بي وان كان في صلب الخ من شرقيه ، فاني ما وطمته بقدم
ولا خالطت أهله (على ان الثابت ان له عقباً ستراه بعد)

هذا ما عندي الان عن هذا السيد الذي ربما كان من اقدم صلحاء الخ
ولكن بكل أسف ، لم نعرف عن حياته شيئاً ، بل ولا عرفنا اهنا لك مشجر نسب
له ، كما هو المعتاد لامثاله ام لا ، فهكذا تذهب حياة الرجال ولا يبقى الا قبورهم
المبيضة . وليت شعري ماذا تقضي القبور البيضاء اذا كنا جهلنا حياة اصحابها
وكأنت بالجهل بها سوداء ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون

* * *

ثم التي بعدما كتبت ما تقدم ، وقفت على جلية بعض الخبر مما يتعلق
بالمرحوم في مشجر بعض احفاده . فتهين اليه من الكرسيفيين الاوائل .
واحد سلسلة النسب الذي وقفت عليه : محمد بن الحسن بن عبد الله بن
أحمد بن الحسن (لعل) بن عبد الله بن محمد (لعله) بن عبد الله بن محمد
ابن عبد الله بن موسى بن الحسن بن علي بن داود بن موسى بن عيسى بن صالح
ابن عبدالعزيز بن عمرو بن نعمان بن قطاسين بن كلدوان بن فلول بن تاصموت
ابن عبد الله بن مرفود بن عمر بن ابراهيم بن اسحاق بن عبد الملك بن عثمان
بن عفان . ثم رفع النسب المعلوم الى عدنان ، ثم قال : انتهى كما وجد ، وما سكت
الله كوراءه من قرية فجدة (امانوز) في سوس الاقصى ، وقد وقفت على تقييد اسمايه
والعقب (في النسب) مع اولاد الشيخ سيدي أبي يحيى الكائنين بزاوية (الكرسي) في
قوس الله حرما ونورها بالعلم والاولياء والصالحين في جده الخ - الى ان قال -
لعله مقابلة بالاصل بلا ولا ، بتاريخ ذي القعدة : ١٢٤٣ هـ بن عبد الله
ابن احمد من (عق الرمال) الايسى ، ثم ذكر ان الاصل بخط محمد بن احمد بن
بناشم الكرسيفي ، وهذا بخط احمد بن عبد الله بن احمد الكرسيفي ، ثم
أيد بها في ذلك محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الكرسيفي ، ثم محمد بن عبد
الله الحفيكي ، ثم اخران لم تظهر توقيعاتهما ، ثم عبد الله بن ابراهيم
السيدي ، ثم عبد الله بن محمد التمل النويملاني ، ثم احمد بن عبد الله
وقد ساقا كلاما حول هذا النسب ، للفقيه عبد الله بن محمد الاوزلي .

ويبقى مقابلة هذا النسب مع نسب الكرسيفيين (العلوم) كما رأيت
في ابي عيسى الادنين ، بين ما هنا وبين ما عند الحفيكي ، ولعل ما هنا
هو النظم

فهذا عرفنا اليوم ان عيسى من الكرسيفيين الاوائل ، وان كثيرين من
الامانوزيين من اولاده ، ولا عبرة بمن ينكر هذا بعدما ثبت كما رأيت ، وربما
امانوزيهم منذ اجيال ، ويكفون الان نحو : ٥٠٠ كانون ، والفصل في كل
هذا الذي عرفناه ، يرجع لاحد فضلائهم . جزاء الله خيرا ، والكلام على
العلماء الكرسيفيين اجمعين ، سنلم به ان شاء الله في (الفصل الثاني) من
(القسم الرابع)

الرئيس

بلقاسم بن الحسين الايزيدي

١٣١٩ هـ = حى

= * =

نسبه :

بلقاسم بن الحسين بن محمد بن محمد ، ويتصل نسبه بسيدى عيسى ابن صالح المذكور قبله

هذا هو الرئيس الرسمى الرابع من رؤساء الغ اليوم ١٣٥٨ هـ الاربعة وقد مربك الثلاثة ، ووالده سيدى الحسين من حفظة القرآن ، وكان منقطعا على رأس القرن الماضى ، الى المدرستين (البومروانية) و (الالفية) عند الاستاذ سيدى محمد بن عبدالله الالفى رحمه الله ، وكان ربما يأخذ شيئا ، ولكنه خادم له على الحقيقة ، فعاد على اسرته من بركة خدمته ما فاته مما أخذه ، وكان حسن الظن فى الشيخ الالفى أيضا ، ويحكى عنه ويقول : ان عنده شعرات مما حلقه مرة من رأسه يتبرك بها ، وقد كان الدهر القى عليه كلاكه ، حتى ادركه اولاده فى العقدين الاخيرين ، فالتحقوا بالبيضاء ، فساعدهم الدهر فتمولوا وهو اليوم اغنى من بالغ كله ، بسبب التجارة التى اشتغلوا بها هناك ، ولا يزالون على ذلك الى الان ، (ووالدهم لا يزال حيا ١٣٧٧ هـ) وبذلك أصبحوا اليوم فى الامانوزيين الالفين بمنزلة الهامة من الجسد ، وهم اخوة متعددون ، لكن امرهم مجتمع فتظاهروا فقالوا ما نالوا

بلقاسم هذا هو رئيس فرقة من قبيلة امانوز ، وهو وديع لطيف ، عالى الهمة ، يظهر ذلك فى بزته ، وفى داره ، فقد شاد بناء حسنا ، واثته بفرش عالية ، واعتد اثنية لماعة بيضاء من آخر طراز ، وهو مع ذلك كريم النفس . كريم اليد ، كما يقول الناس (ثم شاهدت منه بعض ذلك يوما زرته فيه) وقد برهن هو واخوته عن نفوس طيبة ، وليسوا ككثيرين ممن تحدث عندهم النعمة فيشمخون بالانوف . ثم يحيطون بها سياجا متينا من البخل ، وسوء الاخلاق لقينته مرارا فاعجبني بحسن سمته ، وبادبه عند المحادثة . وقد بقيت فيه بقية من حسن الظن بالعلماء والمرايطين ، فزانه ذلك ، وقد جالسته : فى السنة الماضية (١٩ - ٣ - ١٣٥٦ هـ) تحت شجرة فى ذلك البسيط بمركز (تافراوت) ، أنا واخى أحمد ، فاعجبني غاية الاعجاب ، وهو أسمى . ولكنه ممن

بحسب انه مر بالكتب . والله اللطيف بالقطائع سلوات الى الحاضرة ، فتحضر وقد اخبرنى ان اهله محسوبون من بولطاس ، من فخذيت على ، وقد زار هو واخوته يوما الخاثر نزول فيه اول : ١٣٥٦ هـ فجاءوا بسيارة لهم جديدة ، فى ثياب حضرية انيقة ، فرأيتهم حين جالوا فيها يتالقون فى الوان البستهم . فخليلتهم روضة انفا تفتحت فيها الزهور المختلفة الالوان ، فيتركون بثعمتهم الجديدة هذه من كانوا يعرفونهم فى ادقاعهم القديم على جمرات الجسد يتقلبون ، فرحم الله التهامى اذ قال :

نظروا صنيع الله بى فعيونهم فى جنة وقلوبهم فى نار
اتم الله عليهم نعمته ، ووفقهم لما يحبه ويرضاه ، انه سميع مجيب .
وبالاجابة جدير .

(ثم ان اخاه عليا الحاج سنة ١٣٦٥ هـ فى قافلتنا كان من الدين قضى عليهم الفدائيون فى البيضاء فى الازمة ، ثم عزل المترجم ، فلزم داره الى الان : ١٣٧٨ هـ وقد توفى والدهم السيد الحسين بعد ولده على ، وقد كانت بينى وبينه مودة كانت جذورها من محبته لوالدى ويحكى انه كان سمع مرة تبشيرا بما ستعير اليه داره من التفوق ، فقد حدث انه كان معه فى ثوبه الجميل (الكالزة) وهى مؤتة تائشا عجيبا فى نظره ، فراءه يتتبع ما فيها بعينه ، فقال له : الله ستدرك كل هذا ان شاء الله ياسيدى الحسين فصدق الله قول الشيخ **فقال** اكثر مما رأى على ايدى اولاده التجار ، وكان يحكى عن الشيخ **حكايات ملها** فرحم الله الجميع)



الورع سيدى ناصر التونينى

نحو : ١٢٩٠ هـ = ٦ - ١٣٥٦ هـ

= * =

نسبه :

ناصر بن عابد بن ابراهيم المؤذن هذا أحد من تزادان بهم الخ في هذه السنوات الاخيرة ، والقائم بالتدريس في مختلف الفنون في المدرسة (تيمكيدشتية) عقودا من السنين ، واحد افذاذ الورعين ، تسمع اخبارهم فتدهش السامع ، ويقول : اولايزال أمثال هؤلاء يجود بهم الدهر ، وهو من أسرة يقول أهلها : أن نسبها متصل بابى بكر الصديق ، والناس مصدقون في أنسابهم

أخذ الأستاذ عن عمه سيدى الحسن بن المؤذن ، فى قرية (اكجكال) وفى (تيسوت) ، وغيرهما ، مما يعتادها بالمشارطة ، والمؤذن المذكور كان رجلا خيرا لازم الاذان فى مسجد قرية (تونين) فسمى بذلك ، ثم التحق صاحب الترجمة بالفقيه سيدى محمد بن أحمد الاسكاورى الكرسيفى فى مسجد تازكا من قبيلة (أملن) فجود عليه القران ، وفتح عليه الامهات ، وبعد حين أرسله الى : (تيمكيدشت) فأخذ هناك عن علمائها ، وكان المشهورون - فيما أعلم - هناك اذذاك بعد الشيخ سيدى الحسن بن أحمد : الفقيهين : سيدى محمد البعيل ، وسيدى موسى الاوكى ، وصاحب الزاوية سيدى الهاشم صاحب الاحوال الغريبة ، فعنهم أخذ ، ولزم حتى حصل تحصيلًا عاليًا فى كل ماأخذه نحوا وفقها وفرائض ، وألم بالحديث . ويجمع العلوم التى تروج هناك وكانت تصاحب منذ الصغر - على ما يظهر - حالته هذه الحسنة التى انتجت ورعه المشهور به ، وكان فى حاله مسكينا ، متواضعا فى زيه وفى اقواله ، وفى أفعاله . فمنذ تولى الدراسة فى المدرسة ، والطلبة كثيرون لم ينقصوا قط عن السنين ، لازم الدراسة واكب عليها ، ولكنه تجافى عن مظاهر الفقهاء حتى أنه هناك لا يدعى الابا امام ، لانه امام الصلوات الخمس ايضا ، وهو تحت يد صاحب الزاوية ، فقتع واحتسب ، يدرس بلا اجارة فيما سمعت الا مايصله به سيدى الهاشم رحمه الله ، ولم يعتن بتأثيل المال ، ولا ان يتخذ وراء دراسته معاشا وكان فى بعض السنين يخرج مع طلبة المدرسة ، فيدورون على القبائل وهم

فى دراستهم تلى العادة التى كان الشيخ سيدى احمد بن محمد وولده الشيخ سيدى الحسن بن احمد ، وكان حسن الظن جدا باشياخ (تيمكيدشت) فجوزى عن ذلك بالمنزلة التى تهيأت له مما تعطرت به الالسنه . وتناقلته الركبان

حدثنى من حديثه بعض الطلبة النجباء أنه حضره مرة هناك يقرر درس الالفية ، فى (كان واخواتها) قال : فاحسن تقريره ، ولكنه عند الاعراب صار يعرب هو بنفسه (على عادة اهل المدن) ولا يواخذ طلبته بالاعراب (على عادة الالفين) وذكر عنه أن به لكمة تمنعه من الافصاح كل الافصاح بسهولة عما فى ضميره ، ولكنه مع ذلك يجتهد ليستوعب مراده ، وكان تزوج اخيرا امرأة ، ولم يولد له معها لمات عن غير عقب ، كما سمعت . ومما تحدث به عنه الناس بعد موته ، أنه ما تناول قط لقمة فى زاوية (تيمكيدشت) بعدما حدث فيها ما حدث على يد سيدى محمد بن الهاشم ، وادخل فيها اموالا اجنبية عن مالها ، فكان يأتى بمزادة عن داره مملوءة بدقيق يتبلغ به ، وقد انقطع أيضا عن مجلس سيدى محمد ، وكان ربما أرسل اليه لينظر فى بعض قضايا التوازل بعد ان وقعت هذه الواقعة ، فيجيبه بأنه عزم ان لا يتدخل فى شىء بعد ، ثم اذا ألح عليه يقول له : ان اعجبكم ان أبقى كما أنا فذاك والافوداعا ، ولزم هذه الحالة التى لا يلزمها الامن يراقب الله حتى التحق بربه ، وقد أرسل صاحب الزاوية سيدى محمد ابن الهاشم بعد ان مات الى داره ، فاسترجع فيها كيس سكر ، كان سيدى محمد أرسله اليه حين أعرس فى هذه السنوات الاخيرة بهذه الزوجة ، فعين احضر أرسل الى سيدى محمد أن يسترجع كيسه ، فانه بعقدته لم يمسه ، فكان هذا والله ممارف منزلة ، واتبعه ذكرا جميلا ، ووفاته فى (تيمكيدشت) ولم ألق له على اثر ، وله تلاميذ منتشرون . لعنا نتصل بهم او ببعضهم لتعرفهم ولكن ذلك فى فرصة اخرى ان شاء الله ، رحمه الله ، ونفعنا به وبأمثاله (ثم لم نتصل من اسماء تلاميذه بما نريد . والامر لله وحده)



سيدي محمد بن بومليك الازريبي

١٣٠١ هـ = بعد ١٣٦٠ هـ

= * =

نسبه :

محمد بن بومليك بن محمد

هكذا ذكر لي عن ابيه ، ثم لم أعرف اعل من هؤلاء ، اخذ القرءان عن اساتذة اخرهم سيدي احمد بن عبد الله استاذ المدرسة (الفهمية) الشهيرة ، وبه تخرج ، ثم اتصل بالمدرسة (الالغية) ولم يتجاوزها حتى حصل ما حصل ذكر الاستاذ سيدي عبدالله بن ابراهيم العم انه من الرعيل المتوسط ممن اخلوا بالغ اعوام : ١٣١٨ هـ وذكر عنه انه اجتهد وجال في مجالات النجباء ، يكب على ما يدرس اكبابا ، وفي اخلاقه ما يقضى عليه ان لا يخالط الطلبة كثيرا ، لانه لا يداجي ولا يداهن ، ولا يقبل على مهارشة احد فتفعه ذلك في الاقبال على ما هو بصدده ، وفي اخلاقه حزنه غير قليلة ، لكنه سليم الطوية ، وبعد عشرين السنين ، فارق المدرسة بادراك حسن وتحصيل عال عن الوسط قليلا ، ثم ربح بداره مقبلا على اوراد وعبادة اشتهر بها ، فنقص بسبب اهماله للدارسة مقياس ما اخذه ، هذا ما وصفه لي ابن العم حفظه الله ، وقد سألت عنه الناس اخرين ، فذكروا لي نحو هذا ، وايدوا لي تلك الحزونة ، حتى ان بعضهم ذكر لي انه بينما كان يتكلم معه في شأن اذ انقبض فجأة ، وانتفض يضرب بيديه لخطرة خطرت بباله ، وكذلك انزواؤه واقباله على ربه ، قد اشتهر عنه الى الآن ، وقد اعتاد ان يؤوى اليه طلبة المدرسة (الالغية) متى جاءوا الى موسم سيدي عيسى بن صالح ، فيكرمهم في داره ، ولا يزال على هذه العادة ما يمكن له وكان قليل ذات اليد ، وحكى لي انسان انه ممن استناروا بالاقبال على الله فهنيئا له ، وانما ينكر عليه هذا القبوع الذي بسببه تدلت معلوماته ، وذلك ما لم يحفز اليه الانسان بدافع جبري مما لا يجوز للرجال ، لان منفعة الخلق والخير كله ، لا يتمان الا بالمخالطة ، وقد قال بعض الالغيين ارتجالا في ذلك شبه أبيات :

هل الخير الا في الانام ؟ وبينهم يرى المرء كل ما يحب من الخير
فهل يستطيل اللبيب الا على التي تقاصت عن المرعى في وسط القرى ؟
فصاحب كبر الاسرار جمعا في الال تصاحبهم اما اجتنبت ذوي الشر

سيدي

محمد بن الطيب التونيني

نحو ١٢٩٩ هـ = نحو ١٣٦١ هـ

= * =

نسبه :

محمد بن الحاج بن بلقاسم بن محمد

هو ابن عم الفقيه سيدي ناصر المذكور قبله ، وهو من الملازمين لزاوية (تيمكيدشت) من صغره الى كبره ، بل لازمها الى مماته ، فانه بعد ما اخذ ما قدر له من العلوم صار قيما لمخازن الزاوية في عهد الفقيه سيدي الهاشم وهو الذي يكون بريده في مهماته وهو الذي كان يتصل بالفقيه الاستاذ سيدي علي ابن عبد الله الالقي يوم قامت قيامته حول املاكه المفصولة منه في (ايشت) فقد ذكر لي من حضر يوما في دار الاستاذ وقد اتى المترجم بمال من عند سيدي الهاشم الى الفقيه الالقي ثمن املاكه ، وقد رضى ان يأخذ ما كان دفعه فيها ، الا ان الذي اتى به هذا الرسول ناقص قليلا عن القدر المتفق عليه ، ولذلك لم يقبله الفقيه ، فكان في ذلك كل خير لانه بسبب عدم قبض ذلك المال بقيت الاملاك لاولاده فاسترجعوها بعده لما سنحت الفرصة ، وقد رايت ذكرا للمترجم يوم كان سيدي محمد المانوزي في مدرسة (تيمكيدشت) وذكره بانه مقرئ الزاوية ، وقريته تسمى (اكاديروايو)

هذا كل ما اعرفه عن المترجم الان رحمه الله ، وابوه الحاج الطيب كان من الافاضل المذكورين بالخير ، بل يقولون عنه انه حكيم ، وقد اسن لما توفي سنة ١٣٣٩ هـ



الحاج المحفوظ الاهدادي

التارسواطي

نحو: ١٣٠٣ هـ = حى

= * =

نسبه :

المحفوظ بن أحمد بن محمد بن محمد بن مسعود

قرية (تارسواط) هذه من القرى التي تحظى في كل جيل برجال مبرزين أما في العلم والصلاح معا وأما في احدهما . فقد كان النجوم الثواقب من العلامة الحفصى الشهير في آخر القرن الثاني عشر . ومن جده الشهير في آخر القرن الحادى عشر ومن اولاد العلامة الحفصى في القرن الثالث عشر من تحت بهم قرية (تارسواط) طوال هذه الاجيال . ثم كان والد صاحب الترجمة الرجل الصالح أحمد بن محمد من اصحاب الشيخ الالفى من جلبب اودية الصلاح ، ومن رحمهم الله بالخمول ، وقد كنت رأيتة وأنا صغير حوالى ١٣٢٧ هـ ورد نهارة الى الزاوية على نية ان يسبح مع الشيخ ، فصادفه قد خرج قبل ورودده . وقد كان رحمه الله من الفقراء الصادقين الذين ذاقوا ما ذاقوا في لباب الطريقة من الاخلاص فى العمل . والفناء فى كل ما يجلب مرفهة الله تعالى . فهذا يصفه عارفوه . وهى امى يستغرق اوقاته فى طاعة ربه .

وأما ولده هذا المترجم فقد جمع بين العلم والعمل . وهو اليوم زينة تلك القرية وقطبها . وبه تذكر الان . وهو الذى يقصد فيها ضيافة وعلماء واربابها وهوسبط الحفصيين . وقد نزع عرقهم فكان أحد العلماء مثلهم

متعلما

أخذ القراء عن الاستاذ محمد بن أحمد الصوابى الغرمى . وهو وحده من ذكر اخ له أنه جود عليه القراء

وأما العلوم فقد مثل بين يدى علماء كثيرين كانوا جميعا ممن جلوا فى حلقات التدريس فى اول هذا القرن . وتلك منة من الله بها عليه . فأولهم الرجل الصالح والفقير ذو الباع فى النوازل والفروع سيدى على بن أحمد الاسكارى فى مدرسة (تاهاالا) ، وثانيهم علامة هشتوكه البارع سيدى محمد اوعابو مدرس مدرسة ادا اومحمد نحو عشرين سنة . وثالثهم عميد الخ ومناره

فلا تحسبن الانزواء فضيلة
فما تلك الا خدعة خلقية
فصاحب وخالف فى الجماعة تهترى
فلست ترى رشدا ولست ترى هدى
فها أنذا - والله يعلم - ناصح
فمن شاء ان يحيا ويحسب فى الورى
تحليك عند الله فى السر والجهر
فتودع قبرا قبل كونك فى قبر
بكفيك ضرعا ليس يبخل بالدر
ولست ترى نورا اذا كنت فى قعر
نصيحة خريت لدى الطرق ذى خبر
يماحب، ومن يابى الورى فالقبر

على أن الناس طباع ، ومن أراد ان يجعل الناس كلهم سواء ، فليس لعقله دواء كما يقولون فى أمثالهم ، وفقنا الله وصاحب الترجمة لما يحبه ويرضاه

هذا ولم اقف له على اثر ، مع أنه ذو قلم لا بأس به كما حكى لى ، وكيف لا يكون ذاقلم ، وقد مر بالمدرسة (الالفية) التى تعلم الادب قبل ان تعلم العلم كما يذكر عن كتب الجاحظ .



الذي به يهتدى عند مشيئة السجل . على بن عبدالله في المدرسة (الالفية) ورابعهم ابوالقاسم التاجارموني الذي يقوم بغالب الدروس في هذه المدرسة وكان المترجم هناك في سنة ١٣٢٨ هـ وصادف ان اسنت الالفيون في تلك السنة الشهباء . كما اسنت كل من في نواحي سوس . فارسل الاستاذ على بن عبد الله الى طلبة المدرسة المكتظة ان يستهوا فيما بينهم . فمن قال سهمه فليوسع على اخوانه حتى تنجاب هذه السنة العجفاء ، فكان صاحب الترجمة حين ساهم من المدحفين الذين غادروا المدرسة ، فبسبب ذلك التحق بحوز الحمراء . فجاور في مدرسة (اخليج) عند الاستاذ الكبير الحاج علي السفيوي الذي امضى عمره في تلك المدرسة . وهو الاستاذ الخامس لصاحب الترجمة . فربط هناك هو ورفيقه الحسن الاخصاصي السملالي . استاذ (مدرسة للاتعزي) اليوم ١٣٦٤ هـ فمكت هناك ماشاء الله ، فاذا ذاك زار استاذنا شيخ الاسلام ابو شعيب الدكالي مدرسة (اخليج) قال في طلبتها درسا في حديث (انما الاعمال بالنيات) بهرهم فيه بما شاهدوه من علم فياض . وجوب بين المذاهب وخوض في العلوم مع استحضار للمتون التي يحفظونها من المختصر فمادونه . فكان اولئك الطلبة ثناء على ثناء الى الان . والسنتهم بذلك رطبة في كل مجلس ، وفي بالي انه مريضاً بـ (مدرسة مزوضة) عند الاستاذ سيدي الحنفي

ثم ان صاحبه الحسن الاخصاصي شارط عند الفقيه سيدي محمد بن مبارك الفيغاي الحوزي من زاوية (ازرو) فكان معه صاحب الترجمة ، وقد درسا عليه هناك وبعض طلبة آخرين علوما من بينها علم الفرائض . فكان الحسن الاخصاصي فريدا فيها كما ترى ذلك في ترجمته في (الفصل الاول) من (القسم الرابع)

هؤلاء هم اساتذة صاحبنا وبهم تخرج . وعلمه يميل الى التفوق . كما يحكي . وانا لا اعرفه الى الان . ولكن العلم آية كانت مرتبته . فانه اذا كلل بالانحياش الى الخير . وبالكرم . وبالاخلاق . وبالثروة . وبالنسب الطيب وبالحسب الخالص ، يجول به صاحبه في مراتب الشغوف ، ويذر الافواه تنعطر بذكره . والمسامع تفتح لانبائه في كل محفل ، وصاحبنا ممن كانت لهم هذه الخصال كلها فيما يحكيه الحاكون . والانسان قلما يفوز بمثل ذلك الا اذا احسن غاية الاحسان . لان الناس اكيس من ان يرسلوا الامداح حتى يشاهدوا ذلك الاحسان كما يقوله الشاعر . وهل يقول الشعراء في مثل هذه المقامات الا الحق ؟

نبدأ أخرى عن المترجم

حج صاحبنا سنة ١٣٤٧ هـ فلما بادأ فريسته ، وتوج بذلك الوصف

الذي يتحل به اسمه المصون ، ويحل به سره المظفوف .
وقلما ابصرت عيناك من رجل الا ومعناه ان فتشت في لحيته ثم انه اتصل بسيدي الحاج الاحسن البعيل هذا الشيخ التجاني السيد الذي اشتهر اليوم بالبيضاء ، فتلقن منه الطريقة الاحمدية . ومنحه الاذن في تلقين اذكارها فاسس لذلك زاوية في داره . فانتشر صيته بذلك . مع ما هم به مقامه هذا من تلك الخلال التي ذكرناها انفا . وكما كان لابي في الطريقة الدرقاوية ذكر . كان له ايضا في الطريقة التيجانية ذكر (قد علم كل اناس مشربهم)

خذن جنب هرشي اوقفاه فانه كلا جانبي هرشي اليها طريق وقد نشأ له اولاد اعتنى بتثقيفهم صاحبه الاستاذ الحسن الاخصاصي في مدرسة (الاتعزي) شاهدتهم عشية اربعاء ، ونحن في سيارة . ايسن من مركز الاربعاء ، فرأيت من جباههم الثلاثة ما يبشر لهم بمستقبل . ان لم الاعتناء بهم حتى يستتموا الدراسة

ان الاصول اذا زكت ففروعها تزكو كذلك الشبل كالفرعام ثم ان احمد منهم استتم في فاس بعدما اخذ عن سيدي علماء سوس وهو سيدي عبد الله الايكسماني . وهو الان عالم رسمي حسن التحصيل

اجتماعي مع

جئت اخيرا يوما من الغ الى مجاط ، او من مجاط الى الغ ، فلقيت المترجم على بطلته ، فنزل الى الارض . فتعرف بعضنا ببعض . فرأيت منه ما اذكرني به احمد بن الحسين

واستكبر الاخبار قبل لقائكم فلما التقينا صدق الخبر الخبر وهو اليوم شيخ جليل ، حول شمس المشرق طفاوة واسعة ، تكبره الاعين . وتتسابق الى الثناء عليه الالسن . وقد زاده شرفا في بيته الى ما عده من المعارف والتقدم كامام متبوع في الطريقة الاحمدية ، ما عند اسرته وحواشيها من ثروة ادرتها عليه ارباح تجارتهم المتسعة في البيضاء ، وللثروة طريق يستحسنه دهاء الناس . بل لا يحسب حمقاهم المجد الا منها

الاستاذ محمد بن احمد المانوزي

١٥ - ٤ - ١٣٠٦ هـ = ٤ - ٥ - ١٣٦٥ هـ

= * =

نسبه :

محمد بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن بلقاسم بن علي بن يعزى بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن علي بن إبراهيم

هذا أستاذ سوسي اشتهر في الحواضر كما اشتهر في سوس ، وقد خالط كثيرا من الناس الامثال حتى تكونت له شهرة ، ولكونه يجول في الادب ، ويتعالى الى القمم السماء في كل مقام ، ولميله الى ان يكون مجليا في كل ميدان ، صار عارفوه - وما اكثرهم - يتجاذبون انباءه ، ومختلف اطوار حياته وحين كان يحاول ان يكتب حياته بقلمه ، ثم ساقنا السعادة ماكتبه ، وان لم يذكر الاطوار حياته الاولى . احببت ان اسوق اولا ما مضى به قلمه السيل ثم بعد ذلك أعقب عليه بما عسى ان يفوته

ايه : ان المتسميين الى العلم في قبيلة (امانوز) غير قليلين قديما وحديثا ولكن لما كان مجال تاريخنا حول الغ لاغير ، وكان الامانوزيون الذين في خارج الغ اكثر واكثر ممن هم في سيط الغ ، وليسوا كالسوقاويين والايغشانيين الذين يكثرون في الغ ، لم نتعرض الا لذكر الامانوزيين الالفين فقط ، ثم لما كان لهذا الاستاذ الكبير المدل بنفسه مكانة مكيئة بين ادباء الغ واتصال دائم بينه وبينهم ، حتى انه لا يكاد يغب زيارة الغ او المكث فيه منقطعا اخترت ان اسطره بين الالفين ، لانه كواحد منهم ، وينبغي ان تحذف هذه الكاف في هذا التشبيه كما يقول المتنبي :

كفانك ودخول الكاف منقصة كالشمس قلت وما للشمس امثال واليك ماكتبه عن حياته التي يطمى بين اطوارها حتى يستطرد كل ماسنح له بادنى فرصة ، ثم لا يفلت ما يستطرده حتى يسهب فيه اسهابا ، ولما في ذلك كله من الفوائد للمطالع ، ولما فيه من تسجيل للوقائع ، ومن التنبيه على كثير من العادات التي تمثل الحياة الاجتماعية ، ابقينا كل ما ذكره على وجهه ، ونبها في الحاشية على بعض امور نرى انه سها فيها ، والمقصود الافادة ، وقد ابتهجنا كثيرا بهذا الذي كتبه جميعه ، ولعل القارى سيستهج به ايضا . خصوصا ان تذكر انه يكاد وحيدا ممن كتبوا حياتهم باقلامهم

قال رحمه الله :

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب وام يجعل له عوجا ، وجعله الارواح قوة وقوتا وفرجا ، ويسره لكل مدكر كما جعله للناس وعليهم حججا وهذا انزايده به الالاء مادامت معانيه تفوح ارجا ، وتتجدد مثل اليم زبدا ولججا ومن يخلق بها فله حياة طيبة لا يخاف ضنكا ولا سمجا ، وصلوات الله وسلامه لمن لم يرض بشئ من الدنيا يصطفيه ، وعلى الله وصحبه الذين اقتدوا به في كل مايرتضيه ، الى ان خضعت لهم الرقاب في كل قطر واقليم دائيه والاسماء ، فجابوا البلاد ، وساسوا العباد ، وحكموا بالعدل والتسوية بين الامراء والعبدان . ولم يفرقوا في تبليغ ما امروا به ما بين البيضان والسودان فرفى الله تعالى عنهم وعن تابعيهم وتابع تابعيهم مادام الملوان ، وازكى رحماته ان اسماخنا الذين غلونا بلبان الفضل ، ولم يالوا جهدا في تربيتنا ، تتجدد انفسهم الانراخ ولا توان .

وبعد فقد تسنى لي ان اذكر بعض ما عني لي في احوال حياتي مما عرض لي من اول زمانى ، من فجر سنواتى الى آخرها ، مرارة وحلاوة ، وخشونة وطراوة . ومساءة ومسرة . ومنشئة وممبرة . وفي تعلم وتعليم . ومشقة وسهولة . دون تحاش لصحيح وسقيم . وكل قضية تعلقت به . سواء كانت من نوع المنتج والعقيم . ليكون تذكرة بعدى للأولاد والاولاد الاولاد . والغنى لهم من طريف وتلاد . وقد قيل قديما : ان الدهر معلم اذا لم يتعلم منه طالب . واذا تعلم منه ادب وهذب ، ولم نر معلما احسن من الزمان ، ولا معلما اسماوا اعلم من الانسان ، وكم ادبني وقرع لي العصا ، وغش رائد الامل وهدى الى الحق ما لاقيت في كل مجنى من الشموك يزهد في الثمار الاطياب

الولادة

كانت ولادتي كما جاء في رسم ولاداتنا ، واخبرني به الوالد والوالدة رحمهما الله عليهما شتايب الرحمت والرضوان ، واباح لهما الفراديس ابهران فيها بين حور غنح يحف بهما الولدان ، ليلة الخميس الخامس عشر من ربيعين ، الموافق من شهر غشت العجمي لاثنين وعشرين ، في سنة ١٣٠٦ هـ او اخر دولة اخر سلاطين السلف الصالح ، السلطان المولى الحسن بن محمد بن عبد الرحمان بن هشام بن محمد بن عبد الله ابن السلطان الاعظم المولى اسماعيل بن الشريف العلوى الحسنى . اخبرني والدائ اننى ولدت في يوم موسم الولي الصالح سيدى احمد بن موسى دفين (تازروالت) . والوالد ذاهب اليه مع عامة الناس ، كما هي العادة من الاحتفال اليه . والاعتناء بزيارته ، ووجدنى قد وضعتنى الوالدة فبلغ به من الفرح والسرور الى ان حضر الناس قبل السابع ، فذبح انواع الذبائح . واطعم المساكين والفقراء

والطلبة والعلماء وغيرهم ، وسماني بإشارة بعض أرباب القلوب ممن له خطوة وحظوة في الولاية ، باسمه صلى الله عليه وسلم : محمد بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن بلقاسم بن علي بن يعزى بن إبراهيم بن عبدالله بن محمد بن يوسف بن علي بن إبراهيم الخ النسب الشريف ، أخبرني شيخنا الولي الصالح المرباط سيدي محمد بن بلقاسم من تحت الرمال (تعريب اسم قرية دويملان) التمل الكركراكي أنه لما ولد له ولده صاحبنا وتلميذنا السيد محمد بن محمد (فتحنا) بن بلقاسم ، جاء إلى والدي السيد أحمد بن علي يطلب منه الغسل المشفأ ، كما هي العادة فيمن ولد بالسوس في ذلك العصر ، لكون الاجباح (جمع جبح أي خلية النحل) كثيرة عند الوالد ، فوجده تحت شجرة الزيتون التي بباب دارنا متظلا لشدة الحرارة ، فتصافحا وتبادلا من الفرح والسرور مالا يزيد عليه ، فلما استقر بهما المجلس ، أخبره بأنه جاء للغسل لمولود ذكر زاد عنده ، فقال له الوالد حبا وكرامة ، فتجاذبا الحديث والحديث شجون . إلى أن تنفس الوالد الصعداء ، وبدت على وجهه لوائح الأسف والشجون ، فقال له سيدي محمد - فتحنا - مالك قد تمعن وجهك ، وبدت عليه لوائح الأسف والتلهف في أقل من طرفة عين ؟ فقال لأنك لما أخبرتني بزيادة الولد عندك ، تفكرت في حالي وتجددت أفكارى وأوجالى ، من عدم ولد ذكر يعقبني ، يرثني ويرث من آل أحمد بن علي ، ولم يكن لي غير ابنتين الآن وهذا أذافى سن الأربعين ، وقد تمنيت أن يكون لي أولاد ذكور ، قال سيدي محمد ، فقلت أمد يدك ويدنا إلى الله مع شدة الحضور ونهاية الاضطراب التي وردت عليك في هذا الحين ، فإن شدة الاضطراب تؤثر في قضاء الحوائج . حتى قال بعض العلماء : أنه اسم الله العظيم الأعظم ، والله تعالى قال (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض) ، قال ففعلنا ودعونا الله بهذه الصفة ، فلما فرغنا من الدعاء بأن يرزقه الله الولد الذكر الصالح . دخلنا إلى دار الضيافة ، فاكلنا وشربنا ، واتحفني بما جئت لأجله من الغسل وغيره ، ثم قلت عند الوداع : إذا ولدتموه فسموه باسمه صلى الله عليه وسلم محمدا

(فإن لي ذمة منه بتسميتي محمدا وهو أوفى الخلق بالدمم) وأيضا فلا بد أن تدبخوا على الولي الصالح سيدي يعقوب الذي بجبل (تازرمايت) المطل على وادي (تيملت) كما هي العادة في ذلك العصر . من أن من لم يكن له أولاد ، يندربها له عند طلب قضاء الحاجة ، قال الوالد فمما كتبت الوالدة إلا أياها قلائل بعد هذا المقام الاضطرابي فحملت بك ، وكان تمام المقصود على مايرام ، ولله تمام النعمة ، والحمد لله رب العالمين ، وسماني الوالد كما سماني السيد المذكور محمدا ، واحتفل يوم السابع ، وقرب القربات ، ونصب أعلام الضيافات ، وتصدر للاحتفالات والاحتفالات ، وذبح الذبائح الكثيرة . واستدعى من قريب وبعيد أقطاب العلم والفضل ، للذكر

وفراة القراءان ، فأقام الناس أمه الضيافة ، ففعلوه بما يرضى الله ورسوله فأكرم وفادة الكل ، وسمحهم فرحين سرورين ، داعيين بحسن البقاء ، والهداية والتوفيق والهناء ، وقامت الوالدة بتربيته أحسن قيام ، وهي من الصالحات القانتات العابدات ، الصائمات القانتات ، إنا الليل وأطراف النهار المجتهدات في طاعة الله ورسوله ، الحافظة لكتاب الله (١) رقية بنت العربي بن الحسن بن علي بن محمد - فتحنا - بن محمد بن أحمد بن محمد - فتحنا - بن عبدالله بن سعيد حفيد الولي الصالح سيدي عبدالله بن سعيد الجعفري (٢) دفين (تيقاهارين) بمدر (أيامور) وجدتنا سيدتنا خديجة بنت الفقيه العلامة المرباط الولي الصالح السيد الحسن بن محمد - فتحنا - بن عبدالرحمان سلالة العلامة الكبير المتفنن البارع الشهير السيد علي بن أحمد بن سعيد الغازي الكرسيقي المانوزي قبيلة ، العثماني نسبا ، المتزوجة عام ١٢٦٣ هـ والمتوفاة عام ١٣٠٣ هـ ، بأيامور قبل زوجها العربي ، وهو شقيق العلامة الشهير الحافظ الكبير خاتمة المحققين ، السيد الحاج محمد بن محمد بن عبد الرحمان السلطان مصر حياته ، المتوفي فيها ، كما بلغنا ، عن بنات دون ذكور .

ولما بلغت رابعة السنوات في عمري أخذ الوالد بيدي إلى المؤبد في المكتب بإمام البلد (أوالا) ، وهو يومئذ الفقيه البركة ، ذو الخط البارع . المرباط السيد أحمد بن محمد بن محمد بن عبدالرحمان بن أحمد بن عبد العزيز بن الولي الحسن بن عبدالله وأحمد بن محمد هذا هو الإمام ، من بني عبدالرحمان البوزيدي الكرسيقي ، وسيأتي ذكره عند التعرض ، لذكر أسياننا رحمهم الله ، ومع الوالد الحداقة (٣) كما هي العادة ، ابتداء الحروف الهجائية ، وتعلمتها منه في أسرع زمان ، فما لبث أن توفي رحمه الله عام ١٣٠٩ هـ ، وجاء ابن أخيه المرباط السيد محمد بن الحسن بن محمد ابن أحمد بن عبدالرحمان المتوفى عام ١٣٥٣ هـ إلى المكتب ، وتعلمت منه بقية الهجاء والخط إلى أن وصلت إلى حزب (عم) ، فخلفه المرباط السيد الطيب بن محمد بن بلقاسم من بني الحاج الغازي الكرسيقي المتوفى عام ١٣٥٧ هـ . فاشتغلت عليه بالتعلم ، إلى أن وصلت في الحزب الثامن قوله تعالى : (أتواصوا به ، بل هم قوم طاغون) . وكنت أكرره في لوحى ، إذا برجل دخل على المؤبد بعشرة المقدس الوالد ، فأخبره بورود خبر وفاة السلطان مولاي الحسن .

- (١) لعلة يقصد بعضه فإن بعض جيران المترجم انكر هذا . والمحافظات المفران اذذاك مشهورات يتحدث بهن أو لا تدرى نحن في الموضوع شيئا
- (٢) فقد أشبع الكلام حول هذه الجعفرية المنسوبة لهذا السيد في ترجمته في (القسم الاول) من هذا الكتاب
- (٣) يعنى ما يقدم إلى الأستاذ من والد تلميذ جديد عندما يأتي به إلى التعلم فإنه يأتي أما بدراهم أو طعام أو هدية أخرى

وفيما المولى عبد العزيز مقامه ، على صغر سنه ، في ذي الحجة عام ١٣١١ هـ
فرايت على وجه الوالد تغيرا كثيرا ، فقال له المؤدب مالى اراك متغيرا ، وليست
لك علاقة بهؤلاء العلويين فقال له الوالد لا تقل ذلك ، فان النبى صلى الله عليه
وسلم قال : ليس منا من بات ولم يمهه امر المسلمين او ما هذا معناه ، فاني
تغيرت اذهب العلاج ومجى الفساد لصغر الامر المنسوب ، وهو اصغر من
ولدى هذا ، وأشار رحمه الله الى بيده ، وما زالت تلك الاشارة المقصودة على
تلك الجلالة المرحومة نصب عيني ، نعم ، وقد زلزلت (١) الارض حتى تحركت
الديار ، واندقت الابواب والطبقان ، قبل هذا بايام قليلة ، ثم جاءت الاخبار
ب وفاة السلطان المذكور في ذلك اليوم الذي وقعت فيه الزلزلة ، وكنت وانا
صبي ميمز بين اعمامى المرحومين تحت شجرة الخروب بالموضع المسمى بابى
الفيضان (ويغرداين) وفيهم الوالد ، مع جماعة من اهل البلد ، والكل شاكى
السلاح لشدة الخوف الا ترى ذكره قريبا ، فاذا ببعض اهل الافاق ، خالط
الجماعة ، فسألوه فاخبرهم بموت السلطان في اليوم الفلاني ، فاسترجعت
الجماعة لهوته . وتوجهت له ، ثم اخبرهم بمبايعة ولده عبد العزيز الموما
اليه انفا ، وله من العمر ١٢ سنة ، وبوبع والده المولى الحسن المذكور نحو
عام ١٢٩٠ هـ

ولم يرجع الى مانحن بصدده ، ثم غادر الاستاذ المذكور المسجد ، فخلفه
المولى الصالح الميرابط السيد محمد - فتحا - بن بلقاسم الركراكي المذكور ،
المتوفى عام ١٣٥٩ هـ المشير على الوالد بما تقدم من تقديم الذبيحة للمولى سيدى
يعقوب ، وتسميتى محمدا وغير ذلك ، فختمت عليه القرآن الختمة الاولى ،
وحفظته عليه فيها حفظا جيدا . ولهذا الشيخ اعناء عظيم بتربيتى وتعليمى
بأنواع السياسة لطافة وحيلة وقهرا ، وغير ذلك مما يستدر به افهامى .
وقاسى فى مقابلتى ليلا ونهارا ما هو سبب لرفعة قدرى ومقامى ، جزاه الله
عنى أحسن الجزاء ، ومتعه بالامن والامان فى دار التهانى والهناء

امين امين لا ارضى بسواحدة حتى اضيف اليها الف امينا
ولما ختمت القرآن العظيم بعث الوالد كما هي العادة عند اغنياء البلاد
السوسية ، الى ذوى الفضل من اهل العلم والطلبة ، والميراطين والفقراء
والمساكين ، فذبح الذبائح . واسبغ على الجميع ما غمرهم من انواع الاكرام
وسجل الانعام ، وختم الناس ختمات كثيرة لاشتغالهم بقراءة القرآن ليلا
ونهارا فى ظرف ثلاثة ايام

وان كتاب الله اوثق شافع
وخير جليس لا يمل حديثه
واغنى غناء واهبا متفضلا
وترداده يزداد فيه تجملا

(١) زلزلة الارض سنة ١٣١١ هـ

وشهد لي الوالد المفسر مع اخوانى المذكور بالوصية بثلاث ماله ، حيثما
كان مقارا وغيره ، على العلامة الصوفى الميرابط السيد محمد بن علي بن محمد
ابن المولى الحاج الغازى الجرسيفى ، وعلى عمه شيخنا الفقيه السيد الطيب بن
محمد الاثرى اسمه ، وكتبها بخط يدهما بحضورهما هذا المشهد العظيم ،
رواه الله عنه ثواب كتاب الله الجزيل وبركته حقق الله الرجا
ومما فى سلك المنعم عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين
والناس وانصرفوا شاكرين ، فرحين مسرورين ماجورين ، وبكل خير
الود واخروى اييين غير خائبين

واعلم ان من عوائد المغرب فيما ادركنا وشاهدنا خصوصا عادة سوسنا
الاساس ، ان الاعراس والختومات القرآنية فى الافراح والاحتفالات عندهم
سواء ، بحيث يستعدون اذا بقى للتلميذ خمسة احزاب للختمة ، ومن كل
نوع من انواع الخيرات ، واسباب النشاط والفرح ، يستمدون ، ويراسلون
الافراد واحباهم . ومعاريفهم وارحامهم دانيها وقاصيها ، فى سهول بلادهم
وبالاسواق ، ليكونوا على استعداد تام ليوم اتمام الختام ، وذلك موعدهم
هو يوم الزينة ، وان يحضر الناس ضحى ، وعند وصوله ، وختامه تراهم من
كل جانب ينسلون فرحا ومرحا .

يرى الناس افواجا الى ضواء ناره فمنهم قيام حولها وقعود
مع استشعارهم واستحضارهم لتمام الخشوع والخضوع لكلام رب
العالين ، واحتسابهم من خطواتهم التى خطوها من بعد الشقة وطول المشقة
والفناء حرارة وبرودة ، شعنا غبرا ، اجرا وعملا صالحا ، ونعم اجر
الخالقين . وتراهم يتساءلون فيما بينهم متى تمام الختام والانفضاض من تلك
القرآنية القرآنية الختمية المباركة الربانية ، فيهنئون من حضرها بكل خير
ويستعدون له حصول الثواب والاجر ، كأنما رجع من حج مبرور ، كما أنهم
لنزل الى اعداء حضورها بحرمان كثير ، وانه فى غفلة ساء فى ترهات الغرور
والسهم تنلوفيه قوله تعالى : (ومن يعرض عن ذكر الرحمن نسلكه عزابا
مضجدا) وان الشيطان يلعب به ، ويدرس به مع البهائم حيث له فيه جرين .
والمرسمة مثل الاسد الضارى فى فلولات له فيها عرين (ومن يعيش عن ذكر
الرحمان نقيض له شيطانا فهو له قرين) ثم جعلت تلك النواميس القرآنية
والعقوبات الحمرات الشعائرية تتحط شيئا فشيئا من حين وفاة الملك المولى
الحسن بن محمد المذكور الى هلم جرا ، وصار التلميذ بعد ذلك يختم القرآن
فى قيلولته ، ولا يشعر به من هو معه فيها ، الى اعوام السلطان المولى عبد الحفيظ
عام ١٣٢٥ هـ فلا يشعر به الامن فى البلدة التى هو فيها الى اعوام الثلاثين من
هذا القرن الرابع عشر ايام السلطان المولى يوسف بن الحسن ، فعمت العوائد
الخارجية الطار سوس ، بعدما وقعت حروب كحروب البسوس ، فاستولت

العوائد الافرنجية بكثرة الامتزازات والخلطة على ابناء سوس الذين انتشروا
كما انتشرت تجارتهم في المغرب الثلاثة ، بل الى اوروبا واميركة فاكستيبوا
شنتي العوائد ، فطمت على العوائد القديمة ، كالسيل الجارف ، فقصت على
بقيتها . وانقضت انواع التعظيمات وصارت شعائر الدين نسيا منسيا كسائر
الاقاليم .

فكان ما كان مما لست اذكره فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

(تنبيه) كان التلميذ في ذلك العهد اذا ختم القرآن في المرة الاولى
بالسوس الاقصى يلحظ بعين التعظيم في جميع قبيله وغيره وسائر ابناء
جنسه ، فيعلقون عليه امالا كثيرة . ويرجون مستقبله ، فتسرى فيه روح
التعظيم ، فيتكلف انواع الاخلاق الحميدة من لطف وتواضع وحياء وصمت عما
لايعنى ، وجدوا جهاد في اكتساب المعارف والزيادة منها وفيها . وتدب فيه
نخوة علمية يتعالى معها عن سفساف الامور ، حتى تبلغ به تلك الاخلاق المحمودة
الى ذروة المجد ، وترنو اليه العامة باعين الكمال . فيعرف ذلك هو ايضا في
نفسه ، وتتكيف منه الهمم العالية ، الى ان تؤديه الى الاشتغال بالعلوم
المتنوعة ، فيحصل فيها اوفر نصيب . ويضرب منها بسهم مصيب ، فعندئذ
يحصل عندهم الشموخ ، لبلوغه لديهم درجة الرسوخ ، فيغمرهم من هيئتهما
يحماهم على الخضوع له قلبا وقالبا ، غيبة وحضورا ، فلا يكاد احد منهم يتكلم
في نأديه الا باذنه ، اوفى محفله الا بامره ، وصار مستشارا لا يقطعون امرا
دونه ، فيرجعون اليه في جميع مهماتهم تبركا براهه واسارته ، فاذا نهاهم
انتهوا ، واذا امرهم اتهمروا . ومتى زجرهم انزجروا ، فلا يأنفون من كلامه
ولا يستنكفون من ملامه ، فاذا حضر فالخير كله لديهم حاضر ، ومتى راوه ولو
من بعيد قاموا واجلالا له . كما تقوم للمؤدب المحاضر (١) واذا تسوق اسواقهم
او حضر مواسمهم صاروا يهتفون به ، ويتباشرون فيما بينهم . وتراهم من كل
حذب ينسلون الى حضرته تحت ظلال بعض الاشجار ، او الديار المجاورة
للموسم او السوق . لانه لا يدخل مع العامة في زحام ذلك ، محافظة على كرامته
ونزاهة عن ضجتهم ولغوهم ، فتري الناس افواجا يذهبون لزيارته وللالتباس
منه ، ويتحاذون اليه فيما شجر بينهم ، واذا حكم بين الخصمين نفذ حكمه
فتلك الفتوى بمنزلة الحكم عندهم ، لان العوام بمجلسه كثيرون ، فاذا استفتى
التفتوا اليه ، واذا نبست ببنت شفقيه ولو بكلمة واحدة ، وقعت منهم موقعا
عميقا في القلوب ، فلا يخالفها المحكوم عليه . ولولم يقل له سوى اذهب فليس
لك حق ، فانه يسكت فلا يراجع ، فاذا راجعه يعده الناس غير منقاد للشرعية
الحمدية ، وربما ان الح في ذلك يصدر له من جهتهم ما يسوؤه من ضرب او جرح

(١) اي التلاميذ على لسان السوسيين

او ان خالف فانه ربما ينكل به ، ولو قال لهم العالم المستفتى اقتلوه لعلوا بلا
بولف ، لان امره عندهم ممثلا لما وقر في اذهانهم من ان العلماء ورثة
الانبياء (١)

هكذا كانت نوااميس العلماء من زمن بنى تاشفين في القرن الخامس
الى القرن الرابع عشر تقريبا ، فلا يبالون في احكام الله واوامره لسلطنة
سلطان ، ولا لشوكة ظالم غاشم شيطان ، فاحرى من دونهم ، بل هم بالعلم
الخاصة والعامة ، ارباب الاحكام والسيوف والاقلام ، وقد سمعت من
التاريخ وهو شاهد عدل ما ينبئك عنهم ، (ولا ينبئك مثل خبير) مما بلغ اعل
رتبة من نفوذهم ، ويكفيك الشيخ الامام العالم الولي سيدي عبد الله بن ياسين
المعافري (٢) التامانارتي السوسي رئيس دولة لتونة ومؤسسها ومهديها .
التي بلغت في المغرب الثلاثة والاندرلس الى اطراف باريز (٣) ما يشهد لما
ذكرنا ، وكذلك محمد بن تومارت الهرغي السوسي ، مهدي دولة الموحدين .
الناسخة للدولة المرابطية والتي بلغت ايضا ما بلغت اختها في القرنين السادس
والسابع ، واصحاب الدولة السعدية الشريفة التي قامت بالجهاد لنفي رجس
استعمار البرتغال في المغرب في القرن العاشر ، وغير ذلك من العلماء الذين
يسورون خلال تلك العصور على تلك الدول ، بمالهم من النفوذ العلمي ، والآخرهم
هو الشيخ احمد الهية ابن الشيخ ماء العينين ، الى ان ظم على نفوذهم عباب
الاحتلال الفرنسي في اواسط هذا القرن الرابع عشر ، فانقرض قريبا من
الاحتلال الواقع في جبال سوس عام ١٣٥٢ هـ من اكابر دعاتهم علما وعلماء
ونفوذ ، ما ينيف عن عشرين ممن تحدثه نفسه بالقيام بالامر لاستقلال
لولا قوة الحماية الفرنسية التي اخذت بمخاتق الارض في الجو والوعر والسهل
والبحر والبحر ، على انهم جالدوا عساكر الحماية ازيد من عشرين سنة الى ان
ماتوا في حدود الاربعين بعد الثلاثمائة والاف ، ومن دعاتهم علما وعلماء ونفوذ
الفقيه العلامة ، الصارم القاطع الالبس من الفضل والورع افضل لامة ، سيدي
علي بن عبد الله بن صالح الالفي ، فان نفوذه سار في جميع القبائل السوسية
من جبل (الكست) الى آيت باعمران الى طرفاية من جهة البحر ، الى اقة من
جهة القبلة ، بحيث اذا راب ريب العدو المعاند ، ونادى مناديه في اسواق
القبائل بالجهاد لا يتخلف احد عن اغاثته ، ولا يتقاعد قاعد ، او يتكاسل كسلان

(١) هذا هو الغالب ، والا فهناك لائحة علماء فتك بهم المحكوم عليهم . او
هددوهم بالقتل ، وعندنا في هذا حكايات يجدها الانسان متفرقة في هذا
الكتاب . كاحمد الايغري التامانارتي . ومحمد بن الحسن الجشتيمي
(٢) هذه النسبة في عهدة المترجم والا فقد وقفت على نسب يلحق بالسلالين
والله اعلم

(٣) اوقال الى اطراف مديريه (معجريط) لغارب . والا فابن باريز مما وصله
اللمونيون في الاندرلس

والحاصل أن لهذا الشيخ رحمه الله له بجانبه كبير ، وللوالد المقدس به أيضا اعتناء عظيم فيما يعوزه من أمور ضرورياته ، اللازمة لداره ولولده ، إلى أن توفي الوالد عام ١٣٢٠ هـ فارتحلت إلى هسنوكة عام ١٣٢١ هـ وأعلم أنني لما وصلت الحزب الثامن (قال فما خطبكم) ابتدأت كما شرنا ذلك فيما تقدم على المرباط سيدى محمد بن بلقاسم المذكور ، وختمت عليه الأمران كله كما ذكرت ، حفظته كله حفظا جيدا لكثرة اعتنائه أيضا بنا . بخلاف من تقدم من آل (كرسيقة) فانهم كعادتهم مع غيرهم من القبائل لا يبالون ولا يعتنون بالمتعلمين ، مخافة من نجاحهم ، ومزاحمتهم في الرئاسة القروانية والعلمية ، لانهم يتواصمون على تهيج غيرهم من القبائل . ليستأثروا باخذ الزكوات والاعشار ، والعدالة والقضاء . والمشاركة في المكاتب ، واستخدام العامة بأنواع الوسائل بالتدجيل والتلبيس عليهم ، وكم من قبيلة بالسوس الاقصى لاسيما جبال جزولة وحواليها موسومة بالشرف الصحيح لعمودها الواضح وضوح الغزاة في ضحاها ، فيعمدون إلى زعامات معروفة من عندهم وتقولوا اخترعوها ، وخرافات ابتدعوها ، فيضعون بها ذلك النسب الشريف ويزيلون بهاذلك الظل الوريث ، ليبقى لهم ناموسهم العثماني الاموى محفوظا وبعين الاجلال من العوام ملحوظا (٢) فكم من بطن من بطون قريش من بكرى وعمري وعلوى ، وهم اكثر ، وجعفرى وغيرهم ممن التجأ إلى تلك الجبال هاربا ، وتوغل في قننها العالية عن حريته مدافعا ومحاربا . لاسيما اولاد المولى ادريس بن ادريس بن عبد الله لما تغلب عليهم بنو العافية من زلاته في القرن الرابع الهجرى وتشتتوا في كل وجه ، منكربين لذلك النسب الشريف حقنا لدمائهم ، فتسرب جمهورهم إلى جبال جزولة (وليتة) و (مانوزة) إلى بلاد القبلة من جهة القبلة ، وإلى هيلانة - ايلان - إلى جبال درن من جهة الشمال ، ومثلهم أيضا الاشراف السعديون اوائل القرن الحادى عشر ، وقد وقعت بينهم الفتنة فشمت بعضهم بعضا ، إلى أن قضت على بقيتهم الباقية عاصلة الشبانات ، وهبت ريحها العاصف من عبد الكريم المسمى كروم على اولاد محمد الشيخ منهم ، فاستأصل بقيتهم ، وهرب باقيهم إلى سوس ، لجهة صحرائها . واكثروا من التنقلات في تلك الرمال ، والانتجعات إلى تلك الجبال واكثرهم بنواحي درعة ، وانفصلت منهم طائفة قليلة إلى (مانوزة) أيام المولى اسماعيل بن الشريف في حدود التسعين بعد الالف الهجرى ، وهم

عن اجابته (١) ومنهم الفقيه العلامة المرباط الخير بل الشريف سيدى الحاج عابد (عبد الرحمان) بن عبد الله بن عمر التيفيراسينى القائم بمبايعة الشيخ أحمد الهيبه ابن الشيخ ماء العينين عام ١٣٣٠ هـ فانه اكثرهم نفوذا في سهول هسنوكة وجبالها ، إلى (حصن المنكب) (تعريب اكادير ايفير) إلى حد هيلانة (ايلان) من جهة القبلة ، ومن اعظم نفوذه انه اذا وقعت الفتنة بين قائدوقائد ، او بين قبيلة وجاراتها ، لا يجد كبير مشقة في اصلاح ذات بينهما ، بل يبعث مع بعض اصحابه بكتاب ، او يبعث بعض طلبته فقط ، فيمجرد قراءتهم له او بلوغ صاحبه ينكفون تخوفا من سطوته العلمية ، وهو رحمه الله كثيرا لاصلاح لذات البين إلى أن توفي رحمه الله في شوال عام ١٣٥٠ هـ (٢) ومنهم العالم العلامة المنقولى المعقولى الاصولى أبو عبد الله السيد المحفوظ الادوزى ، فانه قائم بشئون الجبال الجزولية إلى أن توفي ففى ذى الحجة عام ١٣٥١ هـ (٣) وغيرهم ممن لم أذكرهم ممن لهم نفوذ فى قبائل متعددة او قبيلة واحدة ، وسأذكر الجميع فى مؤلف خاص ان سامح الدهر الخئون بجمعه (٤)

ولنرجع إلى مانحن ، ولما اتممت الختمة الاولى على المرباط السيد محمد ابن بلقاسم المذكور ، خلفه الفقيه المرباط السيد عبد الرحمان بن محمد بن بنى اكرام البوزيدى الاسكاورى المتوفى عام ١٣٣٢ هـ غير انه لم تطل مدته ولم يقم معى غير أشهر ، ثم خلفه الفقيه الاديب العاقل الاربب الصوفى التقى التقى المرباط أبو عبد الله سيدنا محمد بن أحمد بن محمد اشتهر بابن السلطان البوزيدى الاسكاورى المتوفى عام ١٣٢٣ هـ فعليه تادبت وتخرجت ومنه اقتبست افكارا شتى واخلاقا دمت ، لكونه جال فى الدنيا لاسيما الغرب فاخذ عن قرائه ، وله خبرة تامة بالقراءات ، وعلوم الرسم والخط والتجويد وقد قرأت عليه قراءة نافع ، مع رسوما و حدودها وتجويدا واتقانها اتقانا كلياً إلى النهاية ، من حذف واثبات ، وامالة بنوعيتها ، وتفخيم وترقيق . وغنة وروم واشمام . بحسب معرفتها الوقتية . وادغام بنوعيه . وكيفية مخارج الحروف وأنواعها وضوابطها نظاما ونشرا ، وقرأت عليه قراءة قانون ختمة واحدة مفردة ، ثم قراءة عبد الله بن كثير كذلك ، مع نصوصها واختبارها وحفظت عليه غالب المتون العلمية مثل ابن عاشر . والجرومية ومنظومة الزواوى ولامية الافعال ولامية المجرادى ، ولامية الزقاق ، وتحفة الحكام لابن عاصم . واكثر القصائد الادبية ، مثل لامية ابن الوردى ، ولامية الشنقرى ولامية الطغرائى ، ولامية السموال . وغير ذلك مما لم نذكره من القصائد

(١) قد رأيت ذلك بتفصيل فى ترجمته فى (القسم الاول)

(٢) سترى ترجمته الواسعة فى (القسم الرابع) ان شاء الله

(٣) سترى ترجمته مستوفاة فى (القسم الثالث) ان شاء الله

(٤) ها نحن اولاء نقوم عن المترجم بما لم يتيسر له ان يقوم به . فهل يكون هنالك اخرون يستتمون أيضا ما ابتدأناه ولم يتيسر لنا اتمامه ؟

(١) امراكش فما وراءها عند السوسيين

(٢) قد يكون فى السيادة الكرسيفيين بعض يتصف بهذا ، ولكن الاكثر - وهو المعبر - حال من هذا الوصف ، ولا تزر وازرة زر اخرى

أشهر من (قفا) (١) وسنعرض لذكرهم ان شاء الله (٢) ومن التجا الى الناحية السوسية أيضا ، طائفة من العلويين أيام المولى اسماعيل وابنه عبد الله وابنه محمد الى هلم جرا ، فانهم مع ما هم عليه من الملك الحاضر يهرب بعضهم من بعض ، وينتجعون الى السوس أيضا من غير خوف ولا فتنة بينهم ، وهم أيضا أشهر من نار على علم (٣) والله عليم بذات الصدور ، وقد تذكرت وانا صغير في ابان حفظي للقرآن وفي لوحى انواع من النصوص الرسمية ان دخل على بعض الكرسيفيين المذكورين ممن يشار اليهم بالصلاح ، وهم ثلاثة فقال أحدهم ان هذا التلميذ سيصير عالما كبيرا ، فقال له الاخران ان هذا والله سيصير شوكة في طريقنا ، وقلدى في احداقنا وغصة في حلوقنا ، فكنت بعد ذلك لهم كذلك ، الى ان انقرض ذلك الجيل معنا في الصدق والمحبة

ولنرجع الى مانحن بصدده ، فانه طال بنا في غيره الكلام ، وجمعت بنا في ميدان الاستطراد الاقلام ، فنقول : لما حفظت القرآن الكريم من أول مرة أمر الوالد المقدس رحمه الله المؤدب العظيم الفقيه السيد محمد بن أحمد المعروف بابن السلطان المذكور ، ان يقابلني بكلية ليل نهار في عرض القرآن وعين لي عرض عشرين حزبا ليلا ، ومثلها نهارا ، وربما عرضت عليه ختمة كاملة بين الليل والنهار ان لم يكن مانع او عائق يعوقه ، اوالى بعض الضروريات سائق يسوقه ، فما اتهمت الختمة الثانية حتى ارتسم القرآن كالنقش في الحجر في قلبي ، من غير مشقة ولا ضرب منه ، ولا كبير جفاء رحمه الله ، وان انصدر منه بعض ذلك فلا بأس به كما قال الامام الشافعى رضى الله عنه :

تصبر على مر الجفا من معلم فان رسوخ العلم في جفواته
ومن لم يلدق ذل التعلم ساعة تجرع كأس الجهل طول حياته
ومن فاتته التعليم حال شبابه فكبر عليه اربعا لوفاته
حياة الفتى ، والله بالعلم والتقى اذا لم يكونا لا اعتبار لذاته

(١) يريد بكلمة (قفا) معلقة امرى القيس المعروفة ، يقولون اشهر من (قفا) لاشتهارها في الادب العربى حتى عند المبتدئين
(٢) الى هؤلاء السعديين الذين يذكر المؤلف انهم التجأوا الى (أمانوز) ينتسب والانسان أعرف بنسبه ، وكم سمعنا من أنكار لذلك ، وليس عندنا الان ما نقوله لا اثباتا ولا نفيا

(٣) لأعرف من العلويين القلايين فى سوس الا الذين فى (اولوز) وهم السعديون ، وبعض البلغيشيين فى رودانة واقة ، والمحمديين فيهما أيضا ، وهم أخوة السعديين والعلاويين فى أفة . وقاضى هراكش مولاي احمد السعيدى . وقاضى رودانة اليوم مولاي سعيد من السعديين منهم

وليعلمهم :

اولى النى ما تعلمت فى الكبر ولست بناس ما تعلمت فى الصغر
وما العلم الا بالتعلم فى الصغر وما الحلم الا بالتعلم فى الكبر
* * *

(فصل) فى ذكر الحوادث الملمة فى البلد مسقط الرأس فى تلك السنين من سنة ١٣٠٦ هـ التى ولدنا فيها الى سنة ١٣٢٠ هـ فنقول :

فى سنة ١٣٠٦ هـ وقعت الفتنة بين اهل البلد وبين جيرانهم أبناء ابراهيم ابن داود بعدما انطفت نيرانها مدة ما ينيف على خمسين سنة ، وان كان خلال تلك السنين أيضا بعض المناوشات والمقاتلات التى يطول بنا استقصاؤها لمساقتها لهذا المقام ، وسنعرض لها ان شاء الله فى مجموع غير هذا ، الى ان انتهى أبناء ابراهيم بن داود المذكورون وطفوا ، وعلى أهل (اولا) بغوا ، وقد الرؤا واكثروا واستطالوا حتى على أهل القبيلة مع اشتداد شوكتها ، وامتداد يدها على سائر القبائل المجاورة وبسطتها ، وهم فى الاصل ليسوا ببلدنا فى قبيلة (أمانوز) وانما هم دخلاء فيها فى حدود العشرين بعد المائتين والالف أيام السلطان المولى سليمان العلوى ، ولدخولهم وكيفيته الى بلاد (الغمر) بلاد الشيوخ المطلق عليهم اسم (ايغولوسن) اى (الديوك) الذين يحكمون سائر تلك القبائل من القرن العاشر الى آخر القرن الثانى عشر اخبار تطول ، وهؤلاء الدخلاء من عرب ذوى بلال (اداولال) انتجعوا بانعامهم ومواليهم الى ان وصلوا ظاهر (تاسيرت) ولما تكاثروا تحالفوا مع أبناء عيسى بن ابراهيم ابن داود ، فسماوا بهم ، وأطلق عليهم اسمهم ، وليسوا من اولاد عيسى كما هو معلوم . بل هم من اولاد (واعبلا) البلالى ، ثم لما كثروا نزلوا (تالمرت) بلاد الشيوخ المذكورين ، وخالطوهم بانواع الخدمة الى ان ضعفت شوكة الشيوخ لاسيما أيام وقوع وباء عام ١٢١٤ الذى اخل البلاد من العباد ثم انعطت عليه وباء عام ١٢٢٠ فانقرض الشيوخ ولم يبق منهم غير عشرة بين رجال ونساء فاقبل ، فثار عليهم هؤلاء الدخلاء فقتلوهم عن آخرهم ، ولم يفلت منهم غير قليل لغرابته من بعضهم ، وهربوا الى بنى الطالب بايى بواى (تيملت) ولازالوا هناك ، ثم انتشر داؤهم ، وبطروا واستكثروا من الخيل ، وانواع السلاح فتحالفوا مع بنى عيسى ، وبنى الربيع ، من صميم قبيلة (مانوزة) ليشدوا بهما ازهم ، وافترقت القبيلة فرقتين : فرقتى بنى موسى بن عيسى ، وهمايت عبد المنعم وايت على وايت مسعود ، وفرقتى أبناء الربيع اهل (اولا) وماوالاهم من أبناء الربيع وايت ابراهيم بن داود من أبناء عيسى ، ووقعت بينهم الفتن الطويلة ، من أيام السلطان محمد بن عبدالله اوائل المائة الثالثة عشر الى عام ١٢٦٢ هـ فوقع الفتنة بين الارباع من بينهم أيضا ، وافترق ايت ابراهيم

ابن داود مع حلفائهم بنى الربيع فوقعت بينهم حروب وفتن فمات من الفريقين عدد لا يستهان به ، وكانت العلماء والاشراف والمرايطون يتوسطون بينهم للصلح كثيرا ، فينقادون له تارة وتارة فلا الى عام ١٣٠٦ هـ المشار اليها فتمت لابن داود (أوالا) على أهل (تالكانونت) من أبناء (واعبلا) أيت ابراهيم بن داود المذكورين فى هذه السنة ، واستنفروا عليهم أبناء مسعود ورئيسهم (واعزيز) فقتلوا منهم من كبارهم محمدا بن كتوش واخاه الخطير وزوجته لكونها تدافع واسروا ولد الاول بلقاسم بن محمد ، واستنقلوه منهم المقدس والدنا السيد أحمد بن على ، بعد أن هددهم بالقتل ، فأطلقوه . فهجم أبناء (أوالا) ومن معهم على بلدهم المذكور (تالكانونت) ونهبوا مافيها ، فجالداهم عدوهم أيت داود فى عدد كثير وفى شجاعة وبسالة ، فاختلطوا ورجعوا الى بلدتهم بعدما احتلها بنو (أوالا) فلما دخلوا حصنوها ، وضربوا الحصار على بلد (أوالا) مثل النطاق سنة كاملة ، وهدموا ديار بومازير ، وديار بنى سعيد ، وديار بنى الرامى . وديار بنى ابراهيم بن على بأعلى (أوالا) حتى لم يبق غير البلد الكبير (أوالا) وانحسر اليه الناس المهذومة ديارهم المذكورون ، فانحصروا فيه يدافعون ، واستعان عليهم أيت داود أبناء (واعبلا) المذكورون بقبيلة (مانوزة) كتعاء وتهالة وغشانة فأقام الحصار مضروبا عليهم سنة كاملة ، ثم دخل العقلاء بينهم للصلح ، على أن تكون لهم (تالكانونت) اخوانهم ، ودام هذا الصلح على دخل ، لكونه هدنة على دخن . مع تخوف كل فريق من الآخر ، أما أبناء (أوالا) لقاتلهم وبعد بلدانهم بعضهم من بعض ، فلا يخرجون لقضاء اغراضهم الا فى خوف ليل ، او بخفارة بعض من له شوكة فى القبيلة ، لكون حلفائهم أبناء الربيع وهم اوكضيشت ووادى امزاور وامكنسن وتاغرارط . منتبذين عنهم لبعد الشقة ، وعدوهم أبناء داود معهم فى واد واحد ، وبلد واحد ، بمرکز واحد . وكثرة عددهم واجتماعهم بادننى صيحة ، ولولا مزيد جرأة وشجاعة وبسالة ، وصبر عظيم ، واتحاد الكلمة . والديانة المتينة فى أبناء (أوالا) لانقصمت عراهم ، وغلبت عليهم أعداؤهم . والله ينصر من يشاء (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) ، وكثيرا ما يتحفظ العدو للوثبة على أبناء (أوالا) خلال هذه الهدنة ليستأصل جرثومتها ، لكونها قذى فى عينه ، ولكن لالزمة أهلها حمايتها ، بحيث لا يخرجون ولو الى الاسواق ، وقضاء المثارب والضروريات من بيع وشراء وحرث وحصاد وغير ذلك ، لم يجدوا اليها سبيلا

ولما كانت سنة ١٣١٢ هـ بعد انسلاخ صفر منها ، و وفاة السلطان المولى الحسن بن محمد بنحو ثلاثة اشهر ، ثارت تلك الفتنة أيضا ، وسببها ان العدو أبناء (واعبلا) أيت داود المذكورون تماالوا على قتل رؤساء (أوالا) فسدوا من يقتل أولا الشجاع البطل المشهور عبد الله بن على بالوش ، بهذا (اللقب) يعرف من بنى ابنهمو ، وذلك انه بعث اليه رئيس العدو ، وهو على بن عدى من بنى

الصالح يوسف الاجتماع به ، بجوارى الولي الشيخ سيدى محمد بن بلقاسم بن ابراهيم الغرموزى بجانب كدية اورير فوق المرج للزيادة فى الصلح والهدنة فذهب اليه بعدما نهاه من كان حاضرا من رجال البلد : الفقير بلقاسم بن عبد الله من بنى الرامى وغيره ممن لم يذهب الى الحصاد ، اذ الوقت وقته ، وانتشر الناس فى جميع الزروع وضمها ، فلم يبق بالبلد الا حاميتها ، فغلب وخالف امر من نهاه ، فذهب متبعيا للاجتماع به فى الموضع المذكور ، فوجده جالسا على عرشه بالسلهام الاسود (الدائرة) (١) مستعدا بطلوع زناد بندقيته لضربه فى وجهه . سلم عليه فرد عليه السلام ، ثم رأى عبد الله يبرز بندقيته فخرجها من غمدها ليحكها مما عسى ان يصيبها من الغبار ، على العادة فى ذلك الوقت ، فمن جلس بلا شغل يشتغل بتصقيها ، فما استخرجها حتى رأته عليه ذلك الغادر على بن عدى ، وسدد نحوه بندقيته ، ليطلقها عليه ولكن على بن عبد الله لقوة جاشه وشجاعته وخفته ، وشدة بطشه أيضا ، تلقاه بولية القوي واخلف من وثبته ، فتلقف البندقية من يديه ، فخرجت الرصاصة الى الارض . فلم تصبه بادننى سوء . ورمى على بمكحلته هو على الارض ، وتعادى وتطاحنا وتصارعا دون أن يستعملا الخناجر (الكميات) (٢) لان كلاهما مقلد بكميته (خنجره) ولكن لشدة المصارعة والملاحمة باللازمة لم يفلح احد منهما من استئلال خنجره للمقاتلة ، مخافة الآخر ، فداما على المصارعة من اول النهار فى الساعة الثامنة الى الساعة الثانية عشرة ، ومبدأ القتال كما كان فى الطريق المتصقة بأورير ، الى أن وصلا الى الوادى ، وذلك بعد مسافة كيلومترين ، فلم يرهما أحد ، ولم يطلع على مصادمتهم غير الله تعالى ، وفى أثناء المصارعة اعترضهما سد عظيم عال ، فتهاشما فى ذلك السد الهائل بهما ، فما وصلا الى الارض تحته الا وعبد الله بن على تحت عمل ابن عدى الغادر ، لكون هذا طويلا طولا مفرطا ، ولكون عبد الله بن على رجلا وسعاريه ، ولكن لخفته كما ذكرنا تمكن من استئلال خنجر عدوه وهو تحت قدميه فى بطنه ، وأعادته ضربة بعد ضربة الى ان قتله وهو فوقه ، فانسلم من الضربة ، وضربه فى جبهته ضربة اخرى ، فانكسر فيها الخنجر ، وتركه يتشعث فى وجهه ، فتابع آثارهما . يتطلب بندقيته الى ان بلغ الموضع الذى بدأت منه المصارعة فتناول بندقيته دون بندقية صاحبه ، تورعا منه رحمه الله عن اخذ سلاح غيره . كما هى عادة اعظم الرجال فى ذلك الزمان ، كذلك رجع على الغادر لغيره ، والباغى مصروع أبدا (ومن نكت فانما ينكت على نفسه) ، قال الامام على كرم الله وجهه : ما بارزت أحدا الا غلبته ، فليل له فى ذلك ، فقال

(١) الدائرة : تطلق عند السوسيين على سلهام الملف الضارب سواده الى

الرفقة . او كان اسود غريبيا

(٢) المصممة الخنجر الذى ينفذ به الى الكم لانه يكون تحت كم منقلبه

لانه اول من يطلبني للبراز ، فاذا بداني فهو الباغي والبادي الظلم ، او ما هذا معناه ، وله في ذلك رضى الله عنه حكايات وطالبه فارس العرب عمرو بن عبدود ، ومرحب الخيبرى ، وشيبة . وربيعه والوليد . فبارزهم فغلبهم وقتلهم وجدهم ، وتركهم عبرة للعرب والعجم ، اذ ليس لهم نظراء فى العرب قوة وشجاعة وبسالة ، فصاروا امام هذا الامام العظيم اضحوكة لجورهم وطفيانهم :

لله بين خلقه خاتم تجرى المقادير على نقشه
اذا طغى الكبش بلحم الكلا أدرج رأس الكبش فى كرشه
اذا بغى المرء على جنسه لابد ان ينكب فى فرشه

ولما قضى عبد الله بن علي على غادره ، استبق الى ان طلع ذروة كدية تعرضت له تسمى (تين اورعم) (اي ذات الجمل) فاطلق منها طلقتين من بندقيته ، وتلك علامة اعتادتها قبائل سوس انذارا بالشر ، لياخذ الناس حذرهم من العدو ، وليجتمعوا لكونهم منتشرين كما تقدم فى ضم الزروع ، فلما سمع الناس تلك الامارة المنذرة ، تسارع الناس مخفين الى البلد ، فانحشروا اليه باجمعهم ، ملتفين على عبد الله المذكور يخبرهم بتفاصيل عمل الغادر . وكيفية المقاتلة لتمامها ، وأنا ممن حضر ، وكنت حينئذ عند المؤدب . فخرجت فيمن خرج للقاء القاتل ومقابلتة ، وتلقى الخبر من فمه مشافهة ، فرأيت فى جبهته غضة غضة بها غريمه . لما أحس بالموت تحته ، فسال الدم على جميع ذاته ، كأنه شج فيها ، رحم الله الجميع ، فشاعت أخبار موته فى جميع القبائل المجاورة . لانه ممن ذاع فيها خبر بطشه ، وسرى فيها نفوذ سلطته بما له من العصبية القوية ، فهز قتله جميع نواحي سوس ، فطن فى الآذان من الجميع موته ، واعترف الناس لقاتله بشجاعة عظيمة . وشهامة كبيرة . ولما شاعت الاخبار عند العدو ، انقضوا انقضاض البراة على الارانب ، وتسارعوا لحصار البلد ، مستعينين بطوائفهم الظالمة ، من آيت (فم الحصن) وآيت مسعود وآيت على وتاهالا . فاستنفروا الناس طوعا وكرها ، وجاءوا بقضهم وقضيضهم وخيلهم ورجلهم ، وأخذوا بمغنى البلد (أوالا) من جميع الجهات فلا يبدو على اسواره (١) كلب ولا دجاج ولا بهيمة الا اطلقوا عليها الرصاص ، وحاصروا البلد سنة كاملة ، ولكن لوجود اهل الشجاعة واهل الاباية والبسالة فى البلد غدا حصارهم هباء منثورا ، فلم يغن عنهم شيئا ، ولما اعيتهم الحيلة تماالوا مع الحاج ابراهيم الايفشانى ، وكان له اذذاك نفوذ عظيم ، ووجهه فى جميع

(١) يعنى جدران الديار ، لان البلد له سور فضلا عن اسوار . و (أوالا) قرية فقط من قرى البادية الصغيرة

القبائل (١) الموسمية ومن علمها رجالاتها ، وجمعهم مع القبائل من سيدى على بن عبد الله الألفى ، فتطارحوا على اهل البلد ان يبدلوا ملابرا من المال يأخذهم العدو ، ويفرج عن البلد ، فامتنع اهل البلد ، وقالوا لهم والله لا نبذل لهم دنانقنا واحدا . ويكون سبة وعارا ، ومذلة فى حياتنا سائر الدهر فما زالوا بهم الى ان قبلوا ثمانين ريالا يأخذها الشيخ الحاج ابراهيم الايفشانى والفقير السيد على المذكورين ، دون العدو فانبرم المصلح وانفرج العدو عن البلد ، من غير ان يمسهم أدنى سوء سائر السنة ، الاما أصابهم من أول الحصار من ذهاب جميع غنمهم ، ونثار اللوز فى ابائه ، وقد ذهب للوالد المقدس رحمه الله ، والمعلم الفقيه السيد بلقاسم بن علي . والعلم عبد الله بن علي وللمعلم محمد بن علي ، وللقاسم بن عبد الله من بنى الرامى ، ولعبد الله بن علي بالوش القاتل المذكور من الغنم ما يفوت الحصر ، لانه لما وقعت الواقعة وخاف الرعاة على أنفسهم ان أشتغلوا بسوقها الى البلد وهم يومئذ بالمرج المذكور ، وهم ينظرون الى المتقاتلين المذكورين عند المصارعة من بعيد ، ولكن لم يتفطنوا لذلك الشرير الى ان فرغ القاتل من صاحبه واطلق العيارين من بندقيته كما تقدم ، فعندئذ هرب الرعاة من غير التفات منهم الى الغنم ، ولما استاقها العدو وحازها بعثوا بعض المرابطين الى الوالد المقدس ، يقولون له ان أردت غنمك أنت وأشقائك نبعتها اليكم ، فامتنع الوالد ولم يرض الا رجوع جميع غنم اهل البلد ، تطيبا وارضاء لخاطر الجميع ، ولما يعلم ان العدو انما فعله مكيدة وخديعة ، وتفرقا بين اهل البلد رحمه الله ، بعدما راودته أنا على قبولها ، والاستعانة بها على الزمان والحصار ، او يقسمها على اهل البلد ، فذلك اولى من أن تذهب فى منفعة العدو هباء منثورا ، فأبى وقال واؤذنت بين المصلحتين ، فترجع عندى تركها ، والسلامة من السنة اخوانى اهل البلد قلبا وقالبا ، مع ما فيها من رفع الهمة ، والنخوة على العدو . فرحم الله تلك الهمم العالية ، ثم قالى أنت شاب لم تجرب الامور ، اذهب الى لوحك ومكتبك ان شئت ، فلا تتزبب قبل ان تتحصرم ، فسكتت عنه بعدما رأيت لوائح الغضب على وجهه ، وأما نثار اللوز فانهم قد نشروا فى تلك السنة فى أنحاء البلد ، لاسيما فوق (جنان القصب) (وتلعة عبد الكريم) الى منكب (أوالا) الى (تلعة القدور) الى أعلى (أوالا) ما يزيد على الف قنطار ، وقد نشروا للوالد المقدس خاصة ازيد من اربعمائة قنطار من الحلو دون المر (٢) وأما التمر فقد جدوا منه ما يفوت الحصر (٣) لكون العام مخصبا ، وكان لجميع الاشجار ثمر ، وأما الشعير فشئ يجل عن الحصر (٣)

(١) يعنى التى تجاوره فقط ، وقد تقدم فى هذا الجزء نفسه ترجمة الحاج ابراهيم هذا
(٢) اكذا بخط المترجم فى الجميع

لأنه أول من يطلبني للبراز ، فإذا بداني فهو الباغي والبادي الظلم ، أو ما هذا معناه ، وله في ذلك رضى الله عنه حكايات وطالبه فارس العرب عمرو بن عبدود ، ومرحب الخيبرى ، وشيبة • وربيعة والوليد • فبارزهم فغلبهم وقتلهم وجادلهم ، وتركهم عبرة للعرب والعجم ، إذ ليس لهم نظراء فى العرب قوة وشجاعة وبسالة ، فصاروا امام هذا الامام العظيم اضحوكة لجورهم وطفيانهم :

لله بين خلقه خاتم تجرى المقادير على نقشه
إذا طغى الكبش بلحم الكلا أدرج رأس الكبش فى كرشه
إذا بغى المرء على جنسه لابد أن ينكب فى فرشه

ولما قضى عبد الله بن على على غادره ، استبق الى ان طلع ذروة كدية تعرضت له تسمى (تين اورع) (أى ذات الجمل) فاطلق منها طلقتين من بندقيته ، وتلك علامة اعتادتها قبائل سوس انذارا بالشر ، ليأخذ الناس حذرهم من العدو ، وليجتمعوا لكونهم منتشرين كما تقدم فى ضم الزروع ، فلما سمع الناس تلك الامارة المندرة ، تسارع الناس مخفين الى البلد ، فأنحشروا اليه بأجمعهم ، ملتفين على عبد الله المذكور يخبرهم بتفاصيل عمل الغادر • وكيفية المقاتلة لتمامها ، وأنا ممن حضر ، وكنت حينئذ عند المؤدب • فخرجت فيمن خرج للقاء القاتل ومقابلته ، وتلقى الخبر من فمه مشافهة ، فرأيت فى جبهته عضة عضة بها غريمه • لما أحس بالموت تحته ، فسال الدم على جميع ذاته ، كأنه شج فيها ، رحم الله الجميع ، فشاعت أخبار موته فى جميع القبائل المجاورة • لأنه ممن ذاع فيها خبر بطشه ، وسرى فيها نفوذ سلطته بما له من العصبية القوية ، فبرز قتله جميع نواحي سوس ، فطن فى الآذان من الجميع موته ، واعترف الناس لقاتله بشجاعة عظيمة • وشهامة كبيرة • ولما شاعت الأخبار عند العدو ، انقضوا انقضاؤا البزاة على الارانب ، وتسارعوا لحصار البلد ، مستعينين بطوائفهم الظالمة ، من أيت (فم الحصن) وأيت مسعود وأيت على وتاهالا • فاستنفروا الناس طوعا وكرها ، وجاءوا بقضهم وقضيضهم وخيلهم ورجلهم ، وأخذوا بمخنق البلد (أوالا) من جميع الجهات فلا يبدو على أسواره (١) كلب ولادجاج ولا بهيمة الا اطلقوا عليها الرصاص ، وحاصروا البلد سنة كاملة ، ولكن لوجود اهل الشجاعة واهل الاباية والبسالة فى البلد غدا حصارهم هباء منثورا ، فلم يغن عنهم شيئا ، ولما اعيتهم الحيلة تماالوا مع الحاج ابراهيم الايفشانى ، وكان له اذذاك نفوذ عظيم ، ووجهه فى جميع

(١) يعنى جدران الديار ، لان البلد له سور فضلا عن أسوار • و (أوالا) قرية فقط من قرى البادية الصغيرة

القبائل (١) السوسية ومن غلاما رجالها ، وجاء مع الفقيه العلامة الميرزا محمد بن على بن عبد الله الألفى ، فنتفخوا على أهل البلد أن يبدلوا مقدارا من المال بأخذ العدو ، ويخرج عن البلد ، فامتنع أهل البلد ، وقالوا لهم والله لا يبدلناهم دنانا واحدا • ويكون سبة وعارا ، ومذلة فى حياتنا سائر الدهر فما زالوا بهم الى ان قبلوا ثمانين ريبالا يأخذها الشيخ الحاج ابراهيم الايفشانى والفقيه السيد على المذكورين ، دون العدو فانبرم المصلح وانفجر العدو عن البلد ، من غير ان يمسهم أدنى سوء سائر السنة ، الاما أصابهم من أول الحصار من ذهب جميع غنمهم ، ونثار اللوز فى ابائه ، وقد ذهب للوالد المقدس رحمه الله ، والمعلم الفقيه السيد بلقاسم بن على • والمعلم عبد الله بن على والمعلم محمد بن على ، والمقاسم بن عبد الله من بنى الرامى ، ولعبد الله بن على بالوش القاتل المذكور من الغنم ما يفوت الحصر ، لانه لما وقعت الواقعة وخاف الرعاة على أنفسهم ان اشتغلوا بسوقها الى البلد وهم يومئذ بالمرج المذكور ، وهم ينظرون الى المتقاتلين المذكورين عند المصارعة من بعيد ، ولكن لم يتفطنوا لذلك الشرير الى ان فرغ القاتل من صاحبه واطلق العيارين من بندقيته كما تقدم ، فعند ذلك هرب الرعاة من غير التفات منهم الى الغنم ، ولما استاقها العدو وحازها بعثوا بعض المرابطين الى الوالد المقدس ، يقولون له ان أردت غنمك أنت واشقاؤك نبعثها اليكم ، فامتنع الوالد ولم يرض الا رجوع جميع غنم أهل البلد ، تطيبا وارضاء لخطأ الجميع ، ولما يعلم ان العدو انما فعله مكيدة وخديعة ، وتفرقا بين أهل البلد رحمه الله ، بعدما راودته أنا على قبولها ، والاستعانة بها على الزمان والحصار ، او يقسمها على أهل البلد ، فذلك أولى من أن تذهب فى منفعة العدو هباء منثورا ، فأبى وقال وازنت بين المصلحتين ، فترجعت عنى تركها ، والسلامة من السنة اخوانى أهل البلد قلبا وقالبا ، مع ما فيها من رفع الهمة ، والنخوة على العدو • فرحم الله تلك الهمم العالية ، ثم قال أنت شاب لم تجرب الامور ، اذهب الى لوحك ومكتبك ان شئت ، فلا تتزبب ببلبل ان تنحصرم ، فسكتت عنه بعدما رأيت لوائح الغضب على وجهه ، ولما نثار اللوز فانهم قد نثروا فى تلك السنة فى أنحاء البلد ، لاسيما فوق (جنان القصب) (وتلعة عبد الكريم) الى منكب (أوالا) الى (تلعة القدور) الى أعلى (أوالا) ما يزيد على الف قنطار ، وقد نثروا للوالد المقدس خاصة ازيد من اربعمائه قنطار من الحلو دون المر (٢) ولما التمر فقد جذوا منه ما يفوت الحصر (٣) لتكون العام مخصبا ، وكان لجميع الاشجار ثمر ، ولما الشعر قشى يجبل عن الحصر (٤)

(١) يعنى التى تجاوره فقط ، وقد تقدم فى هذا الجزء نفسه ترجمة الحاج ابراهيم هذا
(٢) كذا بخط المترجم فى الجسيم
(٣) كذا بخط المترجم فى الجسيم

ايضا لان الناس تركوه مكدها خارج البلد ، الى جبل (اكر) من جهة القبلة والى (ايهون) وجهة الطويلة من جهة الجوف ، فأتى العدو على الجميع واستلبه (تنبيه) اما اللوز المنهوب من جهة جوف البلد ، فقد استأثر بنهبه قبائل غشانة (ايغشان) لاسيما أهل الوادي الكبير ، بأعلى جنان القصب ، وهم الذين نشروه دون غيرهم ، وما يلي (فم الحصن) و (حجر العظم) من منكب (ءاوالا) الى (ءازاغار) فقد فاز بنهبه أهل البلدين المذكورين لانهما هما اللذان قاما بمثونة الجيش المحاصر للبلد في تلك الجهة ، ولانهما العدو الكبير من قديم الزمان وأما مايلي القبلة فقد فاز به أبناء داود ومن معهم ، من أهل (تانسمت) وغيرهم والحاصل أنه لم تبق دار ولا بلد بهذه القبائل الثلاثة المحاصرة ، وهم (مانوزة) و (غشانة) و (تاهالا) الا وفيها نصيب وقسمة من أموال بلدة (ءاوالا) لكون أهل البلد في شدة الحصار ، والعدو يباكرهم ويفاديههم بأسراب من الخيل والرجل ، ولم يبق في هذه القبائل من تقاعد عن القتال ، ونهب الاموال ، الا أبناء باها بـ (مانوزة) فانهم لم يتدخلوا في شيء من ذلك لافى نهب ولا في قتال ، جزاهم الله خيرا

ولما افرجوا عن البلد بعد سنة كاملة من يوم الحصار ، في منتصف صفر عام ١٣١٣ هـ انتشر أهل البلد كأنهم نشروا من قبورهم ، بعدما استوثق الناس من العدو بالكفيل الضامن وهو الشيخ الفقيه (١) السيد الحاج ابراهيم من بنى الطالب الايفشاني والشيخ العلامة شيخ الجماعة المرباط السيد علي ابن عبدالله بن صالح الالفى المذكورين ، وبشرط نفى القاتل عن البلد ، فانبرم الصلح على ذلك ، ولكن القاتل عبد الله بن علي المذكور امتنع عن الخروج ، فبقى الناس في مراقبة عقيمة ، بعد رفع الحصار أزيد من سنة كاملة الى آخر السنة الرابعة عشرة ، فبلغت أخبار جيوش السلطان المولى عبد العزيز بن الحسن برئاسة القائد العظيم السيد الحاج سعيد الكيلوي الحاحي ، واخيه (٢) البطل الشهم الحاج أحمد ، خالد بن الوليد زمانه ، قد بعثهما الوزير الاعظم الباشا أحمد بن موسى بن أحمد السوسي الاصل ، الكناسي المسكن لفتح بلاد السوسى الاقصى ، وهزت تلك الاخبار هذه البلاد ، ووقع الناس في حيص بيص ، وتوقع مغبة تلك العساكر الجرارة ، فاجتمع الناس ، وسائر الاقطار السوسية واجمع أمرهم على مقاتلة حاحة ومن معهم ، والمدافعة عن البلاد ، وافتي العلماء بوجوب الدفاع ، لمايقنوا من الظلم والفساد ، الغير المعتادين في الاموال

(١) كان هذا متقنا لقراءة حرف المكي ، ولايد له في العلوم ، وانما أطلق عليه الكاتب الفقيه تقليدا لأهل الحضرة في تفقيه كل ذي شارة مرموقة اذذاك والا فانه لافقيه عند السوسيين الا من كان متمكنا في العلوم تمكننا بارزا (٢) ليس بأخيه وإنما هو من أهله

والفروج من هذه العساكر ، فكانت هذه الحوادث كلها سببا في الافراج عن هذا البلد المحترم ، فكان الأمر كما قال أبو الطيب المتنبي : (مصائب قوم عند قوم فوائد) (١) ، فنفر الناس خلفا وخلفا الى قتالهم ، فاشتغل العدو عن معاودة (ءاوالا) بالقتال الى ١٣٢٠ هـ حين انكسرت شوكة تلك الجيوش المهرلية

ذكر نزول العساكر العزيزية إلى سوس

ولابأس ان نتعرض لذكر هذه الحوادث ، لما لها من مناسبة أكيدة وعلاوة شديدة بحياتنا ، فنقول لما توفي السلطان المولى الحسن مرجعه من (ءاوالا) وحمل الى (الرباط) ودفن بها مع جده المولى محمد بن عبد الله اجمع الناس على مبايعة ولده المولى عبد العزيز ، بعهد منه (على ما قيل) وهو سطر دون بلوغ تحت رعاية الفقيه الوزير الاعظم أحمد بن موسى المذكور ، فلما استوثق له الأمر واستبد كل قائد بناحيته المعينة له أيام السلطان المولى الحسن ، لاسيما قواد حوز مراکش كالاكلاوى (٢) والكنتافى (٣) والهادى (٤) والمتوكى والحاحي المذكور هذا ، طلب القائد سعيد الكيلوي الحاحي هذا غزو سوس ، واضافته لايالته حاحة ، وشرهت نفسه لالتهاج للناحية ، فلما مضى ان سوس غنيمة باردة ، ولقمة سائغة ، اذكبرا ما كان يراوه السلطان المولى الحسن على غزوه ، واعداده بالعساكر ، فيأبى ربه الله امره منه لتناطح المسلمين وتقاتلهم فيما بينهم من غير نتيجة ، فلما استبد هو والراؤه المذكورون ، وصفا لهم الجو لضعف (٥) الوزير وسلطانه حسن

(١) ذلك سطر بيت للمتنبي وأوله :

(كلمة هشت الايام ما بين أهلها)

(٢) لم يصل الاكلاويون الى الحوز الا في العهد العزيزي ، ثم تمكنوا في العهد العفيطي

(٣) لم يتجاوز الكنتافى اذذاك وادى نفيس

(٤) لم يكن لهادي ظهور في هذا الوقت ، ولم ينل القيادة الا في العهد العفيطي

(٥) لم يكن الوزير أحمد بن موسى بن أحمد ضعيفا ، بل كان قويا مستبدا ولم يصب الضعف المملكة المغربية الا بعد موته عام ١٣١٨ هـ ، وقد كان القواد يراعون منه فرقا ، وكأنه كان يستشعر هذا الضعف الذي أصاب المملكة هذه ، فكان يقول في مجالسته الخاصة منى بلغه خبر وقوع اختلال في بعض الاطراف : ان هذه عورة نقول سترها ، ونرجو ان يسترها الناس وذلك ، يستكشف لهم عندها نتركها .

مقاومتهم ، ساعدتهم على ما أرادوا من غزو سوس ، استتلافا لهم . فامدوهم بمال ورجال من قبائل الحوز وغيره من قبائل المغرب ، وتحركوا الى سوس بأمر السلطان المولى عبد العزيز ، ووزيره احمد بن موسى المذكور ، برئاسة القائد سعيد الكيلولى الحاحي المذكور ، ودخلوا (ردانة) (١) من غير كبير قتال ثم خرجوا الى (تيزنيت) بعساكر جرارة تفوت الحصر والحصى ، فاستعان هشتوكة بالمرايط سيدى محمد بن الحسين الايليغى التازاروالى ، فاستنفر جبال جزولة وسهولها ، ودخل بهم (تابوحنايكت) بأيت بو الطيب بهشتوكة فبس الجيش المخزنى بالمال الى رؤوس جيوش المرايط ، فانفضوا من حوله حتى لم يبق معه من هشتوكة بالعساكر المخزنية ، ثم دخل (تيزنيت) وبعث الى رؤوس سهول سوس ، وغمرهم بالاموال الجزيلة وشكروهم واذعنوا له وهم اكثر من اربعين قائدا (٢) فطلب الاعانة بالجاه والرجال لغزو نواحى سوس فساعدوه على ذلك ، وقسم عساكره الى ثلاثة اقسام ، قسم يقاتل مجاطة وباعمرانة الى مانوزة ، وقسم يقاتل ولتيئة وباعقيلة ورسموكة وسملالة الى وادى املن ، وقسم يقاتل هيلانة الى جبال صوابة ، اما القسم الاول فقد تقدم الى ان استولى على مجاطة ، واستولى عليها الى آيت وافقا . بسدون قتال كبير لمساعدة علماء القطر له ولرؤسائه ، ومن ساعده من العلماء الفقيه العلامة الشيخ الحسين بن بلقاسم السوقي الافرانى ، والفقيه السيد على بن عبد الله ابن صالح الالفى والمرايط الرئيس السيد محمد بن الحسين بن هاشم التازاروالى الايليغى المذكور ، انفا وغيرهم من علماء الجبل والسهل ، فافتوا بعدم اباحة قتالهم ، بمخالفة طاعة السلطان ، وشق عصي الاسلام ، فلما بلغ العسكر الحاحي الى اطراف (مانوزة) منعوه من الوصول ودافعوه فافتى علماء البلد من (مانوزة) و (املن) وجبال ولتيئة بوجوب المداغة بالقتال ، فانهاى عليه الناس من كل حذب ينسلون ، وقتلوه وهزموه (٣) وكذلك فعل به اهل ولتيئة ، فانهم بيتوه بوجان ، وشعبة ادريس (تاساونت ندريس) فهجموا عليه فاستولوا على معسكره واستاصلوه ، وقتلوا القائد الاعظم البطل الحاج احمد رئيس العساكر الحربية على الاطلاق ، فاخرجوه من جميع بلدان جزولة ، ورجع القائد سعيد بعد قتل اخيه المذكور الى (تيزنيت) وضعفت شوكته ،

- (١) لم يدخل القائد سعيد ردانة التى كان فيها اذذاك الباشا حمو وانما جاء على كسيمة الى هشتوكة توا .
- (٢) لم يتجاوز القواد المنضمون الى الكيلولى عشرين وقد عرفناهم كلهم وسيروى القارىء ذلك في مؤلف خاص لنا فى الرؤساء السوسيين الاخيرين متى خرجناه من مباضته ان شاء الله
- (٣) لم تقع الحرب ازاء امانوز ، واملن ، وانما وقعت فى مجاطة ، وافران فغلبهم الكيلولى .

ورجع الى الاستكالة واللاطفة ، فاستطاع العلماء والرؤساء والان لهم الجناح وقلب للرعايا من جميع أنحاء سوس ظهر المعجز ، فاستغل بالنهب والسلب والسجن والقتل ، وهتك الاعراض من سنة ١٣١١ هـ الى عام ١٣١٧ هـ وتوفى بيزنيت رحمه الله وعفا عنه (١) وهذه الحروب التى يشيب لها الوليد ، والتى ماجت بين حاحة وسوس اربع سنين ، هى التى حصت من جناح حاحة وكسرت شوكتهم ، واخذت نيران سطوتهم ، بعد ان شمنت انوفهم الى كيوان ولم ينظروا ماياتى به الملوان ، فقتلت صناديدهم واستوصلت ابطالهم وعددهم وعديدهم ، لاسيما فى جهة ولتيئة فى (وجان) و (اماسين) و (تساونت ندريس) وغيرها من الوقائع التى تهتف بها صبيان سوس ونساؤها وشعراؤها الى هلم جبرا .

اما واقعة (وجان) المذكورة فان العسكر الحاحي المخزنى لما استولى على (وجان) وحصنه بعدد وعدد ، وشحنه بانواع القوات الحربية ، امتعضت (ولتيئة) لاحتلاله وتمالأوا على الهجوم بحيلة وخديعة ، وكانت الكلمة محصورة فى جبال (ولتيئة) فى ذلك العهد فى اناس قليلين لايزيدون على عشرة ، واكبرهم فى الرئاسة الرئيس الشيخ احمد الامازرى البعقيل من وادى الجبل والرئيس الحاج يعزى الادائى الرسموكى ، وعليهم يدور امر جزولة ، وهم من احيل خلق الله ، وادهاهم واعرفهم بمكائد الحروب ، لانهم خاضوا غمارها من قبل ، بل انهم قطعوا اعمارهم فى مقارعة الحروب ، فاجمع امرهم على تبنييت العسكر الوجانى الحاحي واستئصاله ، فتركوا العسكر ، حتى فالت من الليل هنيئة ، فتسللوا الى اسوار البلد وخنادقه ، وتسربوا بمخائفه الى ابراجه وفنادقه ، فوجدوا العسكر فى غفلة لاهين ، وهم مشغفون باللعب بالدوف ، ورؤساؤهم جالسون على الكراسى يتفرجون . كأنهم فى اعراس ولم يدروا مايراد بهم ، ولا علموا أنهم فى قبضة اعدائهم واقعون ، فلما استكمل العدو ماراه ، وأخذ من البلد انفه وانفاسه ، ورباه واعلامه ، انقضوا عليهم دفعة واحدة بعمارة واحدة (٢) فسقط من العسكر اكثر من نصفه ، وحصروا الباقي الى ان قبضوا عليه باليد فتبعوه قتلا وسلبا ، غير أنهم تواصلوا فيما بينهم ان يتركوا من ليس بحاحي ، وأن يطلقوا سبيله بعد سلبه ، وان يقتلوا الحاحيين بعد سلبهم ، ولسان حالهم يتلو قول الله تعالى : (انك ان تذرهم

- (١) بعد موت الوزير احمد بن موسى وتولية المذاهبى رئاسة الحربية عزل الكيلولى ونصب فى محله عام ١٣١٨ هـ انفلوس ، ولم يمت الكيلولى الا بعد ان حج . ومات فى داره بحاحة ، لافى تيزنيت ، وسترى فى (الفصل الثانى) من (القسم الرابع) كل مايتعلق بهؤلاء الكلولىين بتفصيل ، وبذكر الحقائق الدالة . وان كان بعض تفصيل ذكر هنا أيضا
- (٢) المقصود طلقة واحدة ، اى اتحادهم فى الطلق بالرماس من بنادقهم

يصلوا عبادك ولا يلبسوا الا فاجرا كفارا) ولا قوة الا بالله ، وذلك لان العداوة قد رسخت بينهم وبين حاحة من قديم ، وغيرهم مكره لا بطل ، حتى ان بعض من حضر الواقعة من العلماء صاح عليهم صيحة منكرا بان لا يشتغلوا بالغنيمية والنهب ، الا بعد القضاء على حاحة ، وان لا يقتلوا احدا ممن سواهم ، وانشددهم قول الشاعر الذي تمثل به المنصور العباسي حين قتل ابا مسلم الخراساني (١) ان الاسود اسود الغاب همتهما يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

وكان عسكر حاحة معلما بلبس السلاحهم السود (الدوائر) (٢) والسلاحهم الرقاق ، مع اخذ الزينة بالعمائم وغيرها ، بخلاف غيرهم من القبائل فانهم متقشفون في اللباس وغيره ، معروفون بلوائح بلدانهم ، بادية عليهم آثار الكراهة (يعني الاشتمزاز) والحزن ، شأن المتغلب عليهم ، فكذاك ايضا يعرف بعض القبائل بعضا ، كما بينهم من الاختلاط في الاسواق والمواسم والمصاهرات وغير ذلك ، فبذلك تعارفوا فلم يقتلوا منهم غير من تلبس او تشبه بحاحة والعسكر المخزني ، ومن فيه رائحة المخزن

وأما وقعة (واحسين) فلم تكن ايضا دون هذه الوقعة الوجانية في المكر والقتل .

وأما وقعة (ناساوت ندرين) فهي في موضع ضيق من بين السدين ، فهي اعظم الوقائع الثلاثة ، لان العدو ترك المحلة (يعني الجيش) حتى توغلت بين الجبلين ، حيث لم يبق منها فارس ولا راجل ، فاطبقوا عليها وسدوا دونها المنافذ والشعاب ، والانقاب والطرق ، ففتكوا بها وجعلوا يقتلون ويأسرون فوقعت الدهشة والتعير للعسكر ، ودبت فيه هيبة العدو ، واستولى على قلوبهم من الفزع والخوف والهلع ماعقل ايديهم عن الضرب ، وأخرس السنتهم من النطق فضلا عن التفكير في الحرب ، فاکثر الفرسان يسترون وجوههم واعينهم عند وثوب العدو عليهم ، لضربهم بالرصاص او السيف ، لتلايعاينوا عين الموت الاحمر ، فتتبع العدو رجال العسكر وفرسانه الى ان اتوا على اخره فكانت هذه خاتمة حروبه من هذا الوجه الوليتي ، وفي هذه الوقعة الهائلة قتل القائد الاعظم الرئيس الاكبر البطل الذي لا ترده مخافة الاوجال ، ولا تقلبات الاحوال ، الحاج احمد الكيلوي المضروب بشجاعته الامثال ، وسبب قتله انه لما قاد تلك العساكر الجمراة الى حتفها ، وتأخر وراءها يفرق عليها قرطاس (٣) البنادق الرومية الاوربية الجديدة العصرية بالنسبة لذلك الوقت

- (١) البيت من بائية أبي تمام المشهورة : (السيف اصدق انباء من الكتب) وقد توفي أبو تمام عام ٢٣٢ وكان قتل أبي مسلم قبل ذلك ، في نحو عام ١٣٩ ، أي أن موت أبي مسلم سبق موت أبي تمام بـ ٩٤ عاما
- (٢) الدائرة السبلهام من الملف الاسود او المائل الى الزرقة
- (٣) القرطاس ، ذخيرة البنادق في عرف المغاربة

وبالنسبة لبنادق بوشمير المنطقة التي كانت عند المغاربة ، اذ هم اول من قاتل بها بالسوس ، ومنهم الخلد والفتيت بعد ذلك ، فطعن في بعض شياطين العدو في بعض غابات الكرמוש النصراني (١) حول طريقه ، فرماه ولم يخطئ ، فواده ، فسقط من اعلى جواده (٢) فكان اول قتيل ، فبذلك وقع القتل في العسكر المحاط به المذعر ، وقتل هذا الفارس العظيم في عهد الباسا الايام اخيه السيد الحاج سعيد الكيلوي

وأما العسكر الذي قاده الحاج احمد المقتول الى جهة هيلانة (ايلان) فقد اصابها بعد حرب خفيفة ، لان رؤساء تلك الجهة قد اذعنوا له ، لانه وعدهم اهم الرئاسة ، فوقي لهم . ولم يناوشه القتال سوى (آيت مزال) ومن الايام من الجبال ، فغلب على آيت (مزال) واستصفي حصون مخازنهم وهدم معانيهم وصادر اغنياءهم فصفا له من (آيت مزال) في جهة اليمين الى هيلانة (١٨٨٠) الى (مزداكن) الى جهة هواردة الى رداة (٣) ولم يصل (اداكنيفس) ولا (السعل) ولا (آيت عبالا) ولا (ايسافن) (الوديان) (٤) من جهة القبلة

وأما العسكر الذي قاده الى مجاطة فقد تقدم انه استولى عليها بمدخله وأما العسكر من غير كبير قتال ، فأكرمهم وأجلهم ، وحصلت لهم بذلك حظوة عظيمة . ولكن لم تدم لهم بعد . فقد قيد على مجاطة القائد سعيد المحاطي الاحكامي فجار وتعدي وظلم ، فياخذ كل من فيه رائحة كراهيته ، او سمع منه او اتاهه تمس برئاسته ، او كان غنيا ، او من الابطال ، فيأتي به الى قلة من جرف تاكجكالت فيرمى به فلا يصل الى الارض الا وهو هباء منثور . ثم رجال مجاطة وايت رخا الى ان افناهم قتلا ورميا بالرصاص ، فكان هذا الرجل حجاج زماة ، ونقمة اوانه الى ان كان من امره ما كان ، والله بهل العالم حين ياخذ ، فاذا اخذه لم يفلته ، (انما نمل لهم ليزدادوا لما) ولما اصاب عساكر المخزن على مجاطة وجميع سهول الغ وايت وافقا ووصلت الى اطراف مانوزة (امانوز) التي افتى علماءهم هم وجيرانهم الى ولتيسة

(١) الكرמוש النصراني شجر التين الشوكي المعروف في الحواضر (٢) الكرמוש النصراني ، وبالشلحة اكارى وبالزعبول في سلا (٣) حاصر ان الحاج احمد كان اذذاك على بغلة مسرجة ، ثم لم يمت الا في النار في بعض دور وجان . وقد بين ما وقع له في ترجمة القائد (المسمى الخامس)

(٤) حاصر ان الحاج احمد كان اذذاك على بغلة مسرجة ، ثم لم يمت الا في النار في بعض دور وجان . وقد بين ما وقع له في ترجمة القائد (المسمى الخامس)

(١) حاصر ان الحاج احمد كان اذذاك على بغلة مسرجة ، ثم لم يمت الا في النار في بعض دور وجان . وقد بين ما وقع له في ترجمة القائد (المسمى الخامس)

يفضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) ولا قوة الا بالله ، وذلك لان العداوة قد رسخت بينهم وبين حاحة من قديم ، وغيرهم مكره لا بطل ، حتى ان بعض من حضر الواقعة من العلماء صاح عليهم صيحة منكزة بان لا يشتغلوا بالغنيمة والنهب ، الا بعد القضاء على حاحة ، وان لا يقتلوا احدا ممن سواهم ، وانشددهم قول الشاعر الذي تمثل به المنصور العباسي حين قتل ابا مسلم الخراساني (١) ان الاسود اسود الغاب همتها يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

وكان عسكر حاحة معلما بلبس السلاحهم السود (الدوائر) (٢) والسلاحهم الرقاق ، مع اخذ الزينة بالعمائم وغيرها ، بخلاف غيرهم من القبائل فانهم متقشفون في اللباس وغيره ، معروفةون بلوائح بلدانهم ، بادية عليهم اثار الكراهة (يعنى الاشتمزاز) والحزن ، شأن المتغلب عليهم ، فذلك ايضا يعرف بعض القبائل بعضا ، لما بينهم من الاختلاط في الاسواق والمواسم والمصاهرات وغير ذلك . فبذلك تعارفوا فلم يقتلوا منهم غير من تلبس او تشبه بحاحة والعسكر المخزني ، ومن فيه رائحة المخزن

وأما وقعة (واحسين) فلم تكن أيضا دون هذه الوقعة الوجانية في المكر والقتل .

وأما وقعة (ناساوت ندریس) فهي في موضع ضيق من بين السدين ، فهي اعظم الوقائع الثلاثة ، لان العدو ترك المحلة (يعنى الجيش) حتى توغلت بين الجبلين ، حيث لم يبق منها فارس ولا راجل ، فاطبقوا عليها وسدوا دونها المنافذ والشعاب ، والانقاب والطرق ، ففتكوا بها وجعلوا يقتلون ويأسرون فوقعت الدهشة والتحير للعسكر ، ودبت فيه هيبة العدو ، واستولى على قلوبهم من الفزع والخوف والهلع ما عقل أيديهم عن الضرب ، وأخرس السنتهم من النطق فضلا عن التفكير في الحرب ، فاکثر الفرسان يسترون وجوههم واعينهم عند وثوب العدو عليهم ، لضربهم بالرصاص او السيف ، لتلايعاينوا عين الموت الاحمر ، فتتبع العدو رجال العسكر وفرسانه الى ان اتوا على اخره فكانت هذه خاتمة حروبه من هذا الوجه الوليتي ، وفي هذه الوقعة الهائلة قتل القائد الاعظم الرئيس الاكبر البطل الذي لا ترده مخافة الاوجال ، ولا تقلبات الاحوال ، الحاج احمد الكيلوي المقروب بشجاعته الامثال ، وسبب قتله انه لما قاد تلك العساكر الجرارة الى حتفها ، وتأخر وراءها يفرق عليها قرطاس (٣) البنادق الرومية الاوربية الجديدة العصرية بالنسبة لذلك الوقت

- (١) البيت من بائية ابي تمام المشهورة : (السيف اصدق انباء من الكتب) وقد توفي ابو تمام عام ٢٣٢ وكان قتل ابي مسلم قبل ذلك ، في نحو عام ١٣٩ ، أي أن موت ابي مسلم سبق موت ابي تمام ب ٩٤ عاما
- (٢) الدائرة السلطانية من الملف الاسود او المائل الى الزرقة
- (٣) القرطاس ، ذخيرة البنادق في عرف المغاربة

وبالنسبة لبنادق بوشهر العتيقة التي كانت عند المغاربة اذ هم اول من قال بها بالسوس ، ومنهم اخذت واقتنيت بعد ذلك ، فغلن له بعض شياطين العدو فرمته في بعض غابات الكرموس النصراني (١) حول طريقه ، فرماه وامر به بقتله ، فواذ به ، فسقط من اعلى جواده (٢) فكان اول قتيل ، فبذلك وقع القتل في العسكر المحاط به المندحر ، وقت قتل هذا الفارس العظيم في عهد الباشا الاعظم اخيه السيد الحاج سعيد الكيلوي

وأما العسكر الذي قاده الحاج احمد المقتول الى جهة هيلانة (ايلان) فقد استولى عليها بعد حرب خفيفة ، لان رؤساء تلك الجهة قد اذعنوا له ، لانه واعددهم وجاههم بالرياسة ، فوفى لهم . ولم يناوشه القتال سوى (ايت مزال) ومن والاهم من الجبال ، فغلب على ايت (مزال) واستصفي حصون مخازنهم وهدم مساكنهم وصادر اغنياءهم فصفا له من (ايت مزال) في جهة اليمين الى هيلانة (ايلان) الى (مزدان) الى جهة هوار الى رداة (٣) ولم يصل (اذا كنيصيف) ولا (ايت اعل) ولا (ايت عبال) ولا (ايسافن) (الوديان) (٤) من جهة القبلة

وأما العسكر الذي قاده الى مجاطة فقد تقدم انه استولى عليها بمداخلة قدام القلعة من غير كبير قتال ، فاکرمهم واجلهم ، وحصلت لهم بذلك حظوة عظيمة ، ولكن لم تدم لهم بعد . فقد قيد على مجاطة القائد سعيد المحاطي التاجيكالي فجار وتعدي وظلم ، فياخذ كل من فيه رائحة كراهية ، او سوء ظن او اكرامه تهم برأسته ، او كان غنيا ، او من الابطال ، فياتي به الى جبل يسمى جرف تاجيكالي فيرمى به فلا يصل الى الارض الا وهو هباء منثور . واليه رجاء مجاطة وايت رخا الى ان افناهم قتلا ورميا بالرصاص ، فكان هذا الرجل حجاج زمام ، ونقمة اوانه الى ان كان من امره ما كان ، والله يعلم القام حيا ياخذ ، فاذا اخذه لم يفلته ، (انما نمل لهم ليزدادوا الها) ولما استولت عساكر المخزن على مجاطة وجميع سهول الغ وايت وافقا ووصلت الى اطراف مانوزة (امانوز) التي افتى علماؤهم هم وجيرانهم الى وليتة

- (١) اعني بالكرموس النصراني شجر التين الشوكي المعروف في الحواضر القديمة بالكرموس النصراني ، او الهندية ، وبالسلحة الكناري وبالزعبول في سلا
- (٢) اعني محاصر ان الحاج احمد كان اذذاك على بغلة مسرجة ، ثم لم يمض الا بضع ايام الى ان وقع له في ترجمته القاتلة
- (٣) (القسم الخامس)
- (٤) تقدم في حاشية اخرى انه لم يدخل رداة ، وانها كان بها الباشا احمد

الاول

(١) كانت هذه الحروب قبل دخول الكيلوي الى (تيزليت) فبعد ذلك قال من ايلان الرئيس الحاج محمد اذباو المشرع في (القسم الرابع)

بوجوب المدافعة والقتال ، وإن كانوا من أولى الأمر لمبالغتهم في الجور والظلم والسيطرة التي تنافي الشريعة المحمدية والطاعة السلطانية استنفرت قبيلة مانوزة جيرانها وهم قبائل وادي املن ، الى ايت عبد الله ، الى ايكنان ايسى الى ايسافن قبلة ، والى سملاة وناهاالا جويا ، فدافعوه وغلبوه بعد ان بنوا لهم سدا عظيما تحت الحصنة يعني (دوتكاويرت) وموضع (تيسكنين) لئلا تهجم عليهم الخيل ، كما فعل اهل سملاة وباعقيلة في (تيغمي) و (تيفرميت) وغيرهما ، فقاتلوه قتالا عظيما ، فلما انس منهم القوة القوية استكان وانثنى راضيا بما وراءه ، مشتغلا بالدسائس ، والتضريب بين رؤساء القبائل التي لم يصلها ، ولكن تمكن نفوذ العلماء وناموسهم في قلوب الرعية ، لم تغن عنه حيلة ولادسائسه شيئا ، لخوف رؤساء الناس على أنفسهم ، فلما راوا أنه لم تنجح فيهم الدسائس ولا تسرب المال اليهم ، فاوض بعض علماء القطر ، وهو شيخ الجماعة الفقيه العلامة الصوفي الولي الشهير في الاصقاع الغربية ، السيد الحاج أحمد بن عبد الرحمان الجشتيمي انتملي ، وكان له ناموس عظيم وصيت شهير عظيم ، مقصودا بالزيارة والافادة ، من الاقطار السوسية فاشار له أن يقبض (١) من قبائل (تيملت) بعض الوجهاء من اهل الراي والنفوذ ويوعدهم بالقتل ان لم يتقاعدوا عن اعانة قبائل مانوزة جيرانهم ، ففعل ، وأخذهم بتيزنيت بعدما بعث اليهم في الصلح والهاء ، وممن اخذه السيد عبد الله (فارتات) به عرف الامستاني وجماعة ممن ظاهرتهم من اقرانه ، فاعدهم فبعثوا (٢) الى الفقيه المذكور يتوسط لهم عند المخزن ويضمن له ما اراد منهم فبعث الفقيه الى المخزن فسرهم بشرط ان يتقاعدوا عن اعانة مانوزة بـ (تيسكنين) فلما وصلوا الى بلادهم وافتتوا من مخلب المخزن ، ولسان حالهم ينشد ما قاله الاعرابي الذي ضربه الحجاج بن يوسف حين سلح في ازقة طريق واسط :

وكنا اذا جزنا مدينة واسط خرينا وبلنا لا نخاف عقابا
فنتكث اكثرهم ، وهم ايت سمايون ومن والاهم ، بعدما كشف لهم الفقيه المذكور رحمه الله القناع عن عدم مقاتلة اولي الامر من اهل المخزن ، ولو ظلموا أوجاروا ، وأن الصبر والسمع والطاعة ولو لعبد حبشي كان رأسه زبيبة واجب ، فافتقرت لكلامه قبائل وادي (تملت) وقعد المذكورون عن الحركة (توجه المقاتلين الى الحرب) لمانوزة ، فتهيأت قبائل مانوزة لمقاتلتهم واخضاعهم ، رغما على انوفهم فاستنفرت اليهم القبائل المجاورة من (ناهاالا) و (ايغشان) و (تافراوت) و (وسيمة) وغيرهم واستنفروا هم أيضا اهل

(١) بل انهم اعتقلوا بوجان بين معتقلين آخرين في بستان ، هذا هو الثابت
(٢) بل ذهب بنفسه ، فعظمه الكيلولي غاية التعظيم ، واطلق له المعتقلين بعد ان تعهدوا ان لا يعادوا الحكومة

(تودما) و (ايت صواب) غيرهم من الجيران ، فوقع القتال فانهزم ايت سمايون ومن معهم ، فدخلت الحركة (المقاتلون) الدروع (تغريب ايفالن) ، وايت ايكاس ونامالوكت واسكين ، ومنكبها ، وغير ذلك ، وبقي شفا الجبل من (الشمس) و (انيل) و (تاكفميشيت) لوعورة تلك البلدان على الخيل ، والما قامت مانوزة ليزيد شجاعته على غيرها من اهل وادي (تيملت) ولكثرة خيلها لان فيها تقريبا الف فارس (١) في ظرف تلك السنين ، فلما احتلوا هذه البلدان اختلفت اغراضهم ، وتباينت انظارهم في غنائمها ونهبها ، فاهل مانوزة وغيرهم من جزولة حملتهم الغيرة الجزولية على الشفقة على اهلها لانهم من جزولة اخوانهم في العصبية ، وانما مرادهم بهم التاديب والردع لا غير ، واما غيرهم فمن انهم لحكات (تأحركات) من (ناهاالا) و (تافراوت) و (وسيمة) و (ايغشان) مرادهم القضاء على اموالهم واولادهم وديارهم بالتلف والخراب (٢) فلما رأى المانوريون ما هجس في قلوبهم ، وعانوا ما تمالأوا عليه وتجمعوا ، وانسوا ما ابله اجمعوا ، وخافوا ان صرحوا لهم بالحيلولة بينهم وبين ما ارادوه ان يقع السارق والفشل ، وأن يقولوا لهم قد استنفرتمونا الى عدوكم وعدونا ، لم هلم بيننا وبين الاجحاف به ، اوعزوا الى اهل (تودما) وغيرهم من جزولة ان يستألفوا ايت سمايون برجال ذوي بلاء وصبر على الحرب ، ويحملوا حملة واحدة منكرة على مانوزة ومن معهم بغتة عند القيلولة لكون الوقت حارا ، وكانت الحركة (المقاتلون) ضاربة باطنابها خيلها ورجلها ، فوق عيون (اسكين) و (نامالوكت) لشدة الحرارة ينتظرون رجوع برودة النهار لينهوا بالبلاد المذكورة ، ففعلوا وحملوا عليهم حملة رجل واحد ، رافعين اصواتهم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (على عادتهم عند اشتداد الحروب) فلما سمع اهل مانوزة ذلك ركبوا خيولهم مولين لديارهم ، ولسان حالهم يقول : (هكذا هكذا والا فلا لا) وثبت غيرهم من التأحركاتيين في نحر العدو ، فسقط بينهم من القتل كثير ، ولم يقتل من مانوزة سوى رجل واحد ، وهو الامين التيشتاليبي وكان مع الوالد المقدس ، وهو الذي حملة في حومة الوغى ، وجرح فيه محمد ابن عبدالله بالوش ، واسرعنا الولي الصالح عبدالله بن علي بن احمد لكونهما غلا بعض ديار (اسكين) استجار بهما صاحبها المعلم محمد (بوتوميت) لئلا ينهب داره او تهدم ، فلما تمت الهزيمة ادركهما هناك رجال (تودما) فاسروهما واطلقوا سراحهما في خبر طويل دون سلاحهما ، وقد دبر اهل مانوزة هذه

(١) قال مطلع ان هذا القدر فيه اغراق وغلو ، والعهد عليه
(٢) ابتلى الله سريسي من قرون بنحلتين : تأحكات (بتشديد الكاف المعقودة) و (ناكوزولت) (بكاف معقودة) فافترقت عليهما جميع القبائل فتتناحرا فيهما ، وانهما بمسجد وغير مسجد ، وينصر كل فريق ابن لحيته طالما او مظلوما ، وام سقط ذلك الا بالاحتمال ، وذلك من بركة الاحتمال ان كانت بركة الاحتمال

الحيلة كما ترى ، فجاءت وجادت بما عاقبته خير ، وهو انه لما كان غد الهزيمة ورأى عامة القطر من الفتنة ما ساءهم ، خافوا أن يتسع الخرق على الراقع فاجتمعوا أمرهم على أن يسكنوا هذه الفتنة ، فأبرموا أمر الصلح ، وأمروا الناس بالانصراف إلى بلادهم ، ورجوع أيت (سمايون) إلى مداشرهم ، ودخولهم فيما دخل فيه الناس من أمر العدو ، ومدافعة العسكر المخزني الحاحي فقبلاوا وخضعوا واستكانوا ، وشكروا منوذة في تدبيرهم الذي حال دون تدميرهم وانصرف الناس إلى حال سبيلهم ، بعدما كان أمر هذه الفتنة ما يقرب إلى شهرين .

(فائدة) ربما يسمع المعتقد أو يطالع المنتقد من أثر هؤلاء العلماء ما يصدر منهم من الأمر إلى عوامهم ، وامتنال أوامرهم في الخوض في هذه الفتن وما يفساهاها ، فيشتم في أعراضهم ، وينسبهم إلى رقة الديانة ، أو وجود شيء من الخيانة . كلا وحاشا . فانهم رضى الله عنهم عن سنن الدين غير منحرفين لكونهم على تحقيق أصوله وفروعه مشرفين ، أما اختلافهم في مقاتلة المخزن ومدافعة فامر واضح ، للفرقتين معا ، فالفرقة الاولى التي لم تبج مقاتلته ترى أنه إذا دام مسلما متمسكا بالدين الاسلامي ، فان طاعته واجبة ، وان جار نظام وظقى ، وتعدى وبغى ، ولانه أقوى شوكة ، واشد سطوة . ومن قويت شوكته . وجبت طاعته . والفرقة الثانية الميحية لقتاله ، ترى أنه اذا كان ظالما جائرا يقتضى أكثر من الزكوات والاعشار في الاموال ، ولا ينهى عن هتك الأعراض وسفك الدماء في جميع الاحوال ، فطاعته غير واجبة ، على أنهم نسوا من القبائل قوة وشدة في رد شكيمته ، والكل على هدى من ربه ، وله دليل في الاصول والفروع ، ولا يحتاج إلى إيراد شيء منها . بل يسلك بهم مسلك (الجهل) و (صفين) وغيرهما من وقائع المهتدين المهديين المتبصرين رضى الله عنهم ، مع ان علماء الفتن كما أخبرني الوالد المقدس الخائن تلك الحروب كتعا (١) يجتمعون كل جمعة فاقبل أو أكثر ، فيدبرون أمور السكينة وانهاء ، ويهاتفون وقود نيران تلك الفتن حسب استطاعتهم إلى ان انطفأت بعدما شبت من عام ١٣١٤ هـ إلى عام ١٣٢٠ هـ ، سبع سنين ، لاسيما في السنين الاربعة الاولى أيام استخلاف القائد الأعظم السيد سعيد الكيلولى الحاحي ، ولما توفي (٢) بتيزنيت عام (١٣١٧) هـ استخلف من بعده الحاج احمد المسمى بوشفرين ، وأخوه القائد محمد النكنافي انفلوس الحاحي ، فانه وان كان أعظم من الاول ، الا انه رضى بما استولى عليه الاول ، دون محاربة غيره من البلدان الانادرا ، ولقوة القبائل المعادية لهم واتحادها وسيرها على قدم واحدة

(١) المعلوم ان كتعا واخواتها لا تستعمل الا بعد جمعا

(٢) الذي مات في تيزنيت القائد النفلوسى الحاحي بعد هذا الحين . واما الآخر الكيلولى فقد فارق تيزنيت ١٣١٨ هـ فمات في داره بعد قليل

إلى الفنى الحال بالطالفة الحاحية إلى الرغوى للعدو بالاموال ، والاستمالة في أكثر الاحوال مخافة الهجوم على رداة (١) وتيزنيت وجميع مراكزه ، إلى الفنى الامر إلى سلب العسكر بباب تيزنيت ودخلها وغيرها من المراكز ، ثم ان وقع منه ، كراهية لشبوب الحرب ، إلى ان ابتدأت الحرب النهائية عام ١٣٢١ هـ لاجداث لاتفى بها هذه العجالة ، ومن أعظمها ان القائد احمد النفلوسى انتقل الفقيه العلامة شيخ مشايخ سوس وعلامته ، شيخنا وشيخ الامامه ، ابا عبدالله سيدى محمد (ضما) بن محمد (فتح) المدعو اوعبولتهمه بإدخاله العدو ، واتى به إلى تيزنيت ، وشاور علماءه في اباحة قتله ، وادارة ، لما تحقق عنده من ميله إلى البغاة من العدو ، فأشاروا عليه بعدم اراة ، ووجوب حقنه من ميله إلى البغاة من العدو ، فأشاروا عليه بعدم اراة ، ووجوب حقنه مراعاة للمصلحة الدنيوية والاخرية ، اذ لم يوجد بالسوس الا الفنى نظيره في العلوم العقلية والنقلية ، وغزارة الحفظ ، ونشر العلوم وبها وإدارة العلوم الشرعية على ما ينبغي ، وكما ينبغي ، فاعز العلماء إلى طلبته وطلبة الملك الافطار الفحشية ان يجتمعوا للذهاب للقائد المذكور ، للتشفع في الملك الاساذ ، فذهبوا اليه فتركه وحقن دمه (٢) بعدما استصفى أمواله التي كان يملكها ، وهلم دياره ، ونهب أثاثه وامتنعه وكتبه وعبيده . شيئا يعمل من العسر ، ولقعه بعد ان حقن دمه بتيزنيت . تخوفا من شره ، لما له من القوة عظم في الافطار السوسية ، غير ان العلماء الحوا على القائد في ان يخل سبيله لأن أكثرهم ان لم نقل كلهم من تلامذته (٣) ولما سره استبشر الناس به فرحين سرورين ، فذهب الفقيه المذكور إلى مدرسة ايت (يعزى) للنفوسى بها ، اذ كان مدرسته هو وهي مدرسة (اداو محمد) حيث وطنه ومسكنه ، وأمره في القبله (اداو محمد) لان القائد صالح (٤) بن الحسين منهم قد تمالا مع جماعة منهم عليه مع المخزن ، وجعل يدرس في مدرسة الفتاح اى (أيت يعزى) والثالث فانه الطلبة من كل جانب ومكان ، وانتقل اليه طلبة مدرسة (اداو محمد) فاجتمعوا هذه المرة من وتد بقاع (٥) يصيح اليوم في جميع جوانبها ، بعدما

(١) تقدم ان الكيلولى والنفلوسى لم يصلا إلى رداة

(٢) الحقيقة هي ان الطلبة من هشتوكة ذهبوا يتشفعون فيه ، ولكنه لم يسمع منهم ، ثم اجتمع عنده جماعة من العلماء منهم سيدى المحفوظ الادوزى ، فطلب سيدى المحفوظ ان يحضر اوعبولتهمه من ذوى المكانة فسمى فقام فكان ذلك سبب تسريحه وكان ذلك مقصود سيدى المحفوظ بطلب حضوره . ولما فاء لم يتجاوز هشتوكة بل بعضها

(٣) كون أكثر العلماء أو كلهم أخذوا عنه فيه نظر ، لان تلامذته معدودون

بهم

(٤) الذى تسمع به هو ان هذا شيخ لالقائد

(٥) قال الشاعر : وكنت أدل من وتد بقاع

يشيخ رأسه بالفهر واج

كانت محط العلوم (ومقر الفهوم) وجامع الازهر بسوس ، لاتتعدى رحلة طالب العلوم الى غيرها ، فلما رأى اداو محمد ما وقع فيها من تحول تلك العلوم بتحول صاحبها ، ندموا على فعلهم ، وذهبوا اليه . وتطارحوا عليه بأنواع الذبائح مع قائدهم ، معتردين له . فابى من مساعدتهم ، ولم يرجع اليهم الا بعد انزواء ظلال المخزن عن تلك القبائل السوسية ، بتدبيره على حاجة ، وذلك انه لما سرح رحمه الله ، اشتغل سراً بمكاتبة تلك القبائل الجبلية والسهلية ، وجعل يستميلهم ويحمسهم ، ويذكر لهم ان حاجة حادوا الله ورسوله ، واتخذوا شريعته وراء ظهرياً ، فوجد منهم اذناً صاغية وقلوباً واعية ، فلم يكن غير بعيد حتى ضربهم بأول سوس وءاخره ، لكون الناس سئموا من استيلاء حاجة وقهرهم وعنفهم ، زيادة على ما فعلوا بالناس من استلاب الاعراض والاموال ، فاجمع رأى الناس عامتهم وخاصتهم على رأى هذا العالم وغيره من العلماء ممن له معه رابطة وهم كثيرون ، فتألبوا على حاجة ومن معهم من العساكر المخزنية وضربوهم من كل وجه وقطر

أما فى جهة مجاطة فقد قاموا على خليفة حاجة ، القائد الحبيب باقا الذى غرق فى بحر مرسى اكلوا ومات فى تلك الايام (١) ثم أحاطت مجاطة بالقائد سعيد المجاطى بداره فى (تاكجكالت) الى ان هرب ليلاً مع أهله وعياله ، بعدما اوقد النار على اثاثه وامتنعته وجميع ماله ، حسداً وبغضا لمجاطة ، وكراهية من ان يغنموها ، وتتبع فى مجاطة والاختصاص وايفران وما نوزة ، وغيرهم من القبائل السوسية كل من فيه رائحة حاجة بالقتل والنفى والتخريب ، الى ان افنوههم عن اخرهم ، ومن جملة من نهبوا داره الشيخ العلامة المقدم سيدى الحاج الحسين الافرانى ، فقد نهبوا بداره بسوق افران أموالاً طائلة من جملتها ٤٠٠ كاس من البلور ، ومن الاثاث ما لا يحصى ، ونهبت خزانة كتبه التى تضرب بها الامثال بالسوس الاقصى ، الجامعة من المخطوطات والمؤلفات القديمة السوسية وغيرها ما لم تجمعها (٢) مكتبة مغربية ، ومن العجائب انها رجعت كلها الى الفقيه المذكور بعد ، لانها لما تفرقت فى النواحي على يد من اشتروها من العلماء وطلبة العلم وغيرهم ، وفى كل كتاب منها خطه رضى الله عنه وتصفحه ووقفه على المسائل علموا انها له ، وجعلوا يرجعونها اليه ، وامن طالب او غيره الا واثى بما اشتراه اليه حياء منه رضى الله عنه ، ومن الله سبحانه وتعالى ، لانها منهوبة مقصوبة لاتباح مطالعتها حتى لم يبق منها الا ما بيع فى نواحي مراکش وما اليه من بعيد ومن قام بأمر ارجاع الخزانة المذكورة الى ربها المذكور ، الفقيه سيدى محمد

(١) ما غرق الحبيب باقا الا فى عام ١٣٣١هـ بعد الحماية
(٢) ذكر مطلع ان عدد كتب هذه الخزانة ١٦٠٠ كتاب مطبوع فقط

او عيو رئيس الثورة (١) رحمه الله والفقيه الحافظ سيدى محمد بن على ايكيك (الرعد) المزوارى الرسموكى ، فانه لتبعها فى الاحياء والقبائل الى ان جمع اكثرها ، لماله فى الشيخ الحاج الحسين من المحبة والاعتقاد الكبير ، وكنت يومئذ بمدرسة الولى سيدى محمد الشوشاوى فى آيت باكو بقبيلة هشتوكة قارناً على الفقيه الاستاذ الحافظ السيد ابراهيم بن الحاج محمد الرجراجى من ربوة الير (تعريب تاويريرت وانو) بقراءة رواية ابي عمرو البصرى ، فرايت كتاباً منها عند بعض الطلبة ، وقد نسيت اسمه ، مكتوباً فى اوله بخط صاحبه المذكور مانصه : «لو وزن لى هذا الكتاب بعشرة امثاله ذهباً ما بعته» فقلت للمشتري هذا كتاب الشيخ الحاج الحسين الافرانى ، اقلا ترده اليه ، والناس كلهم يردون كتبه ، فقال سبحانه الله يردونها ، كالمستفهم لى ، فقلت نعم فقام فوراً من وقته وأرسله على يد رجل ثقة الى الشيخ بتيزنيت ، انظر ايها الواقف . المطالع الى هذه الاخلاق السوسية ، وتاملها مع مانحن فيه الان ، واعتبر تلك الرابطة القوية المتينة ، وكيف كان علماء سوس فى ذلك الزمان وقبله ، وقد كانوا من الزهد والتحرى فى أمور الرابطة والاخوة مما صيرهم بينهم كالرجل الواحد ، والجسد الواحد ، اذا تألم بعضه تألم الجميع :

هكذا هكذا والا فلا لا طرق الجدد غير طرق المزاج وكذلك خزانة العلامة الرئيس او عابو المذكور ، فانه لما اوقع القائد احمد النفوسى المذكور به كما ذكرنا انفا ، استصفى أمواله ، وهدم دورهم بدمش (آيت ولياض) باداو محمد واستولت الايدى النائية والقاصية عليها من (طرافية) الى (مراكش) فما وقف احد ممن اشترى شيئاً منها من العلماء والطلبة على خطه فى كتبه او عنده علم به الا واثى به اليه ، حتى لم يبق منها الا ما تحت ايديهم لم يعرف أمرها اولم يعلم بها ، وقد اخبرنى رحمه الله عام ١٣٢٦هـ ايام الاطراف عليه بمدرسة (اداو محمد) انه بقى له باحواز مراكش ، ولعله بمزوضة ، كتب قيمة نفسية لاصبر له عنها ، واثى كتب اليهم بردها ، وقد طالعت كثيراً من خزائنه ، مما سمح الزمان برده . واسترجاعه . فوجدت فيها خطوط الراجعين عند الوقوف على المسائل الغامضة التى تدل على اعتناء كبير منهم فى تحرير عويص العلوم وشواردها ، وهكذا كان أدب العلماء بالسوس فى تلك الأزمنة وقبلها ، بحيث ان من نهبت مكتبته لجور او ظلم ، وسقطت الى عالم منهم فانه يرد ما عثر عليه فيها من جليل او حقير ، ويستنكف ان يقتنيها حياء من صاحبها ففصلاً عن الحياء من الله ، لانه لاخلص طوايا العلماء بينهم ، يزور بعضهم بعضاً كل عام مرة او مرتين ، فيتبرك بعضهم ببعض ، ويتكاثرون ويتراسلون ، فاذا علم المشتري للكتب مثلاً بصاحبها . او علم صاحبها بموضعها ولم يرددها تبدلت

(١) قد يكون كذلك فى هشتوكة فقط ، واما فى خارج هشتوكة فلا على ان العاصيين انما انكسروا عن سوس لذهابهم الى محاربة بوحدة مامورين ، لا انهم انهزموا

المحبة والاخاء بقلوبهم ، فيكون ساقطا في نظر ذلك العالم المفصوب منه *
زيادة على ما عسى ان يصدر من قبائل ذلك العالم المفصوب منه ، من التعصب
الذي ينشأ عنه المواقفة بالجريمة من اسر وقتك ، وربما يفضى الى القتل ان اشار
به العالم او صرخ اولوح بحسب تنسكه اوتهتكه ، والله يهدي من يشاء الى
صراط مستقيم *

وممن اوقع به الثوار من قواد المخزن ايضا القائد بوهيا الاخصاصي وهدموا
داره ، واستصفوا امواله ، فلم يتركوا له خفا ولا حافرا ، ونصبوا بعده القائد
المدني الاخصاصي والفقير السيد أحمد بن الطالب العبدلوي معا الى ان غلب
القائد المدني على الثاني فقتله (١) واستصفى امواله لامور يطول حصرها ، وتقيد
على الاخصاص كلهم اكتعين ، وايت عبدالله وغيرهم من الجاورين الى (ميرغت)
وايت برايم من سنة ١٣٢١ هـ الى ان توفي في رمضان سنة ١٣٥٢ هـ راضيا
مرضيا عند الخاصة والعامة من اهل سوس

وممن اوقع بهم الثوار ايضا ، أجواد سوس وابطالها ، وعقلاؤها وسمحاؤها
وذوو مجدها الطارف والتالد ، ومن فخرهم راسخ في القلوب خالد ، القائد
سعيد بن محمد البعقيل وأولاده الافاضل الامجاد ، وقد حاصروهم ازيد من شهر
الى ان غلبوا عليهم ، ودخلوا عليهم عنوة ، فأفلتوا ليلا راكبين خيولهم ، بعدما
حفر الثوار تحت اساس دورهم ، وجعلوا فيها قناطير مقنطرة من ميناء البارود
فانهدت به جدرانها ، وتطايرت الى السماء ، فانالاه وانا اليه راجعون ، وأفلتوا
خلال ذلك من بعض جوانب الدور التي لم يصلها ادنى سوء منه ، هاربين الى
(تيزنيت) ثم رجعوا واستجاروا ببعض العشائر ، الى ان كان من امرهم ما كان
من تولية وزارة الشريف المولى احمد الهيبه ابن الشيخ ماء العينين ، عند قيامه
بالسوس عام ١٣٣٠ هـ فرجعوا الى وطنهم (كردوس) وقد بلغ هؤلاء من الشهرة
في الكرم والشجاعة والفروسية ومعرفة من اين توكل الكتف ، مالم يبلغه
غيرهم من رؤساء سوس ، ومن افراط كرمهم ان مواسم الولي سيدي احمد بن
موسى الثلاثة في كل سنة ، يجتمع عليهم فيها من الصادر والوارد ذهابا وايابا
ما لا يحصى الاخالقه ، ويبيت عليهم ، ويسدلون على الجميع من الانعام والاکرام
ما يذكر اوينسى المهالبة من بنى صفرة ، او البرامكة ، او بنى معن . واخبارهم
في الجود والشجاعة واحياء مراسم المروءة ومجالستهم لاهل العلم ، وانقيادهم
لهم ، ومخالطتهم لاهل الفضل والفقر مشهورة (٢) ومناثرهم في ذلك كله

(١) في عهد القائد الكيلولي انقلب المركب بالقائد بوهيا ، واستولى القائد
المدني ، وأما سي أحمد بن الطالب فلم يكن قائدا الا في عهد الهيبه ثم لم
يقتله المدني الا نحو ١٣٤٠ هـ
(٢) يعني الصوفية

التي كانت مستورة ، وهم من لقات اصحابنا ، وخيار احبابنا بالفطر الوائيتي
التي كان القائد سعيد والقائد (١) اليزيد منهم ، فالهما من ارتفعت معهما
التي كانت المحبة والوداد لبنا مصافيا ، حتى كان بعضنا لبعض لا يخفى اسراره
واصلها ابيه وسراره مصليا مصافيا

وممن نكل به الثوار في اخر هزيمة النفلوسى من السنة المذكورة ، قواد
الخصاص ورؤساءه من اكلو وتيزنيت والمعدر وماسة وقبائل هشتوكة ، وقبائل
قوار ، وقبائل كسيمة . الى اكادير . لان الفقيه المذكور رحمه الله تتبع اثار
التي كانت حادثة ، ومن غرز غرزهم ممن فيه رائجتهم ، فوجد نشاطا عظيما في
القبائل الثائرة ، ولكن من لطف الله ان كثيرا من الرؤساء في هشتوكة والشيخوخ
التي كانهم ووضع عليهم يده الحنينة ، ودفع عنهم أيدي الثوار العادية ، فلم يصيبهم
الى سوء منهم ، فمنهم من اقتدى منهم بالمال ، ومنهم من لا ، كراهية منه ان
يقتلوا بالفتك والتخريب على جميع البيوتات الكبار ، لان غالبها مع المخزن
والسحب النفلوسى الحاحي والمخزن الشريف عن السوس الاقصى اكنع ،
فصاحوا جوه للفقيه (٢) شيخنا ابن عابو المذكور وانصاره الثوار ، اسس اهل
السوس قواعد وحتموا اعتبارها ، وقوانين ايدوا اعمالها واقرارها ، ورتبوا
باب الاموال (٣) فيمن تعرض لاحد ذهب لاسواقهم او مواسمهم او مدارسهم
او حصونهم المخزون فيها مؤوتتهم وامتعتهم ، او تعرض لبقية او عالم وطالب
علم او بسبب او شتم ، او تعرض ليهودي في ملاحه او في طريقه ، او سرق
او جرح او سفاك دما او غير ذلك ، وشددوا في ذلك وعينوا النفايس (٤)
التي كانت الجمعية في كل قبيلة تجتمع في مدرستها عند وقوع تلك النوائب .
والفقيه المدرس في المدرسة هو الحاكم الاكبر المرجوع اليه في الامور
الشرعية ، وعلى هذا النمط بنيت احوال السوس الاقصى كالة من اوله الى آخره
لما كانا لها وتادينا بها ، ومارسناها بانفسنا ، وتعاطيناها ، فانجبرت بعد
ذلك احوال سوس . وامتلات المدارس بأنواع العلوم والفنون ، وانتشر الطلبة
في كل جانب ومكان ، من اقطار بعيدة الى سوس لآخذ العلوم ، والقراءات السبع
والصادر والوارد ، والقريب والغريب ، ويردون من احوال مراكش ودكالة
والشياظمة ، فضلا عن حاحة وغيرها ، لاسيما مدرسة الفقيه الرئيس

(١) ايس اليزيد بالقائد

(٢) لايسلس للفقيه ابن عابو الا بعض هشتوكة لاغير

(٣) هذه الاعراف قديمة في سوس من قرون عديدة ، وليست مما احدث في
هذا القرن ، اللهم الا اذا احدث قليل منها فقط ، لان كل ما سريذكره قديم

(٤) جمع النفلوس : الرئيس من رؤساء القبيلة الذين تتكون منهم الجماعة
الى لها الحل والعقد

المذكور وهي مدرسة (أدا ومحمد) (١) ، فإنها مثل الجامع الأزهر بالنسبة لذلك القطر ، وقد اقيمت فيها للتعاظم أزيد من ست سنين ، فما عرف البعض البعض لكثرة الاعتناء بالطلب ، وقلة المكالة ، والمجالسة لأمور التعارف والفحك فلا تترى طالبا يقف أو يكلم احدا أو يضاحكه الا عند المجالسة للمطالعة أو المناظرة أو للسرد أو لالقاء الاسئلة ، أو لغير ذلك مما فيه منفعة للجميع ووضع الناس الاولياء (٢) والمدارس مواسم يجتمع فيها الطلبة للقراءة كل سنة ثلاثة أيام لكل موسم ، من مواسم الجبال والسهول مثل (تاوغلات) بهيلانة ، وسيدى (بيبي) ، وموسم (تادارت) وموسم (علال) وموسم (ايت يعزى) وموسم (سيدى محمد الشوشاوى) وموسم (سيدى مزال) كلها بهشتوكة ، وكذلك كل جهة من اصقاع السوس فيما نأى أو دنا ، فصارت تلك المواسم للطلبة مثل الامتحانات كل سنة فى هذا العصر الحاضر

ولنذكر نبذة من أحوالهم فى ذلك فنقول : اذا بقى لموسم (سيدى بيبي) مثلا أو غيره خمسة عشر يوما ، عمد الفقيه المدرس فى المدرسة الى طلبته عند قراءتهم الحزب الراتب بكرة أو عشيا ، اذ هو عندهم من قبيل الواجب ، فلا يتخلف عنه احد لقوانين وضعت على المتخلف ، وهى صارمة ، فينبههم وينشطهم لذلك الموسم ، ويخرج لهم المؤن والجرايات المتعلقة بثلاثة أيام الموسم ، فى كل ما يحتاجون اليه من خبز وادام وسكر ودراهم وفرش وغيرها ، مما يتناقون به اليه ، ويندبهم للبس الثياب البيضاء ، وازالة الاوساخ ، واستعمال أفعال المروءة من الحياء ، وعدم اللفظ والصخب والفحش وغيرها مما يناقى وقار العلم وهيبته ، أو يورث مهانة ، فاذا حان يوم الذهاب للموسم ، وهو يوم الاربعاء للمقرب ، وقبله للبعيد ، تهيأوا واستعدوا ، وتزينوا باحسن ما عندهم واجتمعوا فاذا استكملوا الاجتماع ذهبوا الى استاذهم الفقيه لينظرهم ، ويعرضهم بين يديه ، ويوصى كل واحد منهم من كبير أو صغير بما تنبغى الوصاية به ، مما يليق بهم ، ويحضهم على التمسك بما ذكرنا زيادة على تحسين القراءة وتجويدها فى الجامع ، ثم يدعو لهم بالتوفيق والهداية والرشد ، فاذا وصلوا الى الموسم ذهبوا الى محلهم المعين لهم ، للقراءة فيه بين صفوف القراء من أمثالهم فيتناوبون فى القراءة ربع حزب (من القرآن) لكل حزب (أى جماعة منهم) (وكل حزب بما لديهم فرحون) ، فاذا وصلت النوبة الى احدهم ، جاء جميع الحاضرين ، ووقفوا عليهم يحصون انفسهم والفتات ، فضلا عن الالفاظ

(١) حقا كان لهذه المدرسة غالب مذكره هذا الكاتب ولكن يوم كان فيها العلامة سيدى سعيد الشريف ، أما فى عهد ابن عابو فهى كغيرها من المدارس كما أنه كغيره من المدرسين أقرانه
(٢) يعنى مشاهد الاولياء الصالحين المعتقدين عند عامة الناس

والاوقاف والمطوط والالفاظ ، فاذا مالوا وار غطنا فى قلب أو اشباع ، أو قصر أو توسط أو غير ذلك ، من ألوان التجويد ، صلق لهم جميع الحاضرين من الطلبة تشهيرا للمسامحين بمظم الزلة ، وربما سمع التصليق العوام المستقلون بأنواع الاتجار خارج المدرسة ، فيصفقون هم ايضا ، لما رسخ فى أذهانهم من فطاعة ذلك ، وربما ينفى المخطئون من موضعهم ذلك ، ويطردون منه بالكلية ، فيصيرون سبة الى العام القابل ، فيسقطون فى أعين الناس ، لاسيما فى عين شيخهم ، فانه يستخط على ذلك الحال ، ويتسلط عليهم بأنواع السب والنلب الى حين وقد حضرت انا فى هذه المواسم فى حدود العشرين ثلاث سنين ، الاولى عام ١٣٢١ هـ الى سنة ١٣٢٣ هـ وكنت حذام طلبة تلك المواسم ، فرايت وسمعت ما لم يحط به القلم من أحوال الطلبة من جليل وحقير

ويتناوبون ايضا فى نصوص التجويد والقراءات واصولها ، من لامية الشيخ الشاطبى السمة بحرز الامانى ، وارجوزة الخراز ، وابن برى والخصرى وغير ذلك ، مما كانوا يحفظونه ، ويعيدونه لتلك الايام وغيرها ، مفخرة وتطاولا على اخوانهم ، وكل من حفظ هاته المؤلفات ، علاوة على حفظ القراءات السبع او العشر الصغيرة أو الكبيرة ، فانه عندهم فى غاية التعظيم ، مشار اليه بالاصابع ترمقه العيون بالاجلال ، عند الخاص والعام ، ذكورا واناثا ، فذلك يكون لهم مزيد اعتناء بذلك ، لاسيما قبائل هشتوكة وهوارة وماسة وقبائل ايت باعمران فانهم يبذلون طارف الاعتناء وتالده فى تحصيل القراءات بأصولها ووجوهها على ما ينبغى ، واكثر مدارسهم لا يقبلون فيها الا امام القراءات الموصوف عندهم بهذا الوصف

وذلك بخلاف البلاد الجبلية من السوس الى صحراء (تشنكيك) وغيرها فانهم لا يعتنون الا بالعلوم الشرعية الرسمية بأنواعها من نحو وعربية ولغة وفقه على مذهب الامام مالك ، وحديث وتفسير وبيان ومنطق وهيئة من علوم فلكية ورياضية وحساب وفرائض (١) (وجداول واوقاف وطلاسم وعلوم السيمياء والكيمياء وأنواع الازياج والاستخراجات والخدمات والاستنزالات والعزائم والنيرجات وتعاطى أسرار الحرف والاوزاع والتوفيقات الى ان تعدى اكثرهم الى تعاطى السحر بأنواعه والنفت والزناى والرمل) بل غالبهم ادباء شعراء فحول لا يشق لهم غبار ، مهرة فى فنون الادب وايام العرب (٢) ومنهم ايضا

(١) كل ما ذكر بعد الفرائض لا يعتنى به الا قليلون جدا كما مثال الكاتب نفسه
(٢) الاعتناء بالادب فى سوس لا يوازي الاعتناء بالفقه ، بل دونه بمراحل ، الا فى بعض المدارس ، وفى كتاب (سوس العالمة) وفى هذا الكتاب نفسه ما يشفى الخليل فى ذلك لمن تتبع كل ما فى الكتابين

من تميز في علوم الحكمة من الطبيعيات والخواص وعلوم النار والعقابر (١) والخاص ان طائر السوس الاقصى متميز عن غيره من الاقطار بكثرة العلوم المتنوعة من لدن القرن الخامس (٢) الى هلم جرا ، كما ان اكثرهم منهمك على كتب القوم وطريقتهم واصطلاحاتهم ، الى ان فاقوا وبلغوا فيها درجة عزت على غيرهم من البلدان ، فان هؤلاء لا يقبلون في مدارسهم في الغالب الا من اتصف بما ذكرنا ، لانهم اهل هذه الفنون ، وصاحبها معظم عندهم ايضا الى الغاية بل تعظيمه اعم

هذه محاسن هؤلاء الطلبة ومساوئهم في هذه المواسم . وقد ذكرنا كثيرا من محاسنهم في اوقات الاستعدادات لها من الاعتناء بها ادبيا وماديا ، حتى ان القبائل المجاورة لتلك المواسم تهتز لها ، وتتطلع تشوقا منها الى اسراب الطلبة عند ذهابهم للموسم ، واياهم منه ، في حالة جميلة ، وشارة حسنة . فيكتسبون منها حظا كبيرا . تؤديهم الى الاعتناء بأولادهم ، وتربيتهم صفارا على القراءة و حفظ القرآن ، وتغذيتهم بالعلوم الشرعية ، فلا يمر بسبب ذلك عام او عامان الا وتلقى زيادة محسوسة في المكاتب الصغار والعظام ، من انواع الصبيان . والناظر بالتعليم والتعليم وتنمو بذلك روحانية العلوم الاسلامية ، وتستاصل به جرأة الامية والهمجية ، فبذلك كله صار السوس الاقصى مشحونا بأهل العلم والدين ، وتعظيم الكل ، فلا تسمع زمنا الا فلان ولد نجيب ، ولفلان ولد حافظ للقرآن . ولفلان ولد عالم ، فصار ذلك كله رائجا عندهم فبذلك زاد الخطاب الناس ، فتنافسوا في تقديم اولادهم الى المكاتب ، فانتشرت العلوم ، وعمت الاقطار . ما بين عالم متفنن متفلس ، وبين قارئ حمزاوى او عسرى مجود للقراءات متشبع (٣) الى حدود الخمسة والثلاثين بعد الثلاثمائة والالف فجعلت شمس تلك الاعصار المضيئة تركض في مغرب افولها ، الى ان غابت اضواء تلك المطالع بالكلية في ظرف خمس سنين ، لاستيلاء ظلمات الرقاهية واسبابها ، وتبدلت بالكلية (كان لم تغن بالامس) تلك الاخلاق بانسداد ابوابها ، وطمت في بحور الاخلاق الجديدة العصرية الناشئة من تراكم الاحتلال الأوربي ، فانغمس الناس في أحوال المعاش ، لما اجتمع عليهم من تعاقب السنين المجدية ، وأنواع الملاذ المألوفة ، والتفنن في المآكل والمشارب المستلزمة لترك الاخلاق القديمة ، والاخذ بالاخلاق الجديدة ، من التلون في افكار من طور الى طور ، ومن اكبر القواطع انحسار الناس عامة وخاصة الى المدن

(١) هذه كذلك لانكاد نسمع من يعتنى بها اليوم ، وربما كان ذلك قبل اليوم (٢) في كتاب (سوس العامة) بيان ما يعتنى به السوسيون من العلوم بتفصيل شاف

(٣) كل ما قاله المترجم من هذا الاعتناء العجيب ادر كناه في اواخر عنفوانه وذلك كله صادق ، و (ما يوم حليلة بسر) وانما يواخذ المترجم بالاغراق

للعاطى التجارات والتعليمات بالوانها ، وظهرت في السوس الاقصى بل والادنى من مراكز واحوازها ودرعة وثاقلات وصحرائها الى فيكيك اثار الخلا والخراب المحسوسة ، ولولا تلافى الدولة الحامية بأنواع الاصلاحات في الادارات والطرق ، واسباب التمدن ، لاضمحلت بالكلية لانجلاء أهلها الى المدن بأولادهم ، لتيسر أسباب المعاش . وأنواع الملاذ في الحواضر دون البوادي فوقع اختلاط محسوس في المدن بين العناصر والاجناس في المناكح والازدواجات وانقضت الازمنة غير الازمنة ، فبذلك كله تأخرت في السوس الاقصى وغيره من سائر الاقطار أنواع العلوم ، فاذا قبض عالم فلا يخلفه الا جاهل او تاجر ولذا الامر من قبل ومن بعد ، واليه ترجع الامور

فصل

ولنعد الى مانحن بصدده ، ففي عام ١٣١٦ هـ اشتغلت بالتعلم على شيخنا الفقيه البركة المحقق الميراث السيد محمد بن احمد بن محمد بن محمد بن بن بن بلقاسم بن الحسن بن عبدالله الكرسيقي اصلا التيملي وطننا الاسكائوري سكا . في مسجدنا بمدشر (او الا) فقرأت عليه قراءة نافع وابن كسر مع تجويد القراءة وتحقيق الرسم ، وحفظ النصوص المتعلقة بالقراءات من ابن بري والخراز والحصرى وحرز الاماني للشاطبي ، وغير ذلك من المطبوعات الرسمية ، فاقمت عنده الى عام ١٣٢٠ هـ بعد وفاة الوالد بستة اشهر فارسلت الى هشتوكة ، وانا في ابلان البلوغ ، بمعية صاحبنا وصاحب الوالدين الميراث السيد موسى بن ابراهيم من بنى على بن احمد الغازي الكرسيقي المانوزي ، وذهب بي الى اخيه الفقيه السيد ياسين بن ابراهيم الساكن ببيت صالح بقبيلة اولاد بلفاع بهشتوكة ، فذهبنا على طريق جبال صوابية وبنا بالظلال (تعريب كلمة امالو ، وكان ينبغي ان يقول الظل لانها مفرد في الشلحة) ، ثم (ايه اوغكمي) ولم نصل ، لتعلقنا بالبغال ، وتوتر تلك الجبال . الا بعد ثلاث الى آيت صالح ، فلما وصلنا الى السيد ياسين المذكور ، وجدنا عنده من الطلبة ما يزيد على الخمسين ، مع انه في جامع صغير ، وذهب بي رحمه الله بنفسه الى شيخنا الفقيه العلامة المقرئ المحقق النجوى الاصولي الميراث السيد ابراهيم (١) بن الحاج محمد الريراكي الساكن ب (تاويرت) (او) (اي روة البير) وزاوية سيدي اسحاق وغيرهما وقته ، المؤدب بمدرسة (آيت باكو) بهشتوكة ، فوصلنا في الساعة الثامنة من النهار يوم السبت فاتح شهر عام ١٣٢١ هـ وفرح بنا غاية ، واوصاه بالوقوف معي والجد والاجتهاد في

(١) هذا السيد استاذ يتقن قراءة البصري ، ومأمعه من النحو الا نبذة ، وصفا لي من عرفوه واخذوا عنه ، ومن بينهم من كان هناك يوم كان المترجم . وهو مترجم بين أهله في (القسم الثالث)

أمر تعلمي بعدما اتخلفنا بارتال من لوز بلادنا المثل ، احسانا ، فبلغ به من السرور ما لا مزيد عليه ، لكونه ليس من شجر بلاد هشتوكه الانادرا ، فرجع انفيقه السيد ياسين المذكور الى مقره ، واقمت ثلاثا للاستراحة الى يوم الاربعاء ، فأمر لي بالابتداء فيه ، وقال لي انه يوم النور ، ينبغي ان يتحرى فيه الابتداء . فابتدأت بحزب (حم) ماخلفنا الذي وقفت عليه في بلادى بقراءة ابن كثير ، الى ان ختمت العشرة الباقية ، فتدبني لقراءة ابي عمرو ابن العلاء مفردة ، فختمت فيها ختمتين بغاية التحقيق والتجويد . من رسومها واصولها ونصوصها ونصوص روادفها ، وفي خلال ذلك كله ، يندبني لحفظ المتسوق النحوية والفقهية ، فحفظت الاجرومية والجمال لابن المجرادى ، وارجوزة البناء والصرف والمنع ولامية الافعال والمرشد المعين لابن عاشر والفية ابن مالك (١) وارجوزة ابن سليمان في الحساب وارجوزة المقنع للمريغى ، ولامية ابن الوردى نصيحة الاخوان ولامية الشنفرى ولامية العجم للطغرائى ، ومنظومة التلخيص ، وارجوزة السلم للاخضرى ، والاربعين حديثا للنووى وغير ذلك من القصائد الادبية والمقطعات ، وحفظت من ديوان ابن الفارض التائية واللامية والميمية والكافية ، وحفظت من الدواوين كثيرا مثل ديوان المتنبي والبحترى وابن سهل والحماسة والمعلقات السبع وغير ذلك ، وكان الحفظ اذذاك اسهل عندي من النفس ، لسيلان ذهني ، وصفائه من شوائب ادران الدنيا ، وشوهد منى ذلك . وشهد لي به العدو والصديق (٢) وقد جلست مرة مع بعض طلبة العلم قبل تعاطيه ، وقبل حفظ ابن الفارض ، وعنده نسخة منه ، فقال لي يا فلان بلغنا انك تحفظ في قليل جميع ماراته عيناك ، ونحن نريد موسم (لالة تاواعلات) ولا بد عند التقاء الطلبة هناك ان يديروا بينهم الاشعار العلمية ، والقصائد الادبية ثلاثة ايام ، كما هو المعروف من عادتهم ، ونخاف ان يعرض لنا عجز وقصور لقلة ما حضر عندنا من القصائد العلمية ، فنرغب من سيادتكم ان تحفظوا لامية ابن الفارض بعد حفظ تائيته قبل بلوغ الموسم بشهر ، لتكون لنا عونا وعدة في يومه ، فقلت له هات النسخة فتسلمتها منه ، واشتغلت بحفظ التائية بمحضهم ، وهم يتضاخكون على شرب الاتاي نحو ثلاث ساعات . فما استتموا شربه حتى حفظتها عن ظهر قلب ، من غير تعب ولا كلفة ، فقلت له خذ النسخة فقال دعها عندك حتى تحفظ منها ما ذكرت لك في هذا الشهر ، فقلت له انى فرغت من حفظه الان ، فضحك كالستهزىء ، فحلفت له ، فقال اعرضها على

(١) كان سبق له ان ذكر انه حفظ بعض هذه المتنون ، ولعله زادها الان حفظا .
(٢) اخبرني الاديبي سيدى احمد اليزيدى ان هذا السيد كان اسهل الناس حفظا ، وانه يحفظ قطعة شعرية بمجرد سماعها مرة واحدة ، ويكاد يتواتر عنه سرعة الحفظ . ولكن في اعتنائه بهذه القصائد الادبية التي لا يفهما وهو لا يزال في حفظ القرآن ، ولم يلم بعد بالعربية ، موضع العجب

فمضيتها عليه كلها كتعا ، ولم يعزب على منها الاقليل ، فخرج واعلم جميع طلبة المدرسة ، فجاءوا كلهم مستظريين ذلك ، فكررنا عليهم ثانيا ولم يعزب على منها حرف واحد ، ثم قالوا لم نسمع من السى انه حفظ اكثر من سبعمائة بيت غيرك في زماننا هذا في ظرف نصف يوم ، وشهدوا لي بسرعة الحفظ ، وساع امرى في ذلك بين طلبة الاقطار ، فاقمت نحو سنة ونصف بهذه المدرسة الشوشاوية ، في غاية الجهد والاجتهاد ، وكنت وأنا اصغر القوم مع ولده الفقيه السيد محمد بن ابراهيم في بيت واحد ، ناكل ونشرب في انا واحد ، وكلفنا بهويز الواح اهل قراءة ابن كثير وابن العلاء بقصد التمرن ، ورسوم الخرافات في اوعيتنا ، وكان عدد طلبة المدرسة نيفا وتسعين الى المائة (١) وكانت أعشار القبيلة لم تقم بكفايتهم في تلك السنين لشدة القحط والجذب وكثرة الغلاء ، فمن تلك السنة ابتدا الشعر بغلاء الثمن ، حتى وصل سعره سنة ارباع حسنية (٢) وهو امر لم يعهد مثله من قبل ، فسمى العام بعام ستة ارباع ، وذلك لكيال فيه ثلاث اصع بصاع النبي صلى الله عليه وسلم ، وكنا نذهب ايام الاستراحة الى البساتين لطلب الجزر واللفت والفول وغيرها من الخضر ، مما يقتات من المداشر المجاورة لمدرسة سيدى محمد الشوشاوى مثل تونف وتوكيمت ، وايت عياط وغيرها ، فيساعدنا ارباب البساتين رغبة في الثواب بالاحسان الى حملة كتاب الله المهاجرين لاجله ، فانهم لهذا الرجاء يورثون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، فاذا وجدوا طالبا على هذا الحال ملوه على اماكن جناتهم وبساتينهم ، ويؤكدونه على الاخذ منها ، سواء في حضورهم او في غيبتهم ، وكثيرا ما ترى الطالب يدخل الى البستان او العرس وربها غائب . فياخذ ما أعجبه من الخضر والفواكه ، وربما يجده في البستان او في خارجه فينظر الى ما معه فان وجده قليلا رده ، وحلف له ان ياخذ شيئا له بال ، هذا مما امتاز به اهل السوس الاقصى من تعظيم القران وحملته . ولا بأس ان نذكر طرفا من ذلك مما يدل على اعظامهم لاهل العلم واجلالهم لحملة كتاب الله ، ومن معاملتهم معهم بالمسامحة والمكارمة

فنقول زيادة على ما تقدم : ان مدارس العلوم النقلية والعقلية ، ومدارس القراءات في السوس الاقصى لاتعد ولا تحصى (٣) لان كل قبيلة لابد لها من

(١) زعم من كان حاضرا هناك ان الطلبة هناك لم يبلغوا حتى نصف هذا العدد . ولعل ذلك يختلف بحسب الاوقات .
(٢) المراد بالربع مايساوى درهمين شرعيين من الفضة ، وكان ايضا يسمى بسيطة مغربية ففي الريال خمسة ارباع ، ولا ينبغي ان يفهم من لم يدرك ذلك ان المراد بالربع ربع الريال لان هذا ربع اى بسيطة وقرش .
(٣) لما اراد الكثرة ، والا فان مجموع تلك المدارس القديمة لا يتجاوز المائتين . وعندنا مجموع ذكرناها فيه كلها

مدرسة، بل ان كانت القبيلة كبيرة تقدر على القيام بالكثير، فانها تزيد مدرستين او ثلاثا، وكيفية القيام بها ان يلتزموا (١) على انفسهم لكل كانون ثلث ذكواتهم واعشارهم اربعها او اقل او اكثر بحسب قلة القبيلة وكثرتها، وقلة طلبتها وكثرتهم، فيكتبون ذلك كله مع ضوابط المدرسة والاسواق والحصون في سجل خاص، يسمونه (سجل الاعراف) لجمعه ضوابط وقوانين صارمة، لا يتسامح فيها عند حدوثها في الثلاثة المتقدمة، فاذا فرغ الناس من جمع انسادهم وبيادهم، اخرج دراسهم لحيوبهم، اجتمع اشياخ القبيلة مثلا المسمون عندهم بالنفائيس (انفلاس جمع انفلوس اي رؤساء القبيلة) لانهم ينصبون من كل مدشر انفلوسا، او لكل فخذ او بطن او فصيلة، فيحضر مع نفائيس القبيلة في جميع الامور، فاذا لم يحضر تعينت عليه الخطيئة والعقوبة (٢) بمال معلوم عندهم، عند رئيس المدرسة، وفيقيها الذي هو رئيس تلك الجمعية فيحسبون قوانين القبيلة حتى يعرفوا مازاد منها وما نقص، ويحاسبوا الجميع على مقدار ما عندهم من ارباب القمح (٣) والشعير من الاعشار، فيعينون يوما معلوما للاتيان بها الى المدرسة، ووضعها في مطاميرها او بيوتها او امراؤها، فاذا وصل ذلك اليوم تسرب الناس افواجا وافرادا باحمال الجمال والبغال والحمير منزعين الى المدرسة، لوضع تلك الاعشار، فمن لم يات بها الى غروب شمس ذلك اليوم اوالى اجل معلوم عندهم، فانه يعاقب بمقدار المال المكتوب في سجل القوانين المذكور، ويأتون معها بما يلتزمونه للفقير، مما يسمونه شرطا من زرع وادام ودرهم وصوف وغنم وغير ذلك، مما في رسم السجل، فاذا فرغوا من ذلك بعد يومين او ثلاث مثلا، تفقدوا طلبة المدرسة، فمن كان غريبا عرفوه ومن كان اهليا عرفوه، ومن ضرب او شتم او سب او سرق او فعل بطالب المدرسة او مدرسا (٤) ما ينافي ما في السجل، نكلوا به بقدر فعله، بعقوبة مالية معينة في السجل، او من تعرض لمن ذهب اليها من رجل او امرأة بشيء من ذلك فانه يعاقب، والعقوبة بالمال رعايا للمصلحة المرسله جوزها علماء سوس بعد اصرارهم على منعها وبعد ملاقاتهم الصعوبات الكثيرة، والعقوبات الشديدة في الشؤون الداخلية، والمسائل القضائية، فلما خافوا من اختلال احوال امور

(١) كانت هذه العادة في سوس منذ ما قبل القرن العاشر وبذلك بقي العلم متسلسل الحلقات في سوس . راجع (سوس العامة)

(٢) يعنى بالخطيئة الغرامة، فما بعدها عطف تفسير عليها

(٣) ينذر كثيرا حرق القمح في سوس حتى لا يحسب في مثل هذا، والغالب الشعير والتمر والذرة في محلاتها القليلة، هذا في السهول، واما في الجبال فلا يحرق القمح البتة

(٤) المعتاد انه لا يتكلم في طلبة المدرسة الا الاستاذ، ولا سلطة للنفائيس عليهم ولعل المؤلف اراد كون النفائيس ينظرون في امر من مس احدا من الطلبة بشيء من ذلك

مصلحتهم الادبية والمادية، او عزوا الى عوامهم، واعيان قبائلهم بالعقوبة بالمال ساكتين عن الجواز وعدمه، بحيث لو قلت لعالم منهم ان العقوبة بالمال جوزها البرزلى رحمه الله وغيره، ولذلك ادلة شهيرة في الحديث وغيره وكلام الخليفة الصالح الاموى القائل (تحدث للناس قضية بقدر ما احبوا من الفجور)، الى غير ذلك، لما اجابك الا بمعارضة هذه الادلة بأدلة اخرى دالة على عدم تسويغه والافذاع الشديد على من سوغه، ورميه بركة الديانة، وكثرة الخيانة، هذا اذا كان من العلماء الاجلة، واما غيرهم فمهما سالتهم عن ذلك فمنهم من يسكت لا ساخطا ولا راضيا، ومنهم من يقول ان الزمان غير الزمان . وقد غلب الفساد واهلك، ويستدل بقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله المتقدم وغيره، فاذا وقع شيء مما يوجب العقوبة، رايهم ناديين لعوامهم الى تلك المسالك فلا يعدونها حينئذ من جملة المهالك، وربما يرأسهم في ذلك العالم نفسه، فهذا دليل على تسويغ اكثرهم لها، الامن عصمه الله منهم، وقليل ما هم . هذا كله في اول القرن الرابع عشر وقبله بازمنة، واما بعده فقد اجمعا على اقراره، والسكوت عنه راضين، رعايا للمصالح العامة كما تقدم

(فصل) نلم فيما بمقدار عقوبة المال

في الاقطار السوسية

اما مقداره في القرن العاشر، واول ايام الاسلاف الاشراف السعديين في حدود ٩٣٣هـ فانهم يكتبون في سجلات اعرافهم، كما اطلعنا عليها، مثقالا او مثقالين لمن تعرض بسوء لعالم او طالب او امرأة او غريب او يهودي، او سارق في مواسم الحرمه او الحصون المخزون فيها، او غير ذلك الى ايام السلطان المقدس المرحوم المولى احمد المنصور الذهبي، فزادوا زيادة محسوسة فصار قدرها عشرة مثاقيل، ثم زادوا في اول الدولة العلوية زيادة ظاهرة في اول ايام المولى الرشيد عام ١٠٧٨هـ الى ايام المولى عبد الله بن اسماعيل فبلغت الزيادة اثنين وعشرين مثقالا، ثم بلغت في ايام المولى سليمان بن محمد بن عبد الله طوسين مثقالا، ثم استمرت على هذا الحال الى ايام السلطان المولى الحسن بن محمد، فزادوا فيها، وتفاقم امرها في جبال جزولة (مانوزة) وما حولها من وادي (تيملت) وسملالة وتاهالة وايغشان وبغيلة ورسومكة وغيرها الى اربعمائة مثقال، وفي سهول سوس مثل آيت باعمران، الى آيت جرار، الى نرنييت واحوازا . الى هشتوكه وهواره وقبائل هيلانة، الى ردانة الى سكتانة الى درعة، اقروها على مائة مثقال زيادة، الانادرا، الى ايام المولى يوسف واما جبال جزولة فقد زادوا فيها الى خمسمائة ريال، الى ان هجم الاحتلال على

الجميع ، فأضحلت هذه الاعراف وصارت نسيا منسيا (١) كما صار نفوذ العلماء في خبر كان ، بعدما كان مآكان ، كما سمعت ورايت

وسبب وضعهم هذه البرامج المالية والعقوبة بها ، من القرن العاشر الى يومنا هذا ، دون ما قبله من القرون الاولى ، ان نفوذ سلاطين الوقت في البلاد السوسية قليل ولا تناله احكامهم الا في النادر (٢) فصارت كالفوضى لذلك ولغلبة نفوذ العلماء عليها وكثرا ما يكون العامل المخزني بتارودانت او تيزنيت في ايامهم ، ولكن تحت نفوذهم وطوع ارادتهم ، مخافة ان يوعزوا فيه لعوامهم فيعاملونه بسوء من قتل او نهب

وسبب بسط نفوذهم ، ونفوذ اعيانهم ، دون مراعاة نفوذ السلاطين ، ان نفوذ السلاطين لا يبقى معه زكاة ولا عشر . ولا سيادة لهم في اوطانهم ، فتصير المدارس العلمية بذلك خرابا يبابا ، لان السلاطين عادت لهم ان يجمعوا الزكوات والاعشار . فيضعونها في صناديقهم ، ويجعلونها في غير استحقاقها وغير موضعها فيصرفون الى عواصمهم : مراكشهم وفاسهم او غيرها ، ويصرفونها في الفروج والسروج لا غير (٣) واذا وقع ونزل بعض الاصلاحات منهم لبعض الشئون المادية او الادبية ، فمحله في نظرهم تلك العواصم ، حيث يدورون هم وازواجهم وعبيدهم وخدمهم وحشمهم ، من غير التفات منهم الى ما يهم سوسنا من الشئون الدينية والدنيوية ، فلا يتعرضون لبناء جامع او مدرسة ولا مكتب ولا زاوية الا لغرض من اغراضهم ، من تشوف الى بعض ذوى الوجاهة من العلماء او غيرهم فبذلك كله اجتهد علماء سوس المتقدمون والمتأخرون رضوان الله عليهم في قطع ذلك النفوذ المؤدى الى الاجحاف بسيادتهم ومدارسهم وما يمس بكرامتهم ، حتى ال الامر الى اصدار فتاوى تكفر او تزندق او تفسق كل من اخذ منهم ومن عامتهم بأيدي من انتمى الى المخزن ، واقتاء بقتله او هدم داره او نفيه عن وطنه (٤) حتى سرت في قلوب عامتهم هذه النحلة المتعة منذ احقاب طويلة ، فاذا طرقهم طارق من جانب السلطان من امير او قائده او نائبه قاصدا لاختصاصهم بالقوة ، التفتوا عليه يدا واحدة ، معتقدين ان مدافعتهم اكبر من جهاد العدو الكافر ، فطال

(١) نعم هذه الاعراف النافعة تضاحل ، والاعراف المصادمة للشرع الاسلامي يريد المحتل احياءها فتعجب

(٢) هذه حقيقة تاريخية ، ولكن في جبال جزولة وامثالها ، حتى في عهد مولاي اسمعيل كانت هذه الجبال متمنعة ، فانظر (الجزء الثاني) من (كتاب ايليغ قديما وحديثا)

(٣) كلمة نابية لانقر عليها المترجم رحمه الله لعله يريد تصوير الحالة فجمع به القلم

(٤) هذه الكلمة مثل المقدمة

عليهم الامدعل هذا الحال ، هل اهلهم كانوا يدعون لسلاطين الوقت على المنابر وينصرونهم في المواسم والالدية ، ويعتقدون ان مخالفتهم شقاق ، ولكن متى قعدوا منهم (١) مزجر الكلب ، او لم يطلبوا منهم قلامة ظفر ، والا فهم سلاطين جور ، يحل عندهم قتالهم . ومدافعتهم عن اوطانهم ، لاسيما الدولة العلوية فانهم معها دائما من اولها الى يوم الاحتلال في هراش وشقاق ، فما سمعنا منهم من جاوز حكمه (ردانة) الى بسيط (تزنييت) ولم يتوغل احد منهم في تلك الجبال الجزولية الى جهة القبلة المصمودية ، بل كان العلماء في كل زمان ، وفي كل قرن ، يشورون (٢) في تلك الجبال ، وقد ثار فيها في زمان السلطان المولى محمد ابن عبد الله الفقيه العلامة سيدي محمد بن عبد الله الشريف الكثيري المعروف عندهم باسم (بوتكولا) وثار لذلك العهد ايضا الفقيه العلامة سيدي عبد الله ابن محمد من بنى الحسن بن عبد الله البوزيدي الجرسيفي المانوسوي المقتول برأس الوادي ، المضروبة عليه قبة هناك ، وثار لذلك ايضا الفقيه ابن عزوز وثار فيه من اولاد الشيخ سيدي احمد بن موسى على بن محمد وولده وولد ولده (٣) وثار فيه ايضا العالم العلامة السيد احمد الهيبه ابن الشيخ ماء العينين عام ١٣٣٠ هـ ، وتلاه وتبعه اخوه المريه ربه ابن الشيخ ماء العينين وغيرهم ممن لم نذكرهم ، وسنسلم بنيد من اخبار ما حضرناه او سمعنا في زماننا هذا (٤)

فصل

ولنرجع الى مانحن بصدده من امر اعتناء الناس بأمور الدين واهله وقد ذكرنا منها ما يتعلق بالمدارس ومدرسيها وطلبتها ، والقيام بتموين الجميع

(١) كناية عن الابتعاد بذلك المقدار الذي هو معروف من العادة ، قال ابن الزبير :

بما زال مهري مزجر الكلب منهم لدن غدوة حتى دنت لغروب
(٢) عجبنا من هذه الفكرة من المترجم حين يبتهج بالشورة على الحكومة المركزية وقد كانت له رحمه الله افكار شاذة . لا تخفى من مطالعة كل ماسقناه عنه
(٣) وفي هؤلاء جمع كتاب (ايليغ قديما وحديثا)

(٤) هذا كله كلام يقف ازاءه من يعرفون الحقائق متعجبين ، فلعل هذا الكاتب لم يبلغه كيف انتال الناس على السلطان مولاي الحسن من السهول والجبال اما رارسوس عام ١٢٩٩ هـ وعام ١٣٠٣ هـ وكذلك ما قام به السوسيون ازاء احمد بن محرز وازاء محمد العالم ، وما قام به الناس من مجابهة الشائرين على الحكومة كابي احلاس عام ١٢٠٧ هـ وما جابهوا به المكاوي والدربالي وامثالهما ، فاين معاداة الدولة العلوية في سوس ياترى ؟

واما ثوار سوس فانهم حقيقة كثيرون كما كثروا في كل نواحي المغرب وقد دنت جمعيتهم في محاصرة القيتها ونحن في معتقل الصحراء

فصل في ذكر بعض حوادث وقعت أثناء اقامتي

بالمدرسة (الشوشاوية)

من ذلك ان طالبا خان الفقيه شيخنا المذكور ، وسرق من صندوقه امانات
لناس وضعوها عنده ، على عادة القبائل في وضعها عند فقهاء مدارسهم ، مخافة
اغارات العدو ونهب الديار ، لاسيما عند استحكام السنين المحلة ذوات القحط
والجوع ، لكون المدارس وفقهائها في غاية الاحترام ، وذلك من ذهب وفضة ولبان
ورسوم وانواع الامتعة ، فوجد الفقيه الصندوق فارغا . وقد سرق منه نحو
عشرة الاف ريال (سكة هذا التاريخ) فلما فرغ الناس من صلاة المغرب ،
واصطفوا على عاداتهم لقراءة الحزب الليل ، ولم يتخلف من الطلبة احد ، لانهم
يرتبون العقوبة على المتخلفين عن الصلوات الخمس وقراءة الاحزاب (١) اخذ
الفقيه يبكي بكاء شهيق ونحيب ، فلم يعرف احد من الطلبة مآذاه ، وهابوا ان
يسألوه ، فتجاسر بعض كبار الطلبة على سؤاله ، فقال له : مالك ياسيدنا
أقر الله عينك ، ولا أبكاك الا من خشيتك ؟ فقال له الفقيه : ومالي لا أبكي وبطن
الارض أفضل لي من مظهرها ؟ وقد انتهكت اعراضنا بسرقة امانات الناس من
حرزنا . فماذا أقول لاربابها . وماذا أقول لخالقي ؟ ثم مد كفيه ، وقال للطلبة
مدوا أكفكم ندعو على هذا الخائن ان لم يرد الامانات بعد ثلاثة أيام بالهلاك ، فقبل
له : بل نؤجل هذا الدعاء الى انصرام هذا الاجل ، فقال نعم ، ثم شرع الطلبة
في قراءة الحزب وانفضوا بعده ، فلما كان آخر الليلة الاولى من الثلاث ، وجد
الفقيه جميع ما اخذ من الامانات ، ولم تضع منها قلامة ظفر ، موضوعا في بيت
الصناديق ، ولم يعلم الناس من هو هذا الخائن من بين الطلبة ، ولا انهموا احدا
فاستبشر الناس ، ونجى الله الخائن من شر دعوة هذا الجمع العظيم الصالح
الذي لا ترد دعوته

تنبيه :

علم ان الدعوات من طلبة العلم والقرءان في هذا القطر في مثل هذه الشئون
مقطوع فيه عندهم بالاجابة ، وقد صار عندهم من باب الايمان المغلظة ، حتى ان
كثيرا من المظلومين يأتون عند وقوع مثل ذلك الى طلبة المدارس او غيرهم من
مجامع أهل العلم والصلاح ، فيشتكون عليهم ويطلبون منهم الدعوات بهلاك

(١) كان مقدار العقوبة التي كنا رتبناها فيما بيننا على المتخلفين عن ذلك لما
كنا في مدرسة (ايغشان) عام ١٣٣٠ موزونتين ، ويعبر عنهما ب (وجهين)
وتعادل قيمتهما سنتين وثلثين وذلك اذذاك غير تافه ، خصوصا عند الطلبة المدقعين
في تلك البلاد الفقيرة

ولندكر غير المدارس من المكاتب العظام التي هي بمثابة المدارس في اتخاذها
للتعلم والتدريس مثل المدارس ، ولكن ليس لها موارد من زكوات واعشار .
فان المكتب اذا كان في بلد او مدشر كبير فيه مثلا اكثر من سبعين كانوا الى
المائة ، يتخذ فيه بيوت سكنى الطلبة الغرباء وغيرهم فتشدد الرحلة اليه ايضا
كالمدرسة ، ولكن الطالب الغريب مثلا ينتقى رجلا او رجلين من أهل البلد ،
فيذهب بكرة وعشيا للاتيان بغدائه وعشائه من عنده ويسمون ذلك (الرتبية)
(تعريب تارتبيت بالشلحة وان كان فيه معنى الرتوب بالعربية) فيقولون مثلا
ان الطالب الفلاني اخذ الرتبة من فلان ، الى ان امر بعضهم الى تبني بعض
الغرباء فيأخذونهم اذا أتوا تعلمهم فيؤوونهم الى بيوتهم ويزوجونهم احدي
بناتهم ويعطونهم مسكنا من مالهم ، وذلك ان كان لهم اولاد ذكور ، وان لم يكن
لهم شيء من الذكور ، يملكونهم جميع اموالهم (١)

ولما اشتغلت بالقراءة في هذه المدرسة (الشوشاوية) اخذت الرتبة من
عند بعض أهل البلد اشهر ، فرأيت هو وأهل داره يستميلونني الى ذلك فزهدت
في ربيتهم خوفا من عاقبة الامر ، لان والدتي المقدسة كثيرا ما توصيني على امثال
ذلك مخافة القواطع ، لانه كم من تلميذ غريب مقطوع عن والديه في بلاد بعيدة
يصير متاهلا مستوطنا ، لاسيما اولاد الفقراء ، ولما تخلت عن الرتبة جاءني
صاحبى هو وامرأته وبناته ، كاني ولدهم . فقالوا لي مالك قد انقطعت عنا ؟
اولم يعجبك طعامنا ؟ او قطعك عنا غيرنا ممن هو افضل منا ؟ فقلت لهم لا ذوا لاذك
بل انامن اولاد اغنياء بلدى ، وذوى الثروة العظيمة منهم ، ويأتيني من أهل
من أنواع المؤن والزاد من كل صادر ووارد شيء كثير ، فاخرجت لهم سمنا
وعسلا (٢) كثيرا ولوذا ودراهم كثيرة ، مما لا يحسبونه عند احد فاتحفتهم بشيء
من ذلك وسألت منهم المسامحة عن الايام الخالية

وأما اولاد الفقراء فقليل منهم من يرجع الى بلاده ، عند اتمام تعلمه .
لما ذكرنا . فتجد اكثر أهالي بسائط سوس من هواره ورأس انواى وهشتوكة
الى حاحة ليسوا بأصليين . بل من أهل النواحي الجبلية وغيرها ، ولتيسر اسباب
القراءة في السوس الاقصى صار غالبهم طلبة قراءات او طلبة علم ، والامية في
غالب اقطارهم قليلة لشدة ارتباط أهل الاقطار القريبة والبعيدة ، فيشترون
في الموارد العرفانية ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

(١) مثل هذا الاعتداء يكثر في هشتوكة وقبائل ما حوالى تارودانت من اجيال
الى ان انقضى ذلك الان

(٢) كنت أنا والمرحوم سيدي عبد القادر المسفيوى عند ابن زيدان رحمه الله
وعنده المترجم ، فصار ابن زيدان يلزمه بالفقر مداعبة ، فذهب مسرعا فاذا به
أتى بآباء طافح بالعسل ، فقال له اليس هذا دليل غناى ؟ ذكرت الان هذه
الحكاية بمناسبة ما ذكره هنا تصديقا لما ذكره عن نفسه

ظالمهم ، فلا يقبلون منهم الدعاء بالهلاك الا بالبينة على انه ظالم لهم ، وقد شاهدت ظالما يوما لج في طغيانه وأبى ان ينصف مظلومه في بعض اندية الطلبة ، فقالوا له لاتخرج من هذا الموضع الا اذا انصفته حقه ، فانزعج للخروج مستكبرا تياها ، غير مبال . فلما وصل الباب عشر عشرة سقط منها على الباب وتسارع الناس لكثرتهم في الموضع ، فوجدوا رغووة مزبدة بين شفتيه وشذقيه وهي كشقاشق البعير ، الى أن فاظت روحه في أقل من ساعة ، وبهذا وامثاله انزجر الناس ، وارتدع الظلمة . واحترموا المنتسبين وأهل الدين (١)

ومن ذلك اني حضرت الحزب ليلة الجمعة ، والعادة قراءة سورة الكهف في الاقطار السوسية (٢) فادركني النعاس اثناء قراءة الناس لها ، لعدم وجود الفقيه تلك الليلة ، فلما فرغ الناس من الحزب ، خرجوا لتناول العشاء ، فهنئي بعضهم . وقال لي قم لتناول عشاءك مع الطلبة . وكنت رأيت الوالدة في المنام ، فقالت ان لم تزرنني في هذه العواشر لاطمنن بصرك شهرين ، فاستيقظت فوجدت (بوتليس) (٣) في عيني وصرت اعشى في الحين ، فقادني ذلك الطالب الذي ايقظني الى العشاء من عدم ابصاري موقع قدمي الى ان انصرم شهران وسافرت الى زيارتها ، بعد مراجعات بيني وبين شيخى ، فذهب عني ما اجدته في الليلة التي سافرت فيها ، كأنما نشطت من عقال ، وانقشع سحاب ذلك الضر في الحال

وفي هذه السنة تكالب الجراد على بلاد السوس وتكاثر ، فلم يبق شجرا

(١) كان الملك مولاي الحسن يدرك هذا من السوسيين ، فحين سافر سفرتة عام ١٢٩٩ هـ وعام ١٣٠٣ هـ صار يقرب اليه العلماء ورؤساء الدين في مجلسه فما ولى قائدا الا بمشورتهم ، وهو بنفسه لم يذهب الى سوس اكملك له جنود وصوله ، وانما كامير للمسلمين وامام لهم ورئيسهم الديني ، وقد القى عنه ابهة الحجاب ، فيلقاه كل احد يريد لقاءه ليتبرك به ، فبذلك لم يبق بسوس من له رغبة في رؤيته لم يمثل أمامه ، ثم لما جاء الحاحيون والباشا حمو في أيام المولى عبدالعزيز بالقوة يرومون اخضاع الناس بها ، قامت حروب شديدة هلك فيها كثيرون ، ولم تستطع تلك الجيوش أن تمد قوتها كما تريد ، واذا كان السوسيون مضطرين لمحاربة هذه الجيوش ، فان ذلك لا يخرجهم عن طاعة السلطان ومحبة فلا يحاربون الاجور وظلم الولاة الواردين عليهم بخلاف ما ألفوا من الاخلاق الدينية ومن عدم المغارم . فبه دائما يصلون ، وباسمه يعلنون فسي أسواقهم ما يعلنون

(٢) سورة الكهف عشية كل خميس ، ويس وتبارك صباح كل جمعة ويسمون ذلك حزب الشيخ ويعنون به الشيخ ابن ناصر

(٣) المقصود العشى مقصورا ، وهو ان لا يبصر الانسان ليلا احيانا ، قال اوس : وأرى العشى في العين اكـ شـر ما يكون من العشاء

ولا حجرا ، وصارت الارض قاعا صافيا ، واقام سبع سنين ، من عام ١٣٢٠ هـ الى ١٣٢٧ هـ وهو سبب الغلاء المتقدم . ولكن صار جل معيشة اهل البلد من حيوان ادمى أو بهيمى ، والعادة المطردة عند اهل السوس ان الجراد اذا غاب عنهم غاب سبع سنين ، واذا ورد أقام سبع سنين ، وقد شاهدناه كذلك فيما حضر من زماننا بلا مزية على هذه العادة المجرية (١)

فصل

ولما قضيت الوطر وفرغت مما ذكرنا من اتقان قراءة ابى عمرو بن العلاء البصري عند هذا الشيخ ، ووقع لي ماذكرت مما رأيت مع الوالدة في المنام ، وعلمت انها حنت الى حنين البعير الى عطنه ، والمومن لا بد أيضا ان يحن الى وطنه ، ازمعت على السفر بقصد صلة الرحم الواجب ابلالها على كل مومن ولم يبق الا اطلالها ، فطلبت من الشيخ طلبا جازما ان يتفضل بالاجازة والسراج فامتنع وقال أنا لقبول طلبك غير مبيع ، فما كان غرايام حتى خرجت في بعض الليالي المقمرة هاربا ولبلادي طالبا ، فخفضت في تلك الليلة ما بين (آيت باكر) وبين (آيت صالح) آيت بلفاع ، ولم يكن لي فيها رفيق دون الذئاب والسباع لكثرتها في تلك الفيافي ، مع أني من النعال حاف ، فما أصبح الصباح الا وأنا عند المرباط الفقيه السيد ياسين الكرسيفي المتقدم ، فقصصت عليه القصة من غير زيد ولا نقص ، فقال لي ان الهروب من شيخك من غير طيب نفس يعد من اللقص فما اتممت الكلام الا وطارق يدق الباب ، ونعوذ بالله من كل طارق الا بخير . فاذا نحن بطالبيين من اصحابنا بعثهما الفقيه الى ليرداني اليه ، فتمنعت حياة مثله اول الامر ، فلم يزل بي الفقيه سيدي ياسين بن ابراهيم ، الى ان اجبت وأحببت الرجوع معهما الى شيخى ، فلما وصلته ضحك وهش وبش ، ودعا لي بخير ، واقترح على اقامة شهر . فساعدته فاجازني وسرحني بعد تمامه . فانصرفت راجعا الى بلادي ، وجعلت طريقى على (آيت بلفاع) ثم (آيت ميلك) ثم (آيت ايلوكان) والجراد يتناثر على عيني ورأسى لكثرتة ، فغطيت وجهى بعمامتى ، لئلا يصيب عيني فيؤذيني ، فلما وصلت (اسر سيف) دخلت البلد وسألت عن المرباط ابن اكرام الغازي الجرسيفي ، لكونه يريد السفر الى بلده (اكر سيف) فرغبت في مرافقته في الطريق ، فأخبرتني زوجته انه قد سافر في اول النهار ، وكان الوقت وقت العصر ، فعرضت على البيات عندهم ، لكون المسافة بعيدة . ولوجود اللصوص في جنح الليل والسباع في تلك الارض بين (اسر سيف) وبين (ايمن اوغكمي) فابيت وجازيتها خيرا ، وذهبت منزعا

(١) أقول نحن الان في سنة ١٣٨٠ هـ والجراد لا يزال يصل من اكثر من سبع سنين في الجنوب حتى لم يبق ولم يذر فانخرمت التجربة

مسرعاً ، وجيوش القوى تحسنى ، كائن طائر الجو المجفل الى اوطانه . اوالبعير
الناد الى اعطانه ، فغابت الشمس على دون ادراك الامل ، ومجل الامن والامان
وعند غروب الشمس وصلت تحت المشر المسمى (امانوز) بقبيلة (ايت ايلوكان)
بين الطريقين : طريق الى (ايمة اوغكمي) وطريق الى (امانوز) المذكور ، ولقيت
جماعة من النساء يتصاحكن ويتهادين ، فاستوقفنني فوقفت ، فقلن لي اياك
ان تتجاسر على قطع تلك المسافة بعد الغروب ، فان اللصوص كثيرون بينك وبين
العمران ، وراينا عليك حوائج لها قيمة ، فعج الى (امانوز) وبث فيه الى الصباح
ونحن من اهل البلد نقوم بضيافتك ، كما تحب ويجب ، فابيت الا المسير
والسرى ، فاذا برجل صبيح الوجه ، طويل القامة ، مرتديا لحائك سدائى
جديد (١) . فقال لي مثل ذلك . فقلت له تاليا (ان يصيبنا الا ما كتب الله لنا)
فقال لي ، ولم اكن اعلم انه من اهل العلم ، نعم ولكن بعد قوله تعالى (ولاتلقوا
بايديكم الى التهلكة واحسنوا) وقوله تعالى (خذوا حذرکم) ، ثم قال ارجع ياسيدى
الى ضيافتنا ، فاني اخاف عليك ، فقويت في روح الانبعاث ، وغلبت على بواعث
الشوق . الى الوطن والوالدة والاخوة والاخوان . لطول الغيبة ، فقال لي اذهب
الى حيث شئت وشاء الله ، فانبعثت منزعجا مثل السيارة ، لاجتماع جماع
القوة فى ذلك الابان الشبابى نشطا فرحا مرحا ، فكانما ارواح النشاط
السكرى تحدوني ، الى ان وصلت لبلد كبير يسمى (ايت واساي) باقصى (ايت
ايلوكان) فى اول غابة (ايمة اوغكمي) والعشاء واصلة ، والمؤذن يترنم بها
فوق سطح المسجد

وقرية (مانوزة) المذكورة انفا اصلها من قبيلتنا (امانوز) ولدا سميت
بها لتحولهم منها عام ١٢٤٢ هـ أيام السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام ،
وهم من بلدة (تيفراسن) ولا زالت بها آثار ديارهم الى اليوم ، وقد اطلعت على
جل رسومهم ، وقد بلغوا من الثروة والكرم والشجاعة بمتحولهم وبموضعهم
الآن ما يدل على انهم من صميم (امانوز) بحيث لا يرومهم لقوتهم ومنعتهم الا الواحد
القهار ، وقد ورد على فى بعض الليالى احد رجالهم فى المدرسة (الشوشاوية)
قاصدا ، فسألنى فانتسبت له ، فاثرت النسبة المانوزية ، فبكى حتى اخضلت
لحيته بدموعه . فقال لا اذهب راجعا الى البلد الا بك ليتشرف بمعرفتك اهل
البلد ، ويصلوا فيك واشج الرحم ، فقلت له انى مشغول بالقراءة الان وليس
الوقت ابان العواشر ، ولا عذر الاستراحة ، واخاف معاينة صاحب المدرسة .
فتواعدنا زمن العواشر ، فذهب بالبكاء والنحيب ، ولما وصلت فى هذه السفرة
الى تلك البلدة فى ذلك الوقت ، حملنى على عدم التعرّيج عليهم مذكرته لك
من كثرة بواعث الشوق للوطن ، والانسان مجبور فى قالب المختار ، ويابى الله
الا ما اراد . ولما وصلت (ايت واساي) الموما اليها ، وكانت البلدة مكتنفة

(١) هذا هو لباس الطلبة والعلماء والرؤساء واصحاب الوقار اذذاك

بغابات اكنارى (التين الشوكي) الى الهندية ، سرت فى ازقتها نصف ساعة
وانا لم اسمع من البلد كلبا يبح ، ولا بهيمة ترغو او تمر ولا حيوانا فيه روح
الكثرة الجوع ، وغلبته على جميع الاقطار ، فدخلت فى الوقت الذى ذكرته انفا
فوجدت جماعة من رجال البلدة ما ينيف على الستين حول حائط باب البلد
فسلطت عليهم ، فلم يرد على الا واحد منهم اسمه محمد بن عبدالله ، وهو
مستبد عنهم قليلا ، فأشار الى بالجلوس ازاءه فامتثلت ، فقلت له انى على امر
وضوء ، فقال لي اذهب الى الغدير ، لغدير امامه تسقى منه الدواب ، فذهبت
فوجدت به ماء آسنا متكدرا . ولكن للضرورة توضأت به ، فصليت العشاءين
هناك ، ورجعت الى الرجل ، فقلت له أين الجامع ؟ فقال ان الجامع خال من
امام ومؤذن لغلبة القحط ، اجلس معى لنذهب الى دارنا ، فجلست نصف ساعة
والناس ساكتون ، وفى ايديهم اورادهم يذكرون ربهم (١) وكانهم فى حالة
ذهول ، فسألنى بعض اكابرهم ، فانتسبت له . فقال لي قم معى الى الضيافة
فقال له محمد بن عبد الله سبقتك اليه ، فجزاه خيرا ، وانصرف الناس الى
مرادهم ، وذهبت مع الرجل ، فدخلت داره ، فسمعت سهيل الفرس من حوشه
وعلمت انه من اهل الثروة . فشكرت الله ، وذهب الى مصرية فى حوشه
(المصرية الغرفة الفوقية ، والحوش بالفتح حظيرة المنزل للماشية والبهاشم)
كبيرة بحيث ارى داره قبلا منى ، وقدم الى خبز كانون غليظ (اضيف للكانون
لا ينضج على جوانبه الداخلية) على عاداتهم مع السمن والعسل بكثرة ، وادار
هل من كنوس الاتاى ما ينسبنى الغربية ، ثم تحدث معى هنيهة من الليل فذكر
اللههم بامر الاولاد ، وكان له زوجتان (٢) ولم يجىء منهما شيء ، فاستمطر
منى الدعاء ، فدعوت له ان يرزق الله له اولادا ، وأن لا يغيب له رجاء ، وذكر
الله بحول بالعرائش والقصر وطنجة ونواحي المغرب الى غير ذلك ولما كان آخر
الليل ، توضأنا وصلينا فريضة الصبح ، وهو متنفس ، فتهيات للسفر .
ومعنى بشوق عجيب . ودلنى على طرق تلك الغابات الهرجانية ، فتودعنا
ولما توغلت الغابة سمعت زئير بعض السباع ، فقرأت ما علمنى الله من ذكر
الحافلات ، وتوكلت عليه ذاهبا نشطا الى ان وصلت الى بلد (ايمة اوغكمي)
والشمس مشرقة على وجه الارض ، فكانما زويتلى الارض ، وطويت تلك الشقة
بالمنطقة ، ودخلت البلد قاصدا الجامع . فوجدت الامام فى بعض بيوته يفطر
بالهنا (نوع من الحريرة ابسط تحضيرها منها) والتين على عاداتهم مع بعض

(١) هذه حقيقة حال ذلك الجيل ، لا يكاد الانسان يبلغ ويتزوج حتى يتلقن
الامر به الناصرية - تاليا - ثم يلزم اذكاره وصلواته ، ولا يشذ عن هذه الحالة
الا قلائد جدا ، وتارك الصلاة ينعدم منهم الاتحله للقسيم

(٢) نفل جدا جدا من تكون له اكثر من زوجة فى جزولة وقلما تجد فى القبيلة الا
واحدا او اثنين من الانبياء الذين لا اولاد لهم مع الاولى ، وكذلك الطلاق يقل
عندنا حتى لا تكاد تسمعه الاذالك

كبار البلد ، فسألتها عن صاحبى المرباط السيد ابراهيم بن اكرام الكرسيفى الاسريفى ، فلم يريا له خبرا ، وما عرضا على ان افطر معهما ، فعجبت من بخلهما . ورجعت مسرعا خارجا من البلد ، الى حال سبيل ، لانه كانت بين هذا البلد وبين مانوزة اذحال (١) ومظالم خفت من غائلتها ، وذلك ان رفقة كبيرة مقدار ثمانين بعيرا من السلعة من ايت (ايمى اوغكمى) فى حدود التسعين ايام السلطان مولاي الحسن ، قد تعرضت لها قبيلة (مانوزة) فى (اكرسيف) فأخذوهم وأكلوا متاعهم ، وباعوا غيرهم ، وقد تقوم جميع ذلك بمال له بال من طرف أصحابه المفضولين ، وقدروا وزنه بحجر كبير الجسم ، فأخذوا هذا الحجر ، ووضعوه فى محل مأمون . يترصدون فيه من يمر من المانوزيين فى جميع الاحيان ، ولما خرجت من البلد الى خارجه ، أخذتني بعض الطرق الذهبية الى جبال (ايساكن) و (تودمة) وأخطأت الطريق ، فاذا برجل كبير أشيب طويل القامة ، يرمى بقرا وغنما ، تعرض لى وقال : الى اين ايها الشريف الصغير الطالب ، ومن اين انتم ؟ فهمت بالانكار ، فقال لعلك من ناحية كذا ، ومن بنى فلان منهم . فانى رأيت فى ملامح وجهك اكثر نعوتهم ، وتفرست فى نعوتك وأوصافك مايدل على انك من صميم قبيلة (امانوز) فقلت له الامر ما وصفت ياسيدى ، فقال لى ارجع الى الطريق الايمن ، واسلك ذلك الوادى ولا تخبر احدا ممن لقيك بنسبك ، وانج بنفسك . فان كانت لك رغبة فى ضيافة الله ثلاثا او اقل او اكثر ، فاذهب معنا فى أمن وأمان ، فاننا من مرابطى قبيلتكم (تادارت) الكرسيفيين ، وانتقلنا منها أوائل ايام المولى عبد الرحمان بن هشام فلا تخف منا شيئا فقلت له جزاك الله خيرا ، وتودعنا ، وشيعنى أميالا . الى ان وصلنا الى جماعة عظيمة من أخلاط النساء . واكثرهن ابكار ، ذاهبات الى تلك الجبال للاحتطاب ، وفى ايديهن حبال على عادة البلاد ، وعند كل واحدة منهن خبز الملة (٢) والبيض والطين واللوز المقل للافطار بذلك على الجبل ، على العادة فى التكبير للاحتطاب ، فأوصاهن الرجل على مرافقتى وارشادى فى تلك المسالك المجهولة ، ورجع هو الى رعيه ، واولئك الابكار العرب الاتراب يتصاحكن ويتدافعن بينهن ، وربما يملن على بتقبيل التبرك ، والكلام الهين اللين والعطف وأنا فى كل ذلك لأرد عليهن ، ولا أنبس ببنت شفة ، لشدة حيائى منهن ، ولما وصلنا شفا الجبل المثل على البلد . وأردنا المفارقة فيه ، وفيه نظيفة ماء ودعنى بعدما قبلت كل واحدة منهن يدى ورأسى ، وفيهن من استعبرت بالدموع (٣) وبعد ان ناولتنى كل واحدة منهن قسطا مما عندها من البيض واللوز والطين

(١) جمع ذحل ، كذحول ، الشار

(٢) الملة بفتح الملة واللام المشددة الرماد المحمى او الجمر ، وخبز الملة هو الذى ينضج على ذلك . ويصنع كثيرا للرعاء وأمثالهم

(٣) ما أشبه هذا الموقف بمواقف عمر بن ابي ربيعة . الا ان عمر صرح وصاحبنا لوح

والخبر ، وحلفن على ان اخذه فاحلن عليه الكفاية وتركته جله ، وانطلقت صاعدا للجبل ، والنساء يزغردن على فرحها والانساء ، الى ان وصلت بلد (ايت موسى اوباكو) ومنها ساقية (انكارف) وفيه مدرسة علمية مكتنفة بالشجار ، وحولها اودية وعيون جارية ، وانواع الخضر ، من لفت وجزر وذرة وكرنب وبصل وحناء وفواكه كثيرة وتمر ورمان واجاص وتفاح وتين وغابات من هرجان وغير ذلك من انواع الخيرات ، وأهل تلك الجبال من أجواد الناس واحبهم للقريب والضيف اكرهم تعظيما للدين والعلم وأهله واكثر أمانا وأمانا ، ولذلك كان العلماء فى بلادهم اكثر نفوذا ، ثم انطلقت من (انكارف) الى (البن) ولما وصلته تلقانى اناس من أهله منهم المولى الصالح السيد محمد بن عبد الله الكرسيفى اصلا الابنى وطنا ، فى أبناء عمه المرباطين ، وعرضوا على الإقامة للضيافة والاستراحة ثلاثا ، بعد ان تساءلنا وانتسبت لهم ، وفرحوا ، وأتوا بطعام مستعجل . وخبر البر ما كان عاجلا . فتناولت منه الكفاية ، فانزعجت للسفر بعد اقسامهم على الإقامة ثلاثا ، فشيعونى أميالا . وهم يتذكرون معى فى تاريخ انتقالهم من (اكرسيف مانوزة) فاستقر أمرهم على حدود الثلاثين اواخر دولة السلطان الصالح المولى سليمان بن محمد بن عبد الله العلوى ، وهم أيضا من (تادارت) هجر كل كرسيفى ، ثم انطلقت خائضا تلك الجبال بقلب ثابت ولسان حال شديد قول بعضهم

قطعنا فى مسافته عسقا با فما بعد العقاب سوى النعيم

الى ان وصلت الى سوق جامع (البن) فى واد غير ذى زرع ، فدخلت بين أهله ، وهم ينتظرون الى كالعجبين بى لغرابة رونقى ، وصفاء لون وجهى ونعومة (١) بدنى بخلافهم ، مع ماأنا عليه من أفر الشياب التى أدتهم الى ذلك واستوقفت ابصارهم ، فاذا بفقير اخذ بيدى وصافحنى ، وانطلق بى الى خارج السوق ، فقال لى انى رايت عليكم سيما القبيلة الفلانية ، يعنى المانوزية ، فاعلمك من أبناء فلان ، فقلت اصلحك الله لعل الامر كما ذكرت ، فقال اجلس هنا ، فان مثلك على هذه الهمة لايدخل بين هؤلاء الناس لئلا يصيبك منهم اذى عين ، او جريرة قومك ، فذهب فاتى بطشت من ماء وبلح جيد ، فقال لعلك استهى هذا لكونه ليس فى بلد هشتوكة ، فقلت نعم . فسألت عن اسمه فاذا هو طالب من (شمس ايت سمايون) التمل اسمه السيد محمد بن عمر ، فترتب بالمشاركة فى جبال صوابة ، فاتى بخبز ولحم من السوق ، وتقدينا بين الدفل والائل والنخل ، على بساط من الربيع الاخضر . فى شاطئ الوادى . والبلح يتساقط علينا والنسيم يزورنا (فيتركنا سكرى وما بيننا خمر) فلما دنا وقت

(١) الا ينسين القارى ان المترجم هو الان فى السابعة عشرة من عمره ، وانه فى سن البلوغ

العصر ابتدأت السفر ، فقال لي تريت قليلا ، فان الموضع الذي تبئت فيه قريب وقد أوصيتهم بالوقوف معك ، وهو مدرسة (تأهالت) عند الفقيه العلامة السيد أحمد أبو الرهوات من فجة (تأهالت) خليفة الفقيه المدرس فيها السيد محمد ابن عبد الله أقاريف الصوابي لكونه غائبا ، فأقمت الى ان أدينا العصر وشيئنا وطلعت الجبل الى المدرسة ، وهي مبنية على شفا ربوة ذات قرار ومعين ، تحيط بها المياه في الاودية ، والسواقي والنخل والاعناب والزيتون من كل جهة . فدخلتها وتلقاني أهلها بالترحيب ، وخصوصا الفقيه الموصى علي ، فصلينا العشاءين ، وقرأنا الحزب ، ودخلنا لمحل ضيافة الفقيه وهي المصرية الكبيرة فتعشينا بأنواع الأطعمة والفواكه المدخرة (١) وشربنا الاتاي ، وتذاكرنا بأنواع المذاكرات ، الى ان مضت هنيئة من الليل ، فأخذنا مضاجعنا ، فلما كان آخر الليل قام الطلبة على عادتهم للقراءة وأنواع المذاكرات وسرد المحفوظات الى أن حان الفجر (٢) وبعد ادائه وسرد الحزب الصبحي انفض الجميع كل الى بيته على عادة أهل المدارس للافطار بما تيسر ، والغالب ان يكون ذلك شراب الحريرة (اي الحساء) لان خادم المدرسة تهيئه لهم ، فما فرغنا من الافطار به وبالخبز والسمن والعسل ، وبما وجد في المائدة من أنواع الفواكه المدخرة ، وشرب الاتاي ، وقدم الغداء ، وهو عندهم في ذلك الوقت الكسكس مع الخضر واللحم وأردنا الوداع ، اجتمع على الاخوان من الطلبة طالبين منى العودة اليهم للقراءة معهم ، فوعدتهم ، وكانت معي دراهم فاهديتها لهم . ودعوا لي بخير ، فخرجنا للتشيع والوداع . فاذا بصاحبي الم رابط سيدي ابراهيم بن اكرام الكرسيفي الاسرسيقي المذكور ، وهو قد سبقني بالسفر ، فسبقته في الغاية ، فحمدنا الله على الملاقاة والجمع . فترافقنا في الطريق بعد توديع أهل المدرسة ، واجتهدنا في السير الى ان وصلنا (تاهالا) بعد العصر وقبل الغروب بقليل فطلعنا الى المدرسة وهي المدرسة الخضراء اي مدرسة (بيرغن) فرحب بنا مدرستها وهو الفقيه شيخنا ومفيدنا ومربيها العلامة الصوفي الشريف السيد علي بن أحمد الاسكاري الامزالي قبيلة ، الهيلاني الوادري ، وذلك ليلة السبت مهل قعدة عام ١٣٢٢ هـ الموافق لـ ١٥ يناير (يعني الفلاحى الذى يتاخر عن التاريخ الفرنجى دائما بـ ١٣ يوما) فبتنا عنده احسن مبيت ، وزودنا بمواعظ وحكم تدبوا لها القلوب . وتقشعر منها الجلود . فلما تغدنا استمطرنا منه سحائب الادعية ، ووعدنا بالرجوع للاخذ عنه . ففرح ودعالي بخير وذهبت لسوق الاحد في موضعه الان المؤسس فيه منذ أيام السلطان ابي الفداء المولى اسماعيل بن الشريف عام ١٠٨٢ هـ وقد اضمحل لكثرة الفتن بين جزولة

(١) الفواكه المدخرة بايت صواب هي اللوز والتين والزبيب

(٢) هذه حقائق يتعجب منها من ينامون صباحا اليوم ومن يزورون تارودانت التى لا يزال طلبتها يحافظون على هذا التذكير لمراجعة الدروس

(تاكوزولت) وحوا (تاهوكات) (١) الزمان المولى عبدالرحمن عام ١٣٤٠ هـ الى أيام السلطان المولى الحسن عام ١٣٩٢ هـ فامر بممارته واحترامه العلامة الصوفي المولى الصالح السيد عبد الله بن ابراهيم الادازنى الوادري الهشتوكسى . حين اقامته بمدرسة (تاهالا) مشربا فيها ، واستمرالى الان ، وادارت عليه الحماية الفرنسية سوريا محيطا عام ١٣٥٥ هـ بعد الاحتلال بثلاث سنين ، وبئت فيه دار للمراقبة

في هذه المرة ، دخلت (تاهالا) لأول مرة معانها جارتنا لكثرة الفتن . ولانهم منعونا من دخول بلادهم لسبب . وهو أنه لما كانت سنة ١٣٠٣ هـ توسط أهل (تاهالا) للهادهة بيننا وبين اصدقائهم (ابناء واعبلا) ايت ابراهيم بن داود . فجعلوا بيننا الخطيئة المسماة عندهم بالانصاف ، وقدره قنطار من المال الفضي لمن خان أو غدر آخر ، فلما كانت سنة ١٣٠٦ نقضه أبناء عمى أهل (تاهالا) لوجب معلوم ، فدخلوا (تالكانونت) وفعلوا بها ما تقدم من الحوادث في بدايتي فجاء أهل (تاهالا) لاقتضاء المال المذكور ، فطردهم اعمامى فمنعونا من سوقهم فقط دون قبيلتهم ، فانقطعنا عن الجميع من عام ١٣٠٦ هـ الى عام ١٣٢٣ هـ فلى كل سنة يأتون ويطردهم ، على أن مواشينا وبهائمنا وعبيدنا يخرجون للرعى وانتجاع الربيع وغير ذلك في سطح (تاهالا) فلم يقدروا على التعرض لها بسوء . كما تفعله القبائل فيما بينهم من اسر واستلاب من ترتبت عليه الخطيئة الى الانصاف (يعنى العقوبة) لانهم خافوا من سطوة اعمامنا خصوصا ، وسطوة «انوزة عموما ، الى ان كانت سنة ١٣٢٣ هـ المذكورة ، توسط الرئيس العليل الشيخ الفقيه (٢) السيد الحاج ابراهيم بن أحمد من بنى الطلب من هوى الدياني (اكنى اديان) الايفشاني ، لما له من نفوذ عظيم في قبيلة (تاهالا) لاله تاهكاني العصبية ، فأسقط ذلك المال مجانا ، تخوفا من عواقبه وشر غوائله ولما له من المحبة المتينة ، والرغبة الاكيدة في اعمامى اكثر من قبيلة (تاهالا)

رجوع

والا تسوقت الاحد واجتمعت فيه باخوانى وأعمامى ، وأبناء بلادى ، اجتمعوا على مغتربين فرحين مسرورين ، وآتوا بأنواع المأكلات الى ظلال الهرجان (اركان) ، فاكلنا وشربنا ، والناس يتواردون علينا فيتسألون من انا حتى عرفنى اكثر من لم يعرفنى من (تاهالا) وايفشان واداسمالل وايت صواب

(١) هناك نجلتان اتقسم عليهما سوس ، وهما تاهوكات وتاكوزولت ، اي حوا وبنو جزولة (وقد ذكرنا ذلك قبل)
(٢) ذكرنا فيما تقدم أنه ليس بفقيه ، وانما حفظ القرآن فقط ، وحافظ القرآن وحده لا يسمى فقيها في سوس

وأمن وتأفراوت وغير ذلك ، إذا الناس في ذلك الوقت يتشوفون للمرشحين للعلم كثيرا ، لاسيما من تغرب لطلبه ، فلما صلينا العصر في السوق شخصنا الى البلد طالعين لرؤى سطح الشمس (عرب الكاتب بذلك كلمتى ازور وانامر الشملحيتين) ، فلما وصلنا الى الركن (تعريب تغممرت) تلقانا الناس ذكورا واناثا ومن جملتهم الوالدة المقدسة والاخوات واهل البلد اکتعون ، فلم يبق الا من لم يستطع الخروج لعله او صغر ، فجلسنا مع الناس على صلد ابي النجم (تعريب ازور نينجم) الى ان صلينا المغرب هناك مع جماعة من مشايخ البلد بامامة عمى الفقيه المقدس الربانى السيد ابي القاسم بن علي بن احمد ، ثم انطلقنا لدخول البلد في ليلة مقمرة ، صارت كأنها غرة في جبهة الدهر ، فاقمت في البلد مقدار ثلاثة اشهر ، فلما استرحمت وقضيت ماوجب من ابلال الارحام ولم يتبها لى القرار ، دون تعلم ما وجب على من احكام الحلال والحرام

في مدرسة تاهالا

ولذلك تسوقت سوق الاحد بقصد التعلم في المدرسة المتقدمة لدى شيخنا المتقدم الذكر ، فاجتمعت ببعض اصحابنا الافاضل ، ممن يتعاطى فيها القراءة من الامائل ، وهو المرباط السيد اسماعيل بن محمد بن الحاج من بنى العالم الغازى ، فندبني للذهاب الى المدرسة للقصص المذكور ، فذهبت معه اليها ففرح الشيخ السيد علي بن احمد المتقدم بمجيئى والوفاء بالوعد المتقدم ، فابتدأت يوم الاثنين الموافق ١٥ مارس ، والناس يتهيشون لموسم الولي الصالح سيدى احمد بن موسى دفين (تازارواالت) والامطار اصبحت تلك الليلة منهلة هاطلة ، بعد ان انقطعت عن الحرث من دجنبر الى شهر مارس وسطه ، وجفت الارض وصار النبات هشيا محتفرا ، فاحيا الله البلاد ، واغاث العباد ، وقد سمى هذا العام عام الحياة لذلك ، وحصد الناس خيرا كثيرا ، ونمت المواشى ، وصلحت الثمار والاجباح (خلايا النحل) وقال لى هذا الشيخ رحمه الله : انى انشد فى حقك ما انشده الشيخ ابن ناصر الدرعى ، لما ورد عليه تلميذه الشيخ السيد الحسين الشرجبيل :

أتيت ومقصود الحيا لك تابع ومملوده فى غر وجهك لامع (١)
ثم قال اننى لسعيد بك ياسيدى محمد السعدى ، كما سعد اهل المغرب باسلافك الكرام ، بنفى رجس العدو البرتغالى عن اوطانهم ، وجمعهم شتات كلمة اهله ، ثم انشدنى بيت عبد العزيز الفشتالى كاتب المنصور الذهبى من

(١) كنت رأيت هذا البيت فى قطعة للعلامة الحاج احمد الجشتيمى لاقى بها سيدى الحاج ياسمين الوسخينى ، وكنت اظن أنه له من جملة القطعة ، فظهر الان أنه ائما ضمنه فيها

نولته التى اولها :

هم ساجونى الصبر والصبر من شاملى وهم حرموا من لذة الفطر اجفانى والبيت المقصود هو :

هم العلويون الذين وجوههم بدور اذا ما احلوكنت شهب خرصان
وقرات عليه الاجرومية ، ولامية الجرادى فى الجمل ، وارجوزة فى المنيات ولامية الافعال ، وارجوزة الزواوى قراءة تحقيق فى ظرف ستة اشهر ، لسم اسمنا الرسالة لابن ابي زيد القيروانى ، والمرشد المعين لابن عاشر ، والبردة والهزبة ، ولامية زهير ولامية الطغراني ، على عادة اهل سوس فيمن يترقى من فن صغير ، الى فن كبير ، من فنون العربية او الفقهية تدريجا ، بل والفنون الادبية . فما تمت السنة حتى افتتحنا الفية ابن مالك ، وقد فتح الله على فى ذلك فتحا مبينا ، حتى اننى ادرس فى هذه الفنون قبل ختامها ، وربما طاعت مؤلفا قبل الدخول فيه او بابا من العلم ، ففتح على باقيه ، وكثيرا ما اردت ان اطلب على الآخذين فى مشكلات العربية قبل وصولها ، فيجدون الصواب على ، ويتعجبون من ثقب ذهني ، وكثيرا ما يتلو الشيخ عندئذ (الله اعلم حيث جعل رسالاته) ويقول ماهى باول بركاتكم يا فلان ، ومن اعجب ما ابلغ ان ولد الشيخ وهو الفقيه السيد محمد - فتحا - بن علي خاض عند ابيه هو وجماعة من التلاميذ فى اعراب قول الشاعر عند قول ابن مالك فى (كنهه السلس اسمى) وهو :

فان لا يكتنها او تكنه فانه اخوها غذته امه بلبالها

فقال الشيخ على العادة فى التمرين عند اعراب الشواهد ، اخبرولى عن الله ، وعن اسمى كان مامرجع الضميرين المختلفين ، وعن ذلك المامى ، وعن غلته تخفيفا وتشديدا واهمالا او اعجابا . وعن الفرق بين اللبن واللبن بضم وبفتح اسبقتهم الى الجواب ، فقالت له القائل ابو الاسود الدؤلى قاله لعبده ، والضمير فى يكن الاول المذكور الغائب للنبيذ ، والثانى للخمير ، واخو الخمير النبيذ ، لان اصناما واحد . والذال فى غذته معجمة مخففة ، واللبن من الانعام معروف وهو مزروع الزبدة ، واللبن وهو الرضاع ماجا من البهائم وغيرها ، اوله عند الولادة ، وقيل لافرق بينهما . فضحك الشيخ على الحاضرين ، وقال لهم انكم قد اهتمتم فى قراءة العلم ازيد من عشرين سنة ، ولم يقم سيدكم هذا اقل من سنة ، فاجاب بسرعة دونكم ، فقال ولده المذكور : الا انه اخطا فى تخفيف غلته واعجابه ، فقال اجبه . فقلت له بسرعة ان العرب تقول غدا يغدو ، وغدا يغدو مثل غدا يغدو بالتشديد وغدوته مخففا فقط هنا لا غديته بالتشديد من الغدا بكسر الفين لما يتغذاه الانسان مطلقا ، لامن الغدا بالفتح وترك الاعجاب . الطعام بعينه مقابل العشاء بالفتح ، الاتسمع قول الصحابى الذى دعا ولده الى النبي

صلى الله عليه وسلم ، فقال له عليه السلام أنت ومالك لأبيك الحديث في أبياته
لوالده المذكور وهي :

غذوتك مولودا وعلتك يسافعا
تعل بما اسدى اليك وتنهل
ولانك لو شددت الدال لاختل الوزن ، فقال الشيخ وعروضي أيضا ،
ورجع باللائمة على والده وقال له سكت الفا ونطقت خلفا (١) ، ثم قال لمرحمه
الله قضيتك مع المانوزي كقضية يحيى بن اكرم مع الغبي التي اوردها الدميري
في (حياة الحيوان) وهي مشهورة لما انشد يحيى بن اكرم في حقه :

عجبت لازراء الغبي بنفسه وصمت الذي قد كان بالقول اعلما
ففي الصمت ستر للغبي وانما صحيفة لب المرء ان يتكلما

فلهذا كانت العداوة والمنافرة الشديدة بيني وبين هذا الولد المذكور ،
وادت الى احقاد كثيرة ، واذايات اثيرة ، لودونت لجأت في مجلد ضخيم ، ولكن
عاقبتها النصر عليه هو وشيعته ، لان العاقبة للمتقين ، لانه لم تمض ثلاث
سنين حتى صرت مدرسا خليفة لابي ، وهو يحضر دروسي ، رغما على انفه ،
بعدهما تصدر وتصدى للتدريس بحضرة والده ، فصرت من أشياخه بعد ان عدت
لصغري من صغار افراخه ، وبعد ان منعتني من مطالعة كتب خزانة والده دون
الناس ، زمتا طويلا ، حين قيل له انه يحفظ في المطالعة منها كل ما مررت عليه
عينه من نظم ونثر ، وكنت مرة استعرت من الشيخ (العقد الفريد) و (نفع
الطيب) و (مروج الذهب) و (حياة الحيوان) وغيرهما من كتب التاريخ والادب (٢)
واشتغلت بمطالعتها خفية ، خيفة ان يطلع احد فيخبره ، فما كدت اقضى غرضي
منها ، حتى علم بالامر ، فبعث اليها واستردها مني ، الى غير ذلك . ومن
اعجب ما اتفق ان الشيخ استدعاني وايام بعض الايام ، فقال له يا ولدي ان جميع
التلاميذ الذين في المدرسة ، لا يجي منهم نفع ولا ضر ، غير سيدي محمد بن احمد
المانوزي ، فانه ينفعك في حياتي ، وبعد مماتي ، وياك ان تلج في عداوته
وهما صارته . فكان الامر كذلك . فانه لما توفي الشيخ رحمه الله عام ١٣٣٢ هـ
واجهت القبيلة على تنحية والده هذا عن المدرسة ، ونفيه عنها ، معتلين بانه
لا يحسن صناعة القضاء ، فتقدمت اليهم باجلاله واقراءه وواعدتهم بالاخذ
بيده في جميع ما يتعلق به القبيلة من سياستها وقضائها ، فسكتوا واستكانوا
ثلاث سنين ، ثم اجتمع امرهم على توليتي امر المدرسة ، مشاركا له فرفض
امرهم فقال لهم اني وجدت الوالد المرحوم مستبدا بها ، وانى على اثاره مقتد

(١) مثل . وخلفا بفتح الخاء

(٢) كان المترجم رحمه الله زار الخ في ميادله فرأى تلاميذ مدرستها يشتغلون
بهذه الكتب ، فاقبل عليها ، وأما شيخه هذا فالغريب ان يملك هذه الكتب
فضلا عن ان يشتغل بها هو ومن اليه . كما يقوله من اطلعوه اذذاك

فاخرجوه عنها ، لما كنت غائبا في (تكملة) أيام لتدريسي بها ، والله الملمهم
للمصواب واليه المتاب

وكان الفقيه السيد علي بن احمد المذكور من مهرة النحو والعربية والتصريف
والحساب والفرائض والفقه والحديث والتفسير والبيان والمنطق وعلوم القوم (١)
مستحضرا لهاله في الكل ، بعيدا عن الرياء والسمعة ، مومنا تقيا نقيًا ، مخلصا
ناصحا للامة ، شديد الشكيمة على اهل البدع والاهواء ، لا يخالطهم ولا يكلمهم
وقفا عند ما حد الشارع صلى الله عليه وسلم ، سنيا ماهرا في السير ، والعلوم
التاريخية ، وأيام العرب . وكان محبا للعلم وأهله ، وأهل البيت ، مكرما
لهم بكل ما لديه . مقتصدا في أموره كلها ، متوسطا زوارا للعلماء معتقدا لهم
وكان بعدما تخرجت في الكليات عليه وعلى الاشياخ الآتين وفرغت من التحصيل
يعتقد في الخير كله ، ويجلني كثيرا ، ويرجع الى في كثير من المسائل ، ويقول
للناس بهلا وبهراى منى ومسمع . لو كانت في الزمان الصالح بقية لاهل
الرئاسة والسياسة والصرامة والنجابة ، لحمل هذا على صهوة أسلافه الكرام ،
وركب مطيتهم يعني الملك (٢) وكان رحمه الله صحيح الفراسة صحيح الاعتقاد
بعيد الانتقاد ، قائما بالله ، صائما بالنهار في غالب دهره ، وله مع علماء عصره
مناقشات . يطول بنا ذكرها ، كما يطول بنا استقصاء مآثره ومناقبه ، توفي
رحمه الله عام ١٣٣٢ هـ ببلده (اسكار) ودفن فيه ، وقد زرت قبره مرارا ،
وختمت عليه ختمات قرآنية ، مع تلاميذي وغيرهم ، وفرقت عليه ما ليس
بعدهما ذبحت ازاءه للفقراء والطلبة الدبائح ، وواسيت اولاده وزوجته من بعده
كما قال رحمه الله لولده المذكور (٣)

ذكر المتون التي أخذتها عنه واجازني بها في ظرف اربع سنين

أخذت عنه رحمه الله زيادة على ما تقدم من المتون النحوية والفقهية
أرجوزة المفتح للمرغيتي ، وأرجوزة ابن سليمان الرسموكي في الحساب
والفرائض ، والشيخ خليلا الى الجزء الثالث منه ، وتحفة ابن عاصم ، ولامية
الزقاق . ولامية ابن الوردى ، والبخارى في شعبان ورمضان ، والتفسير ختمة
واحدة بالجلالين ، وسردت عليه من الادب مقامات الحريري ، ونفع الطيب

(١) قال العارفون لسيدى علي أنه فقيه وسط في العربية وله المام بالبخارى
ويبرر على التفسير ، ولم يذكروا عنه علم البيان ولا المنطق ، هكذا يقولون ، غير
ان تلميذه هذا أعرف به

(٢) قف هنا أيها المطالع واحسن نيتك ، وربما كانت الاريحة هي التي غلبت
على الكاتب حتى ذكر ما ذكر . ولا تقل المثل المعلوم (دون هذا وينفق ...)

(٣) توجد ترجمته لسيدى علي الاسكارى في (القسم الثالث)

والعقد الفريد ، وابن الأثير ، وابن خلكان ، وطبقات الشافعية ، وكتاب العبر لابن خلدون ومقدمته ، والكلاعي ، وحياة الحيوان ، والمستطرف ، والسيرة الخلبية ، ودالية اليوسى ، وديوانه ، وديوان البحترى ، وديوان ابن سهل وغير ذلك من الأدبيات ، وكنت لا افتقر عن المطالعة ليلا ونهارا (١) ساردا على الشيخ المذكور ، وذاكرا مناقشا ، كثير المقارعة والمنافسة مع أبطال الفنون في المدرسة وغيرها

وعدد طلبة المدرسة في ذلك الوقت يناهز الستين من طلبة العلم وعشرة من طلبة القراءات ، والاستاذ المقرئ المحقق الصوفي السيد محمد الاعين نسبة الى آيت أعين بساقية (توشكا) بجبال صوابية ، ترتب فيه ما ينيف عن ثلاثين سنة الى وفاة الشيخ ، فارتحل الى (أسكار) وتوفي فيه في حدود الأربعين

ذكر من يأتيني بالزاد من دارنا

كانت المتون الكافية ترد على كل يوم من سوق الاحد ، من قبل اهل دارنا من دقيق وفول وعدس وسمن وعسل وزيت وسكر وأتاي وتمر ودراهم ، تارة على أيدي أصحاب الجمال والبغال والحمير ، وتارة على يد عمنا المقدسة فاطمة بنت علي بن أحمد ، اذ مازالت حية وهي غنية محبة في جانبى غاية المحبة ، وكانت لا تستطيع مفارقتى شهرا كاملا ، ولما لقحت الجدرى في (تاهالا) وقد فشا فيها دون (منوزة) تفرغت لمقابلتى في المدرسة ، بأنواع المشاكل والمشارب والغسل ، الى ان ابلت من ذلك الداء العضال بلا مشقة ولا سوء

والحمد لله ، وقد مات به كثير من الناس تلك السنة وهي سنة ١٣٢٤ هـ وكانت رحمة الله عليها كثيرا ماتت ، وفي معيتها فاطمة بنت ابراهيم من (فم تامالالت) الصوابية والدة الحاج عبد الله بن بلقاسم بن عبد الله من بنى سعيد من (اوالا) وفاطمة بنت علي من اهل اداى التافراوتية ، زوج عبد الله بن بالوش وغيرهن ممن ترسلهن والدتى المقدسة رحم الله الجميع بمنه وكرمه

(١) أما كون المترجم يكتب على المطالعة في كتب الادب فيما لا يرتاب فيه ، فقد دل بمحاضراته ومذاكراته على ذلك ، وأما كون وجود مثل كتاب الكلاعي المخطوط النادر ، وديوان ابن سهل وديوان البحترى اذذاك في خزانة ذلك الفقيه فاننا نحسن الظن بالمترجم فنسكت وربما يوجد اذذاك ما يكون فى حسباننا أنه غير موجود ، والدهر أبو العجائب ، ونحن لانعرف سيدي عليا الاستكاري ، الا ان عارفه يقولون أنه لا يخوض في هذه الفنون خارج الفقه والنحو والمتداول من المتون

نبذة من تاريخ هذه المدرسة

كانت اوائل هذه المدرسة فيها رايت في بعض الرسوم القديمة في اول القرن العاشر ، بناها سكان قبيلة اعل (تاهالا) مسجدا ومشهدا لاولياء هذا المجل يستودون (ايت يريغن) وكان بعضهم يدرس فيها حياته الى ان توفي ودفن فيها ، وخلفه في امرها اخوته الى ان انقرضوا في ولاء عام ١٠٠٨ هـ أيام المولى احمد المنصور السعدي فدفنوا جميعا عن مغرب المدرسة (١) وقد بنى عليهم سور محيط بهم الى الان ، وكانت هذه المدرسة مشحونة بالمقابر القديمة قبل بنائها ، ويقال ، كما تلقيناه من اشيائنا وغيرهم ، ان (ايت يريغن) من لكوسة (التي ينسب أهلها الى البكرين ، وهم من المانوزيين) ومنهم الشيخ العالم المولى السيد ابراهيم (٢) بن عمرو الزدوتي ، انتقل من هنا الى هناك وبنى فيه مدرسته التي هي فيها الان ضريحه تقمده الله برحمته

وكما أسس أهل اعل (تاهالا) هذا المسجد المسمى مدرسة مسجد يريغن فقد أسس أهل جوف (تاهالا) مدرستهم أيضا فوق المرفقة (تعريب كلمة تيفمرت) بين الطريقين على كدية مشرفة على تلك الجبال والودية ، في منظر بهيج وقد رايت تاريخ بنائها في بعض احجارها عن يسار الداخل فوق الدكان (يعني المصطبة) الذي يجلس عليه المدرسون للتدريس ، ويرجع تاريخ بنائه (بباض بالاصل)

ولازالت هذه المدرسة قائمة العين والاثار والبيوت ، ولها اجناس واراض واشجار ، غير ان العلماء القائمين بها انقرضوا ، وبانقراضهم انقرضت العلوم هناك (ان الله لا ينتزع العلم من الصدور انتزاعا ، ولكن ينتزعه بقبض العلماء) او كما قال عليه السلام ، وما زالت فروعهم في البلدين المرفقة (تيفمرت) وبلدة (تيركلت) وهم ينتسبون الى الشرف من الادارسة ، واخوانهم بالصحر الكبرى بين سوس والسودان ، يقال لهم (تاهالا) الى الان (٣) وكانت بين هاتين القريتين فتن عظيمة الى ان أدت بهم الى ايقاع فرقة منهم باخوانهم ، وقتلواهم عن آخرهم واخذوا أموالهم في سنة ١٢٩٤ هـ ولا زالت مدرستهم هذه عليها مهابة عظيمة واثار علمية

(١) اي غربيها

(٢) هو والد سيدي محمد - فتحنا - بن ابراهيم بن عمرو الشيخ التاماناري الشهير النسبة الى أبي بكر ، وقبر ابراهيم مشهود مشهور الى الان في قبيلة ادوزدوت ، وسيدكم هؤلاء التاماناريون في (القسم الثالث) ان شاء الله (٣) من هؤلاء الفقيه العظم المشهور الذي ذكره الجشتي

في شهر ذي القعدة من عام ١٣٢٦ هـ ، طلبت بالاحاج من الشيخ المتقدم ذكره الرحلة الى مدرسة (ادا ومحمد) بهشتوكة ، فساعدني بعد التي والنتيا بعدما اجازني كما تقدم ، وزودني بالدعاء بالفتح المبين

وسبب شد الرحلة الى (ادا ومحمد) هوانتي لما كنت صغيرا في سن العاشرة ، ورد على الوالد المقدس رحمه الله الفقيه العلامة المحقق المراتب السيد احمد بن عبد الرحمان نيت افرا الغازي الكرسي في ضيفا عندنا ، وكان من اهل الحظوة والصالح ، فلما قدم الينا طعام العشاء جعل يسألني عن لوحى وسورتي ، ومبلغى من الاحزاب ، فقلت له بلغت حزب (قال الملا) وقد اخرجت الختمة الاولى ، وحفظت القرآن حفظا جيدا ، فتعجب منى ومن جوابي ، وكان قد تخرج على شيخنا شيخ الجماعة اوعابو رضى الله عنه ، واجازه اجازة عامة عام ١٣١٣ هـ فقال للوالد ياسيدي احمد اذا اردت ان ينجح هذا الولد النجيب ان شاء الله ويكون كما اردت ، وفوق ما اردت ، فابعث به بعدما يقضى وطره من القراءات الى اوعابو (بادا ومحمد) ، فانه منبع العلوم اليوم بسوسنا ، مع البركة القاهرة ، وقال له : انى اقامت عنده اربع سنين ، فما فتح لي عند غيره ما فتح لي عنده . من تهمري فسي الفنون ، وانتهى فيها ما ينيف على كذا - وذكر عددا - فقال له الوالد رحمه الله ، نعم ابعث به اليها ان كنا في قيد الحياة ان شاء الله ، وانا على تلك النية ، فوفر كلام الرجل ووصيته في قلبى وتعلق به مرتسما فيه كالتنقش في الحجر ، الى ان كان جميع مذكرته من التنقلات القرآنية والمبادئ العلمية ، بعد وفاة الوالد فسي السنة المذكورة فيما تقدم ، ووفاة هذا الفقيه الصالح الموصى عام ١٣١٥ هـ بمرض الجدرى بجامع (تارسواط) رحمه الله ، ولم يعقب ، وهو من اشياخى في نافع ايضا فحسنى حادى التفكير ، وحدانى روح قوة الفكر ، الى الارتحال الى (ادا ومحمد) لدى شيخنا الشيخ ابن عبو المذكور ، فارتحلت في التاريخ المذكور وفي صحبتى الفقيه البركة النبيه السيد الحاج المحفوظ بن احمد اهمادى الحضيكي التارسواطى المانوزى ، وبعض تلامذتى في جماعة . منهم ابن خالتي الفقيه المراتب السيد محمد بن المحفوظ الحضيكي ايضا ، وخرجنا من موضعنا (آوالا) ضحوة السبت فبتنا بوادى سمالة ، بموضع تلعة (تالات) عند بعض المعاريف وفي الغد ارتحلنا وتغدينا بمدرسة (تازموت) عند بعض طلبة العلم ، وفيها الفقيه المدرس السيد محمد العجلى السملالى كودرار ، به يدعى ، لانه نشأ بجبل درن ايام قراءته القرآن فعرف به ، وذهبنا من عنده الى ان وصلنا سوق (اداي) وهو الاثنين ، فاجتمعنا فيه بمدرس مدرسة (تيزكين) وهو العالم العلامة الحافظ الحجة صاحبنا ومحبتنا في ذات الله السيد محمد ابن الفقيه

عبد الملك (١) الاخصاصى ، فلدينا للقراط غلده ، فاعتللتنا بان ليلتنا (اداو محمد) فقال لنا (لماضوا حيث لومرون) واخذ على العهد ان يمضى معى بعد التقلية من مدرسته هذه الى الناس ، ثم الى مصر والحرمين والشام ، فلما انقضت لسه سنتان فيها ، سافر اليها ، وعرج على ، وعرض على ما تعاهدنا عليه . فلم يساعدنى شيخى ومنعنى منعاً كلياً . فذهب منصرفا الى ما ذكرنا

وكان هذا الفقيه تضرب به الامثال في سرعة الحفظ ، وقد حفظ الموضح لابن هشام في عشرة ايام العواشر وابن عاشر وتاليف الفرائض والحساب والسلم (٢) في مثل ذلك ايضا ، وهو في كل فن رئيس ، وقد اخذ عن جماعة من فحول سوس (٣) يطول حصرهم ، وكان رحالة وهو من اوعية العلم التسي او كاعليها ثم اقام عندي ثلاثا بالمدرسة المحمدية (نسبة الى اداو محمد) وسافر اصدا مراکش ، فلم ترقه الاقامة بها ، وذهب الى فاس ، فاخذ عن شيوخها واستصفى وطابهم . ولم ادر مدة اقامته بها . ثم سافر الى تونس . فاخذ عن علماء الزيتونة ، ثم الى مصر ، بعدما تجول في انحاء طرابلس والقروان وبلاذ افرقية ، اخذا ممن صلح للاخذ عنه . واقام بمصر مدة مديدة ، وتصدر التدريس بها ، وكان اهل مصر يسمونه الشيخ المقرئ الثانى ، لغزارة علمه وثقوب ذهنه ، وكثرة حفظه . مستحضرا لجميع الفنون العقلية والعلمية . ولازال الى الان حيا كما يبلغنا عنه ، الا انه اصابه خلط في عقله ، ترك من اجله التدريس . وتصدى للخلوة بالاسكندرية ، وقد حكى لى الفقيه العلامة السيد الحاج الحسن بن ابي جمعة الباعقيل اصلا ، البضاوى سكنا ، انه لما حج عام ١٣٤٨ هـ عرج عليه زائرا بالاسكندرية ، فاستاذن عليه فخرج له في هيلة وله فرعة مجزئة ، وتكلم معه بكلام لا يفهمه ، وانصرف عنه ولم يفهمه من اين هو ولا الى اين ، لاشتغاله والله اعلم ، من قبل ببعض الاسماء الى ان اثرث في عقله (ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به) وعمره الان يناهز الستين ، كان الله لنا وله واجميع المسلمين .

ولما صلينا الظهر بسوق (اداي) المتقدم الذكر ، واكلنا خبزا ولحمنا ومرفا مع الفقيه الموما اليه ، وتودعنا معه على نحو ما ذكرنا ، انصرفنا طالعين خائفين ذلك الجبل الوعر ، الذى يطل على بلاد رسموكة ، الى ان استويينا فوقه ، واشرفنا على بلاد ايت حامد ، فوجدنا فيها جماهير من اخلاط الرجال والنساء ، فى احسن زى ولباس . ففي كل بلد ومدشر وقرية . فسألنا عن

- (١) اسم الاب مبارك ، لاعبد الملك ، وهو فقيه مشهور بالحفظ ، من اصحاب الشريفة الكبرى ، توفي عام ١٣٣٢ هـ .
- (٢) ومن جملة محفوظاته الموطا ، كما كان والده حفظ الشفاء لعياض حفظا
- (٣) اخذ عن يمينى وعن ابي عبد الله الاريفى واخيه احمد

السبب فقليل لنا أن في هذه الايام موسم معروفهم المسمى ادرنان (١) ، ثم عرجنا على بعض القرى ، فاذا فيها من الخلق مالا يحصى ، والرجال في لهو ولعب بالدفوف مصطفين يتراقصون على العادة ، والنساء كالجراد حوالينهم متنقيات لا تبدو منهن شعرة واحدة ، ينظرن اليهم على العادة المعهودة ، حتى اذا فرغوا من لعبهم تصافت النساء ايضا كذلك للرقص والشطح والتصفيق عيادا بالله وهم في سكينه ووقار ، بحيث لاتسمع منهم لقوا ولا هجرا ، ولا كلمة قبيحة . وهكذا دأبهم ثلاث ليال من الاربعاء الى يوم السبت ، ولما جلسنا بمزجر الكلب منهم تفرسوا فينا اثر القرية ، وجاءنا احدهم ، فعرض علينا الاكل عنده بداره تبركا بنا ، فذهبنا معه فقدم اليينا من انواع الموائد والاطعمة والفواكه والادام ما اقر به اعيننا ، فتناولنا الطعام من خبز قرن واخباز رقاق وعسل وسمن وزيت هرجان (اركان) ومطحون لوز (املو) وطاجن لحم وكسكس وبيض ولوز مقل ، وتمروتين وزبيب ، وغير ذلك من النعم ، وعاملنا بالجميل جزاء الله خيرا وصلينا العصر وام بنا ، فطلب منا الدعاء (٢) بعدما عرض علينا الضيافة

(١) يصنع في هذه الايام اخبز الرقاق كصدقة اولا ، ثم توسع في ذلك الى كثرة الانفاق فتستدعى كل قرية اخرى ، فيجتمع الشباب على احواش (العابهم المحلية بالدفوف والاشيد)

(٢) العادة ان الناس يطلبون دائما الدعاء من الطلبة حينما صادفهم ، ومن اغرب الوقائع اننى حين كنت تلميذا بمدرسة ايفشان كان فسى راسى جرب ، فقال الاستاذ سيدى عبد الله بن محمد الاغنى للطلبة ادعوا الله ان يشفى فلانا مفاقيه ، فلم يمض الا قليل حتى برئت منه ، ومنها اننى اذذاك كنت مع الطلبة ونحن نجمع السمن للاستاذ من القبيلة ، فاراد الطلبة من ذى غنم فسى قرية (توكال) ان يعطيهم شاة منها فلم يفعل ، فلما غادرنا القرية وقف الطلبة يدعون عليه بالهلاك ، فالتفت فاذا امامى حجر الزناد المعروف فى البنادق الاهلية (بوالشفر) فقلت لهم ضاحكا انه سيقتل ، فكان من المصادفات ان قتل وشيكامع أنه مظلوم كما ترى ، لان المال ماله ، لا يحل منه الا بطيب نفسه ، ومثلها ما حكاها لى الفقيه سيدى الطاهر بن على ان طلبة مدرسة سيدى على بن سعيد فى الاخصاص طلبوا من غنى فى قرية (ايكيوونا) قرب المدرسة ان يعطيهم شاة من غنمه ، فلم تيسر منه ، فلما انفلت من عندهم صاروا يدعون عليه بالهلاك ، وان تكون تلك الشاة لحما لعشاء موته ، فهلك المسكين فى ظرف ثلاثة ايام ، وهكذا استجيب الدعاء اقول كان الشيخ الصوفى سيدى الحاج الحسن التاموديزتى يقول : ان الطلبة «اجتمعوا على شىء الا آتمه الله ، ويقول سيدى ابراهيم بن صالح التازروالى ما حرمت الاولاد الا من دعوة لطلبة وقفوا امام دارى يوم عرسى . فلم اطعمهم فدعوا على ان لا ارزق الاولاد ، فنفذ دعاؤهم

سبقنا هذه الحكايات - وما اكثر امثالها - ليعرف القارىء ان ما يقوله المترجم كان شائعا متداولاً فى سوس . حول حفظة كتاب الله . وهم المقصودون بالطلبة

فاعتلنا باننا قوم بغير مستعملون ، فذهبنا ودلنا على الطريق الداهب الى السب (تعريب لكلمة الاريف) فالصرفنا شاكرين .

(فصل)

في ذكر موسم الرقاق (ايدرنان) واول من أحدثها

من القبائل المتسكة بها

اول من أحدثها فى بلاد جزولة وغيرها العالم الولي الصالح الربانى السيد اويشيا العثمانى الكرسيفى التادارتى التيملى الجزولى جد كل كرسيفى فى تلك البلاد فى اواخر القرن السابع ، وان كان اهله معروفين من اواخر القرن السادس ، وقد توفى هو عام ٦٨٥ هـ وكان له نفوذ عظيم ببلاد جزولة ، وهو من اهل علماء وقته علماء وعملا وتصوفا وزهدا فى الدنيا ، اخذ عن علماء وقته ، ثم ارتحل الى الاندلس ، فاخذ عن علماء غرناطة وغيرها ورجع الى بلاد سوس شهابا واريا ، وتصدر لنشر العلم وبثه والاصلاح والصلاح ببلاد جزولة الى ان بعد سنه ، فتجول ببلاد جزولة ، وامرهم (١) بعمل الرقاق (٢) (ايدرنان) لاسر المساهم الحال اذذاك ، من قحط او غلاء او وباء ، وامرهم بصنعها على هذه الكيفية المعروفة ليلة الجمعة مع العبادة ، واخراج الصدقات فيها ، رجاء ان يفرج الله عنهم ما همهم ، ويكشف عنهم ما همهم ، فمن يومئذ ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله ثم زادوا بزيادة الايمان والعصور ، الى ان بلغوا من التكاثر ما يخالف ما امر الله به ، مما ذكرنا بعضه

واما القبائل التى تعملها فهى قبائل وادى (تيملت) باسرها ، من (تيملى) باغل الوادى ، الى (امارخسين) باسفلها ، وقبيلة المزابة (٣) (تعريب كلمة افراوت) وايت (سمايون) وقبيلة (تاهالا) الى (ايمور) الى (اكرسيف) وايفشان و (ادا وسملال) وقبائل (اداكرسموكت) الى البحر سهلا وجبلا ، وقبائل باعقيلة الى البحر كذلك ، وقبائل صوابه (ايت صواب) باسرها الى هشتوكه ، وقبائل (ايساكة) و (تودما) وقبائل هيلانة باسرها ، من ادا كنضيف بسفح جبل الكست الى هواره الى رأس الوادى قبلة ، وكل هذه القبائل تعملها مرتبة الاولى فالاولى

(١) من معانى الرقاق بضم الراء : الخبز الرقيق

(٢) يزعم بعض الناس ان اول من أمر بها هو الاستاذ محمد بن ابراهيم اعلم المتوفى عام ١٢٧١ هـ مع ان التكلم على انكارها من العلماء كان قبل ذلك كما رأينا فى مختصر المدخل لبعض الجزوليين

(٣) كثيرا ما يترجم الموثقون كلمة تافراوت بكلمة المزابة ، واحسب انهم قد ترجموا تافراوت الى المزاب ولكنهم صحتوا اللفظة العربية (المزابة)

هل حسب ما رتب له لهم الشيخ المربط المذكور ، فأول الناس الجرفة (تاكازا) أسفل الوادي فقط ، ثم يتبعها غيرها بنظام ما زال معمولاً به

ولما شيعنا الرجل الموما اليه ، انفا منصرفين من بلاد ايت حامد الى (ازاريف) خالفين ارضاحمراء ذات مزارع ومياه وربا ، الى ان وصلناه عند المغرب ودخلنا المدرسة الشبية (الازاريفية) ذات العلوم الجمة ، لرجال ذوى همة ، فوجدنا مدرستها الفقيه المقرئ الجود الاستاذ سيدى محمد الذى شارطه سيدى الحسن على عادته للدراسة ، فرحب بنا ، وفرح غاية الفرح والسرور ، فلما فرغ الناس ، من قراءة حزب المغرب على العادة ، استدعانا الى محله فى المدرسة . وتذاكرنا وتساءلنا ، وقص علينا من اخباره ، فسألناه عن عدد الطلبة فأخبر انهم مقدار السبعين ، وسألناه عن صاحب الزاوية الفقيه العالم العلامة الصوفى الدائع الصيت السيد الحسن بن محمد بن الحسين الازاريفى ، فأخبر انه غائب فى بعض شئون القبيلة ، ولما أصبح الصباح يوم الثلاثاء وأفطرنا عنده تودعنا معه وولانا بعض تلامذته على الطريق ، فأخذ الطريق الجبل الى (ايكونكا) فدخلنا مدرستها وهى يومئذ مطمح امال كل زائر ، ولا يتعدى لغيرها كل وارد وصادر ، ووصلناها عند الغروب بعد مشقة فادحة ، فوجدنا الطلبة مثل الجراد المنتشر حوالىها فمن جماعة على المطالعة مكبين ، ومن جماعة على المذاكرة والاحماض منكبين ، فلما خالطناهم قامت الينا جماعة منهم ممن فى نواحينا المانوزية ، منهم الفقيه السيد أحمد بن على بلالى من عنق الرمال (اكرض ايمالان) الايسى ، ومنهم الفقيه السيد محمد بن صالح من عنق الاصبع (ايغراوضاض) المزابى - التافراوتى - فرحبوا بنا ، ولما فرغ الناس من الحزب على العادة ، استدعانا المدرس صاحب المدرسة ، وهو صاحبنا وحبينا وصفينا الشيخ العالم العلامة (١) الصوفى الشريف السيد الحاج عابد بن عبد الله بن عمر التيفرايسى (الكمشرى) البوشوارى الوادريمى ، الشهير الذكر ، الطيب الثناء العطره ، المشار اليه أولا أنه من اهل النفوذ الكبير فى تلك القبائل الجبلية والسهلية ، القائم بمبايعة الشيخ الامير المولى أحمد الهيبه ابن الشيخ ماء العينين القلقمى الصجراوى ، ولما استقر بنا المجلس أخذ يسألنا عن بلدنا وعن احوال اهله وعلمائه ، فلم يترك صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وسأل عنها ، وكانت هذه الملاقاة اول التعرف والمعرفة بيننا وبينه ، حتى صرنا بعد فى متانة المودة ، ودوام اللفة والمحبة ، الى حد تضرب به الامثال . ولما فرغنا من تناول العشاء ، بعد صلاة العشاء ، قدمت الينا اواني الاتى على العادة ، فقال لنا دونكم والاتى ، فانى تركته منذ مدة مديدة ، فقلت له ولله ؟ ايدك الله بتقواه ، فقال لشبهة فيه شبيهة بالحرمة

(١) هذا حقا هو العالم العلامة لا الذى ذكره انفا ، فرحم الله الجميع

وذلك انه قدم على بعض العوام الذين يخدمون فيه بباريس ، وسألته عن حاله وحال السكر ، فأخبرنى انه معصور بعظام الجيف وغيرها ، معقود بعد ذلك بالدم المسفوح ، فى اخبار غير ذلك غريبة منكرة ، فسكت ، ثم سألنى ما نظركم انتم فيه . فقلت انه كما فى علمكم تكلم فيه من تقدمنا من فحول زمان ظهوره نظاما ونشرا ، تصريحاً وتلويحاً ، فمن مبيح له ومن محرم ومن متوقف . والكلام فيه مشهور

ومن نفوذ الشيخ الحاج عابد المربطى العلمى انه يصبح كل يوم بباب مدرسته ازيد من عشرة ذبائح ، من ثور وكبش ، ودون ذلك ، من المواهب التى ترد عليه من القبائل كل واحدة لحاجة ، فمن ذابح قصده التوسط فى الهدنة والهاء ، ومن قصده ان كان شيخ القبيلة او قائداً ان يوفق بينه وبين آخر او قاتل كذلك ، او كان منفياً ليرجع الى داره او غير ذلك ، واقمنا بالمدرسة (الكونكية) خمسة ايام ، حتى استرحنا ، ورجعت الينا قوانا ، واصلحنا من شئوننا ما اصابنا من وعاء السفر من الاوساخ والادران ، واستدعانا ناس كثيرون من طلبة المدرسة ، خاطبين لمودتنا ، راغبين فى محبتنا ، وعدد طلبة المدرسة ازيد من مائة بكثير . وهذه المدرسة ، ومدرسة اداو محمد متقاربتان فى العمارة والتدريس ، وكثرة الغرباء ، وان كانت المدرسة (المحمدية) اكثر علما وعمالا وتحققا وكثرة غرباء الاباعد والاقارب ، لان مدرستها كما سيأتى عادم القرين والنظير بالسوس الاقصى فى عصره ، ثم تهيأنا للسفر صبيحة الاثنين الى (ادا و محمد) وهو يوم سوقهم ، فراودنى اصحابى على المقام ، فأبيت متعللاً بان الخية منصرفه منذ ايام الصبا الى ابن عابو ، فعزموا على الإقامة ، وابتدأوا القراءة تلك الصبيحة ، فلما تودعت مع الفقيه ، وتودعت مع الاصحاب وخرجت الى باب المدرسة ، وخرجوا معى لتشيعى . بدا لهم ان لا يفارقونى ، فازمعوا السفر ، فوبختهم وقلت لهم لا ينبغي لكم ان تذهبوا معى بعدما ابتدأتم ، وذلك عاروسية بينكم وبين الشيخ ، فأبوا أن يقبلوا منى الا المصاحبة ، فذهبنا جميعا بعد عشرة النهار ، والقيظ يحرق الصخور ، والاقدام تغوص فى الرمال الحارة والمسافة بعيدة ، وأنا فى ذلك كله متفكر مهتم ، فما انفصلنا عن المدرسة ، الا وراكب بغل قد لحقنا فى طريقنا . فوقف وقال : ليركب معى احكم ، فقلنا له اختر اينما شئت ، فعيننى من بينهم ، فقلت على بركة الله ، فركبت معه . وكفانى الله تلك المشقة الفادحة . واصحابى يستبقون خلفنا ، الى ان وصلنا المدرسة (المحمدية) قبل العصر ، والسوق مشرف على الانقضاء ، فدخلنا المدرسة وسألنا عن صاحبنا الفقيه السيد محمد الاكمارى ، فخرج الينا ، ورحب واجزل المسافة ايما ، الى ان اجتمعنا بعد بالفقيه الشيخ سيدى محمد بن عابو (بذلك يدعى) صاحب المدرسة

هو الفقيه العالم العلامة المحقق ، حامل لواء المعقول والمنقول ، وشيخ الجماعة بالسوس الأقصى في عصره ، الذي لم يترك فيه لقائل مايقول ، مالك العلوم وامامها ، وذروة كل مجد وفخر ورئاسة وسؤدد وسمامها ، اخذ عن والده السيد محمد (فتحاً) أو عابوا (١) القراءات الثلاث لنافع وابن كثير وأبي عمرو ابن العلاء البصري ، وتصدى لأخذ العلوم من نحو وفقه ولغة وآداب وتفسير وحديث وغير ذلك ، عن سيدي سعيد الشريف (كذلك يدعى) وهو الفقيه البركة الولي الصالح السيد سعيد الشريف الكثيري أصلاً الاداء محمدى سكنا ومدفنا حتى تخرج عليه في عدة فنون ، واخذ أيضاً عن العلامة المتفنن شيخ الجماعة في زمانه السيد محمد بن علي اليعقوبي الهيلاني ، ثم ارتحل الى مراكش في حدود التسعين ، أول خلافة المولى الحسن بن محمد ، فأخذ عن علمائها ، وعمدته منهم شيخ الجماعة بها العلامة المحقق الصوفي الرباني الشيخ محمد بن ابراهيم التكروري السباعي ، وتجول في البلاد السوسية مثافنا لعلمائها ، أخذاً عنهم بقريحة وقادة ، في الاستفادة والافادة ، ولما توفي شيخه الشريف المذكور في نحو عام ١٢٩٦ هـ تصدى للتدريس فيها وقد وقعت بينه وبين ولد الشريف السيد محمد ابن الشريف منافسة ، أدت الى التباغض ، فتحنى له عن مدرسة والده ، وسافر لمراكش كما ذكرنا ، ثم رجع بعد سنوات الى هشتوكة ، ولما مر أبو علي المراتب السيد الحسن بن أحمد بن محمد التيممكيدشتي ، وهو ولد شيخ الشريف المذكور ، وبإشارته بنى هذه المدرسة بهشتوكة ، نزل في المدرسة وسأل عن تلامذة الشريف خصوصاً الفقيه ابن عابو ، فأخبر بأنه تنحى لاولاد الشريف ، كما ذكرنا ، أنفاً ، فبعث اليه والي ولد الشريف السيد محمد المذكور فقال لهما ليدرس كل واحد منكما بمحضري ، ففعلاً فأعجبه ابن عابو في تحقيق الفنون ، وإدارة الشيخ خليل وغيره من الفنون ، وتحصيل صورته على ما ينبغي ودرس أيضاً بمحضره فنونا شتى من بيان ومنطق وأصول ، فوجده علامة حاوياً ووعاءاً ينبغي ان يوكأ عليه ، فعينه متصدراً للتدريس ، فأقام في المدرسة ما يناهز أربعين سنة ، ولم يعطل في خلالها من غير عذر من مرض أو غيره يوماً واحداً ، وله همة عالية وولوع تام بالتدريس ، مما يتعجب منه في ذلك ، وربما يسافر مثلاً الى (أولاد داحو) بهوارة لتعهد مزارعه وأغنائه هناك يوم الخميس مثلاً ، فيجىء يوم السبت بكرة لسرد الدروس ، ماراً بداره في طريقه فلا يعرج عليها ، ولا يسأل عن اولاده ولا عن أى شيء من أموره ، الى ان يدخل المدرسة ويرى عند دخولها حينئذ متغير الوجه ، عليه لوائح الهمة بادية ، لا يتكلم ولا يكلم فينبغ وضوءه بسرعة ، ويصفق على عاداته لاجتماع الطلبة عليه للتدريس ، فإذا فرغ من انصبة التدريس ، ارتد له لونه ، وبدت على وجهه آثار البهجة

(١) ابن عابو . وأوعابو . شىء واحد ، وأوهو ابن بالشلحة

والسرور ، فيتكلم ويتحدث ويسأل عن القديم الاقطار ، وهذا دأبه ، وله رحمه الله همة عالية وسياسة في جميع أموره سامية

ذكر أمد ختام كل متن وفن

اعلم ان الشيخ السيد سعيدا الشريف شيخه المؤسس لهذه المدرسة . قد نصب كل متن بنصاب (١) مناسب المقام قلة وكثرة ، باعتبار صعوبة المتن وكثرة صورته ومعانيه او فروعه ، وسهولته بضد ما ذكر ، وباعتبار الازمنة أيضاً . مراعيًا للعواشر وأيام العطلة ، مثل الخميس والجمعة في كل أسبوع ، فنصب الشيخ خليلاً على ان يختم تدريسه في عامين ، والالفية على ان تختم في عام . والرسالة كذلك على سنة ، والتحفة على سنة ، وابن عاشر والزقافية والمقنع والرسموكية والسملالية على الفرائض والحساب والاجرومية على ثلاثة اشهر والتفسير على سنة كاملة ، والبغاري على شهرين ، لسهولة امره عندهم ، وجمع الجوامع . والتلخيص على سنة ، وقس عليه جميع الفنون ، فيتخرجون في الختام السنوى عيد المولد النبوى ، فإذا جاء المولد مثلاً والانصبة كثيرة لا يمكن ختامها في نصاب واحد في ذلك الزمان القصير جمعوا بين نصابين وثلاثة ، ليتلق لهم الختم في حد محدود لازم عندهم ، وكذلك انتشرت (٢) هذه الانصبة في اقطار سوس وما حولها ، لانتشار طلبة هذه المدرسة فيها ، ولذلك غلب نجاح طلبة هذه المدرسة اكثر من غيرها ، وتخرجهم في ست سنوات في العادة المطردة عندهم ، ونبغ منهم في شتى الفنون عدد كثير ، حتى احصى جميع من تخرج على الشيخ ابن عابو من عام ١٢٩٥ هـ الى عام ١٣٣٠ هـ فوجد نحواً من ستمائة (٣) عالم ، وهو امر لم يعهد مثله الا لابي مدين الفوث ، والشيخ سيدي محمد ابن ابراهيم التامانارتي ، فيما سمعنا في زمانهما ، لان المدرسة لا تخلو عمازتها ، ولما من نحو مائتى (٤) طالب من اولاد الاغنياء والاعيان من الاشياخ (الرؤساء) والخواص والعلماء ، وأكثرهم غرباء من نواحي مراكش الى دكالة وعبدية والشياطمة

(١) يعنى بتنصيب الانصبة تقسيم المتن الى دروس

(٢) يشتمع هذا النظام عند سيدي مسعود المعدري ، وعند سيدي الحسين بن محمد ، وسيدي الحاج عابد ، ولا اعلم لهم الان رابعا .

(٣) فعدت يوماً مع سيدي الحسن بن مبارك الباعقيل نحسب من أخذوا عن ابن عابو فلم نصل مع الا نحو ثلاثين ، وحزر المذكور تلاميذه البارزين بنحو مائتين كما حزر جميع من يمرون أمامه بنحو مائة ونيف على اكثر تقدير . ولكن هذا المترجم ربما كان اعرف .

(٤) حدثني السيد احمد بن الفضيل الكرسيهفي الذي عاصر الكاتب هناك ان الطلبة اذذاك لم يجاوزوا أربعين ، والعهد عليه

وحاجة ومتوكة ووادي سوس وجباله وايت باعمران وباعقيلة ورسموكة وتيزنيت وامانوز الى جهة القبلة ، وغالبهم لا يعرف الا باسمه ، والكل منهمك على المطالعة والذاكرة ، وكل فريق وطبقة وسن واصحاب فن واحد يجالس اخاه ، ولا يسأل احد عن احد لكثرة الاشتغال والهمة والغبطة والتحصيل ، ولقد اقامت فيها ازيد من اربع سنين ما عرفت اكثرهم الا معرفة الوجه والشارة ، سوى اهل مجلسي ومذاكرتي ومطالعتي حتى حصلت بيني وبين اكثرهم منافسة علمية ، ومساجلة أدبية ، واستحكمت حينئذ المعرفة ، واستحكمت اللفة .

فصل

في اولى الشيخ سيدي سعيد الشريف

مؤسس المدرسة وبانيها

هو الشيخ العالم الصوفي الرباني الولي الصادق العابد الشريف سيدنا سعيد بن أحمد المتوفى نحو عام ١٢٩٦ هـ الكثيري قبيلة الودريمي الهشتوكسي سكنا ، نسبة الى كثير من احفاد سلالة المولى ادريس بن ادريس ، واخوانهم لازالوا معلومين بفاس بالشرفاء الكثيريين الى الان ، انتقلوا من فاس في أيام ايقاع بني العافية بهم ، وسكنوا كغيرهم جبال سوس الاقصى مما يل الكسست ثم انتقل الشريف هذا الى سهول هشتوكه مستوطنا مع والديه ، ونشأ في عفة وزهد ، وتعلم ونجب ، وتجول الاخذ عن علماء تلك الجبال ، الى ان أدت به خاتمة المطاف الى زاوية (تيمكيدشت) بهوتان (مانوزة) في حدود الخمسين بعد المائتين والالف ، لدى الشيخ الولي العالم الصوفي ، شيخ مشايخ سوس في وقته السيد أحمد بن محمد بن ابراهيم الميموني اصلا ، الايسى وطنا ومسكنا فلزمه سنين عدة الى ان اجازه وارسله الى (اداو محمد) وامره ببناء مدرسته هذه ، فامتثل امره ، فانثالت تلك القبائل عليه معتقدين له ، وبني المدرسة الاولى ، ثم الثانية متصلتين . وبينهما سكة لمروور غنم ومواش مسورتين بالتين الشوكي (اكناري) وكان استيطان الشريف لهذا الموضع وبناء هذين المدرستين عام ١٢٦٠ هـ قبل وفاة شيخه الميموني بسنوات ، اواسط دولة السلطان عبدالرحمان بن هشام الفيلاي وما زالت المدرسة تنمو شيئا فشيئا الى ان بلغت ما بلغت ، وبني الشيخ داره الواسعة ازاءها ، مما يلي الشمال الى الغروب ، وبني الصومعة المائلة في الهواء ، وحفر البير الموجودة الان عن يمين الداخل ، وبني ازاءها برمة وقود تسخين الماء للوضوء ، على عادة مدارس سوس ومساجده ، ومن خصائص مياه هذه البير ان ماءها حلو عذب فرات ، مخالف لمياه هشتوكه ، فانها كلها ملحة فسبحان الحكيم العليم ، بل اعتقد اكثرهم ان ماءها يثير الفهم ، ويفتح القلب

والسلطة ، فلذا كان اكثر الطلبة يخرج متغلبا في شتى العلوم ، فراقصر في شتى من ست سنين الى عشرة ، ولا هراة في ذلك ، وقد ذكر الحكماء والفلاسفة في الاقويمة الاولى ، وذكر الشيخ اليوسي في محاضراته ما يفيد ذلك

(فصل)

في بعض ما يتعلق بهذه المدرسة زيادة على ما تقدم

ان لعمارة هذه المدرسة ماديا وادبيا اسبابا ظاهرة لا تخفى ، منها ان اعمامها كبيرة ، وهي تنيف عن ائنتى عشرة مائة كانون ، مع مالها من الفنى الفاسي ، من ارض طيبة صالحة للزراعة ، ومركز سهل معتدل الهواء حرارة وبرودة ، متوفرة فيه اشجار الهرجان وغيره ، الواقع بالغابة المسماة (ادميم) وهذا يوفرت خيراتها ، وكثرت اعشارها وزكواتها ، حتى ان مطاميرها الواسعة الكسرة سلا قمحا وشعيرا ، وعدد المطامير التي بداخلها وخارجها الى جهة السوق ازيد من امانين مملوءة ، كلها مملوءة زرعا ، ومن تلك المطامير مايكفي زرعها وهذه لغوت الطلبة في السنة كلها ، لكبرها وسعتها ، كالظمورة التي يباب المطامير الداخل وغيرها ، اما ما تفرضه القبيلة من ذلك ، فانها تفرض لازما اليها ثلث اعشارها ، ولا يقطعون منه حبة واحدة ، بل يوفونه لما يخافون من اصدار القوانين المتقدمة ، وغيرها ومن المصائب التي تحل بمن استهان بالحرمان ، فهذا الثلث ، لكثرة القبيلة وكثرة غنى أهلها ، وتوفر زروعهم في هذه العام الواحد لغوت سنين عديدة ، ويفرضون ايضا اجارة الامام المدرس ، المسماة عندهم بالشرط (وبالشلحة : الاحضار وهذه الكلمة متقاربة مع كلمة المحضر للتلميذ كما سبقت الاشارة اليه فيما تقدم) ، وهو صاع لكل كانون ، وواثيمة كذلك من السمن وولتيمية وتسمى عندهم اقشور من الهرجان (الزكان) او اذامه ، ومقدار صاعهم يزيد على عشرين صاعا نبويا ، ومقدار الولتيمية يخرق الان الى الكيال الحديث المسمى (ليثرو) وهذا الشرط يستأثر به الفقيه المدرس اجارة له على عمله وخدماته للطلبة ، واما الاعشار فهي محبسة على الطلبة طلبة العلم خاصة ، لكنها الى نظر الفقيه ، وتحت سيطرته ، يفعل فيها وفي صرفها ما يشاء ويختار

ومن تلك الاسباب نفوذ الفقيه الكثيري في القبيلة ، بل وغيرها كما تقدم أولا ، فانه لا يقدر احد على المخالفة في خدمة هذه المدرسة وغيرها ، مما يتعلق بأهلها ، فتأتي اليها وفود الطلبة من جميع الاقطار ، فلا يسألهم سائل ولا يعرض لادابهم احد ، ولو كانوا جناة .

(فصل) في ذكر ما تيسر ختامه من الفنون

ختمنا الشيخ خليلاً ثلاث مرات وهو الأهم عندهم ، والتحفة كذلك ، والزقاقة اربعا والرسالة وابن عشر مرارا ، والمقامات الحريرية كذلك ، وجمع الجوامع لابن السبكي مرارا (١) ، ومتن مفتاح التلخيص في فن البيان والمعاني والبديع مرارا (١) ، ومنظومة الاخضرى والتفسير مرارا (١) والبخارى مع ابن ابي جمرة والاربعة للنووي كل سنة ، وأصول العقائد مثل السنوسية وغيرها مرارا (١) ، ومنظومة السلم مرارا (١) ، والحساب والفرائض مرارا وفن العروض كالخزرجية والحمدونية والدمهورية مرارا (١) ، والفقه ابن مالك والفقه العراقي والاجرومية ، والمبنيات مرارا (١) والورقات لامام الحرمين وغير ذلك ، وأما التنجيم كالمقنع وروضة الازهار للكاديري ، والربع المجيب وغير ذلك في كل عام لا بد منه

(فصل) في ذكر أسباب تيسر العلوم وأخذها بسهولة

وفي زمن قصير بهذا المدرسة

اعلم وفقنا الله واياك ان أسباب نجاح طلبة المدرسة (المحمدية) كثيرة، منها معرفة هذا الشيخ المدرس بكيفية ادارة العلوم على حقيقتها عند التدريس املا، وفصاحة ورجاحة ، لاسيما العلوم الفقهية والنحوية ، بحيث يطوى مسافة بعيدة من الصور الكثيرة في خليل في مسافة قريبة ، باختصار لفظ ، وتادية معنى ، وافهامه كما ينبغي ، وكأنه يفرغه تحقيقا في قلوب السامعين ، فلا يمل متنا . اويصور مشكلا صعبا ، او يحل لغزا الا ويفهمه السامع ، لتحقيقه وفصاحته وكلامه العذب ، فصارت تضرب به الامثال في ذلك كله ، بحيث اذا وقف مثلا على الباب العسيرة فروعه وصوره وتفصيله ، كبيع الآجال ، وباب الصلح ، يقدم توطئة في جميع قواعده وعلله الاجمالية ، المبني عليها جميع مسائل الباب التفصيلية ، قاعدة بعد قاعدة ، وعلة بعد علة ، في ارشاد عبارة وافصحها . واخصرها بالعربية والسوسية في اسرع وقت ، من غير تكرار ممل ولا تنجح ولا تملل ، وهو في كل ذلك يشير الى الطلبة بيده الكريمة ليرتسم جميع ما يلقيه عليهم في قلوبهم ، وهم ايضا ينظرون اليه باعين مفتحة اجفانها باهتة احداقها ، بادية عليهم امارات التحفز والاستعداد ، والتوثب نحو الشيخ لاستمداده ، ولا يلقى مشكلا الا واخترق الآذان الى القلوب موضعا ، وسقى

(١) ليتذكر القارئ هذه المرات يوم يصل ما ياتي من طلب اخذ هذه المتون ايضا من (تيمكيدشت) فان حذق الكاتب العلوم وتحصيله للفن تكفيه في قراءته مرة أو مرتان . ولعله انما يريد التبرك باعادتها من (تيمكيدشت)

رياض الالباب ، مرارا فلا يفرغ من تلك المقدمة الموطئة ، الا وباقي الباب مفهوم مسهل للسامعين ، مع ما للقوة من التحصيل العظيم في ذلك ، وبعد الفراغ منها ينساح في نصاب الباب ، كأنه (سجنون) بل عاصفة لا تبقى من المشكل ولا تذر وقس على ذلك أبواب العبادات كالمنيات ، وأبواب النكاح ، لاسيما الطلاق وتجزئته ، وباب العتق ومشكلاته ، وأما فن النحو فهو فيه سيويه ، فاذا وقف مثلا على باب كثير الوجوه . مثل الصفة المشبهة ، فلا يقف فيه متفكرا حتى يوصل جميع وجوهه الى ازيد من مائتي وجه ، ما بين صحيح وضعيف ، ثم بعد ذلك يندفع كالسيل في تقرير الوجوه وتحقيقها ، ترجيحها وقبولها ، وردا ونسبة الخ واذا وقف مثلا على التمرين في باب الاخبار . يفعل كذلك ويفرغ جميع وجوه الباب وقواعده ، مما يتعلق بـ (الذي) وفروعه من تشنية وجمع وتذكير وتانيث ومطابقة الجميع وبـ (ال) وفروعها كذلك ، ويوصل الوجوه الى ازيد من ثلاثمائة وجه ، من غير تملل ولا تلكي . فلا تسمع منه الا : فاذا قيل لك اخبرني بكذا من قولك كذا ، تقول له كذا وكذا الخ . او باب التصريف مثلا فيفعل جميع ذلك في جميع ما اشكل من غير كبير مشقة ولا عناء ، بل بتؤدة وتأن ووقار

والحاصل ان الشيخ محمدا بن عابو رحمه الله مما يفتخر به المغرب على المشرق على الاطلاق باتقان ، ومنها ان في هذه المدرسة ممن تخرج من العلماء على الشيخ ازيد من اربعين متفرغين للتعليم ، فما شئت من نوع او فن في أي موضوع فاذهب الى من شئت منهم ، فكلهم مستعدون للقاء والافادة ، في أي وقت ليلا ونهارا . فلا تلقى منهم منعاً ولا اباية ولا مللا ولا عدرا ، لو صاها الشيخ لهم بذلك ، فيجد المبتدئ والمتوسط والمتنهي بغيته عندهم في جميع الازمنة ، فلا يرد ويجد من يسرد (١) الفنون الادبية . ومن يمل عليه ما يريد ، ومن يباحثه فيما اشكل عليه في جميع الفنون والعلوم ، فلا يفقد شيئا ايضا من أدوات الفهم

(فصل)

في عادات المدرسة في المآكل وغيرها

اعلم ان للمدرسة ، شأن غيرها من المدارس السوسية ، اماء يقمن بشئون الطلبة بكثرة وعشا ، ولهن ماوى ياوين اليه ، وللمدرسة مطبخ واسع فيه آلات

(١) السرد في عرفهم : التلاوة ، والعادة ان تكون التلاوة من كتب الادب في اوقات العطل في الاسبوع . يتلو التلميذ فيرد عليه الاستاذ ويناقشه أحيانا فيبقى كذلك ولو طوال النهار أو الليل أوهما معا ، فيستفيد التلميذ معرفة ضبط الفاظ اللغة ، وتطبيق القواعد ، مع زوال الخجل عنه ، وسرعان ما يتقدم ان ناهى على ذلك

الطبخ من قدر وقصعة واللات صنع الخبز (افلون) ، وقماقم الماء وخوابيسه وجوابى الكسكس ، والكل من عمل النحاس الصفر ، سوى الخبز (افلون) . والقدر كبيرة جدا ، وكثيرا ما رأيت بعض الكلاب يتسلل فيتظلل فيها عند القيلولة في الهواجر ، وقت حمارة القيظ ، انتهازا لفرصة قيلولة الأدميين . والعادة في مشاكلهم أن تصبح الخادم ، وهي (رقية وبناتها الأربع ، بنات الكيال) أومنو (نسبة الى قبيلة اداومنو القرية هناك) ، في الساعة السادسة صباحا فيصنعن الحساء ، ولابد منه ، من ذرة اوشعر اوقمح ، فيفرغنه في قصاع عظيمة فيتناولوه بالحسو من اراده ، واكثر من يشربه من الطلبة فقراؤهم ، واما من كانوا منهم موسرين فانهم يستقنون بصنع الاخباذ مع السمن والعسل وزيت الهرجان (اركان) والاتاي والشعرية ، ونحو ذلك والافطار به في بيوتهم ، ثم بعد ذلك تنصب القدر الكبيرة لتهيئ الكسكس حوالى الساعة الثانية عشرة ، فينحشر اليه من اراده ، ومن لم يرد أن يتناولوه مع الجماعة يذهب بحظه منه الى بيته ، ليأدبه بما يشاء من زيت زيتون او هرجان او مرق او غير ذلك ، وياخذ به مغراف كبير يسع نحو كيلو ولا يتعداه ، وغائب الناس لياخذونه منفصلين لاعتقادهم أن البركة في وضع الايدي مجتمعة عليه ، واما مايتناولونه عندالعصر ويسمى بالشلحة (اوزدويت) وبالعرية الدارجة العكية (١) فان القبيلة تاتي اليهم بالشلحة (اوزدويت) وبالعرية الدارجة العكية (١) ، فان القبيلة تاتي اليهم به مناوبة في المداشر والقرى ، على ترتيبهم في ذلك وكلما فرغت قرية ابتدأت اخرى ، الى آخر القبيلة ، ولا يقطعه احد حذرا من أن تطبق عليه القوانين الصارمة الموضوعه في ذلك ، ويحضر عادة عند صلاة العصر ، ويكون عادة خبزا ياتون به بعدد الطلبة على البهائم او بالقفاف على رؤوس الناس ، ومازاد او نقص من عدد الطلبة يعلم به المقدم ، ليزاد في الخبز او ينقص منه . فرحم الله تسلك الهمم العالية . التي عرفت مقدار العلم فشجعته ، ثم اذا حان وقت الغروب تصدت أمرقية ايضا لصنع الكسكس لعشاء الطلبة ، فلا يؤذن العشاء الا وهو مفروغ منه ، فاذا خرج الناس من مراجعة الدروس تناولوه على نحو ما تقدم

(فصل)

في كيفية المذاكرة والمطالعة عندهم ومواضعها

كل زمان وكل مكان عندهم صالحان للمذاكرة ، الا أن المطالعة الرسمية اللازمة عندهم ، والتي هي بالمناوبة عند كل فريق ، لا تكون الا في الموضع المسمى بالمجلس الكبير ، وهما مجلسان بناهما الشريف الكثيرى رحمه الله عام ١٢٦٨ هـ يسمى أحدهما المجلس الاعلى ، لعلوه وارتفاعه واتساعه في ارجائه ونواحيه وله أعمدة كبيرة هائلة مائلة في الهواء ، واران متينة ، ونصفه مسقف والباقي

(١) الذى يوكل بين الغداء والعشاء يسمى لغة الهجورى بفتح الهاء

هوالى ، وفيه اشجار الليمون والالرج في مظهر طبيعي بهيج ، وهو مجلس الشيوخ والمنتھين ، والاخر المجلس الشمال المسقف كله الخارج بابه الى محل برمة الوضوء ، هو مجلس المتدلين ، فتذهب كل طائفة الى مجلسها ، عند المطالعة . وتفصيل ذلك ان من اتقن الشيخ خليلا والتحفة والزقافية والتفسير والحديث والاصول والمنطق والفنون الادبية والفرائض والحساب والتنجيم والتوقيت والتعديل وغير ذلك من الفنون العلمية ، يسمى منتهيا ، وموضعه رسميا المجلس الاعلى المنق المسمى مجلس الشيوخ ، فلا يتعداه ، لان غيره معرفة عندهم ، واما المتوسطون والمتدثون فمحلهم المجلس الثانى ، ولا يتعدونه الى غيره

وينقسم الجميع الى اكثر من عشرين فرقة بحسب مطالعة الانصبة ، وكل حزب بحزبه ، وكل فريق الى فريقه ، ففريق الرسالة مثلا مع مثيله . واصحاب ابن عاشر والاجرومية والالفية متضامون الى بعضهم ، وكل واحد مع اخوانه لا يطالع الا مع قرنائه ولا يدخل مع غيره

اما ابتداء المطالعة فهو من وقت فراغهم من قراءة الحزب بعد المغرب الى اذان العشاء ، فيصلون ويتناولون عشاءهم ، ثم ينصرفون الى بيوتهم للمذاكرة والمطالعة ايضا في مواضع اخرى الى منتصف الليل او ما بعده ، فيأخذون مضاجعهم للاستراحة بالنوم (وكانوا قليلا من الليل ما يهجمون) ، ثم يقوم الجميع قبل الفجر بساعتين او اقل او اكثر للاستعداد المادى والادبى ، فلا تسمع حينئذ الا دوى القراءة والمطالعة ولا تبصر الا بصيص الصابيح في البيوت ، وهكذا كانت تلك العصور (١) ولكن صارت في خبر كان ، كما قال الشاعر :

ثم انقضت تلك السنون واهلها فكانها وكانهم احلام

فصل

في ذكر اخبار الشيخ رحمه الله مع من تخرجوا عليه

اذا تخرج طالب ، وانتهى من طلبه ، فان رضى بالمقام فى المدرسة والاشتغال بالتدريس ونشر العلم فيها سائر ايامه فيها ونعمت ، وان اراد الخروج للمدارس الافاقية للمشاركة ، او القضاء فى القبائل ، فانه يذهب الى الشيخ ، ويطلب منه ما اراد على ما اراد ، فان اراد القضاء فانه يكتب له

(١) هذا الذى ذكره الكاتب شائع فى جميع المدارس السوسية بهذه الكيفية . نعمت نظامه اخذنا بدورنا فى اغشيان وبونعمان وتانكرت ولا تزال هذه الكيفية معمول بها فى بعض المدارس العامرة

الى قاضي المخزن بمدينة (رودانة) ليقيمه نائباً عنه في بعض القبائل التي يطلبها ، ان كانت خالية من قاض ، فاذا وصل كلام الاستاذ ابن عابو رحمه الله الى القاضي ، فلايسعه الا أن يمثله ، فيكتب ظهيرا قضائيا على القبيلة التي طلبها الطالب ، ويذهب اليها نائباً بل قاضيا في الحقيقة ، لان قاضي (تارودانت) وان كان في ذلك العصر قاضيا شرعيا مخزنيا ، الا ان شوكة هؤلاء العلماء شديدة قوية ، فلا يرونه في نظرهم الا العوبة ، فتلامذتهم هؤلاء أولى عندهم منه ، وقد تخرج على يد شيخنا هذا كثيرون ، وتولوا القضاء على مثل هذا النمط ، مثل تلميذه العلامة المتبحر المتفنن الاصولي المعقولي المنقولي علامة الزمان السيد الطاهر بن محمد الاعبالوي (العبدلي الاداو محمدي) المدرس القاضي بمدرسة (الفتايج) بقبيلة ايت يعزى ، والعلامة السيد احمد التتاني المدرس بمدرسة (سیدی يدير) في ايت عمرو ، والعلامة السيد مبارك ابن عيبو الوياضي الامحمدي المتوفى باكادير عام ١٠٠٠٠٠ وغيرهم من فحول رجاله ، واذا اراد الخروج الى بعض المدارس يكتب له الشيخ الى ارباب المدرسة مثلا من شيوخ او نفايس فيذهب اليها فلا يصده عنها صاد ، ويدرس فيها الى أن ينال ما قدر له من الشهرة .

ولما قضيت الوطر وحن وقت الترحال والنقلة من هذه المدرسة المباركة والسفر ، واستحويت بعدما استحوذت على ما فيها من الفنون من اوطاب افذاذها من رجالها ، وحصلت على بغيتي وميتي من فطاحلها وكمالها ، خاطبت الشيخ بالتشريف بالاجازة بما عنده نقلا وعقلا ، فلباني بعد مراجعات كثيرة نظما ونثرا ، ويعطول سرد ذلك ، ولما طاب القلب ، وصفا لباب اللب ، استقدمني لداره بـ (ايت وياض) وبينها وبين المدرسة نحو خمسة كيلومترات صبيحة يوم الجمعة فاتح ذي الحجة عام ١٣٢٩ هـ فذهبت وفي معيتي عشرة كيلوات من اللوز المقل ، جاءني من البلد ، فذهبت بها اليه ، ولما دخلت عليه . ومعه ناس من اعيان القبيلة . وسلمت . كانه كاشفني على ما عندي ، فناولني مفتاح بيت اشارة الى وضع ذلك اللوز فيه واخفائه عن عنده ، لكثرة رغبتهم فيه وشره اهل تلك الاقطار السهلية اليه ، لعدمه في بلادهم ، وقلة حياتهم فيما يشتهون ، ولما تقدمت لفتح باب البيت استصعب علي ، فقام احد الاعيان بفتحه لتمرنه عليه ، ودخلت باللوز وراءه ، فاختمت منه شيئا ضاحكا مازحا ، فسكت عنه . وخرجت فجلست بعيدا منهم ، لما يجري بينهم من المفاوضة السرية ، فلما فرغوا اشار الى الفقيه ، فتقدمت مائلا منتصبا بين يديه ، فاشار لي بالجلوس . واخذ القرطاس والدواة ، فشرع يسألني عن احوالي بعد الاجازة والسفر الى بلادى ، ويوصيني بعدم الانقطاع عنه مشافهة ومكاتبة ، ويوصيني بنشر العلم وبثه ، والانهماك على ارشاد المسلمين ، واصلاح ذات بينهم ، وفصل نزاعهم بمقتضى الشريعة المحمدية . من غير شطط ، دون تفريط او افراط

في جميع الامور ، واوصاني بالشهادة لهذا الزمان العاصر ، والمجاعة معه دون معاكسته ، وانشدني في قولهم في الوقت :

وكالسيف ان لايشته لان حده وحده ان خاشنته خشنان
وقول ابن الفارض رضى الله عنه في عدم التقاعد والتواكل والتسول
فسر زمنا وانهض كسيرا فحظك الـ بطلاة ما اخرت عزما لـ
واوصاني برفع الهمة عن جميع خلق الله ، وانشد على ذلك :

وكل ما قد خلق الله به وما لم يخلق
محتقر في همته كشجرة في مفرق
وقول بعضهم :

وقائلة لم عرتك الهموم يوم وأمرك ممثل في الامم
فقلت ذريني على حالتي فان الهموم بقدر الهمم

ثم امر عبيده بتقديم الفطور ، فقدموا مائدة فيها خبز حنطة ، في الماء مغمور بسمن وعسل ، وهو المسمى عندهم بـ (الرفيسة) فتناولناه ، وقدم الينا حليب نياق ، وهن امانا في حوش واسع الارعاء ، مع غيرهن من الانعام فلما فرغنا من الاكل ناولني الاجازة المباركة فامرني بقراءتها ، فقرأتها . ففرح ودعا لي ، وودعني بعدما سألني عن الطريق التي تصلح لسلوكها . فقلت له تفضل على ياسيدي بالاشارة اليها ، فامرني بسلوك طريق جبال (اداكاران) ثم (ايت باها) ثم (ايت مزال) ثم (اداوكثير) ثم (اداكنضيف) ثم جبل (الكست) العظيم ، فامتثلت ، فخرجت من المدرسة مع بعض افاضلها وهو الفقيه سيدي محمد بن بوهوش العلال الهشوكي وغيره ، ممن لهم غرض في صلة ارحامهم بنوى وراثة (محل هناك) ووصلنا بعدما وصلنا الحر مدشرا هم قاصدوه ، فعرضوا علينا القيلولة عند ارحامهم ، فدخلنا ، فقدموا لنا ما يشفي الغليل من الكسكس واللبن الرائب ، واكلنا حتى اشتفينا ، ثم بعد قليل قدموا لنا الخبز الرقيق مع سمن وعسل (الرفيسة) وشربنا بعدها كووس الاتاي ، وتوضانا للظهر وصلينا ، ودعونا جميعا ، وسلطنا طريق زاوية (سيدي ابي السحاب) بحرف الجبل ، وعرجنا عليها لصلاة العصر ، فدخلنا المدرسة فوجدنا الطلبة مصطفين للصلاة ، فصلينا معهم ، وهم ازيد من تسعين طالبا (١) لان هذه المدرسة من كبريات مدارس هشوكية ، لكثرة قبيلتها ولها ايضا ثروة عظيمة ، ولها سوق عظيم يوم الجمعة ، يرده اهل الافاق

(١) كانت مدارس القراءات السبع عامرة اذذاك ، اكما كانت المدارس العلمية ايضا ، ولم ينقص ذلك الا بعد ١٣٣٠ هـ والاسنة ١٣٤٥ هـ المجدية

والاقطار ، واهامطامير من الزرع كثيرة ، وتقرأ فيها القراءات السبع وغيرها
وسنذكرها مع جميع مدارس سوس في مجموع غير هذا ان شاء الله (١)
ولما صلينا العصر راودنا بعض من عرفنا من الاخوان على البيات فتعلمنا
ببرودة الهواء ، وذهبنا الى مدرسة (سيدى ابي الرجاء) سالكين اليها جبلا
كثير الاغراس بأنواع الفواكه من الكنارية (التين الشوكى) والتين والكرم
والهرجان (أركان) وهو أول تلك الجبال الاطلسية مما يلي هشتوكة ، الى ان
دخلنا مدرسة (سيدى ابي الرجاء) وبين المدرستين نحو اربعة عشر كيلومترا
وهى مدرسة (بنى بوزيا) (ادابوزيا) ودخلنا قبل المغرب ، ومدرستها صاحبنا
وحبيبنا وصفيها ، حاتم وقته الفقيه الاستاذ المقرئ المحقق السيد محمد
الاستاذ الشهير الايفرمى اليحياوى الصوابى وهو من الموضع المسمى ايفرم
من (ايت صواب) فلما رانا قام وقعد بالفرح والسرور ، ورحب بنا ، وكنا قبل
ذلك نصله أيام العطل كالعوامر ، لكونه من اهل قطرنا ، وعنده من الطلبة
نحو ستين ، وفيهم نجباء ، وجلهم بل كلهم من احبابنا جزى الله الجميع
خيرا ، فاقترح علينا الفقيه المذكور ، لما له من محبة عظيمة فى جانب اهل
العلم ، وخصوصا فينا الضيافة ثلاثا للاستراحة فساعدناه ، فاقمناها كلمح
البصر أو هو اقرب ، لما غمرنا به من النعم التى لاتحصى ، وأنواع المذكرات
العلمية رواية ودراية ، بل وأنواع المفاهات ، وكان الفقيه المقرئ الاستاذ
السيد الحسن ابن الشيخ السيد محمد - فتحا - الناظم ياتينى لمجاورة
داره للمدرسة ، وابوه الشيخ الناظم المذكور هو الذى احيا هذه الدراسة بعد
اندثارها ، وانتشلها من مخالب الدهر الخؤون ، وكانت له معرفة بالعشر
الكبير مع ما هو عليه من الورع التام والزهد والتشف ، وله صيت عظيم فى
الاقطار السوسية ، وترد عليه الطلبة للاخذ من كل فج عميق ، ثم توفى فى
حدود الثمانين (٢) بعد المائتين والالف ، وتولى صاحبنا ولده السيد الحسن
المذكور امرها ، وكان ايضا مثل ابيه فى التحقيق الا أنه لم تساعده الظروف
مع القبيلة ، لما اصابه من اختلاط العقل اواخر ايامه ، فتحنى عنها الى داره
ورتبوا صاحبنا الصوابى الحال المذكور ، فتولى امرها الى ان تحول الى مدينة
مراكش عام ١٣٣٣ هـ واستوطن باب الخميس منها ، وتولى امامة جامعة ،
وتصدى للاقراء فى مكتبها ، وتزوج اخت الوزير ابن عزوز التطوانى ، وولد
له منها ولد ، وقد عرجت عليه مرارا فى بعض نزحاتى الى مراكش ، ولازال

(١) اتصلت بننتف من هذا المجموع . فانوى ان شاء الله ان استعين به يوم
الخرج مؤلفى الخاص فى (مدارس سوس) العتيقة

(٢) بل بعد ١٣١٠ هـ

حيا فى هذا التاريخ الحسى (١)

ولما قضينا أيام الضيافة والاستراحة من وعناء السفر ، تودعنا مع
صاحبنا الصوابى المذكور ، واستمطر منى الدعاء بالحاج كثير ، قابضا بكفه
على كفى ، وخرج الى تشييعى اميالا . واصحبنا خريتا من اصحابه الى مدرسة
بنى فارس (فلاس) وسلطنا بين سدين عظيمين علوا وارتفاعا . ولباسهما
دروع سابغات من ادواح الهرجان والرتوم ، وخلالهما من انواع غناء النساء
المحتطبات ما يخجل الموصلى وزريابا ، ومن المغانى ما يزدى بتشبيهات ابن المعتز
واخي رباب ، من كل ذات دلال وعقائص أدنتها وأدلت بها على خصمها فخصمته
فلم يبق له قلب ولا لباب ، ودخلتنى نشوة ذى الحب بالذى دب فى مفاصلنا ،
ولم نشعر الا ونحن بباب المدرسة (الفلاسية) ووجدنا بفنائها جماعة من الطلبة
الاجلة نحو الخمسين ، فتساءلنا وتعارفنا ، فاكلنا وشربنا واشتركنا الدعاء
ورجع الدليل بعدما وصف لنا الطريق المسلك واحواله وعلاماته ، فانصرفنا
شاكرين الجميع وطلعنا الى (اداو كثير) فوصلنا الى مدرسة (اينغال) فى واد
كثير الخيرات من الفواكه والكروم والتين الشوكى والهرجان ، فدخلنا قبة
فيها مدفن ولى يسمى السيد المرتضى ، فاذا بجماعة من طلبة المدرسة قد
دخلوا أيضا للزيارة وللمطالعة هناك ، فتعارفنا ، فاعلموا بنا الفقيه ، فبعث
الينا . فسأل عن احوالنا فانتسبنا له ، ففرح وسر غاية السرور ، واصافنا
تلك الليلة احسن ضيافة ، والمدرسة مشحونة بطلبة العلم ، فيها ما ينيف الى
ستين طالبا ، ولما أصبح الصباح . تودعنا معه ومع الجميع ، ولما خرجنا من اهل
اليمن تاركين طريق (اداكنيضيف) مخافة من جريرة طالب مانوزى وقت
فيها تلك الايام ، وهى أن طالبا من مدر (ايوزوزن) من قبيلة (ناسريرت)
من (امانوز) يسمى ابن اليزيد من أيت ترحات يقرأ بمدرسة افرى هلاله
(ايلال) ذهب الى بلده فى العواشر ، وتسوق سوق الجمعة بادا كنيضيف .
فلما خرج منه اتفق أن لصين سرقا حمارا خارج السوق ، وذهبا معه فسى
طريقه من غير علم منه بأمرها ، بل ظنهما صاحبي الحمار ، فلما جاء رب الحمار
ولم يجده حيث تركه مقيدا ، اتبعه فى الطريق ، فلما رآه اللسان انصرفا عن
الحمار ، وتركاه وابن اليزيد ازاءه من غير شعور منه ، فلما وصله صاحبه
اخذ الحمار ، وتعلق بالتلميذ ابن اليزيد ، مدعيا أنه هو السارق ، فقال له
ابن اليزيد ان كان الحمار حمارك فشأنك واياه ، والا فدعه لاربابه ، اما أنا
فانما أنا أفاقي اطلب العلم ، ولا ينبغي لى الاشتغال بمثل التلصص وما يشبهه
فلم يبال الرجل بكلامه ، ولج فى طغيانه ، وساقه مع الحمار الى اعيان السوق

(١) قد يستفاد من ذلك ان الكاتب جمع حياته هذه عام ١٣٥٠ هـ ولكن سياي

ما يدل على أنه جمعها بعد ١٣٥٦ هـ

ليطبقوا عليه قوانين السرة بالعقوبة المالية ، فسألوهم من أين هو ؟ وإلى أين يريد ؟ فأخبرهم بأنه راجع إلى بلده في عطلة العواشر ، وطلب منهم أن يخلوا سبيله ، فأبوا وسلموه للرجل صاحب الحمام ، يذهب به إلى داره مقيدا . حتى يبحثوا عنه ، ويذهبوا إلى أهله وذويه ، ليفتكوه بأعطاء المال ، فذهب به إلى مدرسه وهو (تيزيرت) والرجل يسمى ابن الفقير ، فجعله في بيت مظلم والطالب يطلب منه ويناشده أن يسرجه فأبى ، فلما أقام عنده خمسة عشر يوما ، ولم يسرجه بعد أنواع التملق والتضرع ، تحيل وكسر القيد نهارا ، وستره إلى الليل . فلما نام الناس ، وكان من عادة ابن الفقير رب الدار أن يقفل على الطالب ، وينام بباب البيت مع أولاده ، ففتح أسيره الطالب القفل دون مفتاح ولا كسر بل ثلاثة أقفال من حديد ، فخرج على رب الدار ، فاستل خنجرا علقه فوقه ، خوفا مما وقع فيه . فذبحه وذبح زوجته وذبح بناته الثلاث ، أمر همجي نادر ، وقتك ليث خادر ، فلما قتل جميع أهل الدار عمد إلى شهاب قيس ، وتبع الخوابي والصنادق . فاذا بخابية مملوءة بارودا ، مغطاة بجلد غليظ ، فظنها فضة . وذهب يكشف عنها ، وقابلها بالشهاب ، وسقط فيه نار ، فنقط به البارود فانهدم البيت بأجمعه ، وصارت الحيطان دكاكا ، فاستيقظ أهل البلد جميعا لدمدمة البارود وحادثه ، فهرع الناس نحوه فاذا منظر هائل من قتلى وسيلان دماء ، وخراب بياب ، فطلب الناس الأسير ظانين أنه محترق ، فاذا هو لم يصب بأذى إلا بعض القذى في عينيه منع من الهروب ، ووجدوه مختفيا في بيت حطب ، فلما أحس بالناس أخذ قلادة خشب لوز جديدة ، فضرب بها أول داخل فما أخطأ بطنه . فشقه فتقا ، ولكن الله سلم مصرانه ، فنجوا من حمامه لذلك ، فاخذوه وذهبوا به إلى وسط البلد ، وقيدوه وسألوهم عن كيفية قضائه على جميع أهل الدار ، فقص عليهم الجميع مع ثبات جاشه وانسراحه ، بشجاعة مانوزية مشهورة عندهم ، ثم قال لهم قد علمت أنني مقتول لامحالة ، وأنا مظلوم فاخذت بشاري أو ببعضه ، قبل أن تلعبوا بي أنتم وأولادكم وغلمانكم وأزواجكم ، على أنني تركت ورائي أسودا ضواريا ، لا يصبرون عني ، ولا يقنعون بما فعلت فيكم من القتل ، فاخذوه بعدما استتم كلامه . ونصبوه غرضا . حتى صار مثل القربال بالرصاص ، وأحرقوه فلم تؤثر فيه النار ، وأخذ بعضهم شلوه ودفته ، فما مضت أشهر حتى قتل فيهم أخوته وأبوه وعشيرته جماعة من قبيلة أيت عبد الله ، واستمر الحال على ذلك ، إلى أن توليت التدريس والامامة بزاوية مدرسة سيدي مسعود أفولوس عام ١٣٣٦ هـ فحاولت إطفاء تلك النائرة فسكت الناس مطرقيين أطراق الأفعوان ، إلى أن فرغت من وظيفة سيدي مسعود عام ١٣٤٨ هـ فهممت بالرجوع إلى بلدي ، وجمعت أموري عند القبيلة ، من حبوب ولسوز وادام ودراهم وغيرها متهيئا للزواج من بلدة (تيفراضن) (ذات الاغراس) بأم أولادي

ولقد خطبها بعض أبناء أعيان القبيلة ، فرددتهم أولياؤها خائبين ، ومالوا إلى أميلان كريمةتهم إلى جنابي ، فلما أولئك الخطاب إلى جميع الظنون ، فسدوا إلى أولياء المقتولين (أهل تيزيرت) وهم ولد المقتول ابن دا الفقير (١) في جماعة من أخوانه ، فلما عقدت على المذكورة في دارهم بالبلد المذكور ، وحصل الدخول ، وارخاء الستور هناك ، اغتاطوا وقاموا وقعدوا وأخذهم ما تقدم وما تأخر (٢) فتدخلوا مع أهل بلد (تيفراضن) ممن عادوا أصهارى ، وهم أبناء أبي العبد في المكر والوقوع بي ليلا ، عند رجوعي من المدرسة (المسعودية) إلى البلدة ، لأنني أبيت كل ليلة عند الأهل ، فاذا أصبح الصباح ذهبت إلى التدريس في المدرسة ، فلما رجعت إلى الأهل ، وقد حصرني الناس إلى أن دنا وقت العشاء ، ووصلت التلعة التي بأزاء برج أبسى الرغيف ، وكانوا قد برصدوني هناك ، فما شعرت إلا أنا وسطهم ، فقالوا لي لابد أن تتقدم إلى دارنا للمضيافة أيها الفقيه طوعا أو كرها ، فسدوا بنادقهم نحوي ، فساعتهم مخافة الوقوع في عذور أشد من الأسر ، فذهبوا بي إلى (تيزرت) ووصلناها نحو الساعة العاشرة ليلا ، لكثنا في الطريق ، ريشما ينام أهل البلد ليلا يتعرض لهم أحد في شأني ، فينقذني منهم ، فلما دخلت دار ابن الفقير جعل يؤنبني على ما فعل بهم الطالب المانوزي من القتل والخراب ، وقال لي معاتبا : انظر إلى الدار التي هدمها البارود ، ثم بعد ذلك كله أتيت أنت وراست القبيلة التنظيمية سنين ، وغلبتنا عليها ، ثم خطبت أمام أولاد أعياننا من غير مبالاة منك بأحدمنا ، فقلت لهم انكفوا عني ، فاني ضيفكم ، واقتلونني دون هذا اللوم والتوبيخ ، فانكفوا عني وأفاضوا على سجال الانعام تلك الليلة إلى أن أصبح الصباح يوم الجمعة ، فلم يشعر أحد من الناس بأسرى ، فلما قمينا من طعام الغداء ، أدخلوني بيتا وثيقا عاليا في سطح الدار فسدوا على الأقال ثلاثة ، ووضعوا على المراقبة والعسس في السطح وفوقه ، وخارج الدار ولم يكن للبيت منفذ تعلم منه الجهات ، فتوخيت جهة غلب على ظني أنها القبيلة وقرأت بعض أسماء الله ، ونشبت اظفاري في الحائط ، ولم يكن عندي موسى ولا خشبة ولا شيء يليق بالحفر ، ثم جعل الحائط يندك اندكاكا ، وينهدم انهداما ، كأنما ضرب بمرزبة (٣) فلما لم يبق للثقب المنقوبة إلا مثل الشفق مركته حتى صار واسعا ، يلج منه البعير دون عناء ، قصدا مني لذلك ، لما أعلم من أن الناس لابد من مجيئهم وإطلاعهم عليه ، فلما وسعته على ما ذكرت دفعته مرة واحدة ، فما شعرت بالعسس حتى رميت بنفسي في حوش فيه بقر

(١) دا أو دادا كلمة شلمحية يراد بها تعظيم من هو اسن من المتكلم ، وكانما يراد بها كبرى .

(٢) لفظ المثل هو : (أخذ ما قدم وحدث)

(٣) المرزبة بتشديد الباء وتخفيفها كالارزبة بكسر الهمزة : عصية من حديد

وقد كدت اسقط على متونها ، فانزعجت واجفلت مغرعة ، فلما وصلت الى الارض وثبت على حائط حائل بينى وبين الخارج ، وفيه الكنارية (التين الشوكى) الملتفة المشوكة ، فخرجت من ذلك كله ، كأنها مشيت على بسط الحرير والاستبرق . ولم يصبني أدنى أذى ، فلما رأى العسس قوتى وخفى المخالفة للمعتاد ، حصلت لهم الهبة والاندھاش ، وارتعدت منهم الفرائص ، على أنهم عملوا جهدهم . وسددوا نحوى بنادقهم ، وأرادوا الاحاطة بى كالهالة بالقمر ، فنهاهم بعض عقلائهم عن ذلك ، لما يتخوفون من العواقب فانتھوا فذهبت الى ذات الارحاء (تيزركان) لانهم اصدقاى وأعداؤهم ، فاسترحجت فيها قليلا ريثما يسكن الامر ، ويرجع عنى من البعنى من الاعداء ، ثم انطلقت الى ابناء سحنون . حيث ان المدرسة فيهم ، واقمت هناك أياما عند الاصحاب مثل الشريف مولاى الحسن بن محمد بن على من بنى الفقير التماجلوشنى المستوطن . (تيفلت) وغيره الى ان كان من امرى ما ذكره بعد .

ولعد الى ما كنا بصدده ، فلما خرجنا من مدرسة (اينغال) سلكنا الطريق الجنوبى الايمن ، وطلعنا مع بلدة تسمى (تيان) وهى مسقط رأس الفقيه العلامة الغيور السيد محمد بن عبد الله الكثرى ، واخوته الفقيه السيد أحمد وولديه الفقيهين السيد محمد بن عبدالله ، واخيه أحمد بن محمد ، وأدركنا الحر والقيظ . ودخلناها للقليلة ، فوجدنا مكتب جامعها مملوا بالصبيان المتعلمين كبارا وصغارا ، اكثرهم نجباء ، وعليهم فقيه مؤدب كالاسد الضارى . لا يفتقر عن الضرب والكيل والقيد والرمى بالاحجار ، ولا يفكر فى اى موضع يضرب ، واكثر ما يضربهم فى الرؤوس ، وترى الدماء سائلة على لباسهم . ولا ترى فيهم الا مجروح الراس خمسة جروح فاكثر ، فضلا عن الظهر ، ولا يلتفتون يمنا ولا يسرة ، الا ويرون الموت الاحمر . ولما دخلنا عليه فى مكتبه اشار علينا بالجلوس اذاءه ، ففعلت فسألنى فانتسبت له . ففرح غاية الفرح ، وقدم ما وجد عنده . فكلمته فيما يعمل من التعدى على التلاميذ . وطلبت منه التخفيف والرحمة عليهم ، وعدم التبريح فى الضرب وقررت له اقاويل العلماء المتبحرين فى تاديب المتعلمين وكيفيته ومقداره وموضعه ، وتلوت عليه قول الله تعالى (الرحمان علم القرآن) ولا يعلمه كثرة العصا والضرب ، وقلت له ان افكارهم اذا استرسلت عليها المشقة الفادحة تصير فى دله وبله وجهود عظيم ، ولا تعى شيئا ، ولا تستفيد مع عدم الطيب والصفاء من شوائب الطغيان . ورحم الله ابن مالك حيث قال فى الفيتة النحوية (طب نفسا تغد) ، فما كان جوابه الا قوله ان اولاد هذه القبائل لا يستقيمون الا بما ترى ، وقد جرباناهم وسسناهم بكل سياسة ، فلم ينجح فيهم الا الضرب والظعن . ولا ينجح فيهم الا ما ترى ، لانهم اهل خفة وطيش وسوء ادب ، وفيهم جسارة عظيمة وتكبر وتيه . فلا تلين قناتهم لغامز ، الا بما ترى

من المبالغة فى الزجر بالواعب والعصا ، والا سالوا عليك واحتفروك .
 ورحم الله زهيراً اذ يقول :

ومن لم يدد عن حوضه بسلاحه
 وابا الطيب اذ يقول :

اذا انت اكرمت الكريم ملكته
 وان انت اكرمت اللئيم تمردا
 ووضع الندى فى موضع السيف بالعلل

مضر كوضع السيف فى موضع الندى
 ثم قال على ان والديهم اذا لم يجدوا فيهم اثر الضرب ، ولو ثلث الدم وبلغ ثيابهم به بكثرة الجروح ، فانهم يرجعون الى باللائمة والعتاب ، كأنهم لا يريدون فى اولادهم الا كما ترى من العقاب ، وكثيرا ما ياتى احدهم فيقف بعدا متكئا ، او ينادى من وراء الحجرات : اضرب ولدى فانه ساكت لا عبلاه فلما فرغ من كلامه تأملته طويلا ، فقضيت العجب العجيب ، ورثيت لهؤلاء المعلمين المساكين الذين لا يستريحون من الضرب ليلا ونهارا من معلميههم ولا من والديهم ، ولا يقدرّون على الهروب لاي قبيلة او مكان الا زادوهم نكالا واذاقوهم عذابا وببلا .

قلت هكذا جل الانظار السوسية فى تعليم الاولاد من الافراط فى تعذيبهم كأنهم ورثوا هذه الخطة كابرا عن كابرا ، بل اكثرهم متخلفون بهذه الدراسة والقساوة ، بحيث اذا لم ينهمكوا على تعذيب المتعلم ، يحصل لهم المغير الظاهر ، والقبض والصداع ، طبيعة منهم او تطبع ، حتى ان اكثر الصبيان المتعلمين يحصل لهم الذعر الكبير فى منامهم ، والفزع المخالف للعادة عند نعاسهم ، لما يخيّل لهم من وثبات المعلم المتسلط عليهم ، فمنهم من يصرخ ومنهم من يتلو القرآن او غيره بالانزعاج (١) والفزع ، ومنهم من يستغيث بانه او يمن يرثى لحاله من قريب او حميم ، فانى يغاث ، وربما يخيّل اليه انه ملقى فى بارود ، او واد او بحر او جرف . مما يفعل اكثر المؤدبين بهم نهارا ، لان اكثرهم اذا ارادوا تعذيبهم يعلقونهم فى بعض الاوتاد او الحبال فى الهواء ويوقدون حولهم نارا تلفح وجوههم وتشوى ارجلهم ، (٢) وتؤثر الحبال

(١) استحضرت الان آتسى يوم خنت ، نمت فقالت لى امى صباحا انك كنت هول فى منامك (ياسيدى اننى سأقرأ ، ثم صرت تقرأ حزب ولا تجدلوا) وقد كانت رحمها الله كلما أريتها مقرص الاستناذ او ملطمه تقبله وتقول ان هذا العمل منك لن تمسه نار جهنم ، وذلك مما وقر فى النفوس من تعظيم العلم وعلمه ، وخصوصا كتاب الله تعالى ، فكل ما قاله الكاتب عن السوسيين فى هذا الباب صحيح

(٢) وقد يلقي البعض منهم فى النار ملحا فيتطاير شرره الى جسد الطفل المسكين المعلق

الليبية في اكفهم ، فما اقصى هذه القلوب ، وما اقصى الرحمة عنها ، ان الله وانا اليه راجعون ، حتى ان اكثرهم اوكلهم يحصل له الفرح العظيم اذا قيل له مات معلمه او والده ، فيتبدل حزنه سرورا ، لما يأمله من دنياه ومعاشه من استراحة ، بل كم من معلم يضرب المتعلم حتى تفيض روحه الى رحمة الله . كما ان كثيرا من المتعلمين قتل معلمه بمسدس او خنجر او بندقية ، او غير ذلك رجاء الاستراحة منه ، فلينظر العاقل الى هذه الطامة ما اعظمها ، والى هذه الداهية ما اعظمها ، دماء تسفك من معلم ومتعلم ، لماذا ؟ وفيماذا ؟ للجهل والجفاء والهمجية ، بل يتقدم اكثر الآباء الى المعلم بالضرب المبرح للولد ، واذا مات منه فهو برىء من دمه (١) ، حتى صار ذلك ديننا ، وعادة بين الآباء والمؤدبين ، فيصير الابناء بينهما في خطر عظيم ، وكل ذلك من اجل اعتقادهم انه لا يحفظ القرآن الا من قاسى من اجله العناء الكبير ، ولم يعلموا ان الرحمان علم القرآن ، ويسره للذكر فهل من مدكر ؟ وانه نور يضعه الله في قلب من يشاء من عباده ، وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء .

وقد تكلمت مع بعضهم في شأن تعذيب الاطفال المتعلمين ، وجدته في بعض المكاتب يفتك بهذا ، ويهدد هذا ، فزجرته فلم ينزجر ، حتى هممت به بعدما سببت وجعته . وحلفت انه ان عاد الى الضرب وانا حاضر لانكلن به وان كان من اهل العلم ، فقال : اما سمعت ياسيدي قول الامام الشافعي رضي الله عنه :
تصبر على مر الجفا من معلم فان رسوخ العلم من جفواته
ومن لم يدق ذل التعلم ساعة تجرع كأس الجهل طول حياته
حياة الفتى والله بالعلم والتقى اذا لم يكونا لا اعتبار لذاته
فقلت له تبأ له ، هل قال او هل قال : تصبر على مر الموت بدل مر الجفا ؟ وهل قال رسوخ الموت بدل رسوخ العلم ؟ وهل قال ذل التعلم او سم الموت ؟ فسكت وقال : سامحنى ياسيدي والله لا اعود لمثله ، فصار دينه الرفق بالصبيان الى آخر عمره .

ولما دخلنا (تيان) كما تقدم ، وسمع بنا العلامة السيد محمد المذكور واولاده النجباء ، وكانوا قد قدموا من مدرستهم باسفل الوادي بوادي (تيملت) خرجوا الينا طائرين بالفرح والسرور ، لما بينى وبينهم من الالفة والمحبة المتينة ، ورحبوا بنا وبيتونا واسبغوا علينا من سجال النعم ما شكرناهم عليه سائر الدهر ، واطلعونا على خزانة كتبهم العظيمة المستفحلة ، فوجدنا فيها من فنون المخطوطات القديمة شيئا كثيرا ، وهي نظيرة خزانة السيد العلامة المحقق الميرزا الحسن بن الطيب الواغزني الوادري ، واولاد ابن الفقيه الاسفركيسيين الا ان يد الدهر عنت على خزانة السيد الحسن (٢) لما ثار

(١) كثيرا ما يقول الآباء للاستاذ : اقتل وانا ادفن

(٢) هذا هو الثائر على الاستعمار بأيت باها الشهيد المشهور رحمه الله .

هل الدولة ، وقتل وهدمت دياره ، ولله الحمد خزانة اوائل المحرم عام ١٣٥٥ هـ (١) ولما اطلعت على هذه الخزانة هدمت بتقيد بعض الكتب القديمة منها . ولكن لسبق وقت السفر استعجلت بعض الاصحاب

الخزائن السوسية

ان خزائن الكتب السوسية القديمة كثيرة ، ولكن قد عنت على جلها يد الرمان لطول العهد ، وبعد مدى الازمنة الخالية من اصحابها ، ولان غالب اصحابها لم يترك ورثة ممن ينهج طريقه العلمية المثل ، ولا باس ان نذكر بعض ما راينا وشاهدنا ، او سمعنا به قديما وحديثا ، فالمكتبة الكرسيفية الامانوز مكتبة جامعة لانواع الفنون العلمية ، وقد ابتداء جمعها من صاحبها العلامة الولي الصالح شيخ مشايخ وقته بسوس الاقصى السيد ابي يحيى ابو بكر بن نعمان دفين (تادارت) بوادي (تيملت) بجبال جزولة جد كل كرسيفي وهو من اهل القرن السابع الهجري توفي عام ٦٨٥ هـ كما تقدم ذكره وهو (٢) من اهل الاندلس الراحين الى هذه العدو لما انقرضت ايام عائلته الاموية ، لانه من سلالة اiban بن عثمان بن عفان رضي الله عن الجميع ، واستوطن كرسيف (بازة) ثم تحول منتقلا من تلك القرية الى سوس مع اخوانه وكثير من اقاربه بني امية ، لاهور ضرورية الجائهم الى ذلك ، شأن المغلوب عليهم من كل اهل دولة في التفرق والتشعب في الآفاق والاقطار ابادى سبا ، الى ان وصلوا الى (بوازيقت) (تعريبها الطوية) وهي قبيلة صغيرة في عداد سملالة ولربما فيها جل اخوانه ، وذهب بعده الى وادي (تيملت) حيث مدفنه الان ، فاشتغل بشر العلم وبثه وارشاد الخلق ، وتخرج على يده علماء كثيرون من الاقطار الجزولية ، وجمع من الكتب شيئا خارجا عن المعتاد في زمانه ، مع ما جلبه من بلاد الاندلس من الكتب النفيسة والمخطوطات الفاتحة البارة ، وقد اعانه على الحصول عليها احوال الاندلس وتطورها بتبدل الدولة اللمتونية الامانارتية السوسية (٣) بالدولة الموحدية الهرغية السوسية ايضا اوائل القرن السادس الهجري ، فحصل في خزائن الاندلس من الدولة الموحدية الهرغية عند اول دخولها الى الاندلس من النهب والفتك والايقاع بالعظماء من الدولة ما سطر في التاريخ ، فحصل الجد المذكور على كتب نفيسة من خلال

(١) من هذا نستفيد ان هذا التقيد جمعه الكاتب بعد عام ١٣٥٥ هـ

(٢) بل ان الذين جاءوا هم اباؤهم ، لان اعمامه وجدته كانوا يسكنون قباة همرية (بوازيقت) بسملالة ، كما ذكره محمد بن الحسن منهم ، وعبارة هذا الكاتب هنا تخالف ذلك

(٣) سماها الامانارتية وسوسية لان عبد الله بن ياسين تمانارتى سوسى

تلك القلائد ، وخرج الى (كرسيف تازة) ثم وقع لاحفاده ففى اخر هذا القرن السادس ما يوجب النقلة الى (كرسيف اسانوز) بالسوس الاقصى قسموه (١) بعد استيطانهم فيه باسم البلدة الاولى وهى (كرسيف تازة) تذكارا للمعاهد الاولى ، فاسترسل فيهم العلم والفضل والدين والصلاح قرونا عديدة ، ونبغ فيهم عدة من ائمة الدين والعلماء الى القرن الحادى عشر ، فتفرقت اراؤهم ، واختلفت أهواؤهم فتفرقوا فرقتين فرقة بنى الغازى وفرقة بنى ابي زيد ، وهما اخوان لاب وام ، فوقع بينهما القتال والعداوة والترحيل والتخريب والنهب ، وتفرقت فيهم تلك المكتبة العلمية التى طالما اشرفت اشراق الغزاة فى ضحاها ، وسرت مسرى الامثال باستفحالها ، وعدا عليها جور الدهر فحماها ، وطحنها ايدى الخونة والفجرة من اولادهم برحاما فظالما حاول النبغاء بعد ذلك جمعها فى النواحي الدانية والقاصية ، فما استطاعوا ولاحصلوا على طائل ، الى ان نبغ فى القرن الثانى عشر اكبر علامة منهم وهو من بنى ابي زيد
بأنكيو واخذ

عن علماء البلاد الجزولية ، وارتحل للمشرق فجال فى الحرمين ومصر واخذ عن اهلها ، ورجع وبنى مدرسته المعروفة بأنكيو ، وجمع كتب كثيرة ، ولكن مالبث ان توفى ، وتفرقت شأن اختها الاولى فى النواحي ، وقد رايت منها بتحت الحصن يعنى (دوكدير) بالغ ، فى مكتبة شيخنا العلامة سيدى على ابن عبد الله شيئا كثيرا يزيد على المائة مجلد ، كلها بخط اليد ، وغالب خطها اندلسى ومصرى ، وقد باع احفاده الجميع بالبخس لانهم غاميون اميون . وليس فيهم من يتهجى ، فضلا عن ان يترجى ، وقد استعرت منهم كتب قليلة استردوها ، كما نبغ ايضا من أبناء الغازى العلامة السيد احمد بن بلقاسم العلامة المشهور ، وسلك طريق الاول من التجول عن الاخذ عن العلماء الجزوليين والارتحال الى المشرق الحرمين ومصر ، واخذ عن اهلها ، وقد اطلعت على اجازة المشاركة له ، وهى عندى بنصها وفصها ، ثم انقضت ايضا خزانته اعوام التسعين فى القرن الثالث عشر ، لما ذكرنا عن احفاد الجميع ، رغما عما ترك هذا من الورثة العلماء الى زماننا هذا ونبغ بالطويلة السملالية ايضا فى هذا القرن الشيخ السيد محمد بن الحسن التوغزيفتى فجمع من الكتب ما جمع فسلك مسلك الدين ، وكذلك نبغ فى (اسكاور) عدة لا يستهان بهم ، وقد ذكر الشيخ العلامة الولي السيد عبد الرحمان بن عبد الله الجشتيمى التيملى فى فهرسته ، والشيخ العالم الاهام الحضيكي المانوزى فى طبقاته كثيرين منهم فليراجعها من اراد الزيادة .

ومن المكاتب العلمية العظيمة ذات المخطوطات ، مكتبة الامام الولي الشيخ

(١) هذا فى عهدة المترجم . ولوقال لاجداده بدل احفاده لربما تلاءم الكلام فى الجملة .

الاهام العالم العلامة الرحالة الشهم المذكور ، الطيب الثناء والعطره . السيد محمد - فتحا - بن احمد الحضيكي التارسواطى مدشرا المانوزى قبيلة ، الايسى مدقنا ، ولسبب جمعها ايضا انه لجول للاخذ والتلقى عن فطاحل علماء زمانه فى الاقطار السوسية ، وطاف على علماء ولتية ودرعة وغيرهما . ثم سافر الى المشرق اواسط المائة الثانية عشر بعد الالف ، وقد كتب رحلته ورجع ايضا ، واخذ عن علماء الحرمين واليمن والهند والعجم والشام ، واقام بمصر سنين للاخذ عن فطاحلها ، وجمع من الكتب النفيسة شيئا كثيرا ، ورجع الى (وادى ايسى) وبنى المدرسة القلالية مجددا لها ، واشتغل فيها بنشر العلم ونشره ، وجمع من الكتب السوسية الجزولية شيئا كثيرا ، وقد رايت بخطه انه جمع فى اوليته تسعمائة مجلدا ، وأما فى اخرياتة فلا تسال ، وهو من المشايخ العظام فى زمانه علما وعملا ونشرا ، وتلامذته اشهر من قفا (١) وقد تخرج عليه ما لا يحصى كثرة ، وقد تعرض لذكر بعضهم الشيخ العلامة سيدى عبد الرحمان الجشتيمى التيملى فى فهرسته (٢) ، وتوفى الحضيكي عام ١١٨٩ هـ وكانت ولادته عام ١١١٦ هـ وترك ولديه علامتى الدنيا واماميهما السيد احمد والسيد عبدالله ، واسترسل العلم فى اولادهما الى انقراض اخر علماءهم وهو الفقيه العلامة السيد محمد (ضمنا) بن محمد (فتحا) بن احمد بن محمد (فتحا) بن احمد الولد الرابع ، فتفرقت خزانته المذكورة ايدى سبا ، شأن السالفين الذاهبين ، ولكن اكثر ما تفرقت هذه على يد العالم الاخير السيد محمد (ضمنا) بن محمد (فتحا) فانه هو الذى قضى عليها لما وقع بينه وبين ابنه عمه السيد الحسن من الفتن العظيمة التى ادت الى قتل وتخريب ولهب وحلا الفقيه المذكور من بين المذكورين الى حيث اولاده اليوم : الم رابط السيد حسنى بن محمد . وبنى فيه الدار فوق مقبرة السيد ميمون ، وسكن معه والده المذكور ، وقد ناف عن تسعين ، وشاخ ، وذهبت ثروته المعروضة للفتن . وبعد ادمال بيع الخزانة المذكورة الحاقلة ، الى ان قضى عليها ، وقد اشترت منه رحمه الله عام ١٣٢٣ هـ اربع مجلدات منها ، وجلها من المخطوطات المصرية ، ومن بينها الاسطرلاب النحاسى من الطراز القديم ، الذى لانظير له فى زمانه واسترده منى ولده المذكور ، فاخذ منه حفيده ولد ابنته الفقيه السيد الحاج المحفوظ بن احمد الاهامدى الحضيكي - بالختولة - وسافر به الى (مزوضة) ايام التعاطى هناك ، فقلبه عليه شيخه الفقيه السيد الحنفى صاحب زاوية مزوضة الى هلم جرا ، وقد الحجت عليه مرارا فى استرداده منه ، فلم الف

(١) تقدم فى حاشية قبل هذه تبين مراده بقفا ، فلتراجع فى اوائل الترجمة
(٢) يعنى بفهرس الجشتيمى كتاب (الحضيكيين) اوقد خرجناه وهياناه
الطبع ان شاء الله

لى عنده اذنا مصغية ، وقد ألف الشيخ سيدى محمد بن احمد الحفصيكى المذكور
تتاليف عديدة ، وتصانيف مفيدة ، منها طبقاته المسماة عندهم بالنقاب ، ذكر
فيها جل علماء سوس ، ومنها شرح الرسالة ، وشرح الهمزية والبخارى .
ولكن لم يكمل ، وغيرها مما يناهز ثلاثين (١) مؤلفا ، وكان رحمه الله كثير النسخ
للكتب ، نسخ كتباً عديدة بيده ، بحيث لا يفتقر ليلاً ونهاراً متى أمكنته فرصة
حتى انه اذا لم يكن له ادم القنديل ليلاً ، ندب امرأته أن تشعل له النار بسعف
النخل وتأخذها بيدها ، وتضيء له الى آخر الليل ، وهو يكتب وينسخ ويقيّد
وذلك لعدم وجود الشمع عندنا بالسوس الاقصى فى ذلك العصر ، لانه انما حدث
عندنا بكثرة فى أيام السلطان المولى عبدالعزيز من عام ١٣١٢ هـ حيث كان
بعض أهل قطرنا يسافر الى فاس وطنجة ومراكش قياتون به ، وكان الناس
قبل ذلك لا يستصبحون الا بالادام من زيت او هرجان او سمن او اعواد هرجان
وغيره .

ومن المكاتب مكتبة (اسفر كيس) زاوية الايبوركيين ، وقد جمعها الاولون
منهم باعثناء ، وبلغت من العظمة فى القرن الحادى عشر ما قل وجوده عندهم
ثم استرسل العلم فى حفدته الى عصرنا هذا والى غد ، فتوارثها علماءهم وغيرهم
فتفرق معظمها لذلك ، وقد زرتها عام ١٣٤٥ هـ ورايت فيها من الخطوط
الشرقية القديمة كتباً كثيرة ، وفيها خط سيدنا على بن أبى طالب فيما يزعمون
وقد رايت له ولكن استبعدت ان يكون خطه لامور ، منها انى قد اطلعت على خطه
المكتشف فى هذه السنين فى المشرق واخذ بالفتوغراف (التصوير الضوئى)
وهو كتاب النبى صلى الله عليه وسلم الى هرقل بخط الامام رضى الله عنه ،
فوجدتها متنافية فيبعد أن يصح انها معا خطه ، ومنها بعد الازمة وتطاولها
على ما فيها من الفن القاضية على الآثار القديمة

ومن المكاتب العظيمة مكتبة السادات اليعقوبيين الادوزيين التى اسسها
شيخ الجماعة بادوز (٢) فى وقته ، العلامة المحرر المؤلف المحقق السيد عبد
الله بن يعقوب دفين (تازموت) بسملالة ، وفيها كثير من منتسخاته كالمعار
القديم ، وقد زاد فيها ولده علامة زمانه سيدى بيورك بن عبد الله الذى توفي
من غير عقب ، وكانت من الضخامة بالمحل الذى لا يدرك ، بحيث جمعت من
الكتب النفيسة . والفنون المتنوعة . ما لا تجمعها خزنة فى عصرها ، وناهيك
بصاحبها الذى بلغ هو وآلاده واحفاده من الشهرة الشهيرة ، والصيت البعيد
ما قل ونذر لغيرهم ، الى هلم جرا ، وقد قيل لم يبق فى جميع الاقطار السوسية
من لم يأخذ عنه ، كما يحكى عن أبى مدين التلمسانى ، والشيخ الداودى المرى
بفاس فى زمانه ، والشيخ محمد كنون فى عصره القريب ، والشيخ سيدى

(١) راجع (سوس العامة)

(٢) كان عبد الله بن يعقوب وأهله فى (تازموت) أولاً ثم لم ينتقل الى (ادوز)
الا احفاده

محمد بن ابراهيم التامانارى ، والشيخ أبى العباس السيد احمد بن عبد
الرحمن المسكنادى المازوى ، والشيخ السيد محمد بن احمد الحفصيكى
المازوى ، والشيخ سعيد بن عبد المنعم الحاحى الداودى ، وولده عبد الله
ولده يحيى بن عبد الله ، والشيخ احمد بن محمد التاكوشتى الصوابى ،
والشيخ السيد محمد بن يحيى الشبى (الازاريفى) والشيخ سيدى احمد بن
محمد التيمكدهشتى فى عصره القريب ، والشيخ سيدى سعيد الشريف الكثرى
الادام محمدى الهشتوكى فى عصره القريب ، وغيرهم من فطاحل السوس الاقصى
وسندكرم ان شاء الله فى موضع غير هذا ، ولزال العلماء الى الان بادوز من
اعقاب الشيخ المذكور ، وخاتمتهم علامة زمانه السيد محمد بن العربى ، وابن
عمه الشيخ السيد المحفوظ بن عبد الرحمان ، والشيخ السيد عبد العزيز
بن محمد ، وهؤلاء الثلاثة معدودون من أشياخنا (١) رضوان الله عليهم
وجل هذه الخزنة موزعة بين هؤلاء الاحفاد وغيرهم ، رغما عن رئاسة الفقيه
ابن العربى المذكور الواضعة عليها اليد الحافظة ، ولما توفي عام ١٣٢٣ هـ ،
تولاهما الشيخ (٢) المحفوظ المذكور الى ان توفي عام ١٣٥١ هـ وبقيت بيد ولده
عيسى وابناء عمه وأخوانه ، وعلى كل حال فلم يحصل فيها من الاضمحلال ما
حصل للخزائن المتقدمة ، لمحافظة الشيخ محمد بن احمد بن محمد صاحب شرح
الالفية وغيره عليها ، وقد توفي عام ١٣٢١ هـ

ومن المكاتب مكتبة سادتنا الكراميين اهل (تازموت) من أهل القرن
التاسع ، البالغة من الجزالة مبلغاً عظيماً ، ناهيك بالفحل العظيم الذى جمعها
وهو شيخ الطريقة والحقيقة العلامة سيدى سعيد بن اكرامو ، وقد أخذ عن
مشايخ السوس والمغرب ، وتجول فى أنحاء المغرب للاخذ ، فبرع فى الفنون
وفاق فيها رواية ودراية ، وقد كانت تحكى عنه حكايات عجيبة فيما بينه وبين
ملوك وقته ، حتى ارجبهم فهاجوه (٣) وله باع عظيم فى الحكمة وعلم الجدول

(١) توفي ابن العربى ١٣٢٣ هـ فلا يمكن ان يأخذ عنه الا بواسطة ، وعبد
العزيز ١٣٣٦ هـ والمحفوظ ١٣٥١ هـ وهذان ممكن أن يأخذ عنهما بالاجازة ، لان
له همة فى مثل ذلك . وأما أنه أخذ عنهما دراسة فلا .

(٢) فى أدوز ثلاث خزائن كبرى : خزنة محمد بن العربى التى ورثها عن
أبيه ، وتحتوى على تفائس ، وهى فى يد ولده سيدى احمد ، والثانية خزنة
سيدى عبدالعزيز ورثها عن جدوده المتسلسلين بالعلم من عهد جدهم ، وهى
فى يد ابراهيم ولده ، والثالثة للاستاذ المحفوظ كونها لنفسه بنفسه ، وهى
فى يد ولده سيدى عيسى ، وهذه الثلاث كلها مصنونة الى الآن راجع (سوس العامة)
(٣) يشير الى حكاية فى كتاب (بشارة الزائرين) والله أعلم بصحتها ، وقد
ألف أحدهم فى أخبار هذا البيت وغيره ، وقد خرجته وهيأته للطبع ان شاء الله
وفى تراجم التاماناريين تراجم الكراميين هؤلاء ، لانهم أشياخهم (القسم الثالث)
من هذا الكتاب

والأوقاف والطلاسم ، والاستخراجات والرياضات والتعاليم وغير ذلك ، وقد جمعت خزائنه من هذه الفنون ما عجز وجوده في غيرها ، والف هو أيضا في كل موضع مما ذكر وتوفي عام ٨٨٢ هـ وبنته بيت علم وحكمة ، وقد تسلسل فيهم العلم والعمل زمانا طويلا الى القرن الثالث عشر ، ونبغ فيهم فحول علماء أدباء حكماء ، تضرب بهم الامثال في ذلك كله في تلك البلاد ، وانتسابهم فيما هو المندون في تتاليهم ورسومهم الى الامام ابي بكر بن العربي الماعفري دفين باب محروق بفاس المتوفى عام ٥٤٤ هـ قلت والماعفري قبائل كثيرة في نواحي تامانارت ، وقد سكنوا فيها بين بلاد قصبة تامانارت الى قرية (ايشت) من القرن الخامس في اوله في مدينة تسمى الفانجة (١) ذات نخل واعنابوعيون وفواكه مما يشتهون *

ومنها الامام عبد الله بن ياسين (٢) معين اول ملوك لتونة ، وغيره من فحول العلماء ، وآخرهم الامام ابو زيد عبد الرحمان التامانارتي صاحب (الفوائد الجمة) وغيرها

ثم خالطتهم القبائل الصحراوية مثل (بنو اسبا) و (الركيبات) من عرب معقل بالغارات تارة ، والنهب والتخريب والافساد تارة ، فجعلوا ينتقلون شيئا فشيئا الى نواحي السوس حيث يامنون على انفسهم واولادهم ، الى ان اخلوا بلاد الفانجة آخر القرن الثاني عشر ، فصارت خرابا يبابا ، لا ينس فيها الا اليعافير والالاعيس ، فغارت مياهها من عيونها واوديتها ، وبست اشجارها فصارت كان لم تغن بالامس ، بعد ان كانت محط الرجال ذوى الفهوم والفنون وقد تجولت في تلك النواحي واطلعت عليها وعلى مقبرتها العظيمة الدالة على عظمة هذه المدينة ، ورأيت من احوالها ما هالني ، وذلك عام ١٣٤١ هـ حين تجولت ببلاد القبلة التامانارتية (أكرض) و (القصبة) واقمت فيها نازلا على القائد الانجب الاديب (٣) الارب البشير بن عمر ابن الحاج احمد الشريف الكثير اصلا ، التامانارتي وطنا جزولي جيلا وله خزانة كتب تاريخية علمية تكلمت على احوال (تامانارت) واجيالها المنقرضة حوايلها ، ويلوح لمن تأملها ان تلك الاجيال كلها عرب لابريز بينهم ، وان جلهم انسلوا أيام الفتوح المروانية الاموية في القرن الاول والثاني الهجريين ، من زمن عقبة بن نافع رضي الله عنه ، وزمان الوليد بن عبد الملك وغيره من اخوته الخلفاء الى هذه النواحي الصحراوية السوسية (٤) ، من جهة افريقية الشمالية ثم تناسلوا

(١) المدينة المشهورة هناك هي (تامدولت) المؤسسة نحو ٢٢٠ هـ و تامانارت هي التي توصف بهذه الاوصاف ، ومنها ابن ياسين ، ولعل الكاتب وقف على ما يدل على أنها كانت مدينة ، نعم في التاريخ ان (تامانارت) تسمى قاعدة جزولة (٢) وقفت على ان نسبة ابن ياسين في عداد السملاليين ، والبيت الياسيني المنقرض في فاس اليه ينسب

(٣) لو قال الادب لصادف الصواب لانه كريم ولايمت الى علم الادب

(٤) لم يدخلوا الا بعد القرن الخامس الى ناحية سوس

واكثروا واثروا ، الى ان همروا تلك البلاد ، وجلهم يتكلم بالعربية الفصحى السليقية (١) لهذا العهد القريب ، وفيهم الغرائز العربية من كرم مفرط ، وشجاعة خارجة عن المعتاد ، ومراعاة الجوار والعهد ، والمحبة للضيف والقرى وللناس في ذلك عنهم حكايات عجيبة ، وقد خالطناهم أيام الزراعة بالمعدن الجنوبي ، وما زالوا على هذه الحال

ومن المكاتب الضخمة مكتبة (تيمكيدشت اكنان) في عداد (امانوزايسي) واول مؤسسيها الولي الصالح الفقيه السيد احمد بن محمد بن ابراهيم الميموني المستوطن فيها عام ١٢٣٦ هـ أيام السلطان الصالح المولى سليمان بن محمد بن عبد الله العلوي ، بأمر من شيخه الولي الصالح الحاج عبد الكريم دفين (ايغد) ب (امانوز) وكان المذكور في خدمته بعد ان تخرج على جماعة منهم الشيخ السيد ابو القاسم العالم الغازي الكرسيقي ، ومن اراد اخباره فليراجعها في مناقبه وهي في مجلد ضخ (٢) ينيف عن ٤٠٠ ورقة

وشيخه هذا هو الذي أسس مدرسته ب (تمكيدشت) وان كانت قبل ذلك قرية علمية لسكانها انقدماء ، وهم المرابطون آل حسين (٣) اولاد الولي الصالح ابوبكر بن نعمان المسمى بابي يحيى دفين (تادارت) الكرسيقي

ولما أسس فيها هذه المدرسة في التاريخ المذكور ، وزاحم الكرسيقيين أبناء حسين نازعوه في ذلك زمانا ، الى ان قطع السلطان المولى عبد الرحمان نزاعهم بالحكم عليهم للشيخ السيد احمد بن محمد المذكور ، وتولية امر المدرسة والتصدر فيها للتدريس والاقراء الى ان تخرج على يديه جماعة كثيرة ، قد جمعهم بعض تلامذته بالتأليف (٤) حيثما كانوا في زمن سيدي الحسن ولده اعوام التسعين ، بلغت خزانة (تيمكيدشت) مبلغا عظيما من الكتب الخطية ، ولما توفي الشيخ السيد الحسن بن احمد عام ١٢٩٧ هـ تولى امر الزاوية السيد الحنفي ، فلما توفي تولاها ولده : شيخنا السيد الهاشم بن الحنفي فزاد فيها اضعافا مضاعفة ، وله همة واعتناء كبير بجمع الخزائن السوسية المخطوطة في جميع الاقطار ، بحيث لا يسمع بموت عالم أو غيره ممن له خزانة الاودس اليه من يشتريها منه ، فصادف ابان انتشار الآلات المطبعية ، فاشترى ما يفوت الحصر ، من مؤلفات اهل المشرق ، من مصر والحرمين واليمن والعجم والهند ، ومؤلفات اهل المغرب من تونس وفاس ومراكش وغيرها ، فصارت

(١) هذا في عهدة هذا الكاتب

(٢) عندي وقد أهبطه كذلك للطبع ان شاء الله وهو السدي الفه العربي المشرفي نزيل فاس

(٣) من هؤلاء أبناء حسين في اكلو

(٤) هو الكتاب المسمى نفسه ذكر فيه أيضا تلاميد

خزانتهم من أهم مكاتب السوس الأقصى ، نظيرة المكتبة الزيدانية بمكناس ،
والمكتبة الكتانية بفاس (١)

ولما توفي السيد الهاشم عام ١٣٤٦ هـ حافظ على هذه المكتبة الحافلة
ولده القائد محمد التيمكيدشتي ، ولا زالت الى الآن محفوظة محروسة ، لم
يتطرق اليها أى فساد أو خلل ، ثروة هذا الولد ، ونفوذه الحال ، وقد
طالعت معظمها أيام اقامتي مدرسا بالزاوية (التيمكيدشتية) عام ١٣٢٩ هـ وهي
روضة أريضة بأنواع العلوم ، وغالبها من المخطوطات التي لا يوجد لها
بالسوس نظير .

ومن المكاتب مكتبة الجشتيميين بوادي (تيملت) قرية علمية ازاء جبل
الكست ، أعلى وادي (تيملت) ومؤسسها بعد اندثارها في القرون الوسطى
الى القرن الحادي عشر العلامة الهمام السيد عبد الله بن محمد الجشتيمي
الآخذ (٢) عن الشيخ الامام الشهير محمد بن أحمد الحضيكي المانوزي ،
واشتغل بجمعها بعد تأسيس مدرسته في (ايمن او كشتيم) في آخر المائة
الثانية عشرة بعد الالف ، وخلفه العلامة السيد محمد بن الحسن بن عبد الله
ابن محمد المتوفى عام ١٢٨٠ هـ وهو شارح الشفاء (٣) وزاد فيها ولده علامة
زمانه بالامنازع السيد عبدالرحمان صاحب الروضة المخصصة فيه الآن ، وهو
ناظم عمل السوس الأقصى نظما فانقا ، وله تأليف أخرى ، وله فهرست في
جميع الأخذين عن شيخه (٤) محمد بن أحمد الحضيكي المانوزي المتقدم الذكر
الى أن توفي عام ١٢٦٩ هـ في ثامن رمضان منه ، فخلفه ولده العالم العلامة الامام
الهمام ، الاديب الناظم النائر ، علامة المغرب على الاطلاق في زمانه ابو العباس
سيدى الحاج أحمد بن عبدالرحمان الجشتيمي ، وستترجم له بين اهله ان
شاء الله ثم زاد في هذه الخزانة زيادة كثيرة ، وساعده فيها انبساط نفوذه
العلمي الروحي على جميع بسائط المغرب وجباله ، فضلا عن الاقطار السوسية

(١) الحق احق ان يقال ، وأن التنقيح كفيلا بالتصحيح ، فقد تكون مثلها
عددا ولكن لا يرى ان يكون فيها مافيهما من الكتب القيمة ، لان صاحبي تينك
المكتبتين تفرغا لهما وتمكنا مما لم يتمكن منه السوسيون من الوسائل .
والحواسر يحيى اليها ثمرات كل شيء

(٢) المنصوص عند أبي زيد أن أخذه كان من تامكروت فهو من أقران
الحضيكي اللهم الا اذا أخذ عنه اجازة

(٣) بل الشارح سيدى عبد الله نفسه ، ثم أن الذي خلف عبد الله هو ولده
أبو زيد لا محمد بن الحسن الذي كان كاحد ابناء أبي زيد وفي طبقتهم

(٤) لم يأخذ أبو زيد عن الحضيكي فقد ولد أبو زيد ١١٨٥ هـ ومات الحضيكي
١١٨٩ هـ

وناهيك بمن بلغ مرتبة اعادة السلطان المولى الحسن في خاصة نفسه سنين
عديدة ، ومدة مديدة اكتسب بها من الشهرة مالا يزيد عليه ، ولكن قسم هذه
الخزانة قسمين بحسب اقامته ، قسم منها في وطنه الاصل (ايمن او كشتيم)
والقسم الآخر في (تيسوت) بفاحية (تارودانت) لانه رحمه الله يتناوب
القريتين بالاقامة ، الى آخر أيامه ، فانقطع بـ (تيسوت) لامور محدثة في
قبائل (تيملت) من سرية وجهرية لم يرتضها ، فلازم (تيسوت) منقطعا عن
العلاق الدنيوية ، زاهدا في الدنيا ، غير ان الدنيا جاءت به راغمة ، حتى صارت
الرحلة في زمانه بالسوس لاتعداه ، وكان انقطاعه بقرية (تيسوت) من عام
١٣١٤ هـ الى أن توفي فيها في ٢٠ ذى القعدة عام ١٣٢٧ هـ فدفن فيها ، وعليه
قبة حافلة وموسم شهير الى الآن والى غد ، فخلفه هناك ولده الفقيه سيدى سعيد
كما خلفه في وادي (تيملت) ولده سيدى عمرو ، فانقسمت الخزانة بينهما
نصفين ، مع ما يعثر بها من النقصان كل حين من استعارات تلاميذهم منهم فيها

وقد اطلعت على خزانة الفقيهين السيد الحاج أحمد بن عبد الله أقاريض
الصوابي (وتعريب أقاريض : الفلس) وخزانة شقيقه العلامة السيد محمد بن
عبد الله ، فرأيت كتبا كثيرة مأخوذة من تلك الخزانة الجشتيمية ، فبحثت عن
السبب فظهر لي أن أكثرها بالاعارة لما بينهما من المصاهرة ، لان تحت
الفقيهين الصوابيين ابنتي الامام أبي العباس الجشتيمي المذكور ، ولما توفي
ولده سيدى عمرو عام ١٣٤٦ هـ (١) صفا الجو لصهرية هذين فأخذوا معظمها
بالآلام ولاعناء ، لانه لم يترك الا ولدا واحدا أميا مقهورا تحتها ، وتوفى
السيد سعيد بـ (تيسوت) عام ١٣٣٤ هـ وترك ولدا اشتغل بالعلم اسمه محمد
والكل من ثقات أصحابي (٢)

ومن المكاتب الضخمة ، مكتبة الشيخ ماء العينين بن مامين القلقمي
الصحراوي دفين (تيزنيت) فانها مكتبة عظيمة ، لا تقل عن مكتبة (تيمكيدشت)
لما مؤسسها الشيخ المذكور من صيت عظيم في الافاق المغربية ، بل في
جميع الخافقين ، ونفوذه علمي عظيم في المغرب الثلاث عند الخاصة والعامة
وهو أشهر من أن أعرف به هو واولاده ، وناهيك بمن حكمه أهل سوس في
رقابهم وبأيعوه مبايعة الدفاع عن الوطن عام ١٣٣٠ هـ وهو ولده المولى أحمد
الهيبة ابن الشيخ ماء العينين (٣) وقد اطلعت على معظم خزانتهم هذه ورأيت
فيها من الخطوط الصحراوية والشنكيطية والسوسية والسودانية والفاسية

(١) بل عام ١٣٤٩ هـ

(٢) في (القسم الثالث) تراجع كل رجال هذه الاسرة العالمة المأجدة

(٣) في أول (القسم الثالث) ترجمة الشيخ ماء العينين واحمد الهيبة وبعض
أهلها بتوسيع

والكناسية والتونسية والمصرية والمشرقية ما عز وجوده ونظيره ، وجلها من هدايا سلاطين المغرب ، بل والمشرق ، فصار جمعها سالما من غير تكسير ، الى ايام قيام اهل (تيزنيت) على الشيخ النعمة ابن الشيخ ماء العينين الخليفة بها عن اخيه الامير المولى احمد الهيبة ، الكائن اذذاك برودانة ، فأخرجوه بعد حروب عظيمة ، واستولوا على ذخائره التي بتيزنيت ومنها مكتبته التي هناك ، فتوزعت ابدى النهب والفساد ، وبيعت بابخس لمن .

ووصلتنا ونحن بـ (تيمكيدشت) بصفة التدريس بها اخبار هذه المكتبة فنذبت صاحب الزاوية شيخنا السيد الهاشمي بن الحنفى ان يبعث بعض طلبته الى اهل (تيزنيت) لما له عندهم من النفوذ العظيم ، ان يجمعوا الكتب المنهوبة من عند الناهيين . فبيعتوا بها الى (تيمكيدشت) ففعلوا وجمعوا منها مقدار عشرة احوال بغال ، ولما دخلوا بها للزاوية (التيمكيدشتية) حاولت تقييدها في كنائس حفظا لكيانها ، فقيدت منها مقدار اربعمئة كتاب ، فاذا برسول صاحب الزاوية المذكور الى بان لافعل خوفا مما عسى ان يحدث من المسئولية في المستقبل ، وقوة شوكة الامير المذكور غدا او بعده فيطلبها منه ولازال عندي ذلك التقييد محفوظا الى الآن ، ثم بعد ذلك حدثت صاحب الزاوية نفسه بتملكها على وجه جائز مباح ، فكتب الى طلبة الزاوية ان يكتبوا له الفتاوى باباحتها ، بعد انكسار شوكة الامارة الماء العينية عام ١٣٣٥ هـ فكتب اكثرهم وافتوا باباحتها ، معتمدين على انها او غالبها من المكاتب المخزنية المجموعة من عند السلاطين ، وهى من خراج المسلمين وغيرهم ، وانها محبوسة للانتفاع بها فقط لا للتملك ، وعارضتهم فى ذلك ، وافقت رادا عليهم بعدم اباحتها ، وحرمة النظر فيها الا لوجب شرعى من بيع اصحابها لها او تبرعهم بها ، فنقضت فتاويهم فتوى بعد فتوى ، فوافقنى علماء القطر السوسى كلهم اكتبون .

ولما راي صاحب الزاوية ماصدر منى من القيام ضده ، ومقاومته هو وطلبته فى ذلك آنف وغضب واستكبر ، غير انه لم يبد ما فى نفسه ، بل صار يلائنى بانواع الملاطفة والمداواة التى أدت الى المداهنة ، فانه بعد حين نذبنى الى الوفود على الامير المولى احمد الهيبة المذكور ، وهو يومئذ بـ (كردوس) ببغيلة بجبال جزولة ، طالبا منه ان يملكه تلك الكتب بعوض بخط يده . فوفدت عليه لما يبنى وبينه يومئذ من الصداقة القديمة ، فدخلت عليه فقهره من الفرح والسرور ما لامزيد عليه ، وساذكر هذه الرحلة المباركة ان شاء الله فى تاريخنا ، ثم بعد ثلاث افضيت اليه بالمامورية التى جئت لاجلها ، فماتلكا ولا توقف . ولا تفكر فى قضائها ، حتى اخذ الدواة والقرطاس ، وكتب بهديتها الى قائلا ان الزوايا والعلماء والديانة كلها كالذات الواحدة ، ووفودكم على اجل فى نظرى من تلك الخزانة كلها ، لانها مال مكسوب ، فالله يخلقه فى

المستقبل ان شاء الله . فرحم الله الملك الشخصيات البارزة فى المكارم والمعال ذوات الهمم العوالى ، فما اكرمها والاعدها فى الدنيا كلها

تلك عاقبة خزانته التى بتيزنيت ، واما ماكان منها تحت ايديهم بقرية (وجان) فانه لما تحول اليها الشيخ النعمة المذكور ، وجد فيها كتبها لهاقيمة وقع له مثل ماوقع بتيزنيت من النهب ثم نقل البقية الباقية الى عشه الاخير منكبا لـ (كردوس) حيث حل الامير احمد المذكور فسكن فى (ايت رخا) الى ان احتلت فرنسا فى حمايتها للمغرب الموضعين معا فى الاحتلال النهائى العام لجميع القطر السوسى عام ١٣٥٢ فى ذى القعدة منه ، فخرج الامير الشيخ مرييهره هاربا الى (ايت باعمران) تحت النفوذ الاسبانى ناجيا بنفسه وعياله باركا بالخزانة هناك مع ماتركه من الاموال والعدد ، فكان هذا اخر العهد بهذه الخزانة المالعينية ، وصارت فى خبر كان ، وصارت البقية الباقية منها الى الخزانة العامة بالرباط

ومن المكاتب الضخمة مكتبة ابناء ابن الاعمش بـ (تيندوف) بصحراء سوس ، فانها مكتبة لا تقل ايضا عن المكتبة الما العينية قبلها ، لكون اصحابها سفاربيين علما وعملا ، وشرفا وشهرة عظيمة ، وكان الشيخ ابن الاعمش هذا من اهل الصيت العظيم فى العلم والنفوذ ، وله اتباع كثيرون ، نظير الشيخ ماء العينين ، غير ان ابن الاعمش اكثر تحقيقا ، واوعى لجميع الفنون ، وهو حجة فى الجميع . زاهد فى الدنيا لايتلبس بشئ منها ، فجمع من الكتب النفيسة من انحاء الصحراء الى السوس الى السودان ، متتبعا للزوايا والحبايا مالم يجمعه صحراوى قبله ، ولما توفى فى نحو ١٢٧٥ هـ خلفه ولده العلامة المحقق النحوى اللغوى المعقولى النقولى الشيخ احمد الدكنا ، وزاد فيها زيادة محسوسة لحدوث آلات الطبع فى عصره القريب ، ولما توالى القحوظ وغارات الاعراب بعضها على بعض فى تلك البلاد الصحراوية ، انتقل الشيخ احمد باولاده وذويه من اقاربه وحاشيته الى بلاد القبلة فاستقر بـ (تيزوئين) بسوس فى ايلة القائد العادل بلعيد الربطى (١) فاتخذها دار سكناه ، ومنها نعرفنا به (٢) فى اول مرة ، ونقل اليها جل مكتبته ، وترك بعضها بتيندوف فى الصحراء

(١) هذا العدل غريب من القائد بلعيد المعروف بأنه ماسجد قط فيما شاع منه ، ولعله يقصد العدل النسبى وستاتى ترجمته فى (القسم الخامس) ان شاء الله

(٢) مات احمد دكنا عام ١٣١٨ هـ ورحلة الكاتب لم تقع الا بعد ذلك بكثير لما ستره ، فلهله تعرف به وهو صغير ، أو يقصد التعرف باحد اولاده يوم رار تلك المشاهدة كما ستره .

ولما توفي الشيخ أحمد الدكنا بن الأعمش خلفه ولده الصغير الفقيه السيد محمد المختار تحت حجر جدته تاغيلاست ، أخت القائد بلعيد المذكور ولما سافرت عام ١٣٣٢ هـ إلى تلك البلاد القبلية للحرثة بالمعذر ، حلت بـ (تيزوئين) ونزلت عليهم ورجوابي ، وطلبت منهم المطالعة في الخزانة الأعمشية فأجابوا ولم يتوقفوا ، فرأيت فيها من غرائب الكتب الخطية المتنوعة شيئا يفوت الحصر ، إلا أنها في غاية المهانة والابتدال ، لانقراض علمائها . فراودوني على الأخذ منها بوجه الهدية ، فأخذت منها البعض وعولت عند القبول من بلادي إلى القبلة أن آخذ منها الكفاية ، فلم يقدر لي ، وعاقبت دون ذلك العواقب ، ثم بعد ذلك توزعتها أيدي الدهر الخئون ، وقد وصل منها لخزانة (تيمكيدشت) المتقدمة الذكر الشيء الكثير ، فصارت أيضا إلى ماصارت إليه نظائرها ، والله الأمر من قبل ومن بعد . وسنذكر أيضا هذه الرحلة في محلها بأبسط من هذا ، والله الموفق (١)

ومن المكاتب العظيمة مكتبة الشيخ العلامة السيد الحاج الحسين بن بلقاسم السوقي الأفراني ، ففيها من نفائس الكتب أنواع من الفنون العقلية والنقلية والتاريخية ، وقد أشرنا إلى ماوقع لها من التشيت أيام استئصال القبائل لأصحاب المخزن الشريف عام ١٣٢١ هـ زمان السلطان المولى عبدالعزيز بن الحسن حين انهزم خليفته (٢) القائد النفلوسي الحاحي ، وتبعت القبائل كل من فيه رائحته ، وكان منهم الشيخ الحاج الحسين المذكور ، فنهبت داره واستصفت أمواله وخزائنه ، ومكتبته العلمية كما تقدم ولكن ما مضت سنة حتى ارتجعها ، كما أشرنا إليه من قبل ، فجمعها كما كانت ، ولم شعنها إلى أن توفي في آخر عام ١٣٢٨ هـ فورثها أولاده الثلاثة : الفقيه السيد محمد الحبيب وهو أصغرهم ، والسيد محمد الكبير ، والسيد أحمد ، وبناته . لكنهم لرفولهم في أذيال الشباب ، والشباب جنون ، عدت عليها أيدي الخونة ، فنوزعت أكثرها . واستأثر القائد عياد الجراري بالبعض منها وغيره ، وبقي ما بقي تحت يدي سيدي محمد الكبير بتيزنيت إلى الآن ، وقد أطلعت عليها مرتين . وقد نبغ في هذه السنين الأواخر ولده الفقيه السيد محمد الحبيب المستوطن برباط الفتح والموظف بمدرسة (معهد جسوس) هناك ، ولعله أن شاء الله يتلافها ويغار عليها والله ولي التوفيق (٣)

(١) ستأتي تراجم آل ابن الأعمش في (القسم الخامس) أن شاء الله ولبعث أسلافهم ذكر في إحدى رحلتني أحمد أحوزي ، وهي الحجازية الواقعة ١٠٩٨ هـ (٢) بل مات النفلوسي الأول في تيزنيت ثم ذهب القائد الثاني أخوه مع جيشه إلى محاربة أبي حمارة سنة ١٣٢١ هـ

(٣) ستأتي ترجمة الحاج الحسين في أول (القسم الثالث) أن شاء الله

ومن المكاتب العظام مكتبة شيخنا والدنا العلامة الإمام الحجة سيدي محمد (ضما) بن محمد (فتح) بن هابو الولياني ثم الأدا ومحمدي الهشتوكي المتقدم الذكر ، فإنها بلغت في الضخامة أوج العلا إلى أن عدت عليها أيدي النهب أيام القائد النفلوسي عام ١٣١٨ هـ فمزقتها ، ثم استرجعها بحيث لم يبق نأدا عنها إلا نادر ، كما تقدم ذلك كله مستوفى ، واستمرت إلى أن توفي عام ١٣٣٢ هـ فوقع لها ماوقع لنظائرها غير أن جلتها استولى عليه ابن أخيه وسهره الفقيه العلامة الأديب السيد إبراهيم بن مبارك التاجراني الولياني أيضا ، ولولاه لذهبت كامس الدابر ، وما زال إلى الآن كما مازالت تحت يده ، وهو القاضي بهشتوكة .

ومن المكاتب السوسية مكتبة القائد عياد الجراري ، فإنه صرف عناية كبيرة ، لضم غرائب الكتب المتفرقة في الاقطار السوسية ، تحت يد أولاد العلماء واحفادهم ، وغيرهم من العوام البلداء الذين ورثوا الخزائن العلمية ، ويقدم أنه استحوذ على شيء كثير من خزانة الشيخ الحاج الحسين الأفراني من جهة أولاده الورثة وغيرهم ، وزاد فيها زيادة كبيرة في هذه السنين الأواخر لحدوث الطباعة ، وانتشار أعمالها العلمية ، فلا يسمع بكتاب مطبوع الاقتناء ولا زالت مكتبته محفوفة بالحفظ إلى الآن (١)

ومن المكاتب السوسية المملوكية الأسلاف السعديين وإن كنا أحرار النسب عليها لما يعلم من أن الخزائن المملوكية لا تحتاج لتوفرها ضرورة لها بأسبأ أقدارهم من العظمة ، إلى التنبيه عليها ، لأن ذلك من باب الحصول الحاصل ، وقد أطلعت على تقييد لعم جدنا المقدس ، وهو العلامة الإمام الحجة في زمانه الشيخ الولي الصالح سيدنا محمد بن بلقاسم بن علي بن يعزى ، الأخذ عن الإمام شيخ الجماعة السيد أحمد الشبي (٢) المتوفي بالطاعون بعد شيخه هذا عام ١١٦١ هـ بعد تخرجه عنه هو والشيخ محمد ابن أحمد الحضيكي المتقدم صاحب الطبقات وغيرها ، بخط يده أنه قال مانصه : اجتمع لأسلافي السعديين من الخزائن العلمية بالسوس الأقصى أيام جدنا المقدس الشيخ الإمام العلم الهمام

(١) قد أصابتها اليد بعد وفاته وهلاك ولده عبد الله ، فصارت كلها أوغالبها إلى مكتبة (معهد) تارودانت المؤسس بعد الاستقلال . وتراجع عياد ووالده ، يوجد في (القسم الخامس) أن شاء الله

(٢) هناك أحمد بن محمد بن يحيى الشبي ، توفي في آخر القرن الثاني عشر ، والشهرة كانت في وقت هذا العم للشيخ محمد - فتحا - بن يحيى ، والد أحمد ، وعنه أخذ الحضيكي ، وهو الذي يمكن أن يقصده الكاتب ولكنه لم يتوفى إلا في عام ١١٦٤ هـ وتكون وفاته بعد تلميذه محمد بن بلقاسم بن علي بن يعزى ، لا قبله كما تبدل عليه عبارة الكاتب . وهؤلاء الشبيون الأزاريفيون المذكرون أن شاء الله في (القسم الثالث)

المولى محمد القائم بأمر الله ، مالم يتيسر جمعه لاحد من المتقدمين والمتأخرين في الاقطار السوسية الدرعية وغيرها ، لاسيما وشبلاء العالمان الفحلان الاميران السلطانان المولى أحمد الاعرج ، واخوه المولى محمد أمغار قد استصفيا كثيرا من الخزائن العلمية من الخزائن الوطاسية أيام تحصيلهما بفاس ، زمان السلطان أحمد الوطاسي ، لتودد حصل بينه وبينهما ، وشهرة بالتفنن في العلوم افقت بهما الى أن استخلصهما هذا السلطان الوطاسي لتأديب أولاده الذكور والاناث فاطلق لهم اليد على الخزائن العلمية فنقلوا منها كتباً نفيسة الى مقرهم بالسوس تحت يد والدهم المقدس رحمه الله ، ولما افقت اليهم الامارة وتسلموها بعد استئصالهم لجزيرة الوطاسيين ، وتسلموا مقاليد المغرب والصحارى والسودان وتخومه ، زادوا فيها من تلك الاقطار ، وصرفوا عنايتهم لجمع الكتب العلمية من اقاصى السودان ، الى اقاصى المشرق ، وصانعوا علماء مصر والحرمين وأمرءهما على ارسال الخزائن العلمية ، كما صانعوا نصارى اسبانية لذلك ايضا ، للتوصل الى الخزائن العلمية الاندلسية ، فتوصلوا الى شيء كثير منها . لاسيما أيام واسطة العقد الفحل الاعظم ، والشهم الافخم ، العزيز النظر ، في جميع الفضائل والفواضل ، علامة السلاطين المتقدمين والمتأخرين ، واديبهم وداهيتهم ، الذى انقادت له ممالك المغرب وممالك السودان الى نيل مصر . المرحوم المقدس بابا أحمد المنصوري ، فانه جمع من الكتب الفنونى فاعى ، وناهيك بمن احتوت خزائنه العلمية على ثمانين وقرا من الكتب ، بحيث لا يبلغه خبر مصنف او مؤلف في المشارق الى اقاصها والمغرب كذلك ، الا وارسل الى مصنفه او مؤلفه ليبحث به اليه ، ولما توفي عام ١٠١٢ هـ واستخلف بعده ولده المقدس علامة العلماء في زمانه على الاطلاق باتفاق ، بلانزاع ولادفاع . السلطان بابازيدان بن أحمد المنصور ، واستولى على الخزائن الملوكية ، ومن جعلتها الخزانة العلمية ، فضبطها احسن ضبط ، كما يفعل احسن وارث سبط ، الى أن حصلت بينه وبين اخوته مخالقات افقت بينهم الى مشاقاة وحروب فمن يومئذ توزعت ايدى الخونة

ولما قام الثائر الفقيه العلامة أبو محل عام ١٠١٩ على الدولة الزيدانية ودنا من مراکش ، نقل السلطان بابازيدان بعض خزائنه الملوكية من الذهب والفضة ، والاحجار الكريمة ، ومن جعلتها ستة وثلاثون حملا من الكتب الى ثغر أسفى ، فسلمها للقنصل الفرنسى هناك لما بينهما من الصداقة ، وأمر أن يحملها على باخرة الى السوس ، حيث يومن عليها ، فلما وصل بها الى اكادير ايفر تعرض له العدو الاسباني فيمازعم وانتزعها منه غصبا ، وذهب بها الى الاندلس ، ووضعها في بعض مكاتبها العلمية (١) الى هلم جرا .

(١) هي الاسكوريال باسبانية ، والقصة مشهورة ، لاتزال هناك كتب كثيرة عليها خطوط زيدان وأهله ، من بقايا نار وقعت عليها

وبالى هذه المكتبة المرقى على ايدى الاخوة والاعمام وابنائهم ، حتى قيل ان كل كتاب قديم في المغرب الثلاثة بعد المائة والالف فاصله من الخزانة السعدية الزيدانية ، والبقاء لله ، واليه المصير

ولم يبق عندنا من تلك المكتبة ، لكثرة التنقلات المفضية الى التشتت ، سوى نحو عشرين كتابا في هذا العصر الحاضر ، حافظنا عليها تبركا بأثر اولئك الاسلاف ، وتذكيرا للاحفاد والخلف واعتبارا :

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثر

ومن المكاتب الملوكية او الشبيهة بها ، مكتبة زاوية (ايليج) في (تازروالت) التى أسسها المربط بل الشريف الرئيس السيد على بن محمد بن محمد بن الشيخ المولى سيدى أحمد بن موسى الشهر عند قيامه بالامر فى شهر عام ١٠٤٠ هـ (١) ويسمى عندنا بودميعة واباحسون ، فجمع من الكتب (٢) عند القبائل من الذين لم يتركوا على خزائنها العلمية خلائف العلم شيئا كثيرا . واعانه على ذلك مساعدة الظروف الوقتية من قوة شوكتة بالسوس وانسحاب نفوذ الدولة الشريفة السعدية عن تلك الاقطار ، بكثرة الثوار عليها فى الانحاء المغربية ، مثل أهل زاوية الدلاء من جهة بربر نادلا والمولى محمد بن الشريف بـ (نافيالات) وأبو دميعة هذا بالسوس ، وهو المذكور فى التاريخ المتقدم . وآخرين بشتى القبائل ، مثل الشيخ العياشى الذى يناوش حركات النصارى البرتغاليين بـ (البريجة) الجديدة الآن وتفاصيل احوال الكل وتواريخ أيامهم مشهورة ، واستمرت خزانة الامير أبى حسون مجموعة ، وعلى نهاية التنسيق محفوظة موضوعة ، الى أن توفي نحو عام ١٠٧٠ هـ وتولى بعده ولده محمد المسمى اوعلى (أى ابن على) فتتكر لاهل السوس وتغير ، واشتغل بالظلم والجور ، فتصدى علماء السوس لمبايعة المولى الرشيد ، وضمنوا له الطاعة من جميع القبائل السوسية فتحرك المولى الرشيد الى السوس عام ١٠٨١ هـ وجمع له صاحب (ايليج) جموعا عظيمة فى ظاهر الامر ، ولكن لم يلبثوا عند اللقاء الا فواق ناقة ، فخذلوه وانهمزوا عنه مائلين راغبين فى امارة المولى الرشيد والانتظام فى سلك عدله ، فتقدم المولى الرشيد واخذ علماء الوقت بيده وأدخلوه (ايليج) مقر أبى دميعة ، فلما دخلها تحرى وتورع عن خزائنها (٣) ولكن علماء السوس أطلقوا فيها يد النهب ، فنهبوا من خزائنها شيئا كثيرا

(١) بل قام أهله عام ١٠١٨ هـ وقام هو نحو عام ١٠٢٢ هـ وقد كتبنا تاريخ دويلة الخ فى جزئين وسطين يسر الله تخريجه ، ففيها أربعة امراء ابتدأت دويلتهم من نحو ١٠١٨ هـ ودامت الى ١٠٨١ هـ والكتاب سميناه (ايليج قديما وحديثا)

(٢) وكان أيضا يستنسخ كثيرا من عند الدلائيين وغيرهم

(٣) الذى ثبت فى التاريخ أن مولاى الرشيد أتى على كل شيء فى (ايليج) حتى هدم المبانى كلها . فكيف يعنى خزانة الكتب ؟

واخذوا اكثر المكتبة العلمية فتشتت لهذا الحادث ، وخرجت بالامر الذي دخلت به ، وكما يدين الفتى يدان (وجزاء سيئة سيئة مثلها) ثم بعد ذلك جمع أحفاده منها شيئا كثيرا ، الى أيام الفقيه الشريف السيد محمد بن الحسين ابن هاشم منهم ، فصادف حدوث المطابع ، فاشترى شيئا عظيما ، الى ان توفي في عشرة الثلاثين بعد الالف والثلاثمائة ، فتولى امرها الفقيه النجيب السيد علي بن محمد الى هلم جرا .

ومن المكاتب العلمية مكتبة الشيخ العالم العلامة الرئيس الاجل ابي الحسن علي بن عبدالله بن صالح الالفي المذكور من ذوى النفوذ العظام ، فانه جمع هو وأخوه شيخ الجماعة في وقته السيد محمد بن عبدالله من الكتب خزانة حافلة من أول نبوغ العالم الثاني أعوام التسعين من المائة الثالثة عشرة أيام السلطان المولى الحسن بن محمد وبني مدرسته العلمية التي تخرج منها جماعة من العلماء والادباء (١) الى ان توفي الشيخ السيد محمد بن عبدالله نحو عام ١٣٠٣ هـ وتولاها أخوه أبو الحسن المذكور ، وأضاف اليها كتب كثيرة من الخزائن السوسية ، وقد تقدم أن فيها من الخزانة (الكرفسية) من المخطوطات شيئا كثيرا ، ومن (الاييلية) أيضا وغيرهما ، ولما توفي الشيخ أبو الحسن عام ١٣٤٧ هـ في ١٦ ربيع الثاني منها ، ترك اولادا نجباء علماء فحول شعراء منهم الفقيه العلامة السيد المدني بن علي ، وهو المتولى امر المدرسة والتدريس فيها اليوم وقبله في حياة والده المقدس ، ثم الفقيه السيد محمد بن علي ، ثم الفقيه السيد الطاهر بن علي ، ثم الفقيه السيد الحسن ، والكل في قيد الحياة على ما يرام والحمد لله ، والخزانة تحت ايديهم على السواء ، وقد اطلعت عليها كلها في حياة الشيخ ابي الحسن لكثرة مخالطتي آياه ، وترددى اليهم ، كما انهم يصلونني كثيرا ، وربما اتولى التدريس في تلك المدرسة اذا حصل مانع يشغلهم عنه (٢)

ومن المكاتب أيضا مكتبة الشيخ العالم العلامة الشهير السيد الحاج علي ابن أحمد الدرقاوى الالفي ابن عم المذكور انفا ، وهو قرين ابي الحسن المذكور في العلم والصالح والثروة والنفوذ العلمى ، بل زاد وفاق هذا بتجوله في البلاد المغربية والقبليية ، وله اتباع هنالك في كل جهة ، وهو معظم عندهم وعند الجميع ، ولما توفي عام ١٣٢٨ هـ خلفه أيضا اولاده النجباء ، ومن انجبهم الفقيه العلامة بالانازع ، الصالح المصلح المؤدب الكبير الاديب السيد المختار ابن علي بن أحمد المستوطن مدينة (مراكش) والموب بها زمانا كثيرا ، الى أن

(١) في هؤلاء (الفصل الاول) من (القسم الرابع) الاتي

(٢) كان المترجم ينقطع الى (الخ) كثيرا ، وقد يتخذ له بيتا في المدرسة هناك ، وقد ينوب عن الاستاذ سيدي المدني ، حتى ان الاديب الطاهر اخذ عنه مبادئ الحزرجية .

نفته الحكومة الفرنسية (١) عام ١٣٥٥ هـ الى (الخ) ولا يزال به الى الان وسنترجم له ان شاء الله بين ابناء جنسه ، ولا زالت مكتبته محفوظة تحت يده هو واخوه الفقيه السيد محمد بن الحاج علي مقدم القبيلة الالفية الحالي (٢)

ومن الخزائن العلمية مكتبة الشرفاء التماراويين من عنصر الشرف الرسموكى ببلدة (تامرا) بـ (انزى) وهي أيضا مكتبة قديمة ، وابتدأها من عام الى ان اضمحلت باضمحلال علمائها في عشرة الاربعين بعد الثلاثمائة والالف

(١٣٤٠ هـ) ولم يبق منهم الا العلامة السيد محمد بن عبد الملك التماراوى الانزى الرسموكى المستوطن فاسا اليوم وقد بلغه خبر وفاة عمه المتولى امر الزاوية . فلم يهتبل بأمر الخزانة وقد بلغنى أن تلك المكتبة صارت في خبر كان ، لاستيلاء أيدي ربات الخدور على مخدراتها المكنونة ، بل بلغنى أن بعض اصحابنا وهو العالم العلامة الاديب السيد أحمد بن الحاج محمد اليزيدى المانوزى (٣) توصل اليها بأسباب ، واشترى منها كثيرا مما فيه فائدة بضمن بخس دراهم معدودة ، وفرحت غاية الفرح شاكرًا لله حين سقطت في يدهم المستحق لها ، وكان أحق بها وأهلها .

ومن المكاتب مكتبة زاوية تيدسى (أم الجريد) ، فان مؤسسها أحد اجداد الفقيه العلامة الرئيس الم رابط السيد عبد الحى الشهير ثم جمع اليها هذا واستوعب كثيرا من المخطوطات والمطبوعات ، لانه تجول في أنحاء المغرب ، ووصل الى فاس ، واخذ عن علمائها مثل الشيخ كنون وغيره من الفاسيين ، وتولى رئاستى الدنيا والدين بالبلدان الهيلانية والهوارية الى تارودانت سنين عديدة ، وهو من اصحابنا ، وقد اطلعت على خزائنه ، وطالعت ما تيسر منها ، وقد استمرت في غاية من الحفظ الى أن توفي في العاشرة الرابعة من هذا القرن ، وتداولها اولاده وبنو عمه الى اليوم . ولا أدري ما فعل الله بها ، وهي قديمة من القرن العاشر ، لان العلماء اجداده يذكرون من أول ذلك القرن .

ومن المكاتب الوقتية مكتبة الفقيه العلامة الشريف السيد الحاج عابد بن عبد الله بن عمر البوشوارى التيفيراسينى من ذوى النفوذ العظيم المتقدم

(١) نفهم من هذا أيضا أن المترجم جمع حياته هذه بعد هذه السنة ، ولعل ذلك نحو ١٣٥٩ هـ في مكناس .

(٢) هذه الخزانة صغيرة جدا ، وليس فيها الا المطبوعات ، ومخطوطات لا تصل ثلاثين ، وربما لا يصل كل ما فيها من مطلق المجلدات الى ثلاثمائة بين تفاسير وكتب صوفية ونغوية وحديثية وفقهية وطبية ، ولا ينبثق مثل خبر .

(٣) ليس اليزيديون الايسيون من المانوزيين وان كان المترجم قد اجتهد أن يحشر فيهم من ليس من المانوزيين فى شىء .

ذكره ، المتوفى في رابع شوال عام ١٣٤٠ هـ (١) رحمه الله ، وتولاها ولده تلميذنا وعدوه ولدنا الفقيه البركة السيد الحاج محمد الى الآن وبعده ان شاء الله .

ومن المكاتب العلمية مكتبنا الاخوين الشقيقين العالمين العاملين السيد محمد بن عبد الله أقاريض اليحيوى الصوابى ، وأخيه السيد الحاج أحمد فكل منهما جمع فأوعى ، وقد قدمنا أنهما ، لاسيما الحاج أحمد ، أخذ من الخزانة الجشتية شيئا كثيرا ، بعد وفاة الفقيه سيد عمرو بن الحاج أحمد الجشتي ، لما بينهما من المصاهرة وعدم المنازع لهما في ذلك ، ولا زالت مكتبتهما قائمتين ، وقد توفى السيد محمد أحد الشقيقين عام ١٣٥٢ هـ في ٣ ربيع الاول منه ، وبقيت الخزانة تحت يد اولاده وأخيه الفقيه السيد الحاج أحمد الى اليوم ، ثم تولاها اولاده بعده .

ومن المكاتب ، مكتبة اليعقوبيين الهالين ، مكتبة الفقيه الشيخ السيد محمد بن علي اليعقوبى شارح المنهج وأخوته ، أسسها والدهم السيد علي بن سعيد المتوفى عام ١٢٦٤ هـ (٢) وتوفى ولده العلامة الشيخ محمد بن علي عام ١٢٩٤ هـ ، وهو علامة كبير القدر جليله ، لا يطار تحت جناحه ، ثم خلفهم في ذلك العلامة السيد الحاج عبد الحميد بن علي بن محمد بن علي أن توفى نحو عام ١٣١٦ هـ ، فخلفه اولاده الفقيه الاديب السيد أحمد بن الحاج وأخوه السيد محمد بن الحاج عبد الحميد ، وقد اطلعت على هذه الخزانة عام ١٣٣٤ هـ ، وفيها من المخطوطات شيء كثير صار اليهما من الخزائن الهالية التي اضمحل أربابها .

ومن المكاتب العظامى مكتبة بنى المسجد ببلاد هرغة - ايرغ - من اداكيشيف ازاء جبل الكست ، وهم مرابطون (أكريسيف أمانوز) في الاصل ثم انتقل منهم الفقيه العالم العلامة المحقق المتفنن السيد عمر بن عبد العزيز بن عبد النعم البوزيلى الكريسيفى الى (ايرغ) بعد تخرجه بالامام الشيخ الحضيكى المانوزى وغيره ، وبني مدرسته هناك وتصدر فيها للتدريس وبث العلم ونشره ، والفتوى والارشاد وغير ذلك ، وبعد صيته ، وانتشر ذكره ، وجمع من الكتب خزانة لا بأس بها الى أن توفى عام ١٢١٤ هـ ، وخلفه اولاده الفقيه السيد عمر بن يحيى بن عمر ، والفقيه السيد ابراهيم ابن يحيى بن عمر بن عبد العزيز ، وتوفى الاول عام ١٣٢٦ هـ ، والثانى عام ١٣١٩ هـ ، ولما توفى الفقيه السيد ابراهيم صارت بظواهرها في خبر كان ولم يبق فيها أكثر من مائة مجلد ، وقد اطلعت عليها حين توليت تدريس

(١) بل توفى ١٣٥٠ هـ في اثنين من شوال

(٢) بل توفى نحو عام ١٢٣٩ هـ

هذه الزاوية المسجدية عام ١٣٣٥ هـ ، ووجدت فيها من تاليفه بخط يده ازيد من عشرة مؤلفات في كل موضوع ، في الفرائض والحساب والحديث والتفسير والتعاليم ، وغير ذلك مما يدل على غزارة علوم هذا الرجل .

وقد طال بنا الكلام حتى خرجنا عن المقام ، ولنترك ذكر خزائن كتب (اقا) و (حصن الهنا) عند سادتنا بنى حسين ، وخزائن (الويدان) وخزائن (هيلانة) وخزائن (اداونظيف) وهوزالة (اندوزال) و (اداوكنسوس) و (هرغة) و (وادي سوس) و (تبيوت) و (رودانة) و (هشتوكة) الى بلاد آيت باعمران ، فان في كل قبيلة من هذه القبائل مدرسة لمدرستها خزانة على نحو ماتقدم ، وقد اطلعت على الجمل أيام الطلب من كثرة التنقلات في هذه الانحاء زمانا كنا فيه كما قال ابن زريق البغدادي :

ماءاب من سفر الا وأزعجه رأى الى سفر للبين يزعمه
ولنرجع الى مانحن بصدد تتبعه من سفرنا ، فاننا لما خرجنا من بلد (تيان) المذكورة ، طلعنا مع جبل (الكست) قاصدين (تاوودانت) على وزن (تاوودانت) وجعلنا على طريقنا بلدا يسمى (انمالوس) ثم سلطنا بعده قبيلة صغيرة ذات مدرسة علمية تسمى (تيكشيران) ولم يتجاوز عدد سكانها مائة عائلة ، وقبيلة بنى باحمان المتكونة من مائتي عائلة ، واهل تاوودانت شرفاء ادريسيون .

ولما اشرطنا على (تاوودانت) في محل اسفل منا وهه ، جلسنا للاستراحة قليلا ، مسرحين ابصارنا وبصائرنا في اشجارها وماتها ومناظرها الجميلة الجبلية ، فغشيتنا جلالة ومهابة من تلك الجبال المكسوة بالخضر ، من تين وأعناب ولوز وكنارية (التين الشوكى) وغيرها من أنواع الفواكه ، ولما استرحنا مقدار نصف ساعة ، هبطنا اليها من الجبل ، في مضيق وعر صلب ، باليد والرجل معا مخافة السقوط في بهموته ، ونهبط على احجار وأخشاب منصوبة هناك بين صلد وصخر لآخر ، الى أن وصلنا للارض ، وهبطنا تحت الوعر على غدير ماء يدهش العقول فتحيلنا للجواز في جوانبه الى أن جزناه ، ولا يجوز فيه الا من له جنان ثابت ، وجاش جامع ، متوكل على موله الذى يحيى ويميت فحمدنا الله على النجاة ، ثم قصدنا المدرسة (التاوودانتية) فدخلناها في وقت الاصفرار ، ورحب بنا مدرستها الفقيه المراتب السيد محمد التسيوتى الماكى من آيت ملك الهشتوكى ، وفرح غاية الفرح والسرور بنا ، بعدما سالنا فانتسبنا له ، وكان شقيقه الفقيه السيد ابراهيم معاصرى بالمدرسة (الادا ومحمدية) وسألنى عن أحواله ، ولما أدينا العشاء قدم الينا (مفتوح عينها) (١) في موائد لم تخل عن كل نوع ولون من الاطعمة والفواكه ، فأفطنا في المذاكرة

(١) يعنى العشاء بطبخ العيش

العلمية ، فوجدته متشعبا في فنى العربية والفقه ، وهما بفاعته ، وله كرم زائد . وطيب أخلاق . وعمره حينئذ يناهز الستين ، ثم بعد ذلك توفي ، ولعل وفاته في عام ١٣٣٦ هـ فلما أصبحنا طلبنا منه الوداع والدليل ، فعزم علينا بالكثلا انتظار الافطار ، فلم ننسب أن قدم اليها مائدة من خبز وطاجن وسمن وعسل وفاكهة وأواني الاتاي ، فأفطرنا واشتركتنا الدعاء ، وشيعنا أميالا وانصرفنا قاصدين مدرسة (فوكرض)

قد ذكرنا أن أهل (تاوودانت) غالبهم من الشرفاء الادارسة ، وقد اذتتهم التنقلات هنا وهناك الى ان استوطنوا قبيلة (أمانوز) أوائل القرن الثامن تحت جبل يسمى أمقسو بوادي (لكوسة) في أرض ذات اودية وعيون وأشجار وكروم ، فأقاموا هناك ماشاء الله ، الى ان كثروا وأثروا وتناسلوا ، فطغت عليهم قبيلة (مانوزة) من جملة من طغت عليهم من جبل (تأحوكات) فطلبوا منهم أن ينخرطوا معهم في سلك جزولة وعدادها وأن يتركوا لكوسة قبيلتهم فأبوا فأكثروا عليهم النهب والقتل والاسر ، شأن غيرهم من (تأحوكات) ومن انتمى اليهم ، لكون هاتين القبيلتين متعاديتين منذ قرون طويلة ، وأحقاب كثيرة فلما ضعفت (لكوسة) عن مقاومة قبيلة (أمانوز) استسلم أكثرهم للانخراط في سلكهم ، والانتظام في عقدهم وعددهم ، وكره الآخرون ، وانتقلوا متفرقين في أنحاء الأرض . فأما أهل (تاوودانت) هؤلاء فقد انتقلوا الى موضعهم الآن بجبل (أيت صواب) وهم فيه الى هلم جرا

وكان انتقالهم كليا أواسط المائة الثانية عشرة والـ في أيام السلطان المولى عبدالله بن اسماعيل الفيلاي ، ولأزالت رسوم ديارهم وربوعها وجامعهم هناك الى الآن ، وهي الآن على يد بنى حصن القلب وبنى أوكدال وغيرها ، وفي ملكهم وحوزهم ، وكثيرا ما اجتاز عليها لكونها مسلوكة في طريق القبلة ، فأوقف معتبرا منشدا قول من قال حين وقف على البديع السعدى بمراكش :

ديار باكتاف الملاعب تلمع وما ان بها من ساكن فهي بلقع
ينوح عليها الطير من كل جانب فتصمت أحيانا وحينا ترجع
فخاطبت منها طائرا متقلبا له شجن في القلب وهو مروع
فقلت على ماذا تنوح وتشتكى فقال على دهر مضى ليس يرجع

وأما (لكوسة) فجلبهم قد انتقل الى جبل (درن) بالمنيزة أيام السلطان مولاي عبدالله بن اسماعيل ، وعددهم مائة وثلاثون كانوا ، في (المنيزة) ٥٠ و عين (بكرسة) ٣٠ و (اداوزال) ٥٥ ولأزالوا الى الآن يسمون لكوسة وعليهم شيخ من أنفسهم وأنفسهم يسمى هاشما ، ولأزالت المواصلت تجري بينهم وبين من بقى منهم بـ (مانوزة) وهم أيت (فم الحصن) ويقدر عددهم اليوم بأربعين أسرة .

ومن وادي (لكوسة) القليل أيضا الشيخ الإمام الولي الصالح شيخ الجماعة في وقته السيد محمد بن إبراهيم الكوسي التامانارلي الى (تامانارت) في حياته وتوفي بها ، وروسته هناك مرارة عظيمة وله موسم عظيم تأتيه الرفاق من جميع الآفاق ، ويشهدونه ويشاهدون بركة عظيمة ، وله فيها عقب ونسل كثير الى الآن ، وهم مرابطوا القصبية . وكانت لهم الرئاسة هناك زمنا طويلا بحصن (تامانارت) من قبل رهط (تأحوكات) الى ان طم عليهم عباب جزولة فجهوا عليهم في حصنهم ، وقتلوا بعضهم ، ونجا البعض فارين الى القصبية وتولى مكانهم اسلاف القائد البشير الحالى بن عمر بن الحاج أحمد الشريف الكثيري أصلا ، من ذوى كثير ، بجبل (لكوسة) المنتقلين من فاس ، بسبب فتنة موسى بن العافية المشهورة . وهم من الادارسة ، فولتهم جزولة أمر هذا البلد أيام المولى الرشيد (١) ثم عزز رئاسته بعد ذلك بظهائر سلطانية الى الآن وبعد ، وكانت بينهم وبين المرابطين المذكورين فتن يطول عددها ، وقتل وتخريب لا يمكن حدها ، ويستغفر كل واحد شيعته وحزبه ، ثم كانت العاقبة للقائد الكثيري ، فغلب على الحصن ولأزال به الى اليوم .

وينسب جمهور (لكوسة) الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، ويبدعهم عمود نسبهم (٢) في ولاداتهم ورسومهم ، وتقدمت فيهم فطاحل من العلماء المحققين والمدرسين المتقدمين ، وقد ذكر منهم الشيخ الإمام محمد بن أحمد الحضيكي جماعة كثيرة مدفونة في المقبرة الكوسية المشهورة في ذلك الوادي ولأزالت الهيبة العلمية عليها بادية ، ولم تخل عنها مع طول الزمان في تلك البادية ، وقلماء مر على وأنا حاضر شهر الا وأنا زائر لها ، معتبرا وواقفا منشدا قول على رضى الله عنه - على ما قيل - على جبانة الكوفة :

سلام على أهل القبور الدوارس كأنهم لم يجلسوا فى المجالس
ولم يشربوا من بارد الماء شربة ولم ياكلوا ما بين رطب ويابس
الا فآخبرونا أين قبر ذيلكم وقبر العزيز الباذخ المتشاوس

أما نسلهم الذين هم بـ (فم الحصن) بـ (أمانوز) اليوم ، فقد انقطع عنهم العلم منذ زمان طويل ، مقداره تقريبا مائتا عام فأكثر ، لاشتغالهم بالحروب الجزولية ، وقد هزموهم مرارا الى ان انخرطوا في سلكهم كما تقدم ، وقد ذكرنا فيما تقدم ما بينهم وبين قرية (أوالا) من كثرة الفتن المستمرة من زمن السلطان سيدي محمد بن عبدالله العلوى ، الى عصر السلطان سيدي

(١) بل تولوا من عهد السعديين . وتوجد تراجمهم في (القسم الخامس)
وهناك التوسع في الكلام حولهم ان شاء الله

(٢) يجد القارىء ذلك في ترجمة الفقيه سيدي محمد بن إبراهيم الأفراني المسكن التامانارلي الأصل في (القسم الثالث) من هذا الكتاب ان شاء الله .

محمد بن عبد الرحمان عام ١٢٧٨ هـ وأما أولاد الشيخ محمد بن ابراهيم المذكور فقد استرسل فيهم العلم والدين والصلاح ، شأن جدهم الى الان . وقد تقدم فيهم فحول من العلماء النظار ، وذكر منهم (الحضيكي) في (طبقاته) غير واحد ، وما زال فيهم من يجعل الله فيه البركة اليوم ، ومنهم العالم العلامة الاستاذ الطاهر بن محمد بن ابراهيم البكري الافرائي وطنا ، شيخ الجماعة اليوم بالسوس الاقصى بلا مدافع ، وشاعر المشرق والمغرب بلا منازع ، وولده العلامة السيد محمد بن الطاهر ، والسيد عبدالله بن الطاهر ، وهو شيخنا سماعا واجازة عامة مطلقة ، وقد بقيت من علمائهم بقية بقصبة (تامانوت) (١)

ولما خرجنا من مدرسة (تاوودانت) حسبما تقدم افضى بنا الطريق الى جبل وشعاب (آيت صواب) الى أن وصلنا الى مدرسة (تانالت) فاسترحنا قليلا فاذا بعض طلبتها من ثقات اصحابنا ، قد صرنا في بعض زواياها ، فعزم علينا أن نتناول من طعامه ، فساعدناه وذهبنا الى بيته في المدرسة ، فقدم اليانم اللحم والخبز والسمن والعسل ، وورد علينا فيه جماعة كثيرة ممن عرفناهم اكون الزمان زمان استراحة ، أيام الاربعاء والخميس ، والفقير اذذاك غائب وهو الفقيه السيد محمد بن عبد الله أقاريض الصوابي البجياوي فاسترحنا هناك وصلينا الظهر ، وانصرفنا شاكرين لله ولهم وودعونا توديع مشوق لمشوقه ، وعاشق لمشوقه ، وقطعنا (ساقية صنهاجة) تحت المدرسة ، وهي بالاديين الجبال ، ملتفة بالأشجار ، من زيتون وأنواع الفواكه ، فلا تسمع فيها الاخيرير العيون في الاودية ، وتغاريذ أطيار مشجية ، ولكن ماؤها وهواؤها وخيم ، وكثرة المكروبات لا يخلو أيضا ، مثل ساقية توشكا على بعد منه بنحو أربعين كيلومترا ، من الامراض الحموية والتيفوس ، كما ذكرنا عند التعرض لها ، وطلعننا مع جبلها القبلي العالي المطل عليها قاصدين (فوكرض) ثم سلكنا قبيلة (ايكيسل) ثم طلعتنا جبلها القبلي العالي المسمى فجعة اذكزا (تيزي ايزكزا) ولما طلعتنا على ذروته جلسنا للاستراحة فوق صخور عظيمة في الموضع الذي قتل فيه الحاج احمد اليربوعي (الانريضي) المانوزي من (أفرا) وقصته أن (آيت سي) الزموري ، وكبيرهم الحاج احمد بن سي واخوانه كانت بينهم وبين (آيت أفرا) - اليرايي - عداوة كبيرة افضت الى القتل والتخريب ، فلما كان زمان الذهاب الى حج بيت الله الحرام ، استعدت جماعة من قبيلة (أمانوز) لاداء هذه الفريضة ، وفيهم الحاج احمد اليربوعي الافراوي المقتول ، وذلك عام ١٣١٨ هـ فخرجوا من (أمانوز) باحتفال الناس واحتفائهم على عادة الزمان من الاحتفال في تشييع حجاج بيت الله الحرام ، وقد سلكوا الطريق الجوفية حوالى البلد ، وخرج الكبير والصغير والذكر والانثى معهم وكثت اذذاك فيمن خرج وأنا ابن اثنتي عشرة سنة ، وكانت لهم ضجة عظيمة

(١) يجد القاري أسماء علمائهم في (القسم الثالث) ان شاء الله

بالتسبيح والصلاة الى النبي صلى الله عليه وسلم ، مع الخضوع والخشوع والبكاء صار مكاء ، ووجوههم كأنها البست للوليات الحرياء من تلون الاشواق وقصدوا زيارة اولياء مقبرة (الكرسي) فلما وصلوا وانحشر اليها الناس من كل جانب ومكان ، وذبخوا هناك ودعوا الله تعالى مخلصين له الدين ، وتواصوا هناك ، وتودعوا ورجع الجبل من الناس الى منازلهم ، وبقي مع كل حاج أهله وعشيرته الاقربون الى (آيت أمار) بـ (تاهالا) فرجعوا أيضا وبقي الحجاج مع ألقاهم ، فلما وصلوا فجعة (ازكزا) الموضع المذكور ، وكان الحاج احمد بن سي المذكور وولده صالح وأصحابه من (بنى سنتر) مترصدين هناك المحجاج ، لقتل مطلوبهم الحاج احمد اليربوعي المذكور ، فلما توسطوهم رموه بالرصاص من بين الحجاج ، فسقط ميتا والعياذ بالله ، وهربوا مخافة قبيلة (آيت صواب) لكون الموضع موضعهم ، وهم المسئولون عنه في القوانيين السوسية ، ولم نسمع في التاريخ المتقدم بالسوس الاقصى من خفر جوار بيت الله الحرام ، ولا ذمة رسوله صلى الله عليه وسلم قبل هذا اليوم ، ولم يستح هؤلاء الناس من الله ورسوله ولا من المؤمنين ، نعم أنهم من جهة الشرع معذورون والحق لهم ، والمقتول مورتورهم ، ولهم عليه القصاص في أي موضع أصابوا فيه غرته حتى في الحرام ، قال الشيخ خليل وغيره من المتقدمين والمتأخرين (ويؤخذ المقتص منه ولو في الحرام واخرج منه عند القتل لثلا يلوته لان روحه مباحة لما ترتب عليه) على ان الذين فعلوا هذه الفعلة وهم بنو (سي أزمور) صاروا عند الناس خاصة وعامة ممقوتين من ذلك اليوم ، رغما عن كونهم اسرة شرقية عربية أموية عثمانية ، فمن يومئذ تفهقرت أحوالهم الى السوء حتى تدهورت أعوام ١٣٤٠ هـ بالكلية ، بعد ما كانوا عليه من الغنى والعز والجد والكرم . وقيل ان لله غيرة على حرمة وأهلها وأن قصروا ، لاسيما حرم سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، وقد كان عاقبة قاتليه ان والدهم الحاج احمد مات شريدا في بعض البلاد الغربية (١) وولده صالح سقط في بئر يستقى منها لبهيمة وقت الدراسة ببلد المقتول (أفرا) ومات بها ولم يتفطن له أحد ، حتى فاضت روحه ، والبهيمة واقفة على البئر ، وبقي اولاده واولاد أخيه وأبناء عمه في الذلة والمهانة والفقر .

ولما استرحنا هناك هنيئة وقد دنا المقرب تاهينا واخذنا في المسير ، قاطعين حقول وسواقي بلدة (أمالو) (أي الظل) ، والتقينا ببعض الاحبة الناهيا ، وعرض علينا البيات والضيافة على العادة ، فجازيناه خيرا ، وشيعنا الى أن خرجنا من أرضهم ، وأشرفنا على مدرسة آيت يحيى (فوكرض) ورجع

(١) تدل كلمة الغرب في اطلاق أهل سوس على مراكش فما وراءها من المغرب لنفسه .

فتقدمنا ودخلنا أولا الى الولى الصالح السيد عبد الحق صاحب القبة عن قبلة المدرسة ، ووهبنا له ثواب ما تيسرت قراءته من القرآن الكريم ، ودخلنا المدرسة ، فخرج للقائنا الفقيه العلامة السيد الحسن التدرارنى الباعمرانى ورحب بنا ، ولما فرغنا من صلاة المغرب وما يتبعها تقدم بنا الى محل الضيافة وهو يومئذ مصرية تحتية ، اذ لم يكن يومئذ غيرها ، وقد اجتزنا بها بعد ذلك فوجدنا بناء كبيرا زائدا على كل ما كنا راينا ، لاسيما عام ١٣٥٣ هـ أيام الاحتلال وقد سافقنى القدرة اليها لبعض الشئون ، فاضافنى رئيس القبيلة وشيخها هناك ومدرسها ايضا ، وهو الفقيه السيد العربى بن الحاج عبد الحميد اليعقوبى الذى افاض على سجال الانعام ، من انواع الاطعمة والفواكه والعلوفات جزاء الله احسن الجزاء ، وقد مدحته بابيات رنانة فرح بها غاية

واما الفقيه السيد الحسن المذكور فانه ايضا قدم لنا من النعم ما غمرنا به ، جزاء الله خيرا ، وقد جرت بينى وبينه مذاكرة علمية ، فوجدته علامة ادبيا مشاركا . لاسيما فى العلوم الرياضية والهيئة والنحو واللغة والحساب وانفقه ، وبضاعته فى الحديث مزجاة (١)

ولما أصبحنا وافطرنا تودعنا معه وانصرفنا شاكرين ، وهبطنا سالكين طريق (ايغرم) ووصلناه قريبا فلقينا رجل من الاخوان يسمى المقدم احمد فاقسم علينا ان نتغدى عنده ، فساعدناه ودخلنا فتغدينا ، وانصرفنا جاعلين (تامضلوشت) على طريقنا الى (تيرمتمات) الى (تاهاالا)

ومما اتفق لى فى عام ١٣٣٧ هـ وانا مدرس بمدرسة سيدى مسعود افولوس (الديك) النظيفى اننى فى بعض قدمائى الى (امانوز) مسقط راسى قد وصلت الى وادى (تامضلوشت) هذه ، فوجدته حاملا من السيول مالا طاقة لى به ، فحصرنى عن العمارة ، والليل قد اقبل ، والنهار قد ادبر . والظلام قد ارحى سدوله . والطريق مخوفة . وانا ثقيل لكونى حاملا مالا له بال من الريال النافى الحسى فى مزود ، فجلست على شاطئ الوادى انتظر جزره ونقصانه ، فابت الرياح والصواعق والرعد وانهمار الامطار الا طغيانه ، فاستولى على جنون الشبيبة ، والجنون فنون ، فحدثنى النفس بخوض ذلك السيل الجارف ، فتقدمت اليه وتعلقت بشجر خروع فى وسط لجة ماء . وجعلت مزود الامال على عاتقى وقد اثقلنى ، ثم بعد ذلك وثبت الى موضع عال قليل السيل ، ثم وقفت واصلحت من شأنى ، وشمرت عن عزمى وحزمى . واستحضرت ذهنى وجاشى ثم خضت وسط الوادى وقد بلغ السيل خلقومى ثم سقطت فى موضع غائر وجرفنى السيل وسافقنى مقدار غلوة ، على اننى

(١) فى (الفصل الاول) من (القسم الرابع) اشباع الكلام على كل رجال تادرات العلماء ان شاء الله

لم اخرج من شعورى ، بل لتعلقى بهراهمى وشددت على مزودى اكثر مما كنت ، وعندئذ دعوت الله قائلا «اللهم انى استأمن هذه لتكون من الشاكرين» فاذا شجر خروع عال عارضنى فتعلقت به تعلق الغريق ، متمكنا من الطلوع الى موضع عال قليل السيل ، فطلعت واصلحت حالى ثانيا ، ووقفت والماء تحت السرة لخفة السيل هناك ثم ندمت على ما فعلت ، فحدثنى النفس بالوقوف هناك على تلك الحال تارة حتى يذهب معظم السيل ، وتارة بالعبور لئلا يزداد الوادى بازدياد الامطار فى النواحي البعيدة ، كل ذلك والليل قد قرب باطنابه ، والوادى قد اقبل بعبابه ، ولا مغيث ولا مطلع الا الله سبحانه اما اكثر الطافة ، ووقفت مقدار ساعة الى ان تمكنت العشاء ، فاحسست بنقص سورة الماء ونقصانه عن مواضعه ، وعلمت ان السيل بعد حين يذهب معظمه وقوته ، وايقنت بالنجاة من تلك التهلكة التى القيت فيها بنفسى ولم اعتبر بقوله تعالى «ولا تاقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا» ولكن «لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا» ثم حدثنى النفس ايضا بالتقدم للعبور ، والبدر فى ذلك كله قد القى اشعته على صفحة الماء ، وللسيل حس زائد كانه الرعد القاصف . لكثرة الصخور والحجارة والمقائر فى بطن الوادى ، ولما تحققت لنقصانه باستناد حسه ، تذكرت امثال العامة فيمن كثر سكوته ، وفيمن كثر كلامه ومنها قولهم : (الوادى الساكت اشد خطرا من الخرخان) لان التكلم يهرل ما فى نفسه ، بخلاف الساكت فانه لا يعلم ما يريد ، ثم تقدمت فعبرت الى الوادى على الصخور العظام ، بحيث لو سقطت عنها لهلكت الى ان وصلت الى الوادى ، ثم وقفت ايضا قليلا حتى استرحمت ، ثم اندفعت ايضا ووليت على بعض الصخور ، ثم احسست بنقصان ظاهر فى الوادى ، فعبرت الى الوادى الشاطئ ناجيا وتاليا قوله تعالى «رب انزلنى منزلا مباركا ، وانت خير المنزلين» وذهب عنى بعد قرع سن الندم ما غمرنى من التحير ، تاليا قوله تعالى «ومن عاد فينتقم الله منه» ، وسبب كثرة سيول هذا الوادى انسياب جميع اودية تلك النواحي عليه ، وهو مركز جامع لها ، ولما اصلحت شأنى انطلقت الى «ال سبيلى فرحا مسرورا ، لما نجانى الله من هذا السيل العرم ، متمسلا بقول ابن حمديس الصقل يصف خريز الوادى بين الصخور وفوق الحجارة : ومطرذ الاجزاء تصقل متنه صبا اعلنت للعين ما فى ضميره جريح باطراف الحصا كلما جرى عليها شكا اوجاعه بخبره كان جبانا ريع تحت جنبه فاقبل يلقي نفسه فى غديره وتقدمت لقرية (تامضلوشت) بعد انصراف الناس من صلاة العشاء فوجدت جماعة من اهل البلد ممن صلى مع الامام ، مازالوا جلوسا معه بهاب المسجد ، فسلمت وتعارفنا ، ففرحوا بنا ورحبوا ، ثم اندفعوا لسؤالى عن كيفية اجتيازى للوادى ، فمن قائل انك طائر ومن قائل انك تمشى على الماء ومن ومن ، غير ان الجميع قد استحال عنده الجواب المعتاد بدون هلاك ، فحكيت لهم

الواقع من اوله الى اخره ، فحمدوا كلهم الله تعالى على لطفه بنا وهو اللطيف بعباده
ثم راودوني على الذهاب معهم للمبيت في البلد ، فابيت الا البيات مع
الامام في المسجد ، واخذ الراحة والجمام معه في مسجده ، وكان له المام
بالعربية والفقه والادب فانزلني في بيته وجاء كل واحد من اولئك الرجال
بالعشاء المختلف النوع ، خبزا وكسكسا وعصيدة وسكرا وآتيا ، قضينا هنيئة
من الليل ، وانصرف الجميع كل الى داره (١) ، فلما أصبح الصبح ، وفرغنا من
صلاته وحزبه . تودعت مع من حضر . وشيعني الامام الى بلدة (تيرمتمات) حاملا
الثقال ، وتودعت معه هناك بعد خروج بعض اصحابنا هناك نائبا عنه ، وسار
في صحبتي الى قرية (ايتمار) حيث موضع الاخوان والاصحاب ، فنزلت على
حبيبنا الفقيه السيد محمد من (ايت اومغار) وداره بازاء المسجد ، وبنت هناك
مكرما معظما ، وحضر الضيافة غالب اهل البلد ، ولما ادينا صلاة الظهر غدا
ارتخلت مع بعض الاصحاب حاملا الثقال الى البلد ، ووصلت قبل المغرب ولله
الحمد على ما هدانا الله لاجعلنا لك من الشاكرين .

ولما وصلت البلد في هذه السنة المذكورة وهي السنة التاسعة والعشرون
اقيمت فيه نحو شهرين في دارنا ، بين الاهل والاخوة والاخوان والاعمام والعمات
ثم انزعجت قلقا للطلب ، فجدتني النفس بالرحلة الى (تحت الحصن) بالغ
للتلقي من الشيخ العلامة الرباني المجاهد الكبير السيد علي بن عبدالله بن
صالح ، في مدرسة زاويته هناك ، وتسوقت سوق الاحد ب (تاهاالا) بقصد
مصاحبة بعض الاصحاب هناك الى (الخ) فاجتمعنا هناك بالسيد محمد بن عابدين
بنى العالم الغازي الكرسيقي ، وذهبنا معا الى ان وصلنا مدرسة قبيلة ايفشان
فدخلناها وقت العصر ، ورحب بنا الفقيه العلامة الاديب البارع السيد عبدالله
ابن محمد بن عبدالله الالف بن اخي صاحب زاوية (تحت الحصن) وابن مؤسسها
اولا ، كما تقدم ويأتي ان شاء الله ، فلما اجتمعنا به وسألنا وانتسبنا له فرح
غاية الفرح ، ووقعت بيننا وبينه مذكرات علمية ، وكان علامة ادبيا شاعرا
مفلحا له اطلاع كبير على الفنون الادبية وممن تشير اليه بذلك الاصابع فوقعت
بينى وبينه مقطعات شعرية ، ومساجلات أدبية ، ومما خاطبني به قوله :

أحمد النذب ابن أحمد من غدا قد السيادة والمجادة اوحدا
لك في القلوب مهابة اوتيتها ومكانة تقضى العدى لن تجحدا
ايه فقد حزت العلا عن رغم ان ف الحاسدين وفقت أنت الفرقدا
وقد اجبته بابيات تأتي ان شاء الله (١)

(١) كانت هذه الحالة معتادة في بعض القرى السوسية متى طرق ضيف
مسجدهم ، يأتي كل واحد بما تيسر ان كان الضيف غريبا ، وأما ان كان له
معاريف في القرية فانه ينزل عندهم . وفي بعضها يوجد من هرى الجماعة
ما يكفي الضيف

(٢) كان ينوي ان يذكر في سجل آخر حياته هذا مساجلاته مع الادباء
والكن ذلك لم يقدر له

ولما أصبح الصباح شططنا له في القصد الذي قصدناه من رحلتنا .
فاجبرنا بان الفقيه المذكور وهو عمه السيد علي بن عبدالله قد أصدر اوامره
بإحضار طلبة مدرسته ، لكثرتهم وشدة المسغبة في هذه السنة ، وانه لا يقبل
الزيادة على ما بقي عنده ، فاستغثت الله ورجعت عن ذلك الى النار ، ولما هممت
بالوداع ، حملني على المقام عنده أياما ، والمذاكرة من دون صحابتي ، فالتفت
من المقام مراعاة لحرمة صحبة السفر ، والفراق فيه دون الوصول الى اوطان
الجميع ، فاعتلت له بذلك ، وواعده العودة بعد ذلك ، ولما لاح وجه غراب
البحر . والدموع تنهل مثل مكنون اللؤلؤ من مئاقى العين ، ودعنى بعد ما
أخذ القرطاس والقلم بقصيدة اوشبهاها ، وهي الذ من وصل الصب لمحبوبه
في الكرى والحلم ، ملتزما في أشطار قافيتها الاتيان بلفظة من الشلحة
السوسية نصها :

محمد بن أحمد ب (أوالا)	متى تدور في ذراكم (تاوالا) (١)
واسأل الله الكريم (اديوى)	يوم زيارة يداوى (الحبنيوى) (٢)
فتستفى الاحشاء من (أماركى)	والعين من دمع بها (كانكى) (٣)
وترتوى أكبادنا من (ايريفى)	وتنزوى عن القلوب (تاغوفى) (٤)
لولا الضرورة لما (راك اجفى)	تذهب اذ ودك بى قد (امفى) (٥)
لكننى اودع قلبى (تولغوين)	لكم وان قد طرتم بـ (تيفراوين) (٦)
ثم عليكم من سلامى (كيكانى)	ياسيدا مطهرا من (اركنى) (٧)

فتودعنا واشتدركنا الدعاء على نية العودة اليه والعود احمد ، ورجعت الى
البلد ، ولم أقم الا أياما حتى خطر ببالي شد الرحلة الى زاوية (تيمكيدش)
لتبنيه بعض الاصدقاء الى ذلك المقام .

الكلام على المثل : العود احمد واول من قاله

ذكر الشيخ أحمد بن خالد الناصرى شارح (شمقمقية) ابن الونان عن
اولها :

وعد لما عودت من بذل الهوى والعود احمد لكل مملق

- (١) أوالا : بلد الكاتب وتاوالا : النبوة
- (٢) اديوى : أن يأتينى ، لحبنيوى : حبي
- (٣) أمارك : التشوق ، وأنكى : السيل
- (٤) ايريفى : العطش ، وتاغوفى : الغمة
- (٥) راك اجغ : أن أتركك ، امفى : نبت
- (٦) تولغوين : الامساح ، وتيفراوين : الاجنحة
- (٧) كيكاني : كبريا ، واركان : الوسخ

مانعه : اختلف في أول من قال العود أحمد ، فليل مالك بن نويرة
اليربوعي حيث يقول :

جزينا بنى شيبان أمس بقرضهم وعدنا بمثل البدء والعود أحمد
والأصح أن أول من قاله خدّاش بن حابس التميمي ، وذلك أنه خطب فتاة
من بنى ذهل ثم من بنى سدوس يقال لها الرباب بعد أن هام بها مدة ، ثم
أقبل يخطبها ، وكان أبواها يمتنعان لجمالها وميسمها ، فردا خدّاشا ، فأضرب
عنها زمانا ، ثم أقبل ذات ليلة راكبا ، فأنتهى إلى محلّتهم وهو يتغنى ويقول :
ألا ليت شعري يارباب متى أرى لنا منك نجحا أو شفاء فاشتفى
فقد طالما عنيتني ورددتني وأنت صفيى دون من كنت اصطفى
لحي الله من تسمو إلى المال نفسه إذا كان ذا فضل به ليس يكتفى
فينكح ذا مال دميما ملوما ويترك حرا مثله ليس ينتفى

فعرّفت الرباب منطقته ، وجعلت تسمع إليه فحفظت الشعر ، ثم أرسلت
إلى الركب الذين فيهم خدّاش أن أنزلوا بنا الليلة فنزلوا ، فبعثت إلى خدّاش
أن قد عرفت حاجتك فعد إلى خاطبا ، ورجعت إلى أمها ، وقالت يا أمه : هل أنكح
الأمه أهوى ، والتحف إلا من أرضى ؟ فقالت بلى ، فما ذاك ؟ قالت فانكحني
خدّاشا ، فقالت وما يدعوك إلى ذلك مع قلة ماله ؟ فقالت إذا جمع المال السيئ
القيح الفعال ، فقبّحا للمال ، فأخبرت الأم أباه بذلك ، فقال ألم تكن قد
صرفناه عنا فما بداله ؟ فلما أصبحوا غدا عليهم خدّاش فقال بعد أن سلم :
العود أحمد ، والمرء يرشد ، والورد يحمّد ، فأرسلها مثلا . والقصة طويلة
فليراجعها من أرادها هناك . ثم قال : نقل الشيخ اليوسى في (زهر الأكسم)
أن عبد الملك بن مروان رحمه الله قال لحاجبه : هات بكرة من المال ، فوضعها
بين يديه ، وقال لمن حضر من وجوه العرب : أيكم انشدني صدر هذا البيت
(والعود أحمد) فله هذه البكرة ، لم يكن فيهم من يعرفه ، فقال للحاجب :
أخرج وانظر من بالباب من العرب ، فخرج فإذا بفتى طال مقامه هناك لظلامه
بينه وبين أبناء عمه ، فأما سال قال له الفتى أنا أحفظه فقال له انشدني
فقال لا إلا بين يدي أمير المؤمنين ، فأعلمه الحاجب ، فقال لئن دخل ولم
ينشدني لأعاقبه ، فدخل فذكر ظلامته في خبر طويل ، فأمر برد ضيعته
ثم انشد لاوس بن حجر

جزينا بنى شيبان صاعا بصاعهم وعدنا بمثل البدء والعود أحمد

فقال أخطأت ، فقال يا أمير المؤمنين أبلغني ريقى ، فقال أبلغتك ، قال
قالت اليمن أنه بيتها ، قال امرؤ القيس :

فان كنت قد ساءت منك خليفة فعودى كما نهواك فالعود أحمد

فقال أخطأت ، فقال يا أمير المؤمنين قالت ربيعة أنه بيتها ، قال المرقش :
وأحسن فيما كان بيني وبينه وإن عاد بالاحسان فالعود أحمد
فقال أصبت ، وأنت لطيف ، فمن أنت ؟ فقال أنا من حى جانب عجرة
ليس ، وعننة تميم . وكسكسة ربيعة ، وطاطاة اليمن ، وتانيت كنانة . أنا
امرؤ من بنى عذرة . فأمر له بالبكرة ، والاشعار في هذا الباب طويلة

الرحلة إلى (تيمكيدشت)

سافرت إلى زاوية (تيمكيدشت) في ١٦ رجب (١) عام ١٣٢٩ هـ على
طريق بلد (او كضيشت) مع بعض الإخوان ، قاصدا سوق الجمعة وهو يومئذ
بقرية (تينزكيت) قبل انتقاله إلى موضعه اليوم ، بمقربة من الجندلة (نالوست)
وسبب انتقاله أن أهل (تينزكيت) قد تضرروا به من كثرة اختلاطهم للديار .
وكثرة الدخول والخروج ، واختلاط الرجال بنسائهم ، وكثرة افسادهم
ماديا وأديبا ، بحيث يختلسن من مخدرات الشعير والذرة والتمر والالاث
ويبعن خفية من غير جدوى بئس بئس ، فقاموا لذلك مشتكين على القبيلة ،
فامتعت أولا ، ثم بعد أن تسوق الناس في بعض الايام خرج أهل البلد عليهم
بالسلاح خرقة رجل واحد ، فأرغموهم على الانجلاء ، واضطرت القبيلة حينئذ
إلى تحويله ، بعد أن قام هناك مدة تسع سنين ، لأن تأسيسه سنة ١٣٢٣ هـ
وإدات سوقه للجواز إلى (تيمكيدشت) اجتمعت فيه بعض اصحابنا من بلاد بنى
منصور وهو محمد بن باها من بنى على ، وبلقاسم بن الحسن ، وبلقاسم بن
بنى على التامساوتى (الزاو) به يعرف ، والشيخ محمد (همو) بن الحاج ، وهو
رئيس القوم ، أرادوني على أن أذهب معهم ضيفا فذهبت ممثلا خائضا وأدى
إيسى ، جاعلا طريقى على الحصن المسمى بالأصبع (أصاى) مارين لحنه ،
معتبرين به ، وقد انجلى عنه أهله للفتنة الواقعة بينهم وبين آل (كدورت)
أزيد من خمسين سنة ، إلى أن استنفروا عليهم قبيلة (أمانوز) تحاصرهم إلى
أن فنى ما عندهم من الاقوات والماء ، فجعلوا يأكلون من شجر التين الشوكى
إلى أن فنى وخرجوا ليلا فارين إلى منجائهم ، وذلك أعوام التسعين وأحسبه
عام ١٣٩٦ هـ وتفرقوا شذرا مدر حتى ظن الناس أن لم يبق منهم أحد ، إلى أن
وقع الاحتلال عام ١٣٥٢ هـ ورجعوا (وهم أيت القاسى من تينزكيت) إلى بلادهم

(١) وجدت بخط جامع الرحلة مانعه : ابتدأت القراءة بتيمكيدشت لاربع
خلت من المحرم عام ١٣٢٩ هـ والمدرس العلامة التولى الصالح سيدى ناصر بن
الحاج عبد الكريم المانوزى (المتوفى عام ١٣٥٦ هـ على عهد صاحب الزاوية
المرابط السيد محمد بن الهاشمى بن الحنفى) ، هذا وقد مضى أن الكاتب
كان إلى شهر ذى الحجة عام ١٣٢٩ هـ فى اداومحمد عند ابن عبو . فيكون
ما هنا هو الصحيح . لا ما كان منه قبل : فليعلم ذلك

ثمان غيرهم ، ولكن لم يبق الا اولادهم واحفادهم ، وجددوا بناء حصنهم واستردوا اموالهم

وانما لو تتبعنا امثال هذا مما وقع من الظلم والجور والخراب والقتل في كل بلد وكل قبيلة ، وكل قطر من الاقطار السوسية لطال بنا الكلام ولخرجنا عن الموضوع ، وقد وقع في هذا الوادي الايسوي من ذلك ما يفوت الحصر ، ومنه ان ايت على من (تامساوت) ايت منصور ، كانت بينهم وبين اهل بلدهم ايت امغار ، فتن عظيمة يطول شرحها ، وتفرقت عليهم قبيلة (امانوز) زمنا طويلا ، فبيت بنو امغار اعداءهم ، ايت على المذكورين ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، ونجا منهم من نجا ، واجتمعت قبيلة (امانوز) من غير ايت الربع ، فتكاثروا عليهم ، وغلبوهم في اخر الامر ، ورجع اليهم سم غددهم واحاطوا بهم من كل جانب ومكان ، واخذوا بمخنقهم ، فلما ايسوا من النجاة والسكنى استسلموا للقهر ، وخرج اكثرهم ليلا الى حلفائهم ايت الربع من امانوز واسكنوهم ببلدة (امكنسن) وذهب بعضهم الى (ايقدي) وبعضهم الى (طنجة) وبلاد الغرب (يعني الكاتب ماوراء مراكش) وامتلك اعداؤهم بنو على ارضهم وديارهم ، وذلك في حدود عام ١٢٠١ هـ فلما اذبح استوطنوا بـ (امكنسن) تحت حماية ايت الربع (اولا) وغيرهم ممن والايم ، وهم الحاج المحفوظ المنصوري واخوته ، فقد اصابوا فيه بلدة طيبة الهواء والمرعى ، وسعة ارض ذات حرث ، فاشتغلوا بالحرث والادخار ، واتخاذ الانعام والنحل وغير ذلك من اسباب الثروة ، الى ان صاروا اثري اهل البلد ، بل صاروا ينافسون اهل البلد في الاقتناء ، والتطاول في البنيان والافتخار ، الى ان احفظوهم فحنقوا عليهم ، وصارت العقارب تدب فيما بينهم ، والغلبة والنميمة تسريان ليلا ونهارا ، ونار الغيرة والمنافسة في ازدياد ، وشعلة البغضاء والشحناء في اتقاد ، فاشتكى اهل (امكنسن) و (ناسكضا) و (تيزكي) مانالهم من هؤلاء السكان الاجانب ، من امتلاك الاراضي والتطاول الذي سيؤدي الى مغالبتهم على اوطانهم يوما ما ، الى اخوانهم اهل (اولا) فاستشاروهم في الايقاع بهم ونفيهم عن ارضهم ، فامتنع اهل (اولا) من ذلك كله ، مراعاة لحسن جوارهم وحمايتهم ، ووفاء بعهدهم ، وحفظ عرضهم بين القبائل المجاورة ، فصاروا على هذا الحال زمنا طويلا ، اكثر من ٢٠ سنة ، فتناسلوا واثروا ، حتى رفضوا عهد اهل (امكنسن) ومجاوريهم ، وتمسكوا بعهد (اولا) وحدهم ، وتطارحوا عليهم بانواع التضرعات والتملقات ، ولكن اهل (اولا) من حسن سياستهم مع اخوانهم (امكنسن) واضرابهم ، عمدوا الى هؤلاء الاجانب السكان ، وشرطوا عليهم شروطا مؤكدة ، وقرروا عليهم قرارات لا يتعدونها فيما بينهم وبين (امكنسن) فقبلوها ظاهرا لابطانها ، مخافة اجتماع الجماعة عليهم ، فما كان غير سنين قليلة حتى لاحت عليهم لوائح الطغيان وعادوا الى الاستطالة ،

فاوعزاهل (اولا) لخواصهم (امكنسن) ومن جاورهم بالايقاع بهم ، وبعدما طاروا بهذا التسليم الذي هو ممتلئهم زمنا طويلا ، اوغزوا هم ايضا الى اعدائهم بنى منصور من ايت على في (تامساوت) ورئيسهم محمد بن الحاج ان يصيروا معهم يدا واحدة عليهم ، فاصبحوا عليهم بكرة ، واحاطوا بهم احاطة الهالة بالقمر ، فتمنعوا يوما كاملا ، ثم استنفروا عليهم قبيلة (امانوز) كافة فهجموا عليهم في ديارهم ، وقتلوا البعض وانجل البعض معفوا عنه ، وهرب كبيرهم بلقاسم بن الحاج عمرو الى زاوية (تحت الرمال) بوادي (تيملت) وذلك سنوات ١٣٣٣ هـ وبعضهم استوطن (تارسواط) عند ارحامهم واصهارهم ابناهم عمرو بن مسعود الى عام ١٣٥٣ هـ بعد سنة الاحتلال فرجعوا الى اوطانهم الاصلية (ايت منصور) كما تقدم ، والى الله ترجع الامور

فائدة

الحاج عمرو المذكور من بنى عمرو من بنى اجنا من اولاد ابي درقة الشريف المشهور ، وهو الحاج عمرو بن ادريس بن محمد بن علي بن عمرو ابن يحيى بن محمد (ضمما) بن محمد (فتح) بن ابراهيم بن احمد بن عيسى ابن عمرو بن يحيى بن الحسن بن يوسف بن عبد السلام بن ابي بكر بن الولي سيدي احمد بن محمد ابي درقة المذكور بن يوسف بن كنون بن عمران بن عبد الرحمان بن سليمان بن الحسن بن عمران بن محمد بن احمد بن كنون بن احمد بن ادريس بن ادريس بن عبدالله الكامل بن الحسن بن الحسن بن علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه .

ومن الحوادث ايقاع ايت (كادورت) بـ (وادي ايسي) ايضا بايت الشيخ في عام ١٣١٢ هـ وهم فرقة جبارة طاغية لهم ثروة وسطوة على من عداهم من ابناء جنسهم بذلك الوادي الايسوي ، وسبب فتنتهم ان احدهم وهو ولد السيد بلقاسم ابن الشيخ قتل غدا بعض كبار (ايسي) في موسم الولي الصالح السيد بلقاسم الفيلاي الشهير ، وهو من اهل اوائل القرن العاشر فيما يقال يقام على ضريحه موسم موقت كل سنة معظم محترم عند القاصي والداني . فاستخفه الطغيان ، والشباب جنون ، فقتله ، فهاج الناس في الموسم وانفضوا هاربين خائفين ، وكل يتربص خائفا من عدوه ، فلما مضت سنة اوبعضها ذهب الى ناحية (تيمكيدشت) فبلغ اعداءه قبل خروجه خبره ، فبيتوه في طريقه مع اصحابه ، فقتلوه شر قتلة ، ومثلوا به شر مثلة حتى انهم قطعوا مذاكيره وحشوها في فيه ثم تماثلوا مع اعدائه من اهل (كادورت) وغدروا بهم وهجموا على ديارهم ، وقتلوا البعض وهرب البعض الى ما منهم من (عق الرمال) (اكرض ايهلان) اعداء (كادورت) وبعضهم الى (تاكموت) فقبلوهم وفرحوا بهم اذ كانوا من جنسهم جزولة و (كادورت) من جنس (تاجوكات) فاقاموا بين

الوادي حولهم وحياولته بين الله والاعمال ، فهموا عليهم ، فخرّبوا ديارهم
ثم رجعوا بعد تسعين سنة أيام الاحتلال .

ولنرجع إلى ما كنا فيه من ذكر الرحلة

وأما وصلت (تامساوت) ضيفا عند اصحابنا المذكورين ، وهم محمد بن
باها (الاصم) به عرف ، وبلقاسم بن الحسن ، والفقر بلقاسم (الزوا) اجتمع
على أكثر أهل البلد مقدمين للعشاء مسرورين بي ، ومفتبين لما تقدم من أمر
العداوة الواقعة بيننا وبينهم . راجين في تمين علائق الصلح والهاء وروابط
الود ، فتكلمت بكل خير ، وسلم عن اخواني بني الربيع ، وضمنت أن لا يعودوا
إلى معاداتهم . وأن يسيروا في قبيلة (أمانوز) حيث شاءوا مطمئنين . فاستبشروا بذلك ، وأرسلت بذلك كله إلى عشائري وعمومتي . فوافقوا عليه
وتابعهم عليه غيرهم

غريبة

ولما تناولنا العشاء بعد أداء العشاء ، أفضى بنا الكلام إلى ضيق البلد
وقلة أرضه ومزارعه ، وارتفاع جباله الشاهقة إلى عنان السماء ، وكثرة المياه
الجارية من غير جدوى ولا فائدة ، فقال بعض الحاضرين : هل لك ياسيدي أن
تفترج على الذئب ؟ فسكت ، ثم أعاد فلم أعرف لكلامه معنى ، إلى أن فصل
فقال : أظنك ياسيدي شاكا في كلامي ، طارحا له في زاوية الاهمال ، فمرنا
بذلك تر العجب مما يسرك ، فقلت له افعلوا ما بدا لكم ، فخرج جماعة منهم في
آخر الليل ، وقد دخلت الذئب والثعالب والظربى إلى الساقية ، بين الفدادين
والمزارع ، وسدوا عليها أنقاب منافذ الجبال التي دخلت منها ، وهي أربعة عشر
لقبا فيما أخبروا به ، بحيث يجلس كل واحد في نقب ، ويأخذ بحجارة صغيرة
ويضرب بها أخرى ، فإذا جاء الوحش للخروج عند انبثاق الفجر يجد النقب
مسدودا بسماع الحس ويرجع إلى الساقية ، إلى أن تطلع الشمس ، فيخرج
عليه جميع أهل البلد رجالا ونساء ، فيأخذونه بسهولة كيفما شاءوا ، فقد
أخذوا منه تلك الليلة ما ينيف عن أربعين وحشا ، ما بين ذئب وثعلب وغيرهما
وخلوا سبيل الباقي ، وخرجت إليهم ، ورأيت من ذلك ما استغربته من شدة
ضيق البلد ، إلى أن بلغ الأمر ما أرى .

وقد أذكرتني هذه القرية ما كان يضاحكنابه أحد احبابنا من علماء
حاجة أيام معاصرنا له بمدرسة (أداومحمد) الهشتوكية في أندية الفاضل
الطلبة ، وذلك أنه يقول مباسطا : ياسيدي محمد قد سمعنا بأن بتلك البلاد
بالأدبا يأخذ أهلها الوحوش باليد لضيقها ، وسمعنا بأن بقرتهم إذا ولدت
ياكلون ماتلده لئلا يراهم في حليب أمه ، وأنهم ياكلون الوطب إذا انقضى

أظهرهم يقاتلون أعداءهم بإخلاص ونية شان أهل البلد ، فيقتلون ويقتلون ،
واستمرت الفتنة قائمة بينهم أحقابا طويلة وإن كانت قبل ذلك بين البلدين
إلى أن وقع الاحتلال أيضا عام ١٣٥٢ هـ فرجعوا شان غيرهم من المهضومين
فارتجعوا أملاكهم وديارهم ، وأرضا لم يطئوها قبل ذلك ، بعدما اقتسم أهل
البلد أصولهم وأهوالهم بينهم ، كما تقسم المواريث ، ودون في الرسوم
والعزلات (١) والأمر لله ، (وماربك بظلام للعبيد) ورجعوا من منافعهم إلى
مواضعهم عام ١٣٥٣ هـ بعد الاحتلال وبعدما مضى على غيبتهم نحو من ٥٠ سنة

ومن الفتن فتنة ايت (ايما ازال) و (تيزركين) من عداد قبائل (تاسريرت)
بذلك الوادي ، فقد هجم عليهم أهل (تيزركين) وهدموا بلادهم مرارا وتركوها
قاعا صافصا ، ثم يرجعون ويبشرون ديارهم ، ثم ينعطفون عليهم بالقتل والخراب
فعلوا بهم ذلك أزيد من ٢٠ مرة ، وقد شاهدت (٢) غالبها أيام التعاطي
بـ (تيمكيدشت) وغيرها .

ومنها ان قبيلة (انزرن) وقع بين رؤسائها بني عبيد من موضع (تيمقييت)
فتنة عظيمة غدر بهم عهدهم الرئيس محمد بن ابي بكر ، فقتل البعض ، ونجا
البعض إلى (تاسريرت) وذلك عام ١٣٣٣ هـ وممن نجا صبي صغير كان يرعى
الغنم ، ويلقب بالمسلم ، فلما كبر تسلط على أعدائهم الذين أجلوهم ، فجعل
يتصيدهم وحده من الحقول والجبال والوادية وبين أزقتهم إلى أن قتل منهم
رجالا ونساء ما نيف على العشرين ، وقتل الرئيس محمد بن ابي بكر وولديه
وبعض نسائه وعمومته ، فتطارحوا على مرابطي (تيمكيدشت) أن يتوسطوا
لهم في الصلح والهاء ، وأن يرجعوا إلى بلادهم «أمنين مطمئنين» فوقع انبرام
الصالح على ذلك ، ورجعوا إلى (تيمقييت) بلدتهم ، بعز عظيم ، وذلك عام
١٣٤٨ هـ وكان هذا الملقب بالمسلم كثيرا ما يغشاني ، وأنا مدرس بـ (مدرسة
المربطة) السيدة مواسة بنت علي ويقيم عندي ماشاء الله ان يقيم ، وربما
يباشر لي بعض الاشغال ، وفي المدرسة بنت عمه خديجة بنت أحمد خادمة
المدرسة وابنتها ، وكان ولدها من انجلى معه ، ثم رجع برجعهم (ان مع
العسر يسرا ان مع العسر يسرا)

وممن انجلى عن حصنه ومقله أهل أصبح بني محمد (أضاض نيست
محمد) بوادي ايسى ، بعد قتال ودفاع سنين بينهم وبين أعدائهم (بني منصور)
وغيرهم ، وتفرقت عليهم قبيلة (أمانوز) وذلك عام ١٣٦٢ هـ وكانوا امنع من
عقاب الجو ، فأصاب فيهم أهل (أمانوز) ومن معهم الفرصة بسبب حمل

(١) المراد بالعزلات : ما يعزل به بين الاقسام والتفاريق من الرسوم

(٢) يعني ما يدل كتابة على ذلك

زمن المخض (١) ، فانكثرت ان يكون من ذلك ما سوى اكل ماثلده البقرة وكانت هذه الحادثة في عام ١٣٢٦ هـ فلم تصل سنة ١٣٣٠ هـ حتى رايت الجميع بعيني ووقفت عليه ، وذلك سر قول الله تعالى : (اولم يسيروا في الارض فينظروا) الاية .

ولنرجع الى ما نحن بصدده من امر الرحلة وان امتدبنا الكلام الى الاستطرادات ، لعدم خاوها من الفائدة التاريخية التي لم يتعرض لها احد ولايتعرض لها من قبل ولا من بعد في ذلك كله (٢) فنقول : لما اقامت في (تامساوت) في (ايت منصور) ثلاثة ايام للضيافة متجولا في انحاءها واطراف جبالها ، وقد رايت خلال هناك من مغارات أنواع المعادن كثيرا تقدم فيها العمل للاقدمين من اهل القرن العاشر ، الى الرابع عشر ، ثم صارت مهجورة شأن كل المعادن بالسوس الاقصى لغلبة الاشتغال بالتجارة الان على اهلها بالمدن المغربية واقطار اوروبا ، فلم يبق لهم اشتغال بالمعادن النحاسية والرصاصية والالومدية وغيرهما مما كانوا يالفون التعدين فيه

ثم ارتحلت بعد الضيافة الى مدرسة (أفيلال) حيث المدرسة العلمية ومدفن الامامين الشيخين الصالحين السيد بلقاسم المشهور الفيلاي المتقدم الذكر ، والامام العلامة الشيخ محمد بن احمد الحضيكي التارسواطي المانوزي صاحب التاليف الحسن من الطبقات وغيرها ، ونزلت فيها على جماعة من الاصحاب منهم العلامة مدرس المدرسة السيد محمد بن علي الغازي الكريسيقي والسيد الحسن بن الحنفى الحضيكي ، وابن عمه السيد الطيب ، والسيد البخاري ، والسيد محمد بن بلقاسم الحضيكي وغيرهم ممن لم احصهم ، من مدشر أفيلال ، وتجوات في انحاءها ، وزرت فيها ضريح الولي العلامة خاتمة محققى بلاده سيدي احمد الفقيه التاهالي نسبة الى قبيلة (تاهالا) الذي اخذ في زمانه عن علماء فاس وتلمسان وغيرهما ، وقد ذكره الامام اليوسي في بعض قصائده وحلاه واثنى عليه خيرا ، وذكره الحضيكي في طبقاته المتقدمة ايضا

(١) يذكر هذا عن (زمور) في احوال الرباط ، ثم ان في (ايت يحيى) من ايت صواب ينقل الصغير من البقر على الاعناق الى قمة الجبال التي يسكنها اهلها فيكبر هناك ، لان الكبير لا يمكن ان يصعد بأي حال على رجليه ، هذا ما ينقل من غرائب وعورة تلك الجبال التي لاهلها من الفضل والدين والعلم رايات خافقة ، وفيها كان محمد بن عبد السلام الفاسي يأخذ القراءات ويعلم العلوم (٢) اقول : لهذا حرصت على ترك هذه المستطردات كما هي ، وقد كنت تنبهت للكتابة حول العادات السوسية في (مجموع) لم يتم لتوقفه على كثرة الجولات في سوس كنت امنع منها في زمن الاستعمار ، ثم شغلت عنها في زمن الاستقلال (ولله الامر من قبل ومن بعد)

ثم ارتحلت الى قرية (كادورت) أسفل منه ، ودخلت البلد ، ولقنتي جماعة من الاصحاب ببابه ، منهم السيد موسى بن بلي بورد ، والفقيه ابراهيم بن ادريس وولده السيد علي ، وغيرهم من الاصحاب ، بفرح وسرور ، كما هو شأنهم في محبة الضيف واهل العلم والفضل ، حتى ان نساءهم يتساقطن علينا بالفرح والزيارة ، واستمطار الادعية ، فاقمنا بها ثلاثا بعد امتناعهم من السريخ اول الضيافة فتجولت في انحاء سواقيهم الكثيفة بالاشجار ، اللثة الخيل ، الكثيرة العيون ، القليلة الارض ، المكتنفة الجبال الشامخة ، وان اسم هذه القرية كسمماها (١) ، على الحقيقة ، الا ان سكانها من احب الناس للمكارم والمفاخر من الكرم والجود ، والديانة والسكينة والوقار ، والانقياد للفضل واهله ، وحكى ان العلامة الامام محمد بن احمد الحضيكي المتقدم الذكر خرج في حياته في بعض الابتكارات ، بقصد التطواف على قري (ايسي) واستماع قراءة صبيانها في المكاتب فبدأ بقرية (كادورت) ووقف منصفا مفااتلا من الصبيان فاذا هم يتلون قوله تعالى (يجبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) فتعجب من صدق الفال ، فقال كذلك كنتم يا اهل (كادورت) لانهم من سلالة ابي ايوب الانصاري الخزرجي رضي الله عنه كما في موالدهم وعهود نسبهم ، ثم هبط مع الوادي الى عنق الرمال (اكرض ايمالان) فوقف وسمع الصبيان يتلون آية توافق حالهم ، فتعجب من صدق الفال فيهم ، وقال كذلك كنتم ، ثم تقدم الى (ايمي ايسي) فسمعهم يتلون آية اخرى توافق حالهم ، ثم رجع الى (ايت منصور) ووقف بـ (تامساوت) فسمع صبيانهم يتلون (لا اله الا هو ولا اله الا هو) فتعجب من صدق الفال على الجميع ، فانصرف راجعا الى زاويته (أفيلال) وكذلك كانت اخلاق هذه البلدان الى الان جودا وبخلا ووسطا ، فاهل (كادورت) اجود الثلاثة واسمعها واحبها للضيف

قرية

سافنتني الاقدار الى زيارة (أفيلال) عام ١٣٢٩ هـ مرجعي من (تيمكيدشت) الى مسقط رأسي ، فدخلت القبة الفيلاية فجأة من غير ان يراني احد ، فصا استكملت الدعاء للمولى حتى اجتمعت على جماعة من النساء والشواب والعجائز فلما راين حسن ظاهري وبهجتى ووسامة وجهي ، نادين بعض الرجال فجاءوا وانا ملتئم ، فما وقعت عينه في وجهي حتى نادى بأعلى صوته (الامام المهدي الامام المهدي) ، فلما خف اجتماع الناس على من كل ناحية كشفت عن وجهي

(١) يريد انها مسماها كادورت ، لان كادورت تشليح لكلمة قدر بكسر الخاف

قلت له أنا فلان ابن فلان الفلاني ، فاذهبوا الى حال سبيلكم ، فما زادهم ذلك الا طغيانا كبيرا ، فخرجت من القبة ، وذهبت الى مرابطي (افيلال) فاتبعتي عالم كبير منهم ، فرددتهم عنى بمسقة وعناء . ومزاحمة بباب داره ، فانظر الى بساطة هؤلاء القوم ، وشدة اعتقادهم في الامام المهدي ، وقد وقع لي مثل هذا ايضا بوداي سمالة وساذكره ، وعدد كوانين قرية (كادورت) وما اليها نحو ٥٠٠ كانون

ولما قضيت في الضيافة بـ (كادورت) ثلاثا ، تقدمت الى بلدة (عنق الرمال) فنزلت على الاخوين في الله الفقيهين العلامتين السيد احمد بن محمد اولشليج ، به يعرف ، وابن عمه السيد محمد بن محمد (فتحا) ابي الجنان وبنتنا عندهما احسن بيات في اجزل ضيافة ، وقطعنا معهما في المذاكرة العلمية شطرا من الليل ، وغالب المذاكرة معهما في الفرائض والانكحة والوصايا والبيوع ، لان الاول قاضي تلك الاودية زمنا طويلا ، وله باع في النوازل ، وله رحلة علمية الى فاس . وهو الاخير من علمائها في صدر هذه المائة ، وابن عمه الثاني ابو الجنان له باع في العربية والفقه والحساب والفرائض ، وغالب اخذه من الفقيه العلامة الصوفي البركة السيد عمر بن احمد بن الحاج عمر نيت اوشن من (آل الديب) بمنكب (تافراوت) وطنا ومنشئا ، العبلوي (نسبة الى آيت عبدالله) اصلا ، المدرس بـ (اكفي) ببغيلة حياته ، اخذ عن الشيخ ابن العربي الادوزي ، وعن الشيخ محمد بن عبدالله بن عبد الوافي الاكماري المتوفى (١) ببلدته (المنكب) سحر الاربعاء ثاني ربيع الاول عام ١٣٣٥ هـ وقد عدته في مرضه وفرح بعيادتي لحسن ظنه باهل العلم ، وقد ترك من اقتنى سبيله في العلم والفضل ، وهو ولده الفقيه البركة السيد محمد بن عمر . والسيد الحسن (٢) ، وأمهما المرابطة الخيرة الصالحة القائدة العائدة السيدة عائشة بنت الولي الصالح ، شيخ الجماعة بالسوس ، سيدي الحاج احمد بن عبد الرحمن الجشتيمي رحمه الله وهي الى الان في قيد الحياة ، تزار من سائر الافاق ، وترشد الناس ولاسيما النساء الى السنة المثل ، وتامر بالمعروف وتنهي عن المنكر ، شكر الله لها سعيها - امين (ثم توفيت يوم الخميس في ذي الحجة عام ١٣٦٣ هـ) ولا يزال الفقيه ابو الجنان المذكور يزورهم ، وقد اجتمعتا به عندهم مرارا ، وقد استدعانا ايضا بـ (عنق الرمال) للضيافة ، الفقيه السيد احمد بن علي بن بلا ، وكان من اهل الثروة ، وممن اخذ عن الشيخ الحاج عابد بن عبدالله بن عمر الكشيري التيفيراسيني البوشواري الهشتوكي ، فبنتنا

(١) يعني سيدي عمر

(٢) توفي الحسن ١٣٧٩ هـ او في اوائل ١٣٨٠ هـ وأما محمد فقد توفي قبله

عنده ، وهؤلاء الثلاثة الفقهاء بـ (بلدة) البلد ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر . ومركز هذه القرية كمرکز (كادورت) في قلة الارض ، وضيق البلد واحاطة الجبال ، وان كانت (كادورت) اضيق منها ، غير انها كثيرة العيون الجارية ، وعدد عيونها على ما قيل تسع عيون جارية ، وغالب مائها سائح في الوادي ، بخلاف ماء (عنق الرمال) فانهم في غالب الاحيان يحتاجون اليه ، وغالب فتن البلدين تحصل على الماء ، لان اهل (كادورت) يقطعونه عنهم ايام البارود والقتال حتى يصطالحوا (ولله الامر من قبل ومن بعد) لان اهل (كادورت) على الوادي الاعلى بعد (آيت منصور) وهي مجتمع الماء ، ومن هناك يفرق الى عنق الرمال ، (اكرض ايمالان) (واعلى المنكب) (افلا ايغير) والتلعة اسفل ، وهما اوسع مما قبلهما ، ومن هناك الى (بني منصور) يسمى وادي (ايسي) ومقدارهم نحو الف ومائتي أسرة ، ويليه من جهة القبلة (بنو يزيد) من (تازوننت) الى (انليوي) ويقدر عددهم بمائتي أسرة ، وهم من سلالة يزيد ابن معاوية بن ابي سفيان ، انتقلوا من الاندلس ، لما اضمحل فيها ملك بني عمهم بني مروان في القرن الرابع الهجري ، ولا زالت فيهم بقية من العلماء الاعتباريين ، واهل الفطنة والذكاء ، والغيرة الدينية شأن اجدادهم الى علم جرا ولا يضرهم من يطعن فيهم من الاغبياء الحمقى ، والدجاجلة اهل الزيغ والفسال الذين ليس لهم دين ولا ايمان ، الذين قال فيهم جدهم السلطان المرواني الاندلسي في احقر واجهل منهم : (عرفتني فسببتني ، ولوعرفتني لاجبتك) وقد أدركنا فيهم من فحول العلماء ما يفتخر بهم الدهر ، مثل العلامة السيد الحاج احمد بن محمد وابن عمه العلامة المرحوم السيد الحاج محمد بن احمد المتوفى في نحو ١٣٠٩ هـ وولده العلامة الاديب الحبيب السيد احمد بن الحاج محمد المولود عام ١٣٠٣ هـ (والتوفى عام ١٣٦٤ هـ) والعلامة الصوفي الكبير السيد المكي بن محمد المتوفى يوم الاحد ١٠ رمضان عام ١٣٤٦ هـ واولادهم مازالوا الى الان على طريقتهم المثلى ، ومكتبتهم من اعظم الخزائن العلمية السوسية ، وقد خالطتهم في بلادهم وغيرها ودخلت كل بلد منها مرارا ، وعرفت الجميع معرفة (الجيد والعينان) (١)

ملاحظة

من اعتبر بعين البصيرة اهل وادي (ايسي) كلهم ، وجد اخلاقهم متقاربة في الفطنة والذكاء والكرم والتهب والتكبر والتجبر ، اذ لا بد لكل من له مكانة فيهم من القوة ان يسطو بغيره ، ممن يخالف هواه ، ولذا كان الشقاق

(١) ذلك اقتباس من البيت المعروف في شواهد الالفية :

اعرف منها الجيد والعينان ومنخيرين اشبهها طبياناً

يكثروا دائما بينهم ، ولا يخلو زمان من الأمانة الا وهم فيه في مرج وحيص ويص من قتل وسبي وتخريب واجلاء ، حتى اننا شاهدنا بانفسنا من سخط منهم على زوجته ، فعمد الى انفاها فقامه وشوه صورتها ، ثم طلقها غيرة ان تزوج غيره ، وقد فعل ذلك رئيس (بنى منصور) هممو بن الحاج من بنى عسل التامساوتى بامرأته ، مع كثرة اولادها معه ، وفعله ابن الاشقر الكادورتى ايضا برجل من ضعفاء البلد لامر ما ، وكانوا هم ايضا ممن يجنحون لاهل الثروة اكثر من غيرهم ، فلا ينقادون للعلماء ، شأن غيرهم من القبائل ، الا لاغنياء منهم والدجاجة . واكثرهم من حملة القراء ان يشارطون في المساجد ، لضيق بلادهم عن الفلاحة ، الى ان استفحل امر التجارة في المدن المغربية في هذا القرن الرابع عشر ، فتسارعوا اليها واضربوا عن الاشتغال بالقراءة والعلم وتسابقوا الى فاس ومراكش وغيرها ، فحصلوا الدراهم ، وصارت الارض عندهم في البيع مثل التبر ، وقد شاهدت فيها في مواضع كثيرة (لوحا) واحدا من الارض لم يكن فيه اكثر من خمسين شبرا بيع بالف ريال حسنى أى ما يعادل آلاف من الفرنكات فصاعدا (١) وقس على ذلك مواضع قلة الارض مثل وادي (املن)

ولما خرجنا من (عنق الرمال) هبطنا مع الوادى ، وسلكنا قرية (شفا المنكب) و (تلة ايسى) وتجوّلنا ، فوجدنا العين التى سلكتها الطريق تخرج بالماء والنساء صائدات وارادات للاستقاء منها ، مع انواع الحل والحلل . وليس والزهو والتبكير والتبخر في الجميع والتشديق في الكلام ، والتسليم والدلال والغنج ، وانواع المباهة والجبور (٢) فما شئت من ذلك كله او اكثر فخذ ، ثم خرجنا لفحص (ذات الريح) في ازغار (تيواضو) وهى ارض سهلة ذات احجار وحجارة (٣) متسعة مكتنفة بالجبلين العظيمين القبلى والجوفى وهو فى المساحة مقدار ستة كيلومترات الى ان وصلنا قرية (ذات الريح) (تيواضو) المذكورة ، وهى قرية ذات سور حصين وابراج ، وهى ملتفة الاشجار نخيلا ولوزا وزيتونا وكروما وغير ذلك ، وهى بشاطىء الوادى والجبل ، ويفصل الوادى بينها وبين (تيمكيدشت) واشتركتا فى السواقي والعيون ، وسائر المنافع ، حتى كأنهما قرية واحدة وأهلها اهل سكية ودعة ينقادون لرؤسائهم ، وهم لهذا العهد ابناء صالح ، وابناء هدى ، وتقام فيها الجمعة . وأخلاقهم منافية لآخلاق اهل (ايسى) لانهم اشحة على الخيرونساؤهم

(١) استغرب الكاتب ذلك بالنسبة للوقت الذى كتب فيه ما كتب وهو أواخر العقد السادس من هذا القرن ، ونحن الان فى أواخر عقده الثامن ، ولو رأى الان لزاد استغرابه . ثم ان ما عير به المترجم اهل ايسى هو فى عهده

(٢) يطلق الجبور عند الشالحيين على الغنج : احابورن

(٣) كذا

اجود من رجالهم ، وانهم مكر ودهاء وظور ، للكون العدو احاط بهم من كل جهات وجامعتهم آيت (كادورت) لاهم من جلس (ناحوكات) وقد طرفتهم قبيلة (امانوز) الجزاوية مرارا بالهدم والاهانة ، الى ان استكانوا وخضعوا لطاقتهم شأن غيرهم من بلاد (ايسى) وفيهم حلم وصبر لمن جاورهم ، لاسيما لطلبة مدرسة (تيمكيدشت) وربما يجنحونهم فى بيوتهم أو يستأجرونهم وأجنتهم آخذين منها ما يشاءون وما يستطيعون ، فلا يحركون لهم ساكنا ، بل يقولون لهم مرحبا مرحبا بتدال وخضوع ، بخلاف غيرهم ، وهم اهل لهو وهوى ولعب ليل ونهارا ، رجالهم ونساؤهم فى ذلك سواء ، يخرجون لوسط القرية كل ليلة ، فيلعبون مناوبة . فاذا اضافوا ضيفا عزيزا عندهم اكرموه بالامر للنساء باللعب بالرقص والتصفيق والغناء وانواع الدفوف ، واخراج البارود عند ذلك كله ، ويختلط الرجال بالنساء من غير عيب عندهم ، وربما يلغى فيهم طلبة علم ، يخالطونهم من غير حياء ولا تستير ، فتراهم يلعبون ويغنون بسكية ووقار ، فلا تسمع الا همسا . وترى الرجل وزوجته واولاده الكبار ذكورا واناثا هناك مختلطين متفاحكين ، ينادى بعضهم بعضا كأنهم فى اعز بيوتهم ، وربما يرى الرجل بنته العذراء البكر تناغى الاجنبى وتساره (١) وهو لذلك مرتاح نشيط ، وهكذا حالة (ايسى) كلها و (اكنان) وبلاد املن وما والاها من القبائل ، وقد ضاهوا فى ذلك اهل القبلة مثل (تامانارت) وبلاد اقة و (اكفى) و (الفجة الخضراء) و (آيت وابل) و (تيزونين) و (تامزدار) الى بلاد (الويدان) الى بلاد وادى الجبل من سائر بلاد الجريد ذات النخيل لاسيما أمكنة الحراطين (٢)

وصولنا لزاوية (تيمكيدشت)

ولما دخلناها تقدمنا اولا الى روضة الشيخ السيد احمد بن محمد ، وكانت قبة واسعة عالية رحبة الاكفاف . مربعة الجوانب ، مزوقة بانواع الزليج والمرمر ، على الشكل الاندلسى ، لان البنائين الذين أسسوها وردوا من قبل السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان العلوى لما له من علاقة ومحبة مع ولد صاحب الروضة ، وهو الشيخ سيدى الحسن بن احمد ، البالغ مبلغا فى الشهرة والمنزلة عند اصحاب الرئاسة سوسا وغربا ، وقد أنفق فيها السلطان على ما قيل ستة عشر الف ريال سكة زيبيلية (٣) فجاءت فى

(١) يعنى بالاجانب من ليسوا من مجارها الذين تحل لهم مخالطتها .

(٢) عهدة كل هذا على المترجم

(٣) من السكك الشهيرة التى أدركنا الناس يتحدثون عنها وقلما ترى فى عصرنا : سكة زابيل هذه ، وهى سكة اسبانية منسوبة الى لفظة ايزابيل اسم احدى ملكات اسبانية .

أحسن شكل وألمه وأروقه ، بحيث لم تكن لها في أضحية القطر السوسى
ثانية ، الأماكن من قبة الولي سيدى أحمد بن موسى السملال ، ثم استمرت
هذه القبة في حسناتها وتنميتها إلى أن أصابها عين الكمالة عام ١٣٣٦ هـ
فتهدمت منها القبة العالية وسقطت ، لثقلها على الأخشاب الحاملة لها ولغيرها
وسبب هدمها وخرابها زيادة على مذكرنا ، وخراب أكثر ديار السوسى إلى
مراكش الأمطار المسترسلة المشوبة بالرياح العاصفة تسلمت على الديار
ابتداء ذى الحجة إلى عاشرها يوم النحر ، فابتدأ الخراب ليلته واستمر سبعا
سبعة أيام متوالية ، حتى لم تبق دار ولا غيرها ولو أسست بالحجارة والجير
والجص وغير ذلك إلا انهارت وتهدمت ، وصار من عنده من الأغنياء كثرة الفرش
من أحمال الشعر والحنابل والزرايب والقطائف والزنايل والحصر وغيرها
يخرجها ويلفها على الحيطان لوقايتها ، فلم تبق شيئا ، وتهدمت الديار وصارت
امتعة الناس في البراح تنهدم عليها الأمطار أياما ، وهم يتضرعون إلى الله
في المساجد ويبتونهم ، أن يرفع عنهم ذلك الطوفان الجارف مثل السيل
العرم (١) فلما انقشع سحاب تلك المصيبة العظمى ورجعت إلى الناس اقتدتهم
رجعوا إلى إصلاح البناءات المنهارة ، وطلبوا البنائين من كل جهة بالمزاحمة
والتنازعة ، فمن يومئذ ابتداء غلاؤهم فصاروا يعملون بربال حسنى ونصف
ثم بريالين ونصف أى ما يعادل مائة فرنك في اليوم الواحد ، ثم تفاقم أمره
فصار يزداد في كل شهر غلاء وطلوعا بكثرة انتشار الناس في المدن وتجارته
وخروج أنواع الاجناس النصرانية والافرنجية إلى المغرب ، بعد الاحتلال
الفرنسى الواقع مبدؤه عام ١٣٢٤ هـ قبل أيام السلطان المولى عبد الحفيظ بن
الحسن ، وصار أهل الاودية مثل (ايسى) و (املن) يتنافسون في البنين
والدوائر (٢) والقصور وغير ذلك ، حتى صار العارف بالبناء عندهم اعز من العالم
ثم تفاقم أمره في المدن مثل الدار البيضاء ، حتى وصل في سنة ١٣٣٠ إلى
سنة ١٣٤٠ هـ إلى أكثر من مائة فرنك في اليوم وهو أمر لم يعهد مثله ، وكان
في الاعوام الماضية قبل الاحتلال أرخص شئ ، اذ كان بنصف فرنك في اليوم
أو بقرش ، وقد استخدمت أنا نفسى بعض البنائين بهذا المبلغ غير مأمرة

وقد أخبرنا من أدركناه ممن أدرك أهل الرباء الواقع عام ١٣١٤ هـ أيام
السلطان المولى سليمان بن محمد أن أهل سوس في ذلك العهد وقبله لا يبنون
بالاجارة ، ولا يعرفون ذلك ، الامن كان فقيرا جدا ، فانه يحترف به . ولكن
من أراد البناء يجمع جماعة من البنائين على أشغاله ويسمونه تيويزي (التعاون)

(١) وجدت بخط المترجم ما يشبه هذا ، وهو : في الاربعاء ٢٨ شوال
١٣٥٧ هـ ابتدأت الخراب من كثرة الأمطار حتى انقطعت السبل شهرا
(٢) يعنى السلام من الملف

والبون له حتى يفرغ ويحولهم قدامه (١) ففعلوا ، فعملوا يبنون بالاجارة
أو الكسكس أو الخبز بالادام ، إلى هذا العهد القريب ، فعملوا يبنون بالاجارة
الفاقة (٢) إلى أن كان عصرنا هذا في أول هذه المائة الرابعة عشرة ثم تفاقم
الأمر على نحو مذكرنا ، وصار الناس يبنون بما ذكرنا وزيادة المئونة أربع
مرات في اليوم ، وهى الفطور على مائدة مشتملة على خبز وخمسة أنواع الادام
سمن وزيت هرجان وعسل ومطجون لوز (املو) وطاجن لحم مطبوخ طبخا
جيدا ، ثم في الساعة الحادية عشرة يوضع لهم الغداء وهو الدشيش باللحم
والبيض والسمن ، ثم بعد صلاة الظهر يقدم لهم ماتقدم في الفطور ، ثم في
المساء يقدم لهم مثل ماتقدم في الغداء ، مع عمل الاتى في الكل وغيره من
الفواكه ، فانظر قيمة هذه النفقة في هذا الغلاء الذى يباع فيه الشعر بفرنك
١٠٠ للصاع والسكر بـ ٧٠ فرنكا للكيلو ، والزيت والسمن والعسل بـ ٧٠
فرنكا ، تجد قيمة مواد يوم للبناء الواحد ١٠٠ فرنك بله أكثر من البناء الواحد
أما ظنك بما أكثر من الاجارة ، أمر لم يعهد مثله فيما سمعنا ، وذلك كله في
حدود الثلاثين ، إلى حدود الخمسين في المائة الرابعة عشرة ، ثم زاد الأمر
وصار الناس يقبط بعضهم بعضا في ذلك ، بحيث أن من لم يشتغل بالبناء
الدار يعد عندهم صعلوكا فقيرا ، ولا يملك تقيرا ، وانهمك الناس في كسر
الصخور المبنية بها ، حتى صارت الجبال الصغيرة دكا دكا ، إلى أن وقع الاحتلال
في جبال جزولة عام ١٣٥٢ هـ واحتلت بلاد (املن) و (امانوز) وما حولها ،
وخيمت قواته في (اربعة تافراوت) فكان من قدر الله أن سلطهم على كسر
صخور الروابي والتحول لبناء الادارات ، فكسر كل ما بقى هناك ، وكذلك بنيت
جميع ادارات القطر السوسى ، فجاء جزاؤهم من جنس عملهم ، ولله في خلقه
شئون :

واعلم علم اليوم والامس قبله ولكنى عن علم ما فى غد عم
وأقامت قبة (تيمكيدشت) كذلك زمانا يقرب من ٢٠ سنة على هذه الحال
وراودت القبائل ذات الاعتقاد فيها السيد الهاشم بن الحنفى ، رئيس الزاوية
وحفيد السيد فى بنائها ، فامتنع من ذلك إلى أن هلك نحو عام ١٣٤٥ هـ ثم
لما توفى وتولى أمرها ولده محمد بن الهاشم جمع لها البنائين فى عام ١٣٤٦ هـ
فبناها .

(١) أراد بالعكبية بضم العين ، وكاف معقودة : ما يوكل بين الغداء والعشاء
واسمه العربى الهجورى يفتح الهاء
(٢) أقول : أدركت فى الخ أن الحصاد والسقى إنما يكونان بالتعاون لا
بالاجارة ، وإنما على المعمول له أن يقوم بالمئونة للناسبة لبساطة طبيعة
البلد ، ثم تغير ذلك حتى لا يجد الانسان اليوم من يعينه الا باجرة يومية
بنحو ٣٠٠ فرنك ، ونحن فى ١٣٧٨ هـ

أحسن شكل وأتمقه وأروقته ، بحيث لم تكن لها في الضربة القطر السوسى
ثانية ، الاماكان من قبة الولي سيدى احمد بن موسى السملالى ، ثم استمرت
هذه القبة فى حسننها وتنسيقها الى ان أصابها عين الكسالى عام ١٣٢٦ هـ
فتهدمت منها القبة العالية وسقطت ، ثقلها على الأخشاب الحاملة لها ولغيرها
وسبب هدمها وخرابها زيادة على ما ذكرنا ، وخراب أكثر ديار السوسى الى
مراكش الامطار المسترسلة المشوبة بالارياح العاصفة تسلطت على الدينامن
ابتداء ذى الحجة الى عاشرها يوم النحر ، فابتدا الخراب ليلته واسترسل
سبعة أيام متوالية ، حتى لم تبق دار ولا غيرها ولو أسست بالحجارة والجير
والجص وغير ذلك الا انهارت وتهدمت ، وصار من عنده من الاغنياء كثرة الفرش
من أحمال الشعر والحنابل والزرايبى والقطائف والزنابيل والحصر وغيرها
يخرجها ويلفها على الحيطان لوقايتها ، فلم تبق شيئا ، وتهدمت الديار وصارت
أمتعة الناس فى البراح تنهدم عليها الامطار أياما ، وهم يتضرعون الى الله
فى المساجد ويوتوهم ، أن يرفع عنهم ذلك الطوفان الجارف مثل السيل
العم (١) فلما انقشع سحب تلك المصيبة العظمى ورجعت الى الناس أفئدتهم
رجعوا الى اصلاح البناءات المنهارة ، وطلبوا البنائين من كل جهة بالمزاحمة
والمنازعة ، فمن يومئذ ابتدا غلاؤهم فصاروا يعملون بريال حصى ونصف
ثم بريالين ونصف أى ما يعادل مائة فرنك فى اليوم الواحد ، ثم تفاقم أمره
فصار يزداد فى كل شهر غلاء وطلوعا بكثرة انتشار الناس فى المدن وتجاريتهم
وخروج أنواع الاجناس النصرانية والافرنجية الى المغرب ، بعد الاحتلال
الفرنسى الواقع مبدؤه عام ١٣٢٤ هـ قبل أيام السلطان المولى عبد الحفيظ بن
الحسن ، وصار أهل الاودية مثل (ايسى) و (املن) يتنافسون فى البنين
والدوائر (٢) والقصور وغير ذلك ، حتى صار العارف بالبناء عندهم اعز من العالم
ثم تفاقم أمره فى المدن مثل الدار البيضاء ، حتى وصل فى سنة ١٣٣٠ الى
سنة ١٣٤٠ هـ الى أكثر من مائة فرنك فى اليوم وهو أمر لم يعهد مثله ، وكان
فى الايام الماضية قبل الاحتلال أرخص شئ ، اذ كان ينصف فرنك فى اليوم
أو بقرش ، وقد استخدمت أنا نفسى بعض البنائين بهذا المبلغ غير مأمرة

وقد أخبرنا من أدركناه ممن أدرك أهل الوباء الواقع عام ١٣١٤ هـ أيام
السلطان المولى سليمان بن محمد أن أهل سوس فى ذلك العهد وقبله لا يبنون
بالاجارة ، ولا يعرفون ذلك ، الامن كان فقيرا جدا ، فانه يحترف به . ولكن
من أراد البناء يجمع جماعة من البنائين على أشغاله ويسمونه تيويزى (التعاون)

(١) وجدت بخط المترجم ما يشبه هذا ، وهو : فى الاربعاء ٢٨ شوال
١٣٥٧ هـ ابتدأت الخراب من كثرة الامطار حتى انقطعت السبل شهرا
(٢) يعنى السلام من الملف

ويبنون له حتى يفرغ ويحولهم لدا ، وعشاء وعكسية (١) فقط ، بالعصيدة
أو الكسكس أو الخبز بالادام ، الى هذا العهد القريب ، فجعلوا يبنون بالاجرة
التافهة (٢) الى أن كان عصرنا هذا فى اول هذه المائة الرابعة عشرة ثم تفاقم
الامر على نحو ما ذكرنا ، وصار الناس يبنون بما ذكرنا وزيادة المئونة أربع
مرات فى اليوم ، وهى الفطور على مائدة مشتملة على خبز وخمسة أنواع الادام
سمن وزيت هرجان وعسل ومطجون لوز (املو) وطاجن لحم مطبوخ طبخا
جيذا ، ثم فى الساعة الحادية عشرة يوضع لهم الغداء وهو الدشيش باللحم
والبيض والسمن ، ثم بعد صلاة الظهر يقدم لهم ماتقدم فى الفطور ، ثم فى
العشاء يقدم لهم مثل ماتقدم فى الغداء ، مع عمل الاتى فى الكل وغيره من
الفواكه ، فانظر قيمة هذه النفقة فى هذا الغلاء الذى يباع فيه الشعر بفرنك
١٠٥ للصاع والسكر بـ ٧٠ فرنكا للكيلو ، والزيت والسمن والعسل بـ ٧٠
فرنكا ، تجد قيمة مواد يوم للبناء الواحد ١٠٠ فرنك بله أكثر من البناء الواحد
لما ظنك بما أكثر من الاجارة ، أمر لم يعهد مثله فيما سمعنا ، وذلك كله فى
حدود الثلاثين ، الى حدود الخمسين فى المائة الرابعة عشرة ، ثم زاد الامر
وصار الناس يغبط بعضهم بعضا فى ذلك ، بحيث ان من لم يشتغل بالبناء
للمدار يعد عندهم صعلوكا فقيرا ، ولا يملك تقيرا ، وانهمك الناس فى كسر
الصخور للبناء بها ، حتى صارت الجبال الصغيرة دكا دكا ، الى أن وقع الاحتلال
فى جبال جزولة عام ١٣٥٢ هـ واحتلت بلاد (املن) و (امانوز) وما حولها ،
وخيمت قواته فى (اربعة تافراوت) فكان من قدر الله أن سلطهم على كسر
صخور الروابى والتلول لبناء الادارات ، فكسر كل ما بقى هناك ، وكذلك بنيت
جميع ادارات القطر السوسى ، فجاء جزاؤهم من جنس عملهم ، ولله فى خلقه
شئون :

واعلم علم اليوم والامس قبله ولكنى عن علم ما فى غد عم

واقامت قبة (تيمكيدشت) كذلك زمانا يقرب من ٢٠ سنة على هذه الحال
وراودت القبائل ذات الاعتقاد فيها السيد الهاشم بن الحنفى ، رئيس الزاوية
وحفيد السيد فى بنائها ، فامتنع من ذلك الى أن هلك نحو عام ١٣٤٥ هـ ثم
لما توفي وتولى أمرها ولده محمد بن الهاشم جمع لها البنائين فى عام ١٣٤٦ هـ
فبناها .

(١) أراد بالعكسية بضم العين ، وكاف معقودة : ما يواكل بين الغداء والعشاء
واسمه العربى الهجورى يفتح الهاء

(٢) أقول : أدركت فى الخ أن الحصاد والسقى اتما يكونان بالتعاون لا
بالاجرة ، وانما على المعمول له ان يقوم بالمئونة المناسبة لبساطة طبيعة
البلد ، ثم تغير ذلك حتى لا يجد الانسان اليوم من يعينه الا باجرة يومية
بنحو ٣٠٠ فرنك ، ونحن فى ١٣٧٨ هـ

ولما فرغت من زيارة فريخ السيد أحمد بن محمد المذكور خرجت منه معرجا على والده السيد محمد بن إبراهيم ، وهو على شفا زقاق المدرسة ، مما يلي الأيسر ، ودعوت له ، وتقدمت لجهة المسجد والصومعة ، فتشخصت بهرى في ارتفاع الصومعة وعلوها ، وهى مسدودة مغلقة ، لا يؤذن فيها لاحد حتى للمؤذن ، وذلك لأمر صاحب الزاوية السيد الهاشم بن الحنفى المذكور ، ثم سألت عن الفقيه مقرر الزاوية السيد محمد بن الحاج الطيب التونيسى المانوزى (وقد سبقت ترجمته) ، ليقف معى واسطة فى الابتداء عند الفقيه ، وتسلم مفتاح بيت ، فرحب غاية ، وأعلم صاحب الزاوية ففرح أيضا ، وعين لى بيتا نفيسا تحت القبة ، وله فرجة ، وهو أمام القبر الخارج فى حائط القبة فى الخومة الضيقة الداهية آزاء القبة ، وأخذته ، وجاء جزاء الله خيرا بالبسط والفرش والكتب والمثونة ، وكان صاحب الزاوية المذكور لا يخرج من داره ، ولا يراه أحد من زائريه أو غيره ، إلا الخواص من أصحابه ومن الطلبة ، منهم كما فى اللعب بالدفوف والغناء والرقص مع جماعة من الرجال والنساء ليلا ونهارا ، فلا تسمع إلا الطبول والصياح فى جميع الاوقات ، فما اجتمعت به الا بعد حين ، فابتدأت بالقراءة (تيمكيدشت) فى رابع المحرم (١) عام ١٩٢٩ هـ ، والمدرس فيها الشيخ العالم العلامة الصوفى الربانى سيدى ناصر بن الحاج عبد الكريم التونيسى المانوزى ابن المقدم المذكور (وقد تقدمت ترجمته واسم أبيه) وكنت قد اجتمعت به اول يوم فرحب وفرح كما هى عادته مع أهل العلم

ولما ابتدأت بـ (تيمكيدشت) راودت المدرس سيدى ناصر بن الحاج عبد الكريم المانوزى على افتتاح جمع الجوامع مع التلخيص فى البيان والمعاني والبديع ، وافتتاح مؤلفات علم الكلام والمنطق مثل السلم وغيره والتفسير (٢) فابى ، وقال لا بد لى من اذن صاحب الزاوية ، وهو السيد الهاشم بن الحنفى المذكور ، معتقدا بأن جميع الفنون لا تعاطى الا بأذنه وأمره ، فكانت السيد الهاشم فى ذلك ، فوعدنى بعد حين ، بعد أن تقدم الى بتدريس الشيخ خليل وابن عاصم والزقاقية والرسالة والخلاصة لابن مالك وغير ذلك ، نائبا عن المدرس سيدى ناصر المانوزى المذكور ، فساعدته واقمت ستة أشهر فى التدريس من غير انجاز وعده فى مطلوبى ، وتكررت المكاتبة بيننا تارة بلطف وتارة بعنف ، وتقدمت اذا لم يساعدنى على مرادى أن يساعدنى على الرحيل الى مدارس أخرى ، لما علمت من أنه محب لاقامتى هو وجميع الطلبة ، ثم

(١) وقد تقدم الكلام حول وقت ابتدائه هنا وأنه فى رجب لا المحرم

(٢) قد تقدم أن المترجم اخذ هذه العلوم عن ابن عابو الذى ذكر انه أتقنها ولعله إنما يريد التبرك بإعادة اخذها هنا ، والا فانه لحذقه قد يكتفى بمررة فضلا عن مرار . وقد وصف نفسه بالتحصيل

أمر السيد ناصر بافتتاح مصنفى التلخيص والسلم ، فختمناهما فى أقل من ثلاثة أشهر ، كل ذلك وأنا جاد مجتهد فى ماموريتى من تدريس الفنون المتقدمة وزيادة فنون أخرى ، الى أن أظلم الجو بينى وبين الحسنة من الطلبة لأمور كثيرة سببتها المناقسة والمعاصرة ، التى تمنع المناصرة ، فى أمور يطول شرحها وأسباب يطول ذكرها ، ولابأس أن نلم بشئ منها بتقديم مقدمة على ذلك . لتكون كبراة الاستهلال فى الدلالة على المقصود

فنقول : لما توفى صاحب الزاوية وشيخها وامامها الشيخ الحسن بن أحمد بن محمد عام ١٢٩٧ هـ ولم يعقب سوى بنت توفيت صغيرة ، وترك اولاد أخيه سيدى المدنى وسيدى الحنفى وسيدى الهاشم والمكى وغيرهم ، وترك معهم أخته لالة خديجة بنت أحمد المتوفاة عام ١٣٢٤ هـ تنافس هؤلاء الاحفاد امر الزاوية مع بنت الشيخ دنية المذكورة ، وكانت مسموعة الكلمة لان الناس يلتفتون اليها بعين الاعظام والاكبار ، مراعاة لوالدها وأخيها الشيخ الحسن ابن أحمد ، فكان الزوار يردون ليلا ونهارا بأنواع الهدايا ، فلا تسمح لابناء اخوتها الا بما تريد ، فتعطى من تشاء وتحرم من تشاء ، فحازت لهذا امر الزاوية ، وصار على يدها أمر الطلبة والمدرسين ، وهى قائمة بمثونة الجميع أمالها من الثروة والجاه ، الى أن قام اولاد أخيها سيدى الحنفى دونها لما نبغ فيهم الفقيه السيد الهاشم بن الحنفى وأخوه السيد الحسن بن الحنفى بحجة انهما من أهل العلم ، وأنهما أحق بها وأهلها ، وأن أمر الزاوية لا يتولاه الا العلماء وورثتهم فى العلم ، لا الجهال من الرجال والنساء ، وكان هذا أيضا منتهى هوى الطلبة وذوى الراى والعقل ، فثار الجمهور على لالة خديجة ومن نجا نحوها من ابن أخيها السيد المحفوظ الذى ليس بعالم ، ومالوا الى اولاد السيد الحنفى وهو الفقيه السيد الهاشم ، فالتقوا اليه زمام الزاوية ورضوا بمثونته وأوامره ، وكانوا تحت طوعه فى أمره ونهيه ، وأعانهم على ذلك اخوته الأشقاء وأكبرهم أحمد بن الحنفى ، والعربى ، وهو أصغرهم سنا ، وأكثرهم جسارة . والسيد المدنى وهو الخليفة عن أبيه السيد الحنفى ، فقام السيد الهاشم بأمور تلك الزاوية من عام ١٣١٢ هـ الى أن توفى عام ١٣٤٥ هـ مع منازعات وقعت بينه وبين لالة خديجة التى كانت تبعت بالمثونة للطلبة فكانوا يتركونها للكلاب ويأكلون مثونة السيد الهاشم مع قلتها وخشونتها رغبة فيه واستنكافا من استحواذ المرأة على أمورهم ، ووقعت أمور أدت الى حروب بينها وبين اولاد أخيها الى أن توفيت فى السنة المذكورة ، فتنازع فى تركتها ، وهى شئ يجل عن الحصر ، وارثوها وهم ابن أخيها السيد المحفوظ وابناء ابن أخيها يتقدمهم أصغرهم العربى بن الحنفى ، فادعى اولاد السيد الحنفى ان أموال الزاوية لاتورث ، وإنما هى لمن تولى أمر الزاوية ، فتفرقت عليهم قبيلة (أمانوز) فرقتين فرقة مع أبناء السيد الحنفى ، وفرقة مع سيدى المحفوظ ، فوقع القتال فى الزاوية شهورا ، وكانت الطلبة للعربى بن الحنفى فاستصفى تلك الأموال ، غير أنه

لم يعط للزاوية نفيرا ولا قطميرا ، بل اتخذ جماعة من صغاليك اهل (أمانول) يضرب بهم من حاد عن رايه ، وصار عمه المحفوظ مهضوم الحق ، بذهاب ثروته وقتل ابنته في الحروب ، الى ان توفي أيضا عام ١٣٣٣ هـ فتولى العربي جميع ما بقى بيده ، وتزوج امرأته ، وحاز ابنته الباقية الى ان ماتت مسمومتين عام ١٣٣٦ هـ وكان أخوه الأكبر أحمد بن الحنفى المسيطر قبله على وادى (تيمكيدشت) قد توفي أيضا وترك زوجته زهور بنت أبى الحديد الصويرية وابنتيه معها فاطمة وفاطم ، فتزوج العربي المذكور بها ، واحتضن البنيتين مع مالهما ، ولما صفا الجو للأخوة الأشقاء الأربعة أبناء السيد الحنفى وهم الهاشم والمدنى والعربى والحسن ، وقعت المنافسة بينهم أيضا ، بأن طالبوا كبيرهم المدنى بن الحنفى الخليفة عن أبيه زمانا طويلا بمالهم الذى حازه ، وكان فيما زعموا أكثر من ثلاثة ملايين ريالاً سكة فرنسية وزبيلية وشيئا كثيرا من الذهب واللبان والفضة الغير المسكوكة ، وهرب لزاوية (أيغد) ب (أمانول) عنده صهره السيد محمد بن على بن الحاج الوجيه الشهير ، فنقل اليه أمتعته وصناديقه المملوءة ذهبا وفضة ، وكان من ثقات أصحابى ، وقد رأيت هذه الصناديق فى بيت صغير مقفل دائما فى بعض الأيام ، فبقى الثلاثة ب (تيمكيدشت) متنافسين ، لاسيما العربى وصاحب الزاوية الهاشم بن الحنفى لأن الأخير غلب بانتسابه للعلم وبالمدرسة ، فله بذلك قوة عظيمة ومهابة خارجية مع ماله من الدهاء والمكايد ، وعجائب الحيل فى التمويهات ، والترهات التى لا يطلع عليها غير خالقه ، فاستكان له الصغير العربى بن الحنفى ظاهرا

وأما الفقيه السيد الحسن بن الحنفى ثانى العالمين فإنه نجا بنفسه ، وانفرد عزبا فى دار هناك ، بناها أخوهم الهارب الى (أيغد) المدنى بن الحنفى وتوطنها واتخذ طبخة ، وتخل عن جميع أمور الزاوية ، تخوفا من غائلة صاحبها وكان يخالف طلبة المدرسة أحيانا وأحيانا فلا ، وكان فقيها مشاركا مشاركة حسنة ، لاسيما فى الحساب والفرائض والتنجيم والتعاليم ، وعلم النار ، وربما يتعاطاه والجداول والافاق وغير ذلك ، الى أن كانت سنة ١٣٢١ هـ

فى هذه السنة ١٣٢١ هـ انزل صاحب الزاوية عن الناس جميعا ، لاسيما الطلبة فى المأذنة أى الصومعة مع بعض أصحابه الفساق وأهل اللهو واللعب بالدقوف قد استخلصهم لنفسه ، ومكث فيها أزيد من أربع سنين ، ثم انتقل الى داره ، وهو على تلك الحال . وزيادة مخالطة النساء بأنواعهن ، زاعما - والزعم مطية الكذب - أنه مجذوب لآحرج عليه ، فصار الطلبة يتقولون عليه أنواع الاقاويل ، وصاروا يقترحون عليه الخروج الى المدرسة لحضور التدريس وغيره ، فابى ولج فى لهوه مع قرنائته ، فلا تسمع ليلا ونهارا الا الضرب بالدقوف والرباب والموسيقى ، وأنواع زغاريد النساء الشواب المحصنات وغيرها . يبعث اليهن فى الانحاء القريبة والبعيدة فيلبين اجابته بارتياح لزعمهن انه اول

العوث كما اعتقده سائر طلبة مدرسته ، فيقمن عنده أياما بل أشهر بل أعواما فيما راينا وشاهدنا وأزواجهن فى كل ذلك مرتاحون راضون ، ويزورونهن عنده ان شاء ، وان لم يشأ فلا ، معتقدين فى ذلك أن رضا الله فى رضا الشيخ ثم افترق الطلبة عليه فرقتين ، فرقة مع الفقيه السيد الحسن أخيه ومع سيدى العربى المتحمل لمثونة الزاوية ، وفرقة مع المدرس السيد ناصر المانوزى المتعصب لصاحب الزاوية السيد الهاشم ، فوقع بين الفرقتين شر عظيم ، أدى الى المقاتلة والجروح فبعث اليهم صاحب الزاوية ووعدهم ومناهم حتى سكتوا واستكانوا على دخل ودغل ، الى أن وصل موسم المولود والعادة أن يحتفل الناس به هناك ، وذلك عام ١٣٢٨ هـ فلما امتلا الموسم بأنواع الناس الزائرين ، بعث الى الطلبة أن يخلوا المدرسة كلهم وأن يخرجوا منها أمتعته واجلهم لذلك ثلاثة أيام ، ومن أقام بعدها فلا يلومن الانفسه سواء كان قريبا أو بعيدا ، سواء كان من جهته أو من المعادين له ، حتى المدرس سيدى ناصر وشيعته ، فاستعد الطلبة للرحيل وصاروا يخرجون أمتعتهم الى السوق لبيعوها ، فباعوا الفراش وأنواع الكتب والدقيق والادام وغيرها ببخس من الأثمان ، فلما كان يوم السبت لم يبق فى المدرسة أحد ، وتفرق الطلبة شذرا مذر ، بعد توسط كبراء القبائل ووجهائها فى العفو فأبى الا تنحيتهم ، ثم بعد شهر صار يكاتب من أحب منهم أن يرجع ، فكان منهم من رجع ، ومنهم من امتنع الى أن رجع مقدار ثلاثين فقط ، والباقي لم يسمح له بالرجوع ، لاسيما القرباء فإنه لم يقبلهم ، ولم يقبل الا الغرباء الأبعد ، مثل اهل (وزكيت) (ومتوكة) (وحاجة) و (سكتانة) واهل (الويدان) (١) ثم نهى المدرس أن يقبل أحدا ممن جاء بعد الثلاثين ، فمضت سنة أو أكثر على هذه الحال ، الى عام ١٣٢٩ هـ التى وردت فيها الى (تيمكيدشت) فلما وردت أشاع الطلبة وغيرهم أنه لا يقبلنسى ليمينه الجهاد ، فقبلنى وانفتحت بذلك آمال كثير من المطرودين فجاءوا . فمنهم من أقام مقبولا ، ومنهم من منعه ، فلما أقمت ما أقمت كما تقدم ، وصرت مرعى الجانب ، معظما مبجلا من لدن صاحب الزاوية بما قمت به من أعباء التدريس ، ونشر العلم وبثه ، وانشال على الطلبة يتوسطون بى لدى صاحب الزاوية فكان يسرع الى مرضاتى فى قبول شفاعتى فلما رآنى أخوته سيدى الحسن بن الحنفى وأخوه سيدى العربى كذلك ، حركتهما الغيرة والمنافسة فاتخذوا كل حيلة فى فصلى عن صاحب الزاوية وفساد عقلى ، فكنت اذذاك ليس لى علم بما جرى بينهم ، وما وقع من المنافسة والمنافرة ، فصار سيدى الحسن يردد على كل يوم الى بيتى ، يأكل معى ويذاكرنى ، ويستدعيني الى

(١) مراده بالويدان بلد (ايسافن) وذلك هو تعريبه الحرفى ، والوادى لا يجمع بالويدان وان اشتهر هذا الجمع ، وانما يجمع بأودية وأوداء

داره ، ويكرمني بأنواع الاطعمة والاشربة ، وذلك كله أمر تدبر بالليل ، الى أن أنساني وأنست بهما ، ثم صارا يلقيان على سبيل النصح والاستشارة في جميع شؤنها الى أن تمكنا منى تمكنا بليغا ، فصار يلقيان الى مايجدان في صدورهما من أخيهما سيدى الهاشم مستكتمين ذلك كله ، فوقعت صبغة ذلك كله في قلبي .

ولما علم بذلك كله أهل المدرسة وغيرهم لما يرون من كثرة التردد الى بيوتهم والغشيان لمجالسهم ، وكثرة انعامهم على بأنواع البرور ، والتزلف الى ، دسوا الى بعض من له معنى الفة وصحبة من تلاميذى ، فاستدعاني الى بيته فجرت المذاكرة في ذلك كله ، فلما انس الايناس منى ، وقبول التلقى ، صدمني بما عنده صادعا بذات صدره وصدور أهل المدرسة ، وشيعة سيدى الهاشم قائلا أرى أن تفارق ذلك الرهط ، من أخوة صاحب الزاوية وشيعتهم ، فانهم دسيصة وحيلة لوقوع الشنثان بينك وبين سيدى الهاشم وليس لهم في اكرامك نية صحيحة ، ولا محبة أكيدة ، لما هو معلوم من حالهم ، من أن كل من كان من أولاد هذه الزاوية بكثرة المنفعة والمصلحة لابد أن يدسوا لتقويضه وسعى الفساد بينه وبين أهل الزاوية ، فلما سمعت منه ما سمعت سكنت عنه ، وربما خاطبته بما يناسب المقام ، الى أن تفارقنا بسلام ، فلما علم ذلك الرهط من الاخوة بذلك بوسائل المرجفين ، رجعوا الى باللام ، في قبول أقوال مثل هذه ، وزادوا في التقرب الى والتزلف والانجاش ، أكثر مما كانوا عليه من قبل ، الى أن أسود الجو ، وأظلم ما بينى وبين أهل المدرسة ، وراجت بيننا أقاويل ومكاتبات ومعاتبات أدت الى مباغضات (١) وأما صاحب الزاوية سيدى الهاشم فهو في حيز السكوت ، ولم يدها لاحد من الفريقين ، بل ربما يرجح كفتى على كفة غيرى ، تحلما منه أومكيدة ، ولما رأيت الحال ، وتلفنت للمثال قطعت التدريس ، وانقطعت عنه وعن مجالس الطلبة ، وراودوني على مواصلة العمل ، فامتنعت فكان ذلك منية لاعداء الزاوية ، وفيه لي مصلحة لاتخفى من بعد ذلك ، فما كان غير قليل حتى بعثت الى صاحب الزاوية أن يأذن لي فى الانصراف ، ومبارحة زاويته ، معتذرا له بأمور ، منها أننى قد عازمت على السفر للطلب بفاس أو مصر أو غيرهما من بلاد الله ، ومنها أن الوالدة قد نهتنى عن المقام بهذه الزاوية طرفة عين ، ومنها أننى بالمقام فيها يتفاقم الامر ويتسع الخرق على الراقع ، فقال أقم حتى استخير الله لك ولنا ، فاقمت نحو ثلاث ، فبعث الى الشيخ سيدى ناصر المانوزى المدرس ، فقال لي ان صاحب الزاوية يأمرك بالمقام ، قائلا لك : ان أمرك لا يستقيم فى غير زاويتنا ، فان أردت الاجرة على التدريس أعطيناك مع زيادة التزويج باحدى بناتى ، والاتحاف بكل ما تحتاج اليه ، من عبد وأمة ودار وغير ذلك ، فلما سمعت منه ذلك أنفت

(١) بل الى الضرب فيما شاع على الالسنة

منه أن يراودنى بمثل هذا ، فما زادنى الا نفورا لما فى نفسى من همة عالية فى التوفيق الى الطلب ، وشهامة فى التنافس فى الامور الغالية وفى أعمال السبب الى المراتب العالية ، فاقمت نحو ستة من غير خروج الى التدريس ، الا ما كان من الخواص الذين بينى وبينهم مودة متينة ، ولهم فى القلب مكانة مكينة ، فانهم ياتوننى فى جميع الاوقات لقراءة الشيخ خليل وابن عاصم وابن عاشر والزقاقية والفرائض والحساب والتفسير وجمع الجوامع والتلخيص ومقامات الحريري وغيرها مما يهمهم ، ما بين العشرين الى الثلاثين طالبا ، وربما يخاطبهم من ليس على شاكلى ممن قصده الاستفادة او التجسس

وفى أثناء كل هذا يتردد الى المخالفون لهذه الزاوية من أصحابى ، مثل ذوى يزيد ، وأيت (تحت الحصن) الالفين ، والكرسيفيين ، وغيرهم ، والكل يندبنى للخروج منها الى غيرها من بلاد الله ، ففى بعض الايام زارنا صديقنا الفقيه العلامة الاديب سيدى أحمد ابن الحاج محمد بن بلقاسم اليزيدى (المتوفى فى ربيع الاول عام ١٣٦٤هـ) وتذاكرنا الامر ، فعنفنى وعاتبنى على الإقامة على المدلة والهوان ، منشدا قول الشاعر فى مثل :

ولا يقيم على ضيم يراد به الا الاذلان غير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يرئى له أحد

فصادف منى فى انشاد هذين البيتين أذنا واعية ، وأثار فى القلب الى الارتجال فيها داعية ، وهو حينئذ يشغل فى الطلب بمدرسة (ابى مروان) بسملالة على شيخنا علامة العصر سيدى الطاهر بن محمد الافرانى الشهير ، فلما رأى منى لوائح الاستجابة والقبول أشار على بكيفية تحويل أمتعة البيت والحيلة فى ذلك ، ففعلت ، وأخذت المفتاح وسلمته لطالب من وادى سوس بـ (ايرازان) من اصداقائى ، ممن يقرأ على ويباشر أمورى ، وواعدته الرجوع بعد حين ، ثم سافرت الى (ابى مروان) بسملالة ، ولما وصلته وجدته فى انتظارى ، وقد فرح بى وفرح جميع الطلبة ، واستدعاني الفقيه الأستاذ سيدى الطاهر فى الحال ، وسألنى عن أحوالى ومرادى ، فاعربت له عن تفاصيله وسألنى عن أحوال (تيمكيدشت) وصاحبها سيدى الهاشم بن الحنفى وعما يتعاطاه من اللهو والهوى والضرب بالدفوف والجمع بين الرجال والنساء ، بمجلسه وغير ذلك ، فأجبتته معتذرا عن تلك الاحوال بأمور من جانب الشريعة واهية ، قائلا له ان أهل السماع فى الصوفية كثيرون ، فقال نعم والجمع بين الرجال والنساء ؟ ثم قال يا سيدى انما نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر ، ثم أفضنا فى المذاكرة فى الادب وغيره ، وهكذا سائر هذه الايام ، ثم افتتحنا القراءة عليه بالمنهج وتكميله أيا ما بلا مواد علمية (١) عندي ، وقد كنت تركتها بـ (تيمكيدشت) ثم الجأتنى الضرورة الى العودة والاتيان بها ، فاستأذنت سيدى الطاهر بن

(١) يعنى بلا كتب للدراسة

محمد فأذن لي بعد أن حذرني من التخلّف في (تيمكيدشت) إذا عزموا على في الإقامة ، فذهبت إليها ، ولما وصلت شاعت الأخبار في الزاوية بأنني عازم على التحول إلى (بومروان) فأرسل إلى صاحب الزاوية عازماً على قهرمانه: الفقيه السيد محمد بن الحاج الطيب المانوزي ، أذكان من قبيلتي وحبيبي ومحبي الطرفين ، فجعل يفتل لي في الدرود والغارب ، قائلاً إنه ينكت في جلال زاويتنا ومهابتها أن تتحول لزاوية أخرى ، من غير عذر قوي ظاهر من أذن أو غيره ، لاسيما مثلك ممن يتعاطى التدريس فيها مدة عامين ، فذلك كله مما يخدش في وجهها ، على أنه لم يعوزك عندنا شيء من المثونة والاثاث والكتب ، وسرناجك إن شاء الله لما هو أليق بمنصبك من المدارس الكبرى ، ذوات الزكوات والأعشار والطلبة ، إلى غير ذلك مما أثقل به عقل وسمعي ، فخرجت عند ذلك وخضعت لتملقه في المواعيد والمطعمة ، وخرجت من عنده إلى بيتي في المدرسة ولسان حاله ينشد :

تكاثر الطباء على خدائش فما يدرى خدائش ما يصيد

فتذكرت قول الشيخ سيدي الطاهر بن محمد ، وتحذيره لي وحاله المنشد: امرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشيد الاضحي الغد ثم رجعت إلى موضعي أولاً من التدريس ، جادا ومجتهدا ، دؤوبا على الأقران ليلاً ونهاراً فأقمت بعد ذلك ثلاث سنين درسنا فيها البخاري ثلاث مرات ، وابن أبي جهمرة والتفسير مرة ، وجمع الجوامع والتلخيص ومنظومة الاخضرى والسلم مرارا ، والمقنع كذلك ، والفرائض والحساب والشيخ خليل مرة واحدة ، والعاصمية كذلك ، ولامية الزقاق والفروق للقرافي والرسالة لابن أبي زيد والمقامات للحريزي ، والالفية لابن مالك ، ولامية الافعال مرارا والافية العراقي مرة ، ودالية اليوسى مرة ، ولامية ابن الوردي والشنفرى ، ومقصورة ابن دريد ، وروضة الازهار بالعقيل ورسالة المارديني والكامل للمبرد مرات ، والقوانين لابن جزي ، وابن عاشر مرتين والسنوسية مرارا ومطالعات كتب التواريخ ، وأيام العرب ، والعروض ، والخزرجية ، والحمدونية والمنهورية .

فلما كانت سنة ١٣٣٤ هـ في شعبان منها ، قدم وفد من اعيان (ايدوسكا) بهيلانة برئاسة شيخهم عمر بن علي البيهاميدني الدوسكويي إلى زيارة (تيمكيدشت) ويقصد الاتيان بالمدرس إلى زاويتهم مدرسة سيدي عبدالله بن يبورك من (توميلين) بانتخاب صاحب الزاوية ، فانتخبت من بين طلبة المدرسة بحضور جم غفير من علمائها ، فأوجبوا على الذهاب مع الوفد ، للتدريس في الزاوية المذكورة ، بمرتب سنوي له بالسياتي ذكره

ذكر بعض الاحداث الواقعة خلال هذا السنين

في رجب عام ١٣٣٠ هـ الموافق ابريل سنة ١٩١٤ م اجتمع علماء القطر

السوسى قاطبة بمدينة (تيزنيت) على نصب أمير يرأس الناس لتدبير امور الجهاد ، لما انتشر أمر الحماية الفرنسية على المغرب بأمر (١) سلطانه الحال اذذاك المولى عبدالحفيظ ابن المولى الحسن ساخطين عليه وعلى الحماية ، فأجدهموا على مبايعة علامة زمانه الشيخ أحمد الهية ابن الشيخ ماء العيسين القلقمي الصحراوي بعد مراجعات بينهم ، وكان اذذاك مستوطنا لتزنيت بعد وفاة أبيه فيها ، فبايعوه وأمروا القبائل بالاجتماع عليه فجاءوا اليه مهرعين ومن كل حذب ينسلون ، من (السودان) إلى (شنكيط) إلى (تافيلالت) إلى (درعة) إلى (مراكش) ولم يتوقف أحد عن مبايعته ، واثته رسائل المبايعة من المدن المغربية ، ولما تم له الامر في بلاد السوس ، خرج من قرية (٢) تيزنيت يجبر الحجر والمدر ، في أناس لا يحصيهم غير خالقهم ، وأعاناه على ذلك خصب العام ، وكثرة الخيرات فيه ، فوصل لتارودانت (٣) فبايعه قائدها احمد الكابا المقتول مذبحا بعد ذلك في محل معلوم من قبيلة (اداوزال) وأولاد آيت ابن عيسى ، من رؤساء قبيلة اولاد يحيى ، وقائد هذه القبيلة ناصر بن الحاج علي ، ورؤساء (تيسيت) (٤) والقائد العربي الضرصوري الاولوزي وجاء جميع قواد سوس وكبيرهم القائد حيدة بن مائس المناهى ، والقائد علي بن مالك ، وقواد (هواره) و (هلاله) - ايلان - و (سكتانة) و (هشتوكه) فلما اجتمع له هذا العدد العديد جندهم واستخلف عليهم أخاه الشيخ مربيه ربه ، وكان جليلا سائسا حاذقا ، صارما لوساعدته الاقدار ، وخرج بهذا الجيش العظيم دون نظام ، ولا تعبئة حسنة ، الا في الاجتماع الظاهري ، وسلك بالناس طريق (المنيزلة) بعد مراجعات وقعت بينه وبين الباشا الاعظم السيد عبدالملك المتوكي الذي كان يحكم ما بين (ردانة) إلى مراكش ، وكان قد لطفه ان يسلك بالجيش طريق اكادير إلى (حاحة) إلى (الشيظامة) و (الصويرة) فـ (دكالة) فـ (مراكش) ويدخلها من هذه الوجهة ويتقوى بهدايا قبائلها وزكواتهم وأعشارهم وينكب عن أرض متوكة (ومزوضة) ريشما يتقوى هو أيضا وقواد الحوز بما يقبضونه من الدولة الفرنسية من الاموال الباهظة من صناديق السلاح وغيره مما تعطيهم اياه للدفاع عن (مراكش) وعنهما فامتنع الخليفة أن يسلك بالجنود غير

(١) ليست الحماية بأمره وانما اضطر إلى الموافقة عليها

(٢) هي مدينة مسورة لاقرية ، وهل يخفى القمر

(٣) لم يدخل الهية تارودانت في هذه المرة وانما دخلها أخوه مربيه ربه وغائب هؤلاء القواد الكبار وردوا عليه في (تيزنيت)

(٤) لم يكن رؤساء تيسيت سوى شيوخ تحت باشوية تارودانت ، وأول من تقيدهم السيد محمد بن ابراهيم بعد خلع الفرنسيين للحاج حماد بن حيدة ونفيه لمراكش في نحو ١٣٤٦ هـ

أرض (متوكة) لاختصارها وقرب مسافتها إلى (مراكش) فاحتشد قواد الحوز بجنود جرارة (١) لمعارضته والدفاع عن أراضيهم ، فلما دنت منهم عساكر أهل السوس ، نكصوا وفشلوا كارهين لمقاتلة الأمير مولاي أحمد الهيبه متعللين بخروجه للجهاد في سبيل الله ، بل انضموا اليه وتركوا قواد الحوز القفر من وتد بقاع

ولما وصل خليفته المذكور أرض (مزوضة) جاءه قوادها وقواد (حاجة) و (متوكة) بالهدايا العظيمة ، منهم القائد عمر المزوضي والقائد محمد النكتافي النفلوسي الحاحي الاتي ذكره بعد ان شاء الله ، والقائد عبدالرحمان الكيلول (الحاحي) (٢) والقائد السيد الايكيدري الايزافني الحاحي ، والقائد كورما وجميع قواد قبائل حاجة ممن لم تحضرني أسماؤهم ، وأمر مناديه أن ينادي في الاسواق بسقوط احكام القواد عن الرعية ، وان يستوى الكبير في ذلك والصغير ، والحر والعبد ، والذكر والانثى والرئيس والمرؤوس في الاحكام الشرعية ، ونصب لذلك علماء سوس ، مثل الشيخ سيدي علي بن عبد الله الالقي السوسي (٣) والشيخ الحاج عابد بن عبد الله بن عمر التيفراسيني الوادريمي البوشواري ، والشيخ السيد محمد (ضمما) بن محمد (فتح) بن عابو الولياضي الاداومحمدي الهشتوكي وغيرهم من علماء سوس والصحران القائمين بدعوته ، حتى صار كبار القواد مثل المتوكي وغيره بين الرعية لا يزال بهم ولا يوبه لهم ولا يسلم عليهم لاحتقارهم ، ففسدت قلوب الرؤساء وصاروا تحت سلطة أهل العلم والدين الذين تولوا أمور الديانة والسياسة ، والكل في خدمتهم ، وحقدوا عليهم ، ولما استكمل جنوده في أرض (مزوضة) واستعرضها هناك ، وهي مثل الجراد المنتشر ، قدم على الجميع اخاه المذكور (٤) وأمره بالسير إلى (وادي تانسيفت) خارج مراكش ، وتقدم الأمير أحمد هو بنفسه إلى دخول مراكش ، وفي مقدمة جيشه القائد الاعظم السيد الطيب الكتتافي (٥)

- (١) ليس هناك الاشرذمة أمام مراكش انقضت ساعتها ، راجع ذلك في (القسم الثالث) عند ذكر دخول الهيبه لمراكش
- (٢) الحاحيون لم يردوا على الهيبه الا قبل هروبه من مراكش بنحو يومين والذي لاقاه في مزوضة بعض خلفاء القائد عبدالملك فيما سمعناه وهنا وفي بعض الاسماء والحوادث تخطيط
- (٣) هذا بقى في تيزنيت ، وسيدى الحاج عابد رجع من الطريق إلى داره ، وأما أعين فقد كان معه حتى انهزموا من مراكش
- (٤) كان مربيه ربه سبقه من تيزنيت ، وقد تقدمه بإيام إلى مراكش ولم يره الا هناك
- (٥) لم يغادر الكتتافي داره في هذه الايام حتى مربيه الهيبه منهزما ، والما الذي كان كبير محلة الهيبه هو حيدة بن ميس

مع رعيته ، والقائد محمد النفلوسي والقائد الكيلولي مع رعية الكل من (حاجة) والقائد يرعى السباعي ، والقائد عمر المزوضي مع رعيتهما ، وهؤلاء كلهم أهل بساطه ، وخدمته بمحبة عظيمة خالصة ، لما بينهم وبين المتوكي والاكلاوي من المنافسة والعداوة ، ولما دنا من مراكش وهو يجز الشجر والمدر ، خرج الباشا الفقيه السيد المدني الاكلاوي واخوه القائد التهامي والقائد العيادي الرحمانى لمدافعته ، فلما تراءى الجمعان فشلت عساكرهم شأن غيرهم من غير طعن ولا ضرب ، وانقلبوا من المدافعة إلى المداينة والمهاداة (١) ، فتلقوه بالهدايا بنحو عشرة كيلومترات من (مراكش) وقد قيل أن الاكلاوي أهدى إليه خمسين عبدا كل عبد بفرس ، وعلى رأس الجميع مائدة مملوءة بالنقود الذهبية والفضية وأن القائدين المتوكي والرحمانى فعلا مثل ذلك (٢) وحملهم على اخراج القباب المملوءة بالحريير والملف ، وأنواع السلاح للجيش ففعلوا ، وأمرهم بالسير أمامه لـ (مراكش) فتقدموه في جيوش لا يحصىها غير خالقها ، رافعين أعلامهم ولما وصلوا إلى أبواب المدينة انحسر أيضا أهل المدينة اليهم رجالا ونساء بالبارود والزغاريد وأنواع الزينة والحبور ، وذهبوا به إلى دار المخزن ، وفيها خليفة سلطان (٣) الوقت المولى عبد الحفيظ ، فأهدى ما يناسبه ، وأقره في داره . ولم يتعرض له بسوء . وذلك كله في نحو عاشر (٤) رمضان عام ١٢٣٠ هـ ولما تمكن من دخول المدينة تدب رؤساء الجيش من السقواد السوسيين والصحرانويين لأخذ الابراج التي على الابواب ، والصوامع العالية ، مثل الكتبية المشرفة على المدينة وغيرها ، وأمر بفتح الابواب ليلا ونهارا ، زاعما أن على كل باب رسدا يدفع ، وروحانية تقمع ، وأن المدافع والبارود والرصاص وغيرها من آلات الكفاح في حقه لا تنفع ، بل اعتقد جمهور الخاصة والعامة الا قليلا (وقليل ما هم) أن المدافع تلحق بنصره ، وتقدر الله وتسبحه ، والاطيار كذلك ، وأن البارود والرصاص لا تصيب اصحابه لبرودتها عنهم ، في مزاعم كثيرة مثل هذه ، ولذلك كان أكثر جبابرة القطر السوسي (وحاجة) و (الشياطمة) و (دكالة) و (عبدة) والحوز كله إلى جهة (درعة) و (سجلماسة) خاضعين له ، متابعين من غير مدافعة بخيل ولا رجل ، ولا فكروا في ذلك لذهاب عقولهم ، وطيرانها بهذه الخرافات المزعومة ، مع شدة شكيمتهم ،

- (١) لم يخرج هؤلاء لمدافعته بل لملاقاته ، الا ما كان من جند قليل ، كان يتهدى للدفاع ثم اضمحل وذاب ، بل التحق بجيش الهيبه
- (٢) هذه خرافة وانما أهدوا الهدايا المعتادة من الخيل . فرس من كل واحد او صرر من المال
- (٣) هو مولاي يوبكر ، ومن أراد تحقيق كل هذا فليراجع الجزء السدي خصصناه بالقائد الناجم ، والذي خصصناه لثال ماء العينين
- (٤) بل في نحو الثالث من الشهر

وكثرة عددهم . بل أشيع وأذيع أن كل من لم يبايعه تسلسط عليه الأسود والذئاب والافاعي فتفرسه وتنهشه ، حتى أن قائد ماسة عبدالله بن المقاسم تأخر عن مبايعته (١) ريثما يتهيا له ، فأذيع أنه أصيب بجيوش القمل والضفادع ، وأن مرابط (تيمكيدشت) السيد الهاشم بن الحنفى قد اختلس الجنون خزائنه العلمية ، وأصيب بجنون ، وأن كل من سرق شيئا يصير مقعدا زمنا في مكانه ، إلى غير ذلك من الخرافات

وكذلك عم الأمن والأمان جميع البلاد في تلك الأشهر الأربعة الأولى قبل انهزامه من مراکش ، فما ضاع فيها عقال بعير ، ولا ظهر فيها سارق ولا خائن ولا نصب فيها حارس على دار ولا على حائوت ولا على متاع أيا كان ، فقالت الشعراء في ذلك وأطنبت ، ومما زادهم اعتقادا هبوط الاسعار هبوطا لم يعهده مثله ، إذ يباع الشعر بنصف فرنك (نصف بسيطة اذذاك) للعبرة منه ، والقمح بفرنك واحد ، والكبش بالسوس بريال حسنى ، واللوز بقرش أى ربع فرنك لرطل الحلو منه ، وأما المر فلا يباع أصلا

وكننت اذذاك مترتبا للتدريس بزواية (تيمكيدشت) فلما سمعت بقيامه بتيزنيت وامتلات الدنيا عياطا ومياطا ودعاوى لاتعد الا من الخرافات ، انحدرت منها الى قبيلة (تاهاالا) واستملتهم لجمع هدية سنية ، وتعيين رؤسائهم للموفود في صحبتي ، وكذلك فعلت بقبيلة (امانوز) حتى جمعوا لي مالا باس به ، وعينوا معي ما يزيد على مائتى خيل وبغل ، فاشترينا ما يناسبنا من الهدايا ، وذهبنا قاصدين حضرة تيزنيت ، وأنا رئيس الجميع فدخلناها ضحوة ، وعينت لنا من قبله دار واسعة وهى للنفوسى الحاحى أيام ولايته لسوس عام ١٣١٩ هـ وفيها من القباب والمصارى (٢) والمسارح ما يتعجب منه ، ونفذ لنا مايكفيها فاكثر ، من لحم وسكر ودراهم بلا نظام فى ذلك كله ، بل يفيضون علينا ذلك بالتبذير ، كما يفعلون بالجميع ، فلما كانت الساعة الرابعة بعد العصر فى أيام حارة مصيفة ، خرج اليها الامير احمد الهيبه على العادة ، الى قبته المضروبة له مع كتابه ووزرائه ، من أعظمهم حبيبتنا العلامة السيد الحاج الحبيب الميلى الهشتوكى ، والقائد سعيد بن احمد الباعقى وغيرهما ، واجتمعوا به على حياة حسنة ، وفرح بنا ورحب ، وضحك وهش وبش . وتقبل الهدية . وقدمت اليه قصيدة طنانة كنت قد انشأتها فى طريقنا وقرئت بين يديه ، فاهتز لها ، وزاد فى الاكرام والاعظام ، وذهبنا الى خليفته

(١) بل هو القائد محمد الاغباليوى ، لا القائد عبدالله الذى ماصار قائدا الا بعد هذا الحين

(٢) جمع مصرية وهى الغرفة العليا من البيت فى اصطلاحنا

العله العلامة سيدى النعمان (١) وأخيها الامير مربيه ربه المتولى من بعده فرحبا بنا ايضا ، ودار بينى وبينهم من سلاف كنوس الآداب ما يصمى الالباب وفى تلك الايام القصيرة اجتمعنا بكثير من علماء سوس ونواحيه ، (الركيبات) و (درعة) و (سجلماسة) الى (شنكيط) فنفق سوق الادب ، وعادت عكاظه ، فلا تمر ساعة الا وترى اوتسمع قصيدة طنانة غريبة من ادب غريب ، وكثرت الغبطة فى ذلك حتى قدم الى الامير احمد من القصائد ما لوجع لبلغ مجلدات كثيرة وصدرت منه ايضا هو واخوته أبناء الشيخ ماء العينين عدة قصائد ، هى سبب نفاق سوق الادب ، اذ الناس على قدم اميرهم وسنعرض لايرادما عندنا من بعض تلك القصائد (٢) مما لم تعد عليه يد الدهر ، واقمنا بقرية تيزنيت خمسة عشر يوما ، كلها غرر فى جبهة الدهر لير أن نظام الناس وسياستهم تحت زوايا الاهمال ، وكثيرا ما عمل الفكر وامعن النظر فى المستقبل ، اذا استرسل مثل هذا الاهمال ، متفرسا فيه عدم نجاح الاعمال . اذ الفوضى لاتأتى بخير ، والناس فى هذه الايام فيما خيل لي كأنهم مجتمعون للعيد ، لاسيما وقد أسندت الامور الى غير أهلها من الطلبة والعلماء والصوفية ، الذين هم بمعزل عن امور الرئاسة والسياسة ، وترى أهل الرئاسة من القواد العظام فى مذلة ومهانة وخضوع ، قد أدى بهم الحال الى أن يدوسهم أدنى رعاياهم بالالسن والاقدام :

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس

والامير احمد الهيبه واخوته ليس لهم الا الاسماء ، فلا يامرون ولا ينهاون بل اشتغلوا بما تعودوه من قبل من الاشتغال بالعلوم ، وتعاطى الآداب نهارا وبالتجهد والعبادة ليلا ، واقتفى اثرهم من شاكلهم من العلماء الذين أخذوا بزمام الامور ، وأما العوام من ذوى الرئاسات والهيئات فقد انسلخوا من الامور كما تقدم ، خائفين من العلماء المذكورين ، لتنبههم على عدم التدخل فى الامور القليلة والجليلة ، بل انهم كالمساجين لا يرفعون رأسا ، حتى اننى فى بعض الايام تكلمت فى شئونهم ، راغبا فى ارجاع عزهم ، واعمال افكارهم وسياستهم ، مستعينا فى ذلك ببعض العلماء من الاخوان ، فساعدتنا الاقدار

(١) اشتهر بالنعمة ، وان كان شيخنا الاستاذ الافرانى سماه أيضا بالنعمان فى قصيدة فصح له تضمين هذا البيت :

أعد ذكر نعمان لنا ان ذكره هو المسك ما كررتك يتضوع

(٢) حقا ، ولكن الغالب فى ذلك من سقط المتاع ومما ليس له من الشعر الا الاعراب والتقفية ، وعندنا غالب ما قيل هناك من السوسيين على الاقل الانحوسة عشرة أو عشرين - على الاكثر - فقط . وقد ذكرنا كل ما عندنا فى ترجمة الهيبه فى (القسم الثالث)

وتودى بذلك ، فرجعت اليهم الحياة بعد الممات ، ومع ذلك كله لم يعجبني النظام ، وتفرست فيه الفشل في المستقبل ، لاعراض الامر عن كل سياسة حتى تفرقت بين العلماء قديدا وتشتتت بددا

وبعد عشرة أيام من مقامنا بعث الى الامير بواسطة صاحبي الوزير العلامة السيد الحاج الحبيب الهشتوكي والوزير سعيد بن أحمد ، ففاوضوني في كيفية نظام قبائل الجبال والتولية عليها ، فقالوا رأينا ان نولى على كل قبيلة عالما منها ، لتكون مستندين على الحق ، فقلت لهم الراى بل تتركون ذوي الرقاسات والبيوتات الكبار على ما هم عليه من قبل . وتعززونهم بالولايات واما الطلبة فمنهم من لا يصلح الا للاكل والشراب والعبادة ، بل أكثرهم بله مغفلون ، لا تقبل شهادتهم ، وان كانت ترجى بركتهم ، كما قال أيوب السختياني رضي الله عنه : من أصحابي من أرجو بركته ، ولا أقبل شهادته وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يولى دهاة الصحابة مثل عمرو بن العاص والغيرة بن شعبة ومعاوية بن أبي سفيان وخالد بن الوليد (١) وأبى عبيد الثقفي وغيرهم ، مع حضور كثير من الصحابة السابقين أهل بدر

فلما سمعوا مني ذلك استصوبوه ومالوا اليه ، لاسيما القائد سعيد الباعقيل الصدر الاعظم عنده ، فانه مال اليه أكثر من الفقيه الوزير السيد الحاج الحبيب الميلى المذكور ، لان ذاك أمدى ، وهذا من أهل العلم المتعصبين أجنسهم ، مع ان فيه نباهة وافاقة ينظر بهما من ستر رقيق

ولما شاعت هذه الاخبار ولم تعجب الطلبة ولا نشطت قلوبهم اليها ، تشامروا فيما بينهم على الاضراب عن هذه السياسة فاجتمعوا الى صاحبنا الشيخ الم رابط العلامة السيد الحاج عابد بن عبد الله بن عمر التيفراسيني الواديني البوشواري الهشتوكي ، القائم الاول بالدعوة الماء العينية الكبير النفوذ في بسط هشتوكه وجبالها ، ففاوضوه وألقوا اليه ماسيجدون من تولية رؤساء القبائل ، وتخوف اختلال الامور من بعد استقلالهم بها ، وان عادتهم وشئشئتهم الظلم والظفان ، فمال الى قولهم او كاد . فاجتمع بنا في جماعة ، منهم شيخنا العلامة السيد محمد بن عابو الهشتوكي ، وشيخنا العلامة الرئيس الم رابط السيد علي بن عبد الله الالفي ، والعلامة الشيخ السيد المحفوظ الادوزي . وغيرهم ، ففاوضنا فيما ناله من شكاة الطلبة ، فوقفت امامه مجابها دون حياء منى ، وانتهرت بعض الطلبة الذين معه بقول : الطلبة لا يصلحون الا للعباد

(١) ذكر خالد بن الوليد هنا اثما هو جمع للنظر على سبيل التمثيل ، والا فان المعروف انه لم يل شيئا من أمور المسلمين بعد وفاة ابي بكر رضي الله عنه ، وكان عزله من أول الاعمال التي عملها عمر بن الخطاب في صدر ولايته . وكذلك أبو عبيد . فالذي استحضره الان أن الذي ولاه هو أبو بكر لاعمر

واكل الكنارية - اكناري (التين الشوكي) - والهمز واللمز حوالى المدارس ولا يحسنون غير ذلك ، فليتركوا القوس لباريها وللرياسة أهل واحكام تخصها لا يعرفها غير اربابها الذين غدوا بلبانها ، والطلبة بمعزل عنها ، وأنشدتهم :

وللتدبير فرسان اذا ركضوا فيها ابروا كما للحرب فرسان

وأعلمتهم بأن الامر اذا فوض اليهم يصير الى ما قاله الشاعر :

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس

وانهم اذا لم يعملوا بما ذكرنا يصير أمرهم لعبة ، وان عليا رضي الله عنه لما فوض أمر التحكيم الى أهل العراق ، بعد امتناعهم ممن عينهم من عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما ، او الاشتهر النخعي رضي الله عنه فشلوا أمام مفوض معاوية وهو عمرو بن العاص ذاهية العرب المعروف ، وغلبهم عمرو ، وباع معاوية فوقع من الخلاف والفشل في معسكره على ما هو معروف في التاريخ ، ومالم يفد فيه الا ان عليا غص على يديه وقال أعصى ويطاع معاوية ؟ ثم ينشد البيت المعروف :

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشيد الاصحى القد

على ان ذلك زمان صالح ، كيفما كان الامر فيه ، فما ظنك بزماننا هذا

فلما سمعوا مني ما ذكر استصوبوه وجازوني خيرا ، وانقضوا وتركوا كلا على عمله ، وبعد هذا كله لم يعجبني ذلك النظام الخالي من التدبير في جميع شئونه الداخلية والخارجية ، لان أكثر المدبرين هم الاعراب الصحراويون الذين لا يعرفون من احوال الامور الا احوال الجمال والصحارى والياقي والرمال ، واما الامير المولى أحمد فانما هو صورة يدخل ويخرج منصوبا لا غير فان كلمته في امر من الامور او شاورته اجاب بنعم ، ضاحكا مقبلا على عبادة ربه ، لا يفتر لسانه عن ذكر الله ، والسبحة يسردها في يده من غير التفات ولا تفكير في تلك الامور ، ولا تلك الجيوش المحشودة ، ولا تلك العدا المشودة ولذلك ، فاني لم اتبين بعد ايام ان الامر لا يتم على هذا الحال رفضتهم

هاربيا قبل صلاة الفجر في اثني عشر فارسا من أصحابي ، راجعا الى بلادى بعدما ندبوني لقيادة بعض العسكر الى (رودانة) ثم الى (مراكش) فرجعت الى تدريسي ، ولزوم اموري ، فراسلوني مرارا فلم أعد اليهم ، ولا اجتمعت بهم الا بعدما اختل أمرهم . وتقلص ظلمهم من (مراكش) و (رودانة) ورجعوا الى (كردوس) بعقيلة في ولتيته (١)

(١) كل ما ذكره المترجم لم يسمع به من عند الحاضرين اذذاك ، ونحن لا نحمله الاعلى الضدق فيما يقوله عن نفسه لاننا نعلم منه جرأة ولا علينا في غيرنا ان ظن ظنونا

وفي نحو عاشر رمضان (١) من العام نفسه دخل مراكش كما تقدم ، وتقدم الى دار الخزن ، وفيها خليفة السلطان المولى عبد الحفيظ بن الحسن وهو أخوه صاحبنا في الله المولى أبو بكر بن الحسن ، وحاشيته من عبده وأصحابه ، فتركهم ولم يتعرض لهم بسوء في مساكنهم ، وأهدى له الخليفة المذكور هدية نفيسة ، وتمكن من مراكش وأخذ أبراجها وأبوابها وأسوارها وصوامعها ، ولما تمكن منها اصطفى لنفسه ذويه من الاعراب الصحراويين أهل اللثام ، ومن انتهى اليهم لا غير في جميع شئونه ، وحالوا بينه وبين علماء سوس الذين قاموا به وعزّوه ونصروه فحقدوا عليه ، ونهوه عما يشتغل به الاعراب في المدينة من العيث والقصب في متاجر التجار ، وما يفعلونه مع الباشا عبد الملك المتوكي ، والباشا المدني الاكلاوي ، وأخيه الحاج التهامي ، والقائد العيادي وغيرهم من عمال الحوز المتأخرين عن البيعة ، وذلك أنهم رسموا لهؤلاء العمال ان يتقدموا الى الأمير بالخدمة والهدايا ، فإذا تقدموا بهدياتهم أوقفهم زمنا طويلا بباب الأمير أحمد بلا اذن لهم ، قصد اهانتهم وتحقيرهم بل كانوا يسجونهم في الأزقة والأبواب ، وينادونهم بالنصارى والمجوس ، وربما يضربونهم فلما رأوا الجفاء العظيم ، اجتمعوا ليلة من الليالي بدار الاكلاوي المدني ، فأفوضوا اليه بما نالهم من الاعراب وعيشتهم ، وأنهم يدافعونهم أكثر ما أمكن لهم ، ولو لم تكن لهم بهم طاقة ، وأن الموت أهون عليهم من تلك المذلة ، فقال السيد المدني مهلا . فان استعمال الحيلة في تفريقهم أحسن من ان نحارب جيشا عظيما من أهل المغرب فيه من الشجعان والابطال وذوى الحروب والقوة مالا يغلب ، وقالوا له ماذا ترى ؟ فقال ارى ان نجتمع كل ليلة ، ويأتى كل واحد مناهدية عظيمة من الذهب والفضة ، وأذهب بها كل صباح اليه حتى تتمكن المعرفة ، وتستحكم الخلطة ، فقبلوا منه فكرته

ثم صاروا يجتمعون كل ليلة في دار السيد المدني هذا ، ويأتى من وصل دوره بما عين له ، فإذا أصبح الصباح ذهب السيد المدني بذلك الى الأمير ، فيجد على أبوابه الاعراب الصحراويون خاصة للعسة والحراسة ، فإذا رآوه مقبلا نحوهم أقبلوا عليه بالسب والشتم ، وينادونه يا بول الكفر ، ويامحسون النصارى ، أنت كافر . وأنت نصراني حقيقي ، فيرضخ لهم بشيء مما معه فيسكتون ، فيستأذن عن الوزير محمد الأمين الصحراوي ، وهو شاب لم تحنكه الامور ، ولا حلب الدهر اشطره ، فيأذن له ويعطيه أيضا أضعاف ما يعطيه للأمير ، فيدخله عليه ، فإذا دنا منه - على ما حكى - يبالغ في التادب لجلالته

(١) قد بينا وقت دخوله في ترجمة الهيبة . وأنه نحو ثالث رمضان

بالأهنة والمشى على الركب الى ان يصل امامه ، فيضع له بيده تلك الاموال الفسيفة ، وبفاوضه فيما أراد مما ينفعه هو وأهل دائرته المتقدمين ، مستعينا عليه بالوزير المرشحو وغيره ، وهكذا يفعل كل يوم ، الى ان ملك قلوب الأمير والوزير والعسس ، فلما ثبتت اللفة ، واستحكمت المحبة ، وسقطت الكلفة وحصل بقيته ، ونال منيته ، شرع في أعمال المكر بأهل دائرة الأمير من قواده ورؤساء جنوده ، فاستهوى البعض منهم بالعطايا والمداراة ، وأظهر النصيح قهقهة بالخضوع له ، والبعض ممن له دهاء ونباهة مثله ممن ساس الامور الكنتافى (١) والنفلاوسى والكيلولى (٢) وقواد الحوز وسوس مثل القائد حدة ، والقائد عياد الجرارى (٣) وأخوه القائد عبد السلام ، والقائد أحمد الكابا الرودانى ، وغيرهم ممن تقوى بهم الأمير ، وصاروا له حرزا حصينالم يستدعوا له ، بل حذروا الأمير والوزير وغيره من مراوغته ، وغائلة مخالطته وأنه يسر حسبا في ارتقاء ، فأجمع رأى هؤلاء القواد المذكورين على ان يبعثوا اهدمهم الى الأمير للمفاوضة معه في جميع الامور ، ومن أعظمها عدم مخالطة الاكلاوي المذكور ، وعدم الانصات الى خلب بروقه ، ولا الى غرور ترهاته وسروقه ، وأنه لا هم له لامحالة الا فى تفريق شمل الامر والامور ، وابتغاء الفتنة بين الأمير والرعية فى الورود والصدور ، فقال لهم القائد الكنتافى والنفلاوسى (٤) والقائد الناجم ، نحن لها ان قبلها الأمير ، فتقدموا اليه واستأذنوا عليه ، فأذن لهم . فلما اطمان بهم المجلس تكلموا فيما جاءوا اليه وأبدأوا وأعادوا فى النصيح . جزاهم الله خيرا . لو وجدوا لهم أذنا صاغية ومن جملة ما نصحوه به أن قالوا له : ان قواد مراكش الاكلاوي والمتوكي والعيادي لا يستقيم معهم امر من الامور مع أى دولة ، ولو اجتهدت فى اصطناع المعروف معهم وغرستها على يدهم ، وفعلت بهم من الخير والجميل ما فعلت ، واعتبر يا مولانا بما فعلوه مع السلطان المولى عبد العزيز ، وأخيه السلطان المولى عبد الحفيظ ، وغيرهم من السلاطين الذين يلعبون بهم مع انهم صنائعهم ومربوا نعمتهم ، فكيف بك انت وأنت اجنبى عنهم ، مهاجم لبلادهم من غير معرفة ولا تبصر ، ثم استرسلوا فى الكلام حتى طلبوا منه ان يأخذ منهم هدره . أما بقتل وامانفى الى قطر بعيد كـ (ردانة) أو (تيزنيت) أو غيرهما من البلاد البعيدة فقال أما القتل فلا سبيل اليه بعدما قالوا لاله الا الله ، وأما النفى أيضا فلم يستوجبوه لانهم مثلكم او أكثر فى الخدمة فلما أيسوا منه

(١) لم يحضر فى مراكش اذذاك

(٢) لم يكونا الى مراكش اذذاك لانهما لم يأتيا الا قبل فرار الأمير بنحو أربعين يوما تم الدست عليه

(٣) هذا لم يذهب الى مراكش

(٤) راجع ما تقدم قريبا عن هذين

وعلموا أنه لا يتم له امر مع هؤلاء الذئاب ، وأنه بمنزلة عن سبل السياسة ليس له معرفة ولا المسام بشيء منها ، انفضوا الى محلاتهم اخذين حذرهم من الامر والمأمور ، كل ذلك والوزير محمد الامين يسترق السمع ، ويفرغه في قالب سره ، ليوجهه الى شيطانه فلما سمع الاكلأوى بهذا الاجتماع اسرع بهدية الى الامير والوزير بالغ فيها ، ودخل على الامير وسلم وتاذب ، وفاوضه في اموره المهمة عنده من غير المام بسبب ذلك الاجتماع الذي هو القصد المقصود والحوض المورود ، ثم خرج مع الوزير شيطانه ، فاوحى اليه بكل ماصدر وجرى بين الامير والقواد من اوله الى اخره ، فذهب الى اصحابه القواد الثلاثة المتوكل والاكلأوى والعيادي ومن كان على شاكلتهم فتفاوضوا واجمعوا امرهم على ان يبعثوا الى العدو ان يتقدم الى مراكش ، فتحرك العدو بعساكر جرارة ومدافع لاتعد ، في قوة غريبة ، لانه اول لقاء مع الجيوش السوسية الاسلامية ، وهو مع هذه القوة معول على قوة هؤلاء وغدرهم لما يدور بينهما من المفاوضة زمانا ليس بالقليل . ولما تبين الامير خروج العدو من الدار البيضاء قاصدا محاربتهم ولما علموا بذلك هم ايضا ، ذهبوا الى الامير فقالوا له ان العدو قد تهيأ قاصدا لقتالنا ، فيجب ان نستعد اكثر منه واكثرنا من اهل المدن الذين لا يقوون على المقاتلة . ولا يقوى عليها الا اهل البوادي الاقوياء المتمرنون على الحروب والشدائد والطعان ، والكر والفر ، ولا بد يا مولانا ان تامر اهل سوس والصحراويين بالخروج ويعينهم كل واحد منا بحصة من جنوده ، وتبقى مراكش مع من يدافع عنك ، لما عسى ان يحدث ، قاصدين ان يخرج اهل دائرته وحاميته الذين ينصحون له ، وذلك مكيدة وخديعة منهم ، فاجابهم بالقبول ، لصفاء سريرته ولعدم تدبيره ، فلما سمع اهل سوس ومن معهم من اهل الصحاري ما عزم عليه الامير احمد ، اسرعوا اليه قائلين كيف تخرج اهل دائرتك وحاميتك ، واهل شوكتك من جنودك ، وتبقى اعدائك قواد الحوز اهل المكر والخديعة ؟ بل يجب تقديمهم لجهاد العدو شرعا وسياسة ، وقد قال الله تعالى : (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) وانما نحن تبع لهم ، ورد فتراجعوا الكلام بينهم ، فوجدوه مصمما على تقديمهم ، لسوء حفظه وسوء تدبيره ، وقال لهم انكم جئتم للمجاهد بنية اعلاء كلمة الله ، لالفرض والال خوف من غير الله ، وندبهم فانتدبوا ، وخرج اكثر قواد سوس والصحراء يجر كل منهم شجعانه وابطاله شاكين انواع السلاح ، وخرج من (مراكش) ما يقرب من ثلاثة عشر الفا من اهل سوس ، واهل صحراء عرب معقل الشجعان الاقوياء الذين لا يفرون ولا يعرفون الهزيمة :

من كل منتدب لله محتسب يسطو بمستاصل للكفر مصظم

* * *

لا ينزل الطعن الا في نحورهم ومالهم عن حياض الموت تهليل

ولم يتركوا مراكش مع الامير الا الاعداء وحامية شيلة من العلماء ، وارباب المشورة ، بل كان ذوو العقول منهم الذين تنبهوا لمكيدة قواد الحوز قد خرجوا من مراكش قاصدين الجهاد او راجعين الى اوطانهم .

ولما استكمل الجيش عدته ، امر عليهم الامير اخاه مربيه ربه ، وكان احسن تدبيرا منه ، الا انه لم يساعده أولا واطرا ، فتقدم الى العدو بهذه الجنود ، ولما تراءى الجمعان وتلاحم العسكران ، ابدى ذوو البطولة والشجاعة في جهادهم ما يسطر ويشهر ، لاسيما القائد حيدة وجنده ، والاعضف الصحراوي وغيرهما ، ولم يقف العدو امامهم اقل من ساعة ، ثم انهزم وتبعه الناس يقتلون ويأسرون (١) وفتكوا به فتكة بكرا ، فرجع ادراجهم الى معسكره البعيد

ولما بلغ انهزام العدو اصحابه وشيعته من قواد الحوز وغيرهم ممن ارتشى ، جددوا اليه المراسلات بالجد ، وتجديد عسكر اضخم مما قبل ، مع زيادة عدة مدافع وقراطيس وغيرها ، وانهم بمجرد وقوع وهن مافي جيوش المسلمين ياتونهم من ورائهم ضاربين فيهم ، وفعلا ساعدتهم العدو الكافر ، فجاء باضعاف مضاعفة ، وساق جميع المغاربة من بربر وغرب وغيرهم ، وحصل اللقاء ، ووقع القتال ، والتحم الابطال ، فحمل المسلمون على العدو حملة شديدة بقاوب مخلصه لله ، وتزحزحت صفوفه للانهازم ، حتى لم يبق له من قوة ولا نظام ، وذهبت عنه ربح النصر قرب العصر ، فلما عانس القائد العيادي وقبائله من الرحامنة وجيرانهم الذين حلت الجيوش الاسلامية السوسية بارضهم ماتم في عسكر العدو ، وخافوا ان تهت عليه الهزيمة ثانية ان لا يعود الى القتال ، قاموا قومة واحدة على المسلمين من ورائهم ، فهاجموا أولا على معسكرهم الذي فيه مئونتهم العسكرية والعدة ، وفيه الخليفة مربيه ربه مع ادالته القليلة ، وضربوا فيه قتلا ونهبا ، وكذلك فعل اخوانه قواد الحوز الاكلأوى والمتوكل مراكش ، فقد حاصروا (٢) فيه الهيبة ايضا ، ولما سمع عسكر المسلمين ماتم من قواد الحوز من القدر فسلوا ورجعوا متفرقين شذر مذر ، كل الى قبيلته وبلاده ، وهرب الخليفة ايضا مع باقي العسكر السوسي

(١) كان اللقاء أولا في اربعاء الصخور ، ثم في سيدي يوعثمان ، فلم يقع اي انتصار للمسلمين

(٢) لم يحرك هؤلاء القواد ايديهم في (مراكش) الا في صبيحة هروب الهيبة بعدما وصل العدو الى ابواب مراكش ، وينبغي ان يراجع هنا الجزء الثاني خصصناه لاختبار القائد الناجم من هذا الكتاب وهو (العشرون) فقد وصف الحالة كما هي ، وكذلك ما كتب فيه اخبار الهيبة . وهو (الرابع)

قاصدا (مراكش) لاغاثة أخيه الأمير أحمد ، فوجدوه خارجا (١) من مراكش ، سالكا طريق الكتنافي بوادي نفيس مع باقي قواد حاحة والنفلوسي والكيلولي والقائد الكتنافي والقائد الناجم والقائد التريعي (٢) وغيرهم من قواد وادي سوس اذ الكل من شيعته ، ومن سوء حظه وسوء تدبيره أن الكتنافي وأهل حاحة ارادوا أن يعسكر (٣) فوق (مراكش) بعمالة الكتنافي على حصار مراكش والمدافعة عنه ، فأبى وأجفل أجفال النعام ، قاصدا (ردانة) ولولا أن الكتنافي وحاحه المخلصين له لاخذ باليد في مراكش ، لتكاثر عساكر القواد الحوزيين عليه ، ووقع بـ (مراكش) من القتل والاسر مالا يوصف ، وقتل كل من يلبس اللباس الأزرق من الموسيين والصحرأويين بلا مراعاة ال ولاذمة ، وقتل فيه من علماء الركييات وشنجيط جماعة كثيرة ، وأما علماء سوس فقد نجا أكثرهم ، لما لهم من المخالطة والتعارف مع تلك الاقطار الحوزية فحققت لذلك دماؤهم ، وإن كانت قد ذهبت أموالهم ، وأعان الأعداء على ما هم عليه بقاء حامية (مراكش) بالامير لأن الامير خرج فارا من آخر الليل مع شرفه ته المراقبة على الابواب القريبة منه وأكثر الناس في ذلك الوقت غاطون في نومهم . ولم ينتبهوا الا على جلبية عساكر العدو ، فوجدوا الامير ومن معه قد بارحوا (مراكش) فوقع بينهم وبين العدو داخل (مراكش) معركة عظيمة (٤) أفقت الى قتل من شاء الله واسر من شاء الله

وكانت جماعة من قواد سوس مثل الجراي عبد السلام والقائد حيدة ابن مائيس والقائد أحمد الكابا قائد (ردانة) اذذاك والقائد الحنفي (٥) الاخصاصي وقواد هشتوكة ممن تأخروا بـ (مراكش) وحاصروهم العدو بها ولم يخرجوا الا بشروط مضمنها نكت بيعة هذا الامير . والتعاهد مع العدو الكافر . فقبلوا ذلك فخلع عن طريقهم وانصرفوا

وأما قواد حاحة مثل القائد محمد بن أحمد النفلوسي والقائد عبد الرحمن الكيلولي وغيرهما ، فإنهم لشدة شوكتهم ، وقوتهم دافعوا عن أنفسهم مدافعة الإبطال وقتلوا منهم عددا ، وخرجوا بلا شرط ، ولحقوا بالامير في أرض (أغمات) قاصدا (كتنافة) الى (تارودانت) ودافعوا عنه عساكر العدو مع الكتنافي الى أن نجا من مخالب العدو بدخول أرض الكتنافي ، ورجعوا عنه الى حاحة بلادهم ولولا قواد حاحة لاخذ الامير ذلك اليوم باليد بابواب (مراكش) وخارجها

(١) بل لم يخرج الهيبة حتى دخل عليه اخوه فأخبره بالهزيمة

(٢) لم يذهب معه في هذا الطريق اذذاك احد من هؤلاء المذكورين فالحاحيون ذهبوا على طريق حاحة . والناجم والتريعي تبعاهم فيما بعد في غير تلك الطريق على حاحة (٣) هذا لا أصل له

(٤) لم تقع معركة بمراكش ، وإنما وقع شيء خارج باب الرب بين بعض الهاربين المدافعين عن أنفسهم وبين المطاردين من أعوان المتوكل والاكلاوي

(٥) القائد المدني هو الموجود اذذاك بـ (مراكش) لا الحنفي

لتكاثر العدو عليه رغما عن مجالدة الإبطال الذين معه من عرب معقل وسوس ولما تمكن قواد الحوز من مراكش بكرة ذلك اليوم وهو يوم العيد عيد الفطر (١) عام ١٣٣٠ هـ وسمع العدو بهم تقدم اليها بجنوده ، ولما وصل لـ (تانسيفت) خارجها اطلق مدافعه فرحا فاهتزت مراكش ، ودخل المدينة بعدما ارسي مدافعه عليها بجبل (كليز) المطل عليها ، ولم يثق بالقواد ، وإن كانوا من شيعته فكان من أمره ما كان

وأما الامير أحمد الهيبة ، فإنه لما اطمأن قلبه برجوع العدو عنه في أرض نفيس وشيعه صاحبه القائد الطيب الكتنافي الى حدود أرضه بجنوده مدافعا عنه . أغد (٢) السير الى (ردانة) مخافة أن يسبقه اليها قائدها أحمد الكابا المشروط عليه نقض البيعة بـ (مراكش) فدخلها وبعث الى قبائل نفيس و (اداوزال) بالايغاز بقتل الكابا اذا مر بهم . فاخذ بـ (اداوزال) وقتل وقطع رأسه وعلق بـ (أساراك اوراغ) (٣) بـ (ردانة) مدة سنتين . وتقدم اليهم أيضا بقتل القائد حيدة البرحيلي المناهبي ، الا أنه تمنع بعدد وعدد لحزمه واحتياطه حين سمع بقتل قرينه الكابا

فلما استقر الامير بـ (ردانة) بعث الى جميع قواد سوس فجاءوا اليه غير حيدة المناهبي المذكور ، وناصر قائد (اولاد يحيى) المستقر بـ (فرايجة) فوق (ردانة) لانهما خافا على انفسهما ، فتجنبا ببلادهما ، وعقد الامير مع الناس أن يدافعوا عن بلاد السوس خاصة من (اكادير الى الصحراء الى طرفاية) ودخل معهم أيضا حاحة الى السويرة ، وكنوا لذلك قوانين ونظموا نظاما كانت كلها اوهى من بيت العنكبوت ، لما في قلوب الناس من هروب الامير بـ (مراكش) بلا مقاومة عظيمة ولا قوة ، ومشاركة القائد الكتنافي الذي الح عليه في المقام معه على المدافعة عن (مراكش) وقتل القائد أحمد الكابا والايغاز بقتل القائد حيدة المجاهد للعدو الكافر في أرض (ابن كريس) ببلاد الرحامنة (٤) ولعدم حسن سياسته لانه صحرأوي (٥)

ثم أنه بعد أيام بعث الى القائد ناصر اليحياوي فامتنع كحيدة كما تقدم فعند ذلك منها شقا لعصاه ، فأخرج عساكره لمحاصرتها اشهرًا ، وقتل من الفريقين من الشجعان مالا يحصى ، غير أن من قتل من جانب الامير ليس له

(١) كان يوم الخروج قبل العيد بنحو خمسة أيام ، وأدرك العيد الهيبة في (ردانة) وقد بينا بيانا شافيا ناقلين عن حضروا ما وقع للهيبة حين الخروج وفي ذلك مخالفة غير قليلة لما هنا ، وذلك في (الجزء الرابع)

(٢) أغد السير : اسرع فيه

(٣) أساراك : البراح ، الساحة ، وأوراغ : الاصفر اي الساحة الصفراء ذلك تعريبها ، والمقصود الساحة العمومية في (تارودانت)

(٤) اعجبا من المترجم فقد أقران أحمد الكابا وحيدة نقضا البيعة وخامرا مع العدو ثم صار يدافع عنهما

(٥) اوليس من الصحراء من يحسن السياسة ؟ وماهم الا كائنات

خلف لكثرة الفشل فيه ، ووقوع الادبار عن امره ، وماضاع من عدوه يضاعف مضاعفة كثيرة من (مراكش) من العدو الكافر ، واقام على هذا الحال نحو سنتين (١) والامر لايزداد الاشد ، وقبائل سوس تنقطع عن ادالة رودانة وعمرى الاخوة تنقسم ، وامر العدو يشتد كل يوم ، ومدافعه بجنودها تتسرب الى اصحابه الى أن قوى امرهما (٢) وحاصرا (ردانة) وسريا الاموال الى جيرانها من قبائل (هواره) فقلبوا عليه ظهر المجن وصاروا عليه يداواحدة مع العدو فخرج الامير من (ردانة) هاربا ايضا محكما لعادته (٣) فاجفل الى ارض (هشتوكه) و (هواره) والقائدان حيدة وناصر في اثره ضربا وقتلا ، الى أن تمنع بارض (هشتوكه) فوقفوا رداله لما لهم من قوة خيل ورجل ، فاستقر بـ (أسرسيف) بقبيلة (ايت ميلك) قريبا للجبل ، متحذرا للهروب ايضا متى طرقة طارق ، ومعه الخليفة مربيه ربه

وأما خليفة (تيزنيت) الشيخ النعمة ابن الشيخ ماء العينين ، فانه قام عليه اهلها قبل ذلك بأيام ، واخرجوه لسوء تدبير اصحابه ، فذهب لـ (وجان) فاقام فيه ، فصار الامير يكابد عدوين واحد من بين يديه في (تيزنيت) والآخر من خلفه في (ردانة) (٤)

ولما استقر بـ (أسرسيف) استخلف على (هشتوكه) القائد الناجم الشجاع المشهور ، فصار يفتك بهم اسرا وقتلا ، وياخذهم بالتهم بالعداوة (٥)

وبعد أيام وقد عليه (٦) القائد الاعظم عبد السلام الجرارى وشاوره فى ان يتدخل للمصلح بينه وبين القائد حيدة ومن معه من احزابه ، فآخذه وامر بقتله لداخلته للعدو فى زعمه ، وقاتله الفقيه السيد احمد بن مبارك ابوالطعام الرخاوى المجايطي اقتصاصا منه بعمه فيما مضى ، لان القائد عبد السلام الجرارى قتله فى فتنة بينهم وبين قبيلة ايت رخا (٧) ، ولما قتل القائد

(١) بل لايتجاوز ذلك نحو ثمانية اشهر فى (ردانة)

(٢) يعنى ناصرا وحيدة

(٣) هذا كله مبين فى (الجزء الرابع)

(٤) فصلنا ماوقع للنعمة فى (الجزء الرابع)

(٥) فصلنا ذلك فى الجزئين (الرابع) وفى (العشرين)

(٦) أى على الهيبة

(٧) هذه احدى العجائب فى كلام هذا الكاتب الذى يخطئه التثبت كثيرا فى بعض ماكتبه ، فان الذى قتله الفقيه الرخاوى هو القائد سعيد المجايطي ، وأما الجرارى فانما اطلق عليه اعرابى ارضاصه ، وقتل القائد مفضل فى غير ما محل فى هذا الكتاب وفى (القسم الخامس) ترجمة القائد عبد السلام بين تراجم الاله

عبد السلام بـ (أسرسيف) وكان اخوه وخليفته القائد عياد الجرارى من ثقات اصحاب الامير احمد الهيبة ، ومن السابقين الى بيعته قبل اخيه المقتول تغير ما بينهما ، وانسل منه اخلا حذره ، وقلب له ظهر المجن ، لما علم من سوء تدبيره هو واصحابه الصحراويون ، وكذلك فعل اكثر رؤساء السوس ، فقام عليه الجرارى بعدما قامت عليه (تيزنيت) عدوة الجرارى ، بعدما حاصرها وقطع عنها الماء فى الموضع المسمى بو (الصنصار) وقامت ايضا عليه (العوينة) و (أكلو) فحاربهم الجرارى مع حزب الامير الى ان خضعوا ظاهرا ، ولكن لما قتل اخو الجرارى انقلب الجميع ، وذلك عام ١٣٣٢ هـ

وبعد ذلك بأيام قتل الاعراب اصحابه ايضا شيخ الجماعة علامة سوس ورئيسها بلانزاع . سيدنا محمد (ضما) بن محمد (فتح) ابن عابو الولياضى الادا ومحمدى غدرا مع القائد صالح بن الحسين الاداو محمدى ، ولكنه اقلت منهم وقتل الفقيه وحده بالموضع المسمى (بويكرا) رموه بالرصاص ، وهربوا ساءتئذ مع اميرهم الى الجبل بموضع (تيمكر) وانسحب نفوذه عن بسيط (هشتوكه) اجمع

وأما الفقيه ابن عابو رحمه الله فقد بقى فيه الروح اكثر من عشرات ساعات وهو يكرر سورة (الرحمن) الى سورة (الواقعة) ويكرر (تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام) ثلاثا الى ان فاقت روحه آخر الليل وذلك عام ١٣٣٢ هـ ولما استقر الامير احمد الهيبة فى (تيمكر) من جبال (هشتوكه) استخلف القائد الناجم على (هيلانة) - ايلان - وما حولها ، وكان رجلا شهما كما ذكرنا ، فهو يراوح ويباكر عساكر الحكومة الفرنسية ، ومعه رئيسها حيدة ابن مايس بالقتل والسلب . الى أن قويت شوكة الحكومة باستيلائها على مدينة (تيزنيت) وما حولها من اولاد جرارة (١) وبعد ذلك باشهر قلبت هيلانة (ايلان) للامير احمد الهيبة ومن معه ظهر المجن ، فاحاطوا به احاطة الهالة بالقمر بموضعه ، لاسيما اولاد سي احمد : الشيخ ابراهيم واخوانه الدين أخذوا بيد الحكومة الفرنسية ، وحاربهم القائد الناجم اياما ، الى أن استولوا على مامعه ، فهرب الامير الى (بعقيلة) وتوغل فى جبال (جزولة) الى الموضع المسمى (كردوسا) موضع وزيره القائد سعيد بن احمد ، فاقام بداره واطاعته تلك الجبال من (ايت وادريم) وجبال (اداوكثير) و (اداكنيفيف) و (ايت عبد الله) و (ايسافن) من جهة الشمال الى (وادى نول) ولمطة و (ايت باعمران) و (الاخصاص) الى (تندوف) من جهة اليمين والصحراء ، وكابدوا معه العدو من جهتين من جهة (ادوسكا) و (اداوكري) شمالا ومن جهة (تيزنيت) يمينا وجوفا ، ووقعت حروب يشيب لها الوليد

(١) نزل ابن دحان فى (تيزنيت) بعد صدر ١٣٣١ هـ فبقى فيها الى ان تمكن من مجاورتها ، وذلك قبل حيدة

حروب القائد حيدلا بن ميس المناهبي

لما احتلت القوة الفرنسية (تيزنيت) برئاسة القائد حيدلا بن ميس المناهبي البرحيل السوسي شرعت في شحنها بالعدد والعدد ، وفوضت امرها الى القائد حيدلا ، فاستعد لمقاتلة ماوراءها من القائد المدني الاخصاصي ، وايت باعمران ، واستنفرت له الحكومة الفرنسية قبائل السوس ونواحيها ، وحاجة والشياطنة ونواحيها ، وجبال درن الى (مراكش) ولما تكامل جيشه العرمرم قصد به الهجوم اولاعلى قبائل الاخصاص ، فاستنفر له القائد المدني الاخصاصي - وهو شهم جواد بالاموال والعدة - قبائل ايت باعمران الى (وادي نول) وقبائل (مجاطة) و (مانوزة) من جهة القبلة ، وتوافى الجيشان ، فلما جيوش (مجاطة) و (امانوز) وجبال (اداولتيت) فقد تحركوا الى المنكب الابيض (ايغرمولان) بأولاد جرار ، واما جيوش جهة اليمين من القائد المدني و (ايت باعمران) فقد تحركوا الى (ايت برايم) والحصن الاحمر (اكادير زكاغن) وتوافوا هناك ، ودارت بين الجيشين مراسلات في شأن الصلح ، مبنية على المراوغة والمخادعة ايما ، ولم يتكامل جيش المسلمين من جهة اليمين ، حتى هجم القائد حيدلا وجيوشه ، فتوغل من جهة الاخصاص (١) وتوغل ولده القائد حماد بن حيدلا في ايت باعمران من جهة الساحل ، ووصلت القوة الاولى الى (الحصن الاحمر)

مصرع حيدلا بن ميس

فلما بلغت جيوش حيدلا ما بين الجبلين ، وكادت تهجم على (ايت باعمران) وتوغلت في تلك الاودية ، وأشرفت على البلاد ، طوقتها جيوش المسلمين من (مجاطة) و (الاخصاص) وناوشتها الحرب ، ووجدتها كالبنيان المرصوص لا يملكون منها شيئا ، ولما رأى القائد مبارك البينراني المجاطي ما حل بالناس من المدافع والرشاشات ، وأنواع التهويلات التي تصد الخيل عن التقدم ، وكان شجاعا بطالا ، ذا حيل وخدع في الحروب والوقائع ، خاض فيها عمره ، وتمرن عليها . وتمرس برجالها . جرد جريدة قدرها ثلاثمائة فارس ، ممن عرفوا بالشجاعة والنجدة ، وزحف بهم الى ماوراء الجيوش الفرنسية الحيدوية واتاهم من خلفها . فلم يكن غير هنيئة حتى شد عليها ما بين الجبلين . بالخيول والرماة ، وفاجاهم بما لم يكونوا يحتسبون ، فلما سمعوا البارود قد آتاهم

(١) لحيدة زحفان الى تلك الناحية مات فسي الشانسي منهما ، وهذا السيد خلط بينهما

من ورائهم ، ووابل القرمطاس منهل عليهم كالامطار الغزيرة ، تفهقروا الى الوداء ليتمكن لهم عند الهزيمة الاتصال ببسائط (تيزنيت) فوجدوا الطريق منسدا عليهم بالخيول والرماة ، واما الجنود الاسلامية المقاتلة لهم ، فانها لما علمت ان العدو لما تفهقر صار في قبضتها لامحالة ، لانحصاره بين الجبال ، وانه لاعلم له بالحروب الوعرية ، انقضوا عليه انقضا البزاة على الصيد ، ووقع الجزع والهلع في عساكره الجرارة ففشت ، فجعل الناس يقتلون ويأسرون لاسيما من له وجاهة اولباس غير سوسي ، ودخل الناس خلال العدو وهو مندهل لا يضرب ، بل همه الحيلة في النزول عن الخيل والتعلق بالجبل طلبا للنجاة ، ولكن حيل بينهم وبين ما يشتهون ، وتخطفهم الناس من كل فج وترى الواحد منهم اذا دنا منه من اراد ان يقتله يلقي على وجهه جلبابه ، لئلا يرى الموت ، ومنهم من يجهر بالهيللة لينجو ، ومنهم من يصيح يا عباد الله ابقوا علينا فانما نحن اخوانكم

وقد كنت حاضرا وعلمت ان اكثر الجنود الحيدوية من اهل سوس وحاجة والشياطنة وعبدة ودكالة والحوز ممن استكره من المسلمين ، فجعلت اصيح يا عباد الله ، يامعشر المسلمين ، قد ظهرتم عليهم فلا تقتلوهم ، فانما هم اخوانكم المسلمون قد اكرموا على قتالكم ، ودونكم والغنيمة ، وقتل الرؤساء خاصة ، وكان جماعة من العلماء مثل العلامة سيدي علي بن عبد الله اللفي ، والعلامة سيدي الطاهر بن محمد الافرائي ، وسيدي البشير بن المدني ، وامثالهم من الذين اعتيد منهم ان لا يتخلفوا عن الجهاد حاضرين ، فوافقوا على ذلك وندبوا جماعة ممن رغب في الاجر والثواب ، ان ينادى في الناس بالابقاء وان لا يقتل الاكافر (١) او رئيس راض بالكفر ، فعند ذلك امتثل الناس فاشتغلوا بالاسر والسلب من غير مانع (٢)

واما القائد حيدلا فانه لما رأى منازل به ، وان الباب قد انسد ، ولم يمكنه الخروج منه بحيلة ولا قوة ، ثبت ودافع بجريدة من خاصته وعبيده وحشمه ، وقصده القائد مبارك المذكور ، فوجده كالبنيان المرصوص ، ولكن لم يلبث ان ابدعرت عنه تلك الفئة ، وتمزقت بالرصاص والتهب عن آخرها ووصلت الخيل الى معسكره ، ولما ايقن بالهلاك جعل ينادى ويصيح اين القائد المدني الاخصاصي ؟ واين القائد مبارك ؟ واين فلان واين فلان من رؤساء الجيش الاسلامي ، راجيا منهم ان يتلافوا امره بالاخذ بالاسر ، قبل ان يهلك بيد بعض الاوغاد بالقتل ، لما سمعه بعض الناس تفرس فيه ، انه هو وضربه

(١) ثم يحضر مع حيدلا اي كافر الا اذا كان معه بعض رؤساء جند منظم
(٢) في كثير من كل هذا مافيه ، والذين حضروا لا يخبرون الا بما ذكرناه في محلاته من هذا الكتاب

الذكر في هذه الغزاة له (مجاطة) ومقصودنا منهم (آيت بيران) رهط القائد مبارك البيراني وآيت عل ، فإن لهم في هذه الغزوات الذكر الجميل والبلاء الحسن

غزوة آيت باعمران الثانية

ولما وقع لجيش حيدة ماوقع ، وانتشر ذكر ذلك في المغربين ، امتعض الفرنسيون لذلك ، فاستأنفوا جيشا آخر اعظم منه ، مركبا من أهل المغرب الوسط وأهل السنغال السودانيين وأهل المغرب الأقصى ، وندبوا قواد الخوز الذين تحت نفوذهم للخروج معهم ، منهم التهامي الاكلاوي عظيمهم ، والقائد العيادي الرحماني ، والقائد الطيب الكتافى ، وقواد (حاجة) اجمعون ، والمتوكي (١) والشيظمة ، وقواد (رأس الوادى) من السوس و (هواره) و (هستوكه) الى باب (تيزنيت) الى قواد هيلانة من جهة القبلة وكل قائد يرأس قبائله وقومه ، وعلى الجميع الجنرال (كورو) (٢) بمدافعه وظائراته ورشاشاته ، والآلات تدميره فتحرك في شهر شعبان من السنة المذكورة ، الموافق شهر ابريل العجمى ، وصار الى (تيزنيت) بجنوده ، فماتت عساكره المدينة وضواحيها من (ماسة) الى (اولاد جرار) الى (الساحل) فاندحش الناس وملئت قلوبهم رعبا ، وبلغت القلوب الحناجر

فانحشر له المسلمون من كل حذب يتسلون ، وانقسموا على ثلاثة اقسام على حسب انقسام العدو وقوته ، فأما (بعقيلة) و (رسموكه) و (سمساللة) و (امانوز) الى رأس الخيط بـ (أمان) فقد انحشروا بـ (وجان) وفيه الخليفة الشيخ النعمة ابن الشيخ ماء العينين ، وأما أهل (مجاط) الى (امانوز) الى (افران) الى (تامانارت) فقد تحركوا الى (المنكب الابيض) (ايقرملون) فوق (اولاد جرار) وأما أهل اليمين من (الاخصاص) و (آيت باعمران) الى (وادى نول) فقد تحركوا الى جهة الساحل بـ (آيت برايم)

واقعة وجان

ولما خيم العدو بـ (تيزنيت) وتواحيها ، وخف بجيوشه الى (وجان) لقربه منه بمدخله الشيخ أحمد الامازرى الباعقيل من (وداي الجبل) وكانت له رئاسة وعصبية بجبال (بعقيلة) اكسبه اياها ذكاؤه ودهاؤه ، وما تقدم له من البلاء في حروب الحاحيين الكيلولى والنفلوسى أعوام ١٣١٥ هـ الى ١٣٢٠ هـ

(١) لم يحضر القائد المتوكي بنفسه ، وإنما حضر بوسلام (عبد السلام) خليفته

(٢) الذى سمعت اذذاك رئيسا هو الجنرال لاموط

رميا بالرصاص على مركوبه وجندله صريعا في حينه (١) ، فوقع النهب فسر أخيبته وخزائنه التى فيها عياله وامواله وامتعته ، فنهب فيها مايفوت الحصر من الذهب والفضة والآلات والسلاح ، واكثر من نهب تلك الامتعة لبالل (مجاطة) ذكورهم ونسائهم

وقد نهب اذذاك فيما قيل خمسمائة جمل ، وثمنها حينئذ ثلاثة آلاف فرنك للجمل (٢) ومن بنادق صاصبو الفان ، لغلاء السلاح الرومى حينئذ ، واخذ بعض الناس فيه صناديق ذهب وفضة وقماش ، وقطعت يد بعض نسائه لدمالج ذهب فيها ، واحتيزت نسائه الى ان اقتديت بعد ذلك بايام ، وقطع رأس القائد حيدة . وطيف به ، وعلق بـ (كردوس) ببعقيلة حيث الأمير أحمد شهرا ، الى أن سرقه بعض الناس ليلا لمال اخذه من ولده القائد الحاج حماد وحصل عز كبير وهيبة عظيمة للمسلمين الباقين ، بقتل هذا القائد ، ودخلهم نشاط كبير لمقاتلة العدو (٣)

وأما ولده القائد الحاج حماد فإنه لما سمع بقتل والده ، وهو وجنوده كما ذكرنا على ساحل (آيت برايم) محاذيا لوالده معززا له ، فشل وذهبت ريعه وهرب لحينه ثانيا عنانه الى باب (تيزنيت) وخرج منها فى جوف الليل الى (ردانة) محل عزه

وقد قتل من رؤساء هذا الجيش الفرنسى ماينيف على المائتين وفيهم من القواد ازيد من (٤) ثلاثين مثل القائد سعيد بن الحسن الامزالي واضرابه من ذوى الباس والرئاسة ، وذلك كله فى ١٣ ربيع الاول عام ١٣٣٧ هـ (٥) وكان

(١) الثابت ان حيدة انما مات برصاصة طائشة ، ولذلك لم يعرف أحد انه أصيب طوال ذلك اليوم . ولم يعلم به الا فى اليوم الثانى وفى ترجمة القائد المدنى الاخصاصى تبين ذلك فى (القسم الخامس)

(٢) استغلى الجمل بثلاثة آلاف فرنك ، ولو حضر الان بعد الحرب العالمية الثانية فما بعد لما استغلاه بذلك الثمن بالنسبة لضعافه المضاعفة التى وصلتها الاسعار الان

(٣) وقع خلط وخبط وتزريف فى سوق هذا الكلام كله ، فقد جمع الكاتب خبر زحفين اثنين لحيدة ، ولم تكن فى اولهما حرب الا فى (وجان) وأما الثانى فهو الذى قتل فيه ، فاجفل كل من معه وانهمزوا وتركوا امتعتهم للنهب ، ولم يقع قتال كثير ، وقد فصلنا خبر الواقعتين معا فى محلات ، ولا معنى للتهويل فى التاريخ . فأما نهب الاموال العظيمة والامتعة والبهائم والخييل والسلاح ، وفرح الناس بذلك فرحا عظيما فذلك كله صحيح

(٤) نعم قتل رجال مشهورون فى ذلك المضيق الذى قتل فيه حيدة وهم هاربون ولكن القواد اقليلين هم نحو ثلاثة او أربعة بين الموتى

(٥) بل ذلك فى سنة ١٣٣٥ هـ

كما ذكرناه قبل ، ونصح لأمته في تلك الحروب الخزلية ، وبزاد عز قواده (بعقيلة) القائد عدى بن أحمد من بلدة (كردوس) ثم لما قام الأمير المولى أحمد الهبة بالأمر بالسوس ، وخدمه القائد سعيد الباعقيل وأخوته ، واورده ببلدتهم (كردوس) حقد عليهم الشيخ أحمد الامازرى لانهم من أعدائه ، فلما زحف العدو بجيشه لـ (وجان) وزحف الناس اليه من (ولتية) وغيرها ، جعل يشبط الناس عن مدافعة العدو عنه ، لان (وجان) في عداد قومه (بعقيلة) ولكن لم يطاوعه قومه ، لانه من باب الجهاد المفروض عينا عندهم ، لمفاجأة العدو بلادهم ، بل نبذوه ، وصار ذلك سبب مقتهم اياه ووقعت معركة عظيمة بـ (وجان) في ١٢ شعبان عام ١٣٣٦ هـ (١) الموافق ابريل العجمي قدم فيها العدو قبائل (هشتوكة) وأهل (وادی سوس) و (حاحه) و (الشيظومة) وتترس بهم ثم اتبعهم بالسينيغاليين السودانيين ، وأهل الغرب الاوسط من الجزائريين ثم اتبعهم بقبائل اللفي (الايجيون) صفوفا مثل البنيان المرصوص ، والمدافع والطائرات تمطر وابلا من القنابل وتفتك بالبناء ، وتهدم على الناس الدور والاسوار والبنائات والابراج ، وكلما قدم العدو صفا أفناه الناس قتلا وذبحا وأسرا ، ولكن انما يقتلون اخوانهم ، فالمسلم يقتل المسلم عيادا بالله ، ترى أسرابا من الفرسان تحمل على الناس وهي ترمى الى جهة السماء كراهية قتل المسلمين ، حتى ان سربا من فرسان (حاحه) انحازوا الى المسلمين . وهربوا من العدو ، وجعلوا يوصون الناس ان لا يضرخوا ، ودام القتال ثلاثة ايام والقتل والخراب والهدم كاد يقضى على (وجان) فأخلاه الناس ، وهرب منه الخليفة النعمة بعدها ، وقتل فيه من الفريقين مالا يحصى ، لكن القتل من العدو اكثر . وفيها قتل القواد اولاد دليم من (هشتوكة) وهم تسعة (٢) وقتل من العدو آلاف ، ومن المسلمين قتل بـ (رسموكة) ١٣٠ رجلا ، ومن (بعقيلة) ٤٠ رجلا لكونهم مشبطين من الشيخ أحمد كما تقدم ، ومن مجاطة أزيد من ٧٠ رجلا ، وذلك ان (مجاتة) و (أمانوز) و (أملن) كانوا بـ (المنكب الابيض) كما تقدم برئاسة الفقيه سيدي علي بن عبدالله الالفي ، فأوصاهم ان لا ينغروا لـ (وجان) ولو سمعوا رعدا من البارود . وقالوا له لا نقعد عن نصرة اخواننا بـ (وجان) ونتركهم يحصدهم العدو ، ثم ياتي الينا ، فزحفوا ثاني يوم ، وتركهم العدو حتى توسطوا الجبل المثل على (وجان) فصبوب عليهم مدافعه واطلق عليهم قنابلها المفرقة العظيمة الحجم ، وقتل منهم اكثر من سبعين فارسا ، وكانت القبائل تقع في الصخور والصلود ، فتتفرقع منها شظايا ، وترمى بقوة عجيبة فمنها قتل اكثرهم ، ووبخهم الفقيه سيدي علي بن عبدالله الالفي المذكور على ما ارتكبوه من المخالفة ، هو والقائد سعيد الكردوسي ، على ان ذلك كله لم

(١) بل سنة ١٣٣٥ هـ

(٢) كذا

يوهنتهم ، (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وماضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين)

واستفيد ممن حضر الواقعة مع الفقيه المذكور انه لما احس المسلمون بمداخلة الشيخ أحمد الامازرى للعدو ، ندبوا (اداولتيت) كلهم الى (بنى حامد) الى (أمانوز) للمدافعة عن (وجان) وكنت ممن انتدب لها مع شزيمة من شجعان قبيلتي اخترتهم من ذوى الكريهة والطعان . وممن لا يقع لهم بالشمنان ، متقلدين بالرباعيات (١) حاملين أغمادا وأكياسا ومزاويد من القرطاس اى الرصاص الرومى ، فسلكت بهم بين الاشجار الملتفة حوالى (وجان) حاميا عن تترس بالاسوار والبروج والسواقي . فكان العدو مع ذلك يضرب بالكور (القنابر) (٢) ويقع في حائط اوبرج اودار اوسور أو شجرة كبيرة فتختر ساجدة على من تحتها ، ساقطة عليه ، ومن عناية الله ولطفه المعداد من كرامات أهل الاسلام ان اكثر من سقط عليه ما ذكر ناج ، خارج تحت الهدم وغيره من غير باس ، بل ينفض صاحبه عن نفسه الغبار ، فيضرب العدو من جديد ، كان لم يصبه شيء (وما ذلك على الله بعزيز) ففى حق المجاهدين رضوان الله عليهم ، وقد وقع المصحابة رضوان الله عليهم مثل العلاء بن الحضرمي وسعد بن ابي وقاص رضى الله عنهما

وقد رأيت فى ذلك اليوم على اكثر الفرسان حمرة الدم من اعلاهم الى حوافر خيلهم ، كأنما خاضوا بحر دم سائل ، منهم الفقيه المذكور ، والقائد سعيد المذكور من كثرة الجراحات فيهم وفى خيلهم ، ولم يفت ذلك فى عضدهم ولا وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، ودام ذلك على الناس ثلاثة ايام بلياليها والخليفة الشيخ النعمة ابن الشيخ ماء العينين قد خرج لما رأى الامر لايزداد الا شدة .

ثم بعد ذلك اوعز الرئيس الشيخ أحمد الامازرى لقبائله بالخروج وانتخلى عن (وجان) ونادى فى الناس ان البلد بلدى ، ولاريد ان تكونوا ايها المساهون سببا لهدمه فأجمع الناس على الخروج لما فيه من منفعة للمسلمين ظاهرة ، لان (وجان) ليس به مركز حربى للعدو لمجيئه تحت جبال (ولتية) ومراد العدو فى احتلاله واخضاعه ان لا يوتى من خلفه اذا تقدم لـ (تيزنيت) ولما انجلى الناس عن (وجان) بانجلاء الخليفة المذكور ، بعد ان استولى الخراب والهدم على جل البلاد ، انحازوا الى الجبال ، واجتمعوا هناك بقضهم

(١) نوع من البنادق

(٢) يجرى على الاسنة القنابل بأللام كما عند المترجم ، والصواب بالراء كما بينه شكيب أرسلان ، وكما كان أهل الجيليين قبلنا يستعملون الكلمة كالشرقاوى المهرى والزبانى ، تشبيها للمديفة بالقنبرة اى الطائر المعلوم

وقضيتهم ، وعقدوا مؤتمرا عظيما ، مشتملا على رؤوس القبائل المدافعة ، ومن جملةهم الخائن القائد احمد الاماززي الباعقيل ، فتكلم الناس بما يتعلق بالدفاع عن الاوطان ، والبلاد السوسية ، فتكلم هو وقال : اننى قد اجتمعت مع رئيس الحكومة الفرنسية المتولى لقيادة الجنود فعددت معه صلحا ، مضمنه ان يتسحب الناس اى المسلمون عن بلاد (ولتيته) وان يشمل الصلح (بعقيلة) و (رسوكة) و (سمالة) و (املن) الى رأس الخيط بـ (ايت وسيم) من دون (امانوز) و مجاطة الى جهة اليمين ، فلا صلح لهم الا اذا قبلوه ، والا فليخرجوا عن بلادنا ، وايقاتلوا في واجهات بلادهم ، فتكلم الحاضرون بلسان واحد قائلين نحن لا نترك اخواننا المسلمين ، ولا نفترق معهم الى اخر نفس ، ورفضوا كلامه وصلحه ، وأبرموا امرا على تدبير اغتياله

كيفية اغتياله

لما رفض الجميع كلامه غير ثلة من قبيلته ، المعدودة من دائرته ومن اهل مائنته الذين هم من ثقاته ، وانسحبوا من (وجان) ومن جميع بلاد (بعقيلة) الى (المنكب الابيض) و (ميرغت) و (ايت باعمران) وغيرها ممن في الجهات المخوف هجوم العدو عليها ، شرع في عقد مؤتمر من قبيلته ، مضمنه ان كل من قاتل او تحرك او اعان فعليه عقوبة مالية ، وهدم داره ، الى غير ذلك من انواع التخذيلات ، وجعل يباكر العدو ويرأوجه في المفاوضات على العمل في امر الاحتلال ، بعدما ارضخوا له بشئ من متاع الدنيا الدنية ووعدهم اياه بالقيادة على جميع قبائل (جزولة) وذلك كله على يد عاملهم الحاج الطيب الكنتافي المتولى على جميع ما احتلوه من السوس (١) وذلك من (اكادير) الى (تزنيت)

وجعل الشيخ احمد المذكور يعقد المؤتمرات في بلاد (بعقيلة) مع نفاليته واعيان قبيلته ، وهو يعدم تارة ويهينهم اخرى وتتبع قري بعقيلة ومدائيرها بالبيات معهم والاحتفالات والقاء الخطب ، والآراء الراجعة الى قضاء اغراضه وفي كل ذلك يكيد له اصحابه مكاييد ، وينصبون لوقوعه حبال ومصائد ، ويسرون له حسما في ارتقاء ، ويباكرون المسلمين بأسراره ويرأحوونهم ، والمسلمون في كل ذلك مشغولون بمقاتلة العدو ومشابكتهم بـ (ايت باعمران) و (المنكب الابيض) (ايغرمولن) وغيرهما . ويحتسون كثوس المنايا من افواه المدافع والقنايل والرشاشات الى ان قبض الله لهم نصرا مبينا بانهزام العدو وتقهره كما سنذكره قريبا

وراود اهل الصلاح والفلاح من (ولتيته) الشيخ احمد المذكور على الرجوع الى دخول الجماعة . والسمع والطاعة . بل جاء جميع طلبة (ولتيته) وهم اكثر

(١) يعنى في جهة تيزنيت الساحلية

من ألف طالب ، وفيهم العلماء . ورغبوه في الرجوع ، فلج وتكبر عليهم ولم يعر كلامهم اذنا ، ولا سمح لهم بقبول كلمة واحدة ، فدعوا عليه بالهلاك العاجل وانقضوا ، فمامكت غير ثلاث حتى قتل شر قتلة في بلدة (تين مسان) من (بعقيلة) بات فيها ، وأصبح محصورا فيها مع شردمة من دائرته ، لا تتجاوز ستمين رجلا مسلحا ، فسلموه بعد قتال قليل ، وأخذ باليد بعد قطع يده بالرصاص ، ولولا ذلك لم يوخذ لشجاعته وثبات جاشه في أمثال هذه ، اذ هو فتى الكريهة ، يخوض غمار الموت ولا يبالي ، مع دهاء وفكر وبسالة لا يدرك شأوه في ذلك كله .

ولما اخذ وقيد احاط به جمع كثير من المقاتلة ، وقتشوه فوجدوا عنده مكاتيب العدو وظواهره ، ومعلومات تدل على جميع ما برمه معه ، فقرروه فأقر بالجميع ، وغالب من تآلب عليه ، وداخل في قبضه وقتله ، دائرته واصحابه . تقربا منهم الى الله لخيانته للوطن والاسلام ، ثم امروا بعض من قتل له اياه ، او بعض اقاربه ، فقتله بخنجر يضربه به الى ان يرد وانقضى ، ثم وضعوه للكلاب ، ولكن انتدب بعض الناس لهواراته فواراه ، وعمت اخباره البلاد ، وحمد الناس الله حين لم يتسع خرقه على الراقع ، وطارت اخباره وبشائر قتله الى المجاهدين . وهم راجعون من واجهة العدو منتصرين ، ذلك ما يتعلق بامرهم

وأما ما يتعلق بامر العدو ، فانه لما فرغ من احتلال (وجان) رجع عنه الى (تيزنيت) و (اولاد جبران) فماتت عساكره جميع تلك السهول الى وادي الغاس) وذلك انه استنفر المغرب الاقصى باجمعه ، واستعان ايضا باهل المغرب الاوسط ، لكونهم مستعمرين من قبله منذ زمن بعيد اى من سنة ١٢٥٢هـ (١) فاما اهل المغرب فقد قاد كل قائد منهم قبيلته التي تقيد عليها ، فالقائد العيادي الرحمانى مثلا يقود قبائل الرحامنة ، والحاج التهامي الاكلاوى يقود القبائل التي تحت نفوذه من (مراكش) الى (درعة) الى جبال (وزكيشة) و (سكتانة) و (دمنات) وما الى ذلك كله ، والقائد عبد الملك المتوكي من سوس الاقصى الى (مراكش) وقس عليهم قواد المغرب جميعه

ثم انه لما رجع من (وجان) انكمش بجنوده الخاصة به في داخل (تيزنيت) وباقي اهل المغرب خارجها ، وفرض عليهم مراقبة عظيمة ، وسدد نحوهم مدافعه ، واحتاط لنفسه مخافة الغدر احتياطا كبيرا . واقام على ذلك خمسة عشر يوما وهو يرسل القبائل المتمنعة القريبة لطلب الاستسلام مثل القائد المدني الاخصاصي ، والقائد مبارك البيراني المجاطي وغيرهما ، بل ندب من قبله قواد الحوز المتقدمين الى ملاقات المسلمين ، وعينوا مؤتمرا يشتمل على خمسين رجلا من الجهتين

(١) كان مبدأ احتلال الجزائر ١٨٣٠ م نحو ١٢٤٥هـ

مؤتمر (ميرغت)

تقع قرية (ميرغت) بين (الاخصاص) و (اولاد جرار) وهي مسقط رأس الفقيه العلامة قطب زمانه سيدى محمد بن سعيد الاخصاصى الميرغتى دفين (مراكش) ناظم المنظومة المعروفة بالمقنع فى التنجيم رضى الله عنه ، وتقع فى عداد ايلة القائد المدنى الاخصاصى

وعين الجانبان خمسين فارسا لكل جانب من رؤساء العسكر فى كل وانا واحد ممن حضر المؤتمر فى جانبنا ، وفيما رئيس الجميع الفقيه العلامة المجاهد العظيم سيدى على بن عبد الله بن صالح الالغى ، والقائد الاعظم الشجاع البطل السيد مبارك البنيرائى المجاطى وغيرهم من شجعان القوم

ومن الجانب الفرنسى ، الذى عينهم الجنرال الفرنسى (كورو) وفيهم رئيس الحوز باشا (مراكش) ونواحيها الحاج التهامى الاكلوى ، والقائد الاعظم العيادى الرحمانى والقائد الافخم السيد عبد السلام المتوكى خليفة الباشا الاكبر عبد الملك المتوكى البوابوضى ، والقائد الاكبر الحاج الطيب الكنتافى المتقدمو الذكر ، وغيرهم من قواد (هشتوكه) و (هواره) و (حاحه) و (الشيظمة) وغيرهم

وكانوا قد سبقونا الى النادى ، واستقر بهم المجلس ، ونحن فى الطريق ذاهبين ، ولما كنا فى اثناء الطريق استوقفنا القائد مبارك المجاطى ، فقال لنا: الراى عندى ان نميل على هؤلاء الرؤساء بالقبض والاسر ، فانهم ان وقعوا فى قبضتنا تبذر هذه الجموع فى اسرع من لحس الكلب انفه ، وانهم عيون الحكومة وقلوبها ، وان كانوا مثلنا فى العدد والعدد ، فنحن اقوى واشجع وامرن على الحرب ، لاننا بدويون وهم حضريون . ومن لم يستأمر منهم قتلناه ، وفى فدائهم لنا بعد النصر قوة عظيمة تقابل بها عدونا من بعد ، فماذا تقولون ؟ فقال الناس الى كلامه ، غير الفقيه الرئيس الاستاذ على بن عبد الله المذكور ، وكان سليم الصدر ، شديد الورع ، والتمسك بالسنة ، فقال : وكيف يحل لناغدرهم ونحن معهم فى امان ؟ وعقدنا معهم ماعدنا ، فلا يحل لنا الا الوفاء ، فراجعهم مرارا فابى فتكلمت وانا اجسر الناس على الفقيه رحمه الله ، فقلت كيف نعتبر الوفاء بيننا وبينهم وقد صاروا ظالمين لنا من وجوه كثيرة ؟ لانهم اخذوا بيد العدو ، وقتلوا دونه باموالهم وانفسهم برضا منهم ، وانهم هجموا علينا فى عقر ارضنا وجاسوا خلال ديارنا ، طالبين لاعلاء كلمة الكفر ، ألم يقل الله تعالى : «ولا ينال عهدى الظالمين» ولم يقل تعالى فى ادنى من هؤلاء : «واما تخافن (١) من قوم خيانة فانبد اليهم على سواء» الاية ، فاذا لم تكن خديعة

(١) العجيب كيف استدل بالاية ضد ما تدل عليه من الوفاء وعدم الخيانة

او حيلة فلا نزال منهم ابدا ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : «الحرب خديعة» وهذا المؤتمر نفسه انما عينوه خديعة ، ليتمسكوا خلا وتفرقا ، او يلمسوا رايها واهيا . وليسبروا افكارنا قوة وضعفا . او ليستميل بعضنا بالمودة والرشوة او . او . او الى غير ذلك ، فمال الناس الى كلامى . ولكن الله سلم فصاح على الفقيه بكلام اشرف معه على البكاء ، وقال انعود خائنين لا والله لا احضركم فثنى عنانه للرجوع ، فساعدناه حينئذ ، وذهبنا اليهم ، فالفيناهم جلوسا . فلما دنونا منهم . قاموا اجلالا لنا واعظاما قومة شخص واحد ، وعانقونا ورجعوا الى مجالسهم

فلما استتم الناس الكلام والسلام افتتح الفقيه سيدى على بن عبد الله خطبته وتكلم ووعظ ووبخ . ومن جملة كلامه قوله لهم : يا قواد الحوز وغيره كيف سولت لكم انفسكم هذا الامر ؟ اذ عمدتم الى النصارى فادخلتموهم الى اوطانكم على المسلمين ، وتزعمون انكم من عداد امة محمد صلى الله عليه وسلم وما منكم من احد الا وهو حامل لكتاب الله ، حاج لبيته ، فما رضيتم بتوليتهم التى قال الله فى شأنها : «ومن يتولهم منكم فانه منهم» حتى عززتموهم ونصرتهم وواسيتهم واهلهم باموالكم وانفسكم ، ودخلتم معهم فى سفك دماء اخوانكم المسلمين وتخريب ديارهم وتدمير اوطانهم واوطانكم : «الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله» ولو كان فيكم ادنى شعرة من الايمان لملت مع اخوانكم المسلمين على عدوكم ميلة واحدة ، ولاخذتكم النخوة على دينكم واهله ، فتتخلون عن العدو ، وتدخلونه فيفشل ويرجع عنهم ، ولكن لاحياة فيكم (ولاحياة لمن تنادى)

فاجابه كبير القواد والقوم الحاج التهامى الاكلوى باشا (مراكش) ونواحيها قائلا اننا لم نجى الا للمصالحة بينكم وبين الحكومة الفرنسية ، فقال له الفقيه المذكور اى صلح بيننا وبينها مادامت فى ارضنا ووطننا ، فقال الصلح على شروط ثلاثة : اولها ان تخرجوا الامير مولاى احمد بن ماء العينين عن ارضكم والثانى ان تاتوا بهداياكم الى (تيزنيت) وتخضعوا للحكومة ، والثالث ان تسلموا السلاح لها الا ما اضطرت اليه الحاجة ، هذه هى الشروط التى القاها عليكم الجنرال الفرنسى (كورو) ، فان اختلف واحد منها فلا صلح

فقال له الفقيه سيدى على بن عبد الله المذكور : فهذا اذن عين الاحتلال لاطواننا ، والله لا نقبل واحدا منها حتى لا يبقى فينا نافع من رجل او امرأة ، فانفض المجلس كل الى فئته ، فاستعد الناس لهول عظيم ، واستنفروا جميع من بقى من (وجان) الى (تسيوت) الى بلاد (اقسة) من جهة القبلة ، وشحنوا (المنكب الابيض) (ايغير ملولن) باولاد جرار بالرجال والعدة والعدد الكاملة ، وكان يومئذ من عداد (مجاهدة) اقتطعوه من الجرارى القائد عياد الذى زار

النصارى وأخذ بيدهم ، وكذلك شعثوا أيضا (آيت يرايم) الى (الحصن الاحمر) الى (ميرغت) من جهة الغرب

فأقام العدو بـ (تيزنيت) خمسة عشر يوما وهو يعمل الخيل والمكر ، وكان رجل من الاخصاص يقال له الشيخ على ، نفاه القائد المدنى الاخصاصى قد هرب الى الجرادى ، فجعل يتجسس مواضع الضعف والخلل ، ويباكر العدو ويرأوجه بأخبار ذلك ، وأخبار الناس وقوتهم ، فدلهم على موضع خاو من الادالة الا من عسة قليلة تقدر بمائة رجل فى بعض الشعاب ، فلما تحقق العدو ذلك جمع جنوده ، وأمرهم بالهجوم على ذلك الباب ، بكرة يوم قد خيم الضباب على الافق ، حتى لا يبصر الرجل الا صاحبه ، فهجم وضرب العسس بمدافع، ودخل على (آيت باعمران) من غير ملاقاته كبير مقاومة فى ذلك الباب ، ونصب المدافع على المداشر يضرب بها مارا فى طريقه الى جهة (ايسك) بمشهد سيدى محمد بن عبد الله وسط قبائل (آيت باعمران) وارسل الى اكابر القبيلة للخضوع ، فهربوا الى (مجاط) و (الاخصاص) ولم يقبلوا اليه ، واستنفروا قبائل (مجاطة) و (الاخصاص) الى (آيت الخمس) الى (اصبويا) الى (زفاضة) و (اد احمد) وأولاد (أبى السباع) وغيرهم ، فنفر الناس الى تلك الجهة ، ووقعت المعركة الهائلة ، واشتبك الرجال بالرجال ، وكثرت القتل والجراحات ، لاسيما فى العدو ، ووقعت هذه المعركة من طلوع الفجر الى العاشرة من نهار الاربعاء ٢٠ قعدة عام ١٣٣٥ هـ.

وخلاصة هذه المعركة ان العدو لما وصل الى (ايسك) ، خيم بجنوده على ربوة ذات قرار ومعين ، مشرفة على جميع ما حولها ، وهى مركز حربي مهم ، وبعث الى اكابر (آيت باعمران) للحضور عنده ، وللتكلم معه فى ابرام الشروط التى تمضى له ، فلم يات به منهم أحد ، بل فسروا منه حسبا تقدم لاستنفاد القبائل ، فنفرت القبائل الالفة الذكر ، غير ان قبائل (مجاط) و (آيت وافقا) و (أمانوز) و (أملن) ونواحيها و (اداولتيت) و (اداكوسموكت) و (ادا وباعقيل) و (ادا وسمالل) مرابطون فى المنكب الابيض (ايفيرملولن) و (هيلانة) كلها من (آيت عبدالله) و (بنى على) وجيرانهم و (اداكنضيف) الى (اداكثير) و آيت (والياض) ونواحيها و (آيت صواب) كلها الى (نكارف) مرابطون بـ (آيت باها) و (آيت وادريم) و (ادوسكا) العليا مخافة هجوم العدو الكثير عدده ومدده

ثم ان العدو قسم قبائل الحوز وقواده على واجهات اليمين الثلاث (المنكب الابيض) لحاجة ومتوكة والشياطمة الى عبدة ، وقائد الجميع القائد (١) الاعظم عبد السلام المتوكى وله فيهم نفوذ عظيم قبل الاحتلال ، مع ان كل قبيلة بقائدها

(١) هو خليفة فقط لا قائد

الخاص ، والمواجهة الوجدانية فيها (آيت صواب) وما حولها ونصف (ولتيتة) والمواجهة الباعمرانية فيها (الاخصاص) وجميع قبائل (آيت باعمران) الى (اكليميم) و (افنى) عربا وعجما (١) ، وهى الوجهة المهمة عند المغيرين ، ولهذا خصصوا لها قوة مشتملة على ثمانين (٢) الفا من الفرسان والرجال وقوة عظيمة من المدافع والطيارات ، فحار الناس فى أمر العدو ، وتفرق قوته عليهم فى هذه الواجهات ، على انهم اقل من العدو قطعا ، لان عددهم يقدر اذذاك بعشرين الفا تقريبا

ولما رأى عبدالسلام المتوكى كثرة عدد العدو على المسلمين ، اخذته عليهم الغيرة ، فندس اليهم بان يتحركوا الى جهة (آيت باعمران) لتعصيد اخوانهم هناك على العدو الكافر ، قائلا لهم : اننا نحن هنا اخوانكم المسلمون ونحن مرابطون هنا للهجوم عليكم ، ولكن لانفعل حتى يتضح امر واجهة (آيت باعمران) فان غلبتم فيها عليه فنحن هنا مستعدون لغدركم (٣) معكم او لايفضح الخلل فيه بالهزيمة والتفشييل ، وعلى كل حال فنحن معكم قلبا وقالبا ان شاء الله ، فلا تخافوا من واجهتنا ، وانفروا الى (آيت باعمران)

فتوثق الناس منهم . ونفروا الى (آيت باعمران) وانحشرت جيوش المسلمين من كل جهة بايمان واحتساب ، راغبين فى ثواب الله وتكاملوا بعد يومين فى موضع الوغى ، وقام العلماء والفقهاء والوعاظ على الناس بالخطب المبكية ، والتحريض على مبادرة العدو ومصادمته . وتشجيعهم عليه ، فبات الناس وهم على ذلك يستعدون للمنازلة . وجواسيس الفريقين تتردد ، والطائرات تزعم للاستطلاع والاستخبار ، وقسم الناس العسكر اربعة اقسام على العدو ، عند الحملة عليه ، وعينوا لكل قسم شجعانا من ذوى الكريهة الذين لا يقع لهم بالمدافع ولا يهولهم ازيز الطائرات ، ولا البنادق ولا الرشاشات

هذا كله والعدو أيضا منكش بعساكره على تل عظيم ، واحاط عليه سرادقه من الاسلاك ، والمسلمون من شيعته خارجون عنه ، وهم اكثر منه والكل يتربص حملة صاحبه ، غير ان الناس توافقوا على مصادمة العدو بعد الفجر والحملة عليه ، فلما حان الوقت سمع الناس العدو يعبى جنوده للمنازلة وينصب مدافعه للمضاربة ، فصمدوا نحوه قبل ان يصمد نحوهم بالفرسان المهيأة لذلك ، فخالطوه بالخيول والرجل . مطلقين عليه شتايب من القرطاس والرصاص ، وهجموا عليه ، الى ان وصل بعضهم معسكره حيث يكون رؤساؤه فانزعجوا لذلك ، ودافعوا أيضا بقوة عظيمة من المدافع التى تدهش العقول

(١) عربا وشبلوحا

(٢) فى هذا العدد اغراق وغلو

(٣) كلمة عابرة لا يمكن ان يكون لها اصل

وأطلقوها ، لكن لشدة الاختلاط يصيب أكثرها جنودهم . فاختلط الرجال بالرجال والفرسان بالفرسان بالبارود والخنجر والمزاريق ، من طلوع الفجر الى عشرة النهار ، وكان في المسلمين قتل لاسيما في شجعانهم مثل الشيخ علي ابن العربي الكوراني المجاطي وغيره ، ممن لا تدل انوفهم الا لعزة الواحد ، فان من شجاعة هذا الفارس على بن العربي اذا حمل على العدو لا يشي عنانه الا اذا قتل أكثر من ثلاثين ، وله معرفة بالكر والفر والمخاطلة والمماكرة في الوعى وربما يلقى مائة فارس فيهزمها وحده ، ويقتل البعض ويجرح البعض ، ويأسر البعض . وكان رجلا قويا شابا طويلا شهما لا يعرف معنى للنكبات ولا الاوجال ، شان قبيلته وقبيلة (آيت بيران) ورجالهم . مثل القائد مباركة البيراني وعصابته . فهؤلاء في الحروب كلهم صواعق لايهابون المنايا ، و(آيت الخمس) و (اصبوي) الى (وادي نول) أيضا اشجع منهم ، والحاصل ان هذه الحروب قد حضرها من أهل الشجاعة والشهامة رجال من ذوى الكريهة ، قد قطعوا أعمارهم في أمثالها . وهي شتى شتى وديدنهم . وقد غدتهم بلبانها

ولما اشتبك القتال مع العدو مع أهل (أمانوز) و (مجاطة) و (الاخصاص) الخ تأخر عن الحضور قليلا من قبائل (وادي نول) من (آيت باعمران) المذكورة وقوى العدو ، وتكاثر على الناس ووقف في نحره رجال شجعان استحرف فيهم القتل . وقد قتل في المعركة الشيخ علي المذكور الذي هورحى الحرب . فتقهق الناس مقدار كيلومتر واحد ، ثم ان عساكر (اصبوي) و (آيت الخمس) وغيرهم ممن تأخروا عن المعركة وصلوا الى اطراف المعركة ، ووافوها وهي في غاية الاختدام . وقد سمعنا أبواقهم ومزاميرهم من بعيد ، فما وقعت أعينهم على العدو حتى وثبوا عليه كالأسود . وهم أهل جشع وشره الى الغنيمة لاسيما الى سلاح الرباعية والثلاثية . والقرطاس وهي عندهم اعز من الذهب والفضة

ولما تحقق العدو بمجيئهم . وعلم انهم أهل كريهة اندهل وطاش ، لاسيما وقد سدوا عليه طريق الهروب الى السهل وطوقوه ، ولم يبق له عند الهزيمة الا الطريق الوعرة ، واما الجهة التي دخل منها فقد سدوها عليه . فخالطوه مخالطة الماء للبن . بالقرطاس والسيوف وغيرهما ، وكانوا جلادا أقوياء في الحرب . من رجال المعادة . لبدوتهم وخشونتهم على العادة في تصليب أهل البادية وقوتهم ، فما كان غير مقدار ساعتين . حتى ترحز العدو عن المصاف . ولاحظ منه علامة الانهزام ، ونحن حينئذ في شزيمة قليلة من الرماة في سفح تل اضطر العدو للمرور عليه في انهزامه ، لانسداد الطريق التي دخل منها كما تقدم . وكنا نحو ثمانين من قبيلة (أمانوز) ونحو مائتين من (وليتية) ممن عرفناهم ، وكانوا رماة لا تسقط لهم رصاصة الا في وسط ذات العدو أو رأسه . وقتلوا من العدو لاسيما من مسلمي الحوز ما لا يستهان به ،

فقلت لهم يجب علينا التحول من هذا الموضع ، فان العدو لا مندوحة له عن المرور منه بقوة . ونحن قليلون لاطاقة لنا بحصره ، فأبوا الا المقاتلة . وفيهم بعض أهل العلم الذين لا خيرة لهم بمكايد الحرب ، قد قرأ عليهم آية «ومن يولهم يومئذ دبره» الخ . ونسى ما بعد الا الاستثنائية ، فدوخهم . فكان سبب انتزاع سلاحهم . وذلك انه حملت علينا طلائع العدو بنحو أربع مائة فارس جلهم من الاكلابيين وغيرهم ، وقالوا في أثناء الحملة : اخواننا معشر المسلمين تحولوا من هذا الموضع . فان العدو مضطر الى المرور عليه ، فقلت لهم : الان قد حصص الحق . وظهر الامر . فأمرت اخواني الثمانين بالتحول معي . الى موضع مأمون . ومركز أهم من هذا ، فتحولنا جميعا غير أولئك الناس . فما كان غير قليل ريثما وصلنا الى مركزنا . حتى أعاد العدو الكرة على الموضع . وطوق الباقين . وانتزع منهم السلاح . ولم يقتلهم . لان الجميع مسلمون . وقالوا لهم ألم نتقدم لكم وقد اعذر من انذر بالتحول قبل أن يراكم العدو الكافر فنصير متهمين عنده ، فهربوا بلا سلاح . فما وصلونا حتى وصل العدو بكله الى المحل المذكور . وهو في كل ذلك يوالى قنابل مدافعه مثل الرعود على الناس . ولكن لا يقضى شيئا لشدة المخالطة ، وهم أيضا يرمونه بالرصاص مثل المطر الغزير . ولما تحقق قوة المسلمين وغلبتهم جمع عساكره وانكمش هو ، وحماهم بمدافعه متقهقرا . جاءه تلك الجبال الوعرة ممره . والناس في اتباعه محذقون به . وصار لا يلوى على شيء . وقطع في انهزامه أكثر من مائة كيلومتر الى (تيزنيت) (١) والناس في اثره يقتلون ويأسرون . وكان انهزامه في الساعة الثامنة صباحا الى الساعة الثامنة ليلا في وقت العشاء . ووصل الى (تيزنيت) (٢) وسد أبوابها عليه دون عساكر المسلمين أهل الحوز شيعته . وخرج من ليله قبل الفجر ناجيا بنفسه ومن بقي معه الى (مراكش) و(الدار البيضاء) من حيث يامن . وترك قواد الحوز والقائد الجراري وأمرهم بعقد الصلح مع المسلمين على الشروط التي يقترحها المسلمون ، فأصبح الصباح والناس مطوقون للمجراري (٣) و(تيزنيت) ولما تبين لهم ان النصر اخرجوا منها ، ولم يبق غير شيعتهم من المسلمين . فت ذلك في عزهم . وكرهوا سفك دماء بعضهم لبعض . وتراسلوا فيما بينهم ، فعينوا موضع المؤتمر قس بو

(١) كسدا

(٢) هذا غير مضبوط ، وقد لعبت العاطفة دورها في غالب هذا . وقد بينا

نحن ما عندنا في ذلك في محل آخر

(٣) هذا فيه ما فيه . فان الهدنة وقعت بعدما كاد المسلمون يتفرقون ضجرا مما لاقوا ، ولم يطلوا اذذاك الجراري ولا تيزنيت . وفي ترجمة القائد المدني الاخصاص تبين هذه النقطة . وهي في (القسم الخامس)

الصنصار بين (تيزنيت) و (أولاد جرار) واجتمعوا هناك فيما بينهم وتلاوموا فيما يفعلونه من الأخذ بيد العدو ، وردوا الملامة كلها على الجراري الذي استنصر بهم . ورتبوا عليه خسارة الحرب . ولكن بلا اجحاف . بل بمال يقدر بأربعين ألف ريال حسنى قضى . وشرطوا ان لا يعود العدو لغزو سوس من (تيزنيت) في جهة القبلة الى (تيزنيت) غربا الى صحراء السودان جنوبا الى (شكيط) الى جبال عدان - ادرار - وكتبت خطوط الجميع . وقيدت رسوم الضمانات على رجال من الجانبين ، ولكن ذلك كله كان من باب العبث والغباوة من الناس اذ العدو ذهب ليستعد لقوة غير هذه . وينظر في الوسائل التي تنفعه . من أعمال مكر وخديعة . وتضريب بين الناس وبث الشقاق . ولم ينم كما ينام المسلمون . والعلاء من المسلمين أيضا لم يعجبهم ذلك . بل من حسن السياسة عندهم متابعة النضال والعدو الى مراكز . لان المسلمين مستعدون للانقلاب عليه والانتفاض قبيلة قبيلة ، متى وصلهم مدد اخوانهم السوسيين . ولكن لما رجع الناس الى مواطنهم استحلوا لذة الراحة وركنوا الى هدنة على دخن . وناموا عن العدو . وتفرقوا كل الى شغله . رئيسا ومرووسا بلاوازع ولا امر ولا ناه . مهولين على بارقة هذه الغلبة التي ستكون وراءها أمور مستنكرة واعداء مكررة :

وما الدهر في حال السكون بساكن ولكنه مستجمع لوثوب

حروب أخرى

ولما كانت سنة ١٣٤٢ هـ دس الى قواد اطراف سوس بالهجوم على من يليهم من القبائل المعادية له . فتحرك الحاج حماد ابن المقتول بايت باعمران حيدة بن ميس هو والقائد محمد بن ابراهيم التيبوي (١) وغيرهما من قواد (ردانة) ونواحيها الذين هم من شيعة النصاري الى قبائل (هيلانة) وقبائل (ايسافن) الذين هم من قبائل المسلمين ، فاستغاثوا بالناس فوق النفر . واجتمع الناس من (ايت باعمران) و (الاخصاص) و (مجاط) و (امانوز) واهل أعمال الجميع ، و (واتيتة) و (ايت صواب) وأعمالها . بقيادة الامير المقدم سيدنا محمد المصطفى المدعو مربيه ربه ابن الشيخ ماء العينين الصحراري الكردي سكنى (كردوس) باعقيلة . وجاء الجيش الى (ايت عبد الله) و (ادوسكا) و (ايت علي) و (توفلعت) و (ايسافن) - الويدان - ووقعت مقاتلة خفيفة قتل فيها من عسكر حماد بن حيدة ما يناهز الثلاثمائة فارس ، فاجمع

(١) تقدم في بعض الحواشي ان اهل تيبويوت لم يكونوا في ذلك الوقت الا شيوخا . وأن أول من تقيدهم هو المذكور هنا ولكن بعد خلع الحاج حماد ابن حيدة

الفرقان على الصلح لكونهما مسلمين . ولم يكن فيهم نصرائي واحد غير بعض الضباط ، ورجعت القبائل المهجوم عليها الى ماكانت عليه من قبل . ورجع اليها رؤساؤها المنفيون . مثل المقدم حمو بن بلقاسم المرتضى والمقدم سعيد ابن الحاج محمد المدعو - أزبابو - الداسكاوي وغيرهما ، وابرم الصلح بضمانة القائد المدني الاخصاصي من جانب الامير المذكور ، وضمانة الحاج حماد بن حيدة من جانب النصاري . وانفض الناس كل الى حال سبيله . بعدما اعطي جانب النصاري غرامة الحرب . وكان الزمان زمان حرث وشغل ، فانثى الجميع كل الى وطنه . بعدما فازوا بغنيمة لها بال من خيل وسلاح ، لاسيما عرب قبائل (أصبويا) الذين هاجموا عسكر الحاج حماد وطوقوه ، واستسلم غالبه لهم من غير قتل (١)

ولما رجع الامير مربيه ربه المذكور الى (كردوس) حيث استأدى رؤساء القبائل للمؤتمر ، اما بين القائدين : القائد مبارك وشيعته مجاط . والقائد المدني الاخصاصي وحكومته من الخلاف في عقد الصلح مع شيعة النصاري من غير مشاورة رؤساء الجيش الاسلامي ، وقد أشرف على العز والنصر . واتهمه بأخذ المال من القائد الحاج حماد والنصاري . ورجع الناس وفي قلوبهم مرض من هذا الداء العضال . وحاشا القائد المدني ان يرتضى . وان يأخذ الدنية في دينه ، ويخون أمته ووطنه . ولكن القائد مبارك وان كان له في هذه الحروب كلها ذكر عال . وصيت شهير . وصولات على العدو . وثبات . ووثبات فانه من بعد ذلك يناجى (٢) القائد عيادا الجراري رأس الطائفة النصرانية ، مع العداوة القديمة بينهما . اتقاء من الجراري للقائد مبارك . ومخافة منه على هجومه عليه من جهة (المنكب الابيض)

ولما اجتمع الناس بـ (كردوس) كما ذكرنا تلاوم الناس فيما وقع من القائدين . واتهم القائد مبارك الامير مربيه ربه بالتعصب لجهة القائد المدني وتصالح الناس ظاهرا . ورجع كل الى وطنه ، وفي ذلك كله تسرى العقارب بين القائدين . وتحريك القبائل السوسية عليهما ولهما ، فتعزب للقائد مبارك قبائل (مجاط) و (امانوز) وأعمالها ونصف (افران) وتعزب للقائد

(١) قد ذكرنا أخبار ما وقع لحمو بن بلقاسم وأزبابو في ترجمتيهما في هذا الكتاب . وأخبار حرب حمو بن بلقاسم تعدد ذكرها في تراجم غيره . وقد ذكرنا ذكرنا في مقدمة الكتاب اننا قد نعد ذكر واقعة واحدة عن رواية متعددين زيادة للايضاح

(٢) اول ما يناجى المدني بدور الحاج حماد أو أمثاله ؟ والحقيقة ان الانتفاع الشخصي قلما يخلو منه الرؤساء اذذاك . وان كانوا في المجموع أحد الناس في المقاومة

المدني (الاخصاص) و (آيت باعمران) سوى آيت الغفس ، وفي عام ١٣٤٥ هـ
تهاجما ووقع القتال فيما بينهما على شان القبائل الافرائية المنقسمة على
حزبين آيت (امسرا) و (آيت تانكرت) و (آيت رخا) مع القائد المدني وبني
شقراوة (ادوشقرا) ونصف (تانكرت) الباقي مع القائد مبارك ، فهجم الأخير
أولا على (تانكرت) واستولى عليها في ليلة واحدة ، وامتنع ذلك القائد
مبارك ، واستنفر حزبه وقبائله فحمل على (تانكرت) حملة منكرة وحاصرها
وقتل أكثر شجعان القائد المدني . وأخذ الباقي وسلب ونهبت قبيلة (تانكرت)
عن آخرها . فخرجت وأم يبق فيها دار سالمة الا دار المرابطين : الفقيه العلامة
سيدى الطاهر بن محمد . والفقيه سيدنا البشير بن المدني الناصري وقرابتهما
فأخذ كل من أخذ بيد القائد المدني فقتل أو نفى . وكذلك فعل بشقراوة
(ادوشقرا) فانزوى القائد المدني وشيعته الى (أهل امسرا) أعداء (تانكرت)
قديمًا ، فاستمر البارود والخراب . وتفرق الناس على هذين القائدين فرقتين
والعدو في أطراف البلاد يتربص بهم مثل هذه الدوائر . وهو ساكت . وربما
يهدد القائد مباركا بدراهم وغيرها سرا . بواسطة القائد الجراري . وإنما لم
يهجم على الناس لخوفه من التثامهم عليه ، فترجع الحرب بين الرجلين سلما
كماهى عادة أهل سوس مع العدو الأجنبى . فانهم متى دهمهم العدو وهم في
التحارب والتدابير . يجتمعون عن قريب . ويتناجون بسرعة مدهشة . كما
فعلوا في قضية الحروب الكيلولية والنفلوسية التى أتينا على ذكرها فيما
مر (١)

ولما استبحر القتل في الناس ضجوا الى علمائهم في التوسط بين القائدين
في الصلح . قبل أن يتفاقم الأمر . فذهب الفقيه المجاهد السيد على بن عبد
الله الألفى . والفقيه سيدى الطاهر بن محمد الافرائى . والمرابط الفقيه
سيدى البشير الناصري وغيرهم ممن لم نذكر ، وكنت ممن حضر ذلك المجمع
وقد وقع الصلح بعد جهد جهيد . ومحاولات بين الفريقين طويلة . بشرط
أن تتصل كل قبيلة بمن تحبه من غير اجبار . وأن تذهب خسارة هذه الحروب
من نفس ومال هدرا بلا محاسبة . لتعذر الصلح معها . فأبرم الصلح على هذا
بعد استمرار الحرب سبع سنين من عام ١٣٤٤ هـ الى عام ١٣٥١ هـ
وفي هذه الحرب انقضت (٢) شجعان هذه القبائل . وفرسان كريهتها
وذوى النخوة والاباية الذين لا تذل انوفهم الا لعزة الواحد القهار . وصارت

(١) هذا الذى قاله المترجم عما وقع بعد رجوعهم من تلك الحرب صحيح
كله . وهى انقى خبر حدثنا به بلا عطفة . وباليته فعل ذلك فى الجميع
(٢) لم يهلك فى هذه الحروب من يعلمون بالسبالة الا قليلون . والجل من
غمار الناس . على أن الموتى مطلقا غير كثيرين فيها . ثم أن المدني أخذ عن قتلاه
وخيله الهالكة نحو ثلاثين الف ريال

بإتلافهم ليلة الهولاء العدو . وانخفضت له بسببها شوكتهم ، وهكذا حال
المسامين بأسهم بينهم شديد شرقا وغربا . وكذلك يفعلون . مادخلهم عدو
قط الا مهدوا له بالخلاف بينهم الطريق (١)

الاحتلال التام

وكذلك كانت البلاد السوسية كلها تضرب كل قبيلة جارتها ، والعدو
محيط بهم من كل ناحية . وهاخذ بمخاتق الجميع . وقد اشتعلت نار الحرب
أيضا بين آيت مريبط . وبين القائد ابراهيم بن بلعيد المريبطى . وبين الشيخ
محمد ازتكض - الغزال - الوابل سبع سنين . فاستنفر الاول (أفة) واعمالها
و (طاطة) واعمالها . وأمد العدو بعدة كثيرة . واستنفر ازتكض من (آيت وابل)
الى (ايشت) و (تامانارت) و (آيت على) وأمد القائد المدني الاخصاصى برجال
وخيل ومثونة ، فوقعت خطوط . وقتل من الفريقين جمع عظيم . وهدمت
القرى والمدامر . وقطعت الاشجار من نخل وغيرها . وقطع الماء عن الفجة
الخضراء (تيزكى يريغن) (٢) حتى يبست اشجارها . ودامت هذه الحرب أيضا
حتى قضى على تلك النواحي القبلية . الى أن كانت سنة ١٣٥٢ هـ فهجم العدو
عليهم كما هجم على بقية النواحي الاخرى . فاحتلها بعد ان والى عليهم غارات
الطائرات شهورا . وهدم عليهم البناءات فانجلوا عنها . وهجم بالعدد والعدد
ووصل البلاد . وهرب الرئيس ازتكض ناجيا بنفسه ودائرتة الى (سملالة)
ودخل حرم السيدة تغزى السملالية ، الى ان وصله العدو واستخرجه . وأخذ
اسيرا هو ومرابطو القصبة سيدى ابراهيم بن محمد وأخوانه ، ونفاهم الى
(ردانة) فاقاموا فيها ثلاث سنين ثم أطلق سراحهم

وكذلك وقع فى سنة ١٣٥١ هـ ان اشتعلت الحرب فى (ايشت) بين
اهلها وبين البرابر الذين انجلوا عن احواز (درعة) و (تافيلالت) الهاربين
من العدو مع الرئيس بلقاسم الاتكادى . وهم آيت (خياش) و (آيت حمو)
(وايت مرغاد) وغيرهم ، ويقدر عددهم بأربعة آلاف ما بين فارس وراجل .
وقد كانوا مجاهدين للعدو فى بلادهم سنين تنيف عن العشرة وفعلوا فى العدو
الافاعيل . وكثرت فيه نكاياتهم . ونهبوا وسبوا ، وفيهم شجاعة وثبات
وفروسية . معروفون بالرماية . ثم انهم لما غلبوا على بلادهم (درعة) (٣)
و (تافيلالت) واعمالها تميزوا الى السوس مع رئيسهم المذكور . واستوطنوا
(تامانارت) تحت حكومة القائد البشير الاكرضى و (ايشت) الى (آيت سموكن)
الى (أمانوز) وكانوا يغيرون أحيانا على العدو ، ويأتون بأنواع الاسلحة . ثم

(١) كلمة حق بالنظرة العامة

(٢) هذه الحرب ذكرت بين تراجم آل سيدى محمد بن ابراهيم الشيخ فى
(الفصل الثانى) (القسم الثالث)

(٣) هؤلاء من تافيلالت لا من درعة

سول لهم الشيطان ففقدوا بـ (آيت ايشت) واخذوا ابراج البلد واسواره . وتحكموا فيه بقتل الرجال . ولم يفلت الا من خرج بكرة الى السواقي . وتم لهم احتلال (ايشت) وضج الناس لذلك . وعلموا أن هؤلاء لم ياتوا الا للفساد والافساد . فتهيا الناس لغزوهم واخراجهم عن الحكومة . ولم يتمكنوا من ذلك ثم فاجاهم احتلال العدو الاكبر . وخرجوا هاربين الى ناحية الصحراء . ثم بعد ذلك استسلموا فيمن استسلمهم ورئيسهم بلقاسم الانكادي . ورجعوا الى بلادهم ورجع رئيسهم الى بلاده (١)

وكذلك اشتعلت قبل هذا الوقت أي في سنة ١٣٤٧ هـ نار الحرب بين القائد البشير التامانارتي . وبين الم رابط محمد بن الهاشم التيمكيدشتي . وسببها أن عم الاخير الم رابط العربي بن الحنفي التيمكيدشتي تنازع مع ابن أخيه محمد المذكور رئاسة الزاوية ، فدخل العربي القائد البشير في الامر . وابرموا قتل محمد بن الهاشم . وودسوا اليه أربعة رجال . كل بمسدسه ، فيهم محمد بن العربي المذكور . فجاؤا الى محمد بن الهاشم . فوجدوه في المدرسة بين الطلبة . يداعبهم على العادة في دكاكين هناك . فحاولوا اطلاق الرصاص عليه . فتفطن لهم بعض الطلبة . فما سدوا المسدسات نحوهم للضرب حتى وثبوا عليهم . وناولوهم القتال . وجرح البعض . وهرب محمد ابن الهاشم بعدما رمى برصاصات لم تصبه الى دارة . فأخرج الاسلحة الى طلبته وعبيده واصحابه . وقد نافوا عن ثلاثمائة رجل . فأخذ البلد . وخرج عمه العربي فارا بنفسه الى ذات الريح (تيواضو) من شيعته . ثم بعده السي (تامانارت) فافترق الناس عليهما فرقتين من (امانوز) و (ايكنان) و (انزن) و «تاسيرت» و (سملالة) الى (ادابرهيم) و (اداسلام) و (تكنة) و (اداويزيد) فارسل الاكلوي الى محمد بن الهاشم من (آيت ووزكيت) رجالا وسلاحا . ودامت هذه الحرب من سنة ١٣٤٧ هـ الى ١٣٥٢ هـ وفنى فيها من الفريقين خلق كثير من الطلبة وغيرهم ، وفيها قتل رؤساء (امانوز) مثل بلقاسم بن علي بن محمد نسي بوفتاس الايزربيبي وابن عمه السيد الحسن بن عبد الله ، وعمر العندوز . والحاج سعيد بن علي الامزوري ومحمد - فتحا - بن عبد الله بوتيبيسييت . وغيرهم من شجعان القبيلة . وهكذا شجعان كل قبيلة . ولهبّت بلاد مثل (آيت باها) من (امانوز) و (امكنسن) وغيرهما . وكذلك ذات الريح (تيواضو)

ووقع في سنة ١٣٥١ هـ خراب ذات الريح (تيواضو) وهي قرية فيها ازيد من الفئ نسمة تحت قرية زاوية (تيمكيدشت) وسبب ذلك ان محمد بن

(١) بقي حيا في بلده الى ان توفي نحو ١٣٧٦ هـ وفي ترجمة مبارك التورونيني اخبار الانكادي هذا مستوفاة . وهذه الواقعة مفصلة في (القسم الخامس) في اخبار ال (ايشت) .

الهاشم عقد مع اهلها هدنة ، وهم من شيعه عمه العربي . وظهر لهم الامان الكثير . وجعل يستميلهم بانواع المكر والخداع ، فلما اطمأنوا بعث الى اعيانهم يدعوهم الى عادية الاكرام . فتسارعوا اليه معتقدين فيه امانا عظيما . اذا كان قبل هذه الحرب مخدوما من قبلهم معتقدا عندهم ، فلما دخلوا دارة ومحل ضيافته . والكل منهم مسلح برباعيته ، قدمت لهم موائد الاطعمة . ووضعت بين ايديهم . وقبل أن يغسلوا ايديهم للاكل احاطت بهم رجال القبض والاسر وهم ثمانية عشر . وجعلهم في الحديد الثقيل . وبعث من حينه الى قريتهم . وامر بهدمها . فما كان اسرع من لحس الكلب انفه حتى صارت خرابا يابا . ولم يبق فيها الا البعافير والا العيس (١) وامر بهدم جامعها وصومعته . ومشهد صالح هناك واحرق قبره . واضرمت النار في القرية حتى صارت عبارة عن كدية تراب . فتفرق اهلها شذر مذر . ايادي سبا اكثرهم امراكش وفاس . واستوطن المستضعفون من رجالهم ونسائهم قرية (كادورت) الى أن وقع الاحتلال فوجدهم في الحرب . واستسلموا عن اخرهم . ورجع كل الى وطنه وشرعوا في بناء دورهم بعد ذلك

واما الاعيان المساجين فقد اقاموا في السجن في حالة يرثى لها . وخيم عليهم القمل والجوع . يتخبطون في ابوالهم وغائطهم ، وتسلط عليهم من وحوش الرجال ناس من (آيت واوزكيت) لا يعرفون الانسانية . ففضى الجوع على اكثرهم . وقتل الباقون بعد أن ذاقوا العذاب الاليم . وهرب بعضهم

والحاصل أن ابن الهاشم هذا اظهر من القساوة والفظائع وانواع الهمجية ما لم يعهد مثله في تلك الجبال الجزولية . ولا عجب فانه رجل ما استقبل قبلة قط للصلاة . فما صدق ولا صلي ولكن كذب وتولى (٢) ومن غرائبه أنه لما عين قائدا بعد الاحتلال ضرب على القبائل ضريبة مقدارها مليون من الريال الحسني في ظرف ثمان سنين ، دون الزرع والادام والدقيق والدجاج والغنم والبيض والتبن والخشب والبهائم والزراعي واعشار القضايا . ولم يحاش في ذلك حربه ولا غيره . ولا شريفا ولا عالما ولا مرابطا . ولا فقيرا ولا غيره . بل زاد على العلماء والمتقسين وكثرت الشكايات في الادارات والجرائد وغيرها . من ٢٢ ذي القعدة عام ١٣٥٢ الى عام ١٣٦٠ هـ وقاسى الناس في أيامه أهوالا ومحنة ، ولا يأمن الانسان معه على نفسه وماله ، وكانت لي عنده منزلة متينة لما تقدم من تربيته واقراءه حياة والده الم رابط السيد الهاشم بن الحنفي سنة ١٣٢٨ فما بعدها أيام توليتي للتدريس بالزاوية . ثم بعد ذلك أظلم الجو فيما بيني

(١) اقتباس من بيت الشواهد المعروف :

وبلدة ليس بها أليس الا البعافير والا العيس

(٢) العهدة على الكاتب ، وسنرى ما في قلبه عليه . فالله يرحم الجميع

وبينه في حياة والده وفارقت ، ولما تولى فالدا سمي في القائل الى التهلكة بكل ما أمكنه سرا . ويجلنى ظاهرا . وكانت بيني وبينه ملازمات شغافيات وكتابات وأعانتى الله عليه . فكبحت جماحه بالشكايات بعض الشئ في جميع ادرات المغرب الكبرى ، فلما كانت سنة ١٣٥٩ هـ انقبض عن الادارة وعن حالها وعن أشياخها . لتخوفه من الجميع . فبعث اليه الحاكم مرارا فامتنع من آتيانه . وهم به وبقبضه . لولا أن الحروب الجرمانية العالية فاجت الدنيا وعنده هو أيضا سلاح كثير مخزون . فخاف الحاكم من اثاره الفتنة فعزله وتركه وشأنه . وما زال عنده كل سلاح يسمى أبو الشفرة (١) بأنواعه من البورى وتاسندا والترهالي وغيرها ، ومن انواع ذى القرطاس الانجليزى وصاصبو . وسبب بقائه عنده استسلام تلك القبائل على يده يوم احتلال الحكومة مع الحاكم الاول الفسيان (سيكو) مدير مكتب (تافراوت) والقبائل التى سلمت السلاح على يد ابن الهاشم هذا هي (أمانوز) و (تاسيريرت) و (وادى ايسى) و (اكنان) و (انزون) الى (اداداس) و (آيت بونوح) ويقدر عددهم بالفى كانون . ولم يبق عندهم الا الكميات اى الخناجر المفضضة والمذبة . ثم تحيل لهم بان دس الى الحاكم ان يأخذها منهم مخافة الفتنة ولم يساعده الحاكم . ولكن استبداده عدا على الناس فجردهم (٢) من الجميع ولم يترك لهم موسى صغيرة . عياذا بالله . وكشط البنادق من أبى الشفرة والخناجر بان جردها وقشرها مما عليها من الذهب والفضة ، وبعث بذلك الى اليهود . فصرفوا له البعض وضربوا له البعض سبائك

رجع إلى ذكر الحوادث

ومن الحوادث ما وقع في عام ١٣٣١ هـ من الغلاء المفرط ، وانحبس المطر ولم تقطر منه قطرة واحدة الا في الاراضى المسماة المعادر القبلية ، فانها قد غمرت السيول . وانحشر اليها الناس ممن لهم زريعة ، وكنت ممن حرت فيها بموضع يسمى (يوك الخير) وهو مملوك لايت امر يبط . أهل (تيزونين) و (ايكفى) و (أقة) وغيرهم من القبائل القريبة والبعيدة منه ، ومن لم يكن له فيه ملك اخذه بالخمس مما يخرج منه على العادة . وهى أرض طيبة مما يحتر فيشمر ويدرك في اربعين (٣) يوما من حرته فيحصد ، وهى فى موقعها في الحدود الصحراوية مما يل الغرب وهى عبارة عن رمال متجمدة ، وأرض لينة

(١) أنواع من البنادق الاهلية القديمة

(٢) التجريد من الخناجر التى يتقلد بها عم جميع تلك القبائل المحتلة اذذاك وكان من أول يوم فى جميع تلك الجبال

(٣) هذا فى عهده . وهذه الارض ذكرها البكرى فى (المسالك) فى القرن الخامس بالجودة لما ذكر (تامدولت)

طبيعة ذات مغابن واودية ووهاد وللول . ولغرفها جبال (بالسى) واكثر لجانها العنكريش الدفل وشجر الاثل . وهو فيها اكثر واعظم حجما طولا وعرضا بحيث تاوى مائة نسمة الى ظل شجرة واحدة ، ويسكن تحتها الانسان فتكفيه الحر والبرد والاحتطاب . وهى وان كانت مملوكة للجيران . فانها تحت سيطرة عرب معقل (آيت اوسا) و (الركائبات) الى ماوراءهم ومن اشتدت منهم شوكته ، فهى تحت يد المذكورين يرضخ لهم أهلها شئ قليل

عرب شنكيط ومن إليهم

هؤلاء الاعراب فيهم عفة ونزاهة وسماحة ، وللركائبات فى هذه السنين السيطرة عليهم . لكثرة عددهم وعددهم بعد قبائل أسا . ورئيسهم فى ذلك العهد رجل اسمه ولد الخليل . من فتيان زمانه واجودهم واشجعهم . وفيهم (١) علماء وادباء حلما . رجالهم نساؤهم . وليس لهم شغل الا القراءة والخوض فى العلوم العقلية والنقلية . والحفظ للمتون المتنوعة . وربما تجد احدهم حافظا للقاموس وأيام العرب وأشعارها وأنسابها . متمهرا فى الجميع . ويكون الشعر عندهم أسهل من النفس . ولا زالت فى غالبهم لهذا العهد العربية السليقية (٢) الفصحى . وكانوا يحبون العلم وأهله . والعالم عندهم فى المرتبة الاولى فى مكانة مكينة ، بحيث اذا أصبح احدهم يذهب الى خيمته فيسلم عليه وكيفية سلامه ان ينكب على ركبته فيقبلها . ويأخذ يده اليمنى فيقبلها ثلاثا ظاهرها وباطنها . ويخضع له وينصرف . فيتبعه العالم بدعاء حسن مما يناسب حاله (٣) فاذا ورد عليهم عالم افاقى اجتمعوا اليه فيكون فى ضيافة كبيرهم اولا ، ثم يستدعون له المضيافة واحدا بعد واحد . ويدبحون له كل يوم ناقة وكبشا وينحشر الناس للاكل معه غداء وعشاء . ويأتى كل واحد منهم باحدى ما عنده . وغالب قوتهم الحليب واللبن والرائب والزبد واللحم . ولا ياكلون الحبوب من شعير وقمح غيرها الا نادرا . لان بطونهم تنتفخ بها . لعدم اعتيادهم لها . وياكلون التمر مكانها . اللهم الا ما كان من آيت اوسا المجاورين لنا فانهم يتقوتون بالجميع (٤)

(١) قبيلتا أسا والركائبات يقل فيهما العلم مثل كل قبائل (تكنة) (وحسان) وانما هو فى قبائل اتروايا المعروفة فى (شنكيط) رجالا ونساء

(٢) للشنكيطيين ومن اليهم لهجة عربية خاصة بعيدة من العربية السليقية الفصحى فانها لغتهم الدارجة الخاصة بهم

(٣) هكذا يفعل آل ماء العينين بعلماهم وربما اختص ذلك بالمعتقدين منهم

(٤) تبدل حال الصحراء كثيرا فى المعاش فصار غالبهم الان يحب اكل الحبوب واما السكر فهو مشروبهم الوحيد

تقدمت لنا معهم أيام هناك غرد في جبهة الدهر . وكثيرا ما الشد
فيها :

لله دهر جمعنا شمل لذته
مرت لياليه والايام في خلس
ما كان احسنها لولا تنقلنا
رق العذول لحالي بعدها ورثي

وانشد ايضا :

نفسى الفداء لانس كنت اعهد
وجيرة كان لي الف بوصلهم
بالشام خلفتهم ثم انصرفت الى
كانوا نعيم حياتي والحياة له

واكثر لباسهم الخنط (١) الازرق والقطن . ويأتى ذلك كله من بلاد
السودان ومن جهة السودان المصرى ، وطهارتهم في جميع الازمنة ترابية .
ولا يتوضئون بل يتيممون . زاعمين أن تناول الماء يضر بهم في ابدانهم . وقد
جرت بيننا وبينهم في ذلك محاولات ادت الى محاورات . حتى حكى بعض
الحاضرين أنه رأى احدهم نزل في غدير ماء للطهارة الكبرى من الجنابة .
فبهجرد خروجه من الماء ونشفه تقشر جلده اجمع . حتى اشرف على الهلاك .
وذلك لتربيتهم بالصحراء وهوائها . حتى صاروا مثل ضبابها . وهم اخف
الناس اجساما وحركة . بحيث يشب احدهم على الجمل العشرى وهو يهرول
فيركبه لخدمة اجسادهم بعدم البطنة . وقلة الدم . وفيهم حسن وجمال . ورجالهم
طوال شم الانوف . واسعوا العيون الى الكحل . وغالب نسائهم بيض عين دعج
ولهن حركات وتفنن ورقة كلام وظرف وفكاكة في أخلاقهن . وربما ترى
احدهن في غيابات الخدر كأنها القمر ليلة بدره في ظلماته (٢) في اشراقها
وبياض استنائها . وعادتهم أن لا يفتروا عن الاستياك بشجر الاراك كما اعتاد
بعض أهل فاس ونواحيها الاشتغال بمضغ العلك ونحوه

وفيهن أيضا عالمات أدبيات واقلهن بضاعة في الفقه التى معها المرشد
المعين لابن عاشر . وارجوزة القرطبي . ومن الادبيات قصائد المعلقات السبع
وغيرها من أيام العرب . وفيهن مدرسات للعلم في جميع الاوقات . وجميع
الانصبة . وقد شاهدنا امرأة وسطا تملى عليهن الشيخ خليل بلا شارح .
فخاضت في شرح مثنى . وحررت مسائله احسن تحرير بلا تكلف في ادارة

(١) الخنط بضم الخاء وسكون النون

(٢) الضمير للخدر

امالائه . وحولها من اخذات العلم مايزيد عن ستين امرأة . ويحضرن أيضا
مجالس العلماء الذكور كثيرا
وغالب الجميع من الذكور والاناث ملتئم . لا يكاد يتميز الذكر من الانثى
الا بزى اللباس

بعض أخلاقه المذمومة

ومع هذا كله فلهم عوائد مذمومة في اختلاط الذكور بالاناث في المجالس
اكلا وشربا ومفاوضة وغير ذلك . ويختل الرجل بامرأة غيره ليلا ونهارا .
وربما قطعوا زمنا طويلا في ذلك من غير مراودة فاحشة بينهما . ولا بدوا
لوانحها منهما . مع مبالغة في المراقبة على ذلك . واحصاء انقاسهما . وذلك
لعلو همتهم . وصدق عفتهم . وقد جرب ذلك منهم . وكثيرا ما يرد الاجنبى
عليهم ذكرا وانثى . فيبدي شيئا من الخنى ولو نطقا به . فيمقت عندهم ويطرده
واذا حم له وراود امرأة او امرء منهم فانه ان لم يهرب في الحين يقتل ويطرح
للكلاب . وحكى أن رجلا من (أيت باعمران) تاجرا له منهم صديق ملاطف
ينزل عليه متى قدم تلك البلاد الصحراوية . واذا ورد الرجل الصحراوى على
ناحية (أيت باعمران) ينزل على صاحبه كذلك على العادة التجارية بين الاصدقاء
والعادة أن من لم يجد صاحبه حاضرا في داره او خيمته فان رية داره تقوم مقامه
في انقيام بالضيافة في غاية الاكرام والاعظام . وان كان للمضيف اخوة او
جيران فانهم أيضا يقومون . ففي بعض قصص الباعمراني على العربى
الصحراوى لم يجده فقامت امرأته احسن قيام اكلا وشربا وفرحا وسرورا
فلما كانت هنيئة من الليل فرشت له للنوم . واضطجعت بمقربة منه فذب
اليها . فقالت له ان كانت بينك وبين زوجى محبة فقد ادبت حقه . وان كان
شيء اخر فلتتربص حتى يأتى فيؤدبك . فاستل الرجل الباعمراني من الخيمة
ليلا وهرب . فلما قدم الصحراوى واخبرته بذلك ركب على جواده الى صاحبه
فقطع مسيرة خمسين يوما حتى وصله فهم بقتله قبل أن يكلمه . وتفطن له .
فقامت القيامة بالفضجة بينهما . حتى اصلحت الجماعة ماوقع . ولم ينفصل منه
الابشق الانفس . ورجع لخيمته فطلق زوجته من غير جريمة . بل استنكارا
واستقذارا لها لما صدر عملا بقول الشاعر :

اذا وقع الذباب على طعام رفعت يدي ونفسي تشتهيه
وأحوالهم في ذلك عجيبة . وجاههم لا يلبس شيئا في زمن الصبا قبل أن
يبلغ الحلم ذكرا كان او انثى . سواء في ضاحية الحرارة او في قرة البرد
وحمارته (١) وهم في مجتمعهم وعادتهم ينقادون لرؤسائهم ورؤساؤهم

(١) المعروف لغة ان الحماره بتشخيف الميم وتشديد الراء : شدة الحر
لاشدة البرد . وان الذى يقال فى البرد صبراً بمثل ذلك الضبط

ينقادون لعلمائهم . بحيث اذا عقد الرئيس امرا من حرب او سلم او صلح او غير ذلك ينقاد له غيره من غير مناقشة ولا بحث ولا كشف عن امر ذلك لادخاله ولاخارجا . بل يستصوبه الجميع . فلو ناقشه غير الرئيس بمراجعة عد من الحمقى . الا العالم فانه يسمع كلامه . ويعمل به . لانه عندهم في منزلة فوق منزلة الرئيس كما تقدم .

وغالب تجارتهم في القطن والودع والذهب من جهة السودان . قبل احتلاله بالفرنسيين . والان قد حيل بينهم وبين مايشتهون . كما فعل باشياعهم من قبل . ولم يترك لهم الا التجارة في الملح . ياتون به من بلاد (الحمادة) باتاوة مضروبة عليهم فيها .

الحروب السودانية

كانت بينهم وبين الفرنسيين حروب من جهة السودان حيث هاجم مدينة (تيمبو) مرسى (١) السودان ، وكانت في ذلك ملاحم عظام . ولهم فيه جهاد كبير ومكانة عظيمة حتى اعيتته فيهم الحيلة من حيث انهم يغيرون ويغنمون فيصحرون . ولهم خيل ضمر . ونجب كذلك تسمى عندهم العشريات . لحقتها وسرعتها . حتى تضرب عشرة ايام في يوم . ثم تقدم الى جهة (ادرار) ثم الى جهة (شنجيت) قبلة . وطوقهم من كل جهة فجعلوا يتقهقرون شيئا فشيئا للصحراء الموالية للسوس (٢) ثم عم جميع البلاد

وفي ٣ صفر عام ١٣٥٣ هـ شرعت الحكومة المحتلة في تعبيد (٣) الطرق ما بين عاصمة السودان (سان لوى) وعاصمة السوس (اكادير) ففرغت منه في المحرم عام ١٣٥٤ هـ وبينهما وبين (الرباط) عاصمة المغرب الوقتية ثلاثة آلاف وثلاثمائة كيلومتر . فتخرج السيارة من العاصمة السودانية ، فتخترق تلك الصحارى الى (روسو) وتقطع هناك بعض الانهار على معدية . ثم تسير في ارض يشق المشى فيها على الماشى على مقدار ثلاثمائة كيلومتر . ثم تشق الادغال والاحراش و (نواكشوط) ومقابر النصارى المقتولين هناك ، ثم تخترق اشجارا شائكة . وجبالا من رمال الى (اكجوجت) وسط سهل منبسطة الى (عطار) وهي عاصمة وسط ارض صحيرية بمثابة حصن منيع فيما مضى .

(١) ليست على البحر بل هي بعيدة عنه وكأنه يقصد بالمرسى مطلق المكان المهم

(٢) احتل الحوض عام ١٣١٨ هـ ثم احتلت (شنجيت) بعده بقليل . ثم اتى الوادى فطم على القرى

(٣) المراد بالتعبيد مطلق الكنى وتعيين ممر السيارات في الصحراء لا التصريف المعلوم

ثم (فوركلو) ثم جبال (ادرار) ثم بجبل معادن الحديد . وهو جبل هناك . ثم الى صحارى مهولة مخوفة فيها الى (تندوف) خمسمائة وخمسون كيلومترا ثم (فم الحصن) ثم تخترق غابات من النخيل . فتصل الى جبل (بانى) قالى السوس فـ (تيزنيت) فـ (اكادير)

حروب حاحة

وفي سنة ١٣٣٢ هـ تقدمت الدولة الفرنسية المحتلة الى نواحي (السويرة) وهي تحت نفوذ (حاحة) يومئذ . وخصوصا القائد الشجاع البطل محمدا النفلوسى النكفانى المجاهد . مستعينة بمعاودة قواد الحوز الذين هم اعداء (حاحة) ومن اكبرهم عداوة لهم القائد الاعظم عبد الملك المتوكى . والقائد خبان الشياظمى وغيرهم . ولما دخلت الحكومة الفرنسية (السويرة) استمالست الجيران المذكورين بانواع اللطائف . واثت من انواع المكر والخدائع فى البروز بهم . واسباغ انواع النعم والهدايا والمجاملة ما يظنونه خلقا طيبيا من الفرنسيين . وذلك مصداق قوله تعالى : (يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون) الاية . واقاموا نحو سنتين وهم يتحفزون للوثبة على (سوس الاقصى) والخال ان خليفة الامير الشيخ احمد الهيبه ابن الشيخ ماء العينين وهو الشيخ الولي بـ (اكادير) الذى هو باب سوس (١) ثم ان الحكومة راودت حاحة والشياظمة ومتوكة على اقتحام سوس وسلوك بلادهم اليه . فقبل الجميع غير (حاحة) فان القائد النفلوسى تعلل لها بانه لابد من مشاورة غيره من قواد (حاحة) وهم متعددون . مثل القائد الكيلولى . والقائد الزلطنى والقائد الزمزمى والقائد الحسن (٢) التامرى . والقائد علال البوزياوى . وان كان الجميع تحت (٣) نفوذه . فصار النفلوسى يقدم رجلا ويؤخر اخرى لذلك . وكان من اهل الطريقة التيجانية . وشيخ الطريقة هناك فى وقته الشيخ محمد بن سعيد التياضيسى الحاحى التامرى المستوطن بـ (نكفاة) وهو معتقه . والشيخ يانف من ذلك كله . فاشار على القائد باشهار الحرب على من ناواه وهاجمه . فاستنفرت الحكومة الفرنسية النصرانية زيادة على مالدورها من عساكر السوس والواسطيين - الجزائريين - قواد الحوز المتقدم ذكرهم . واستنفر النفلوسى جميع قبائل (حاحة) وامده صاحب (اكادير) المولى الوالى بشرذمة من (٤)

(١) امتد بدء الاحتلال الى سهول سوس ومدنه (ردانة) و (اكادير) وتيزنيت من اوائل عام ١٣٣١ هـ

(٢) كانت آيت آمر من عداد ابيالة الكيلولى وماتولى القائد الحسن الابد الاحتلال

(٣) لانفوذ لافلوس على غيره من اولئك القواد اذذاك

(٤) هذا هو الذى يدل على ان تلك الحرب وقعت فى اوائل ١٣٣١ هـ لافى ١٣٣٢ هـ

الفرسان من أهل السموس . وكان النفلوسى ممن يدكر بالشجاعة الفارقة .
والجسالة فى الحروب والشهامة . بحيث اذا ذكر ترتعد فرانس الفراغية
من اعدائه المتوكى والشياطنة وغيرهما (١) وكانت له خزائن ومدخرات من
الاموال والسلاح وغيرهما . وقسم السلاح والقرطاس على من ليس معه شيء
منه . فلما وصلت العساكر المعادية موضعاً يسمى (سميمو) وهى فى عدة
وعدد . صبحتها (حاجة) وخالطتها بقوة لا يستهان بها . وطوقتها من كل جهة
وفتكوا بها فتكة بكرا الى ان غص بقيتها ناب الجوع . وجعلوا يرمون الخبز من
الجو بالطائرات . ثم جاء قواد الحوز يدا واحدة مع الفرنسيين . فافرجوا عنه
بعد حروب يشيب لها الوليد . ثم اشتعلت نار الحرب بينهم وبين (حاجة)
وكان النصر حليف (حاجة) فى ذلك كله مقدار سنتين (٢) ونصف اظهر فيهما
حاجة من الشجاعة والثبات مالم يعهد مثله الا فى زمن الصحابة

ولما رأى الفرنسيين امر الحرب لايزداد الا شدة . مع حروب اخرى بينه
وبين زيان . وابتدأت حرب (٣) ابن عبد الكريم الريفى . وكانت الفرصة
سائجة لحاجة وغيرهم من المجاهدين لولا أن الفرنسيين تدارك الجميع باخوانهم
المغاربة المخاربة (٤) ويحكى أنه لما اشتد عليه الامر وطال عليه امد الحرب
وخشى من اتساع الخرق على الرافق شاور القائد عبد الملك المتوكى وغيره من
العداء حاجة فى قضية الحرب . فقال له ان الحديد لا يفلح الا بالحديد . والنجاح
هو ان تجعل قيادة الجيران لابن عم النفلوسى الذى نفاه عن وطنه سنين .
وللزم له بالقيادة فى موضع عاوده بعد الغلبة . وتلدس بمال له بال لعسكر (٥)
سوس لتقطع المادة عنهم . ففعل ذلك . وعمل باشارته . حتى لم يبق مع
القائد النفلوسى الا قبائل حاجة . فكابدوا حروبا يشيب لها الوليد . وفيهم
بعض كفاية . ثم دسوا ايضا بالمال الى فرسان (حاجة) لان الفارس يغلب
مائتين من رجال العسكر . لاسيما وحاجة أهل شجاعة عند الركوب . لايقاوم

(١) عرفنا محمدا هذا فى مراكش وهو شاب خائر العزيمه وقد حدثنى عن
سبب مقاومته بعد ان كان فى عداد قواد حاجة المسلمين بعد مغادرة الهيبة
لمراكش

(٢) وقعة واحدة فقط ثم انقضى الامر وكان يوم ثورة الحاحيين على الفرنسيين
شديدا لاقى فيه الفرنسيون عنقا . وذلك بعد ما دخل الحاحيون تحتهم فى
خبر تطول قصته

(٣) لم تبتدىء حرب ابن عبد الكريم الا بعد الحاحية بسنوات

(٤) كلمة تحرف لها لفظة المغاربة . كناية عن أنهم مخربون

(٥) لم نسمع بان هناك اغانة سوسية الى حاجة وان كان النداء لها فى الاسواق
يثوالى الى ماشاء الله

الفارس منهم طردا وعكسا . ولهم مكاييد عجيبة فى الفر والكر . فاخذ جل
رؤسائهم المال . وامروا الرعية بالترجل . وعدم الركوب فى ساحة الوغى
ولم يتفطن لذلك القائد محمدا النفلوسى فى اول الامر . حتى دخل الوهن فى عسكره
ومال اكثر الناس الى القائد مبارك من بنى عدى النكنافى المنفى بعدما وعدهم
ومناهم . ولما رأى القائد محمد الامر لايزداد الا شدة . شرع فى نقل خزائنه
وهى شيء يفوت الحصر الى جبل (اداوبوزيا) من جيرانه وتحت نفوذه . ونقل
ماعداء الحبوب . ومطامير السلاح والقرطاس . وصفائح الخيل (١) ووقع الفشل
عند ذلك فى امر (حاجة) ففى بعض الايام . ذهب بقوة عظيمة . لمقابلة النصارى
فى نواحي السويرة . واذا بجيرانه المتوكى والشياطنة هاجموا من ورائه
بقوة عظيمة من قوتهم وقوة الفرنسيين . فقصدوا نحو (أفوغال) (٢) عاصمته
فلم يلقوا غير مقاومة ضئيلة ودخلوها . واستولوا عليها . وأول من احتلها ابن
عمه المنفى القائد مبارك ند عدى المدسوس لها المترصد لاحتلالها

ووصله الخبر وهو فى حالة النضال مع العدو . فتفرق عنه اصحابه
وتأخر هو الى مامنه بجبل (اداوبوزيا) حيث أمن على نفسه وماله . مع جماعة
من فرسانه (٣) فخافت منه الدولة الفرنسية اعادة الكرة . فراودوه ان يدخل
تحت امرهم . والتزموا له بكل خير قابى . وتوسط له اكبر اعدائه القائد عبد
الملك المتوكى فى ذلك بعهود ومواثيق ومواعيد أمن معها على نفسه . وتوثق به
فى كل ما أراد . الا ما كان من امر العودة الى خدمة النصارى قيادة وغيرها . فانه
تعفف عنها . ونزل عن الامر . وخيرفى الاستيطان . فاختر سكنى مدينة
(مراكش) وله فيها اصول ورباع . فاستوطنها معززا مكرما . حائزا لشرف
الدنيا والاخرة . وصار اكثر المسلمين يزورونه ويعرفون له حقه . وقد زرنه
مرارا متعددة فى قدماتنا الى (مراكش) وبالف قواد الحوز من اعدائه وغيرهم
فى تعظيمه . والاسراع فى مرضاته . وقضاء أغراضه وحاجاته . وكذلك كبار
النصارى يزورونه ويتعجبون من صرامته وشجاعته . لانه لم يتغير عن عظمته
الاولى وابهته

والحاصل ان القائد محمدا النفلوسى ممن ترك دويا عظيما فى الدنيا
واشتهارا جسيما عاليا . لاسيما فى خلقه البهى فى حسنه وجماله . وطول

(١) يعنى نعالها الحديدية وكانت هما يدخر لعسر الحصول عليها فى الحروب
والانحصارات مع شدة الحاجة اليها فى ذلك

(٢) أفوغال . من الشياطينة لا من حاجة . والمشهور ان الذى قصده الفرنسيون
زاوية الحسنى

(٣) حديث هذه الحرب كثيرا ما يخالف الواقع . لعل الكاتب انما كتب ما
سمع من غير تثبت

قده . وخلق من كرم وحلم وظرف . وفي ديالته وعفته . ورفع همته عن
فلسف الامور . وهو تيجاني الطريقة . وله معرفة فائقة بادارة الخيل
والتاورة في الوعى كرا وفرا . وغناء كبير . وقد تعلم ذلك من ابيه القائد احمد
التوفى في حروب سوس (١) عام ١٣١٩ هـ وله ايضا مناورات حربية مع بلاد
النصارى . ومبارزات غلبهم فيها . وكانوا ياتونه لذلك . وتوفى في شهر
جمادى الاولى عام ١٣٥٧ هـ

ثم استسلم معه قواد (حاحة) ومن اعظمهم السنى يباريه في
المنزلة القائد الجليل السيد عبد الرحمن الكيلوى . ونفى الى مكناسة . والعام
فيهمادة خمس سنين . وامر بالرجوع . وتوفى قريبا من رجوعه . ويقال انه
توفى مسموما على جرى العادة في أنهم يدرسون للطباء عند تسريح العظام
تسميهم . وذلك لئلا يشغب عليهم في بلاده ان اقام فيها معزولا عن ولايته
فيتشوش منه (٢) ولهذا القائد الكيلوى ايضا اموال طائلة . لانه قريش
النفوسى . وعليهما معا يدور امر (حاحة) الى (السوس) ولهما ايضا نفوذ في
قواد الشياظمة . وسمع انه لما تحقق الغلبة نقل صناديق كثيرة من الذهب
والفضة الى يهودى ممن كان من الملائقين له في السويرة . ولم يبين عينه برسم
ولا زمام ولا تقدم بشئ من ذلك الى اقاربه . ثقة منه في اليهودى . ومخافة
من اقاربه . فلما توفى استولى اليهودى على الجميع واستأثر به وانتفع به
دون اقاربه واخوانه المسلمين - وكذلك يفعلون - وتوفى عام ١٣٤٣ هـ (٣)

حروب زيان

اما حروب (زيان) ومايلها . فان الذى كان يتزعمها هو القائد الاعظم
محمد بن حمو الزيانى . وكانت عاصمته (خنيفرة) وهى مدينة عظيمة (٤)

(١) الذى توفى حتف أنفه في سوس عام ١٣٢٠ هـ هو عمه . واما أبوه فانه
قتل في داره بيد أحد عبيده بعد أن كان قائدا في (تيزنيت) بعد أخيه . وقد
رجع منها عام ١٣٢١ هـ

(٢) هذه خرافة يتداولها صغار العقول ، فدرس السهم في الطعام الذى كان
معتادا في الجنوب لم نعتده من المحتلين فيمن تحت ايديهم . الا اذا وقع
نادرا جندا فلا ندري . والمورخ يجب عليه أن لا يقول الا الحقائق

(٣) حدثنى ادريس بنو ان عبدا لعبد الرحمن الكيلوى هذا كان معه يخدمه
في السجن بمكناس وكان يتعدي عليه ضربا حتى مريض . فقال العيد للحاكم
لو كان سيدى يراف بنى لدلته على خزينة دفنها القائد مبارك أخوه لا يعرف
مكانها غيرى . ولم ينشب العبد ان مات

(٤) بل صغيرة على وادى ام الربيع وليس فيها الان بعد ما عبرت الانهر
١٨٠٠٠ نسمة

بربرية يشقها الوادى العظيم المشهور

ولما احتلت الدولة الفرنسية مدن المغرب الكبرى . ومن جعلتها مكناسة
التي هى سرّة بلاد البربر التي بلغها (١) الاحتلال في سنة ١٣٣٣ هـ بقيادة
الريشال (ليوطى) أول نصرائى فرنسى وطئت جنوده أرض المغرب . من بعد
ان ظهرت من رجس احتلال البرتغال لشغوره أزيد من سبعين سنة بجهاد
الشرفاء السعديين . القائمين بالسوس الذين اولهم القائم بالله وأولاده المولى
احمد الاعرج . والمولى محمد الشيخ والمولى الحران . وغيرهم . من بعدما كابدوا
القوتين قوة السلطان احمد الوطاسى . وقوة العدو . واتاح الله لهم الظفر
بالجميع . والنصر المبين . كما دوت اخبارهم في غير ما كتاب تاريخى مثل
(الترجمة) و (الاستقصاء) وغيرهما

ولما رسخت قدم الجنرال (ليوطى) الفرنسى بـ (مكناسة) اصطنع
جيرانها المحيطة بها من قبائل (كروان) و (بنى مطير) و (مجاطة) و جبال اوربة
- جبال زرهون ومايلها - ونصب لهم على يده قوادا . وندبهم الى مقاتلة جيرانهم
ممن خرج عن طاعته . وكان محمد بن حمو المذكور قد ندب قبائله وغيرها
لمجاهدة الفرنسيين . ومعارضته . طلبا لحرية ارضه واستقلالها . مثل ما كان
(حاحة) و (السوس) لذلك العهد . وجمع جموعا عديدة . ووقع الاصطدام
والقتال . فابدى من الشجاعة ما يتحدث به عنه الى آخر الدهر . وحارب نحو
من تسع عشرة سنة . واكثر محاربه مع العدو ككروان بقيادة القائد عسى
الكروانى . وبنى مطير بقيادة القائد ادريس الحاجبى

ومن اكبر الوقائع في هذه الحرب وقعة (الهرى) التي استوصل فيها
من رؤساء جنود فرنسية اكثر من عشرين . فيهم الكولونيلات والقبطانات
والفسيانات . وجهودهم من البربر الذين يتترس بهم الفرنسيين . وتفصيلها
ان اعسكر الفرنسى تقدم بقوة عظيمة . وتوغل في تلك الجبال الى أن وصل
للهرى المذكور . فانقض عليه عسكر (زيان) ومن معهم انقضاض البزاة وسدوا
عليهم المسالك التي سلكوها . وجعلوا يقتلونهم كيف شاءوا . ويأسرون
ويذبحون كالكبش الى ان أفنوه عن آخرهم ودفن الفرنسيون هناك فسي
مقبرة معروفة بهذا الاسم

وفى ١٠ ربيع الاول عام ١٣٥٤ هـ دخلت مدينة (خنيفرة) وبث فيها ليلة
واحدة . وتجولت في أنحائها . وفي الساعة الثانية عشرة من الغد ركبنا الى
(مكناسة) ومررنا بطريقنا على بعض القرى من قرية أهل (تاسكارت) وأهل
(مريرت) وأهل (الهرى) والجميع من الشرفاء العلويين . ولكن تحت ضغط
وارهاق اولاد محمد بن حمو أمهروق وأخيه الحسن الزيانى . وتحت سيطرتهم
وقد اخبرت انهم انتزعوا من هؤلاء الاشراف جميع املاكهم . فلم يتركوا لهم

(١) الضمير لبلاد البربر لا مكناسة التي احتلت مع قأس

خلال ولايتهم ، على أنهم يستخدمونهم ، ويعاملونهم معاملة الانعام في حمل
الانتقال والاستقبال بشغل الازبال . وصاروا بذلك في غاية من الاستخفاف
وتبديل الاحوال . فإذ اطل بهم هذا الحال نحو عشر سنين . فانهم سيندمجون
في جملة تلك البرابر الهمجية . بلا دنيا ولادين . فلا حول ولا قوة الا بالله
وقد خاطبت منهم حين وصول رجل من ينتمي الى العلم . فوجدت عنده من
الادراك ما يناسبه . غير أنه قد اشتكى مما ذكرناه بما يفتت الاكباد . ولا يطيقه
الجماد . فانا لله وانا اليه راجعون

وأهل (تاسكارت) في الجبل الكبير بين (ايت يحنو) و (شقيز) وأهل
(مريت) بين (ايت يحنو) و (الاقباب) في طريق (ازرو) وجدهم مولاي عمر
ابن الحسن . وأهل (اووكو) في جامع مولاي سليمان بين (سجلماسة)
(وخيفرة) وهم من نسل مولاي محمد بن الحسن . وعدد الجميع تقريبا ألف
عائلة

حروب الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي الريفي

هذا الرجل من عظماء الرجال المجاهدين في زماننا هذا . المكافحين عن
وطنهم الذين اظهروا من الشجاعة والبطولة والاستبسال في الحرب .
والاستماتة في سبيل الله . واعلاء كلمته العليا . ما لم يتقدم له نظير الا في
أزمان الصحابة رضوان الله عليهم . وقد ألف بعضهم في سيرته وأحواله في
حركاته وحروبه وسياسته ودهائه فيها . مما لم يتأت لاحد الا باعانة الله
وعنايته . وقد رأيت في ذلك كله توالي تاريخية عديدة (١) للمقاربة
والفرنسيين والاسبانيين . اطلوا فيها على حسب الايام ووقائعها . مما يدل
على ان الرجل خالد بن الوليد في زمانه سياسة . وشبيهه بابن العاص دهاء
ومكرا وحيلة . وقد خرج تاريخه في جزأين ضخمين . ولذا امسكت القلم عن
تلك المعامع . التي ليس بعدها لمن أراد الفتوة والشجاعة مطاعم

(١) كان قاضي زطاط السيد أحمد سكيرج جمع من أفواه بعض أصحاب ابن
عبد الكريم جملة وافرة من حوادث محاربته . كما كتب في ذلك ايضا وزير
خارجيته صهر اخينا ابراهيم السيد عبد الكريم الريفي اخبارا لعلها تكون
جامعة لكل ما وقع هناك في الخمس سنين التي بقيت فيها الحرب قائمة . وقد
حدثنا أنه تتبع الخبايا من الاسرار . فسجلها كلها . ولعله يكون قد كتب أكبر
مرجع مغربي في حرب الريف . ولابن عبد الكريم نفسه مذكرات . واقد كتب
عنه الشريون مکتوبات لا تستوفي

رجع إلى حروب سوس

ومما شاع وذاع ان بني سالم من (فم انغار) في (تاهاالا) جدهم سالم
أسلم على يد القاضي السيد أحمد بن حمزة . ونحله حقل الحدادي بساقيته
مما يلي الجرف . واسكنه بالدار الموالية (انغار) فوق الربوة مما يلي السيد
أبي الرجاء . ثم تاهل وكان له ولدان . ثم ان القاضي المذكور يتردد لمحل
قضائه بردانة بأمر السلطان . ففي بعض قدماته لبلده أمر الاسلامي اولاده
باغتياله في طريقه . فاغتالوه ليل وصوله (تاهاالا) قتله فاستولى على أصوله
هناك ورسومه . ولم يبق للقاضي سوى ولد واحد فانقطع بجبال درن . ولعله
بـ (كيك) ولا زالت رسومه الكثيرة عند صاحبنا صالح من بني سالم الى الآن

أقسام الرئاسات القبلية بأداوتان

لقبيلة اداوتان ست رئاسات قبلية قبل الاحتلال وهي (١) شياخة السيد
الحسن ابن الحاج محمد أبو الناقة على قبيلة (تاكثرت) (٢) شياخة القائد أحمد
أشاو على قبيلة (بني واعزون) (٣) الشيخ محمد النظام على قبيلة (انكرسم)
(٤) شياخة الشيخ سعيد بن الطالب على قبيلة (بني اوركا) (٥) شياخة محمد
ابن الاشقر ابوزيا على (فم ميكي) (٦) شياخة السيد أحمد بن سعيد على قبيلة
(بني تالمات) بافسفاسن

سلسلات بعض أنساب مغربية شهيرة :

نسب محمد بن تومارت

هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان
ابن سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رباح بن محمد بن الحسن بن علي بن
أبي طالب رضي الله عنه . وقيل أنه محمد بن عبد الله بن و كليد بن ينصل بن
حمزة بن عيسى بن ادريس بن ادريس الخ السوسي (١)

نسب يوسف بن تاشفين

هو يوسف بن تاشفين بن توافوت وارتقطين بن منصور بن مصالة بن أمية
ابن واهلي بن تاملت الحميري الصنهاجي من ولد عبد شمس بن وائل . واه
حرة لتونية بنت عمه اسمها فاطمة . وصفته اسمر اللون معتدل القامة نحيف
الجسم خفيف العارضين رقيق الصوت اكحل العينين اقنى الانف له وفرة

(١) في هذه السلسلة وفي غيرها مما ذكره ابن خلكان كلام كثير

بلغ شجعة اذليه مقرون الحاجبين جعد الشعر ، مولده ببلاد الصحراء عام ٤٠٠ هـ ووفاته عام ٥٠٠ هـ

نسب عبد الله بن ياسين

هو عبد الله بن ياسين بن ومكو الجزولي التامانارتي السوسي (١)

نسب الامام محمد بن سليمان الجزولي

هو محمد بن سليمان الجزولي السملالي صاحب دلائل الخيرات كما في (الاشراف) وسليمان بن عبدالرحمن بن ابي بكر بن سليمان بن سعيد بن يعلى ابن يغلف بن ابي عمران بن موسى بن علي بن يوسف بن عيسى بن عبدالرحمن بن جندوز بن عبدالرحمن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب رضى الله عنه . توفي عام ٨٧٠ هـ

نسب الامغاريين

جدهم هو دفين عين الفطر محمد بن ابي جعفر بن اسحاق بن اسماعيل ابن محمد بن ابي بكر بن احمد بن الحسين بن عبدالله بن ابراهيم بن يحيى بن موسى ابن عبدالكريم بن مسعود بن صالح بن عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد بن ابي بكر بن ابراهيم بن ياسر بن عمر بن يحيى بن ابي القاسم بن عبدالله المذكور بن ادريس بن ادريس بن عبدالله الكامل

نسب سيدي مزال (٢)

اسمه سيدي محمد (ضما) بن محمد (فتح) بن يوسف بن جنون بن عمران ابن عبد الرحمن بن سليمان بن الحسن بن عمران بن جنون ايضا بن محمد بن احمد بن ادريس بن ادريس الخ . توفي بقم (تانون) وترك اولاده محمدا وعبد الله وعبدالرحمن ويحيى . ودفن عبدالرحمن ببلاد الهبط . ويحيى توفي بهوزيوة وكلهم يسمى باولاد ابي درقة . وهو محمد بن يوسف . ونقل من كتاب رفع التدليس . وكتاب التوثيق في النسب الوثيق الصحيح بالتحقيق

(١) وقفنا له على سلسلة نسبين الاحكاميين السملاليين الذين منهم سيدي محمد بن سليمان الجزولي الاتي بعده

(٢) المقصود سيدي مزال البودرقى لاسيدي مزال بن عمرو الكاكي - فيما قيل - الهشتوكي

ذكر بعض مشاهير شعراء اللغة الشلحية السوسية

ممن اعترف لهم معاصروهم بالافلاق (١)

السيد حمو الزاكووزي . والسيد علي بن سمهر الكرسيفي . والسيد بوتلفيل . وعبد الله نترعمت . وامادير الكثيري . وعبد الله بن موح الاساكي ومسعود بن وهو مفسين من تودمة . والاقرع اضعاير من بني الحسن الذروعي التيملي . وابلعيد من اميل . والرئيس بلعيد الوجاني . والرئيس موح بن بودرة . والرئيس العربي الجرازي . (وزيراد عليهم جامع وابوه محمد بن ايغيل ثم ولده محمد الذي لا يزال حيا وهم في اقا) (٢)

تعقيب

انتهى ما وجد من الكتاب في مسودته التي مررت بها قبل اخراجها . ولاريب ان الكاتب الجليل انما كتب ما كتبه من شق القلم عفو الساعة . ولم يمهله الدهر حتى يراجعه وحتى يستتمه كما يريد . ولذلك نرى فيه اخطاء لا تحصى قد نبهنا على بعضها بحسب ما نعرف . والمقصود اثبات الواقع . وقد نفلت نحن ايضا . ولكننا قلنا بحسب معلوماتنا . وكثير مما علقناه توصلنا اليه بدرس في الموضوع قبل ان نتصل بهذا الكتاب . والرؤء الكبير هو في عدم اتمام الكتاب بيد المؤلف . فقد خصصه لحياته . ثم لم يذكر منها الاماين عام ١٣٠٦ وعام ١٣٤٥ هـ فبقى نحو عشرين سنة من غير ان يلتم بها . وما اذاه الى ذلك الاكثر الاستطراد وتبع الوقائع . حرصا منه على كتابتها لعلمه بان كثيرين من السوسيين لا يعتنون كاعتنائه . ولا يفارون على سوسهم غيرته . وباليات الكتاب استتم هذه المستطردات مع استيفاء حياة الاستاذ . اذن لكان خير مرجع في حياته . وكذلك لو نقحه وتثبت في كل ما يسوقه والقي عنه الاغراقات والقلو في الاشادة بسوسه ولو بالزيادة في الارقام احيانا لكان خير كتاب اخرج للناس عن حوادث سوس قبل ان تشتغل نحن بها . وانا احاول التنبيه على كل ما امكن لي مما يتضمنه كلامه مما يعتسف فيه بالعاطفة او بالغلط وقد اترك التنبيه احيانا ان علمت ان القاريء التنبيه يدرك اعتسافه وذلك كله في غير ما يتعلق بالتاريخ واما فيه فاحاول التنبيه الاما جهلته او شككت فيه فاني اتركه في عهدة

(١) يسمى الشعراء في الشلحة نظام والجمع انظامن . وقد يطلق عليه ايضا الرايس (الرئيس) ولكن هذه الكلمة قد تخصص لمن يؤلف فرقة يرأسها ويستترزق ببضاعته تلك في المجامع والاسواق . اما انظام فربما اختص بنظم الحكم والمقارعة والمساجلة .

(٢) تراجم مال ابن ايغيل في (الفصل الثاني) من (القسم الرابع)

(وفوق كل ذي علم عليم)

والآن نصيف الى حياة الاستاذ الباقية ما عندنا عنها . فبدلك تتم ترجمته وان كانت ترجمته الحقيقية تعرف من بنات قلمه التي جلونها للقارى . فهناك يظهر كثير من نواحي نفسيته ومعلوماته واخلاقه الحقيقية . وغير ذلك مما لا يخفى على بصير يقرأ السطور وما بين السطور بالمعنى اللبيب الذى يفهم بادلنى اشارة . وفى كل اثناء ذلك ترجمته الحقيقية

في الحواضر

كان المترجم يشارط فى المدارس كما ذكر . ثم بعد عام ١٣٤٥ هـ صار يتردد على الحواضر كثيرا . فيلم بفاس وبمراكش ومكناس والرباط والبيضا كما يزور غيرها من المدن الصغرى . فقد حضر احقابا فى الرباط فى وقت حركة اللطيف نحو عام ١٣٤٩ هـ فعاش بعض الوطنيين وثافتهم بقصائده وادبياته ثم قطن فيه ماشاء الله ، وكذلك كان قاطنا فى مكناس بعد عام ١٣٥٠ هـ فى بيت خاص . وكان يلم دائما بالعلامة ابن زيدان . فيقترح عليه هذا ان يكتب له عن حوادث سوس . فقد حدثنى العلامة ابن زيدان بذلك عام ١٣٥٤ هـ وربما لا يزال فى الخزانة الزيدانية بعض ما كتبه له . ولم اكن اعرفه قبل عام ١٣٥٤ هـ فاجتمعت به عند ابن زيدان . وقد زرتة انا والاستاذ الاخ عبد القادر المسفيوى رحمه الله واتذكر انه جلس معنا . فتجشأ بصوت عال . فالتفت نحوه الاستاذ عبد القادر المسفيوى تلقائيا من غير ان يقول له شيئا . فقال له المترجم اخالك ممن يعجبون باخلاق الافرنج حين يستنكفون من سماع الجشاء . فقال له ابن زيدان ان الاسلام ايضا يستنكف من الجشاء . او غاب عنك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لصحابى تجشأ عنده : احبس عنا جشاءك وقد كان للمترجم دالة على ابن زيدان لا يراعى معها مقامه فى التعبير (١) حتى قال لى ابن زيدان يوما : اننى لاعتمد عليه فيما يقوله . فكنت احمل ذلك على ان السبب هو عدم احترامه له الاحترام المعهود لامثاله . لان الممانوزى جراءة واقدا فى كل المجالس ادلالا بعلمه وحفظه وادبه ولذلك نشوة . وقد كان يخبر ابن زيدان عن سوس بما يجهره . فيحسبه غير موافق للحق فيما يظهر له . وربما يتهمه بالتزبد والتنفج كما صرح لى بذلك

وقد كان الممانوزى شارك ايضا فى تابين الوزير سيدى عبدالله الفاسى يوم توفى . فاجتمع ادباء اهله لتأبينه . وقد سمعت ان هناك قافية له مصونة

(١) حكى لى الاخ العلامة سيدى محمد بن أبى بكر التطوانى السلوى انه رأى كناية له كلفه بها ابن زيدان عن حوادث سوس . فاذا فيها ما يمس جانبا الدولة العلوية بكل صراحة ووقاحة عجيبتين . كما يراه القارى فى بعض مامر

عند العلامة سيدى العابد الفاسى

وكذلك عاشر كثيرين من ليهاء الحواضر . كالقاضى العلامة السيد احمد سكيرج فيكون عنده كثيرا فى (زطاط) وهو الذى حدثه بكل ماشوقه الى زيارة سوس . فعمله ذلك حتى اعمل اليه الرحلة . وحتى اتصل بكثيرين من ادباء (الخ) وادباء (اولاد جرار) وادباء (نانكرت) فتبذلت القوافى فى ذلك الجو العطر على يد الفقيه سيدى محمد بن على التازارواى الا ترى ان شاء الله فى القسم الخامس وهكذا كان الممانوزى اول من اسمع الاذان الحضرية من فاس فمادونها ما فى سوس من الادب وما اليه . ومن المقاومة المسلحة ازمنا . فكان تسجيل ذلك نشا عن مجاذبته مع الحضريين اذبال المسامرات فريد ان يظهر مكانة اهله . وقد كان رحمه الله يفرق متى حدث عن سوس . وذلك ظاهر معلوم فى الكتاب كما يستبينه القارى من اول نظرة . واعله معذور . فقد يلقى من ينكر عن سوس كل شىء . فاراد هو ان ينسب له كل شىء . والمفيد فى الكتاب ما سجله من العادات ومن احوال المدارس . ومن اخبار تنقلاته هو بين المدارس ففى قراءة كل ذلك حلاوة

وله مساجلات مع الادباء الذين اتصل بهم . ولكن ليس عندنا من ذلك كله الا ما كان بينه وبين صاحبنا الاديب سيدى احمد بن قاسم الزباني . والى القارى ما كتبه الى هذا الاديب . اسوق ذلك بقلمه . قال :

فى عام ١٣٥٥ هـ شئت الاقدار ان تسوق الى وادى زم . وانا به . العلامة الاديب النابه ابا عبدالله محمد بن احمد الممانوزى السوسى . فانس غربتى واطاح ببوسى اذ نزل ضيفا كريما على اخيه . والمراء كثير باخيه . ولا سيما وكلانا بذلك الوادى غريب . وكل غريب للغريب نسيب

وليس اغترابى فى سجستان اننى فقلت بها الاخوان والدار والاهلا ولكننى ما لى بها من مشاكل وان الغريب الفرد من يعدم الشكلا

فمكث مع اخيه شهرا . وددنا ان لوطال دهرنا ، وانشدنا :

خرجنا على ان المقام ثلاثة فطابت لنا حتى اقمنا بهادرا وفى خلال هذه المدة كانت تجرى بيننا مذكرات ومساجلات .

وربما مراجعات ومجادلات . ولكنها فى الواقع مذكرات احباب فى تصاف . ومراجعات طلاب فى اداب وانصاف . فوقع مرة جدال فى بعض مفردات اللغة

ادى الى فضال . فانحاز اخونا السوسى جانبا . واعمل يراعه مداعبا . وماهى الادقائق حتى القى اليها بهذا الشعر الرائق ، وهو :

سللت علينا البيض والسمروالزرقا وجردت جرذا كان ايسرها البلقا

واسقيت خلا كان قدما مواتيا كئوس شجار ما امر لها مدلقا

واسمعت من كل امر امر اسو تجرعه صلكا لفت له فتقا

عهدناك الفا للمعالي خليفها
وتغضى حياء عن سفاسف لا ترى
وتصبي اذا ما الشعر فتق ثوره
وتهتز للاضياف عند طروقها
وتستل في الاعداء سيفها مهفها
وتغرى بسيف الدهن في كل مفصل
وتبكي اذا ما الوعظ سل سنانه
وتندب ذا علم آتته شعوبه
وترثي لدى فقر اذا ما فقاره اف
عفا الله عنك عد ولا تك مدبرا
فيا من له في القلب منى تقلب
وما اشتد شوق الصب يبكي مرددا
فاجبته بقولي :

حنانيك خل العتب واتخذ الرفقا
فعهده فيك ما تغير لحظة
هو الحب لا ينفك فيك اذكاره
واشهى الاماني أن تحطوا رحالكم
فما موجب التعنيف والسود ثابت
قدم بجياد العلم في كل مضمهر
وما زال كاس الشعر بالكف مترعا
وقن جميلا يا عزيزي ولا تقل :

تجاري الكرام الصيدان حاولوا السبقا
لغير سمر سامر الذوك والحمى
ذوو الحلم بالاشعار توردهم شوقا
واحييت فضلا خالدا يملأ الافقا
اذما الاعادى حاولوا الضك والضيافا
مفارقة والعمر يفقد النطقا
لسان حكيم ينثر الدر والورقا
ومن دهره قهرا بكليلة القى
تقرن لرفق يمسك الفتق والرمقا
ولد بفعال ما احيل لها ذوقا
عليك سلام الله ما حنت الورقا
«سللت علينا البيض والسمر والزرقا»

طريقا لمن قد ذاب في وجدكم شوقا
وحاشا عهودى في محبتكم تشقى
وان بنتم فمئية النفس أن تلقى
بواد أرى أن لم تكونوا به يشقى
ومن دب فينا بالقطيعة لا يبقى
تجول فتجوى في ميادينها السبقا
وانت الذى تسقى ونحن الاول نسقى
«سللت علينا البيض والسمر والزرقا»

واستضافه مرة بعض غير المجانسين ، اذ لم يشموا للعلم رائحة ولم
يكونوا من المجالسين ، فلبى دعوته بشرط أن يجعل أوبته فترك اخاء في
الانتظار طيلة الليل وحتى ضحوة النهار . فكتبت اليه :

تركتم خللكم في مدلهمة
فما سبب التأخر عن خليل
اراقكم المقام بغير جنس
فاجاب معتبرا بأنه جاء :

اتينا في الليال المدلهمة
وقد شهد الذى ثبتت لديكم
تجاسرتم بنطقكم وقدمنا

(١) يعنى ولد المخاطب

فلولا ما تقدم من عهود
فان زدتم نزد أو عدت عدنا
ولما عزم على السفر ودعته بهذه القطعة :

اودعكم والدمع منى كما ترى
وقد هجتم الاشواق يوم وداعكم
انست بكم عد الصيام فكنتم
ولم لا وانت يا محمد زاخر
ففقاه الامام أنت فيه امامه
فان يغربوا تلمم بكل غريبة
تجارى وتجرى في الميادين كلها
فيا عالما من سوسه جاء زائرا
ويز بعلم في كمال فضيلة
رحلت وخلفت الغريب بترحة
فهل يسمح الدهر الختون بعودة
وحقك ما قصرت يوما بواجب
تجاوز عن المقدور ما قد رأيته

انتهى ، فى فاتح ربيع الاول عام ١٣٥٥ هـ

ثم جاء فى مثل هذا التاريخ من عام ١٣٥٦ هـ ومكث ازيد من شهر طاب
له فيها المقام . وزاد أخوه فيه أكثر حب وفرط هيام وجرت فيه مذكرات
أدبيات وفقهيات وفى خلال هذه الفترة أزمع سيره لزيارة السادة الشرفاوين
بابى الجعد . ولعله لم يحظ من بعضهم بما يجب اوبما يجب . وهو ذلك الاديب
السوسى الابى النفس . الى أن ساقته القدم للمسجد الأعظم حيث الفى الفقيه
صديقنا ابا عبدالله محمد السمونى يدرس فاحتفى به . وفى القصة يقول
القطعة التالية :

بلفظكم الفصيح سييتمونى
بنى الشرقى (١) أناضيف تزيل
حدته سوابق الاقدار حتما
فكم نبر تظناه نحاسا
وكم غمد حوى عضبا صقيلا
اييت بحيكم ضيفا ذليلا
كما بشفا الشفاء شفيتمونى
غريب الشكل هلا تفهمونى
لحيكم بحقكم اقبلونى
غبي فازدراه بعين هون
يعود اذا انتضى رهن النون
اذن بمدى الهوان رميتمونى

(١) الشيخ سيدى محمد الشرقى الرجل العظيم الذى عمرت به مدينة ابى
الجعد ، توفى حوالى ١٠١٢ هـ

عن عجل وشغل بال وتراكم هول السفر ، ربيع النبوي ١٣٥٦ هـ محمد
ابن احمد المانوزي .

ثم لم يزل ضيفنا يشرفنا بزيارته ويمتعنا بلطفه ويضفي علينا من اذاه
وظرفه سواء في تاوريرت او مراکش او الرباط . ويسدى ويلحم في برود
المحبة بما يقوى الارتباط . وكل ايامه تمر عامرة بالاداب مترعات كنوسها
بين الاصدقاء والاحباب . الى ان جاءني نعيه من مكناس وانا بـ (سيدي بنور)
بدكالة في جمادى الاولى عام ١٣٦٥ هـ يوافق ابريل ١٩٤٦ م ولعله توفي قبل
هذا بيسير :

فكان مصابه فوق المصاب وما يظف له جمر التهاب
وخطبه في القلوب اشد وقعاً لقد ادمى وطار به صوابي
رحمه الله ، ولم تحضرني مرثيته ولا من اشعاره الا ما قدمت . وان عدت
لمقرى انقبلكم عنها وابعت بالجميع ان شاء الله . اخوكم احمد لطف الله به

المكلمة الاخيرة

ان للمترجم قصائد كثيرة قد توزعت كما توزعت بنات قلمه . فقد حدثني صبيحة
يوم ركبت فيه معه من (اكادير) الى (الغ) حوالي عام ١٣٦٣ هـ ان له زهاء مائة
مؤلف . ثم لم يظهر له فيما اعلم الا ما بين ايدينا الان . والا نبذ في مجموعة
لدارس سوس . وقد كان حدثني ان له تعليقا على قصيدتي العصيدة . ولكن
لم نر له اثر . وفي ذلك الصباح امل على نسبه الى ابي فارس بن احمد
الذهبي فكتبته عنه . وقد اخذ مني العجب كل ماخذ حين سمعت مالم اسمعه
قط . ثم صرت اسال جيرانه واهل بلده عن هذه النسبة . فلم الاق من يلقي
عناضوا . الا ان بعضهم اخبرني ان هذه النسبة السعدية كان كتبها في
ورقة فاعطاها لسيدي الهاشم التيمكيدشتي فناولها الاستاذ سيدي ناصر
التونيني . فرماها لما قراها . وقد كان سيدي ناصر رحمه الله في الورع
جبلا عظيما . وانا لاستبعد ما يقوله المترجم لان الناس مصدقون في انسابهم
الا من ناحية واحدة . فابو فارس بن المنصور الذهبي لم يمر عنه الا نحو
الاثمائة سنة . فهل كان يخفى عن جيرانهم انهم من أبناء الملوك . وامثالهم
من تسير باخبارهم الركبان . والناس في باديتنا متكاشفون . والبلاد بلاد
علم لاتعد الثلاثمائة سنة فيها عهدا طويلا . اوجاء اسلاف المترجم مستخفين
يحفظون انسابهم سرا . ثم لم يظهروا نسبهم الا منذ زمن قليل . على انارايانا
فيما تقدم كيف ردد المترجم ذكر هذه النسبة . وحكاها عن احد اجدادهم في
القرن الثاني عشر . وايا كان . فان كل من اساله عن ذلك يتعجب . وربما تلف

عل ما يؤيد ما يقال في ذلك . وانا الزم المترجم من ان يزود ذلك لسؤيرا .
فليس هناك الا ان ذلك صحيح غير انه ليس بمعروف . وانه تحت طي الخفاء
حتى جاء هو فافظه . او كان حقيقة معروفة فلم يصل اليها الا اليوم . والمستقبل
كشف .

كان المترجم منقطعا في مسكن بمكناس سنين كثيرة يشتغل بالرقى
والتمائم والجداول . ويفشاء المتطلبون والمتطلبات والمسترقون والمسترقيات
لذلك وما اكثرهم حول الطلبة السوسيين في الحواضر . حتى وافاه اجله
المحتوم في مكناس حيث دفن . فذهب مبكيا عليه من كل من يعرفه رحمه الله
وله ولد يسمى عمر كان نجيبا ياخذ من القرويين . فلم يلبث ان توفي
ايضا . فبقي من لا يعرف قدر العلم من اهله . فاستولى الجاهلون من النساء
والصبيان على كتبه . وفيها بعض ذخائر . والمترجم يعرف في الاوساط
المانوزية بسيدي محمد بوزكر (بسكون الزاي والكاف المعقودة) وقلمنا تلقى
من يعاشرونه الا ويحكى لك عنه مغربات . رحمه الله

خاتمة

اننى اجتهدت فخرجت من مسودة حياة المترجم بقلمى ما يراه القارىء
امامه . ولا اكتمه . اننى اتصرف قليلا فيما ليس من صميم الاخبار . ولا من لب
عباراته . بل مما كان هو بنفسه لو خرج ماكتبه يصححه . فلم ازد انا ان قدمت
مقامه . وقد اغلظ فازيد كلمة او انقص . او ابدل عبارة . وكيفما كان فاللباب
كله بعباراته ونكته للمترجم رحمه الله وغفر لنا وله . وفي كل ذلك ما يجعله
خالدا في ظل قلمه .



انتهى الجزء الثالث من (المعسول)
ويليه الجزء الرابع ان شاء الله

﴿ الفهرس الاول في الفصول ﴾

٤	الفصل الاول في الحربيليين والتيفشستيين
١٨	الفصل الثاني في القاطنين ولو مؤقتا في قرية (دوكادير) من الغرباء
٥٨	الفصل الثالث في الوقاويين
١٠٧	الفصل الرابع في الايفشانيين
١٢٧	الفصل الخامس في الامانوزيين

﴿ الفهرس الثاني في الرجال من كل فصل ﴾

٥	الشيخ سيدي محمد بن احمد الحربيلي جد الاغوديديين
٧	سيدي الحسين بن ابي بكر الاغوديدي
٨	سيدي البشير بن ابي بكر الاغوديدي
١٦	سيدي علي التيفشيتي
١٩	سيدي احمد الفقير ابو الاخبار الدوكاديري
٢٣	سيدي محمد السلامي الموثق
٢٤	سيدي محمد الاخصاصي الطويل
٢٦	الشيخ سيدينا الصحراوي
٢٩	سيدي محمد باباه الاديب الصحراوي
٣٥	محمد سالم الشاعر الصحراوي
٣٩	السيدة رقية بنت محمد بن العربي الادوزية
٥٩	سيدي الحاج مسعود الوقاوي العلامة
٨٦	سيدي محمد بن مبارك الوقاوي الموثق
٨٨	سيدي الحاج احمد نيت اويريك الوقاوي الموثق
٩٠	سيدي احمد بن مبارك الوقاوي النجيب المعبط
٩١	القاضي سيدي احمد بن ابراهيم الوقاوي
٩٧	سيدي عبد الله بن احمد الوقاوي الفقيه
١٠٠	سيدي مبارك بن احمد الوقاوي الفقيه
١٠٢	الرئيس ابراهيم بن داود الوقاوي
١٠٩	القاضي سيدي عبد المومن الدياني الايفشاني
١١٥	الفقيه سيدي سعيد بن صالح الدياني الايفشاني
١١٧	الفقيه سيدي محمد بن عبد المومن الدياني الايفشاني
١٢٠	سيدي احمد بن محمد الدياني الايفشاني
١٢٣	الرئيس محمد الاشكر الدياني الايفشاني
١٢٩	الرئيس الحاج ابراهيم الدياني الايفشاني

فهارس الجزء الثالث من (المعسول)

الفهارس سبعة :

* الفصل الاول في الفصول

* الثاني في الرجال المترجمين في كل فصل

* الثالث الفهرس العام

* الرابع في القوافي التي قالها المترجمون والمذكورون في اثناء

التراجم كـمترجمين

* الخامس في المنشورات كالمسائل وامثالها

* السادس في الخطا والصواب

* السابع في الكلمات الشلحية التي فيها حرف مشدد

١٤٣	الرئيس احمد ابن الحاج ابراهيم الدياني الايفشاني
١٤٧	(من الكراسية المكررة) سيدي المحفوظ بن الهاشم الدياني الايفشاني
١٤٠	(من المكررة) سيدي محمد بن احمد الدياني الايفشاني
١٦٢	الرئيس علي بن احمد الدياني الايفشاني
١٦٥	الاستاذ سيدي احمد بن الحسن البناي الايفشاني
١٧٢	الاستاذ سيدي محمد بن الحسن البناي الايفشاني
١٧٥	الرئيس باها الايكليبي الايفشاني
١٧٧	امغار يوسف بن باها الايكليبي الايفشاني
١٧٩	الفقيه سيدي احمد بن ابراهيم التاوييتي الايفشاني
١٨٠	سيدي يحيى بن محمد التاوييتي الايفشاني
١٨١	سيدي سعيد بن عبد المؤمن التاوييتي الايفشاني
١٨٢	سيدي احمد بن بوهوش التاوييتي الايفشاني
١٨٣	سيدي محمد بن مبارك التاوييتي الايفشاني
١٨٤	سيدي الحسن بن مبارك التاوييتي الايفشاني
١٨٥	سيدي محمد بن عبد الله الايكدماني الايفشاني
١٨٨	الرئيس اوبركا الايكدماني الايفشاني
١٨٩	سيدي علي بن همو الايكدماني الايفشاني القاري
١٩٠	العلامة الصالح سيدي عبد الله الايكدماني الايفشاني
٢٠٤	الشيخ سيدي علي بن يونس الانامري الايفشاني
٢٠٧	الشيخ سيدي يعقوب الايكدماني الايفشاني
٢٠٨	الرئيس علي بن يعقوب الايكدماني الايفشاني
٢٠٩	الفقيه سيدي محمد بن علي اليعقوبي الايفشاني
٢١٠	الصالح سيدي يونس الايفشاني
٢١١	الشيخ علي الايبوركي الانامري الايفشاني
٢١٢	سيدي مبارك بن مومثاد بن الانامري الايفشاني
٢١٤	سيدي احمد بن ابراهيم الانامري الايفشاني
٢١٥	سيدي الحسين بن صالح التاكانزي
٢١٦	سيدي محمد بن احمد الاوغافي الانامري الايفشاني
٢١٧	القارئ سيدي مسعود افولكوس التاكانزي
٢١٨	سيدي احمد الفقير التاكانزي
٢١٩	سيدي سعيد جد الابوالخيريين الايفشاني
٢٢٠	سيدي احمد بن محمد الابوالخيريين الايفشاني
٢٢١	سيدي محمد المدونة الابوالخيريين الايفشاني
٢٢٢	سيدي محمد بن احمد الابوالخيريين الايفشاني
٢٢٥	الشيخ سيدي ابراهيم بن علي الايفشاني

٢٢٨	الشيخ سيدي عيسى بن صالح الايزرربي المانوزي
٢٣٠	الرئيس بلقاسم بن الحسين الازرربي المانوزي
٢٣٢	العلامة الورع سيدي ناصر التوتيني المانوزي
٢٣٤	سيدي محمد بن الطيب التوتيني المانوزي
٢٣٥	سيدي محمد بن بومليك المانوزي الازرربي
٢٣٧	الفقيه سيدي الحاج المحفوظ الازمادي المانوزي
٢٤٠	الاستاذ سيدي محمد بن احمد الاولاي المانوزي

الفهرس الثالث العام

في كل ما عنون له في الكتاب او يستحق ان يعنون عنه

٤	الفصل الاول في الاغوديديين والشيخسيديين
٥	الشيخ الصالح سيدي محمد بن احمد الحريبي جد الاغوديديين
٧	الفقيه سيدي الحسين بن ابي بكر الاغوديدي
٨	الاستاذ سيدي البشير بن ابي بكر الاغوديدي
١٠	اثاره وما يتبعها من رسائل وقصائد بينه وبين معاصريه
١٦	سيدي علي الشيخسيدي
١٨	الفصل الثاني في القاطنين في قرية (دوكادير) من الغرباء
١٩	سيدي احمد افيقير الساموكني
٢٣	الموفق سيدي محمد بن ابراهيم السلامي
٢٤	سيدي محمد الاختصاصي الطويلب
٢٦	الشيخ سيدي الصحراري
٢٧	بينه وبين الالفين
٢٩	الاديب محمد بابة الصحراري
٢٩	منشاء واحواله
٣٠	اثاره
٣٣	وفاته ومراثيه
٣٥	الشاعر محمد سالم بن عبد الفتاح
٣٥	احواله وتقليباته
٣٦	اثاره
٣٩	رقية بنت محمد بن العربي الادوزية
٥٠	مراسلات لابن مسعود تتعلق بها
٥٣	في عهد تأييدها
٥٤	تلتحق بالرفيق الاعلى

٩٧	سيدي عبد الله بن احمد الوقاوي
٩٧	متعلمه
٩٧	بعد التخرج
٩٨	من منشأته
١٠٠	سيدي مبارك بن احمد الوقاوي
١٠٠	متعلمه
١٠١	مشارطاته
١٠١	توظيفه
١٠٢	الرئيس ابراهيم بن داود الوقاوي
١٠٧	الفصل الرابع في الايفشانيين
١٠٩	القاضي سيدي عبد المؤمن الدياني
١١٥	الفقيه سيدي سعيد بن صالح الدياني
١١٧	الفقيه سيدي محمد بن عبد المؤمن الدياني
١٢٠	سيدي احمد بن محمد بن عبد المؤمن ولده
١٢٣	الرئيس محمد الاشكر الدياني
١٢٩	الرئيس الحاج ابراهيم الايفشاني
١٣٣	الحرب الوقاوية الايفشانية
١٣٥	في كتلة الجليليين ضد الحاحيين
١٣٥	الحرب السملانية الايفشانية
١٣٦	تقلبات له أخرى في آخر حياته
١٣٦	اعماله مع المرابطين الالفين
١٣٩	أدبيات حوله
١٤٠	قول الرفاكي فيه
١٤٣	الرئيس احمد بن الحاج ابراهيم الايفشاني
١٤٤	أدبيات
١٣٢	أدبيات أخرى (من الكراسة المكررة غلطاً)
١٣٥	بينى وبينه (منها)
١٣٧	سيدي المحفوظ بن الهاشم (منها)
١٤٠	سيدي محمد بن احمد بن الحاج ابراهيم (منها)
١٤١	أدبيات حوله (منها)
١٦٢	الرئيس علي بن احمد الدياني
١٦٥	الاديب سيدي احمد بن الحسن البناءي
١٦٥	مؤلفه
١٦٦	مشارطاته

٥٤	رأس المؤلف لها
٥٥	بعض فوائدها
٥٧	مريم الصحرأوية معلمة البنات الصالحيات
٥٧	أحوالها
٥٨	الفصل الثالث في الوقاويين
٥٩	الاستاذ المدرس سيدي الحاج مسعود الوقاوي
٥٩	متعلمه للقرآن
٥٩	أساتذته في الفنون ورحلته العلمية
٦٠	مشارطاته
٦٠	اجازاته من أشيخه
٦٣	أحواله وأخلاقه واجتهاده في التعليم
٦٦	بعض أخباره
٦٨	بينى وبينه . وهناك أدبيات
٧٩	الأخذون عنه
٨٢	مرض الاستاذ ووفاته
٨٣	مسرأيه
٨٣	أولاده
٨٤	قولبة ابن الحبيب فيه
٨٦	سيدي محمد بن مبارك الوقاوي
٨٨	سيدي الحاج احمد نيت أوبريك الوقاوي
٨٨	متعلمه
٨٨	متقلباته
٨٨	تأبينه
٩٠	سيدي احمد بن مبارك الوقاوي
٩١	القاضي سيدي احمد بن ابراهيم الوقاوي
٩٢	منشأه ومأخذه للقرآن
٩٢	في مناغاة العلوم العربية
٩٣	مشارطاته في آيت ماعلا
٩٣	في الحمراء
٩٣	في تمانار بحاحه
٩٤	تاجر في البيضاء
٩٤	في القيادة بحاحه
٩٥	في القضاء
٩٥	منه وإليه في الأدبيات

٢١٨	سيدي احمد الفير الشاكانزي الاكادمي
٢١٩	الصالح سيدي سعيد جد ال اوبولخيري
٢٢٠	الفقيه احمد بن محمد الاوبولخيري
٢٢١	محمد بن احمد المدونة الاوبولخيري
٢٢٢	الفقيه محمد - فتحا - بن احمد الاوبولخيري
٢٢٥	الصالح سيدي ابراهيم بن علي الايفشاني شيخ سيدي احمد بن موسى
٢٢٧	الفصل الخامس في الامانوزيين
٢٢٨	الشيخ سيدي عيسى بن صالح الايزريبي الكرسيفي
٢٣٠	الرئيس بلقاسم بن الحسين الامانوزي
٢٣٢	الفقيه سيدي ناصر التونيني
٢٣٤	سيدي محمد بن الطيب التونيني
٢٣٥	سيدي محمد بن بومليك الايزريبي
٢٣٧	سيدي الحاج المحفوظ الاهمادي
٢٣٧	متعلمه
٢٣٨	نبذة اخرى عنه
٢٣٩	اجتماعي معه
٢٤٠	الاستاذ محمد بن احمد المانوزي
٢٤١	خطبة ما كتبه عن نفسه وولادته
٢٤٣	تأثير وفاة الملك مولا الحسن في الرعية
٢٤٣	اساتذة المترجم في القراءان
٢٤٤	حفلة ختمته الاولى للقراءان - والعوائد السوسية في ذلك
٢٤٦	سلطة الفقهاء في الشعب وذكر البارزين منهم اذ ذاك
٢٤٩	غيرة الكرسيفيين من غيرهم ان يظهر بالعلم او القراءان
٢٤٩	الشرفاء من ال جزولة
٢٥٠	نزول بعض السعديين من اسلاف المترجم بامانوز
٢٥٠	استتمام المترجم حفظ القراءان بالخصومات المتتابعة
	حوادث وقعت بامانوز من عام ١٣٠٦ هـ الى عام ١٣٢٠ هـ وذكر بعض الرؤساء
٢٥١	هناك
٢٥٢	مصارعة هائلة بين بطلين امانوزيين
٢٥٤	حصار قرية (اوالا) مسقط رأس المترجم اثر هذه المصارعة
٢٥٥	الحاج ابراهيم الايفشاني والامتياز علي بن عبد الله يسعيان في الصلح
٢٥٦	عزوف والد المترجم
٢٥٥	الجيش الكيلولي الحاحي في الافق عام ١٣١٥ هـ واجتماع الناس اصدده
٢٥٧	نزول هذا الجيش العزيزي في سوس بقيادة القائد سعيد الحاحي الشهير
٢٥٨	واقعة تابوحناء يكت واحتلال تزيت وانقسام الجيش الى ثلاث فرق

١٦٧	السار الادبية
١٧١	اخبار عنه اخرى
١٧٢	الاستاذ سيدي محمد بن الحسن البناءي
١٧٢	ادبيات حوله
١٧٤	اخبار عنه اخرى
١٧٥	الرئيس باها الايكليبي
١٧٧	الرئيس يوسف بن باها الايكليبي
١٧٩	الفقيه احمد بن ابراهيم التاوييتي
١٨٠	يحيى بن محمد التاوييتي
١٨١	القارئ سعيد بن عبد المومن التاوييتي
١٨٢	سيدي احمد بن بوهوش التاوييتي ثم البعمراني
١٨٣	سيدي محمد بن مبارك التاوييتي
١٨٤	الحسن بن مبارك التاوييتي
١٨٥	سيدي محمد بن عبد الله بن علي الايكدماني
١٨٥	بينه وبين الحضيكي سؤال وجواب
١٨٨	أوبركا الايكدماني
١٨٩	القارئ سيدي علي بن همو الايكدماني
١٨٩	ادبيات حوله
١٩٠	العلامة سيدي عبد الله الايكدماني
١٩٠	ادبيات
١٩١	ابوه وجده
١٩٤	ادبيات اخرى
٢٠٣	تلاميذه
٢٠٤	الشيخ سيدي علي بن يونس
٢٠٧	الشيخ سيدي يعقوب الايكدماني
٢٠٨	الرئيس سيدي علي بن يعقوب الايكدماني
٢٠٩	الفقيه سيدي محمد بن علي بن يعقوب الايكدماني
٢١٠	الصالح سيدي يونس الايفشاني
٢١١	الشجاع علي اليبوركي الانامري
٢١٢	سيدي مبارك بن مومادين الانامري
٢١٤	الفقيه سيدي احمد بن ابراهيم الانامري
٢١٥	سيدي الحسين الشاكانزي
٢١٦	القارئ محمد بن احمد الاوكافي الانامري
٢١٧	القارئ سيدي مسعود افولوس الشاكانزي

٢٥٩ حروب الفراء ومجاهد ربا عيلة
 ٢٦١ فتاوى فقهاء جزالة المسماة في مقاومة هؤلاء وفي عدم المقاومة
 ٢٦٤ اعتذار عن اختلاف هؤلاء الفقهاء
 ٢٦٤ انتهاء الحكم الكيلولي وابتداء الحكم النفوسى
 اعتقال النفوسى للفقهاء سيدى محمد بن عابو الهشتوكى ثم تسريحه ثم
 ٢٦٥ بث ابن عابو للدعاية ضد النفوسى
 القيسام ضد القائد الحبيب باقا ، والفقهاء سيدى الحاج الحسين الافرائى ،
 ٢٦٦ وخراب داره فى افراى وذكر ما نهب منها ومن خزانة ابن عابو
 ٢٦٨ ذكر اخرين اخرجوا من ديارهم لمولاتهم للحاحيين
 ٢٦٩ عوائد اتفق عليها السوسيون واعتمدها فى الخلافات والجنابات
 انتشار التعليم بسوس بحفظ القراءان وبالقراءات السبع والعشر
 وبالعلوم المختلفة
 ٢٦٩ وصف مدرسة اذا ومحمد بهشتوكى
 ٢٦٩ اجتماع الطلبة فى المواسم التى تقام سنويا وعادتهم المتبعة فى ذلك من
 قرون
 ٢٧٠ العلوم المعنى بها فى سوس
 ٢٧١ تقلص هذه العادات الاجتماعية بعد الاحتلال وارتحال السوسيين الى
 خارج قطرهم السوسى
 ٢٧٢ الرحلة الاولى للمترجم الى هشتوكى لاستيفاء القراءات وقد وصف
 رحلته كما هى
 ٢٧٣ الفقيه ياسين بن ابراهيم من بنى على بن احمد الغازى الكرسيفى نزيل
 آيت بلقاع بهشتوكى والمعلم فيها
 ٢٧٣ الفقيه ابراهيم بن الحاج محمد الركراكى من تاوريرت وانو الصوابى
 استاذ المترجم فى مدرسة سيدى محمد الشوشاوى
 ٢٧٤ اشتهار المترجم بين اقاربه بالحفظ السريع
 ٢٧٥ بعض احوال الطلبة فى المدارس اذ ذاك
 ٢٧٥ كيف تقوم القبائل السوسية بالمدارس
 ٢٧٩ حول التكلم فى العقوبة المالية ونظر الفقهاء السوسيين فيها
 ٢٧٧ فصل فى مقدار هذه العقوبة المالية فى سوس اذ ذاك
 ٢٧٨ استعلاء نفوذ العلماء فى سوس على نفوذ غيرهم
 تشييد السوسيين بالدعاء للعرش المغربى وان كانوا يحاربون جيوشه
 ويمتنعون عن الاحكام
 ٢٧٨ بعض الثوار السوسيين
 ٢٧٩ فصل فى اتمام الحديث عن الاعتناء بطلبة المدارس
 ٢٧٩

٢٨٠ حال المترجم فى مدرسة سيدى محمد الشيشاوى الهشتوكى
 ٢٨١ فصل فى حوادث وقعت وهو فى هذه المدرسة
 ٢٨١ اعتياد الناس استجابة دعوات الطلبة واتقاؤهم اياها
 ٢٨٢ عشى عينى المترجم وهو هناك
 ٢٨٢ تكاثر الجراد
 ٢٨٣ اتقانه لقراءة البصرى عند استاذ هذه المدرسة . ثم فراره من استاذه
 ٢٨٣ رجوعه الى اهله وذكره لما شاهده فى سفرته متتبعا له
 ٢٨٦ قصة امانوزيين جلوا عن بلدهم الاصلى فنزلوا منذ قرن فى مجاهم
 كرسيفيون من آل تادارت نزلوا هناك . وملاقة الفقيه محمد بن عبد
 الله الابنى
 ٢٨٧ ضيف فى مدرسة (تانالت) عند الفقيه احمد ابى الرهوات خلف ابى
 عبد الله الافاريضى الشهير . ووصف الضيافة
 ٢٨٨ طلبه العلم الكبار يطلبون الدعاء من المترجم وهو لا يزال صغيرا من
 طلبه القراءان فقط
 ٢٨٨ فى (تاهالا) عند الاستاذ على بن احمد الاسكارى ووقت تأسيس سوق
 الاحمد بتاهالا
 ٢٨٨ تلميح الى ذيل الحرب المانوزية المتقدمة وتلميح الى تحلى تاكوزولت
 وتاحوكات
 ٢٨٩ نزوله فى داره حيث مكث ٣ اشهر وعنه الفقيه بلقاسم بن على بن احمد
 ٢٩٠ فى مدرسة تاهالا حيث يفتح فنون العلم من اول يوم ، وذلك عام ١٣٢٣ هـ
 عند الاستاذ على الاسكارى
 ٢٩٠ منشورات الاسكارى للمترجم اول ما لاقاه ونسبه الى السعديين
 ٢٩٠ مقروءاته عليه ونجابهته بسرعة بين اقاربه حتى صار يجيب دوتهم فى
 الامتحان
 ٢٩١ ولد استاذة بنفس عليه نجابهته فيمنعه من مطالعة كتب ابيه خصوصا فى
 الادب والتاريخ
 ٢٩١ وصف استاذة بالمهارة الفائقة فى جميع الفنون
 ٢٩٣ اعتقاد شيخه فيه الخير والتضلع حتى أنه يسأله ان يوقف ويشيد بمدحه
 فى الملا
 ٢٩٣ تلميح استاذة بأن المترجم اولى الناس بملك اجداده الملوك السعديين
 ٢٩٣ تنصيب على الكتب والفنون التى اخذها عنه ومن جعلتها ابن خلدون وابن
 الاثير وطبقات ابن السبكي وسيرة الكلاعى وديوان ابن سهل وامثالها ٩٠٠
 ٢٩٣ عدد طلبه المدرسة ستون
 ٢٩٤ الاستاذ المقرئ محمد الاعينى الصوابى
 ٢٩٤

مدرسة المترجم ومن يدرسه

٢٩٤

تلميذة من اخبار مدرسة تاهالا ومدرستها الاولين اللكوسيين البكريين
اخوان مال سيدي محمد بن ابراهيم الشيخ

٢٩٥

رحلته الثانية الى هشتوكة للاخذ عن الاستاذ محمد ابن عابو عام ١٣٢٦هـ
اول فكرة الاخذ عن هذا الاستاذ من الفقيه احمد بن عبد الرحمن الكرسيقي
تلميذ ابن عابو

٢٩٦

ترجمة هذا الفقيه الكرسيقي احمد بن عبد الرحمن

٢٩٦

الحاج المحفوظ التارسواطي رفيق المترجم في رحلته هذه

٢٩٦

في تازموت عند الفقيه محمد كود رار الشهير

٢٩٦

ترجمة الفقيه محمد بن مبارك الاخصاصي استاذ مدرسة اداي برسموكة

٢٩٧

وصف احوال لعب الشلحين

٢٩٧

حفلات (ايدرنان) والتكلم حولها باسهاب . وتسمية ذلك موسم

٢٩٩

الرقاق واول امرها

٢٩٩

فسي المدرسة الازاريفية . وفيها الاستاذ محمد خليفة ربهما الفقيه

٣٠٠

الحسن بن محمد بن الحسين

٣٠٠

في مدرسة ايكونكا عند استاذها الحاج عابد البوشواري العجيب الشأن

٣٠٠

الفقيه محمد بن صالح من ايفيراوضاض التيملي احد طلبة المدرسة الكونكية

٣٠٠

المنيفين على المائة

٣٠٠

حول شرب الاتاي

٣٠١

سيدي الحاج عابد وترجمته

٣٠١

نظام الدراسة في المدرسة هو نظام الشريف الكثيري المعروف بسيدي

٣٠٣

سعيد الشريف والكيفية التي تختتم بها الفنون

٣٠٣

يكون في المدرسة المحمدية زهاء ٢٠٠ تلميذ . وقد تخرج منها

٣٠٣

با بن عابو زهاء ٦٠٠

٣٠٤

ترجمة الشريف الكثيري المذكور والتكلم حول الشرفاء الفارين من ابن العافية

٣٠٤

اخبار اخرى عن هذه المدرسة المحمدية

٣٠٥

ما اخذه المترجم هناك . وتيسر التحصيل في تلك المدرسة

٣٠٦

عادات المدرسة في الذي تقوم به نحو الطلبة وكيف يقدم لهم طعام الوجبات

٣٠٧

كيف يتذاكر طلبتها وكيف يطالعون الدروس بنظام خاص وامكنة ذلك

٣٠٨

كيفية توديع الاستاذ للطالب المتخرج

٣٠٩

الاستاذ الطاهر الولياضي الهشتوكي

٣١٠

الاستاذ احمد التناي

٣١٠

الاستاذ مبارك بن عابو الولياضي

٣١٠

كيف ودع الاستاذ المترجم ورجوعه الى اهله ووصيته له

٣١٠

طريقه الى اهله

٣١١

الاستاذ محمد بن بوهوش العلالي الهشتوكي

٣١١

مدرسة سيدي ابي السحاب الهشتوكية وفيها زهاء تسعين طالبا .

٣١١

ووصفها وكونها المقراءات السبع

٣١١

مدرسة سيدي ابي الرجاء في اداوبوزيا ومدرستها الاستاذ الايغرمي الصوابي

٣١٢

ومعه ستون طالبا

٣١٢

المقرئي الاستاذ الحسن بن محمد - فتحا - الناظم

٣١٢

موقف شعري في وصف المترجم قبل مروره بمدرسة آيت فالاس

٣١٣

التي فيها خمسون طالبا

٣١٣

مدرسة افعال وفيها زهاء ستين طالبا

٣١٣

حادثة امانوزي اتهم بسرقة

٣١٣

استطراد مشارطة المترجم بعد هذا الحين عام ١٣٣٦هـ في مدرسة سيدي

٣١٤

مسعود وفيها ذيل لهذه الحادثة التي وقع للمترجم ما يشبهها . وهي

٣١٤

من لب حياته الغريبة وقد تزوج اذ ذاك

٣١٦

الاستاذ سيدي محمد الكثيري وولده

٣١٦

عادة المدرسين في كثرة الضرب للتلاميذ

٣١٦

ذكر بعض الخزان العلمية السوسية

٣١٦

الحزانة الكثيرة لسيدي محمد الكثيري

٣١٨

الحزانة الواغزنية للفقيه السيد الحسن الواغزني الشهيد

٣١٨

الحزانة الكرسيقية . والتكلم على اصل الكرسيقيين وتنقلاتهم وبعض

٣١٩

مشاهيرهم

٣٢٠

الحزانة الحضيكية وبعض اخبار الحضيكي واهله وذكر بعض مؤلفاته

٣٢٢

المكتبة الاسفركيسية وبعض اخبار رجالات الاسفاركيسيين

٣٢٢

الحزانة اليعقوبية الادوزية

٣٢٢

الحزانة الكرامية وبعض اخبار الكراميين احفاد ابي بكر بن العربي المعافري

٣٢٣

استطراد ذكر عبد الله بن ياسين وعبد الرحمن التامانازي صاحب

٣٢٤

(الفوائد الجمية)

٣٢٤

ذكر لايت اوسا والركائبات واحوالهم وبعض اخبار تامانازي

٣٢٤

ومما اليها

٣٢٤

الحزانة التيمكيدشتية وبعض اخبار ابي العباس التيمكيدشتي وذكر

٣٢٥

المحافظة عليها والزيادة فيها

٣٢٥

ذكر للحاج عبد الكريم اويغدي التيملي وايت حساين التيمكيدشتيين

٣٢٥

الحزانة الجشتيمية ، وذكر رجالات من الاسرة ، وان بعض هذه الخزائنة

٣٢٦

صار الى خزانة الاقارضيين

٣٢٦

خزانة مال ماء العيون وبعض أخبارهم وما وقع في الخزانة من التمزيق ٣٢٧
محاولة الهادم التيمكيدشتي الاستيلاء على بعض الخزانة الماء العينية
وطلب استخلاصها من أربابها ودور المترجم في ذلك ٣٢٨
الخزانة الاعمشية التيمندوفية وبعض أخبار رجالات الاسرة واتصال
المترجم بهم ٣٢٩
خزانة سيدي الحاج الحسين الافراني وما وقع عليها من النهب ثم
استرداد بعضها ٣٣٠
خزانة العلامة ابن عابو الهشتوكي ، وما وقع فيها من النهب ثم استرداد
بعضها ٣٣١
خزانة القائد عياد الجراي ، وذكر ما وقع لها بعد الاستقلال ٣٣١
خزانة السعديين مال المترجم . وقد أفاض القول فيها وفي بعض رجالاتها ٣٣١
ذكر لابي محلي وما وقع للخزانة في البحر يوم أوى زيدان الى سوس .
وذكر ان هذه الخزانة أصل كل الخزائن ٣٣٢
الخزانة الايليغية التازروالتيه وذكر بعض رجالات الاسرة ٣٣٣
الخزانة الالغية . وذكر بعض رجالات البغ كالاستاذ علي ابن عبيد الله
والشيخ الالغي واولادهما ٣٣٤
الخزانة التامراوية الرسموكية وذكر بعض رجالات الاسرة كمحمد بن
عبد الملك دفين فاس الشهر ٣٣٥
الخزانة التيدسية وذكر السيد عبد الحى من رجالات الاسرة ٣٣٥
خزانة العلامة سيدي الحاج عابد البوشوارى التيفراسيتي ٣٣٥
خزانتا الاقارضيين الحاج أحمد ومحمدا بنى عبد الله الصوابيين ٣٣٦
خزانة مال علي بن سعيد اليعقوبى الايلانى وذكر بعض رجالات الاسرة ٣٣٦
الخزانة الهرغية الاكنضيفية وذكر بعض رجالاتها الكرسيقيين ٣٣٦
إشارة المترجم الى خزائن اخرى فى أفا وطاطة وايسافن وايلان واداونضيف
واندوزال واداوكنسوس وهرغة وواد سوس وتيسوت وتارودانت
وهشتوكه وآيت باعمران وذكر اطلاعه عليها ٣٣٧
رجع الى تمام رحلته يوم رجع من عند ابن عبو ٣٣٧
قبيلة تيكشيران ومدرستها وقبيلة بنى حمان ٣٣٧
منظر بهيج يطل على (تاوودانت) بكثرة الخضرة من الاشجار المختلفة ٣٣٧
النزول فى مضيق وعمر باليدين والرجلين خوف السقوط فى الهاوية الى
غدير مدهش يجتاز عليه باثنتان ٣٣٧
فى ضيافة فقيه مدرسة تاوودانت سيدي محمد التيبوتى المليكسى ٣٣٨
الهشتوكي وشقيقه الفقيه ابراهيم معاشر المترجم ٣٣٨
تنقلات شرفاء تاوودانت الادريسيين ٣٣٨

عدد اللكوسيين البكرين فى مساكنهم . وتعيين هذه المساكن .
دار الشيخ محمد بن ابراهيم التامانارتى منهم ٣٣٨
إشارة الى ما وقع بين أبناء الشيخ التامانارتى ورؤساء اكرض بين
العلماء تاحوكات وتاكوزولت ٣٣٩
فى مدرسة تانالت الصوابية واستاذها ابو عبدا لله الصوابى الاقارضى ٣٤٠
مروره بوادى ساقية صنهاجة الملتفة بالاشجار ووصفه بالوخم كساقية
(بوشكا) ثم مروره بايكيسل فجبل تيزى ايزكزا ٣٤٠
قصة مقتل الحاج أحمد الانريضى المانوزى فى طريقه الى الحج وما وقع
ان خفروا فيه ذمة المتوجه الى بيت الله ٣٤٠
عبد الحق صاحب المشهد فى مدرسة فوكرض التى فيها الفقيه الاديب
المشارك - كما قال - الحسن التادراتى الباعمرانى الذى ضيف المترجم ٣٤١
حادثة وقعت للمترجم بعد هذا الحين فى وادى تامضلوشت كاد يفرق
فيه . وهى من غرائب المعتادة . وقد وصف ذلك وصفا ممتعا ٣٤٢
نزوله فى أهله نحو شهرين ، ثم اهتمامه ان يلتحق بالمدرسة الالغية ٣٤٤
زيارته للمدرسة الايفشانية ونزوله عند استاذها سيدي عبد الله بن
محمد الالغى ومجاذبتهم للقوافى ٣٤٤
الكلام على المثل : (العود أحمد) ٣٤٥
الرحلة الى تيمكيدشت ٣٤٧
الكلام على سوق الجمعة المنقولة من تينزكيت الى تالوست ووقت تأسيسها ٣٤٧
الإشارة الى حرب بين مال اضاض وبين مال كدورت ووقتها ٣٤٧
الجور الكثير الذى كان وقع فى وادى ايسى وام يندمل جرحه الا بالاحتلال ٣٤٨
نسب الحاج عمر من اولاد أبى درقة ٣٤٩
ما وقع بين أهل كدورت وبين آيت الشيخ سيدي بلقاسم افيلال وعصره ٣٤٩
ما وقع بين أهل ايمى اوزال وبين أهل تيزركين ٣٥٠
ما وقع بين بنى عبيد رؤساء قبيلة انزرن من تيمقيييت وما فعله صبيى منهم
من اخذه لئلا أهله بعد كبره ٣٥٠
ما وقع بين أهل اضاض نيت محمد - فتحا - وبين بنى منصور ٣٥٠
تتبع رحلة المترجم الى تامساوت وسعيه فى اصلاح ذات البين بين أهله
وغيرهم ٣٥١
مشاهدته المحصر ذئاب وثعالب وظربى وغيرها فى مضائق واصطيادها
بالايدى ٣٥١
مفارات المعادن فى جبال هناك كانت فيها أعمال التعدين فيما مضى ٣٥٢
قال من القراءان لبعض قرى هناك ٣٥٢
مدرسة افيلال وما وقع فيها للمترجم ٣٥٢

ملأه هناك لجماعة من الحفيديين ورجال آخرين ووصفه لفرى هناك
ولا خلاف أهلها ٣٥٤
نزول المترجم في تيمكيدشت ووصفه للقبلة التي بناها الملوك ٣٥٧
امطار غزيرة ٣٥٨
اجرة البنائين ترتفع من عام ١٣٢٦ هـ الى ما بعدها ارتفاعا فاحشا باعتناء
المتأخرين بالبناء ٣٥٨
الفقيهان سيدي ناصر وابن عمه سيدي محمد بن الحاج الطيب الاقيان ٣٦٠
اشتغاله بتدريس بعض الفنون للطلبة ماشاء الله باذن سيدي الهاشم
شيخ الزاوية ٣٦٠
اكفهرار الجو امام اعين المترجم وبيان سبب ذلك مع ذكر بعض اوصاف
سيدي الهاشم المحتجب عن الناس ٣٦٠
احاديث عن اختلافات بين رجالات الزاوية قبل سيدي الهاشم ومعه
وذكر مناوشات مسلحة بينهم وقد اطل في ذلك ٣٦١
اهتمام المترجم بمغادرة المدرسة بعدما اظلم الجو حوله ٣٦٤
زيارته لمدرسة بومروان حيث سيدي الطاهر الافراني . وكاد ينتقل
اليها لولا سيدي الهاشم الذي عض عليه بالنواجذ حرصا على استبقائه ٣٦٥
ذكر مدارس هناك بنفسه المطلبه بعد ما ذكر قبل كلام كثير ما اخذه هناك
عن سيدي ناصر ٣٦٦
في مدرسة تومليلين بقبيلة ادوسكا ٣٦٦
احداث وقعت في هذه السنوات كذيل لاحداث اخرى تقدم ذكرها ٣٦٦
بيعة العلماء السوسيين للشيخ احمد الهيبة في تزيت على القيام بالجهاد
واقبال الناس على ذلك اقبالا عجيبا ٣٦٦
خروجه من تزيت والقواد الكبار الذين بايعوه وواكبوه في جيشه
باسمائهم واحدا واحدا ٣٦٧
وصف الامير وجيشه بعدم النظام ثم ذكر رحلته الى مراكش على طريق
امسكروض متنكبا بطريق حافة . وذكره من لاقاه من القواد ٣٦٧
الفقهاء المنصوبون للقضاء بين الناس ٣٦٨
احتلال السوسيين لامراج مراكش بعد دخول الهيبة لها ٣٦٩
من خرافات الاعراب التي يقصدون اشمويه على الناس بها ٣٦٩
عموم الامن في مبدأ امر الهيبة نحو أربعة أشهر ٣٦٩
وفود المترجم على الهيبة في تزيت مع المانوزيين أهله ٣٧٠
القوافي بين يدي الامير ٣٧١
وصفه لما رأى في تزيت من عدم النظام ٣٧١
تدخل المترجم للابقاء على رؤساء القبائل في رياستهم قبل ان يستول

عابها الفقهاء السذج ومحاورته الفقهاء في ذلك ٣٧١
سئل من تزيت ورجوعه الى تيمكيدشت معرضا عن امر الهيبة لما رأى
احلاله ٣٧٣
بعض ما وقع حول الهيبة في مراكش من رؤساء المدينة المحنكين وتحيلهم
عليه وعلى حاجبه حتى فرقوا بينه وبين السوسيين ٣٧٤
محاولة قواد من السوسيين تنبيه الهيبة لثلا يغتر بغيرهم وصدوفه
من ذلك ٣٧٥
«مارك ابن كريس وسيدي بوعثمان بين جيش الهيبة والجيش الفرنسي
وما حولها من المكاييد ٣٧٦
انهزام جيش الهيبة ثم انسحابه من مراكش والتحاقه بواد نفيس ٣٧٧
قواد سوسيون تخلفوا بمراكش فخافوا عهد الهيبة ٣٧٨
الهيبة في تارودانت وحصاره فيها بعد حروب مع حيدة والقائد ناصر
على يد القائد الناجم ويرعاه السباعي ٣٧٩
الهيبة في اسرسييف بعد انسحابه من تارودانت وافلاته بجريعة المذقن ٣٨٠
اسراج الشيخ النعمة أخى الهيبة من تزيت ٣٨٠
تعيين القائد الناجم عاملا للهيبة على هشتوكة ٣٨٠
قتل الهيبة للقائد عبدالسلام الجراري ٣٨٠
قتله لافقيه ابن عبو انهشتوكي ٣٨١
الهيبة في كردوس بعد ما تنكر له الايلانيون ومن يجاورون اسرسييف ٣٨١
حروب حيدة حوالى تزيت ٣٨٢
مصرع حيدة وذكر الكيفية التي قتل بها الحضور المترجم له وذكر بعض
ما غنمه المجاهدون ٣٨٢
وصف الحرب الجنيرالية في وجان وفي أيت بعمران وما حواليهما وهي
التي كان يقودها جنرال فليل لها الجنيرالية ٣٨٥
وقعة وجان ٣٨٥
الاحتلال الحائن الشيخ احمد الامازري البعقلي ووصف أسباب ذلك وكيف
قتل ٣٨٨
المؤمران اللذان وقعت المهادنة في آخرهما . وقد حضر المترجم منهما
في مؤتمر مرغت الذي قام به الاستاذ علي بن عبدالله خير قيام ٣٩٠
ما وقع في المؤمرين من اقدام الفرنسيين ومن اليهم الى ايت باعمران
ووصف الوقائع وصفا يخالف الوقائع شيئا ما ٣٩٢
وانوع الهدنة ورجوع الجيش الفرنسي ومخالفة وصف المترجم للحقيقة
كثيرا في غالب ما ذكره ٣٩٥
حروب اخرى بين شيعة مربيه ربه وبين الحاج حماد بن حيدة في أيت

المترجم في الحواضر مع ابن زيدان والقاضي سكيرج والاديب احمد بن قاسم الزاياني
 ٤١٦ قواف بينه وبين الاديب احمد بن قاسم المذكور
 ٤١٧ حول نسب المترجم
 ٤٢٠ ولده عمر المتوفى شابا
 ٤٢١ غائمة

* * *

(الفهرس الرابع في القوافي التي صدرت عن المترجمين)

الهمزة

٣٠ محمد بن الطاهر سيري مطية واقطعي البيداء
 ١٢٣ بعض الالفين فوصال فصحة فوداد - هباء
 ١٦٧ احمد الهيناي عجبنا لمن نادته بصفا

البا

٣٠ محمد بابو الصحرابي عهود الصبا ذكرت يا هبة الصبا
 ٣٣ أبو الحسن الالف عظم الزره والمصاب بموت - بابو
 ١٤٤ الحسن الكوسالي من مبلغ نجل الكريم الاريب
 ١٩٩ عبد الله الايكدماني سلام كريم كوصل الحبيب
 ٤٢٠ احمد الزاياني فكان مصابه فوق المصاب

التاء

٣١ محمد بابو الصحرابي أبا حسن لازلت بدرا سيادته
 ٥٤ المؤلف عجبنا لنفس لا تذوب صفاتها
 ١٦٩ احمد البنائي لله ليلتنا كانها اقتطفت
 ٢٠٠ عبد الله الايكدماني وافت تناعى نجيا بالتحيات

الجيم

١١ البشير الاغوديدي إن الطجين مدرك النضج

الخاء

٢٧ سيديا الصحرابي لك المجد في هذي البسطة ثابتا - الشوامخ

٣٩٦ هبلا وايسافان وايلالان من اجل سمو بن بلقاسم
 ٣٩٧ الخلاف بين القائد مبارك البنياني وبين القائد المدني الاخصاصي
 ٣٩٨ حروب القائدين في افران
 ٣٩٨ توسط العلماء بينهما من اجل الهدنة
 ٣٩٨ حالة جبال جزوة في التخالف والتناظر بين أهلها قبيل الاحتلال
 ٣٩٩ حرب في جهة اقا بين المسلمين واحتلال اقا
 ٣٩٩ الاحتلال التام في عام ١٣٥٢ هـ بعد حروب اخرى في ايشنت وتامانارت
 ٣٩٩ وتيواضو وتيمكيدشت
 وصف محمد بن الهاشم وما اقترقه في جيرانه أهل تيواضو وغيرهم قبل
 ٤٠٠ الاحتلال وبعده واخبار اخرى عنه
 غلاء الاسعار في عام ١٣٣١ هـ والجذب العام الا في معدر تامانارت حيث
 ٤٠٢ حرث المترجم
 وصفه لعرب شنكيط وصفا حسنا في الاخلاق الاجتماعية وفي العلم
 ٤٠٣ واللباس والخلقة
 ٤٠٥ بعض اخلاقهم المذمومة
 ٤٠٦ الحروب السودانية وتعبيد الطرق من صحراء سوس الى اكادير
 حروب حاحة مع القائد النفلوسي لجيوش الاحتلال الفرنسي وذكر قواف
 ٤٠٧ حاحة المتأخرين وقت الاحتلال
 ٤٠٨ وصف شجاعة القائد محمد النفلوسي الذي عرفه المترجم عيانا
 ٤١٠ حروب زايان للجيش الفرنسي وذكر وقعة الهري
 زيارة المترجم لمدينة خنيفرة ووصف تلك الجهة وذكر بعض الشرفاء بها
 ٤١١ وما وقع عليهم من ضغط الولاة
 ٤١٢ حروب الامير محمد بن عبد الكريم الريفى
 رجع الى سوس وذكر وقعة الفتك بالقاضي احمد بن حمزة التاهالي بيد
 ٤١٣ جد أهل انغار
 ٤١٣ رئاسة قبيلة اذا وتنان اذذاك
 ٤١٣ نسب المهدي بن تومارت
 ٤١٣ نسب يوسف بن تاشفين
 ٤١٤ نسب عبد الله بن ياسين
 ٤١٤ نسب الامام محمد بن سليمان الجزولي
 ٤١٤ نسب الشرفاء الامغاريين
 ٤١٤ نسب سيدي مزال البودرقى لامزال بن هارون الهشتوكى
 ٤١٥ مشاهير الشعراء الشلحيين في لغة الشلحة من المتأخرين
 ٤١٥ تعقيب لما كتبه المترجم من المؤلف لاستتمام ترجمته

السدال

- ١٠ البشير الاغوديدي
١١ له أيضا
١١ الطاهر الافرائي
٣١ محمد بابة الصحراري
٢٢ له أيضا
٣٦ محمد سالم
٣٦ الطاهر بن علي
٣٦ محمد سالم
٤٢ ابن العربي الادوزي
٦٠ الطاهر بن محمد
٦٢ أبو الحسن الاغوي
٦٣ الحاج مسعود
٧٢ المؤلف
٨٢ عبدالله بن محمد الاغوي
٨٩ المؤلف
١٣٢ الطاهر بن محمد من (المكرر)
١٣٤ مساجلة من (المكرر)
١٣٦ المؤلف من (المكرر)
١٤١ له أيضا من (المكرر)
١٤٢ محمد بن الطاهر من (المكرر)
١٧٠ احمد البناءي
١٧٠ مبارك التوماني
١٧٠ احمد البناءي
١٧٣ محمد البناءي
١٧٣ داود الرسموكي
٢٠٠ عبد الله الايكدماني
٣٤٤ عبدالله بن محمد الاغوي
- سلام على حبي وخدني أبي زيد
انح يا حبيبي مركبي لزيارة - امجاد
أيا نزهة الحادي ويا زينة النادي
هبت صبا والد صبابها ولده
زار الفقه وزوره محمود
منى اليك مع المدائح احمد
يامن يطيب به الزمان الانكد
لكما اترحب والسلام الامجد
فراق بنتي صعب - جدا
يا عجب كيف يخشى النحاس مسعود
هذا وان العبد ليس لما به - المقعد
أيا شيخنا تقضي شمائلك العلا - ورد
عليك أبا العرفان يا خير مسعود
قامت قيامة أهل الفقه اذ نودي
احقا مضى ذاك الفقيه المسدد
قد زارنا الحب المبارك احمد
يممت ياركب دار الفضل والجود
مامت بل مانت ماثره في الندي
ادر بدا من نحر خود خرائد
محمد كن فيما يهكم ساعيا - المحامد
الحمد لله سعد الدين قدولدا
لئن سفرت عن البدر الخراد
رب ليل مبارك جاد فيه - المراد
ابرق تجاه الرقمتين بدا لنا - تواجد
أتى فاتي فورا سرور مجدد
أبي الله والاسلام الا محمدا
امحمد النذب ابن احمد من غدا

الراء

- ١٠ البشير الاغوديدي
١٠ الحسين بن ابراهيم الصالح
١٣ محمد بن الطاهر
- نفعت نفحة فهزت فؤادي - بصدي
حبذا ارج الاحبة ينهي - بسرار
عليك سلام الله يا ابن ابي بكر

- ١٥ البشير الاغوديدي
١٥ الطاهر بن محمد
٢٧ سيديا الصحراري
٢٨ الطاهر بن محمد
٢٢ محمد بابة
٢٩ الطاهر بن محمد
٢٧ محمد سالم
٤٥ ابن العربي الادوزي
٤٧ أبو الحسن الاغوي
٨٥ الحاج مسعود
٩٦ المؤلف
٩٦ له أيضا
١٣٣ الطاهر بن محمد من (المكرر)
١٦٨ احمد البناءي
١٦٨ الحسن الكوسالي
١٦٨ احمد البناءي
١٦٩ الحسن الكوسالي
١٦٩ احمد البناءي
١٧٣ محمد البناءي
١٩٨ عبد الله الايكدماني
٢٠١ له أيضا
٢٣٥ بعض الالغيين
٤١٩ احمد الزيانسي

- ١٧٠ الحسن الكوسالي
١٧٠ احمد البناءي

السين

انعم بملك يا ابا العباس
يحوى العلا من بين ما اجناس

الضاد

محمد الخلق يامن وده فرضا
سلاما كنفع الورد من خضل الروض
سلام يجوب الكون طولا على عرض

- ١٧٢ مساجلة
١٩٠ المؤلف
١٩٠ عبد الله الايكدماني

الكاف

هذا مصاب كوى اكباد من طرعا
ياسادتي انى قبلت توسلا - اوامق
قريضك هذا ام بدت انجم الافق
اخى طربجنح الشوق واثت بما - والضيق
اجزولا بديا صنوى الشقيق ويا - اشراق
سللت علينا البيض والسمر والزرقا
حنانيك خل العتب واتخذ الرفقا

الكاف

لوجاز ان ارسل من كبدي - المألقة

اللام

مدح الخليفة مالم ياتنى اجلى
تبدت فرمنا وصلها فتمنعت - وصل
ارسلت منك فكرة غادة - الدلال
طائر اليمن عن دوام السجلا
طوبى لهم خلع الكمال جماله
كتاب سلام الحب جاءت به الرسل

الميم

بنفسى بياضا نمقته باحرف - والشم
اعينا على خطب الم فالما
بعثت اليك بعض كلى فان راعيته - حكما
جزاك اله العرش خير جزائه - جزما
فسمعا ابا الذ الفاء فالوعد مبرم - غما
على ذلك القدر السننى سلام
سيدنا الحاج احمد الرضا العلم
اندى الكرام الشيخ ابراهيم
يامرحبا بجموع سادات سما
اخى الصفا المحفوظ مالك لم تزل - سم
بارق ال شطر غسان فاشتدت - وغرامى
الاطف بكعبة الانام وسلم
على السيد الفقيه نجل محمد - سلام
تركتم خلکم فى مذلهمة
أتينا فى الليالى المذلهمة

٨٩ المدنى بن على
١٢٨ الطاهر بن محمد
١٤٢ البوزكارنى من المكرر
١٦٩ احمد البنائى
١٧٢ مساجلة
٤١٧ محمد المانوزى
٤١٨ احمد الزيانى

١٠ البشير الاغوديدى

٣٧ محمد سالم
١٦٧ احمد البنائى
١٧١ له أيضا
١٩٨ عبد الله الايكدمانى
١٩٩ له أيضا
١٩٩ له أيضا

٢٧ سيدى الصحرارى
٣٤ الطاهر بن محمد
٤٢ ابن العربى الادوزى
٤٢ الشيخ الالفى
٤٧ المؤرخ الاكرارى
٧٠ المؤلف
٨٩ محمد بن على الالفى
١٠٦ المؤلف
١٣٢ الطاهر بن محمد من (المكرر)
١٣٨ احمد اليزيدى من (المكرر)
١٦٧ احمد البنائى
١٩٧ عبد الله الايكدمانى
١٩٨ عبد الله بن مسعود
٤١٨ احمد الزيانى
٤١٨ محمد المانوزى

النون

٣١ محمد بابة الصحرارى
٤٤ ابن العربى الادوزى
٤٦ الشيخ الالفى
٧٩ المؤلف
٩٥ احمد الوفقاوى
٩٥ المؤلف
١٣٩ مساجلة
١٤٤ الطاهر بن محمد
١٣٢ فى المكرر البشير الناصرى
١٣٤ فى (المكرر) محمد بابه
١٦٨ احمد البنائى
١٦٩ له أيضا
١٦٩ أبو الحسن الالفى
١٩٨ عبد الله الايكدمانى
٤١٩ محمد المانوزى

أسنى سلام الى العلامة الحسن
فى حب مال البيت للانسان
هذا الذى فخرت به ازماني
مولاي يا علم الاسلام والدين
لك الله من فذ يفوز برضوان
حنانيك لاتصنك صنما خي بيهتان
شنتف مسامعنا بذكر حبيبنا
ان الموائد انت من شجعانها
يا احمد الجود ابقاك الاله لنا
جازى المهيم مد من الاحسان
اهلا بمقدم شيخنا الامام ومن
أذى قلائد عقيان ام الدرر - الحسن
أحسننت يامن لك كل المحاسن فى - كالحسن
روح المشوق براح الشوق سكران
بنفطكم الفصيح سيبتمونى

الياء

٢٥ بعض الالفين سقى الله ذاك الطور سحبا هواميا

الالف المقصورة

١٣٣ الشيخ الالفى وفد خير الخلق ان جئتم الى - المصطفى

الاراجيز

١٣٠ الشيخ الالفى ومعنا محب أهل الخير
٣٤٥ عبد الله بن محمد الالفى محمد بن احمد بأولا

الفهرس الخامس

فى المنشورات - من الرسائل وغيرها من آثار المترجمين ومن الهم

الحسين الاغوديدى ٧ -
الطاهر الافرانى ١١ - ١٢ -
محمد بن الطاهر ١٣ -

البشير الناصري ١٤ -

رئيس ساموگني ٢١ -

محمد بابه ٣١ -

محمد بن مسعود ٥٠ - ٥٢ -

أبو الحسن الألفي ٦١ -

المؤلف ٧٠ - ٧٢ -

الحاج مسعود الوفقاري ٧١ - ٧٥ - ٨٢ - ٨٤ -

المحفوظ الدياني ١٢٨ - من (المكرر)

الحضيكي ١٨٥ -

محمد الايكدماني ١٨٥ -

عبد الله الايكدماني ١٩٠ -

الفهرس السادس في الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤	٢	الحر سيلي	الحربيلي
٦	٦	العاشرة	العاشر
٦	٧	فسيدذكر	فسيدكر
٧	٢٢	المالكة	المالكة
٨	٧	النحوية	والنحوية
٢٢	١٩	زاء	ازاء
٢٧	٢١	في هذه	في هدى
٣٢	٤	في الحاشية	نسالككم
٤٢	٢٣	جرما	جزما
٥٤	٢٥	ترد الصدور الاعجاز	ترد الاعجاز على الصدور
٥٩	٧	بهم	بهمم
٥٩	١٦	اسادته	اساتذه
٦١	٥	من يسن	من سن
٦٦	٨	فاستلقى	فاستولى
٦٧	٣٢	بضهم	بعضهم
٧٠	٤	فوثبة	فوثبة
٧٠	٢٧	جاء	جاءت

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٧٨	٢٣	امروء	امروء
١١١	٤	الشيخ	الشيخ
١٢٣	٢٠	بانوق	بانوق
١٢٦	٢٣	ايت اوقناس	ايت بوقناس
١٢٧		صواب السطر الثلاثين وما بعده بخلاف المكرر	
		كل ما يملكونه من الحل	فقالوا للايبوركيين
١٢٧	٣٥	وذا بحاس	واذ ايحاس
١٣٢	٢٤	والموارية	والمواربة
١٣٢	٣	في الحاشية	خيرهم
١٣٤	١٧	واوعز	فاوعز
١٤١	٦	باءال	بال

هنا تكررت الارقام غلطا من ١٢٩ الى ١٤٤ وستتمشى على هذا الغلط

١٢٩ مكرر ٩	اكياس	اكيس
١٣٠ مكرر ٢٧	بمراكش	بمراش
١٣١ مكرر ٢٦	تازوالت	تازاروالت
١٣٢	لال	لاولى
١٣٣ مكرر ٢٦	مذا	مذا
١٦١	فقه	ففيه
١٦٧	فشارط	شارط
١٦٨	بويركيرن	بويركيرن
١٧٥	صاع بصاع	صاعا بصاع
١٨٠	واخر	واخر
١٩٣	في مصلاة	في مصلاه
١٩٣	الاجازة	الاجارة
١٩٣	كل مامن	كل من
١٩٨	بهؤلاء	بهذه
١٩٩	ذانتنا	ذانتنا
٢٠١	مزيدا	مزيدا
٢٠٢	تذيل	تذييل
٢١٧	لمشهورين	المشهورين
٢٢٨	المساة	المسامة
٢٣٢	السامم	السامع

صفحة	سطر	خطا	صواب
٢٢٧	٧	يسقط هذا السطر : الفقيه سيدي علي الايزديسي (١)	
٢٢٩	٣	عليه	عليها
٢٣٧	١٢	وهي امي	وهو امي
٢٣٨	٥	قال سهمه	قال سهمه
٢٣٩	١٥	سيدي	سيد
٢٤٠	٢٥	يكاد وحيدا	يكاد يكون وحيدا
٢٤٤	٢١	اعتناء	اعتناء
٢٤٥	١٧	ضواء	ضوء
٢٤٥	٢٥	عن ذكر الرحمن	عن ذكر ربه
٢٤٥	٢٩	تتحط	تنحط
٢٤٦	٢٩	نبت	نيس
٢٤٩	٢	(له)	(زائد في حذف)
٢٤٩	٢٦	اولاه	اولاد
وقع بين ٢٥٤ وبين ٢٥٧ تقديم وتأخير في الرقمين بينهما			
٢٥١	٢٥	بنى الطلب	بنى الطالب
٢٦٢	٤	جوبا	جوبا
٢٦٨	١٦	لامواقهم	لاسواقهم
٢٧٤	٤	في الحاشية لا يفهما	لا يفهما
٢٧٥	٦	مع ولده الفقيه	مع ولد الفقيه
٢٧٧	٣٠	زيادة	بلا زيادة
٢٧٨	٥	ولا تناله	ولا تنالها
٢٨١	١٤	مظهرها	ظهرها
٢٨٥	١٨	لاه	لانه
٢٨٧	٢٠	ينتظرون	ينظرون
٢٨٨	٢٠	بالفر	بالسفر
٢٨٩	٢٠	سي الطالب	بنى الطالب
٢٩٠	١	اذا الناس	اذا الناس
٢٩٢	١٩	خيفه أن	خيفة أن
٣٠٥	٢٢	اودامه	الاريجية
٢٩٣	٤	في الحاشية الاريجية	من اذامه
٣١٣	٢٥	بأمرها	بأمرهما

(١) كنا عنوانا عنه . ولكن لم نظفر بترجمته

صفحة	سطر	خطا	صواب
٢٢٠	١٠	فحماها	صواب
٢٢١	١٠	مجلدا	فمحاما
٢٢٦	٢٠	الماظم	مجلد
٢٣٤	٣٠	والموب	الناظم
٢٣٩	١٠	بن العافية	والمؤدب
٢٤٣	١٧	التكلم	بن أبي العافية
٣٥٤	٢٢	العائد	المتكلم
٣٥٠	٢١	الصالح	العابدة
٣٦٨	١٠	في الحاشية (١) لم يغادر	الصلح
٣٧٢	٢	الامر	لم يغادر (٥)
٣٧٣	١١	من الخلاف	الامر
٣٧٣	١٤	الاصحى	الخلاف
٣٧٤	٢٦	الصحراويون	الاصحى
٣٧٥	٢٢	وغرستها	الصحراويين
٣٧٥	٢	في الحاشية لم يكونا الى مراکش في مراکش	وغرسته
٣٧٧	١٥	وعرب	وعرب
٣٨٧	٤	في الحاشية للتديفة	للتديفة
٤٠١	٣	اذا كان	اذا كان
٤٠٢	٤	وعن حالها	وعن رجالها
٤٠٣	٢٣	غيرهما	وغيرهما
٤٠٥	٥	اخلاقه	اخلاقهم
٤٠٦	٥	في الحاشية الكنش	الكنش
٤٠٦	٦	في الحاشية التصريف	التصريف
٤٠٦	٢٠	وبينهما	وبينها
٤٠٨	٤	في الحاشية الفرسي	الفرنسي
٤١٤	١	في الحاشية نسبين	نسب بين
٤١٤	٢	في الحاشية امجزولي	الجزولي
٤١٧	٣١	مدقا	مدقا
٤١٨	٤	طروقها	طروقهم
٤١٩	١٣	بوادي	بوادي
٤١٩	٢٦	المشرقي	المشرقي

إيجلاذن	إيمى أوغكيتى	تو كمال
إيدز كان	إيدازن	تامكيزت إينخسان
أولاد كاحو	ايدأ كا رسمو كيت	تيواضو
أيت سمنك	أفلون	تاز كما
أيت ماغلا	ايدأ كاران	تامككات
أوسار	أكبرامو	تادارت
أكنى إيديات	أبيغند	تادوا غلات
أوغمى	ايسك	تيم كريدشت
إيدأوسا كنم	أمسرا	تيملت
أفولوس	أوبالوش	تيمقييت
إفولوسن	بوتوميت	دوشنروت
أوشان	بوتيكلا	دويملان
أمزار كو	بوتيليس	دو كاديرت
أكادير واو	بيهميدن	كو ذراز
أوعابو	تيمشيت	الكيلولي
إيدا ومنحمد	تابلا أوغليت	متوكة
إيكينك	تالات تيسي	وجان
أيت باكو	تاز موزت	والكوت
أيت ييعزى	تافكاغت	